

# جمال عبد الناصر.. الأرشيف السرى



إعداد

الدكتورة هدى جمال عبد الناصر

جمال عبد الناصر.. ذلك الرجل الذى حرر مصر من الطغيان ومن الاحتلال، والذى قاد العرب وأشعل القومية العربية، وهز عروش وأنظمة حكم، والذى بهر العالم عندما أمم قناة السويس وقاوم عدوانا ثلاثيا غاشما.. من هو؟ وما هى خلفيته الاجتماعية والثقافية؟ ما هى مبادئه التى ثبت عليها حتى النهاية؟ ما هى جذور سياساته التى خاض بها المعركة تلو الأخرى؟



ولد ناصر فى ١٥ يناير ١٩١٨، فى حى باكوس الشعبى بالإسكندرية، فى عائلة فقيرة. وكان الابن الأكبر **لعبد الناصر حسين**، الذى ولد فى عام ١٨٨٨ فى قرية بنى مر فى صعيد مصر فى أسرة من الفلاحين، ولكنه حصل على قدر من التعليم سمح له بأن يلتحق بوظيفة فى مصلحة البريد بالإسكندرية، وكان مرتبه يكفى بصعوبة لسداد ضرورات الحياة .

### مع والده وعمله وثقلته

وفى المرحلة الابتدائية التحق جمال عبد الناصر بروضه الأطفال بالإسكندرية، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية

بالخطاطبه بالدلتا فى عامى ١٩٢٣، ١٩٢٤. وفى عام ١٩٢٥ دخل جمال مدرسة النحاسين الابتدائية بالجمالية بالقاهرة، وأقام عند عمه خليل حسين فى هذا الحى الشعبى لمدة ثلاث سنوات. وكان جمال يسافر لزيارة أسرته بالخطاطبه فى العطلات المدرسية، وحين وصل فى الاجازة الصيفية



### فى المرحلة الابتدائية

فى العام التالى - ١٩٢٦ - علم أن والدته قد توفيت قبل ذلك بأسابيع، ولم يجد أحد الشجاعة لإبلاغه بموتها، ولكنه اكتشف ذلك بنفسه بطريقة هزت كيانه - كما ذكر لـ " دافيد مورجان " مندوب صحيفة الصنداى تايمز(١) - ثم أضاف: " لقد كان فقد أمى فى حد ذاته أمراً محزناً للغاية، أما فقدتها بهذه الطريقة فقد كان صدمة تركت فى شعوراً لا يمحوه الزمن. وقد جعلتني آلامى وأحزاني الخاصة فى تلك الفترة أجد مضماً بالغاً فى انزال الآلام والأحزان بالغير فى مستقبل السنين".

وبعد أن أتم جمال السنة الثالثة فى مدرسة النحاسين بالقاهرة، أرسله والده فى صيف ١٩٢٨ عند جده لوالدته فبقى السنة الرابعة الابتدائية فى مدرسة العطارين بالإسكندرية.

(١) دافيد مورجان، Sunday Times، ١٨ يونيو ١٩٦٢.

ثأراً فى المرحلة الثانوية :

التحق ناصر فى عام ١٩٢٩ بالقسم الداخلى فى مدرسة حلوان الثانوية وقضى بها عاماً واحداً، ثم نقل فى العام التالى - ١٩٣٠ - الى مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية بعد أن انتقل والده الى العمل بمصلحة البوسطة هناك.

وفى تلك المدرسة تكون وجدان ناصر القومى؛ ففى عام ١٩٣٠ استصدرت وزارة اسماعيل صدقى مرسوماً ملكياً بإلغاء دستور ١٩٢٣؛ فثارَت مظاهرات الطلبة تهتف بسقوط الاستعمار ويعودة الدستور .

ويحكى جمال عبد الناصر عن أول مظاهرة اشترك فيها : " كنت أعبّر ميدان المنشية فى الإسكندرية حين وجدت اشتباكاً بين مظاهرة لبعض التلاميذ وبين قوات من البوليس، ولم أتردد فى تقرير موقفى؛ فلقد انضممت على الفور الى المتظاهرين، دون أن أعرف أى شئ عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله، ولقد شعرت أننى فى غير حاجة الى سؤال؛ لقد رأيت أفراداً من الجماهير فى صدام مع السلطة، واتخذت موقفى دون تردد فى الجانب المعادى للسلطة.

ومرت لحظات سيطرت فيها المظاهرة على الموقف، لكن سرعان ما جاءت الى المكان الإمدادات؛ حمولة لوريين من رجال البوليس لتعزيز القوة، وهجمت علينا جماعتهم، وإنى لأذكر أنى - فى محاولة يائسة - ألقيت حجراً، لكنهم أدركونا فى لمح البصر، وحاولت أن أهرب، لكنى حين التفت هوت على رأسى عصا من عصى البوليس، تلتها ضربة ثانية حين سقطت، ثم شحنت الى الحجز والدم يسيل من رأسى مع عدد من الطلبة الذين لم يستطيعوا الإفلات بالسرعة الكافية .

ولما كنت فى قسم البوليس، وأخذوا يعالجون جراح رأسى؛ سألت عن سبب المظاهرة، فعرفت أنها مظاهرة نظمتها جماعة "مصر الفتاة" فى ذلك الوقت؛ للاحتجاج على سياسة الحكومة . وقد دخلت السجن تلميذاً متحمساً، وخرجت منه مشحوناً بطاقة من الغضب " (١) .

ويعود ناصر الى هذه الفترة من حياته فى خطاب له بميدان المنشية بالإسكندرية فى ١٠/٢٦/١٩٥٤ ليصف أحاسيسه فى تلك المظاهرة وما تركته من آثار فى نفسه : " حينما بدأت فى الكلام اليوم فى ميدان المنشية سرح بى خاطر الى الماضى البعيد ... وتذكرت كفاح الإسكندرية وأنا شاب صغير، وتذكرت فى هذا الوقت وأنا اشترك مع أبناء الإسكندرية، وأنا أهتف لأول مرة فى حياتى باسم الحرية وباسم الكرامة، وباسم مصر ... أطلقت علينا طلقات الاستعمار وأعوان الاستعمار؛ فمات من مات وجرح من جرح.

(١) المرجع السابق.

ولكن خرج من بين هؤلاء الناس شباب صغير شعر بالحرية وأحس بطعم الحرية، وآلى على نفسه أن يجاهد وأن يكافح وأن يقاتل في سبيل الحرية التي كان يهتف بها ولا يعلم معناها؛ لأنه كان يشعر بها في نفسه، وكان يشعر بها في روحه وكان يشعر بها في دمه". لقد كانت تلك الفترة بالإسكندرية مرحلة تحول في حياة الطالب جمال من متظاهر الى تائر تأثر بحالة الغليان التي كانت تعاني منها مصر؛ بسبب تحكم الاستعمار وإلغاء الدستور.

وقد ضاق المسئولون بالمدرسة بنشاطه ونبهوا والده فأرسله الى القاهرة. وقد التحق ناصر في عام ١٩٣٣ بمدرسة النهضة الثانوية بحى الظاهر بالقاهرة، واستمر في نشاطه السياسى فأصبح رئيس اتحاد مدارس النهضة الثانوية.



وفى تلك الفترة ظهر شغفه بالقراءة فى التاريخ والموضوعات الوطنية؛ فقرأ عن الثورة الفرنسية وعن روسو وفولتير، وكتب مقالا بعنوان " فولتير رجل الحرية " (١)، نشرها بمجلة المدرسة. كما قرأ عن نابليون والاسكندر ويوليوس قيصر، وغاندى، وقرأ رواية البؤساء ل فيكتور هيجو وقصة مدينتين ل شارلز ديكنز وغيرها.

Voltaire, l'homme de la liberté

Après avoir vécu une jeunesse quelque peu fatigante, François-Marie Arouet, dit Voltaire, qui avait résidé deux ans en Angleterre, est revenu en 1729, avec une célébrité qui revint à ses écrits. Son ultime préoccupation était de préserver son indépendance en tant qu'écrivain. Voltaire avait vécu en 1755 près de Genève dans sa demeure à laquelle il avait donné le nom de " Délices ", avant d'acquiescer en 1759, un domaine à Ferney, sur la frontière franco genevoise. Il faisait alors, des allers retours entre les deux demeures à des intervalles irréguliers. Toute l'Europe portait ses regards vers lui. Il était très dynamique, accueillait maints visiteurs et écrivait d'innombrables lettres. Non seulement cela, mais il rédigeait de sa plume la sagesse et la philosophie. Il critiquait l'Eglise, la législation et la loi. Ce qui a fait de lui un dirigeant au sens vrai du terme mais il était également devenu la proie du fanatisme. Son œuvre était grandiose et diversifiée. Ses parties les plus importantes étaient celles consacrées à ses récits et à ses mémoires. Ses travaux historiques étudiaient la personne de Charles XII et portaient à la quête de Louis XIV. Son style était fort comme sa personnalité, intelligent, étrange et différent en son genre. Le roi de Prusse, Frédéric II, à la personnalité atrayante était entouré dans son palais à Berlin, d'un cercle d'amis intellectuels. Il était particulièrement attiré par les Français. Aux yeux de Frédéric, la nation française représentait la culture européenne la plus avancée. Parmi ses intellectuels favoris et invité coutumier à son salon, pendant des années, fut Voltaire, le prince des philosophes du XVIIIe siècle. Mais après quelques temps les différends ont opposé le roi et le philosophe et Voltaire fut chassé du palais royal au milieu d'un déluge de scandales. Mais personne ne peut oublier la relation étroite qui liait les deux stars du XVIIIe siècle. L'un était le personnage scientifique le plus renommé et l'autre était un intellectuel incontournable. La révolution du XVIIIe siècle s'est déclenchée essentiellement contre le pouvoir des traditions et l'un des éminents philosophes ayant porté son flambeau, fut Voltaire. Voltaire possédait les armes les plus destructrices et les plus puissantes. Il a ainsi préparé le terrain, à ses prédécesseurs qui ont mené la glorieuse révolution de 1789. A sa mort, Voltaire jouit de funérailles grandioses à Paris.

Gamal Abdel Nasser  
Quatrième année, de la section lettres

كذلك اهتم ناصر بالانتاج الأدبى العربى؛ فكان معجباً بأشعار أحمد شوقى وحافظ ابراهيم، وقرأ عن سيرة النبى محمد وعن أبطال الاسلام، وكذلك عن مصطفى كامل، كما قرأ مسرحيات وروايات توفيق الحكيم؛ خصوصاً رواية عودة الروح التى تتحدث عن ضرورة ظهور زعيم للمصريين يستطيع توحيد صفوفهم، ودفعهم نحو النضال فى سبيل الحرية والبعث الوطنى .

وفى ١٩٣٥ فى حفل مدرسة النهضة الثانوية لعب الطالب جمال عبد الناصر دور يوليوس قيصر؛ بطل تحرير الجماهير فى مسرحية شكسبير، فى حضور وزير المعارف فى ذلك الوقت. كما وأنه بدأ فى كتابة قصة "فى سبيل الحرية" عن معركة رشيد عام ١٨٠٧، لكنه لم يستكملها (٢).



(١) نص المقال فى ملحق رقم ١.

(٢) ملحق رقم ٢.

وقد شهد عام ١٩٣٥ نشاطاً كبيراً للحركة الوطنية المصرية التي قام فيها الطلبة بالدور الأساسي؛ مطالبين بعودة الدستور والاستقلال. ويكشف خطاب من ناصر الى صديقه على في ٤ سبتمبر ١٩٣٥ مكنون نفسه في هذه الفترة، فيقول: " لقد انتقلنا من نور الأمل الى ظلمة اليأس، ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت؛ فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب، ويعيد مصر الى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم؟! أين من يخلق خلفاً جديداً لكي يصبح المصري الخافت الصوت، الضعيف الأمل، الذي يطرق برأسه ساكناً صابراً على اهتضام حقه، ساهياً عن التلاعب بوطنه، يقظاً عالي الصوت عظيم

لقد انتقلنا من نور الأمل الى ظلمة اليأس، ونفضنا بشائر الحياة واستقبلنا غبار الموت؛ فأين من يقلب كل ذلك رأساً على عقب، ويعيد مصر الى سيرتها الأولى يوم أن كانت مالكة العالم؟! أين من يخلق خلفاً جديداً لكي يصبح المصري الخافت الصوت، الضعيف الأمل، الذي يطرق برأسه ساكناً صابراً على اهتضام حقه، ساهياً عن التلاعب بوطنه، يقظاً عالي الصوت عظيم

الرجاء، رافعاً رأسه يجاهد بشجاعة وجرأه في طلب الاستقلال والحرية؟ ... قال مصطفى كامل (لو نقل قلبي من اليسار الى اليمين أو تحرك الأهرام من مكانه المكين أو تغير مجرى النيل؛ فلن أتغير عن المبدأ ) ... كل ذلك مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم؛ فقد تكلمنا مرات عدة في عمل يوقظ الأمة من غفوتها، ويضرب على الأوتار الحساسة من القلوب، ويستثير ما كمن في الصدور، ولكن كل ذلك لم يدخل في حيز العمل الى الآن.



**جريح في مظاهرات 1935**

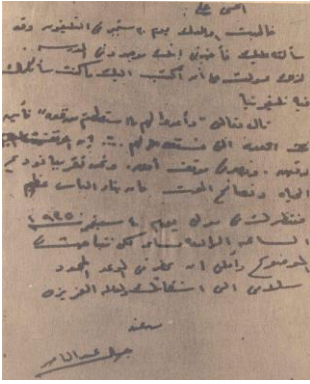
وبعد ذلك بشهرين، وفور صدور تصريح " صمويل هور " - وزير الخارجية البريطانية - في ٩ نوفمبر ١٩٣٥، معلناً رفض بريطانيا لعودة الحياة الدستورية في مصر؛ اندلعت مظاهرات الطلبة والعمال في البلاد، وقاد ناصر في ١٣ نوفمبر مظاهرة من تلاميذ المدارس الثانوية واجهتها قوة من البوليس الانجليزي؛ فأصيب جمال جرح في جبينه سببته رصاصة مزقت الجلد ولكنها لم تنفذ الى الرأس، وأسرع به زملاؤه الى دار جريدة الجهاد التي تصادف وقوع الحادث بجوارها، ونشر اسمه في العدد الذي صدر صباح اليوم التالي بين أسماء الجرحى.

وعن آثار أحداث تلك الفترة في نفسية جمال عبد الناصر، قال في كلمة له في جامعة القاهرة في ١٥ نوفمبر ١٩٥٢: " وقد تركت اصابتي أثراً عزيزاً، لا يزال يعلو وجهي فيذكرني كل يوم بالواجب الوطني الملقى على كاهلي كفرد من أبناء هذا الوطن العزيز. وفي هذا اليوم وقع صريع الظلم والاحتلال المرحوم عبد المجيد مرسى؛ فأنتساني ما أنا مصاب به، ورسخ في نفسي أن على

واجباً أفنى في سبيله أو أكون أحد العاملين في تحقيقه حتى يتحقق، وهذا الواجب هو تحرير الوطن من الاستعمار، وتحقيق سيادة الشعب. وتوالى بعد ذلك سقوط الشهداء صرعى؛ فازداد إيماني بالعمل على تحقيق حرية مصر."

وتحت الضغط الشعبي؛ وخاصة من جانب الطلبة والعمال صدر مرسوم ملكي في ١٢ ديسمبر ١٩٣٥ بعودة دستور ١٩٢٣.

وقد انضم ناصر في هذا الوقت الى وفود الطلبة التي كانت تسعى الى بيوت الزعماء تطلب منهم أن يتحدوا من أجل مصر، وقد تألفت " الجبهة الوطنية " سنة ١٩٣٦ بالفعل على أثر هذه الجهود .



وقد كتب ناصر في فترة الفوران هذه خطاباً الى صديقه على في ٣ سبتمبر ١٩٣٥، قال فيه: "يقول الله تعالى : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة، فأين تلك القوة التي نستعد بها لهم؟! إن الموقف اليوم دقيق ومصر في موقف أدق ...".

ووصف ناصر شعوره في كتاب "فلسفة الثورة" (١) فقال: "وفي تلك الأيام قدت مظاهرة في مدرسة النهضة، وصرخت من أعماقي بطلب الاستقلال التام، وصرخ ورائي كثيرون، ولكن صراخنا ضاع هباء وبددته الرياح أصداء واهية لا تحرك الجبال ولا تحطم الصخور".

إلا أن اتحاد الزعماء السياسيين على كلمة واحدة كان فجيعة لإيمان ناصر، فإن الكلمة الواحدة التي اجتمعوا عليها كانت معاهدة ١٩٣٦ التي قننت الاحتلال؛ فنصت على أن تبقى في مصر قواعد عسكرية لحماية وادي النيل وقناة السويس من أى اعتداء، وفي حال وقوع حرب تكون الأراضي المصرية بموانئها ومطاراتها وطرق مواصلاتها تحت تصرف بريطانيا، كما نصت المعاهدة على بقاء الحكم الثنائي في السودان" (٢).

وكان من نتيجة النشاط السياسي المكثف لناصر في هذه الفترة الذي رصدته تقارير البوليس، أن قررت مدرسة النهضة فصله؛ بتهمة تحريضه الطلبة على الثورة، إلا أن زملائه ثاروا وأعلنوا الاضراب العام، وهددوا بحرق المدرسة؛ فتراجع ناظر المدرسة الانجليزي في قراره.

(١) ناصر ، فلسفة الثورة ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٦ ، ص ٣٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٥.

ومنذ المظاهرة الأولى التي اشترك فيها ناصر بالإسكندرية شغلت السياسة كل وقته، وقد حكى لى أنه تجول بين التيارات السياسية التي كانت موجودة في هذا الوقت؛ فانضم الى "مصر الفتاة" لمدة عامين، ثم انصرف عنها بعد أن اكتشف أنها لا تحقق شيئاً، كما كانت له اتصالات متعددة " بالإخوان المسلمين " إلا أنه قد عزف عن الانضمام لأى من الجماعات أو الأحزاب القائمة؛ لأنه لم يقتنع بجدوى أيها منها، فلم يكن هناك حزب مثالي يضم جميع العناصر لتحقيق الأهداف الوطنية.

كذلك فإنه وهو طالب في المرحلة الثانوية بدأ الوعي العربى يتسلل الى تفكيره، فكان يخرج مع زملائه كل عام في الثانى من شهر نوفمبر؛ احتجاجاً على وعد " بلفور " الذى منحت به بريطانيا لليهود وطناً في فلسطين، على حساب أصحابه الشرعيين.

ناصر في الكلية الحربية:



لما أتم ناصر دراسته الثانوية وحصل على البكالوريا في القسم الأدبى، قرر الالتحاق بالجيش. ولقد أيقن، بعد التجربة التي مر بها في العمل السياسى، واتصالاته برجال السياسة والأحزاب التي أثارت اشمئزازه منهم، أن تحرير مصر لن يتم بالخطب بل يجب أن تقابل القوة بالقوة، والاحتلال العسكرى بجيش وطنى.

### كارنيه عضويته في كلية الحقوق



### يحمل علم الكلية الحربية

تقدم ناصر الى الكلية الحربية فنجح في الكشف الطبى، ولكنه سقط في كشف الهيئة؛ لأنه حفيد فلاح من بنى مر وابن موظف بسيط لا يملك شيئاً، ولأنه اشترك في مظاهرات ١٩٣٥، ولأنه لا يملك واسطة.

ولما رفضت الكلية الحربية قبول ناصر، تقدم في أكتوبر ١٩٣٦ الى كلية الحقوق في جامعة القاهرة، ومكث فيها ستة أشهر الى أن عقدت معاهدة ١٩٣٦، واتجهت النية الى زيادة عدد ضباط الجيش المصرى من الشباب، بصرف النظر عن طبقتهم الاجتماعية أو ثروتهم؛ فقبلت الكلية الحربية دفعة في خريف ١٩٣٦، وأعلنت وزارة الحربية عن حاجتها لدفعة ثانية؛ فتقدم جمال مرة ثانية للكلية الحربية، ولكنه توصل الى مقابلة وكيل وزارة الحربية اللواء ابراهيم خيرى، الذى أعجب بصراحته

ووطنيته واصراره على أن يصبح ضابطاً؛ فوافق على دخوله فى الدورة التالية؛ أى فى مارس ١٩٣٧.

لقد وضع ناصر أمامه هدفاً واضحاً فى الكلية الحربية وهو أن يصبح ضابطاً ذا كفاية، وأن يكتسب المعرفة والصفات التى تسمح له بأن يصبح قائداً، وفعلاً أصبح "رئيس فريق"، وأسندت اليه منذ أوائل ١٩٣٨ مهمة تأهيل الطلبة المستجدين. وطوال فترة الكلية لم يوقع على جمال أى جزاء، كما رقى الى رتبة أومباشى طالب.

تخرج جمال عبد الناصر من الكلية الحربية بعد مرور ١٧ شهراً، أى فى يولييه ١٩٣٨، فقد جرى استعجال تخريج دفعات

الضباط فى ذلك الوقت لتوفير عدد كافى من الضباط المصريين؛ لسد الفراغ الذى تركه انتقال القوات البريطانية الى منطقة قناة السويس .

وقد كانت مكتبة الكلية الحربية غنية بالكتب القيمة، فمن لائحة الاستعارة تبين أن جمال قرأ عن سير عظماء التاريخ؛ مثل بونابرت والاسكندر وجاليلاردى وبسمارك ومصطفى كمال أتاتورك وهندنبرج وتشيرشل وفوش. كما قرأ الكتب التى تعالج شئون الشرق الأوسط والسودان، ومشكلات الدول التى على البحر المتوسط، والتاريخ العسكرى. وكذلك قرأ عن الحرب العالمية الأولى، وعن حملة فلسطين، وعن تاريخ ثورة ١٩١٩. ومن خطابه الى والده أحدهما يرجوه فيها سرعة إرسال مصاريف الكلية الحربية، وآخر يعبر فيه عن اضطرابه لمرضه (١) .



**شهادة رتبة الملازم الثانى 1938**



**أثناء تدريب عسكرى 1945**

(١) ملحق رقم ٣.



ناصر يلتحق بسلاح المشاة:



رخصة القيادة في 1939

التحق ناصر فور تخرجه بسلاح المشاة، ونقل الى منقباد في الصعيد، وقد أتاحت له اقامته هناك أن ينظر بمنظار جديد الى أوضاع الفلاحين وبؤسهم.

وفي عام ١٩٣٩ طلب جمال عبد الناصر نقله الى السودان؛ فخدم



في الخرطوم وفي جبل الأولياء، وفي مايو ١٩٤٠ رقى الى رتبة الملازم أول .

لقد كان الجيش المصري حتى ذلك الوقت جيشاً غير مقاتل، وكان من مصلحة البريطانيين أن يبقوه على هذا الوضع، ولكن بدأت تدخل الجيش طبقة جديدة من الضباط الذين كانوا ينظرون الى مستقبلهم في الجيش كجزء من جهاد أكبر لتحرير شعبهم. وقد ذهب جمال الى

منقباد تملؤه المثل العليا، ولكنه ورفقائه أصيبوا بخيبة الأمل؛ فقد كان معظم الضباط " عديمي الكفاءة وفاسدين "، ومن هنا اتجه تفكيره الى اصلاح الجيش وتطهيره من الفساد. وقد كتب لصديقه

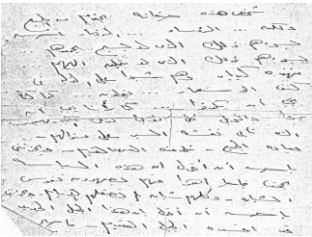


حسن النشار في ١٩٤١ من جبل الأولياء بالسودان: " على العموم يا حسن أنا مش عارف ألقياها منين واللامنين.. هنا في عملي كل عيبي إنى دغرى لا أعرف الملق ولا الكلمات الحلوة ولا التمسح بالأذيال .

شخص هذه صفاته يحترم من الجميع ولكن.. الرؤساء..

الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم، يسوءهم ذلك الذى

لا يتملق اليهم؛ فهذه كبرياء وهم شبووا على الذلة فى كنف الاستعمار، يقولون : كما كنا يجب أن نكونوا، كما رأينا يجب أن يروا.. والويل كل الويل لذلك ... الذى تأبى نفسه السير على منوالهم ...

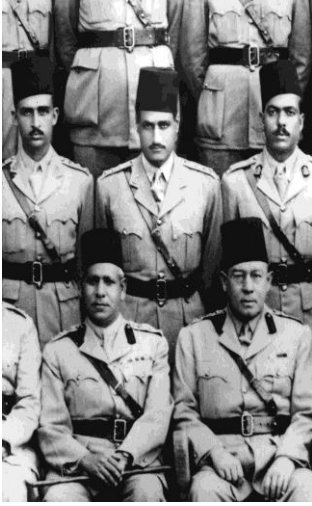


خطاب الى صدوق يتقدّم فيه الوضع بالجيش

ويحزنى يا حسن أن أقول إن هذا الجيل الجديد قد أفسده الجيل القديم متملقاً، ويحزنى يا حسن أن أقول إننا نسير الى الهاوية؛ الرياء - النفاق الملق - تقشى فى الأصاغر نتيجة لمعاملة الكبار. أما أنا فقد صمدت ولازلت؛ ولذلك تجدنى فى عداء مستحکم مستمر مع هؤلاء الكبار...".

ناصر يخدم فى منطقة العلمين:

وفى نهاية عام ١٩٤١ بينما كان "روميل" يتقدم نحو الحدود المصرية الغربية، عاد جمال عبد الناصر الى مصر، ونقل الى كتيبة بريطانية تعسكر خلف خطوط القتال بالقرب من العلمين.

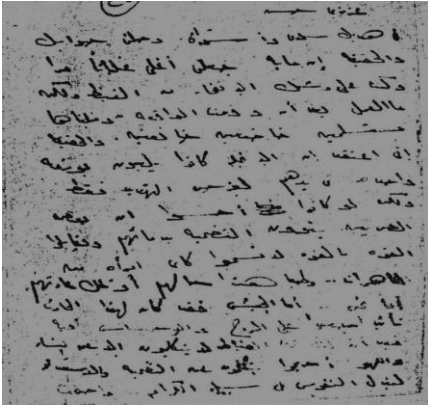


ويذكر جمال عبد الناصر: " فى هذه المرحلة رسخت فكرة الثورة فى ذهنى رسوخاً تاماً، أما السبيل الى تحقيقها فكانت لا تزال بحاجة الى دراسة، وكنت يومئذ لا أزال أتحمس طريقى الى ذلك، وكان معظم جهدى فى ذلك الوقت يتجه الى تجميع عدد كبير من الضباط الشباب الذين أشعر أنهم يؤمنون فى قراراتهم بصالح الوطن؛ فبهذا وحده كنا نستطيع أن نتحرك حول محور واحد هو خدمة هذه القضية المشتركة (١)".

### مع رفاق السلاح

وأثناء وجوده فى العلمين جرت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ حينما

توجه السفير البريطانى - السير مايلز لامسبون - ليقابل الملك فاروق بسراى عابدين فى القاهرة، بعد أن حاصر القصر بالدبابات البريطانية، وسلم الملك إنذارا يخيره فيه بين إسناد رئاسة الوزراء الى مصطفى النحاس، مع إعطائه الحق فى تشكيل مجلس وزراء متعاوناً مع بريطانيا، وبين الخلع؛ وقد سلم الملك بلا قيد ولا شرط .



ويذكر ناصر أنه منذ ذلك التاريخ لم يعد شئ كما كان أبداً؛ فكتب الى صديقه حسن النشار فى ١٦ فبراير ١٩٤٢، يقول: " وصلنى جوابك، والحقيقة أن ما به جعلنى أعلى غلياناً مرأً، وكنت على وشك الانفجار من الغيظ، ولكن ما العمل بعد أن وقعت الواقعة وقبلناها مستسلمين خاضعين خائفين. والحقيقة أنى أعتقد أن الانجليز كانوا يلعبون بورقة

### خطب الى صديق يعلق على أحداث 4 فبراير 1942

واحدة فى يدهم بغرض التهديد فقط، ولكن لو كانوا أحسوا أن بعض

المصريين ينوون التضحية بدمائهم، ويقابلوا القوة بالقوة؛ لانسحبوا كأي امرأة من العاهرات .

(١) مورجان، مرجع سابق.



### شهادة رتبة اليوزباشى 1942

أما نحن.. أما الجيش فقد كان لهذا الحادث تأثير جديد على الوضع والاحساس فيه؛ فبعد أن كنت ترى الضباط لا يتكلمون الا عن النساء واللهو، أصبحوا يتكلمون عن التضحية والاستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة . وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا- مع ضعفهم الظاهر - ويردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء، ولكن إن غداً لقريب. حاول البعض بعد الحادث أن يعملوا شيئاً بغرض الانتقام، لكن كان الوقت قد فات، أما القلوب فكلها نار وأسى. عموماً فإن هذه الحركة أو هذه الطعنة ردت الروح الى بعض الأجساد، وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها، وكان هذا درساً ولكنه كان درساً قاسياً ."

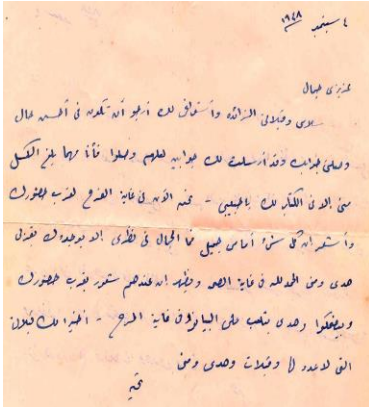
رقى ناصر الى رتبة اليوزباشى فى ٩ سبتمبر ١٩٤٢، وفى ٧ فبراير ١٩٤٣ عين مدرساً بالكلية الحربية. ومن قائمة مطالعته فى هذه الفترة يتضح أنه قرأ لكبار المؤلفين العسكريين؛ من أمثال ليدل هارت وكلاوزفيتز، كما قرأ مؤلفات الساسة والكتاب السياسيين مثل كرومويل وتشرشل. وفى هذه الفترة كان ناصر يعد العدة للالتحاق بمدرسة أركان حرب .



### صورة الزفاف فى 29 يونيو 1944

وفى ٢٩ يونيه ١٩٤٤ تزوج ناصر من تحية محمد كاظم - ابنة تاجر من رعايا ايران - كان قد تعرف على عائلتها عن طريق عمه خليل حسين، وقد أنجب ابنتيه هدى ومنى وثلاثة أبناء هم خالد وعبد الحميد وعبد الحكيم. لعبت تحية دوراً هاماً فى حياته، خاصة فى مرحلة الاعداد للثورة واستكمال خلايا تنظيم الضباط الأحرار؛ فقد تحملت أعباء أسرته الصغيرة عندما كان فى حرب فلسطين، كما ساعدته فى اخفاء السلاح حين كان يدرب الفدائيين المصريين للعمل ضد القاعدة البريطانية فى قناة السويس فى ١٩٥١، ١٩٥٢.

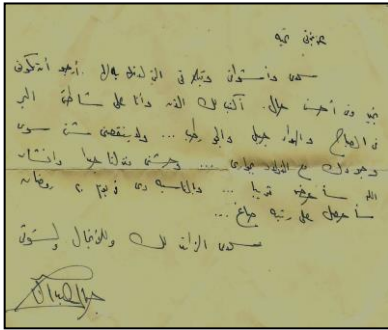
نشأة " الضباط الأحرار " :



شهد عام ١٩٤٥ انتهاء الحرب العالمية الثانية وبداية حركة " الضباط الأحرار ". وقد بحثت كثيرا على أجد ولو ورقة واحدة عن هذا التنظيم بلا جدوى ، وتذكرت أنه كان تنظيم سرى ، ومن الطبيعي ألا يسطر حرف واحد عنه حتى لا ينكشف أمره. لذلك فإنني أعتد في هذا الجزء من الكتاب على ما ذكره ناصر بنفسه عن " الضباط الأحرار "، فيقول: " لقد ركزت حتى ١٩٤٨

### خطاب من زوجته أثناء حرب فلسطين

على تأليف نواة من الناس الذين بلغ استياؤهم من مجرى الأمور في مصر مبلغ استثنائي، والذين توفرت لديهم الشجاعة الكافية والتصميم الكافي للاقدام على التغيير اللازم. وكنا يومئذ جماعة صغيرة من الأصدقاء المخلصين، نحاول أن نخرج مثلنا العليا العامة في هدف مشترك وفي خطة مشتركة(١).



وعقب صدور قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين في ١٩٤٧، عقد الضباط الأحرار اجتماعاً واعتبروا أن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد هذا الانتهاك للكرامة الانسانية والعدالة الدولية، واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة في فلسطين.

### خطاب الى زوجته أثناء حرب فلسطين

وفي اليوم التالي ذهب ناصر الى مفتى فلسطين، الذي كان لاجئاً يقيم في ضاحية مصر الجديدة بالقاهرة؛ فعرض عليه خدماته وخدمات جماعته الصغيرة كمدرين لفرقة المتطوعين وكمقاتلين معها. وقد أجابه المفتى؛ بأنه لا يستطيع أن يقبل العرض دون موافقة الحكومة المصرية. وبعد بضعة أيام رفض العرض، فتقدم ناصر بطلب اجازة حتى يتمكن من الانضمام الى المتطوعين، لكن قبل أن يبيت في طلبه أمرت الحكومة المصرية الجيش رسمياً بالاشتراك في الحرب؛ فسافر ناصر الى فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨.

(١) المرجع سابق.

الاسم	الرتبة	الفرقة	الخدمة	التاريخ
عبد الناصر	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الحكيم	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوهاب	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد السلام	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد العزيز	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المحسن	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوكيل	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الجبار	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد القادر	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المنعم	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوهيد	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المطلب	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوارث	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الجبار	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد القادر	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المنعم	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوهيد	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المطلب	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوارث	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948

الاسم	الرتبة	الفرقة	الخدمة	التاريخ
عبد الناصر	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الحكيم	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوهاب	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد السلام	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد العزيز	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المحسن	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوكيل	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الجبار	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد القادر	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المنعم	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوهيد	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد المطلب	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948
عبد الوارث	مقدم	الفرقة الأولى	الخدمة الأولى	1948

### صفحتان من الملف العسكري السرى

لقد كان لتجربة حرب فلسطين آثاراً بعيدة على ناصر (١)، فعلى حد قوله: " لم يكن هناك تنسيق بين الجيوش العربية، وكان عمل القيادة على أعلى مستوى فى حكم المعدوم، وتبين أن أسلحتنا فى كثير من الحالات أسلحة فاسدة، وفى أوج القتال صدرت الأوامر لسلاح المهندسين ببناء شاليه للاستجمام فى غزه للملك فاروق !

وقد بدا أن القيادة العليا كانت مهمتها شيئاً واحداً؛ هو احتلال أوسع رقعة ممكنة من الأرض بغض النظر عن قيمتها الإستراتيجية، وبغض النظر عما اذا كانت تضعف مركزنا العام فى القدرة على الحاق الهزيمة بالعدو خلال المعركة أم لا .

وقد كنت شديد الاستياء من ضباط الفوتيلات أو محاربى المكاتب؛ الذين لم تكن لديهم أية فكرة عن ميادين القتال أو عن آلام المقاتلين.



### شهادة ترقية الى رتبة الصاغ لتمام حرب فلسطين

وجاءت القطرة الأخيرة التى طفح بعدها الكيل؛ حين صدرت الأوامر الى بأن أقود قوة من كتيبة المشاة السادسة الى عراق سويدان، التى كان الاسرائيليون يهاجمونها، وقبل أن أبدأ فى التحرك نشرت تحركاتنا كاملة فى صحف القاهرة ! ثم كان حصار الفالوجا الذى عشت معاركه خلال ستة أشهر؛ حيث ظلت القوات المصرية تقاوم، رغم أن القوات الاسرائيلية كانت تفوقها كثيراً من ناحية العدد؛ حتى انتهت الحرب بالهدنة التى فرضتها

الأمم المتحدة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩" (٢)

إننى أذكر كيف ساعدت قرارات مجلس الأمن اليهود على أن يحققوا أهدافهم، فكانوا يعززون مواقعهم وتمكنوا من خطوط الجيش المصرى مستغلين قرارات الهدنة (٣).



### نجمة فؤاد العسكرية

رقى جمال عبد الناصر الى رتبة صاغ أثناء حرب فلسطين فى ٧ يوليو ١٩٤٨، وجرح مرتين أثناء الحرب، ونقل الى المستشفى. ونظراً للدور المتميز الذى قام به خلال المعركة؛ فإنه منح نيشان " نجمة فؤاد العسكرية " والمشبك فى عام ١٩٤٩.

(١) صفحتان من الملف العسكري السرى لناصر مترجمتان الى الفرنسية، ملحق رقم ٤.

(٢) ناصر، مرجع سابق، ص ٦٦ ، ٧٠.

(٣) المرجع سابق، ص ٦٦ .

وفى فلسطين شعر ناصر بأن الشعوب العربية ضحية لمؤامرة أخفت عنها عمدا حقيقة ما



كان يجرى، وضللتها. ويقول فى كتابه " فلسفة الثورة ": لقد كنت أحس أنني أدافع عن بيتى وعن أولادى، وكان ذلك عندما التقى فى تجوالى بين الأطلال المحطمة ببعض أطفال اللاجئين تحت الحصار، وأذكر بينهم طفلة صغيرة كانت فى عمر ابنتى، وكنت أراها وقد خرجت الى الخطر مندفعة تبحث عن لقمة عيش أو قطعة قماش.

وكنت دائما أقول لنفسى: قد يحدث هذا لابنتى! كنت مؤمنا أن الذى يحدث لفلسطين يمكن أن يحدث لأى بلد فى هذه المنطقة، ما دام مستسلما للعناصر والقوى التى تحكمه (١).

وبعد رجوعه الى القاهرة أصبح جمال عبد الناصر

## أثناء حرب فلسطين

وأتقاً أن المعركة الحقيقية هى فى مصر؛ فبينما كان ورفاقه يحاربون فى فلسطين، كان السياسيون المصريون يكسبون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة التى اشتروها رخيصة وباعوها للجيش .

وقد أصبح مقتنعاً أنه من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على؛ فكان الملك فاروق هو هدف تنظيم الضباط الأحرار منذ نهاية ١٩٤٨ وحتى ١٩٥٢.

تنظيم " الضباط الأحرار " بعد حرب فلسطين:

بعد عودته من فلسطين عين ناصر مدرساً فى كلية أركان حرب، التى كان قد نجح فى امتحانها بتفوق فى ١٢ مايو ١٩٤٨. وبدأ من جديد نشاط "الضباط الأحرار"، وتألقت لجنة تنفيذية بقيادته، وهى اللجنة التى أصبحت مجلس قيادة الثورة فيما بعد عام ١٩٥٢. ويحكى ناصر عن أول تحقيق معه وهو ضابط فى ٢٥ مايو ١٩٤٩، فقد أجروا معه تحقيقات عدة وهو طالب.. " حضر الى أحد الضباط فى الساعة الواحدة بعد الظهر، وأخبرنى أن رئيس هيئة أركان حرب الجيش يطلبنى بمكتبه، وأحسست بالخطر!

(١) المرجع سابق، ص ٦٦ ، ٧٠ .

وكانت التهمة الأساسية الموجهة الى فى ذلك الوقت هى الاتصال بالشيخ حسن البنا - مؤسس جماعة الإخوان المسلمين - والعمل مع المنظمات السرية للجماعة. والتهمة الأخيرة هى تدريب أفراد جماعة الإخوان الذين قاموا بالحوادث فى عهد الرئيس إبراهيم عبد الهادى. وأجرى رئيس الوزراء التحقيق بنفسه معى، فى حضور الفريق عثمان المهدي - رئيس هيئة أركان حرب الجيش - وحضر اللواء أحمد طلعت - رئيس البوليس السياسى - جانبا منه. لقد كانت أعصاب الرئيس إبراهيم عبد الهادى نائرة، وبعد أسئلة عدة قال لى: إن المعترفين من رجال الإخوان أفروا بتدريبك لهم، وكل الذى نريده منك أن ترشدنا الى الضباط الذين اشتركوا معك فى تدريب أفراد الإخوان المسلمين، وكان يهددنى بإحالتى الى النيابة والبوليس لتأخذ الإجراءات معى.

وقد كنت مالكا لأعصابى فى هذا اليوم، وطلبت منه أن يواجهنى بالمبلغين، وقلت له: إنى فعلا أعرف الشيخ حسن البنا، وأنه يزورنى فى منزلى، ولكن الفرصة لم تسنح لى لتدريب الإخوان، ولو كانت قد سنحت لى لكنت لا أتردد عن تدريبهم، لأنه يجب علينا أن ندرّب الشعب ونعده لحرب فلسطين. وذكرت له مقابلتى مع مفتى فلسطين فى ديسمبر ١٩٤٧، وأن الحكومة المصرية سمحت بتدريب المتطوعين الى فلسطين، ولذلك لا أرى فى التدريب أى جريمة! وقد سألتى الرئيس عبد الهادى فى التحقيق.. هل عندى أسلحة فى منزلى؟ فقلت له: عندى ذخيرة يهودية من فلسطين تبلغ حوالى ٢٠٠ طلقة مدفع ٦٠.

ولقد فقد الرئيس إبراهيم عبد الهادى الكثير من أعصابه فى ذلك اليوم، وكان يقول: هل تريدون أن يحتل الانجليز القاهرة والإسكندرية؟! لقد وجدت فى قصر الملك مفرقات! وبعد سبع ساعات، وقد خرجت من مكتبه، ليقوم رئيس هيئة أركان حرب الجيش بمحاولة اقناعى بالاعتراف، ثم طلبنى الرئيس إبراهيم عبد الهادى مرة أخرى، وقال لى: (روح يا بنى)! وطلب منى الفريق عثمان المهدي أن يتوجه معى لإحضار الذخيرة الموجودة فى منزلى" (١).

#### التحضير للثورة:

انتهى التحقيق معى فى الساعة الثامنة، وتوجهت للاجتماع ببعض الضباط الأحرار الموجودين فى القاهرة، وقد بدأنا فى وضع خططنا فى ذلك اليوم. وفى نهاية الشهر كان شملنا قد اجتمع، ورأينا أننا نحتاج الى خمس سنوات لتعبئة ضباط الجيش؛ حتى نستطيع أن نتخلص من النظام كله، أى أننا كنا سنقوم بحركتنا فى عام ١٩٥٤ وليس فى عام ١٩٥٢.

(١) حوار مع مندوب جريدة الأهرام، ١٩٥٣/٧/٢٢.

وتعددت اجتماعاتنا فى كل مكان، وفى منازل متعددة، ونقلت فى أغسطس ١٩٤٩ من الاسماعيلية الى القاهرة، وبدأنا منذ سبتمبر فى التنظيم الجدى، والخروج بالحركة الى نطاق أوسع. لقد قمنا ببث العيون فى كل مكان؛ فى القصر، وفى القيادة العامة للقوات المسلحة، وفى البوليس السياسى، وفى مختلف الأسلحة والوحدات. وكانت هذه العيون تنقل إلينا كل المعلومات التى تصل الى المسئولين عن حركة " الضباط الأحرار"، ورأينا أن ننشر آرائنا ودعوتنا بين صفوف الضباط على نطاق أوسع عن طريق المنشورات السرية (١).

وقصة المنشورات.. لقد جمعنا فيما بيننا ثمن آلة رونيو لطبع المنشورات وآلة كاتبة، وقام بعض الضباط من زملائنا بشرائها، وبدأنا بطبع المنشورات. وقد صدر أول منشور " للضباط الأحرار فى نوفمبر ١٩٤٩، وقد تضمن تحليلاً وسرداً لحالة البلاد ولمأساة حرب فلسطين. وكنا نقوم بتوزيع المنشورات على صناديق البريد، وباليد فى الجيش، وعلى فروع التوزيع فى الوحدات والأسلحة المختلفة. وكنا نطبع فى المرة الواحدة ألف منشور، وكنا نحصل على حاجتنا من الورق والحبر من الجيش.

وقد قامت السلطات المختصة بضبط هذه المنشورات مرة واحدة فى البريد؛ إذ أنها شكت فى محتويات أظرفها التى كانت من مقاس واحد، فغيرنا طريقتنا فى التوزيع بالبريد، وأصبحنا نرسل المنشورات من بلاد مختلفة (٢).

ودعت هذه المنشورات الى إعادة تنظيم الجيش وتسليحه وتدريبه بجدية بدلاً من اقتصره على الحفلات والاستعراضات، كما دعت الحكام الى الكف عن تبذير ثروات البلاد ورفع مستوى معيشة الطبقات الفقيرة، وانتقدت الاتجار فى الرتب والنياشين. وفى تلك الفترة اتسعت فضيحة الأسلحة الفاسدة، الى جانب فضائح اقتصادية تورطت فيها حكومة حزب الوفد. وبالنسبة للسياسة الخارجية رفض الضباط الأحرار انضمام مصر الى منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط، وأصروا على تفعيل الضمان العربى.

---

(١) نموذج من منشورات " الضباط الأحرار" فى أعوام ١٩٤٦، ١٩٥١، ١٩٥٢، ملحق رقم ٥.

(٢) حوار مع مندوب الأهرام، مرجع سابق، ١٩٥٣/٧/٢٢.





### في استقبال وزير الحرية أثناء حرب فلسطين

وفي ٨ مايو ١٩٥١ رقى ناصر الى رتبة البكباشى، وفي نفس العام اشترك مع رفاقه من الضباط الأحرار سراً فى حرب الفدائيين ضد القوات البريطانية فى منطقة القناة التى استمرت حتى بداية ١٩٥٢؛ وذلك بتدريب المتطوعين وتوريد السلاح الذى كان يتم فى اطار الدعوى للكفاح المسلح من جانب الشباب من كافة الاتجاهات السياسية، والذى كان يتم خارج الإطار الحكومى .

وإزاء تطورات الحوادث العنيفة المتوالية فى بداية عام ١٩٥٢؛ اتجه تفكير " الضباط الأحرار " الى الاغتيالات السياسية لأقطاب النظام القديم على أنه الحل الوحيد. وفعلاً بدأوا باللواء حسين سرى عامر - أحد قواد الجيش الذين تورطوا فى خدمة مصالح القصر - الا أنه نجا من الموت، وكانت محاولة الاغتيال تلك هى الأولى والأخيرة التى اشترك فيها ناصر؛ فقد وافقه الجميع على العدول عن هذا الاتجاه، وصرف الجهود الى تغيير ثورى ايجابى .

ثم حدث حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، بعد اندلاع المظاهرات فى القاهرة احتجاجاً على مذبحه رجال البوليس بالاسماعيلية، التى ارتكبتها القوات العسكرية البريطانية فى اليوم السابق، والتى قتل فيها ٤٦ شرطياً وجرح ٧٢. لقد أشعلت الحرائق فى القاهرة، ولم تتخذ السلطات أى إجراء ولم تصدر الأوامر للجيش بالنزول الى العاصمة إلا فى العصر، بعد أن دمرت النار أربعمائة مبنى، وتركت ١٢ ألف شخص بلا مأوى، وقد بلغت الخسائر ٢٢ مليون جنيهاً .

وفى ذلك الوقت كان يجرى صراعاً سافراً بين الضباط الأحرار وبين الملك فاروق فيما عرف بأزمة انتخابات نادى ضباط الجيش، حيث رشح الملك اللواء حسين سرى عامر، المكروه من ضباط الجيش؛ ليرأس اللجنة التنفيذية للنادى، وقرر الضباط الأحرار أن يقدموا قائمة مرشحين، وعلى رأسهم اللواء محمد نجيب، وقد تم انتخابه بأغلبية كبرى. وبرغم إلغاء الانتخاب بتعليمات من الملك شخصياً، إلا أنه كان قد ثبت للضباط الأحرار أن الجيش معهم يؤيدهم ضد الملك؛ فقرر ناصر - رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار - تقديم موعد الثورة التى كان محدداً لها قبل ذلك عام ١٩٥٥، وتحرك الجيش ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتم احتلال مبنى قيادة الجيش بكوبرى القبة، والقاء

القبض على قادة الجيش، الذين كانوا مجتمعين لبحث مواجهة حركة "الضباط الأحرار"، بعد أن تسرب خبر عنها .

وبعد نجاح حركة الجيش، قدم محمد نجيب على أنه قائد الثورة - وكان الضباط الأحرار قد فاتحوه قبلها بشهرين في احتمال انضمامه اليهم اذا ما نجحت المحاولة - إلا أن السلطة الفعلية كانت في يد مجلس قيادة الثورة الذي كان يرأسه جمال عبد الناصر حتى ٢٥ أغسطس ١٩٥٢، عندما صدر قرار من مجلس قيادة الثورة بضم محمد نجيب الى عضوية المجلس، وأسندت اليه رئاسته.

## تمكين الثورة

منذ ثورة ١٩١٩، التي أدت الى الاستقلال الاسمى لمصر فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢، الذى احتفظ فيه البريطانيون بحرية التصرف فيما يتعلق بالدفاع عن مصر، وطريق المواصلات للامبراطورية عبر قناة السويس، وحماية مصالح الأجانب، وحكم السودان؛ منذ ذلك التاريخ، والحكم فى مصر كان يقوم على ثلاثة دعائم؛ الملك، والاحتلال البريطانى، والأحزاب الوطنية وعلى رأسها الوفد.

لقد تفاعلت السياسة المصرية فى النصف الأول من القرن العشرين حول التوازن بين هذه الدعائم الثلاث بطريقة أهدرت الديمقراطية، وتغافلت عن المطالب الاجتماعية، ثم أضيف اليها فساد الملك الشخصى، وتغليب الأحزاب السياسية لمصالحها عن المصلحة القومية.

وفى ١٩٤٨ كان الحدث الجلل الذى هز مصر والعالم العربى كله، وهو تمكين بريطانيا اليهود من السيطرة على فلسطين فى مايو ١٩٤٨، تنفيذاً لوعده بلفور فى ١٩١٧.

وعلى الفور هبت الدول العربية لتساند الفلسطينيين فى التغلب على الغزو الصهيونى، جيوش سبع دول عربية غير متحدة، تحت السيطرة الاجنبية؛ فحدثت الهزيمة الكبرى فى فلسطين.

وأدرك ضباط الجيش المصرى، بعد ظهور بوادر الخيانة، وشيوع أخبار الأسلحة الفاسدة، التى اشتراها الحكام بسعر رخيص وباعوها للجيش، أن معركتهم أصبحت ليست فى فلسطين وإنما فى القاهرة التى يجب أن تتحرر أولاً. و كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على؛ فكان الملك هو هدف " الضباط الأحرار " الأول من نهاية ١٩٤٨ الى ١٩٥٢.

وقد غالبت ناصر مشاعره الغاضبة قرب نهاية حرب فلسطين، بعد أن جرح مرتين فى المعركة، وبعد أن ساعدت قرارات مجلس الأمن اليهود على تحقيق أهدافهم بخرق الهدنة عدة مرات، ورفضهم تنفيذ قرارات العودة الى مواقعهم السابقة.

وفور العودة من فلسطين أعيدت الحياة الى تنظيم " الضباط الأحرار " مرة أخرى، وبدأ التخطيط لخلع الملك وقلب نظام الحكم. وقد أدرك ناصر منذ البداية أن نجاح الثورة يتوقف على إدراك " الضباط الأحرار " لطبيعة الظروف التى تمر بها مصر، فليس من الممكن تغييرها بجرة قلم. وأنه لا بد من السير فى طريق ثورتين معا؛ ثورة سياسية وثورة اجتماعية.

## الفصل الأول

## الثورة فى بدايتها

أولاً: ليلة الثورة:

لقد كان فى نية "الضباط الأحرار" القيام بالثورة فى عام ١٩٥٥، لكن الحوادث أملت عليهم التحرك قبل ذلك بكثير. لقد تصاعدت الحوادث العنيفة، ثم حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢، وسط تراشق السياسيين بالاتهامات، وغضب الجماهير، وعدم اتخاذ السلطات أى إجراء لمواجهة الموقف؛ فلم تصدر الأوامر للجيش بالنزول الى القاهرة إلا فى العصر، بعد أن دمرت النيران المباني وسببت خسائر جسيمة.

وكانت الأحداث تتطور بسرعة لا يملك أحدا السيطرة عليها، وتدهورت الأمور من سئ الى أسوأ؛ فتألفت وزارتان، ثم خرجتا من الحكم، و لم يبد على الملك ما يدل على استعداده لايجاد حل للموقف!

ولقد شعر ناصر أن تأخير محاولة القيام بالثورة مسألة مستحيلة، مع سرعة تحرك الحوادث وتحفز الاستعداد الثورى، ثم أن هيبة الملك فاروق أصبحت فى الحضيض؛ ولذلك قدر أن الموقف ساعته مناسب لقلب نظام الحكم، إذا عرفوا كيف ينفذونه بسرعة وكفاءة.

وفى ليلة الثورة - ٢٢ يوليو ١٩٥٢ - فى نحو الساعة العاشرة مساء جاء الى بيت ناصر ضابط من المخابرات عضوا من تنظيم " الضباط الأحرار"؛ لتحذيره بأن القصر تسرب اليه نبأ استعداد " الضباط الأحرار" للتحرك، وأنه قد تم الاتصال برئيس أركان حرب الجيش، الذى دعا الى عقد اجتماع عاجل فى مقر قيادة الجيش فى كوبرى القبة من الساعة الحادية عشر مساء؛ لاتخاذ الاجراءات ضدهم. وأضاف الضابط.. لابد أن يلغى كل شئ! فرد عليه ناصر.. لن نستطيع ذلك أبدا، إن العجلة قد دارت، ولن يستطيع أى انسان أن يوقفها! ونحن نستطيع أن نتصرف ونتحرك، وفى آخر لحظة نغير الخطة، وأن الأمر الذى أصدره قائد الجيش بجمع كبار القادة فى قيادة الجيش؛ يعطينا فرصة ذهبية لاعتقالهم كلهم بعملية واحدة.

" كان لابد من اتخاذ قرار فوري، فلو تركنا كل شئ ليتم فى ساعة الصفر المتفق عليها - الواحدة صباح ٢٣ يوليو - فقد يدركوننا قبل أن ندركهم. ومن ناحية أخرى كانت الأوامر قد وزعت، وكان من أصعب الأمور الاتصال بكل من له صلة بالموضوع".

واستطرد ناصر قائلا: " انضم الىّ ضابط المخابرات، وخرجت مع عبد الحكيم عامر لنجمع بعض القوات من ثكنات العباسية. وصلنا متأخرين، فقد وجدنا أن البوليس الحربى قد أغلق الثكنات، فمضينا الى ثكنات سلاح الفرسان والمصفحات، فوجدنا أيضا أنهم قد سبقونا، وكان البوليس الحربى

يحرص كل المداخل، وبدا للحظات أن خطتنا كلها فى خطر، و لم يبقى على ساعة الصفر إلا ٩٠ دقيقة!

لقد انطلقنا لنتوجه الى ثكنات الماظة كحل أخير، وفى طريقنا التقينا بطابور من الجنود قادمين من نفس الطريق تحت الظلام، وقام الجنود باخراجنا من السيارة والقوا القبض علينا! لكن هؤلاء الجنود كانوا من قوات الثورة، وكانوا ينفذون أوامرى بإلقاء القبض على كل الضباط فوق رتبة القائمقام دون مناقشة. وقد تجاهل الجنود كل كلامنا مدة ٢٠ دقيقة تقريبا، ولم تصدر الأوامر باطلاق سراحنا إلا حين تقدم البكباشى يوسف صديق - قائد المجموعة وأحد زملائى - ليستطلع سر الضجة، فقد تحرك فى الوقت المحدد له، وكان ينتظر حتى تحل ساعة الصفر المعينة لبدأ الهجوم. وانضممنا الى الطابور، واتجهنا فورا الى القيادة، وكانت قواتنا لا تزيد عن قوة سرية، لكن عنصر المفاجأة كان فى جانبنا.

لقد اعتقلنا فى الطريق عددا من قادة الجيش الذين كانوا يحضرون الاجتماع فى القيادة لتوجيه الضربة ضدنا. وقد حدثت مقاومة قصيرة خارج مبنى قيادة الجيش، ثم اقتحمناه، فوجدنا رئيس هيئة أركان حرب، وكان على رأس المائدة يضع خطة الاجراءات التى ستتخذ ضد "الضباط الأحرار"! وقبضنا عليهم جميعا.

وفى الساعة الثالثة صباحا التقى قادة "الضباط الأحرار" هذه المرة فى حجرة الاجتماعات بالقيادة العامة للجيش. وأوفدت من يجئ باللواء أ ح محمد نجيب الذى كنا قد فاتحناه قبلها بيومين فى احتمال انضمامه لينا إذا ما نجحت المحاولة، ولم نكن قد أطلعناه على أحداث الليلة، لكن تبين أنه كان له علم سابق بما حدث. لقد اتصل به وزير داخلية الملك تليفونيا من الإسكندرية قبل ذلك بنصف ساعة؛ ليستفسر منه عما جرى.

كان نجاحنا تاما فى الخطوات الأولى، وبقى أن نستوثق تماما أن الملك لن يتمكن من تنظيم هجوم مضاد" (١).

وفى الساعة السابعة صباحا تم إعلام الشعب المصرى من محطة الاذاعة نبأ عزل الوزارة المصرية برئاسة نجيب الهاللى، وأن البلاد أصبحت أمانة فى يد الجيش، الذى أصبح تحت إشراف رجال يستطيع الشعب أن يثق فى كفاءتهم ونزاهتهم ووطنيتهم (٢).

(١) مورجان، مرجع سابق.

(٢) نص بيان الثورة، فى ملحق رقم ٦.

ثانيا: كيف تجاوب البريطانيون مع الثورة؟

عندما قامت الثورة كانت السيطرة البريطانية محكمة على البلاد، بالرغم من تركيز القوات العسكرية البريطانية فى منطقة قناة السويس، وكان لديهم قلقا من تذرر شباب الضباط، وانخفاض شعبية الملك بينهم؛ بسبب اصراره على تعيين ضباط حاشيته فى المراكز الهامة فى الجيش. ولم تستبعد التقارير البريطانية احتمال تمرد عسكرى يؤدى نجاحه الى الفوضى وأعمال العنف بواسطة المتطرفين، خاصة مع سوء الأحوال الاقتصادية، مما قد يستوجب تنفيذ الخطة "روديو"، التى كانت قد وضعتها رئاسة الأركان البريطانية؛ من أجل الانتشار العسكرى للقوات البريطانية الموجودة فى منطقة قناة السويس. وتهدف الى السيطرة على أجزاء كبيرة من الدلتا، وبعض ضواحي القاهرة والإسكندرية، وذلك فى حالة حدوث مستجدات خطيرة على الساحة السياسية المصرية من وجهة النظر البريطانية (١).

وقد بادر ضباط الثورة فى صباح ٢٣ يوليو بالاتصال بالسفارة الأمريكية أولا، ثم السفارة البريطانية، لابلاغهما أن " الضباط الأحرار" استولوا على السلطة، وأن كل شئ يجرى فى نظام تام، وأن حياة الأجانب وممتلكاتهم ستؤمن، ما لم يحدث تدخل خارجى، وأن تلك الحركة مسألة داخلية تماما؛ هدفها الأساسى هو وضع حد للفساد فى البلد.

فى نفس الوقت سارع كبار رجال النظام السابق الى الاتصال بالسفارة البريطانية؛ لطلب التدخل العسكرى البريطانى لقمع الحركة؛ على أساس أنها مستوحاه من الشيوعيين والإخوان المسلمين، وأن ضباط الحركة من المتطرفين المعادين للرأسمالية (٢)!

وقد أبلغ جيفرسون كافرى - السفير الأمريكى فى القاهرة - سير مايكل كريسويل - القائم بأعمال السفارة البريطانية - أن الملك قد اتصل به عدة مرات منذ الساعة الثانية من صباح ٢٣ يوليو، مرددا أن التدخل الأجنبى هو وحده الذى يمكن أن ينقذه وينقذ أسرته! وعلق كافرى أن

---

(1) ADM 1/23562 "Operation RODEO Flail: requirement for a third RN landing Ship Tank (L.S.T). in the Suez Canal Zone", 1951.

(2) FO 371/96877 , "Egyptian political events leading to the military coup d'etat of general Naguib" , 1952.

الملك، وإن لم يطلب صراحة التدخل العسكرى البريطانى، إلا أن ذلك كان متضمنا فى كلامه. وأضاف.. أن الملك كان فى حالة ذعر شديد، وأنه حاول تهدئته وتشجيعه على مواجهة الموقف، على أمل أن يستمر فى موقعه، لكن فى إطار ملكية دستورية (١).

ومن ناحيتها، تم رفع استعداد القوات البريطانية فى منطقة القناة بهدوء، ومنعت الطائرات البريطانية من الطيران فوق الدلتا، لعدم اثارة الشعور المعادى لبريطانيا.

وفى يوم ٢٤ يوليو طلب جون هاميلتون - مساعد الملحق العسكرى البريطانى - مقابلة اللواء محمد نجيب، لإخطاره بأن الحكومة البريطانية لا ترغب فى التدخل فى الشئون الداخلية المصرية، إلا أنها لن تتردد فى التدخل اذا اعتبرت ذلك ضروريا لحماية أرواح البريطانيين. لذلك فقد صدرت تعليمات خاصة الى القوات البريطانية فى منطقة القناة لوضعها فى حالة الاستعداد. وأن تلك الترتيبات ليست موجهة للقوات المسلحة المصرية، وخاصة أن ما ورد فى بيان الثورة؛ من أن الجيش المصرى سيكون مسئولاً عن حماية أرواح وممتلكات الأجانب قد طمأنهم(٢).

### ثالثا: الثورة والملك:

جرى تساؤلا هاما صباح قيام الثورة.. كيف سيتصرف الملك؟ وما الذى أعده رجال الثورة له؟ لقد قابل الملك كافرى بعد ظهر يوم ٢٣ يوليو، وكان يشعر بمرارة ضد بريطانيا لأنها لم تتدخل عسكريا، وأنه لم يكن لديه أى بديل الا أن يقبل طلبات قادة حركة الجيش؛ بما فيها طرد نجيب الهلالى وتعيين على ماهر رئيسا للوزراء.

واجتمع " مجلس قيادة الثورة " لبحث مصير الملك، وكان من رأى البعض محاكمته وإعدامه، الا أن ناصر كان لا يزال على تصميمه أن تكون الثورة بيضاء ما أمكن ذلك، و كان يرى اخراج الملك من البلاد على وجه السرعة (٣).

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مورجان، مرجع سابق.

وفى هذه الأثناء كان الملك يحاول الهرب، فقد أرسل عدة رسائل الى كافرى يوم ٢٥ يوليو ما بين الساعة ٤ ، ٥ صباحا، يطلب فيها طائرة أو مركب أمريكية ليهرب بها، خاصة بعد أن أعلن

كل الحرس الملكي تأييده لحركة الجيش، وبعد أن وصلته الأخبار بتحريك قوات من الجيش المصرى ودبابات فى طريق القاهرة - الإسكندرية، وأنها على وصول، وأنه يخشى أن يعرف ضباط الحركة عن اتصاله بالسفارة الأمريكية؛ ولذلك فهو يطلب التدخل البريطانى.

أبلغ كافرى ما حدث للسفارة البريطانية، فبدأ البحث عن أقرب السفن العسكرية البريطانية للشواطئ المصرية، فوجدت سفينتان؛ إحداهما على بعد ١٠ ساعات، والثانية على بعد ٦ ساعات. ولكن قائد البحرية البريطانية أوضح أنه لا يمكنه استخدام هذه السفن لهذا الغرض، إلا بعد استشارة تشرشل شخصيا (١).

وتوالت بعد ذلك الرسائل من الملك الى السفير الأمريكى، الذى كان يقوم بنقلها الى السفارة البريطانية. فى الساعة الثامنة صباح يوم ٢٦ يوليو، أرسل الملك رسالة من القصر بأن القوات العسكرية المصرية دخلت القصر بالقوة، وحدث ضرب رصاص!

أرسل رقم ٦٥ لسنة ١١٥٢  
محمد فاروق الأول ملك مصر والسودان

لأننا نطلب اليك الأمان والطمأنينة وسعادتنا وبريقها  
ولأننا نريدك أن تكون في قلبنا والى الأبد في حبنا والى الأبد في قلبنا  
نزدول على إرادة الشعب

قدما الدولة في العصر الحديث لهذا الأمير المؤيد والممدد أمننا أمننا هذا ان لمرة صاحب  
العام الرابع على ما هو بأشياء من أجلنا لهذا العمل بمقتضى  
مصر بغير رأس الشبهان ؛ زده لهذا (١٩٥٢) (١٩٥٢)

وفى نفس اليوم وجه ضباط الجيش انذارا الى الملك فاروق بقصر رأس التين بالإسكندرية؛ بالتنازل عن العرش لولى العهد أحمد فؤاد، ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة مساء (٢). و بعدها وقع الملك وثيقة تنازله عن العرش.

(1) FO 371/96877 , Op. Cit.

(٢) نص الإنذار الى الملك، فى ملحق رقم ٧.

وقد أعلن نباً تنازل الملك عن العرش على الشعب فى السادسة مساء من محطة الاذاعة المصرية، فى نفس الوقت الذى أبحر فيه فاروق على ظهر اليخت الملكى " المحروسة " من ميناء



الإسكندرية، وهو يلبس الزي الرسمي الأبيض - زى القائد الأعلى للبحرية - وكان فى وداعه محمد نجيب والسفير الأمريكى، وأطلقت المدفعية ٢١ طلقة!  
وعلى الفور تم تعيين مجلس وصاية من أعضاء بعيدى عن الحزبية ومستقلين، برئاسة الأمير محمد عبد المنعم.

#### رابعاً: موقف مشترك بين البريطانيين والأمريكيين:

بعد تلك الأحداث الفاصلة تلخص موقف الحكومة البريطانية فى عدم التدخل، بحجة أن تلك مشكلة داخلية. إن الحكومة البريطانية كانت دائماً ترى ضرورة تطهير مصر من العناصر الفاسدة فى القصر والادارة؛ حتى يستتب الأمر فى البلاد. إلا أنه قد ظهر القلق من نشاط الجيش فى القاهرة، ومن الشائعات بأن بعض الضباط فى الحركة لهم علاقات بالإخوان المسلمين؛ وذلك خوفاً من سيطرة عناصر متطرفة على السلطة، ومن هنا فقد كان أفضل وضع بالنسبة لهم هو استمرار وزارة على ماهر فى السلطة.

وقد اهتم البريطانيون برصد رد فعل الشعب لحركة الجيش؛ وذلك من الترحيب والتهنئات المؤيدة التى قوبلت بها القوات المسلحة المصرية لدى دخولها الإسكندرية فى ٢٥ يوليو؛ لحراسة القنصليات وتأمين الوضع بالمدينة قبل مغادرة الملك.

وفور الاعتراف بنجاح حركة الجيش، بدأ إعادة تقدير الموقف، ويلاحظ تعاضم الدور الأمريكى، وخاصة فى حالة لجوء بريطانيا الى استخدام القوة العسكرية ضد النظام الجديد بتطبيق العملية "روديو".

إلا أن الحكومة البريطانية لم تعترف بسرعة بالنظام الجديد فى مصر، وظلت ترقب الأمور بحذر، الى أن صدر من الحكومة الأمريكية تصريحاً فى ٣ سبتمبر؛ أعطى الانطباع باستعدادها لتأييد نظام ٢٣ يوليو، طالما لا يشرك شيوعيين فى الحكومة.

وهنا بدأ التساؤل فى وزارة الخارجية البريطانية.. هل يؤيدون حركة الجيش؟ وكان ذلك بعد أن أقيمت وزارة على ماهر فى ٧ سبتمبر، وبعد أن صدر قانون الاصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر الذى كان موجهاً ضد الاقطاع؛ فحدد الملكية الزراعية، وأعلن عن توزيع أرض الاصلاح الزراعى على الفلاحين.

وبعد هذه الإجراءات التى تمت بعد ستة أسابيع فقط من تحرك الجيش، فسر البريطانيون ما يجرى فى مصر بأنه " ثورة "، وليس مجرد حركة قام بها الجيش لإحداث تغييرات فى الحكم. وهنا

استقر الرأي على ضرورة اظهار التعاطف معها بصفة عامة، وإن لم يمنع ذلك من الشعور بالقلق ازاء تطور الأمور في مصر بهذه السرعة (١).

وقد تقرر على الفور اجراء تقدير موقف مشترك بين السفارتين البريطانية والأمريكية في القاهرة، ظهر منه أن أكثر ما كانوا يخشونه، هو أن يسيطر المتطرفون على النظام الجديد وتعم الفوضى، ولم يستبعدوا حدوث انقلاب مضاد، وإن استغرق بعض الوقت.

وقد أكد التقرير المشترك على أهمية تشكيل واجهة مشتركة بين الدولتين؛ من أجل تحقيق الأهداف الغربية في المدى البعيد، وهي ضمان اشتراك مصر اشتراكا فعليا في منظمة للدفاع عن الشرق الأوسط.

ومن هنا صدرت تعليمات من وزارة الخارجية الأمريكية؛ بالموافقة على تقديم تأييد معنوي ومادى للنظام المصرى، والعمل على أن تُحل الخلافات بين مصر وبريطانيا على أساس أن تكون التسهيلات في منطقة القناة جاهزة في حالة تهديد أمن المنطقة، وتشجيع تحقيق السلام مع اسرائيل. وقد اشترطت الحكومة الأمريكية أن تعطى مصر تعهدات سرية بهذه الشروط، وهو ما لم يحدث.

وقد قررت الولايات المتحدة الدخول في مفاوضات فورية مع النظام المصرى؛ لتحديد مجال وطبيعة التعاون بينهما، على أن تكون الطلبات محدودة فيما يتعلق بالمساعدة الاقتصادية والعسكرية، وتكون الأخيرة مقتصرة على المساعدة الفنية، أى تلك المتعلقة بالتدريب.

وقررت الولايات المتحدة الاعتذار في نفس الوقت عن تقديم السلاح الى مصر، وحثها على أن تتباحث في ذلك مع بريطانيا، التى كانت مصدرها الأساسى في هذا الشأن، موضحة صعوبة إمداد مصر بالسلاح قبل الوصول الى تسوية سلمية مع اسرائيل (٢).

---

(1) FO 141/1454 , "Egypt: political situation", 1952.

(٢) المرجع السابق.

## الفصل الثانى: مصاعب تغيير النظام القديم

أكد قادة " الضباط الأحرار " منذ البداية على ستة أهداف للثورة.. القضاء على الاستعمار، القضاء على الاقطاع، القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم، اقامة عدالة اجتماعية، اقامة جيش وطنى قوى، اقامة حياة ديمقراطية سليمة.

وبعد ثلاثة أيام من الثورة، تنازل الملك عن الحكم وخرج من البلاد، وكانت قد بدأت على الفور عملية التغيير. ففي اليوم الثانى للثورة بعد اقالة وزارة نجيب الهلالي وتكليف على ماهر بتشكيل الوزارة الجديدة، أصبح أيضا حاكما عسكريا عاما. كذلك تم اعتقال اللواء حسين سرى عامر - مدير سلاح الحدود الملكى - وآخرين، وأصبح اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة، بعد توقيع الملك فاروق أمرا بذلك.

وقد توالى التأييد لحركة الجيش من الأقسام المختلفة به، كما أيد الاخوان المسلمون بقيادة حسن الهضيبي الثورة فى أسبوعها الأول. ورحب السودانيون بحركة الجيش، وعلى رأسهم اسماعيل الأزهرى.

وجرت سريعا حركة للتطهير فى الجيش وفى الحكومة؛ من أجل القضاء على الفساد والمحسوية.

#### أولا: " الضباط الأحرار " يتولون السلطة رسميا:

وفى واقع الأمر إن " الضباط الأحرار " لم يكونوا راغبين فى الحكم على الاطلاق، ولكنهم كانوا مصممين على محو كل أثر للسيطرة الأجنبية، وعلى إجراء إصلاح زراعى حاسم لإنهاء النظام الاقطاعى، الذى اختفى من أوروبا من قبل ٣٠٠ عاما! لقد كانوا يريدون أن يضطلع بالمسؤولية حزب يمكن أن يؤتمن زعماءه على العمل فى الحدود التى تلهمها روح الثورة (١).

وفى بداية الأمر صفتت كل الاحزاب وهلت لحركة الجيش، وتصور كل من الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين أن الثورة لهم، و لكنهم عجزوا عن إدراك ما يكمن ورائها من قوة فى الهدف.

---

(١) مورجان، مرجع سابق.

وقال ناصر: " لقد تحدثت مع زعماء كل الأحزاب، لكنى لم أجد بينهم من كان على استعداد لتقديم صالح الشعب على صالح حزبه. وقد عرضت على حزب الوفد أن تنقل اليه السلطة، بشرط أن يضمن جلاء البريطانيين عن منطقة القناة، وأن يطبق الإصلاح الزراعى الذى يحدد حيازة الملكية الزراعية بمائتى فدان للشخص الواحد، و لكنهم رفضوا".

ويستطرد ناصر.. " وهكذا حملنا المسؤولية على عاتقنا، والأسف يملأ قلوبنا " (١). وفعلا أقيمت وزارة على ماهر وأسند " مجلس قيادة الثورة " رئاسة الوزراء الى اللواء محمد نجيب فى ٨ سبتمبر ١٩٥٢. وفى اليوم التالى صدر قانون الاصلاح الزراعى، الذى حدد الملكية لأول مرة فى تاريخ مصر، وفتح الطريق الى القضاء على الاقطاع، وتوزيع الأرض الزراعية على الفلاحين المصريين. إنه كان فعلا خطوة فى سبيل تحقيق واحدا من أهداف الثورة؛ العدالة الاجتماعية.

### ثانيا : التفاوض بشأن قضية السودان:

من أول ما واجه " مجلس قيادة الثورة " قضية تحديد العلاقة مع السودان، تلك العلاقة الثلاثية بينها وبين بريطانيا، التى قلما وجد لها مثل فى التاريخ الاستعمارى الأوروبى! لقد احتلت بريطانيا السودان فى سبتمبر ١٨٩٨ على يد الجنرال هربرت كيتشنر، بدعم من الجيش المصرى، ثم وقعت الحكومتان المصرية والبريطانية على اتفاقية فى ١٩ يناير ١٨٩٩ تقضى بالسيادة المشتركة على السودان.

وفى الواقع كانت السيادة لبريطانيا، وقد عملت على فصل السودان فصلا تاما عن مصر من الناحية الواقعية. وبالرغم من ذلك فإن معاهدة ١٩٣٦ أكدت بين بنودها اتفاقية ١٨٩٩! وفى ٧ أكتوبر ١٩٥١ قام مصطفى النحاس بإلغاء معاهدتى ١٩٣٦، ١٨٩٩ من جانب واحد، ولم تعترف بريطانيا بهذا الإلغاء.

إذن كان من المنطقى أن تبدأ حكومة الثورة بتناول قضية السودان من منظور مختلف تماما عن العقود الماضية. وفعلا أرسل على الميرغنى - زعيم الختمية فى السودان - رسالة الى اللواء محمد نجيب فى ٢١ سبتمبر ١٩٥٢، يعرب فيها عن موافقة الشعب السودانى على إجراء اتصال مباشر بين عبد الرحمن المهدي - رئيس حزب الأمة السودانى - والمسئولين فى مصر، فيما يخص الوضع فى السودان، والمفاوضات مع الجانب البريطانى.

—  
(١) المرجع سابق.

وقد بدأت المحادثات الرسمية بين الجانبين المصرى والسودانى فى ٤ أكتوبر ١٩٥٢. وتلى ذلك اتفاق الأحزاب السودانية على تكوين جبهة واحدة، تكون نواة لاندماج جميع الأحزاب السودانية، وكان ذلك نتيجة جهود اللواء محمد نجيب والبكباشى صلاح سالم فى التوفيق بينهم.

دخلت حكومة الثورة فى مفاوضات مكثفة مع الحكومة البريطانية بشأن مستقبل السودان فى ٤ أكتوبر ١٩٥٢، ومثل الدولتان كل من اللواء محمد نجيب ووالف ستيفنسون - السفير البريطانى فى القاهرة - أى أن المفاوضات كانت فى غياب التمثيل السودانى!

وفى ٢١ فبراير ١٩٥٣ تم التوقيع على اتفاقية حق تقرير المصير للسودان. وقد لعبت بريطانيا دورا هاما فى انفصال السودان عن مصر؛ من خلال تقديم الدعم للقوى السودانية المناهية بالانفصال، ووضع العراقيل أمام جميع الصيغ الوحديية التي اقترحتها حكومة الثورة المصرية، أو الصادرة عن القوى السودانية المؤمنة بفكرة الوحدة بين شطرى وادى النيل. وبالرغم من كل ذلك فقد اعتبرت الاتفاقية انتصارا لجهود ثوار مصر، فقد اعترف الطرفان بالسودان موحدًا عقب فترة حكم ذاتى لمدة ثلاث سنوات، تصفى فيها الإدارة البريطانية تماما، ويتحقق بها الجو المحايد لتقرير المصير.

### ثالثا: التغيير الدستوري وإعلان الجمهورية:

أعلن محمد نجيب فى ٩ ديسمبر ١٩٥٢ سقوط دستور ١٩٢٣، الذى كان يعتبر الأساس الشرعى للنظام القديم، وتم تأليف لجنة لوضع دستور جديد، وفى ١٠ فبراير ١٩٥٣ أعلن الدستور المؤقت، الذى حكم فترة الانتقال لمدة ثلاث سنوات (١).

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٣ صدر إعلان دستوري من " مجلس قيادة الثورة "، بإلغاء النظام الملكى وحكم أسرة محمد على، مع الغاء الألقاب بين أفراد الأسرة، وإعلان الجمهورية، على أن يتولى اللواء محمد نجيب رئاسة الجمهورية الى جانب رئاسة الوزراء، ويتولى ناصر منصب نائب رئيس الوزراء، وترقية عبد الحكيم عامر الى رتبة لواء، ويكون " جمهورية مصر " هو الإسم الرسمى للدولة، وقد تم أيضا تغيير العلم. كما نص أيضا على أن يستمر هذا النظام طوال فترة الانتقال، ويكون للشعب الكلمة الاخيرة فى تحديد نوع الجمهورية، واختيار شخص الرئيس عند اقرار الدستور الجديد (٢).

(١) نص الدستور المؤقت، فى ملحق رقم ٨.

(١) نص الإعلان الدستوري بإلغاء النظام الملكى وإعلان الجمهورية، ملحق رقم ٩.

وقد تقرر فى " مجلس قيادة الثورة " أيضا مصادرة أموال أسرة محمد على، وتعويض ورثة الزعيم أحمد عرابى عن أمواله التي صادرها الخديوى توفيق إبان الثورة العرابية فى ديسمبر ١٨٨٢ (١).

وسرعان ما وجد النظام الجديد نفسه يدخل فى صراع مع الأحزاب القائمة الممتدة من النظام القديم، والتي اعتادت أسلوب التفرة والصراع حول المصالح الحزبية. وبالرغم من أن الثوار أعطوا هذه الأحزاب الفرصة لكى تظهر نفسها وتتأقلم مع النظام الجديد، إلا أن ذلك لم ينجح، بل تجلى الصراع أكثر.

#### رابعاً: خريطة التيارات السياسية في مصر:

ولفهم ما كان يجرى في الحياة السياسية في تلك الفترة، ينبغي معرفة الخريطة الحزبية وأصولها العقائدية، فقد سيطرت على الحياة السياسية في النصف الأول من القرن العشرين ثلاث تيارات، أولها التيار الوطني الملقب بتجاوزا بالليبرالي، والثاني هو التيار الاسلامي، وأخيرا التيار الماركسي.

##### ١- التيار الوطني:

وهو الذي بدأ مع مصطفى كامل، ثم امتد بعد ثورة ١٩١٩؛ فظهر حزب الوفد أثناء الثورة، ثم انشق عنه الأحرار الدستوريين في سبتمبر ١٩٢٢، والحزب السعدي في يناير ١٩٣٧، والكتلة الوفدية في ١٩٤٣.

وهذه الأحزاب - الى جانب المستقلين - شكلت كل الوزارات، فيما بعد استقلال مصر الاسمي في ٢٨ فبراير ١٩٢٢ والتصديق على دستور ١٩٢٣. ونظرا لأنها كانت متناحرة فيما بينها، فإن ذلك مكن الملك والاحتلال البريطاني من التلاعب بها، فيما عرف في ذلك الوقت بدورة التوازنات الحزبية في الحكم.

وبعد الثورة اختلفت هذه الاحزاب مع النظام الجديد، وتجلت ذلك عند صدور قانون الاصلاح الزراعي الذي حدد الملكية الزراعية.

---

(١) نص قرار مصادرة أموال أسرة محمد علي، وتعويز ورثة عرابي، ملحق رقم ١٠.

##### ٢- التيار الاسلامي:

فقد أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة الإخوان المسلمين في الاسماعيلية في عام ١٩٢٨، وكان ذلك رد فعل للسيطرة الأجنبية على مصر سياسيا وعسكريا واجتماعيا.

وبالرغم من أنه ادعى في البداية أن جماعته اسلامية تقتصر على الدين، الا أن الدارس لأسلوبه في التجنيد، والمتعمق في تاريخه منذ أن انضم الى الطريقة الحصافية في بلده عام ١٩٢٣، التي قامت بعد أن " حلت " بالبلد بعثة تبشيرية أمريكية، ثم انضمامه الى جمعية الشبان المسلمين عند ذهابه الى القاهرة ليدرس في دار العلوم، وقد راعه الحياة الغربية فيها؛ كل ذلك يؤكد أن البداية كانت سياسية بقدر ما هي دينية.

وفى الثلاثينيات دخلت جماعة الاخوان المسلمين السياسة صراحة واخترقت جامعة القاهرة، التى كانت تعتبر معقل العلمانية، ورشح الشيخ حسن البنا نفسه فى الانتخابات، وهو وإن تم إسقاطه فى منشأ تنظيمه - الإسماعيلية - إلا أن ذلك كان قمة الانغماس فى السياسة بالنسبة للجماعة. وقد اتبع الشيخ حسن البنا أسلوب المساومات السياسية حتى يكمل تنظيم الجماعة، فأظهر ميله الى الملك فى البداية، ثم تحالف مع الوفد بعد ٤ فبراير ١٩٤٢، وبفضل ذلك أصبحت جماعة الاخوان المسلمين الأقوى تنظيماً من إسكندرية لأسوان. إلا أن ذلك أدى الى أن تفقد الجماعة قوتها السياسية بعد اقالة الملك لحكومة الوفد فى ١٩٤٤. وفى عام ١٩٤٦ عندما وصلت الى الحكم حكومة محمود فهمى النقراشى - الموالى للملك - بدأ الإخوان المسلمون الصدام معه، وانتهى الأمر باغتياله فى ٣٠ ديسمبر ١٩٤٨. ردت جماعة الملك باغتيال الشيخ حسن البنا، بعد أقل من شهر ونصف فى ١٢ فبراير ١٩٤٩. وفى واقع الأمر فان جماعة الاخوان المسلمين فقدت الكثير باختفاء قائدها ومنشئها؛ فالقيادات التى تلتها لم تكن على مستواه، كما بدأت الانقسامات داخلها.

### ٣- التيار الماركسى:

كان مطاردا وغير شرعيا منذ ١٩٢٤، فى ظل وزارة سعد زغلول، وكان منقسما الى أحزاب وجماعات تفرقهم خلافات فى العقيدة والحركة، بالإضافة الى الحزبات الشخصية. وبالرغم من أن نجاح الماركسية فى مصر كان محدودا، الا أن أعضاء هذه التنظيمات ساهموا فى إثراء الحوار السياسى والاجتماعى فى مصر، ولكنهم لم يشتركوا عمليا فى وزارات مصر فى هذه الفترة (١). وكرد فعل لهذا الصراع السياسى بعد قيام الثورة، أعلن اللواء محمد نجيب فى ١٧ يناير ١٩٥٣ حل الأحزاب القائمة ومصادرة أموالها؛ بسبب استخدامها مناخ الحرية المتاح فى العمل ضد النظام، لإحداث فتنة داخلية. ولم يشمل القرار جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها تنظيم دينى، إلا أنه فى ١٤ يناير ١٩٥٤ تم حلها.

## خامسا: صراع القوة داخل " مجلس قيادة الثورة " ( أزمة مارس ١٩٥٤ ):

حدث تطور ملحوظ عندما أصبح اللواء محمد نجيب رئيسا للوزارة ثم رئيسا للجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣، فتصور البعض أن هذه السلطة اذا أضيفت اليها شعبيته، أن نجيب هو القوة الحقيقية، وأن أعضاء " مجلس قيادة الثورة " ممكن أن يكون عندهم نفوذا، لكن الشارع لا يستطيعون الوصول اليه. فمثلا عندما يخطب ناصر قائلاً: " لن أستجدى هتافا ولا تصفيقا " ! هذا رجل يشعر أنه المساهم الأكبر فيما جرى؛ خلع الملك فاروق، والتغييرات التى تبعته. لقد كان نجيب يتجول طوال الوقت فى المصانع والجامعات والمعسكرات، فى كل مكان يتكلم ويظهر وجهه للناس، ويعتبر أنه يعمل قاعدة موازية للضباط الذين يتركز نفوذهم فى الجيش (٢).

### ١- استقالة محمد نجيب:

بدأت تظهر انقسامات وصراع سلطة، وبلغ الموقف أزمته فى ٢٣ فبراير ١٩٥٤، عندما قدم نجيب استقالته، التى كان محورها الأساسى، الانسحاب والعودة الى صفوف الجيش، وإعادة الحياة النيابية كما كانت قبل الثورة، أو ترك المسؤولية كاملة له (٣).

---

(١) هدى جمال عبد الناصر ، الرؤية البريطانية للحركة الوطنية المصرية ١٩٣٦ - ١٩٥٢ ، دار المستقبل العربى ، ١٩٨٧ ، ص ص .. - ..

(٢) محمد حسنين هيكل، حوار مع قناة الجزيرة، سبتمبر ٢٠٠٦.

(٣) سامى شرف، سنوات وأيام مع جمال عبد الناصر، مديولى، ٢٠٠٧، ص ٢١٣ .

وفى اليوم التالى قبل " مجلس قيادة الثورة " استقالة نجيب من جميع مناصبه، وعين ناصر رئيسا لمجلس الوزراء " ومجلس قيادة الثورة "، كما صدر مرسوما جمهوريا بتعيينه حاكما عسكريا. وفى نفس الوقت اعتصم ضباط سلاح الفرسان داخل ثكناتهم مقدمين مطالب؛ حل " مجلس قيادة الثورة"، وعودة أعضائه الى وحداتهم العسكرية، وتعيين قائد عام للقوات المسلحة بالأقدمية (١)، عودة الحياة النيابية.

انتشرت الأخبار بين الضباط فى مختلف أسلحة الجيش؛ فتجمع عدد كبير منهم داخل مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة وخارجه، مطالبين ببقاء " مجلس قيادة الثورة " فى موقعه، والا انتهت الثورة!

### ٢- " مجلس قيادة الثورة " يحل نفسه خلال أربعة أشهر:

ظل المجلس فى مداولات، واتفق الجميع على العودة الى الثكنات والاحتفاظ بنجيب رئيسا للجمهورية، واختيار خالد محى الدين رئيسا للوزراء، وكان من سلاح الفرسان وضالع معهم. وافق



نجيب على هذه القرارات، لكن الضباط، المتواجدين داخل القيادة العامة للجيش وحولها، ثاروا ضدها.

استمر الموقف المتوتر بين وحدات الجيش، فحاصر ضباط سلاح المدفعية سلاح الفرسان بالمدافع، وقام سلاح الطيران بطلعات جوية تأييدا " لمجلس قيادة الثورة ". بدأت الأخبار عما يحدث فى قمة السلطة تتسرب الى الشعب، فقامت عدة مظاهرات فى بعض شوارع القاهرة، وكذلك فى السودان، تؤيد محمد نجيب (٢).

وقد أرسل رالف ستيفنسون الى تشرشل أن مصر تجتاحها حالة فوضى شديدة جدا؛ فاستفسر تشرشل عن أحوال الخطة " روديو " للتدخل العسكرى البريطانى فى القاهرة والدلتا، وطلب تجهيزها استعدادا للتنفيذ، وأن تقيم بريطانيا حكومة موالية لها فى مصر، وتخرج العسكريين مثيرى القلاقل فى القاهرة الى قبرص (٣) !

---

(١) حيث أن عبد الحكيم عامر كانت قد تمت ترقيته من صاغ الى لواء، وأسناد قيادة الجيش له، فى ١٩٥٣ كما سبق ذكره.

(٢) شرف ، مرجع سابق، ص ٢١٥ .

(٣) هيكل، مرجع سابق.

وفى ذلك الوقت رصدت المخابرات العامة المصرية تزايدا ظاهرا فى معدل اللقاءات بين الإخوان المسلمين والحزب الاشتراكى والوفد والتنظيمات الشيوعية. وقد أيد الإخوان المسلمين وبعض قيادات الوفد الرئيس محمد نجيب، برغم أن قرار حلها كان بتوقيعه شخصيا، ولكن لم يقف أحد الى جانبه من الجيش، ولا من " مجلس قيادة الثورة ".

وقد أصدرت نقابات العمال بيانا تؤيد فيه " مجلس قيادة الثورة "، فى قبول استقالة نجيب، كما تشيد بناصر.

وفى ٢٧ فبراير ١٩٥٤ صدر بيان من " مجلس قيادة الثورة " يقر بعودة نجيب الى رئاسة الجمهورية حفاظا على وحدة الأمة، وبأنه وافق على ذلك، كما صدر مرسوما بإعادته حاكما عسكريا.

اجتمع " مجلس قيادة الثورة " فى ٢١ مارس، حيث تم بحث عودة الحياة النيابية، وبعدها أعلن نجيب عودة الحياة الدستورية بعد أربعة أشهر، ثم صدرت من المجلس عدة قرارات فى ٢٥ مارس؛ بتشكيل جمعية تأسيسية منتخبة، تجتمع فى شهر يوليو لمناقشة الدستور وقراره، والقيام

بواجبات السلطة التشريعية الى حين انعقاد مجلس نيابى جديد، وإلغاء الرقابة على الصحف، وإلغاء الأحكام العرفية، والسماح بقيام الاحزاب، ويكون لمجلس قيادة الثورة سلطة السيادة الى حين اجتماع الجمعية التأسيسية ، وبعبارة أخرى اتخذ المجلس قرارا بحل نفسه وإنهاء مهمته فى ٢٣ يوليو ١٩٥٤! وبعد صدور هذه القرارات كثف محمد نجيب من اتصالاته بقيادات الإخوان المسلمين والحزب الاشتراكى وحزب الوفد. إلا أنه فى ٢٨ مارس أعلن المؤتمر العام لنقابات العمال الدعوة للاضراب العام اعتبارا من اليوم التالى، حتى يعدل " مجلس قيادة الثورة " عن القرارات السابقة. وفى اليوم المحدد زار ناصر مقر عمال النقل، وطلب منهم إنهاء الاضراب؛ فقبلوا. وفى نفس الوقت اجتمع ناصر وعدد من الوزراء المدنيين الذين أبلغوه رفضهم لقرارات "مجلس قيادة الثورة " الخاصة بحل المجلس. كما واجه أيضا اعتصام ضباط الجيش من كل الأسلحة بوحدهم، مطالبين بالغاء قرارات المجلس، وزاد من خطورة الموقف أن عمت مظاهرات واضرابات فى القاهرة والأقاليم. بل إن الملك سعود حاول التوسط بين ناصر ونجيب لحل الخلافات بينهما!

### ٣- انتهاء الأزمة بين نجيب ومجلس الثورة:

وانتهى الأمر بقرار من " مجلس قيادة الثورة "، بارجاء تنفيذ قرارات حل المجلس وعودة الأحزاب حتى نهاية فترة الانتقال، كما تقرر تشكيل مجلس وطنى استشارى. وأصدر " مجلس قيادة الثورة " فى ١٧ أبريل ١٩٥٤ قرارا بتشكيل وزارة جديدة برئاسة ناصر، مع احتفاظ نجيب برئاسة الجمهورية ورئاسة " مجلس قيادة الثورة ". لقد حدثت أزمة مارس فى فترة كانت فيها المفاوضات المصرية - البريطانية مقطوعة؛ فهزت مركز نظام يوليو اقليميا ودوليا، ودفعت القوات البريطانية فى منطقة القناة أن توضع فى حالة الاستعداد لاحتمال التدخل العسكرى فى القاهرة والدلتا طبقا للخطة " روديو " كما ذكرنا. لقد دخلت مصر فى عملية خطيرة تعددت أطرافها المتعارضة؛ الشعب والسلطة والجيش، وكذلك قوة الاحتلال البريطانى فى منطقة قناة السويس. كل ذلك فى وقت كانت حكومة الثورة تواجه فيه طرفا متشددا فى مفاوضات الجلاء أدى الى قطعها، ووضعها دوليا متحفزا يضغط لإدخال مصر فى تنظيم للدفاع عن الشرق الأوسط.

## الفصل الثانى مفاوضات الجلاء

كيف بدأت المفاوضات المصرية - البريطانية؟ ومن الذى بادر بها؟ لقد استهلت بقضية السودان التى لم تستغرق وقتا طويلا؛ لاستجابة نظام ثورة ٢٣ يوليو لأمانى السودانين فى الحكم الذاتى وتقرير المصير.

كان من الطبيعى أن يتطلع قادة الثورة بعد ذلك لإجراء مباحثات لتحقيق الهدف الأول للحركة الوطنية المصرية منذ بداية القرن العشرين؛ وهو جلاء القوات البريطانية عن مصر؛ وقد تعدى عددها الثمانين ألفا، بالرغم من أن معاهدة ١٩٣٦ حددتها بعشرة آلاف!

### أولا: التمهيد للمفاوضات:

بدأ كل من طرفى المفاوضات الاستعداد لها، وتكتيل كل القوى الممكنة للضغط أثناءها. وهنا وجد الجانب المصرى - الذى رأسه ناصر - أنه مواجه بأخطار تختلف عن جميع المفاوضات السابقة، التى بدأت منذ ١٩٢٠ وحتى ١٩٥٢.

### ١- مخاطر المفاوضات على الجانب المصرى:

بدت أهم هذه المخاطر على مصر؛ اتساع إطار هذه المفاوضات، فالواقع أن بريطانيا تصدرت؛ ولكن كانت هناك أطرافا أخرى مارست عليها الضغط من أجل تحقيق مصالحها. إن أول هذه الأطراف هى الولايات المتحدة، التى بادر تشرشل بالاتصال برئيسها ترومان فى ذلك الوقت، ثم أيزنهاور بعد الانتخابات فى نوفمبر ١٩٥٣. وقد أصدر أيزنهاور توجيهها استراتيجيا رئاسيا؛ بالتحرك باستمرار فى عمق الشرق الأوسط، والتمسك به، وتحقيق الثبات والاستقرار فيه، مع اعتماد الصلح بين العرب واسرائيل؛ باعتباره الطريق الرئيسى لتحقيق هذا الهدف.

وتتركز وسائل العمل على هذا المحور؛ فى نشاط دبلوماسى وسياسى ومخابراتى، أما العمل العسكرى فنصح باستبعاده لمخاطره المحتملة؛ بسبب قرب المنطقة من الاتحاد السوفيتى، إلا إذا بدأ هو باستخدام القوة. كذلك أرادت الولايات المتحدة التحرك باستمرار لبناء الحزام الشمالى فى الشرق الأوسط - تركيا وإيران وباكستان - والعمل على بناء طوق دفاعى كامل يتوازى مع حدود الاتحاد السوفيتى.

فى نفس الوقت بدأت الامبراطورية البريطانية تتراجع، وتمارس دورها بقيادة الولايات المتحدة؛ وذلك بسبب الموقع الاستراتيجى الذى يقع فيه العالم العربى كله - ومصر فى قلبه - إنه على مفارق طرق العالم، إنه مكشوف ويشجع للصراع عليه.

لقد جاءت إدارة أيزنهاور؛ وذلك بعد أن أثبتت الولايات المتحدة قوتها فى الحرب العالمية الثانية، وبعد تملكها القوى النووية والاقتصادية الهائلة.

إن الوجود الأمريكى فى المفاوضات جعلها تُطرح ليس باعتبارها قضية الجلاء عن مصر، وإنما هى قضية الدفاع عن منطقة الشرق الأوسط كله؛ ومن أجل ذلك وضع مجلس الأمن القومى الأمريكى خطة للمحافظة على منابع البترول فى الشرق الأوسط، وإبقائها فى يد الولايات المتحدة تحت كل الظروف، وحجب هذه الموارد عن الاتحاد السوفيتى، حتى ولو أدى الأمر الى تدمير هذه الحقول واحراقها!

العنصر الثانى فى مخاطر مفاوضات الجلاء على مصر هو اسرائيل، فقد جرت اتصالات بينها وبين بريطانيا؛ من أجل تنسيق المواقف فيما بينهما حول المفاوضات. ولقد أبدت اسرائيل قلقها العميق من جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس، وطالبت بضرورة أن يتم التشاور معها قبل توقيع أى اتفاقية مع مصر، حيث ظهر أن إسرائيل كانت تعتبر الوجود العسكرى البريطانى فى منطقة القناة؛ بمثابة المنطقة العازلة بينها وبين الجيش المصرى (١).

وهنا نجد تشرشل يحذر المفاوضات البريطانيين من التورط مع المصريين فى أى شئ ممكن أن يمس اسرائيل، وأن عليهم جميعا أن يدركوا أن اسرائيل عنصر مهم جدا فى أى مواجهة مع المصريين؛ " إن عندها أقوى جيش فى الشرق الأوسط، وقد نحتاج إليه فى مرحلة معينة" (٢)!

وفى هذا الإطار أكد سلوين لويد - وزير الدولة للشئون الخارجية - فى مجلس العموم البريطانى على الإعلان الثلاثى بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، الذى يضمن حدود اسرائيل والدول العربية؛ فيما يتعلق بالمفاوضات الجارية بين بريطانيا ومصر للجلاء عن منطقة قناة السويس، وأنه قد تم إخطار اسرائيل بتطورات هذه المفاوضات.

(1) PREM 11/465 , "Israel & the defence negotiations with Egypt, request for perior consultation", 1953.

(2) Ibid.

لم يقتصر الأمر على إسرائيل وإنما دخلت شركة قناة السويس فى الصورة، وأصبحت طرفاً مفاوضاً هى الأخرى. فلقد كانت الشركة تعمل مطمئنة فى النظام القديم، وكان نفوذها كبيراً، وعلاقتها وطيدة بالقصر.

وهنا ما الذى تريده شركة قناة السويس؟ أن يجدد عقد الامتياز - الذى كان من المفروض أن ينتهى فى ١٩٦٨ - بتوقيع القوى الثورية فى مصر. إن جلاء القوات البريطانية عن القاعدة سيجعل الحماية الموجودة للشركة مصرية، وهى معنادة على الوضع القديم؛ لقد كانت دولة داخل الدولة، ومرتبطة بالنظام البنكى فى مصر - الذى كان أجنبياً بالدرجة الأولى - وقادرة على التمويل بلا حدود!

فرنسا أيضاً كانت مهتمة بمفاوضات الجلاء وعلى اتصال مع بريطانيا، ليس فقط بسبب شركة قناة السويس التى تعتبرها شركة فرنسية، ولكن أيضاً لاهتمامها بسلامة البحر الأبيض، وترتيب الأوضاع عليه.

## ٢- المواجهة البريطانية مع الطرف المصرى:

فى إطار الضغوط السابق ذكرها على المفاوض المصرى، وسط صراع عالمى اختلفت قواعده تماماً عن فترات المفاوضات السابقة مع مصر؛ أصبح إقليم الشرق الأوسط جبهة الاختراق الرئيسية فى الحرب الباردة.

وفى نفس الوقت وجد الانجليز أنفسهم أمام نظام جديد فى مصر مختلف عما عهدوه، أى أنهم أصبحوا مع طرف لا يعرفونه. لقد كانوا فى السابق يتفاوضون مع رؤساء وزراء مثل مصطفى النحاس، إسماعيل صدقى، أحمد ماهر، محمود فهمى النقراشى، محمد صلاح الدين، نجيب الهاللى، حسين سرى، وكل هؤلاء يعلم الانجليز التركيب الطبقي لهم، وعلى معرفة بحدود قدراتهم؛ فكلهم قانونيون.

أما قادة " الضباط الأحرار "، فهم مجهولون للطرف البريطانى، ثم إنهم ضباط، ومنطقهم الذى تعلموه هو العسكرية، وها هم فى مفاوضات دولية مع بريطانيا فى طلب الجلاء والاستقلال(١).

---

(١) هيكىل، مرجع سابق.

ومن هنا أوصت هيئة أركان حرب الامبراطورية البريطانية، بضرورة إيجاد طريقة للاتفاق مع المصريين؛ لأن التمسك بالقاعدة سيضعفها، وسوف تستمر تضعف، وممكن تختنق. إن المصريين يقدرون - بالعمق فى الداخل - أن يخنقوها؛ فتصبح عديمة الفائدة تقريبا (١).

وقبل بدء المفاوضات تزعم اللورد كيلرن - السفير البريطانى السابق فى القاهرة - حملة ضد مصر فى الصحافة البريطانية، فرد عليه ناصر قائلا: " إن اللورد كيلرن طراز عتيق لا ينسجم مطلقا مع روح الحاضر؛ الذى أصبحت فيه المساواة بين الشعوب مبدءا مقررا، لا سبيل الى إنكاره أو حتى المناقشة فيه.

إنه يمثل تلك الآراء التى تقوم على أسس الفتح والغزو والاستغلال، واستخدام القوة فى فرض السيطرة على الشعوب... وما ذلك إلا لأنه مازال متأثرا بآراء ونظريات فى العلاقات الدولية تعود الى القرن التاسع عشر، بل ما قبله بكثير (٢)!

### ٣- استعدادات الطرف المصرى للمفاوضات:

لقد كان الوضع مختلفا بالنسبة لناصر ورفاقه الذين قادوا المفاوضات مع الإنجليز؛ فهم كانوا على علم بتفاصيل المفاوضات السابقة منذ ١٩٢٠، وفى نفس الوقت أجروا اجتماعات مكثفة فى إطار " مجلس قيادة الثورة "؛ لتحديد الحدود التى يقفون عندها فى المفاوضات.

كذلك عقد ناصر لقاء مع تريפור ايفانز - الملحق السياسى بالسفارة البريطانية - فوجده يتكلم عن تصريحات المسئولين المصريين حول مفاوضات الجلاء، وأثرها السئ فى لندن!

فأثار ناصر عندئذ تصرفات البريطانيين فى السودان، وأثرها السئ فى مصر! وقال: " يجب حل مشكلة الثقة أولا، وأننا لن نقبل أى شئ رفضته حكومة سابقة، فلا داعى لإعادة المباحثات من أيام ملنر (٣). إن الشعب لا يفكر فى التعاون مع بريطانيا، بل يفكر فى الجلاء" (٤).

وفى نفس الوقت أشرك ناصر الشعب فى هذه المفاوضات من قبل أن تبدأ، وقام بتعبئته فى مواجهة الإنجليز، ففى خطاب له فى ٢٣ فبراير ١٩٥٣ قال: " إن أول أهدافنا هو الجلاء بلا قيد ولا شرط، يجب أن يحمل الاحتلال عصاه على كاهله ويرحل أو يقاتل حتى الموت؛ دفاعا عن وجوده".

(١) المرجع سابق.

(٢) تصريح ناصر الى وكالة الأنباء المصرية، ١٩٥٣/٤/٥.

(٣) مفاوضات سعد - ملنر ١٩٢٠.

(٤) محضر مقابلة بين ناصر وتريפור ايفانز فى منزل الأخير، ١٩٥٢/١٠/٨.

### ٤- التنسيق بين بريطانيا والولايات المتحدة فى المفاوضات:

سعى تشرشل منذ بداية إثارة قضية جلاء القوات البريطانية عن قاعدة قناة السويس، الى التشاور مع أيزنهاور مباشرة فى هذه القضية؛ حول العمل المشترك بين الدولتين فى هذه المنطقة الهامة من العالم (١).

وقد أكد تشرشل فى خطاب الى أيزنهاور، "إننا لا نحتاج الى مساعدة عسكرية أو مالية منكم، فإن قواتنا فى القناة قوية بما يكفى لمقاومة أى هجوم - ٨٠,٠٠٠ رجل - وحتى إذا استدعت الضرورة الدخول الى القاهرة والإسكندرية، فإن الترتيبات جاهزة فى خلال ٩٦ ساعة إنذار.

يضاف الى ذلك أن نصف الجيش المصرى - ١٥٠٠٠ رجل - يقف على الناحية الشرقية للقناة؛ لملاحظة اسرائيل، ومن السهل إكراههم على الاستسلام بمجرد قطع الإمدادات. كذلك بالنسبة لمصر، فإن مجرد قطع البترول ممكن أن يكون له تأثير حاسم!"

ويستطرد تشرشل فى خطابه، محاولا جذب الولايات المتحدة الى خطته: "إن مزايا أن نعمل سويا كبيرة؛ فهمي تجعلنا نحقق نتائج ناجحة بدون اللجوء الى العنف أو إراقة الدماء، أو نطلب منكم أى التزام عسكرى... وهكذا نتقدم الى نجيب " الدكتاتور" بخطة متفق عليها، تدعمها بريطانيا والولايات المتحدة، وذلك يدعم MEDO فى نفس الوقت" (٢).

وقد ذهب تشرشل الى أبعد من ذلك، "إذا قام فريق بريطانى - أمريكى عسكرى ودبلوماسى بتقديم خطتنا بحزم الى نجيب، فإن الأمور ستنتهى على خير دون إراقة دماء" (٣). وفعلا توصل الطرفان الى الاتفاق على مفاوضات مشتركة بينهما وبين مصر، ولكن مصر رفضت اشتراك الأمريكيين فى مفاوضات الجلاء.

وقد تراجع أيزنهاور بدوره عن الاشتراك فى المفاوضات؛ على أساس أنه " سيكون من المرجح أن يشترك الأمريكيون مباشرة فى المفاوضات بدون دعوة أو اتفاق مسبق مع الطرفين الأساسيين؛ إن الأمر قد يظهر أن حكومتنا تقدمان إنذارا (٤)!"

---

(١) لقد تبادل الرئيسان خطابات عدة حول المفاوضات، منشورة فى:

- Peter G. Boyle, The Churchill - Eisenhower Correspondence 1953 - 1955, The Univ. of North Carolina Press, 1990.

(٢) خطاب من تشرشل الى أيزنهاور، ١٩٥٣/٢/١٨، المرجع السابق، ص ص ٢٥ - ٢٦. MEDO هي منظمة الدفاع عن الشرق الأوسط.

(٣) رسالة من تشرشل الى أيزنهاور، ١٩٥٣/٢/٢٥، المرجع السابق، ص ٢٩.

(٤) رسالة من أيزنهاور الى تشرشل، ١٩٥٣/٣/١٩، المرجع السابق، ص ٣٢.

هذا الموقف الأمريكى أغضب تشرشل، فأرسل خطابا الى أيزنهاور يلومه: "أمل أنك بالرغم من أنك قد لا تساعدنا ايجابيا، أن لا يبدو كما لو كانت الولايات المتحدة تأخذ جانبا ضدنا... لا

يجب أن يظهر الأمر علانية كاختلاف فى السياسة بين البلدين. إننا لسنا غير قادرين أو خائفين أن نتعامل بأنفسنا مع نجيب (١) ... إننا سنذهب الى المفاوضات وحدنا" (٢)!

واستقر رأى أيزنهاور على " أن يبدأ ممثلوا بريطانيا المفاوضات مع نجيب، ثم عندما تثار مسألة إمداد مصر بالأسلحة، فإن مصالح أمريكا، وشروط الإمداد بهذه الأسلحة، تجعل من الطبيعى أن توجه دعوة لممثلينا للمباحثات، أو نهجر الإقليم كلية" (٣).

### ثانيا: بداية المفاوضات:

لقد ظهر التناقض واضحا فى أهداف كل من الطرفين المتفاوضين، فقد كان هدف مصر النهائى من هذه المفاوضات؛ هو توقيع اتفاقية تضمن جلاء القوات البريطانية عن منطقة قناة السويس بدون قيد أو شرط. وعلى الجانب الآخر كانت بريطانيا تهدف الى ضم مصر الى التحالف الغربى المناهض للاتحاد السوفيتى، تحت ذريعة الدفاع عن الشرق الأوسط؛ فى محاولة منها للحصول على غطاء شرعى يضمن بقاء القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس.

### ١- الخلاف فى المرحلة الأولى للمفاوضات:

عندما طرح السؤال من الجانب البريطانى على الوفد المصرى .. ما هو تصوركم لمستقبل الدفاع عن الشرق الأوسط فى مواجهة خطر الشيوعية؟

رد ناصر .. " نحن لا نستطيع أن نقرب من هذا الموضوع إلا كبلد مستقل. لا بد أن نفرغ من مشكلة الجلاء والاحتلال البريطانى، المقيم فى مصر أكثر من سبعين عاما، ويطلع، ثم بعد هذا نستطيع أن نتكلم كطرف حر فى الدفاع عن العالم الحر.

---

(١) رسالة من تشرشل الى أيزنهاور، المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) رسالة من تشرشل الى أيزنهاور، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) رسالة من أيزنهاور الى تشرشل، المرجع السابق، ص ٣٩.

قبل ذلك لا أستطيع أن أقنع المصريين بأن عليهم أن يستعدوا للدفاع ضد الاتحاد السوفيتى - الذى على بعد ٥٠٠٠ ميل منا - ونحن لا نعرف سابق احتكاك معه، لكن حياتنا فى العقود الأخيرة كلها كفاح ضد الإنجليز فى طلب الاستقلال، وهذا هو مطلب أجيال. إننى لا أستطيع أن أقول لهم



فجأة هكذا إن العدو قد تغير، أو أن القوى التي تهددنا لم تعد بريطانيا ولكنها أصبحت الاتحاد السوفيتي" (١) !

طرح المفاوض البريطاني سؤالاً ثانياً على المصريين.. كيف تتصورون إسهامكم في الدفاع عن الشرق الأوسط مع دول عربية أخرى، ومع باقى دول المنطقة؛ تركيا وباكستان وإيران؟ وقد دار الحوار الآتى فى اجتماع المفاوضات فى ٢٥ أبريل ١٩٥٣:

- ناصر : " نحن متفقون على الغرض، و فقط نختلف على طريقة الوصول الى الغرض. إن سبعين عاماً من الاحتلال أوجدت عدم ثقة عند الشعب، ويجب أن يحل إشكال عدم الثقة أولاً، وخلق جو من الصداقة؛ لكي يقتنع الشعب أنكم لستم أعداؤه؛ لأنه لا يشعر الآن إلا بوجود القوات البريطانية - أى الاحتلال - فى أرضه رغماً عنه، وبهذا لا يمكن أن يشعر الآن أن الروس مصدر خطر".

- روبرتسون (٢): " أشعر أن هذه المنطقة تحتاج الى معونة الغرب، وقد تأكدت من هذا بمرورى على بغداد وعمان وبيروت وأنقرة، وقد طلبوا جميعاً مساعدتنا، وقالوا: إننا فى حاجة إليكم".

- ناصر "هذه المنطقة لا يمكن الدفاع عنها إلا بأهلها، وإنى أتساءل.. من أين بالرجال الكافين للدفاع عنها لو هوجمت بالروس، وأمامكم غرب أوروبا تتطلب مجهوداتكم للدفاع عنها؟! إن هذه المنطقة تستطيع أن تجند ١٥ فرقة بسهولة لو تم مساعدتها على ذلك، ويمكنها أن تقف فترة أمام أى اعتداء، حتى يعاونها الطرف الآخر".

- روبرتسون : "المشكلة أن الجيوش العربية بوضعها الحالى ليست فى حالة تسمح لها بالدفاع فى هذه المنطقة دون معونة".

---

(١) هيكلم، مرجع سابق.

(٢) بريان روبرتسون، قائد عام القوات المسلحة البريطانية فى الشرق الأوسط.

- ناصر: " إن هذه حقيقة".

- روبرتسون: " المسألة تحتاج الى وقت لإنشاء الجيوش".

- ناصر: " الكتابة فى الاتفاق إذا اشتم منها بقاء الاحتلال، فلن تكون هناك نتيجة. وإذا كنتم تريدون أن تتبها الشعب الى الخطر الروسى، يجب إنهاء الحالة الموجودة؛ حتى لا يبقى انتباههم متجه الى الإنجليز، وأرى أن الضمان الجماعى العربى هو الطريق الوحيد للدفاع عن الشرق الأوسط"(١).

- روبرتسون : " الحكومة البريطانية لها اعتراضات على هذا، ولكن من وجهة نظري أوافق على كلامك. إننى أعلم أنكم ستأخذون أكثر مما يتصور الشعب البريطانى، ولا يمكن أن يأخذ الطرفين ١٠٠٪، ولكن أظن ستأخذون ٩٥٪".

- ناصر: " إذا كان الأمر فيه فصال، إن مطلبنا هو الجلاء بدون قيد ولا شرط، ولن نفاصل، وأرجو مساعدتنا فى ذلك".

- روبرتسون: "القاعدة صعبة! ومن سيبقى للإدارة؟"

- ناصر: "القاعدة مصرية، وإن اقتراح وليام سليم (٢) بخصوص لجنة مشتركة، لن يجعل للاتفاق أية فائدة، أما عن الفنيين، فيمكن البحث فى الموضوع".  
روبرتسون: "العدد غير مهم".

- ناصر: "كان ٥٠٠٠ نجيب الهلالي، ١٠٠٠٠ على ماهر؛ إنها تعتبر استمرار للاحتلال" (٣).

وفى آخر اجتماع للمفاوضات بتاريخ ٢٧ أبريل ١٩٥٣ دار الحوار الآتى:

- ستيفنسون (٤): "المشاكل الثلاث التى يجب أن نجد لها حلا هي.. وجود القاعدة وأهميتها، القوات الموجودة فى المنطقة، رغبة الحكومة المصرية فى الجلاء.

- روبرتسون: ركز على الموقف الاستراتيجى للشرق الأوسط، وأهمية القناة الاستراتيجية. " إن مصلحة بريطانيا تأمين الشرق الأوسط، وتلبية التزاماتها نحو تركيا، وتأمين البترول، كما توجد مصالح مع أصدقاء فى المنطقة ومعاهدات مع العرب. إن رغبتنا أن تحصل دول الشرق الأوسط على القوة والتعاون؛ لصد العدوان، وهى الآن غير قادرة على ذلك.

---

(١) معاهدة الضمان الجماعى العربى، ١٣/٤/١٩٥٠، ملحق رقم ١١.

(٢) الفيلد مارشال وليام سليم، الحاكم العام لآستراليا.

(٣) محضر اجتماع المفاوضات، ٢٥/٤/١٩٥٣، من أوراق ناصر الخاصة بخط يده.

(٤) رالف ستيفنسون، السفير البريطانى فى القاهرة .

إن الحكومة البريطانية مستعدة لتلبية طلب مصر فيما يختص بالجلاء، ولكن فيما يختص بالقاعدة، يجب وجود عاملين بريطانيين فى المخازن؛ ليأخذوا تعليمات من الحكومة البريطانية. وهناك اقتراح أن تستلم مصر هذه القاعدة؛ فتنحمل الحكومة المصرية حراستها، وتقدم العمال والمواصلات والفنيين؛ إنها مسئولية جسيمة. لكن يجب أن يكون الإشراف الفنى انجليزى؛ لا فائدة

من قاعدة يدافع عنها من الجو! إن بريطانيا يهملها حماية دول الشرق الأوسط وتعاونها لصد الاعتداء، وقواتنا ليست كافية للدفاع، ولكن ممكن إمدادها.

إذا قدمت مصر اقتراحا لاستلام القاعدة، فسنبحث ذلك، ولكن يجب أن يكون الإشراف الفنى بريطانى، وكذلك الدفاع الجوى عن القاعدة، واللجان الفنية" (١).

وقد قال ستيفنسون لناصر: " أنتم تتكلمون عن القاعدة، وليس عندكم فكرة عنها، هل أقدر أرتب لك مرة زيارة للقاعدة؛ حتى يكون لديك فكرة عن بلايين الجنيهات الإسترلينية الموجودة فيها"؟! اعتبر ناصر هذه الدعوة إهانة، وقال: " أنا أدعو الناس الى أى مكان فى مصر، لكن لا أحد يدعونى الى مكان فى مصر" (٢)!

## ٢- سقف المطالب المصرية:

وكان ناصر قد ناقش مسبقا مع بعض أعضاء " مجلس قيادة الثورة " ووزير الخارجية الدكتور محمود فوزى؛ المقترحات البريطانية بالنسبة لقاعدة قناة السويس. ولقد كتب بخط يده.. "الاحتفاظ بالقاعدة مصرية، فنيين من بريطانيا أو من أى طريق.

أ- ص ١٦٢ من الكتاب الأخضر (٣) :

الشروع فى إجلاء القوات البريطانية عن مصر بمجرد عقد الاتفاق مباشرة.

ب- ضرورة إتمام هذا الجلاء بحرا وبرا فى مدة لا تتجاوز سنة.

ج- تسليم القاعدة الى القوات المصرية المسلحة بمجرد إتمام الجلاء.

---

(١) محضر اجتماع مجلس الوزراء المصرى مع الجانب البريطانى فى مفاوضات الجلاء، ١٩٥٣/٤/٢٧، بخط ناصر، من أوراقه الخاصة.

(٢) هيكل، مرجع سابق.

(٣) كتاب يحتوى على جميع وثائق السودان والمفاوضات بشأنها بين الجانب المصرى والجانب البريطانى من ١٣ فبراير ١٨٤١ - ١٢ فبراير ١٩٥٣ ، قام بتجميعه على زين العابدين حسنى.

د- تعود القوات البريطانية الى الجهات التى يتفق بين الحكومتين على ضرورة عودتها إليها؛ للمعاونة فى الدفاع عن مصر، فى حالة ما اذا وقع عليها اعتداء مسلح، أو فى اشتباك المملكة المتحدة فى حرب؛ كنتيجة لاعتداء مسلح على البلاد العربية المتاخمة لمصر.

هـ- إذا عادت القوات البريطانية الى مصر وفقا للبند السابق، فيتعين الشروع فى إجلائها عنها بمجرد انتهاء العمليات الحربية، على أن يتم الجلاء برا وبحرا وجوا فى أجل أقصاه ثلاثة أشهر" (١).

وفى ٢٤،٢٠ إبريل ١٩٥٣، كان قد عقد مؤتمر الجزيرة بين بعض أعضاء " مجلس قيادة الثورة" والدكتور محمود فوزى، والوفد البريطانى فى المفاوضات. وقد نوقش فى المؤتمر؛ ماذا سوف يسحب من القاعدة، وماذا سيبقى؟ وتم تحديد رؤوس موضوعات حول الانسحاب، والقاعدة، والدفاع الجوى، واحتياجات الأسلحة الأخرى.

وكانت مطالب مصر:

أ- الانسحاب الكامل لجميع القوات المسلحة فى مدة أقصاها من ستة أشهر لسنة، وإنهاء معاهدة ١٩٣٦ (٢).

ب- ما يبقى لبعده الانسحاب تنتقل ملكيته للحكومة المصرية. وتطلب الحكومة المصرية الخبراء الذين تحتاج إليهم لتشغيل القاعدة، حتى يتم تدريب مصريين للحلول محلهم.

ج- مساعدة عسكرية لبناء الجيش المصرى، وكذلك مساعدة اقتصادية.

ثم أثيرت تساؤلات حول مدة الجلاء، والقاعدة.. متى تستعملها الدول الغربية؟ وهل يُقبل الخبراء؟ هل سيتم اتفاق دفاع؟ ناصر: لا . ماذا يحل محل معاهدة ١٩٣٦؟ ناصر: لا شئ، إن ميثاق الضمان الجماعى يغنى عن كل اتفاق. فالتحالف الحالى ينتهى ولا يعقد أى اتفاق بخصوص تحالف جديد، ولا ينظر فى اتفاق إلا بعد انتهاء الجلاء كله بصفة نهائية، ولا ينص على ذلك كتابة. وعن الخبراء.. يجب خروجهم بعد تدريب من يحل محلهم، ومع خروج آخر عسكري يخرج معه آخر خبير بريطانى.

---

(١) نوتة من أوراق ناصر الخاصة، ١٩٥٣.

(٢) معاهدة ١٩٣٦ كانت قد ألغتها حكومة الوفد فى ٢٥ أكتوبر ١٩٥١ من جانب واحد، ولم تعترف بريطانيا بهذا الإلغاء.

وتحدث د. فوزى.. متى توضع القاعدة تحت التصرف؟ إذا هوجمت مصر أو إحدى الدول العربية، أو باتفاق الحكومتين. وإعلان مصر أنها ستكون مستعدة للقيام بكل واجباتها للمحافظة على السلام الدولى؛ تبعا لميثاق الأمم المتحدة فى الدفاع ضد العدوان. و بعد إتمام الجلاء وتنفيذ كل الالتزامات، مصر ستكون فى جانب العالم الحر فى حالة وقوع أى اعتداء (١).

### ثالثا: قطع المفاوضات ثم استئنافها:

وصلت المفاوضات الى طريق مسدود، وتم قطعها بعد أيام من بدايتها، وكان يحيط بها جوا متوترا من الطرفين، انتقل بطبيعة الأحوال الى الشعب المصرى، كما انعكس على السياسيين البريطانيين والرأى العام لديهم.

ولقد صرح ناصر.. " لقد أوقفنا المباحثات عندما وجدنا ألا فائدة من استمرارها، ولما اكتشفنا أن غرض البريطانيين منها هو إبقاء الاحتلال الاجنبي لمصر، مع تغيير اسمه باسم آخر" (٢).

١- رد الفعل المصرى:

خاطب ناصر الشعب المصرى مذكرا بالتاريخ.. " لقد دخلت إنجلترا أرض مصر بحجة أنها دولة صديقة، أرادت مساعدة الخديوى على توطيد الأمن والنظام، ثم وعدت علنا بمغادرة البلاد متى استتب الأمن والنظام. لقد قال الإنجليز: إن استمرار الاحتلال عار على التاج والشرف البريطانيين، واستمرت الوعود، وتوالت العهود، ولم تكن السياسة البريطانية إلا كذبا واحتيالا وخداعا؛ فلا زالت القوات البريطانية حتى الآن - بعد سبعين عاما - تدنس أرض الوطن...

يقول الإنجليز: إن مطالبتنا المستمرة بالجلء، وشرح الموقف باستمرار لأبناء الوطن؛ يؤخر المفاوضات، وإنى لا أجد معنى لذلك سوى المراوغة! وإننا نعلنها بأعلى صوتنا؛ ليست المفاوضات غايتنا، بل غايتنا هي جلاء قوات الاحتلال".

ويمضى ناصر قائلا: " سنفتح معسكرات للتدريب العسكرى فى جميع المراكز؛ حتى نجهز جيشا للدفاع عن الوطن من جميع القادرين على حمل السلاح، وهذه هي طريقتنا فى سد الفراغ. إنهم يقولون: إن خروج القوات البريطانية سينتج عنه فراغا فى الدفاع، ونحن نقول لهم: إن الطريقة الوحيدة للدفاع عن بلد؛ هي أن يدافع عنه أبناءه، وإننا لا يمكن أن ندافع عن خطر منتظر، تاركين خطرا قائما يحتل أرض البلاد!

(١) نوتة من أوراق ناصر الخاصة، ١٩٥٣، مرجع سابق.

(٢) حديث ناصر الى وكالة الأنباء المصرية، ١٩٥٣/٥/١٥.

لقد طال علينا الضعف والاستسلام، وأنا أقول لهم: إننا اليوم نختلف عن الماضى؛ فلن نستطيع الخيانة أن تعمل عملها، لا بد من تحرير مصر، ولا بد من جلاء قوات الاحتلال.

إنهم يقولون: وماذا عن القاعدة؟ ونحن نقول لهم: إننا نعرف معنى القاعدة، نعم.. إننا عسكريون ونعرف معنى القاعدة! إننا نعرف أن هذه القاعدة لن يمكنها أن تعمل، إلا إذا تعاون معها المصريون، وإذا لم تتعاون مصر فستفقد هذه القاعدة قيمتها.

إنهم يقولون: يجب أن تنضموا الى العالم الحر، أما أنا فأقول لهم: كيف ينضم العبيد الى العالم الحر؟!!

إنهم يقولون: إن أمريكا لها قواعد فى إنجلترا، أما أنا فأسألهم.. وهل إذا أرادت إنجلترا أن تخلى أمريكا هذه القواعد؛ فهل ستفرض أمريكا؟!!

إنهم يقولون: فلنتحالف تحالف الأحرار للأحرار، وبذلك تنضم مصر الى العالم الحر، أما نحن فنقول: لن يكون تحالف الأحرار، فإن الأحرار لا يجبرون على التحالف! وعلى هذا، إننى لا أفهم ما هو معنى العالم الحر!

إن بريطانيا لو كانت خالصة النية، لما حاربت تسليح الجيش المصرى بكل الوسائل. أيها الاخوان.. إننى أقول لكم: يجب أن نستعد لأسوأ الاحتمالات، فإذا كنا نطالب حقا برفع ذل سبعين عاما، يجب أن تعبأ قوانا للساعة الفاصلة" (١).

ومن جانب آخر تحرك ناصر فى الإطار العربى، فعقد اجتماعا بقيادة جيوش العرب فى ٢٥ أغسطس ١٩٥٣، وركز فى كلمته فى المؤتمر على أهمية التعاون فيما بينها، وتنظيمه بما يكفل تحقيق الهدف الواحد، ثم قال: "وفى ظل هذا الفهم الذى بلوره ميثاق الضمان الجماعى العربى نجتمع اليوم؛ لنباشر مهمتنا الخطيرة. إن عليكم أن تحيلوا الأفكار الواردة فى الميثاق الى حقائق حية" (٢). ويكتب ناصر بخط يده فى هذه الفترة، "عمل صلات وثيقة مع رجال العرب فى الدول العربية، الفكرة القومية، مجتمع اشتراكى عربى، العمل على تحقيق الوحدة العربية. كيف نجمع قوى الأمة العربية؟ الأمة العربية أمة واحدة، تحرر الأمة العربية وقيام كيان سياسى واحد".

تلك كانت آمال ناصر، التى اندفع بعد ذلك الى تحقيقها بكل الوسائل المتاحة.

---

(١) مسودة خطاب لم ينشر لناصر بخط يده، بعد قطع المفاوضات.

(٢) كلمة ناصر فى مؤتمر رؤساء جيوش الدول العربية، ١٩٥٣/٨/٢٥.

## ٢- العمل الفدائى فى منطقة قناة السويس:

كتب ناصر بخط يده.. "إننا لا نساوم على حريتنا؛ فإننا نعرف أن الشعوب التى تساوم على حريتها، توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها... إن مصر قد أعلنتها عالية داوية حتى يسمعها المستعمر، إن مصر قد أجمعت على أن تصل الى حريتها واستقلالها مهما كانت الصعاب، يجب أن نستعد لأسوأ الاحتمالات (١).

وبدأت عمليات الفدائيين المصريين ضد البريطانيين فى قاعدة قناة السويس، كما تمت المقاطعة من جانب الموردين، والاضراب من جانب العمال؛ مما أدى الى تعطيل العمل فى القاعدة. وفى واقع الأمر، لقد كانت خطة الثورة، ألا تبدأ مفاوضات الجلاء إلا بعد أن يكون لديهم تقديرا كاملا للموقف فى قاعدة قناة السويس. لقد كان يعنى جيدا أن الانجليز لن يخرجوا من مصر

بمجرد المفاوضات، وإنما لأبد من خروجهم بالقوة. ومن هنا كانت الشهور الثمانية قبل بدء المفاوضات مليئة بالعمل من أجل الحصول على أكبر قدر من المعلومات عن المخابرات البريطانية في مصر، وعن وضع قوات الاحتلال، وفي نفس الوقت إعداد الفدائيين المصريين للمعركة؛ تدريباً وسلاحاً.

ولقد نجحت المخابرات المصرية في أن تحصل بصفة مستمرة على صور من تقارير المخابرات البريطانية (٢)؛ مما كان مصدراً هاماً للمعلومات.

وكان يميز أعمال الفدائيين هذه المرة عنها بعد إلغاء معاهدة ١٩٣٦ في ٢٥ أكتوبر ١٩٥١، أن رجال ثورة ٢٣ يوليو هم الذين كانوا يقودونها.

وأصدرت الحكومة البريطانية أوامرها في ٢٠ مايو ١٩٥٣ إلى رعاياها كي يرحلوا عن مصر. وهنا أعلن ناصر بعد يومين.. " إن الذين لا نريدهم في بلادنا هم جنود الاحتلال الانجليزي وحدهم دون غيرهم، أما الأجانب جميعاً - حتى الرعايا البريطانيين المدنيين - فهم في حماية مصر".

---

(١) مسودة خطاب آخر غير منشور لناصر بعد قطع المفاوضات.

(٢) كمال رفعت، ص ص ١٩٢ ، ١٩٦ ، وبالكتاب صور لبعض هذه التقارير.

ومن جانب آخر كانت معسكرات الحرس الوطنى فى كل مدينة وحي، وفى كل مركز وقرية، تستقبل طلبات التطوع من جميع طبقات الشعب. فلقد كان موقف الثورة الواضح؛ هو ضرورة حماية ظهر الفدائيين فى القناة، وفى نفس الوقت وضع الشعب موضع الاستعداد لإحباط مؤامرة فصل منطقة القناة عن بقية القطر المصرى، واحتلال البلاد كلها. وكان هناك استعدادا بلغم مخبأ فى صحراء القنطرة لاستخدامه فى سد قناة السويس، إذا دعت الحاجة(١).

وقد أقيم حصار اقتصادى على الإنجليز فى منطقة القناة، فلقد كانت معاهدة ١٩٣٦ تحدد عدد القوات البريطانية فى القناة بـ ١٠,٠٠٠ جندي، لكن عدد القوات الحقيقى زاد عن ٨٠,٠٠٠. ورأى نظام الثورة الاستفادة من خروج الإنجليز على المعاهدة، بعدم السماح بإمدادات تموينية للإنجليز بكميات تزيد عن تلك اللازمة لـ ١٠,٠٠٠ جندي! وقد تم وضع نقاط تفتيش لمراقبة حركة السلع وتحركات القوات البريطانية؛ وذلك بهدف تجويعهم للتأثير على معنوياتهم!

وقد تعددت الحوادث فى هذه الفترة ضد القوات البريطانية؛ التى شملت قتل، وخطف، وسرقة أسلحة وذخائر، وقطع المياه، وتعطيل المواصلات والسكة الحديد، هذا عدا إلقاء المنشورات وتصاعد الحرب النفسية ضدهم. وكانت إحدى وسائل الضغط عليهم منع الصحف عنهم، وعندما استؤنفت المفاوضات فى يوليو ١٩٥٤، طالب الجانب البريطانى بالسماح بالصحف فى المعسكرات بمنطقة القناة، فأصدر ناصر أمره برفع الحظر على وصول الصحف. وقد أنشأ الفدائيون المصريون محطة إذاعة سرية تذيع على الجنود البريطانيين باللغة الإنجليزية، وتشرح لهم وجهة نظر مصر فى قضية قاعدة السويس (٢).

وفى ١٩ مارس ١٩٥٤ استدعى تشرشل وزير حربيته أنتونى هيد؛ لبحث الحوادث فى منطقة القناة، وفى نفس اليوم قدم السفير البريطانى احتجاجا لدى الحكومة المصرية لفشلها - كما يدعى - فى المحافظة على الأمن والنظام فى المنطقة.

وفى ٢٢ مارس ١٩٥٤ أوقفت بريطانيا الإفراج عن ١٠ مليون جنيه من أرصدة مصر لديها، التى كانت قد وافقت على تسليمها إليها مسبقا؛ كنوع من الضغط.

---

(١) المرجع السابق، ص ص ٢٥٣، ٢٦٦، ٢٦٧.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٢٥١ - ٢٥٢، ٢٨٧ - ٢٨٨.



وفى مايو ١٩٥٤ أرسل سلوين لويد يطلب استئناف المفاوضات مع مصر، وطلب تعاون الحكومة المصرية فى ضبط المسؤولين عن الحوادث الخطيرة فى منطقة القناة! وفى ٢٥ يونيو ١٩٥٤ انتقلت قيادة القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس الى قبرص! وبعدها بيومين أصدرت القيادة البريطانية فى المنطقة أوامر بهدم مخازن ومستودعات ومنشآت ميناء الأديبة التى تطل على قناة السويس، وهو أهم ميناء كانت تعتمد عليه القوات البريطانية فى الحصول على الإمدادات والتموين منذ الحرب العالمية الثانية.

لقد وصل البريطانيون الى النتيجة التى أرادها وخطط لها ناصر منذ البداية؛ وهى أنه لا فائدة من القاعدة البريطانية فى القناة عند قيام حرب، وسط شعب يقاوم بهذه الضراوة.

وأدرك البريطانيون فى نهاية الأمر أن من أسباب قوة النظام فى مصر شعبيته، ثم أنه لا يوجد بديل، ففى أيام الملك كانت الوزارة تستقيل عندما تفشل المفاوضات، أما هذه المرة فهم أمام وضعاً مختلفاً؛ إذا فشلت المفاوضات ودفعت الى طريق مسدود، فتوجد مشكلة صدام بريطانى فى مصر!

### ٣- مخاوف الجانب البريطانى:

ماذا يفعل الإنجليز إزاء فشل المفاوضات؟ لقد بدأوا فى إعادة تنشيط الخطة " روديو"، وظهرت شواهد واضحة فى السويس والإسماعيلية، خصوصا مع بدء المقاومة المصرية التى شعر البريطانيون بتأثيرها.

ولكن البريطانيون كانوا يحتاجون الى غطاء قانونى، فماذا كانت الخيارات أمامهم؟ أولا.. أن يدبروا انقلابا أو غزوا، ثم تقوم سلطة جديدة فى مصر يستعان فيها بمصطفى النحاس، زعيم الوفد.

وقد فكر البريطانيون أيضا فى العائلة المالكة، وكان موجود فيها الأمير محمد عبد المنعم، الذى كان رئيس مجلس الوصاية، فقد تصور أنه يستطيع أن يوجه دعوة شرعية الى الإنجليز لأن يتدخلوا.

وفى إطار العائلة المالكة أيضا نشط الأمير محمد على لاستغلال الظروف، وعرض على الانجليز خطة مؤداها أنه مستعد أن يذهب الى قاعدة قناة السويس، ويعلن من هناك بيان عودة الملكية، ويدعو قوات الجيش الى الانضمام اليه، ويحف بهم على القاهرة مع الجنرال أرسكين(١)؛ كأنه عصر الخديوى توفيق بالضبط، مع تجاهل تام للشعب. وبدأ الأمير محمد على يتكلم على شرعية الأسرة المالكة، وأن فاروق لم يتنازل، وإنما أرغم، وبدأ يطلب حماية بريطانية للأسرة. ولكن تشرشل فى ذلك الوقت لم يكن مقتنعا أن الأمير محمد على ممكن أن يكون حلا للأوضاع فى مصر (٢).

ولقد ذهب الإنجليز الى حد التفكير فى الإخوان المسلمين كعنصر إزعاج لنظام الثورة؛ ولجأوا الى التسوية فى المفاوضات انتظارا لسقوط النظام بعد أزمة مارس ١٩٥٤. ومن الجدير بالذكر أنه منذ قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وتولى " الضباط الأحرار" الحكم بقيادة محمد نجيب، وتشرشل ينظر اليه على أنه " دكتاتور" مصر بدون أساس انتخابى، ومنذ ذلك الوقت والسلطة مع مجموعة من الجيش" (٣)!

ومن الغريب أن تشرشل أعلن فى مجلس العموم أن بريطانيا لم تطلب هذه المفاوضات، بينما المسجل فى خطابه الى أيزنهاور أن الانجليز هم الذين سعوا اليها! وأنهى تشرشل بيانه قائلا: " إنه إذا حدثت اعتداءات جديدة على قواتنا فى منطقة القناة بواسطة " المخربين"، أو حتى من الجيش المصرى، الذى يساعده ويدربه معلمين وضباط نازيين، فيجب أن ندافع عن أنفسنا!"

#### ٤- الدور الأمريكى فى المفاوضات:

إن الدور الأمريكى كان هاما فى الترتيب للمفاوضات التالية، ولم يكن الأمريكيون يتخذون أى خطوة هنا إلا بالتنسيق مع بريطانيا، والمباحثات بين تشرشل وأيزنهاور واضحة جدا فى هذا الشأن وتصل الى أدق التفاصيل.

(١) الجنرال جورج أرسكين، قائد الجيش البريطانى فى منطقة القناة.

(٢) هيكل، مرجع سابق.

(٣) بيان تشرشل فى مجلس العموم، ١١ مايو ١٩٥٣.

وفى نفس الوقت أدرك البريطانيون تماما أن عندهم مشاكل حقيقية؛ لأن الخطة التى أعدها ناصر أن الدولة أصبحت تقاوم استعدادا للمفاوضات ثم فى حالة فشلها. هنا أصبح هدف المفاوضات

المصري كما سبق ذكره؛ إذا كانت مصر لا تستطيع أن تدير القاعدة - كقولهم - لكنها تستطيع أن تجعل بقاءها مستحيلا، أو على الأقل غير مفيدا، وأكثر من شعروا بهذه العقبات هم هيئة أركان الحرب الإمبراطورية البريطانية.

قدم دالاس (١) في زيارة رسمية الى القاهرة في مايو ١٩٥٣ ، بعد محادثات مع أنتوني إيدن في لندن، وبدأ حوارا مع ناصر في السفارة الأمريكية، ملوحا بالمعونة الأمريكية الاقتصادية والعسكرية الى مصر، وبمساندتها لدى البنك الدولي خاصة في مشروع السد العالي! وأشار الى أن الإدارة الجمهورية الجديدة في الولايات المتحدة لا تدين بشئ للجماعات اليهودية مثل الديمقراطيين(٢).

وفتح موضوع تواجد القوات البريطانية في مصر، مؤكدا أن القوات البريطانية ستجلب عنها، ويتم الاعتراف الكامل بالسيادة المصرية. أما المواضيع المتبقية فهي الحيابة، واستخدام القاعدة وإدارتها، والمستودعات، وكل ذلك هام جدا في غياب ترتيبات أخرى للدفاع عن منطقة الشرق الأوسط. إن المستودعات هامة، ويجب إدارتها جيدا، ومحتوياتها يجب أن تكون تحت الطلب؛ للاستخدام في قبرص والأردن.. الخ.

دالاس: " إن الولايات المتحدة لا ترغب في مساندة المملكة المتحدة في الاحتلال، إنها تريد أن ترى مصر حرة، وإن المستودعات عامل معقد، لا يمكن نقلها الى حيازة مصر. إننا نرجوكم ألا تطلبوا قدرا من السيطرة على الإمدادات الحالية في القاعدة، التي ستعرق استخدامها للدفاع".

---

(١) مشروع دالاس يتكون من ثلاث نقاط رئيسية؛ كحل مبدئي للقضية الفلسطينية:١-وضع حد لبؤس مليون لاجئ فلسطيني؛ بتأمين حياة كريمة لهم عن طريق العودة الى وطنهم الأول، وتوطينهم في المناطق العربية المتواجدين فيها؛ بإيجاد عمل مستقر وثابت لهم، ودفع تعويضات اسرائيلية لهم. ٢- ازالة الخوف الذى يسيطر على المنطقة؛ باتخاذ إجراءات جماعية لردع أى عدوان، واستعداد الولايات المتحدة للدخول فى معاهدات رسمية لمنع أى عمل من قبل أى من الطرفين؛ من شأنه تغيير الحدود فيما بينهما، وفتح المجال لدول أخرى للمساهمة مع الولايات المتحدة فى هذه الضمانات الأمنية؛ وأن يتم كل ذلك تحت إشراف الأمم المتحدة. ٣- التوصل الى حل لمشكلة الحدود باعتبار أن الخطوط الحالية التى تفصل اسرائيل عن الدول العربية؛ ناتجة عن اتفاقات لجان الهدنة عام ١٩٤٩، ولا تشكل حدودا دائمة. والولايات المتحدة على استعداد للمساهمة فى عملية البحث عن حل لمشكلة الحدود، مما يمهد لحل بقية القضايا بما فيها قضية القدس.

(٢) ملاحظات بخط ناصر بعد المقابلة.

ناصر: " إن مصر تواجه مشكلة الثقة، وإننى أرى أن أهداف مصر والولايات المتحدة واحدة؛ فمصر أيضا تريد أن ترى الدفاع عن المنطقة منظما. ولكن طالما استمر النفوذ البريطانى فى مصر، فإنه يوجد رفض لإقامة ترتيبات للدفاع عن المنطقة.

إن المصريين ينظرون لمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط MEDO ، على أنها ذريعة للاحتلال. إن البريطانيين يريدون السيطرة الفنية، والشعب يجب أن يقتنع ويكون عنده ثقة".

دالاس: " متى يمكن تكوين منظمة جديدة للدفاع؟ سنتين؟ "

ناصر: " لا أحد يمكن أن يقبل أن تكون المملكة المتحدة حليف صادق للعرب، الشعب سيظنه مجنوناً من يقول ذلك! "

دالاس: " إن تحقيق الجلاء، ألا يحدث فارقاً؟ "

ناصر: " إن النفوذ البريطاني يجب أن يختفى تماماً. إن " مجلس قيادة الثورة " يجب أن يستند على تعاون الشعب".

دالاس: " الحكومات تستطيع أن تؤثر على تفكير الشعب".

ناصر: " نستطيع أن نؤثر في الناس في أي نقطة، إلا هذه! إن أفكار البريطانيين أن مصر تستطيع أن تحصل على السيطرة العامة على القاعدة، لكن المملكة المتحدة تريد السيطرة الفنية، وفيما يتعلق بقطع الغيار والامدادات وانتقالها الى ومن القاعدة ".

دالاس: " ماذا تعنى بالسيطرة المصرية؟ "

ناصر: " المصريون ممكن تدريبهم ليعملوا كل ما يعمله البريطانيون الآن ".

دالاس: " إنه من غير المعقول لمصر أن تطلب هذه الدرجة من السيطرة على القاعدة، في غياب أى منظمة للدفاع... إن الولايات المتحدة تأمل أن تقود مصر الدول العربية الى نظام دفاعي جديد، ليس MEDO الذى أصبح عتيقاً، وعندما يتحقق يجد العتاد في المخازن جاهزاً له ".

ناصر: " مصر تستطيع، وسوف تجعل المخازن جاهزة للاستعمال في كل وقت ".

ماك آرثر(١): " هل تستطيع المملكة المتحدة أن تقول إن مصر ستكون مستعدة - بعد أن يبدأ الجلاء - أن تشترك في تخطيط الدفاع عن المنطقة مع المملكة المتحدة؟ "

---

(١) دوجلاس ماك آرثر الثانى، المستشار السياسى لوزير الخارجية الأمريكى.

الإجابة المصرية: " هذا سيكون صعباً جداً بالنسبة للرأى العام المصرى، الذى سيرى فى ذلك مجرد دفاع مشترك مكروه خفى! "

ناصر: " إن ما يريده المصريون هو إدارة القاعدة بالمصريين، عندما يكونوا فى وضع يسمح لهم باستلامها، ويأملون أن يكون فى وقت قصير ".

بايرود(١) : " كيف تظمننا كلنا مصر أن القاعدة ستعمل مثل السابق؛ حتى يصبح نظام الدفاع قائما ؟"

ناصر: " ماذا نستطيع إلا الوعد؟! إن البريطانيين أحرار فى مستوى المخازن فى القاعدة الحالى، ولكن فى حالة أى زيادة فى هذا المستوى، فإن الحكومة المصرية سترغب فى أن يؤخذ رأيها. إن مصر تريد أن تكون القاعدة جاهزة وصالحة للعمل، وفيما يتعلق بمدة بقاء الفنيين البريطانيين، مصر يجب أن تعرف حدود المدة عندما يذهب كل البريطانيين ".

ميد(٢): " كيف تعترض مصر على وجود مشرفين بريطانيين؟"

ناصر : " إن مصر لا تريد أى فنيين بريطانيين فى القاعدة بأسرع ما يكون".

دالاس : " كيف تستمر المحادثات مرة أخرى؟ إن الموقف خطير".

ناصر: " عن طريق دفع البريطانيين للموافقة على وجهة النظر المصرية. وبالنسبة لقناة الاتصال فيما يتعلق بالتصرف فى الامدادات بالقاعدة؛ أن تتسلسل من وزارة الحرب البريطانية، الى الملحق العسكرى البريطانى بالقاهرة، ثم الى وزارة الحربية المصرية. إن الأوامر لا يجب أن تذهب مباشرة الى القاعدة. وإن مصر مستعدة لأن تقوى ميثاق الضمان الجماعى العربى" (٣).

وكان تعليق دالاس على مقابلة ناصر؛ "أن الوضع فى مصر أخطر مما كنا نتصور! إن المفاوضات متوقفة على نقاط فنية، فى جو من فقدان الثقة.

إن المصريين غير مقتنعين أن احتمالات الاعتداءات فى المستقبل القريب حقيقية. إن النظام لن يعطى تنازلات للبريطانيين، إنهم يفضلون الشهادة عن الاستسلام!"

---

(١) هنرى بايرود ، وكيل وزارة الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط.

(٢) الكولونيل ستيف ميد، المستشار العسكرى لوزير الخارجية الأمريكى.

(3) The visit of secretary of state John Foster Dallas and mutual security administrator Harold Stassen to the near and middle east, May 9 – 29, 1953, State Department papers.

والسؤال هنا - كما يطرحه دالاس - ما اذا كانت القاعدة فى أيدى مصرية، تستطيع أن تستمر أن تستخدم فى منطقة الشرق الأوسط كلها. إن أحسن حل هو فى إنشاء منظمة دفاعية إقليمية، تعطى التعليمات بشأن الامدادات للقاعدة. وفى ظل غياب هذا الحل، يكون من الضرورى للولايات المتحدة ولبريطانيا أن تستمر القاعدة تخدم المنطقة، ولا تكون فيما يتعلق بذلك فى أيدى مصرية فقط.

وفيما يتعلق بمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط، يعتقد دالاس أن محاولة فرض إجراءات دفاعية على المصريين ستكون فاشلة تماما، وأنه من الواضح أن هذا هو الموقف العام للدول العربية، فإن تفكير المصريين حول ترتيبات الدفاع عن المنطقة يتركز حول الدول العربية التي تربطها الجامعة العربية (١).

ولقد كتب ناصر بخطه.. " [دالاس يعرض] حل وسط مع إسرائيل إذا تم الجلاء.. هل نوقع على احتلال شرعى؟! "

وفي النهاية أكد دالاس أن الموضوع الرئيسى الذى يواجه الولايات المتحدة هو موضوع الخلاف بين مصر وبين إنجلترا حول قواتهم فى القاعدة.

وقد تبادل أيزنهاور وتشيرشل الرسائل حول انطباعات كل منهما عن زيارة دالاس للقاهرة ولقائه بناصر، فكتب أيزنهاور الى تشيرشل.. " إن الموقف خطير! ويجب اتخاذ خطوة سريعة للتوفيق بين أقل حاجاتنا للدفاع، مع المشاعر القومية للحكومة المصرية والشعب المصرى. يجب تقديم بعض التنازلات التى تسمح ببداية انسحاب سريع للقوات البريطانية، وتحقيق ترتيب مناسب لإبقاء القاعدة. وللمساعدة فى هذه المشكلة - إذا أردت، وإذا كان ذلك مقبولا من المصريين - إننى مستعد لإرسال فنيين أمريكيين للاشتراك فى المحافظة على القاعدة.

الى جانب ذلك، هناك مشكلة تأكيد أن تكون القاعدة مستعدة وقت الحاجة. وانتظارا لمزيد من الترتيبات الرسمية، فإن مصر ممكن أن تتعهد أن القاعدة تكون جاهزة فى حالة الحرب للدول العربية وحلفائها؛ وذلك قد يفى بالغرض.

كذلك فإنه بعد التوقيع على الاتفاقية، ممكن أن يدعو نجيب الولايات المتحدة وبريطانيا للمساعدة فى تطوير الدفاع عن مصر، بما فيه تدريب وتسليح القوات المصرية. وهنا يمكن أن نتفاوض حول المتطلبات الدفاعية الرسمية للغرب، مع تقديم المساعدة لمصر " (٢).

Ibid.

(١)

(٢) خطاب من أيزنهاور الى تشيرشل، ١٢/٦/١٩٥٣، مرجع سابق، ص ص ٦٩ - ٧٠.

أثار هذا الخطاب غضب تشيرشل، وكان رده كالاتى: " لقد وافقنا مع ترومان ومعك أن نقدم عددا من التنازلات لوجهة النظر المصرية... وكنا نأمل فقط الحصول على التأييد المعنوى، ويكون الطريق مشتركا فى مواجهة " الدكتاتورىة المصرية "، ولكن بعد ذلك لم نحصل على تأييدكم بالرغم من التنازلات بعيدة المدى التى قمنا بها.

لقد تقدمنا وحدنا؛ والحكومة المصرية أوقفت المباحثات؛ ونحن مستعدون لاستئنافها إذا أبدو رغبة فى ذلك... وإذا قررت الولايات المتحدة التحول عنا؛ بالرغم من الاتفاق الذى توصلت اليه بعد

أن قدمنا تنازلات كبيرة؛ فإننا نعتقد أننا لم نعامل معاملة عادلة بواسطة حليفنا الكبرى، التي نعمل معها فى أجزاء كبيرة جدا من العالم؛ من أجل الأهداف التي نعتقد أنها سوية.

وإذا حدث نتيجة للتشجيع الأمريكى أو الوعد لمصر بتسليم أسلحة؛ أو يقوم نجيب بترجمة تهديداته الى عمل؛ ستكون النتيجة إراقة دماء الى مدى يصعب حسابه مسبقا (١) .

وكان من رأى أيزنهاور، "من مصلحتنا جميعا أن تستأنف المفاوضات فى القاهرة؛ على أن نتفق بوضوح حول أقل الأهداف التي نأمل أن نصل إليها. وأعتقد أن هذه الأهداف لن يرفضها المصريون؛ فتحذير دالاس للمصريين؛ أنهم لن يحصلوا على أسلحة طالما الطرفين لا يتفقان؛ نطمئنك (٢).

وقد احتج تشرشل على أيزنهاور بخصوص معلومات وصلته؛ فكتب.. " إننى قلق جدا من فكرة إعطاء مساعدة اقتصادية أمريكية لمصر، فى وقت خلافاتنا معهم حادة جدا. إن ذلك سيكون له تأثيرا سيئا فى هذا البلد بالنسبة للعلاقات البريطانية الأمريكية... إن حدود منطقة قناة السويس، تعكس نفس ظروف عدم الاستقرار واحتمالات الحرب مثل حدود كوريا... إننى أطلبك أن تفكر مليا فى هذا الاقتراح الخاص بمصر؛ مع الأخذ فى الاعتبار أن ذلك ليس فى مصلحتكم أو مصلحتنا. إننا لن نعطي مصر أية تنازلات بعد كل الذى فعلناه فى هذه المفاوضات الطويلة؛ والحرب قد تقوم فى أى لحظة (٣).

وبناء على ذلك منع أيزنهاور المعونة العسكرية عن مصر، وأخر المعونة الاقتصادية، التي كانت مقررة من قبل وموافق عليها من الكونجرس الأمريكى(٤)!

(١) المرجع السابق.

(٢) من أيزنهاور الى تشرشل، ١٧/٦/١٩٥٣، مرجع سابق، ص ٧٥.

(٣) من تشرشل الى أيزنهاور، ٢٠/١٢/١٩٥٣، المرجع سابق، ص ص ١١٤ - ١١٥.

(٤) من أيزنهاور الى تشرشل، ٢٠/١٢/١٩٥٣، المرجع سابق، ص ١١٦.

#### رابعا: المرحلة الثانية من المفاوضات:

لقد دخل ناصر هذه المرحلة من المفاوضات بالمنطق الآتى.. إننا أمام أحوال جديدة؛ القاعدة والعنصر الخارجى هو السياج الذى يحيط بمصر؛ ولا نستطيع أن نحقق التنمية أو أى شئ فى الداخل، بدون أن نخرج من هذه الحدود.

ما أهم شئ لنا؟ أن يبدأ نوع من الاتفاق؛ لكى تقل بمقداره قوة قاعدة قناة السويس، وبالتالي تقل قوة تنفيذ الخطة " روديو"، ويقل بمقداره الفعل الخارجى المباشر، وبذلك نستطيع المواجهة (١).

#### ١- المبادرة البريطانية باستئناف المفاوضات:

طلب السفير البريطانى فى القاهرة يوم ٩ يوليو ١٩٥٤ تحديد موعد عاجل لمقابلة ناصر، واقترح أن يكون فى اليوم التالى للأهمية. وفى الاجتماع الذى تم فى منزل كين بويد، دار الحوار كالتالى:

ستيفنسون: " إن الموقف فى ٥٣/١٠/٢١ عندما توقفت المباحثات، كان بسبب تصميم كل جانب على موقفه، ونحن الآن تواقين الى إنهاء الخلاف.

إن نقطتى الخلاف، وخصوصا نقطة الملابس العسكرية للفنيين، كان المقصود منها جعل القاعدة لها صفة الحربية، أما الآن فقد تنازلنا عن القاعدة العسكرية، وسيبقى فى منطقة القناة منشآت ضئيلة تحافظ عليها شركات مدنية.

أما عن نقطة الخلاف الثانية، فقد علمنا أنكم وافقتم على ضم تركيا للدول العربية، ونحن نرى أنه يحتمل إضافة إيران أيضا ". وكانت مصر قد رفضت الاقتراح البريطانى بصلاحيه القاعدة، فى حالة التوصية بذلك من الأمم المتحدة عن تهديد السلام أو الاخلال به أو أعمال العدوان.

ناصر: " إن الخلاف مازال قائما منذ أكتوبر ١٩٥٣، بل وزاد عليه إطالة مدة الجلاء ومدة الاتفاق! إن هذا المشروع الجديد يلزمه تعديلات كثيرة لكى يصلح أساسا للاتفاق.

---

(١) هيكىل ، مرجع سابق.

ستيفنسون: " إن الغرض من هذا الاتفاق هو أن تحدد مصر موقفها وتقف بجانب الدول الغربية؛ كما تقف ضد أى هجوم شيوعى على منطقة الشرق الأوسط؛ ولذلك وافقتم على ضم تركيا. وفى نفس الوقت يجب أن نظهر للرأى العام البريطانى أننا سنتعاون لمدة طويلة؛ وأن الجلاء الكامل ليس معناه انتهاء التعاون بين مصر وبريطانيا، وبالتالي بين مصر والعالم الحر؛ لذلك أرى أن تكون مدة الاتفاق طويلة، ولتكن ٢٠ - ٣٠ أو ٤٠ عاما. وبما أن القاعدة ستحتاج لمدنيين للإشراف على ما بها من منشآت؛ وأن هؤلاء المدنيين يحتاجون لفترة تدريب؛ لذلك نرى أن تكون مدة الجلاء سنتين بدلا من ١٥ شهرا".

ناصر: " كل هذه العوامل قد سبق بحثها؛ ورد عليها الجانب المصرى".



بنسون(١): " إن مدة ١٥ شهرا للجلاء غير كافية؛ إذ أن المشروع الجديد يرمى الى جلاء أشمل بكثير من المشروع السابق؛ ولذلك نرى أن تكون مدة الجلاء سنتين. كما يجب أن نطمئن بأن مصر منضمة للعالم الحر؛ ولذلك نرى أن تكون مدة الاتفاق طويلة".

ناصر: " ما هو المقصود من تصفية القاعدة؟"

الجانب البريطاني: "معنى ذلك أن نائب قائد القاعدة لن يكون له وجود؛ وسيترك فقط بعض المخازن؛ يكون بها احتياطي من المعدات وبعض الورش لإصلاح العربات؛ وإذا أردتم يمكن إصلاح السيارات المصرية فيها".

ناصر: " إن الخلاف مازال كما هو عليه منذ أكتوبر ١٩٥٣؛ بل وزاد عليه نقاطا كان قد اتفق عليها؛ وهى مدة الجلاء؛ ومدة الاتفاق".

الجانب البريطاني: "هل يرى السيد الرئيس أن هذا المشروع يصلح أساسا للاتفاق؟"

ناصر: " إنه يلزمه تعديلات كثيرة لكي يصلح أساسا للاتفاق".

بنسون: " إنكم كنتم تهتمون بمشكلة الملابس؛ ولذلك جعلنا القاعدة مدنية فى المشروع الجديد. وإنكم قبلتم أن تكون مدة الاتفاقية سبع سنوات؛ على أساس أن لبس الفنيين سيكون الزى العسكرى".

ناصر: " إننا لم نوافق بتاتا على أن تكون الملابس عسكرية!"

---

(١) الجنرال ادوارد بنسون، رئيس هيئة أركان حرب القوات البريطانية فى مصر.

ستيفنسون: " لقد تركنا فى المشروع مدة الاتفاقية بدون ذكر عدد السنوات؛ حتى نصل الى اتفاق بخصوصها.

ناصر: " إنكم أضفتم إيران فى المشروع الجديد؛ رغم انها استبعدت قبل ذلك" (١).

يتضح من هذه المقابلة التلهف البريطانى لعقد اجتماعات سريعة لإنهاء المفاوضات؛ وإرسال صورة عن الموقف للحكومة البريطانية قبل جلسة مجلس العموم فى ٢ يوليو ١٩٥٤؛ وإعلان الاتفاق على المبادئ الرئيسية للاتفاقية قبل ٢٣ يوليو.

## ٢- توقيع اتفاقية الجلاء:

وفى النهاية تم التوصل الى صيغة يقبلها المصريون؛ وتم التوقيع بالأحرف الأولى على الاتفاقية فى ٢٧ يوليو ١٩٥٤.

وعلى الفور وجه ناصر كلمة للشعب المصرى من الإذاعة المصرية؛ قال فيها: "إننا نعيش الآن لحظة مجيدة فى تاريخ وطننا؛ إننا نقف الآن على عتبة مرحلة حاسمة من مراحل كفاح شعبنا؛ لقد وضع الهدف الأكبر من أهداف الثورة منذ هذه اللحظة موضع التنفيذ الفعلى؛ فلقد وقعنا الآن بالأحرف الأولى اتفاقا ينهى الاحتلال، وينظم عملية جلاء القوات البريطانية عن أرض مصر الخالدة؛ وبذلك تخلص أرض الوطن لأبنائه شريفة عزيزة منيعة، بعد أن قاست ٧٢ عاما مريرة حزينة".

كما قال فى وفود المهنيين بتوقيع الاتفاقية فى ٢٨ يوليو ١٩٥٤: "إن هذه الاتفاقية تحقق جزءا كبيرا من أهداف الوطن؛ ولا يوجد فيها تحالف عسكرى أو دفاع مشترك أو أى مساس بحقوقنا؛ ولأول مرة فى التاريخ توافق بريطانيا أن تخرج جميع قواتها المسلحة من مصر".  
وأخيرا وبعد ١٥ شهرا من المفاوضات الصعبة وقع ناصر مع بعض أعضاء "مجلس قيادة الثورة" على الصورة النهائية للاتفاقية فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤، وقد مثل الجانب البريطانى أنتونى ناتنج ورالف ستيفنسون وإدوارد بنسون.

---

(١) مذكرة من مكتب الرئيس ناصر؛ مقابلة فى منزل كين بون بالقاهرة، ١٠/٧/١٩٥٣.

وتتضمن الاتفاقية ما يلي:

١- تجلو القوات البريطانية جلاء تاما من الأراضي المصرية خلال فترة ٢٠ شهرا من تاريخ التوقيع على الاتفاق.

٢- تعلن حكومة المملكة المتحدة انقضاء معاهدة التحالف، الموقع عليها في لندن في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦.

٣- تبقى أجزاء من قاعدة قناة السويس الحالية في حالة صالحة للاستعمال.

٤- في حالة وقوع هجوم مسلح من دولة من الخارج على أى بلد، يكون عند توقيع هذا الاتفاق طرفا في معاهدة الدفاع المشترك بين دول الجامعة العربية، الموقع عليها في القاهرة في ١٣ ابريل ١٩٥٠، أو على تركيا، تقدم مصر للمملكة المتحدة من التسهيلات ما يكون لازما لتهيئة القاعدة للحرب، وإدارتها إدارة فعالة، وتتضمن هذه التسهيلات استخدام الموانئ المصرية في حدود ما تقتضيه الضرورة القصوى.

٥- في حالة عودة القوات البريطانية الى منطقة قاعدة قناة السويس، تجلو هذه القوات فورا بمجرد وقف القتال.

٦- تقدم حكومة جمهورية مصر تسهيلات مرور الطائرات، وكذا النزول وخدمات الطيران المتعلقة برحلات الطائرات البريطانية التي يتم الإخطار عنها، ويكون ذلك في المطارات المصرية في منطقة قاعدة قناة السويس.

٧- تقر الحكومتان المتعاقدتان أن قناة السويس - التي هي جزء لا يتجزأ من مصر - طريق مائي له أهميته الدولية، وتعربان عن تصميمهما على احترام الاتفاقية التي تكفل حرية الملاحة في القناة، الموقعة في القسطنطينية في ٢٩/١٠/١٨٨٨.

٨- يظل هذا الاتفاق نافذا مدة ٧ سنوات من تاريخ توقيعه، ما لم تتفق الحكومتان المتعاقدتان على مده.

خامسا: ردود فعل توقيع الاتفاقية:

تباينت ردود الفعل للاتفاقية المصرية البريطانية؛ فبينما اعتبرتها مصر نصرا كبيرا كافح من أجله المصريون وضحوا منذ الاحتلال البريطانى فى ١٨٨٢، كانت الاتفاقية من وجهة النظر البريطانية هزيمة وتراجع فى استراتيجيتهم فى الشرق الأوسط؛ لأنهم تخلوا عن أكبر قاعدة عسكرية لهم - ٨٠,٠٠٠ جندى؛ ومنشآت ضخمة تساوى ملايين - وموقع استراتيجى لا يضاهى.

## ١- الجانب البريطانى:

أصبح على الحكومة البريطانية أن تقنع مجلس العموم والرأى العام البريطانى بهذه الخطوة. وأقيم الجدل حول عدة اعتبارات؛ أولها ما طرحه أنتونى هيد - وزير الحرب البريطانى- من أن الأسلحة النووية جعلت قدرة بريطانيا على اعداد القوات المسلحة خلف البحار محدودة؛ لذلك فان التخفيض فى القوات يتناسب مع تناقص احتمالات الحملات العسكرية على نطاق واسع من الشرق الأوسط.

بعد دخول تركيا الناتو وتسليحها؛ زاد دورها فى الدفاع عن الشرق الأوسط؛ وعلى ذلك تبدو القاعدة فى مصر بعيدة عن المنطقة المنتظر الحرب فيها. كذلك فان قاعدة قناة السويس لن تكون مفيدة لبريطانيا فى السلم أو الحرب مع مصر العدائية. فإذا لم تتواجد روح أحسن، ومزيد من التعاون فى مصر؛ لا يمكن أن تتوقع بريطانيا أن تحصل على أى مميزات من هذه التسهيلات. وأن حجم القوات البريطانية الموجودة فى منطقة القناة مبالغ فيه، ويجب أن تحرر لتقليل الالتزامات تجاهها.

إن هذا التحليل يقود الى الآتى: ممكن أن تتجه بريطانيا الى الاحتفاظ بقاعدة أصغر. ويجب فى نفس الوقت أن تهدف بريطانيا لتعاون أفضل مع مصر، وتحقيق احتياطى استراتيجى من القوات التى تسحب من منطقة القناة.

ثم استعرض هيد الجديد فى أسس الاتفاقية.. أن هذه القاعدة المخفضة يديرها فنيون مدنيون بريطانيون. ولقد كان الهدف فى المناقشات السابقة احتفاظ بريطانيا بـ ٤٠٠٠ من الفنيين العسكريين، وفى هذه الاتفاقية يكون الاحتفاظ بالفنيين والمنشآت والمخازن بأقل قوة.

وفىما يتعلق بمدى الاتفاقية فهى ٧ سنوات، والبعض كان يفضل ٢٠ سنة أو أكثر؛ وآخرون لا يرون أنها تساوى الورق الذى كتبت عليه! ولكن الاعتبار الأساسى هنا استراتيجيا هو علاقة بريطانيا بالشعب المصرى وبالحكومة المصرية فى المستقبل.

وانتقد هيد الحكومة المصرية؛ فمنذ أن وصلت الى السلطة، كان لهم هدفا واحدا فقط؛ هذا الهدف هو البريطانيين؛ " ليخرج البريطانيون من مصر!" كان صيحتهم؛ والآن هذا الهدف قد تحقق.

وجرت مناقشة فى مجلس العموم انتقدت المنطق الاستراتيجى الذى عرضه هيد؛ كما انتقدت الاتفاقية بشدة، ووصف ناصر لسنوات الاحتلال البريطانى؛ إنها " ٧٢ سنة من الماراة "! وأكد تشرشل فى نهاية الأمر استحالة أن تكون لبريطانيا قاعدة وسط سكان معادين، ولا توجد بدائل، " فقد ذهب اليوم الذى كنا نضع فيه قواعد فى أراضي شعوب أخرى؛ عندما تكون الشعوب رافضة لها "!

وإجابة عن السؤال.. ماهو الوضع لو نُقضت هذه الاتفاقية؟  
قال تشرشل: "يجب التهديد بغزو مصر؛ وإلا سنكون بتوقيعها نفتح قبر العظمة البريطانية"(١).

## ٢- الجانب المصرى:

### أ- الاحتفالات والمعارضة:

اعتبر ناصر التوقيع على اتفاقية الجلاء بداية مسئوليات جديدة على عاتق مصر.. " فعليها أن تتسق التعاون بينها وبين الدول العربية، وتعزز هذا التعاون بحيث تصبح الوحدة العربية حقيقة واقعة، وتثبت دعائم الوطن العربى. وكذلك سيصبح على مصر أن تتسق تعاونها مع دول العالم الاسلامى؛ حتى تتكون من مجموعات هذه الدول - عربية وإسلامية - كتلة تستطيع أن تواجه الخطر، وأن تحمى مصالحها، متعاونة متأزرة. هذا فضلا عما يعرضه علينا الاتفاق من دراسة مركزنا فى القارة الإفريقية؛ ووضع الأسس التى تحافظ على أثرنا فى هذه القارة ".  
ومضى ناصر يشرح الاتفاقية للشعب، ويوضح مزاياها؛ فالقوات البريطانية ستجلى جلاء كاملا عن مصر، وفى خلال ٢٠ شهرا لن يكون هناك عسكري انجليزى فى هذا البلد. وقد اعترفت بريطانيا بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وملاحقتها، التى كانت تحقق تحالفا أبديا بين البلدين.

---

Commons sitting, 29-7-54.

(١)

وشرح ناصر الوضع بالنسبة لمنشآت القاعدة، والخبراء البريطانيين الذين يخضعون للقوات المصرية. أما بالنسبة لإعادة استخدام القاعدة خلال مدة الاتفاقية - سبع سنوات - فهى لدول ميثاق الضمان الجماعى العربى أو تركيا، والمهم هنا ألا يكون التزاما أبديا.

ويستطرد ناصر في تفسير الاتفاقية موضحا مزاياها بالنسبة لمصر؛ فالمادة المتعلقة بقناة السويس، تثبت حقوق مصر فيها، طبقا لاتفاقية ١٨٨٨. وقد وضعت مصر يدها على ٣٣ منشأة، ومعدات تساوى ٣٢ مليون جنيه، ١٠ مطارات كاملة، وخط أنابيب البترول من السويس الى القاهرة، الذى كانوا يتحكمون فيه، بالإضافة الى ٤ مخازن البترول الموجودة فى بورسعيد، ثم عدد من المنشآت والمعسكرات. ولا شئ يدخل القاعدة بدون أن يمر على السلطات المصرية ويخضع للتفتيش.

إن القائد المصرى فى القاعدة هو الذى له السلطة العليا، والجيش المصرى فى القاعدة هو السلطة العسكرية الوحيدة التى ستكون هناك. القاعدة ستكون مصرية، لأن المنطقة من السويس لبورسعيد ستكون لمصر. إن الاتفاقية خطوة كبرى تخلصنا بها من الاحتلال (١).

وقد كان من الطبيعى أن يبتهج الشعب المصرى فرحا بهذه الاتفاقية بعد مفاوضات طال منذ عهد ملنر.

وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦ توج كفاح الشعب المصرى بخروج آخر جندى بريطانى من مصر، ورفع ناصر العلم المصرى فوق أرض بورسعيد؛ وقال فى اليوم التالى: " أمس حينما ارتفع العلم المصرى يرفرف فوق أرض الوطن، لن ننظر للخلف، بل الى الأمام، الى الأمانى الجديدة. إننا اليوم نسود فى وطننا لأول مرة منذ زمن طويل...

لقد قاومنا وكافحنا وقاتلنا من أجل هذا اليوم - ١٨ يونيو - من أجل الجلاء والعزة والحرية والكرامة والاستقلال. اليوم نبدأ حياة جديدة، ننسى ما مضى وننظر للمستقبل... وإن سياستنا؛ سنعدى من يعادينا ونسالم من يسالمننا" (٢).

ويعلن ناصر إنهاء الاحكام العرفية التى قامت فى ٣ سبتمبر ١٩٣٩، مع بداية الحرب العالمية الثانية.

---

(١) خطاب ناصر فى مؤتمر الموظفين، ٢١/١٠/١٩٥٤.

(٢) حديث الى وكالة الانباء المصرية، ١٩/١٠/١٩٥٤.

ولكن على الجانب المصرى، لم تستقبل اتفاقية الجلاء فقط بالأفراح والاحتفالات، وإنما كان هناك طرف رافض للاتفاقية، وعاجز عن أن يسيطر على النظام الثورى، يدبر فى الظلام مؤامرة للقضاء عليه؛ إنها جماعة الاخوان المسلمين.

وفى ٢٦ اكتوبر ١٩٥٤ فى مؤتمر شعبى بالإسكندرية، احتشد فيه ربع مليون مواطن، مضى ناصر يتحدث عن الاتفاقية للشعب، وانطلق من ميدان الإسكندرية قائلا: " احتفل معكم اليوم

بعيد الجلاء وبعيد الحرية، بعيد العزة وبعيد الكرامة.."، وفجأة دوت ثمانى رصاصات متتالية تجاه ناصر. وبعد فترة من الفوضى سُمع صوته يخاطب الجماهير.. " فليبق كل فى مكانه.. أيها الرجال فليبق كل فى مكانه.. دمي فداء لكم .. حياتي فداء لكم.. دمي فداء مصر.. حياتي فداء مصر..".

لقد كان رد فعل هذه المؤامرة الدنيئة على عكس ما أراد مدبروها، فقد التف الشعب حول ناصر أكثر فأكثر، وفى اليوم التالى أشعلت الجماهير النيران فى المركز العام للاخوان المسلمين، وانهالت التهاني بالنجاة، وكتبت المقالات تستنكر حادث الاغتيال، والتف الجيش حول قائده، وتجمعوا لاستقباله فى بيعة جديدة له، ولقيادة الثورة.

وقال ناصر فى خطاب بعد ثلاثة أيام من حادث المنشية - كما أطلق عليه - " كنت أعلم أن الهضيبي - [ المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين ] - قد اختفى، وأنه من مخبئه أعلن الجهاد، ضد من؟ ضد الثورة ورجالها!... إن الحرية التى حصلنا عليها لا يمكن أن تعيش طالما كان هناك تضليل، وطالما كان هناك رصاص، وطالما كانت هناك جماعات سرية. ولهذا يجب أن يزول الارهاب، ويجب أن تزول الجمعيات السرية، ويجب أن يزول الضلال ولو كان تحت اسم الاسلام من أجل مصر، يجب أن نسير فى طريقنا محطمين الرجعية والإرهاب، وإذا لم تستطع الثورة أن تصير بيضاء، فإنها تصير ثورة حمراء، ولا تصير ثورة عرجاء".

وبعد أن اتضحت العلاقة بين الرئيس محمد نجيب وال الإخوان المسلمين، أصدر " مجلس قيادة الثورة" فى ١٤ نوفمبر ١٩٥٤ قرارا بإعفاء اللواء محمد نجيب من جميع المناصب التى يشغلها.

### ب- الرفض النهائى لمشروع الدفاع عن الشرق الأوسط:

منذ بدأت المفاوضات فى ٢٧ ابريل ١٩٥٣، عرض البريطانيون دخول مصر فى مشروع غربى للدفاع عن الشرق الأوسط ضد الخطر الشيوعى؛ كبديل للقاعدة البريطانية فى قناة السويس بعد الجلاء.

ولقد كان ناصر واضحا وقاطعا فى هذه المفاوضات؛ بأن مصر ترفض الدخول فى منطقة الدفاع عن الشرق الأوسط؛ لأنها تهدد حريتها واستقلالها.

وعندما قطعت المفاوضات وقدم دالاس الى مصر للتوسط فى هذه الظروف، كان محور حديثه الأول - كما رأينا - محاولة اقناع ناصر بأهمية هذه المنظمة الدفاعية الغربية.

ولكن ناصر كرر أكثر من المرة أن الخطر الحالى يأتى من جانب بريطانيا، أما الخطر السوفيتى المزعوم فهو بعيد آلاف الاميال. كذلك عرض أن تقوم الدول العربية، من خلال اتفاقية

التضامن الجماعى والجامعة العربية، بالدفاع عن نفسها، بدون انضمام دول كبرى تفرض سياساتها ومصالحها.

وفى هذا الاطار عقد اجتماع رؤساء حكومات الدول العربية الموقعة على ميثاق الضمان الجماعى فى القاهرة فى ٢٢ يناير ١٩٥٥، وأقرت الدول العربية المشتركة عدم الانضمام الى الحلف العراقى التركى المزمع عقده، تنفيذًا للخطة الغربية للدفاع عن الشرق الأوسط. وتم التأكيد على ضرورة العمل على وضع معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى موضع التنفيذ، وإنشاء قيادة مشتركة مستديمة، لها مقر رئيسى، وتخضع لمجلس الدفاع المشترك. وفى النهاية أقر المؤتمر تركيز السياسه الخارجية للدول العربية على ميثاق الجامعة العربية، ومعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى، وعلى ميثاق الأمم المتحدة، ولا تعقد أى أحلاف خارج نطاق الجامعة العربية. كما حذر المؤتمر من موقف تركيا التى تعمل على بسط نفوذها على الشرق الأوسط، وبوادر التعاون بينها وبين اسرائيل.

وفى اليوم التالى لانعقاد مؤتمر حكومات الدول العربية الموقعة على ميثاق الضمان الجماعى، تم اخطار مصر من جانب تركيا بنتائج اجتماع نورى السعيد - رئيس وزراء العراق - وعدنان مندريس، رئيس وزراء تركيا.

لقد اتفقت الدولتان على توقيع ميثاق للدفاع، يشمل تبادل الرجال والعتاد فى حالة الهجوم على أى منهما من الجانب الشيوعى أو من اسرائيل، وأن تركيا والعراق ستسعيان لكى تصبح مصر طرفا فى هذا الاتفاق، وكذلك ستتصلان بسوريا وايران وباكستان لنفس الغرض.

والجدير بالإشارة هنا أن المادة ١٠ من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين الدول العربية، تعهدت الدول بمقتضاها بألا تعقد أى اتفاق دولى يناقضها!



### الفصل الثالث

#### منظمات الدفاع الاقليمي والتسلح والدعوة للحياذ الايجابى

أولاً: مصر ترفض الأحلاف :

منذ بداية التفاوض حول الجلاء فى عام ١٩٥٣، ومصر ترفض شروط بريطانيا وأمريكا للانضمام الى منظمة دفاعية عن الشرق الأوسط، تحل محل قاعدة قناة السويس. وقد اشتركت الولايات المتحدة مع بريطانيا فى الضغط على مصر من أجل تحقيق هذا الغرض، وربط حلف الشرق الأوسط بحلف الأطلنطى.

وفى نفس الوقت طالب نظام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ منذ قيامها، كل من بريطانيا والولايات المتحدة ببيع السلاح لمصر، ولكن بلا جدوى، بل ازداد الضغط عليها. وقدم دالاس الى القاهرة فى مايو ١٩٥٣ (١)، وقابل ناصر، الذى قال له صراحة: " نحن لا نوافق عن الأحلاف". ورأى دالاس: بعد أن تجول فى المنطقة العربية، أن هناك استعداد لقيام نظام للأمن الجماعى فى الشرق الأوسط، ولكن هذا النظام لا يمكن أن يفرض فرضاً من الخارج، بل يجب أن يرسم وينمو من الداخل، طبعاً حتى لا تسقطه الجماهير العربية (٢).

وقد صدر بعد ذلك البيان التركى - العراقى فى يناير ١٩٥٥، وكان من الواضح أنه تنفيذاً لفكرة دالاس.

وقبل اجتماع عدنان مندريس - رئيس وزراء تركيا - بنورى السعيد - رئيس وزراء العراق - سافر صلاح سالم، وقابله لاقناعه بالمحافظة على وحدة العرب. وقد حدد ناصر سياسة مصر؛ أن مصلحة الأمة العربية لا تتحقق إلا برفض الأحلاف والتكتلات، وتوحيد السياسة العربية الخارجية فى كل ما يمس حاضر الشعوب العربية ومستقبلها، وتحويل الضمان الجماعى العربى الى حقيقة واقعة، وتدعيم الجامعة العربية.

وعد نورى السعيد بالحضور الى القاهرة، وفعلاً تم ذلك فى أغسطس ١٩٥٤، ويقول ناصر: "وبدأت المباحثات، وكان كلامى معه منصب على تقوية ميثاق الضمان الجماعى العربى؛ الذى هو الدفاع المشترك العربى، الذى كان حبراً على ورق!

(١) زيارة دالاس، ص ... من الكتاب.

(٢) خطاب لناصر فى عيد الوحدة، من جامعة القاهرة، ٢٢/٢/٦٦.

كان رد نوري السعيد بكل بساطة.. " أرى أن تستدعي سفيرى بريطانيا وأمريكا، ونقول لهما: إننا نريد أن نقوى ميثاق الضمان الجماعى، فما هى الوسائل؟! وماهى اقتراحاتكم؟! " اعترضت طبعا على هذا الاقتراح، وفوجئت من السهولة التى تكلم بها نوري السعيد بهذه الطريقة. ثم طلب أن نضم باكستان الى التضامن الجماعى العربى؛ فرفضنا على أساس أن باكستان متحالفة مع بريطانيا والغرب. واقترح ضم تركيا؛ فرفضنا على أساس أن تركيا عضو فى حلف الأطلنطى. فما كان من نوري السعيد إلا أن قال: " نتحالف مع الذين ينجدوننا؛ نتحالف مع الأمريكان، ومع الانجليز، لا داعى لفرنسا؛ نعمل تحالف مع أمريكا وانجلترا وإيران وباكستان، ومعهم كلهم نوسع ميثاق الضمان الجماعى. ويهمنى أن نضمن أن الغرب يسلحنا بسبب اسرائيل، ونكون عمليين "

وقال: " إن القومية العربية التى نتكلم عليها غير عملية، هى إيه الأردن؟! وإيه هى سوريا؟! ومن هم العرب؟! " إنه لا يؤمن أبدا بالكلام الذى نتكلم به، ولا بميثاق الضمان الجماعى العربى، إنه يحب أن يعمل حلفا مع أمريكا وبريطانيا وتركيا وإيران وباكستان! وبهذا كشف نوري السعيد فى أغسطس ١٩٥٤ عن الخطة المرتبة كلها، وحدد الدول التى ستشترك، ونصحنى بالانضمام للحلف!"

فى ٢٤ فبراير ١٩٥٥ تم توقيع الميثاق التركى - العراقى؛ وبذلك بدأت أول خطوة لربط العالم العربى بالدفاع الغربى، وطبعا باركت الولايات المتحدة الحلف فى بيان رسمى. ثم عقدت بريطانيا اتفاقية خاصة مع العراق، حلت محل معاهدة التحالف سنة ١٩٣٠، وانضمت الى الميثاق، وسموه حلف بغداد، لماذا؟ حتى يأخذ الطابع العربى، الذى قال عليه دالاس: " النمو من الداخل!" " بعد ذلك ماذا حدث؟ بدأ الضغط على الدول العربية للدخول فى الحلف؛ خصوصا سوريا والأردن ولبنان، وبدأ الضغط على مصر حتى لا تقاوم الحلف. وكان لمصر بعثه فى بريطانيا ذهبت لتحضر سلاحا، فقالو لهم صراحة: إننا لن نعطيكم سلاحا، طالما القاهرة تقاوم حلف بغداد"(١)!

(١) المرجع السابق.

انضمت إيران وباكستان بعد ذلك للحلف، وبدأت المؤامرات ضد سوريا حتى تدخل الحلف، ولكنها لم تجدى. وأيضا حدثت ضغوط على الأردن للانضمام وذهب الجنرال تمبلر (١) فى ديسمبر

١٩٥٥ الى عمان، ولكنه خرج مهزوما. وبعد ذلك أصبحت الولايات المتحدة عضوا مراقبا في الحلف.

وفي ٣٠ مارس ١٩٥٥ ألقى ايدن بيانا في مجلس العموم البريطاني، قال فيه: " لقد وصلنا بموجب هذا الاتفاق الى مرحلة استطعنا أن نضع فيها نظاما يصح أن يكون أساسا لتنظيم الدفاع عن الشرق الأوسط؛ وبهذا عززنا نفوذنا ورفعنا صوتنا في شئون الشرق الأوسط؛ وإنى أوافق على أى تكتل يؤدي الى زيادة نفوذ بلادى!"

ويقول ناصر: " إذن الهدف هو وضع البلاد العربية داخل مناطق النفوذ؛ لأن تركيا وإيران وباكستان موجودة في أحلاف مع بريطانيا وأمريكا ."

وقال أنتوني ناتج - وزير الدولة للشئون الخارجية - في مجلس العموم البريطاني، في ١٤ ابريل ١٩٥٥: " كانت السياسة البريطانية ترمى منذ أمد طويل الى تأسيس وسائل دفاعية فعالة في الشرق الأوسط، وقد أضاف استثمار البترول عاملا مهما الى ضرورة تأمين وسائل دفاعية كافية وفعالة في هذه المنطقة؛ وهذا ما فعلناه باتفاقنا الجديد مع العراق، وانضمامنا الى الميثاق التركي - العراقي "، الذي سمي بعد ذلك بحلف بغداد"(٢).

ويقول ناصر: " إن ضغط الغرب على دول عربية أخرى للانضمام لحلف بغداد؛ يمثل سياسة تعنى عزل مصر عن شقيقاتها الدول العربية، وتقريب الدول العربية والحد من استقلالها... إن نظام الأحلاف قد انتهى، وإن الشعوب لن تقبل اليوم أى نوع من الحماية أو السيطرة... إنى أرى أن الغرب يجب أن يغير أفكاره، وإذا أصر على الاحتفاظ بالبترول ومناطق النفوذ، أى القواعد العسكرية والجنود والأفكار الاستعمارية القديمة؛ فان ذلك سيؤدى الى كارثة! إن الطريقة الوحيدة للحصول على صداقة الدول العربية؛ هو إقامة دفاعها على نظام الأمن الجماعى العربى الخالص، الذى وضعته الجامعة العربية، بدون الارتباط بأى حلف أجنبى"(٣).

---

(١) الجنرال تمبلر، رئيس أركان حرب الامبراطورية البريطانية.

(٢) المرجع السابق.

(٣) حديث ناصر مع صنداي تايمز، ٢٥/٣/١٩٥٦.

وقد تعهد ناصر أمام ضباط الجيش، في ١٥ ابريل ١٩٥٦ .. " أعلن باسم القوات المسلحة وباسم شعب مصر.. أننا لن نكون أبدا منطقة نفوذ لأحد، وأننا لن نتلقى أوامر من أحد، ولكننا سنسير قدما الى الأمام؛ من أجل مصلحة مصر ومن أجل عزة مصر، ليس لنا من سبيل إلا سياسة حرة مستقلة؛ تنبعث من ضمير هذا الشعب ومصلحته ."

## ثانيا: الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية:

بدأت فى أول مايو ١٩٥٣ فى عزبة بنى عامر قرب رفح؛ مما أسفر عن مقتل ٨ وأسر الباقين، ثم توالى تلك الاعتداءات على خان يونس، وعلى اللاجئين العرب فى معسكر البوريح، فقتل ١٥ لاجئا.

وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٣ اعتدت القوات الاسرائيلية على منطقة العوجة المنزوعة السلاح بجوار الحدود المصرية، واحتلت أجزاء منها. وقد احتجت مصر رسميا لدى مجلس الأمن على هذا العدوان، فقدمت اسرائيل شكوى ضد مصر فى مجلس الأمن بخصوص ادعائها بالحق فى المرور فى قناة السويس.

وقد تكررت الحوادث على الحدود المصرية، فكتب ناصر بخطه، بعد العدوان الاسرائيلي الواسع على الحدود المصريه فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥.. " دأبت اسرائيل على الاشتباك مع المواقع المصرية بالأسلحة الصغيرة، وقد تطور الاشتباك الأخير، إذ اشتركت المدفعية الاسرائيلية بقصف المواقع المصرية، كما ضربت بلدة دير البلح، ثم ضربت غزة وخان يونس وعسبان. وقد ردت المدفعية المصرية بضرب المستعمرات الاسرائيلية كيسونيم وعين هالشوشه ونور عبيد. وقد وقعت خسائر فى المدنيين ٤٢ قتلى، ١٠٣ جرحى " (١).

ثم قال: " إننا بعد حادث ٢٨ فبراير، وبعد اعتداء اسرائيل على غزة، سندافع عن أنفسنا وعن كرامتنا وعن أبنائنا لآخر قطرة (٢).

وقد قدمت مصر شكوى الى لجنة الهدنة من اعتداء اسرائيل على غزة ...  
وقد اصدرت لجنة الهدنه قرارات بهذا الشأن.

---

(١) من أوراق ناصر الخاصة.

(٢) غزة كانت تحت الادارة المصرية، من خطاب ناصر فى الفيوم، ٥٥/٧/٦.

وعقب اجتماع ناصر بالجنرال بيرنز - كبير المراقبين الدوليين في فلسطين - أدلى بتصريحات حول موقف مصر الراض لأى محاولة تقوم بها اسرائيل للاستيلاء على قطاع غزة. وقد اقترح ناصر إقامة منطقة محايدة منزوعة السلاح على طول جانبى خط الهدنة بين مصر واسرائيل. وقد وجهه همرشولد رسالة الى كل من ناصر وشاريت فى ٦ يونيو ١٩٥٥؛ مناشدا الطرفين بوجود عدم القيام بأى عمل قد يزيد من حدة التوتر فى الشرق الأوسط.

وقد أدى هذا العدوان الى ردود فعل عربية واسلامية مؤيدة لموقف ناصر؛ باستئناف مصر الحرب ضد اسرائيل إذا حاولت الاستيلاء على قطاع غزة.

ولم تتوقف الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود، فى ٢٢ أغسطس ١٩٥٥ قامت قوة اسرائيلية بالهجوم على أحد المواقع المصرية فى قطاع غزة، وقد تمكنت القوات المصرية المرابطة بالقطاع من رد الهجوم.

وبعدها أخطر ناصر الجنرال بيرنز أثناء مقابلته له، بأن مصر لن تشترك بعد ذلك فى المباحثات التى دعى اليها، وأنها قررت الانسحاب منها.

كل ذلك لم يردع اسرائيل، فى ٢٦ أغسطس ١٩٥٥ اخترقت اسرائيل خط الهدنة مرتين، والقوات المصرية تصدت لها. وفى ٢١ سبتمبر ١٩٥٥ هاجمت اسرائيل منطقة العوجة منزوعة السلاح مرة أخرى، واخرقت خط الهدنة، وألقت القبض على مندوب الأمم المتحدة! وفى المقابل احتلت القوات المصرية ميل مربع من الأراضى الاسرائيلية فى منطقة تيرانا، وتغلغت فى أراضى اسرائيل.

وفى ٢ نوفمبر ١٩٥٥ قامت القوات الاسرائيلية بهجوم على المواقع المصرية بمنطقة صبحة جنوبى العوجة، القريبه من حدود مصر مع اسرائيل، وقتلوا ٥٠ مصرى، وأخذوا ٤٠ أسرى، وقتل لهم ٤ و ١٩ جرحى. وقد أعلنت سوريا فوراً استعدادها لاتخاذ اجراء حاسم ضد العدوان الاسرائيلى على القوات المصرية؛ تنفيذا للاتفاق العسكرى بين البلدين الموقع فى أكتوبر ١٩٥٥.

وهنا يثور التساؤل.. ماهى أسباب هذه السلسلة المتكررة من الاعتداءات الاسرائيليه على الحدود المصرية، التى بدأت بعد عشرة أشهر من قيام الثورة المصرية، والتى تزامنت مع مفاوضات الجلاء، بل وبعد التوقيع على الاتفاقية المصرية البريطانية؟

لقد كتب ناصر بخط يده، بعد تكرار الاعتداءات الاسرائيلية على الحدود المصرية:

اسرائيل: ١- يكون جيش سرى لتحرير فلسطين. ٢- يعمل معسكر تدريب سرى. ٣- البحث عن قيادات لجيش التحرير. ٤- يتكون أساسا من الفلسطينيين. ٥- يتكون فرع فى القيادة لهذا العمل. ٦- يجب الاتصال بالعرب فى داخل اسرائيل. ٧- يشمل فروع فى غزة وسوريا ولبنان والأردن واسرائيل. ٨- يفتح اعتماد لهذا الغرض. ٩- يتولى الأمر كمال رفعت.

كما كتب ناصر أيضا.. معلومات كاملة عن اسرائيل، خصوصا النقب.

### ثالثا: صفقة الأسلحة التشيكية:

شغلت قضية امداد مصر بالسلاح اهتمام ناصر منذ قيام الثورة، وقد ناقش هذا الموضوع مع البريطانيين منذ البداية. ولما لم يكن هناك تجاوبا، اتصل بالأمريكان الذين فتحوا الباب للنقاش، ثم رفضوا تحت ضغط تشرشل شخصيا!

وعاد ناصر يناقش الموضوع مرة أخرى، ضمن إطار ترتيبات الدفاع بواسطة المصريين في قاعدة قناة السويس، ولكن بلا نتيجة.

ومن جانب آخر قوت التهديدات الاسرائيلية من عزم القيادة المصرية للحصول على السلاح للدفاع عن حدود مصر، خاصة حين أصبح معروفا أن اسرائيل قد حصلت على السلاح من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة. وقد شددت القيادة المصرية من حملتها السياسية للحصول على السلاح من الولايات المتحدة. ورغم تعاطف وكالة المخابرات الأمريكية مع مطالب مصر(١)، إلا أنها لم تحصل على أى مساعدة عسكرية أمريكية.

### ١- قصة السعى لتسليح مصر:

ويحكى ناصر قصة تسليح الجيش المصرى فى هذه الفترة.. " لقد كان الهدف الخامس للثورة هو إقامة جيش وطنى قوى ، وقد قابلنا صعابا كثيرة من أجل تحقيق هذا الهدف... إن الأسلحة الثقيلة تتحكم فيها الأمم الكبرى، وهى لن ترضى أبدا أن تمون الجيش بالأسلحة الثقيلة إلا بشروط، وقد رفضناها؛ لأننا نحرص على الحرية الحقيقية وعلى السياسة المستقلة.

لقد حاولنا طوال السنوات الثلاثة الماضية أن نسلح الجيش بأسلحة ثقيلة بكل وسيلة، لا بغرض العدوان، ولكن بغرض الدفاع والأمن والسلام... لقد اتجهنا الى كل الدول من أجل تسليح هذا الجيش؛ اتجهنا الى انجلترا، فرنسا، أمريكا، وياقى الدول، فماذا أخذنا؟! لم نأخذ إلا مطالبات، وأن نوقع على موثيق! وقد أعلننا أننا لن نوقع على وثيقة أبدا، وأنها لن نسلح الجيش على حساب استقلالنا. وطلبنا السلاح، فماذا كانت النتيجة؟!...

أن فرنسا كانت تساو منا دائما على شمال إفريقيا، وتقول لنا إننا نعطيكم السلاح على شرط ألا تنتقدوا موقفنا فى شمال إفريقيا؛ يريدون أن نرى المذابح هناك، ونسكت! وكنت دائما أهدد بقطع السلاح، مع تموين اسرائيل به.

---

(١) محمد عبد الوهاب، عبد الناصر والسياسة الخارجية الأمريكية، ١٩٥٢-١٩٥٦، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٦، ص١٦٧.

وأمریکا.. منذ قامت الثورة ونحن نطالب بالسلاح، ونوعد به، وماذا كانت النتيجة؟! كانت الوعود مربوطة بشروط: نأخذ السلاح على أساس أن نوقع على ميثاق أمن متبادل؛ أى أن نوقع على حلف من الأحلاف! ورفضنا... ولم نستطع أن نأخذ من أمريكا قطعة سلاح واحدة!

وانجلترا.. كانت تقول لنا: انها تستعد لتمويننا بالسلاح، وماذا كانت النتيجة؟! لقد مونتنا بكميات من السلاح لا تحقق هدفنا، وكان الجيش المعادى لنا يمون بالأسلحة من دول متعددة فى العالم. وكنا نقرأ فى الصحف الأجنبية أن جيش اسرائيل يستطيع أن يهزم الجيوش العربية مجتمعة! وحينما رأينا هذا التحكم ، قررنا أن نطالب جميع دول العالم بأن تمدنا بالسلاح، بلا قيد أو شرط. قدمت هذا الى أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وتشيكوسلوفاكيا.. الخ، وانتظرت الرد، فماذا كانت النتيجة؟!

وصلنا رد على هذا الطلب من حكومة تشيكوسلوفاكيا تقول فيه : إنها مستعدة أن تموننا بالسلاح حسب حاجتنا؛ على أساس تجارى بحت. قبلنا فى الحال هذا الاتفاق، ووقعت مصر قبل أسبوع اتفاقية تجارية مع تشيكوسلوفاكيا من أجل تمويننا بالسلاح. هذه الاتفاقية تسمح لمصر بأن تدفع الثمن بمنتجات مصرية؛ مثل القطن والأرز " (١).

ويقول ناصر لمجلة لايف الأمريكية: " إن شراء الأسلحة من دول الكتلة السوفيتية للجيش المصرى كانت فكرتى. لقد ترددت نحو شهرين، ولكن أخيرا استدعيت دانييل سولود - السفير السوفيتى فى القاهرة - وطلبت منه أن يبيعنا أسلحة، وقد قيل الطلب ". وأكد ناصر أنه " ليس فى مصر أى خبراء من الروس أو التشيك، ولقد أوفدنا رجالنا الى تشيكوسلوفاكيا للتدريب، وقد عاد بعضهم الى مصر، وشرعوا فى تدريب الآخرين " (٢).

---

(١) كلمة ناصر فى معرض للقوات المسلحة بالجزيرة، ٥٥/٩/٢٧ .

(٢) حديث الى مجلة لايف الأمريكية، ٥٥/١١/١٠ .

## ٢- ردود فعل صفقة الاسلحة التشيكية :

### أ- عنصر المفاجأة :

عندما بدأت الأنباء تتسرب عن الصفقة أخطر دالاس أيزنهاور، بعد أن تكلم مع مولوتوف- وزير الخارجية السوفيتي - عن الموقف المصري.. " يبدو أن الخبر صحيح، وسيعطى الروس للمصريين كمية كبيرة من الأسلحة ، تدفع بالقطن، إنها تساوى ١٠٠ مليون دولار. ثم قال: إن الانجليز والفرنسيين مذعورين، وأنه يظن أن الاسرائيليين سيريدون أن يهجموا أولاً؛ لأنهم اليوم يستطيعون أن يهزموا مصر بسهولة (١).

إن الصدمة لم تكن فقط نتيجة توجه مصر الى الكتلة السوفيتية، بما يتبعه من مكاسب استراتيجية تفتح أمامها العالم العربى والشرق الأوسط، وإنما يؤدي هذا التحول الى أن يفقد الغرب تماماً سيطرته على كمية ونوع السلاح الذى تشتريه مصر؛ مما قد يرجح كفة العرب فى مواجهة اسرائيل .

وفى اجتماع بين دالاس وماكميلان فى نيويورك، علق دالاس.. " إننا مواجهين بموقف خطير ! " وتحدث مع مولوتوف، وقال له : " لقد كانت خطوة خطيرة ممكن أن تزيد من التوتر فى المنطقة، أمل أن تكون التقارير غير صحيحة! رد مولوتوف: " لقد كانت صفقة تجارية بلا معانى سياسية ! " وعبر دالاس عن خوفه من امتداد الأسلحة السوفيتية الى ليبيا وشمال إفريقيا (٢) . وقال ماكميلان: " إن أماننا قضية خطيرة؛ هذه الخطوة من جانب الروس هى دخول عدائى فى منطقة جديدة، وتصرف متهور من شأنه أن يزيد الضغوط على المنطقة".

وأشار دالاس الى الجهود التى تبذلها الولايات المتحدة لعقد اتفاقية عربية - اسرائيلية، وكيف أن هذه الخطوة الروسية يجب النظر اليها من حيث امكانية تأثيرها على هذه الاتفاقية. وأضاف.. " إننا لم نعمل جدياً للوصول الى اتفاقية قاعدة قناة السويس ، حتى نعطي القاعدة الى السوفييت؛ إن ذلك ينظر اليه على أنه هزيمة خطيرة !"

وقد تحدث ماكميلان عن قلق ايدن فى هذا الموقف؛ لأنه كان مسئولاً الى حد كبير عن اتفاقية قاعدة السويس (٣) .

(١) محادثة تليفونية بين أيزنهاور ودالاس، ٥٥/٩/٢٣ .

(2) Memo. of Conversation ,New York, sept. 26, 1955, Dulles-Macmillan: Purchase of arms from the soviet union.

(3) Ibid.

### ب- ما العمل؟



جرت اتصالات وتوالت اجتماعات بين وزراء خارجية الولايات المتحدة وبريطانيا كما أفسح انعقاد مؤتمر جنيف في هذه الفترة المجال لمزيد من المشاورات والخطط، وأيضا المؤامرات! ففي الاجتماع السابق الاشارة اليه بين دالاس وماكميلان، طرح الأخير عدة حلول.. "ممكن أن نقدم مساعدة أكثر لحلف تركيا والعراق، وأن نصدر بيانا نرحب فيه بدخول إيران في الحلف، وأن نعطي العراق أسلحة أكثر ونشجع الأردن ولبنان على الانضمام للحلف... وفي نفس الوقت لا يجب أن نتوقف جهودنا لجعل ناصر يترك الترتيب من أجل اتفاقية مع إسرائيل. وممكن أن نستخدم أسلوب العصا والجزرة؛ فنساعد ناصر ثم نوذيه في السودان، ونسمح له بشراء أقل قدر من السلاح، وتساعد الولايات المتحدة في السد العالي بأسوان". وهنا تدخل دالاس قائلا: "لسنا في موقف يسمح لنا بعمل الكثير فيما يتعلق بالمساعدة العسكرية بدون مشاكل مع إسرائيل".

"إذن ممكن أن نستخدم العصا"، استطرد ماكميلان.. "ممكن أن نقول لناصر صراحة إننا لا نحتمل الصفة، إنها خرق - على الأقل - لروح اتفاقية قاعدة السويس. إن العالم لن يسمح للاتحاد السوفيتي أن يكون الوصي على قناة السويس. إننا من الممكن أن نجعل الحياة مستحيلة لناصر، وفي النهاية نتسبب في سقوطه بضغوط مختلفة (١)! إننا لم نكمل بعد انسحابنا من قاعدة السويس" (٢)!

أما الخط الثاني الذي اتخذته كل من الولايات المتحدة وبريطانيا فكان التحدث الى الاتحاد السوفيتي، ففي اجتماع في نيويورك لبحث ترتيبات مؤتمر جنيف، وجه ماكميلان الحديث الى مولوتوف قائلا: "إن المملكة المتحدة مستاءة جدا لسماح الأخبار عن الترتيبات، التي بموجبها ستلقى مصر أسلحة كثيرة من الاتحاد السوفيتي. إن ذلك سيزيد سباق التسلح بين إسرائيل والدول العربية، وذلك بدوره سيخلق موقفا خطيرا، ويزيد من التوتر في هذا الجزء من العالم. وطلب من مولوتوف أن يمنع ذلك، واستطرد.. إن هذا لا يتناسب مع سياسة الانفراج الدولي détente .

---

(1) Memo. of Conversation between Secretary of State Dulles and foreign Secretary Macmillan, Dept. of State, Washington, Oct. 3, 1955.

(2) Memo. of Conversation, New York, sept. 26, Dulles-Macmillan, op.cit.

وقد اتفق بيناى Pinay مع ماكميلان ودالاس في أن التصرف السوفيتي يناقض "روح جنيف" (١) .

وفى نفس الوقت أرسل ايدن رسالة الى بولجانين - رئيس الوزراء السوفيتى - مضمونها أن الحكومة البريطانية ترى فى بيع السلاح لمصر مغامرة سياسية؛ سببت تهديدا خطيرا للسلام فى هذه المنطقة.

وبعد تأكد الولايات المتحدة وبريطانيا أن منع الصفقة كلية مستحيلا؛ وكذلك تعديلها، بدأ الاهتمام بالخطوات التى يجب أن تتخذ لمنع دول أخرى من المنطقة من أن تتبع مثل مصر "السيء"! وهنا بدأ التفكير فى فرض ضغوط أبعد على ناصر، باجباره على الخروج من السلطة! لكنهم قوبلوا بمشكلة، وهى أنه لا يوجد مرشح أحسن تحت النظر!

وهنا حذر دالاس من اتخاذ خطوة تهديد أو إجراء عنيف؛ حتى لا ينقلب الرأى العام العربى ضد الغرب؛ مما يسهل أكثر الاختراق الشيوعى. وهذا لا ينبغى أن يحدث؛ لأن بترول الشرق الأوسط هام، ليس فقط لحلف الأطلنطى، ولكن للعالم الغربى كله (٢).

وكان رأى ماكميلان.. " يجب أن نتقبل هذه الهزيمة الدبلوماسية، ونحاول أن نقللها... يجب أن نتكلم الآن مع ناصر بأسى وليس بغضب، ونقول له: أنه يجب أن يقلل من التزامه مع الكتلة السوفيتية، ويجب الضغط عليه ليؤيد خطة جونسون (٣)، أو التقدم نحو اتفاقية مع اسرائيل. وهنا تساءل دالاس.. " ما الذى ممكن أن يجذب مصر ؟" فكان الرد.. المساعدة فى بناء السد العالى.

وقد علق ريموند هير Hare (٤).. " إن السياسة السوفيتية الآن تتصف بالاعتدال، ولا يمكن أن نحافظ على حسن العلاقة معهم، وفى نفس الوقت نقول: إن مصر لا تكون علاقتها جيدة بهم! وبالتالي لا يمكن أن نكون صارمين جدا مع ناصر؛ لأنه تقبل نتائج التغير فى السياسة السوفيتية.

---

(1) Memo of Conversation, New York, sept. 27, 1955, Dulles, Molotof, Macmillan, Pinay.

(2) Memo of Conversation between Secretary of State Dulles and foreign Secretary Macmillan, Oct. 3, 1955. op.cit.

(٣) مشروع تقسيم مياه نهر الأردن بين اسرائيل وسوريا ولبنان والأردن تمهيدا لتوطين اللاجئين الفلسطينيين فى هذه الدول إلا أن الدول العربية لم توافق عليه، وطرح هذا المشروع فى عام ١٩٥٣.

(4) Raymond A. Hare, Director General of the United States Foreign Service.

وقد أوضح ماكميلان تشددا حين قال: " ناصر يجب أن يستحث ليبدأ عملية التفاوض مع اسرائيل، وحتى نحد من مجال اتفاقية السلاح، يجب ايضاح أنه إذا اشترت مصر سلاح، فإن اسرائيل ستشتري سلاح"! ثم تساءل.. " ما رد الفعل الاسرائيلى؟"

أجاب دالاس: " إن إسرائيل تريد حلفا دفاعيا الى جانب مساعدة عسكرية... ولا يمكن للولايات المتحدة أن تنضم الى حلف بغداد؛ بسبب مشاكل دستورية، كما أن ذلك سيتبعه بالضرورة حلف دفاعي مع إسرائيل، وهذا كله من شأنه أن يجعل الموقف أسوأ في الشرق الأوسط (١).

وقد وصلت معلومات لمجلس الأمن القومي الأمريكي في ٦ أكتوبر ١٩٥٥ أن الاتفاقية قد تأكدت، وأن أول دفعة سلاح وصلت فعلا الى مصر، وأن هذا التطور سيقوى الوضع السوفيتي في الشرق الأوسط. إن السوفييت - الى جانب مصر - يضاعفون تقديم الأسلحة الى سوريا والمملكة السعودية.

وفي نفس الوقت فإن الحكومة الاسرائيلية انتهزت الفرصة لتطالب بتصريف من جانب القوى الغربية؛ لمنع العدوان العربي المتوقع من وجهة نظرهم؛ إنهم يريدون كل من الأسلحة والضمانات الغربية.

وفي النهاية، تقرر إعادة نظر كاملة لسياسة الولايات المتحدة تجاه الشرق الأوسط (٢). وبالرغم من أن الأمريكيان لم يعرفوا بعد حجم الصفقة، إلا أن الكلام بدأ أنهم يجب أن يواجهوا الحقيقة؛ أن ناصر أصبح " الرجل فوق الحصان " بالنسبة للعرب.

وهنا يظهر قلق إسرائيل العميق وخطورة الموقف من وجهة نظرهم.. " دولة من الشرق الأوسط فتحت أبوابها لروسيا بعد أن كانت بعيدة عن المنطقة لأكثر من ٢٠٠ سنة، وكانت بعيدة عن النفوذ الشيوعي منذ الثورة السوفيتية " (٣).

وتناست إسرائيل أن تصريف مصر تجاه إسرائيل قد تغير بشدة فقط منذ الغارة على غزة في ٢٨ فبراير ١٩٥٥، كما عقب دالاس (٤).

---

(1) Memo of Conversation, Dept, of State, Washington, Oct. 3, 1955, call of the British Foreign Secretary re. Soviet – Egyptian Armes Agreement.

(2) Memo of discussion at the 260 meeting of the National Security Council, Washington, Oct. 6, 1955.

(3) Memo of Conversation, Dept, of State, Washington, Oct. 11, 1955, Israel's concern at Egypt-USSR Arms Deal, Soviet efforts to penetrate the Near East.

(4) Ibid.

إذاً القضية ليست فقط اقليمية وإنما أصبحت دولية، فقد أرسل أيزنهاور خطابا الى بولجانين؛ يبدى فيه قلقه بخصوص الأسلحة المرسله الى مصر.. " إننى أخشى أنها لن تؤدي الى تقدم في الأهداف التي أرجو أن تكون مشتركة بيننا؛ وهى تقليل التوتر بيننا، وإيجاد حل سلمى بناء للمشكلة العربية الاسرائيلية ".

وقد رد بولجانين.. " تلقيت خطابك الذى يتعلق ببيع الأسلحة لمصر. إننا نشارك الرأى الذى عبرت عنه؛ أن غرضنا المشترك هو تهدئة التوتر بيننا. ومن ناحيتنا، فإننا مستعدين أن نساهم فى ذلك بكل الوسائل، ونصل الى حل للمشاكل المختلفة، ومنها الشرق الأدنى. أوكد لك أنه لا يوجد أساس لقلقك " (١).

وكان أنتونى إيدن قد أرسل رسالة الى بولجانين فى ٥ أكتوبر ١٩٥٥، جاء فيها.. أنه قدمت عروض لبيع السلاح من القوى الغربية الى مصر؛ على شرط أن يتبع الجيش المصرى " قيادة الشرق الأوسط"، وتدخل مصر فى التجمعات العسكرية التى أنشئت هناك... إن القوى الكبرى التى تتحمل مسئولية خاصة للمحافظة على السلام العالمى، يجب أن تهتم بتقليل التوتر بين مصر واسرائيل، وبصفة عامة فى هذا الاقليم (٢).

ولكن تقارير المخابرات الأمريكية خرجت مؤكدة أن الصفقة زودت من مخاطر الاشتباكات المحلية. إنها تعطى مصر تفوقا كيميا فى الطائرات الحربية عن اسرائيل، كما تقلل من تفوق اسرائيل العدى فى الدبابات، وتعطى مصر وسائل لمطاردة سفن اسرائيل. أما بالنسبة لاسرائيل، فالصفقة ضربة لها، وستجعل المصريين أكثر قدرة على مواجهة الغارات الاسرائيلية على الحدود.

واعتبرت المخابرات الأمريكية أن صفقة الأسلحة التشيكية " أكبر حركة درامية فى حملة سوفيتية فى الشرق الأوسط"، وأن الغرض الأساسى للحملة هو تقوية المقاومة العربية للسياسات الغربية فى المنطقة، وخاصة مجهودات الولايات المتحدة وبريطانيا لتنمية ترتيبات دفاعية، وللمحافظة على قواعدهم (٣).

---

(1) Armes Deal: Eisenhower – Bulganin, Oct. 11, 1955, Message from Prime Minister Bulganin to President Eisenhower.

(2) Text of reply of N.A.Bulganin to Prime Minister A.Eden, Oct.5,1955.

(3) Special National Intelligence Estimate, 1955 – 1957, Washington, Oct. 12, 1955. Probable Consequences Of The Egyptian arms deal with the Soviet Block.

وإزاء كل هذه التحركات، والضجة فى أجهزة الاعلام، أرسل ناصر رسالة الى الأمريكان سلمها أحمد حسين – السفير المصرى فى واشنطن – تشمل النقاط التالية:  
إن مصر كانت تتعرض لتهديدات كثيرة واستنزافات من اسرائيل خلال السنوات الماضية، وكانت فى مركز ضعيف عسكريا. ولقد حاولت – بدون نجاح – الحصول على سلاح؛ ولذلك فإن

الاتحاد السوفيتى عندما عرض سلاحا، فإن ناصر لم يستطع أن يقنع زملاؤه فى "مجلس قيادة الثورة " ألا يقبلها، ففى الحقيقة أنه لم تكن لديه السلطة لمنع إبرام الصفقة!

وأكد ناصر فى رسالته أن مصر ليست لديها نوايا عدوانية ضد اسرائيل، لقد أرادت فقط أن تقوى قواتها المسلحة.

أما عن الاتفاقية التشيكية - المصرية، فقد كانت تجارية بدون أية نصوص سياسية، إنها صفقة واحدة.

وختمت الرسالة بأن ناصر يريد أن يحافظ على علاقات طويلة بين مصر والولايات المتحدة، ويأمل فى تقويتها فى المستقبل (١).

ولقد أرسل أنتونى إيدن رسالة ثانية الى بولجانين فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٥، كتب فيها.. " إن هدف رسالتي هو لفت نظرك الى المخاطر على السلام، التى من شأنها أن تنتج عن إمداد مصر واسرائيل بالأسلحة. إن معلوماتى أن كميات الأسلحة الى مصر كبيرة جدا. إذا تمت هذه الامدادات، فهى كافية لأن تدمر أى أمل فى تجنب سباق تسلح بين مصر واسرائيل. ولا أستطيع أن أتقبل أنه لأن العقد ليس له شروط سياسية، فهو لا يمكن أن يقود الى سباق تسلح!"

ومن الغريب أن ايدن إدعى - فى رسالته الى بولجانين - " أن الحكومة البريطانية لم تقرض شروطا سياسية لإمداد مصر بالسلاح". وماذا عن ما سبق أن قاله ماكميلان فى هذا الشأن؛ من الضغط على مصر من أجل انضمامها لمنظمة الدفاع عن الشرق الأوسط؟!

ويمضى ايدن.. " لقد حاولنا أن نجعل الامداد بالسلاح لكلا البلدين بنسب محدودة؛ بغرض منع زيادة أى توتر، ومن أجل هدف شرعى فى الدفاع عن النفس" (٢).

---

(1) Memo. Of a conversation, Dept Of State, Washington, Oct. 17, 1955. Call Of the Egyptian Ambassador on the Secretary.

(2) Text of message Eden to Bulganin, Oct. 20, Dept. of State.

### ج- النتائج:

اسرائيل كانت الدولة التى حاولت أن تستغل هذه الصفقة لتحقيق أهدافها، فقد طلب موسى شاربيت من دالاس أن تضغط الولايات المتحدة على مصر لكى ترفض الصفقة، مع تهديدها بعدم الحصول على أى مساعدة غربية. كما أكد أنه من أجل مواجهة هذه الصفقة، تحتاج اسرائيل الى أسلحة، والى معاهدة أمن مع الولايات المتحدة بدون شروط؛ وذلك لردع ناصر.

وقد رد دالاس.. " أن الولايات المتحدة تتفق مع آراء شاريت في خطورة التطورات الأخيرة، وأنها تشكل تهديدا لإسرائيل ولغرب أوروبا وللعالم الحر. وإن معلوماتهم أن الأسلحة السوفيتية ذاهبة ليس فقط لمصر، وإنما لسوريا. إن بترول العالم العربي لا يمكن الاستغناء عنه للحياة الاقتصادية في أوروبا، وخاصة للاقتصاد البريطاني؛ حيث أن عوائد البترول مهددة أن تفقد، وأخطر من هذا أن مصر هي بوابة إفريقيا. إن هذا أخطر موقف يثور منذ الحرب العالمية الثانية؛ أخطر من كوريا! وفيما يتعلق بمصر، فإن انسحاب الغرب لن يفيد، كما أن مواجهة ناصر بطلب الاختيار بين أن يلغى صفقة السلاح أو يستمر في التعاون مع الغرب - كما طلب شاريت - لن تؤدي إلى نتيجة.

وبالنسبة للسلاح، فإن إسرائيل لها التفوق على مصر، ونحن غير مقتنعين أن الاتفاقية ستؤدي إلى عدم التوازن بين البلدين. أما بالنسبة إلى طلب إسرائيل مزيد من السلاح، فنحن لا نعتقد أنه من المفيد أن نشجع سباق السلاح في المنطقة. وعن المعاهدة التي طلبها شاريت، نكتفي بالإعلان الثلاثي ١٩٥٠ (١).

وفي الواقع فإنه هناك حقيقتان كنتيجة لبيع الأسلحة لمصر، أولا.. أن خطورة الحرب بين إسرائيل وجيرانها العرب زادت إلى حد كبير. وثانيا.. زيادة شعور الرأي العام في الولايات المتحدة ضد السوفييت. وهنا تجد الولايات المتحدة نفسها مضطرة أن تبيع لإسرائيل أسلحة موازية لنوعية الأسلحة التي استلمتها مصر.

---

(1) Telegram from the delegation of the Foreign ministers to the Dept. of State, Geneva, Oct. 26, 1955.

أما وجهة النظر السوفيتية فقد اختلفت تماما، فهم يرون أن التهديد هو من جانب إسرائيل وليس مصر، وهو أيضا يحتاج إلى اهتمام (١). وكانت إسرائيل قد قامت أيضا في ٢ نوفمبر بهجوم على المواقع المصرية بمنطقة الصبحة جنوبي العوجة. وقد أثار هذا الحادث ريتشارد نيكسون - نائب الرئيس الأمريكي - وتساءل ما حجة هذا الهجوم؟ فليس للطرفين أي حق في التواجد في منطقة منزوعة السلاح (٢)!

وبالنسبة لمصر كان رأي المخابرات الأمريكية أن ناصر كسب مكانة واحتل موقع القيادة بعد صفقة الأسلحة السوفيتية. وهو لن يصبح تحت السيطرة السوفيتية أو ينضم إلى تحالف غربي، فهو

مازال مقتنعا بطريق وسط. وهو إن استطاع أن يحافظ على استقلاله ومكانته من خلال ترتيب مع الغرب، فإنه يفضل ذلك عن الارتباط بالسوفييت. وإذا شعر أن الغرب قد أدار له ظهره الى الأبد، فإنه سوف يقبل المزيد من المساعدات السوفيتية، وسيسحب معه سوريا والمملكة العربية السعودية.

وقد توقعت المخابرات الأمريكية أن المفاوضات الغربية مع ناصر ستكون طويلة وصعبة وغير مضمونة. وإذا كان البديل المختار هو عزل مصر وتدمير ناصر؛ فذلك خطير؛ لأنه قد يشجع إسرائيل لكي تهاجم مصر وإذا أعطت الولايات المتحدة معونة اقتصادية لناصر، فستضطر أن تعطى معونة موازية لدول أخرى في الشرق الأوسط.

وقد وصل الأمر الى بحث اغتيال ناصر! ولكن رؤى أنه من المتوقع أن " مجلس قيادة الثورة " سيستمر، ويمكن تحت قيادة عبد الحكيم عامر، الذى سيكون تحت سيطرة الجيش أكثر من ناصر!

إنه لا يوجد حل جيد بالنسبة للغرب فى مواجهة ناصر، وقد استبعد تماما فرض سياسة باستعمال القوات المسلحة (٣). ومعنى ذلك أن صفقة الأسلحة كانت خطوة فاصلة وناجحة بالنسبة لمصر وللسوفييت، كما كانت - فى نفس الوقت - هزيمة لإسرائيل وللغرب.

---

(1) Telegram from the Secretary of State to the Dept. of State, Geneva, Oct. 10,1955.

(2) Memo of discussion at the 264 meeting of the National Security Council, Washington, Nov.3, 1955.

(3) Telegram from the Director of Cental Intelligence (Dulles) , Washington , Oct. 29,1955.

#### رابعاً: مؤتمر باندونج دعوة للحياد الايجابي:

كانت فكرة الحياد بين الشرق والغرب من مبادئ ناصر منذ البداية، واقتربت بسياسته الراضة للأحلاف، والمرتبطة بمسئولية الدول العربية فى الدفاع عن أراضيها؛ فالشرق الاوسط لا يدافع عنه الا أهله.

وقد تبلورت فكرة الحياد الايجابي فى الدعوة لمؤتمر الدول الآسيوية الإفريقية فى باندونج، من ١٨-٢١ ابريل ١٩٥٥، والذي شاركت فيه ٢٧ دولة. لقد كان الغرض من هذا المؤتمر هو نشر الثقافة وروح التعاون بين الدول المشاركة، ومعالجة المشاكل الاقتصادية والثقافية والاجتماعية التي تواجهها.

لقد كان ذلك أول مؤتمر دولي يحضره ناصر، كما حضره كل من نهرو وشواين لاي وسوكارنو .. الخ. وقد طالب ناصر منذ البداية بادراج مشكلة فلسطين فى جدول أعمال المؤتمر، واستند فى ذلك الى قرارات الامم المتحدة.

وفى كلمته اعتبر ناصر أن التعاون بين أعضاء الكتلة الإفريقية الآسيوية يعتبر نقطة تحول نحو تحسين الموقف الدولي. وقد وضع لهذا التعاون مبادئ أساسيين؛ هما احترام الاستقلال السياسى لكل دولة، وعدم التدخل فى شئونها الداخلية.

وقد هاجم ناصر الاستعمار، الذى كان منتشرًا فى القارتين، وقال: إن بقائه لا يتفق مع العهد الجديد فى العالم؛ فهو يقاوم التطور. كما أشار الى ارتفاع موجة القومية فى عدة أقطار آسيوية وإفريقية.

ورأى أنه لتحقيق السلم العالمى؛ يجب تخصيص التسليح، وكذلك القضاء على الأسلحة ذات التدمير الشامل.

واستنكر ناصر التفرقة العنصرية والتمييز العرقى، وأساليب الضغط السياسى من الدول الكبيرة على الدول الصغيرة؛ كأداة لتحقيق أغراض الأولى. كما أكد على حق الدول فى أن تختار ما تراه صالحا لها من النظم السياسية والاقتصادية.

وفى اللجنة السياسية للمؤتمر، هاجم ناصر موقف الحكومة الفرنسية تجاه الجزائر وتونس ومراكش، فهى تزعم أنه ليس للأمم المتحدة حق مناقشة مشكلتى تونس ومراكش؛ بحجة أن فى ذلك تدخلا فى شئون فرنسا التشريعية!

وفيما يتعلق بالجزائر، تتخذ الحكومة الفرنسية خطوة أبعده؛ فتزعم أن الجزائر هى جزء لا يتجزء من الاتحاد الفرنسى، مستندة الى مواد من الدستور الفرنسى. ان تلك الوثيقة الصادرة من



جانب واحد - هو الحكومة الفرنسية - لا تلزم شعب الجزائر، ولا تغير حقيقة أنه بلد عربي، وأن لشعب الجزائر حق طبيعي في الحرية وتقرير المصير.

وتقدم ناصر بالاقترح التالي.. بالنظر الى الموقف غير المستقر في شمال إفريقيا، واستمرار حرمان شعوب إفريقيا من حقها في تقرير المصير، يعلن المؤتمر الآسيوي الإفريقي تأييده لحق شعوب الجزائر وتونس في تقرير المصير والاستقلال، ويتعجل الحكومة الفرنسية في أن تسوى هذه القضية.

ولقد كتب ناصر بحظ يده في أوراقه الخاصة في مارس ١٩٥٦، أسباب الحياد الإيجابي؛ " تجنّب الأمة العربية مضار الحرب الباردة، والبعد بها عن منازعاتها. التزام سياسة الحياد الإيجابي مع المحافظة على المصالح العربية القومية. الدفاع عن العالم العربي يجب أن ينبثق من داخل الأمة العربية، على هدى أمنها الحقيقي "

ولقد واجهت فكرة الحياد الإيجابي اتساعاً منذ مؤتمر باندونج، وتطورت الى حركة عدم الانحياز، التي عقد أول مؤتمر لها في بلجراد في ١٩٦١، وضمت دول آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية.

وقد قام بدور بارز في هذه الحركة كل من؛ تيتو ونهرو وناصر وسوكارنو ونكروما، ولاقت نجاحاً بارزاً في فترة تصفية الاستعمار والحرب الباردة.

### الجزء الثالث

#### تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر

##### الفصل الأول: ظروف تأميم قناة السويس:

قال ناصر: " من الأسس الثابتة التي وضعتها سياسة الثورة، ازالة السيطرة الأجنبية ورد الكرامة القومية الى كل مصرى ، ولقد كنت مصمما على أن أحقق الاستقلال التام، وكانت هذه السياسة معبرة عن الشعور العام الذى بدأ يجتاح كل العالم العربى.

ولم يفهم قادة الغرب هذه الحقيقة إلا بعد فوات وقت طويل؛ فقد ظنوا أنهم انما يواجهون إصرار رجل واحد. وكان دالاس هو أول من جرت بينى وبينه مناقشة طويلة؛ فقد جاء الى القاهرة بقصد حتى على ربط مصر بالتحالف الغربى (١)، وحاول اقناعى بأن الشيوعية هى المهدد الأكبر للعالم، وأنه لا سبيل الى التغلب على تحديها إلا بإقامة حلف عسكرى قوى...

وحاولت أن أقنعه بأن الصراع ليس صراعا لرد العدوان من الخارج ... وأن أخطار الشيوعية لا تُرد إلا برفع مستوى الشعب، وإحلال الكرامة الحرة محل العبودية.

وأوضحت لدالاس؛ أنى بعد الجهود التي بذلناها من أجل الاستقلال، لن أكون أمينا على وطنى، لو أنى ربطهم بحلف مع الدولة التي احتلت بلادنا أكثر من ٧٠ سنة، ضد دولة أخرى ليس بيننا وبينها أى صلة؛ دولة جيوشها تبعد عنا ٥٠٠٠ ميل! كذلك أبلغته أن فى نيتى أن أبنى قوتنا العسكرية؛ بحيث نستطيع أن ندافع عن حدودنا بأنفسنا (٢).

وفى مقابلتى مع أنتونى ايدن [ فى ٢٠ فبراير ١٩٥٥ ] ... وجدت صعوبة فى توضيح موقفنا، تفوق تلك التي وجدتها مع دالاس. قلت له: إننا لا نستطيع أن نربط أنفسنا بأى كتلة عالمية، وإنه فى حالة وقوع غزو علينا من الغرب؛ فإننى لن أتردد فى طلبى المعونة من الشرق. فأكد ايدن أن امكانية قيام أية دولة من الغرب بغزونا لا وجود لها... وكنت أعارض حلف بغداد، الذى أقامته وأيدته بريطانيا وفرنسا لنفس الأسباب.

(١) انظر ص من الكتاب.

(٢) دافيد مورجان، مرجع سابق.

وفى فبراير ١٩٥٦ زار سلوين لوين القاهرة؛ ليحادثنى فى الموقف فى الشرق الأوسط، وكان أشد استعدادا للاستماع لوجهة نظرنا، ولكنه عجز عن فهم أساس تفكيرنا فهما تماما، وكان قلقا بسبب حرب الدعاية التى كنا نشنها فى الشرق الأوسط على حلف بغداد" (١).

### أولا : إشكالية مشروع السد العالى:

بالرغم من توقيع اتفاقية الجلاء فى ١٦ أكتوبر ١٩٥٤، واتمام خروج كل العسكريين البريطانيين من مصر فى يونيه ١٩٥٦، إلا أنه كان من الواضح أن الخلافات تزداد بين الغرب عموما وبين ناصر.

فى هذا الجو الملبد بالغيوم تم بحث تمويل مشروع السد العالى الذى تبناه ناصر، فبعد دراسة عميقة على يد الخبراء المصريين والألمان، تأكد أنه سيؤدى الى تحويل ٨٣٦ ألف فدان من أراضي الحياض الى الرى الدائم، واستصلاح ٨٥٠ ألف فدان جديدة تضاف الى الرقعة الزراعية، وزيادة الكهرباء بطاقة قدرها ١٠ مليار كيلو وات/ساعة؛ وبذلك فإن دخل الفرد المصرى من الطاقة الكهربائية المتاحة سيرتفع الى ٥٠٠ كيلو وات/ساعة فى السنة، فى حين أنه كان أقل من ٤٠ كيلو وات/ساعة فى السنة قبل الثورة.

وقد كان مقدرا لنفقات السد العالى ٢٠٠ مليون جنيه، وكان لابد من تمويل هذا المشروع الضخم من الخارج. وبدأت المفاوضات للتمويل مبشرة بالخير؛ فوجد ناصر تشجيعا من الولايات المتحدة والبنك الدولى، بل إن بريطانيا عرضت أن تساهم بمبلغ ١٦ مليون دولار (٥ مليون جنيه)؛ بشرط الموافقة على القرض الأمريكى.

### ١ - عقبات مفاوضات تمويل السد العالى:

وسرعان ما تكشفت العقبات؛ فالأمريكان أرادوا الاشراف على ميزانية مصر، وحتى فحص حساباتها! وقد عارض ناصر ذلك من حيث المبدأ، وعلى كل حال فقد غامره شعورا بأن الأمريكان كانوا قد قرروا عدم المضى فى هذا القرض؛ وخاصة وأنهم قالوا: إنهم كانوا مقررين لمصر ٤٠ مليون دولار معونة، وأنهم يستطيعون أن يحولوها لمشروع السد العالى!

(١) المرجع السابق.

ولقد جرت محادثات بين الحكومة الأمريكية ومندوب الحكومة البريطانية ومندوب البنك الدولي فى ديسمبر ١٩٥٥، وفى نهايتها وضعت اقتراحات من البنك الدولي فى صورة جواب أرسله الى ناصر؛ تضمن أن البنك مستعد أن يشترك فى تمويل السد العالى بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار، ثم وضع شروطاً؛ فربط البنك نفسه بالقرضين الأمريكى والبريطانى، وأن يتفاهم مع الحكومة المصرية على برنامجها الخاص بالاستثمار والتصنيع؛ أى وصاية منه على الحكومة المصرية! ومن الشروط أيضاً ألا تتحمل الحكومة المصرية أى دين خارجى أو اتفاقات دفع؛ مثل اتفاق الأسلحة مع روسيا! كذلك فإن تنظيم المشروع وتنفيذه وإدارته، يخضع للاتفاق بين الحكومة المصرية والبنك الدولي.

وقال ناصر: "ظهر أن هناك فحاً يعمل لنا للسيطرة على استقلالنا الاقتصادى. هذا الكلام رفض رفضاً باتاً، وقلنا للأمريكان: هل فيه شروط مثل هذه على المعونات التى تعطى لإسرائيل؟! إن هذا الكلام يتنافى مع سيادتنا واستقلالنا ومبادئنا.

فى هذا الوقت حضر الى السفير الروسى، وقال: إن روسيا مستعدة أن تشترك فى تمويل السد العالى، فقلت له: نحن نتكلم الآن مع البنك الدولي ونؤجل الكلام. عرفوا من فى البنك الدولي أن هناك عرض روسى، وعرفوا اعتراضاتنا.

وصل الى مصر يوجين بلاك - مدير البنك الدولي - فى فبراير ١٩٥٦، وبدأت المفاوضات معه، وقلت له: نحن لدينا عقْد من القروض والفوائد، ولا نستطيع أن نفصل ذلك عن السياسة، وأنا احتلينا بسبب الفوائد والقروض، ولا نستطيع أن ننسى، وهذا التاريخ عالق بذهننا وبدمنا، ولا يمكن أبداً أن نقبل أى مادة تمس بسيادتنا. وإن تقرير البنك الدولي حول الاقتصاد المصرى يقول إن الاقتصاد المصرى سليم، ومصر تستطيع أن تتحمل نصيبها من نفقات المشروع

...

وبعد مفاوضات طويلة قال: إنه لا يستطيع أن يوقع اتفاقاً نهائياً فى ذلك الوقت؛ لأن هناك مسائل قانونية، وحتى نحل اتفاق المياه بين السودان ومصر، ونحن نستطيع أن نبدأ فى المشروع...

لقد أبلغنا مدير البنك الدولي أننا قررنا ألا نبدأ فى مشروع السد الا بعد توقيع اتفاق المياه مع السودان، وبعد توقيع الاتفاق النهائى مع البنك الدولي، وأعطينا أوامر بإيقاف العمل فى هذا

المشروع؛ حتى لا ندخل في مغامرة يتحكم فيها الاستعمار بسببها، ويحاول أن يستغلنا اقتصاديا، بعد أن فشل في أن يسيطر علينا سياسيا" (١).

كان واضحا أن مباحثات تمويل مشروع السد العالى تمت فى جو من عدم الثقة بين ناصر والغرب، وقد تمادت بريطانيا فى تزكية ذلك؛ " فقد وقف لورد كيلرن فى مجلس اللوردات البريطانى، وقال : كيف نعطى مصر المساعدة؟ كيف نعاونها؟ مصر التى لا تسمع كلامنا، مصر التى تتادى بالحرية وتتزعم الدعوة التحررية، وتحاربنا؛ كيف نعطيها ٥ مليون جنيه؟!

وفى يوم ١٤ مارس ١٩٥٦ قابلت السفير البريطانى فى البيت، وقلت له: إن الكلام الذى يقال عندكم من النواب واللوردات لا نقبله، وكيلرن لا نقبله. نحن لم نطلب منكم هذه المعونة، وقد قبلناها حتى لا يكون رفضنا لها إهانة! أنتم الذين عرضتم أن تدفعوا ٥ مليون جنيه. نحن لسنا دولة غنية، والـ ٥ مليون نستطيع أن نوفرها، وإذا تكرر هذا الكلام فسوف نرفضها؛ إن دخلنا القومى أكثر من ٩٠٠ مليون جنيه!

وكان قد حدث أن طرد جلوب من الأردن (٢) ، وأن سلويد لويد عندما ذهب الى البحرين حاصروه هناك وضربوه بالطوب، ويقولون: هذا نتيجة كلام مصر! كذلك حدثت اضطرابات فى عدن نتيجة أن العمال كانوا طالبين رفع الأجور، وبدأت حملة منذ مارس الماضى فى الصحافة البريطانية ضد مصر؛ لدرجة أن النائب يوز فريزر قال: يجب أن نجد طريقة نخلص من مصر؛ نعمل سد عند النيل من أوغندا وكينيا، ونمنع المياه عن مصر!

ولقد كان الكلام أن بريطانيا كانت تريد أن تتوسط بيننا وبين السودانين فى سبيل الوصول الى تفاهم، ولما حضر سلويد لويد الى مصر فى فبراير، تقابلنا فى منزلى. بدأ الكلام أنه يعرض أن يعاون على حل المشاكل الخاصة بالمياه بيننا وبين السودان.

---

(١) خطاب ناصر، ١٩٥٦/٧/٢٦.

(٢) السير جون باجوت جلوب، ضابط بريطانى تولى قيادة الجيش الأردنى من ١٩٣٩ وحتى ٢ مارس ١٩٥٦، حيث أعفاه من مهامه الملك حسين، فى قرار تعريب قيادة الجيش الأردنى، وكان هذا القرار صدمة لبريطانيا.

قلت له: إن تصرفاتكم تدل على أنكم لا تحلوا المسائل، ولكن تعقدوها! إن تصرفاتكم فى السودان، وجرائدكم، ومحطات اذاعاتكم كلها متجهة الى اثاره السودانين ضد السد العالى؛ كلهم يقولون تعليقات الغرض منها بث روح الخوف والرفض عند السودانين. وأكثر من ذلك أن سفارتكم

فى الخرطوم جمعت هذه المقالات وطبعتها فى كتاب ووزعته... وهذا يفهمنى أنكم تريدون أن تخلقوا عداءا بين مصر والسودان.

فكيف هذه الوقائع الملموسة تحدث، وأنت الآن تقول إنك تريد أن تقوم بدور وسيط بين مصر والسودان، أو تساعد على حل المشاكل المتعلقة مع السودان؟! كان الواضح أن الانجليز بكل ما يستطيعون من قوة، يحاولون أن يبنوا روح الكراهية لدى اخواننا السودانين" (١).

## ٢- سحب تمويل السد العالى:

" فى ٢٠ يوليو أعلنت الولايات المتحدة بيانا أذاعته وزارة الخارجية، قالت فيه: إنهم اشتركوا فى ديسمبر ١٩٥٥ مع بريطانيا والبنك الدولى فى عرض مساعدة مصر، ثم قالوا: إن مشروع السد العالى ذو جسامه بالغه، واتمامه يستغرق ما بين ١٢، ١٦ سنة، وتقدر نفقاته بنحو ١٣٠٠ مليون دولار، منها أكثر من ٩٠٠ مليون دولار بالعملة المحلية المصرية. ثم تكلموا عن حقوق فى مياه النيل؛ على أساس أن هذا المشروع لا يؤثر فى حقوق مصر ومصالحها وحدها، بل يؤثر كذلك فى حقوق بلاد أخرى ومصالحها، تساهم فى مياه النيل؛ ومنها السودان وأثيوبيا وأوغندا.

طبعا هذه أول مرة يثيرون مسألة أثيوبيا وأوغندا، ويحاولون أيضا أن يعملوا فتنة بين مصر والسودان بهذا البيان. لم يثار - ولا فى تقرير البنك الدولى - موضوع أثيوبيا ولا موضوع أوغندا! وموضوع السودان؛ أبلغتهم أن يتركوه، فلا نريد وساطتهم، لقد تكلمنا مع السودانين، وهم متفاهمين معنا بجميع فئاتهم وأحزابهم.

ثم قال البيان: إن هناك اعتبار آخر يتعلق بإمكان تنفيذ المشروع، ومن ثم بجدوى المعونة الأمريكية من الناحية العملية؛ وهو استعداد مصر وتوافر القدرة لديها على تركيز مواردها الاقتصادية فى هذا البرنامج الانشائى الضخم، ولم تكن التطورات التى شهدتها الشهور السبع الماضية ملائمة لنجاح المشروع. وعلى هذا انتهت أمريكا الى أنه من غير العملى فى الظروف الحاضرة أن تشارك فى المشروع.

---

(١) خطاب ناصر، ١٩٥٦/٧/٢٦، مرجع سابق.

ما هى هذه التطورات التى ظهرت فى الشهور السبع الماضية؟! إنهم يشككون فى الاقتصاد! إنه فى السبع شهور الماضية الاقتصاد المصرى والانتاج المصرى تدعم وزاد؛ والدليل على ذلك تقرير الأمم المتحدة الذى قرر ذلك. إن التطورات فى السبع شهور الماضية هى تطورات استقلالية، حرية، كرامة، إننا صممنا أن نقوى جيشنا ونسلحه، وأن تكون لنا شخصية مستقلة" (١).

وأضاف ناصر.. "هناك شئ غريب فى البيان؛ وزير خارجية أمريكا يكلم الشعب المصرى، فيقول: هذا القرار لا ينم عن تغيير فى العلاقات الودية بين الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكى، والشعب المصرى؛ أى أن هذا الكلام يتعلق بجمال عبد الناصر فقط وليس بالشعب المصرى؛ هم يتكلمون رأساً الى الشعب المصرى!

ما الغرض من هذا الإجراء؟ يعاقبون مصر؛ لأنها رفضت أن تقف بجانب التكتلات العسكرية، ولا نأخذ أوامرنا من هناك. وعندما قابلت يوجين بلاك قلت له: نحن لدينا عقدة من الاحتلال السياسى عن طريق الاحتلال الاقتصادى" (٢).

كما سبق يتضح أن سحب تمويل السد العالى من الغرب أثار غضب ناصر، فخاطب الشعب فى ٢٤ يوليو قائلاً: " قامت فى واشنطن ضجة تعلن كذبا وخداعا وتضليلا أن الاقتصاد المصرى يدعو الى الشك، فإننى أقول لهم موتوا بغيطكم! فلن تستطيعوا أن تتحكموا فىنا وأن تستبدوا بنا.

إننا نزداد عزيمة وقوة، ونقول لهم: إن مصر تشعر بأن اقتصادها سليم. لقد زاد الانتاج فى الأربع سنوات الماضية زيادة كبيرة ، ٢٠ ٪ فى كل النواحي؛ التعليم والصناعة. وزاد الدخل القومى فى سنتين ١٦ ٪، الميزانية زادت، مشروعاتنا زادت، انتاجنا الزراعى زاد".

وكتب ناصر بخط يده ..

"١- المدة اللازمة لإنشاء السد العالى ٩ سنوات، وابتداء من السنة الرابعة تبدأ الفوائد المادية. وستتحسن اقتصاديات الكهرباء المولدة من خزان أسوان الحالى، ويستمر أثر السد العالى فى زيادة الدخل القومى حتى ينتهى؛ بما لا يقل عن ٣٥٠ مليون جنيه سنويا.

٢- تكاليف المشروع فى التسع سنوات الأولى ٦٠٠ مليون دولار؛ شاملة توليد الكهرباء وتوصيلها الى القاهرة، وشق الترعى والقنوات، وأن تكاليف المرحلة الثانية ١٥٠ مليون دولار.

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

٣- أما عن مقدرة مصر على تركيز مواردها الاقتصادية فى بناء السد العالى؛ فإن التغيير الذى حدث فى السبعة أشهر الماضية كان الى الأحسن.

٤- معارضة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فى انشاء لجنة دولية؛ للإشراف على مياه النيل.

٥- عدم صحة آثار السد العالى على السودان والحبشة وأوغندا".

لقد كان ناصر فى بريونى فى يوغوسلافيا (١)، ورجع ليلا بصحبة نهرو، وأول شئ عرفه فى المطار؛ كان قرار أمريكا بسحب تمويل السد العالى. وفى اليوم التالى صدر قرار من بريطانيا

بسحب التمويل، وفي اليوم الثالث صدر قرار من البنك الدولي بسحب عرض اعطاء مصر قرضا للسد العالى.

وقد قال ايدن بعد ذلك فى مذكراته: إنه لم يكن لديه نية أبدا أن يعطينا الخمسة مليون جنيه المعونة، ولكنه اختلف مع دالاس فى طريقة رفض العرض؛ لأن ايدن كان يفضل أن يماطل، ولكن دالاس أخذ قرارا قاطعا، وأفصح عن النوايا.

### ثانيا: قرار تأميم شركة قناة السويس وتنفيذه:

ويقول ناصر: "بعد ذلك فكرنا فى العمل الذى يجب أن نتخذه، وقدرنا الموقف، وكان واضح أن الغرب لا يريد لنا أن نقوى، ولا يسمح لنا بأن نخرج من مناطق النفوذ، وكان يعتبر المنطقة تقليديا ضمنها؛ الموقع الاستراتيجى مهم لهم، بترول المنطقة فى البلاد العربية، وأعوان الاستعمار فى البلاد العربية كان يريد أن يحميهم. وطبعا اسرائيل أيضا كان يريد أن يثبت وضعها، ولا يعطى أى بلد عربى من القوة ما يمكنه من أن يهدد اسرائيل.

قدرنا فى هذا الموقف أننا نستطيع أن نأخذ من قناة السويس حوالى ٦٠ مليون جنيه، كنا نأخذ منهم فقط مليون جنيه، ٥٩ مليون جنيه تذهب للشركة الانجليزية - الفرنسية. وعلى هذا الأساس قررنا أن يكون ردنا على سحب تمويل السد العالى؛ تأميم قناة السويس" (٢).

وفى خطابه فى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ - يوم مرور ٤ سنوات على تنازل الملك فاروق عن العرش - شرح ناصر للشعب قصة عرض تمويل مشروع السد العالى، وسحبه من الولايات المتحدة والبنك الدولى وبريطانيا، وأعلن ما يلى:

(١) مؤتمر بريونى ١٨ - ٢٠ يوليو ١٩٥٦، بحضور تيتو - نهرو - ناصر .

(٢) خطاب ناصر، ٢٦/٧/١٩٦٦، مرجع سابق.

" باسم الأمة .. رئيس الجمهورية .. أصدر القانون الآتى:

مادة ١: تؤمم الشركة العالمية لقناة السويس البحرية شركة مساهمة مصرية، وينتقل الى الدولة جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات، وتحل جميع الهيئات واللجان القائمة حاليا على ادارتها. ويعوض المساهمون وحملة حصص التأسيس عما يملكونه من أسهم وحصص بقيمتها، مقدرة بحسب سعر الاقفال السابق على تاريخ العمل بهذا القانون فى بورصة الأوراق المالية بباريس. ويتم دفع هذا التعويض بعد استلام الدولة لجميع أموال وممتلكات الشركة المؤممة.



مادة ٢: يتولى ادارة مرفق المرور بقناة السويس هيئة مستقلة، تكون لها الشخصية الاعتبارية، وتلحق بوزارة التجارة، ويكون لها فى سبيل ادارة المرفق جميع السلطات اللازمة لهذا الغرض، دون التقييد بالنظم والأوضاع الحكومية. يكون للهيئة ميزانية مستقلة، تعتمد على بقرار من رئيس الجمهورية، ويمثل الهيئة رئيسها أمام الجهات القضائية والحكومية.

مادة ٣: تجمد أموال الشركة المؤممة وحقوقها فى جمهورية مصر وفى الخارج.

مادة ٤: تحتفظ الهيئة بجميع موظفى الشركة المؤممة ومستخدميها وعمالها الحاليين، وعليهم الاستمرار فى أداء أعمالهم".

ويحكى ناصر أنه استدعى محمود يونس - الذى كان زميلا له فى هيئة التدريس بكلية أركان حرب قبل ثورة ١٩٥٢ (١) - وأنه كلفه بمسئولية عمليات الاستيلاء على شركة قناة السويس. "وكان كل شئ معدا سلفا؛ كان الجنود ينتظرون، ومعهم أوامر مختومة باحتلال مكاتب شركة قناة السويس ومنشأتها. وكان محمود يونس يعلم أن كلمة السر للبدء فى العملية أن أذكر كلمة "دليسبس" فى خطابى ... وما أن فرغت من القاء خطابى حتى كانت العملية كلها قد نفذت.

ولم أكن أتصور مدى الفرحة التى استقبل بها تأميم القناة، لا من الشعب المصرى وحده، لكن فى العالم العربى كله. وتكاد تكون هذه المرة الأولى التى تجلت فيها الوحدة العربية التامة على المستوى الشعبى.

---

(١) وكان قد تم تعيينه فى ٢ مايو ١٩٥٦ لرئاسة هيئة قناة السويس، بقرار من مجلس قيادة الثورة.

أما فى الغرب، فقد كان رد الفعل كما توقعته؛ فالصحافة نادى باستعمال القوة، لكنها - كما توقعت - لم تكن جاهزة حتى يمكن استعمالها" (١).

#### ١- رد الفعل فى الغرب:

##### (أ) المفاجأة فى بريطانيا وفرنسا:

بعد خبر التأميم طلب أنتونى ايدن مقابلة السفير الفرنسى، والقائم بالأعمال الأمريكى وشرح لهما خطورة الموقف، ثم دعا فى اليوم التالى أعضاء الوزارة ورئيس أركان حرب الجيش البريطانى للاجتماع، واتفقوا كلهم على أنهم لا يمكن أن يسمحوا لناصر أن يسيطر على القناة بهذه الطريقة.

وقرروا أنهم اذا وقفوا بشدة فستؤيدهم كل القوى البحرية، واذا لم يفعلوا فإن نفوذ الغرب فى الشرق الأوسط سيضمحل.

ومن جانب آخر كان التقدير أنه سيحدث تهديد فوري لامدادات البترول لغرب أوروبا؛ حيث أن جزءا كبيرا منها يمر خلال القناة. وكان لدى بريطانيا فى ذلك الوقت مخزونا يكفى لمدة ستة أسابيع فقط، أما دول غرب أوروبا فليديها مخزون أقل.

وقد بحثوا فى هذا الاجتماع الطارئ؛ طلب مساعدة الولايات المتحدة؛ بإرسال امدادات زائدة من البترول الى بريطانيا. وكان الرأى أنه بالنسبة للمدى الطويل، فإن الوضع مخيف؛ فالقناة تعتبر مصدر قوة، وتقدم تسهيلات حيوية للعالم الحر. والقوى البحرية لا يمكن أن تسمح لمصر بأن تنتزعتها، وأن تستغلها؛ بأن تستخدم عائداتها لأغراضها الداخلية، بغض النظر عن مصالح القناة ومستخدميها، كما ادعوا. من جانب آخر، فكان الرأى أن المصريين ليسوا قادرين على توفير رأس المال الذى سيتم الاحتياج اليه لتوسيع وتعميق القناة؛ حتى تواجه حجم المرور المتزايد المنتظر فى السنوات القادمة!

ولقد ظهر التآمر فى قول أنتونى ايدن: إنهم يجب أن يستغلوا هذه الفرصة لوضع نظام لإدارة القناة على أساس قوى ودائم كهيئة دولية، وإنه لا يجب الدخول فى جدل قانونى حول حقوق الحكومة المصرية فى تأميم ما هو فنيا شركة مصرية، أو فى مناقشات مالية حول قدرتهم على دفع التعويض الذى عرضه.

(١) دافيد مورجان، مرجع سابق.

وكان من رأى ايدن أنهم لن يصلوا الى هدفهم بالضغوط الاقتصادية وحدها، بل يجب ممارسة أقصى ضغط سياسى على مصر. ولتحقيق ذلك؛ يجب العمل على كسب تأييد الدول المهمة، كما يجب أن يكونوا مستعدين - كحل أخير - لاستخدام القوة، وقد أعطى الأوامر لرئيس الأركان ليجهز خطة عسكرية.

وفى جلسة مجلس الوزراء التى فتحت للاطلاع فى ٢٠٠٨ - أى بعد أكثر من خمسين عاما - أكد سلوين لويد على ضرورة أن تقف بريطانيا موقفا واحدا مع الولايات المتحدة وفرنسا، وأن يكون خطهم هو التصرف عسكريا وسياسيا واقتصاديا، وطبعا الاهتمام بموظفى القناة البريطانيين. وعقب ايدن أنه ينبغى تجنب الاشارة الى وقف مرور سفن اسرائيل فى القناة؛ لأن ذلك سوف يجذب باقى الدول العربية الى جانب مصر.

وجرت مناقشة حول طبيعة شركة قناة السويس؛ فالشركة مصرية، والاستناد الى الأسهم سيكون ضعيفا! وكان تفكيرهم أن مصر لن تستطيع أن تدير القناة (١).  
وقد أرسل ايدن رسالة الى أيزنهاور يخبره بما توصلوا اليه من رأى وعرض "أن أول خطوة أن يتبادلوا الآراء مع فرنسا، ويتم تنسيق السياسات؛ حتى نمارس أقصى ضغط على الحكومة المصرية. إن هذا لا يمكن تحقيقه بسهولة بالمراسلة؛ فالأمر يتطلب مقابلة ثلاثية فى أقرب وقت، فبينو سيحضر الى لندن لمحادثات مع سلوين لويد، هل ممكن أن ترسل من ينضم للمناقشات" (٢)؟  
وقد أصدر ايدن بيانا فى مجلس العموم قال فيه: إن قرار التأميم صدر من جانب واحد للحكومة المصرية، التى نزع ملكية شركة قناة السويس بدون إخطار؛ واتهم مصر أنها بذلك تخرق اتفاقية امتياز القناة؛ مما يؤثر على حقوق ومصالح دول كثيرة. وقد اعتبر بعض النواب قرار التأميم جرحا للشرف البريطانى، وتهديدا بخنق صناعة أوروبا كلها؛ لأن البترول يصل اليها عبر القناة (٣).

Suez Canal, 27 July 1956, Cabinet Meeting 54 (56). (١)

Message from PM Eden to President Eisenhower, London, July 27, 1956, Suez Crisis. (٢)

Commons Sitting, HC Deb 27 July 1956, vol 557 cc 777- 80777 (٣)

أما فى مجلس اللوردات فقد جرت مناقشات ذات طبيعة مختلفة بسبب تشكيل المجلس نفسه، فاستهلت باقتراح انشاء قناة بديلة، تبدأ من خليج العقبة وتمر خلال اسرائيل، الى البحر المتوسط! وهو ما عارضته الحكومة؛ على أساس ضرورة التركيز على المشاكل الحالية تحت المناقشة، وأن هذه القناة الجديدة ستكون تحت سيطرة اسرائيل، وأن الدول العربية لن تسمح بمرور بترولها فى هذه القناة، فيجب أن تفكر الحكومة فى تدويل خليج العقبة؛ كعنصر أساسى لنجاح هذه القناة!  
وتدخل لورد كيلرن قائلا: إن هذه القناة المقترحة ستواجه صعوبات كثيرة من حيث الانشاء؛ بسبب الطبيعة الجبلية للمنطقة التى ستمر بها. ومن الناحية السياسية، فإن مصر "العدائية" ستجعل من موقف العقبة وايلات مستحيلا، خاصة اذا أصبحت الأردن أيضا "عدائية"، مع الأخذ فى الاعتبار أن ملك الأردن هنا ناصر على التأميم (١)!

( ب ) الموقف الأمريكى:

منذ اللحظة التي أعلن فيها ناصر تأميم قناة السويس، وتركز التفكير البريطاني على جذب الولايات المتحدة في موقف موحد مع بريطانيا وفرنسا، وتم تبادل الرسائل بين ايدن وأيزنهاور في كل خطوة تتم. ولكن أيزنهاور أخذ حينما وجد ايدن وماكميلان يخطرانه في سرية تامة أنهما اتخذتا قرارا باستخدام القوة العسكرية بدون تأخير.

وكان رأى أيزنهاور أنه مع تقدير قيمة القناة للعالم الحر، واحتمال أن استخدام القوة يصبح ضروريا لحماية الحقوق الدولية، إلا أنه كان يأمل أن يتمكن من خلال مؤتمر تمثل فيه الدول الموقعة على اتفاقية ١٨٨٨، وكذلك الدول البحرية الأخرى؛ أن يتم الضغط على الحكومة المصرية، بحيث يضمن التشغيل الكفء للقناة في المستقبل. إن المؤتمر على الأقل سيكون له أثرا اعلاميا في العالم، كما أن الرأى العام في أمريكا وفي العالم سيغضب اذا لم تبذل هذه الجهود.

---

Lords Sitting on Suez, Maritime Communications and the Suez Canal, HL Deb 30 July 1956 (١)  
VoL 189 cc355 – 60355.

وكتب أيزنهاور لايدن أنه توجد عدة حقائق سياسية يجب تذكرها؛ فاستخدام القوة العسكرية للولايات المتحدة ممكن فقط من خلال الكونجرس - وهو في ذلك الوقت لم يكن منعقدا- ولكن ممكن أن ينعقد اذا طلبه الرئيس لأسباب خاصة. واذا كان ذلك يتضمن استخدام القوة العسكرية في الخارج، فإنه يجب بيان أن كل وسيلة سلمية لحل المشكلة قد استخدمت مسبقا. بدون ذلك، سيؤثر رد الفعل على شعور الشعب الأمريكى تجاه حلفائه الغربيين، وتكون العقبات بعيدة الأثر (١).

واضح اذن أن القرار الذى اتخذته الحكومة البريطانية كان حاسما، ولا يمكن الرجوع فيه، ولكن أيزنهاور كان متأكدا أن رد الفعل الأمريكى لاستخدام القوة سيكون عنيفا، وكذلك فى العالم. وطلب من ايدن أن يراجع هذا الموضوع مرة أخرى فى خطوطه الواسعة؛ ثم طلب من دالاس أن يغادر فورا الى لندن.

وختم أيزنهاور رسالته مؤكدا أن الخطوة التى يفكر فيها ايدن - استخدام القوة العسكرية - لا يجب أن تتخذ حتى يتم اكتشاف ودراسة كل وسيلة سلمية؛ لحماية حقوق قسم كبير من العالم. واذا فشلت هذه الوسائل، سيتفهم الرأى العام العالمى كيف تمت المحاولة بالتفاهم، ولكن ببساطة لا يمكن

قبول موقفا كارثيا كهذا فى المدى الطويل، على رفاهية ومستوى معيشة كل دولة يعتمد اقتصادها مباشرة أو غير مباشرة على الشحن بين الشرق والغرب (٢).

وفى نفس الوقت أرسل أيزنهاور خطابا الى جى موليه فى نفس اليوم - ٣١ يوليو - ينقل وجهة نظرة فى الأزمة فكتب؛ "حيث أننى ألاحظ أن الأحداث قد تجعل استخدام القوة ضروريا، فإننى أشعر أن الموقف الحالى يتطلب أن نتصرف باعتدال، ولكن بحسم؛ لنأتى بإدارة للقناة يعتمد عليها. إن الهدوء التام مطلوب فى تحديد مسار الدول الغربية فى هذا الوقت، وإنه من أجل هذا السبب، فإننا نقترح أن يعقد اجتماعا للدول المهمة.

إننى أعتقد أن جهودنا الآن يجب أن توجه نحو عقد هذا المؤتمر الدولى، الذى سيكون له تأثيرا اعلاميا على الرأى العام فى العالم. واذا تحدثت الحكومة المصرية هذا المؤتمر، أو رفضت مقترحات معقولة؛ فيمكن اتخاذ تصرفات أكثر ايجابية.

إننى مقتنع أن أى دولة غربية يجب أن تظهر للعالم أن كل الوسائل السلمية لحل هذه المشكلة قد استخدمت، وآمل أن التصرف المتسرع يمكن تجنبه" (٣).

Letter from President Eisenhower to PM Eden, Washington, July 31, 1956. (١)

Ibid. (٢)

Letter from President Eisenhower to PM Mollet, Washington, July 31, 1956. (٣)

## ٢- موقف مصر من التصريح الثلاثى:

تسلمت وزارة الخارجية المصرية فى ٣ أغسطس ١٩٥٦ من السفارة البريطانية فى القاهرة؛ نص البيان الصادر من حكومات الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا؛ حول تأميم مصر لشركة قناة السويس، كما تسلمت دعوة لحضور المؤتمر المقترح عقده فى لندن، فى ١٦ أغسطس. ونص التصريح الثلاثى على الآتى:

اتفقت حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا على التصريح بما يلى:

"١- أخذت الحكومات الثلاث علما بالقرار الذى اتخذته الحكومة المصرية أخيرا؛ خاصا بتأميم شركة قناة السويس، والاستيلاء على أموالها وممتلكاتها، والاضطلاع بمسئولياتها. وقد أنشئت هذه الشركة فى مصر سنة ١٨٥٦، وحصلت على امتياز يخولها حق انشاء قناة السويس والقيام بإدارتها حتى عام ١٩٦٨، وقد كان لشركة قناة السويس دائما طابعا دوليا؛ سواء فيما يختص

بحملة أسهمها ومديريها وموظفيها، أو ما يختص بمسئوليتها عن تأمين المرور فى القناة بصفتها طريقا مائيا دوليا.

وفى سنة ١٨٨٨، وقعت جميع الدول الكبرى ذات المصلحة فى المحافظة على الصيغة الدولية للقناة، وعلى حرية الملاحة فيها بصرف النظر عن تبعية السفن، وقعت جميع هذه الدول اتفاق القسطنطينية.

ومراعاة لمصلحة العالم أجمع؛ نص الاتفاق على ضمان الصيغة الدولية للقناة بصفة دائمة، بصرف النظر عن انتهاء امتياز الشركة.

وقد حدث أخيرا فى أكتوبر ١٩٥٤ أن اعترفت مصر بأن قناة السويس "طريق مائى له أهميته الدولية من الناحية الاقتصادية والتجارية والاستراتيجية"، وأكدت عزمها على احترام اتفاق سنة ١٨٨٨.

٢- تعترف الحكومات الثلاث لمصر بحقوقها كدولة ذات سيادة؛ بما فى ذلك حق التأميم، ولكن بشرط ألا تكون للممتلكات المؤممة صيغة دولية.

على أن الحكومات الثلاث تقرر أن الإجراء الذى اتخذته حكومة القاهرة غير مستوف لهذه الشروط، وأنه اتخذ لأغراض وطنية بحتة، كما أنها تتدد بالأساليب المصرية التى تتطوى على خرق للحقوق الرئيسية للانسان؛ اذ أرغمت الموظفين على مواصلة العمل تحت التهديد بالسجن.

٣- ترى الحكومات الثلاث أن القرار الذى اتخذته الحكومة المصرية فى الظروف التى اتخذ فيها، يهدد حرية القناة وسلامتها كما كفلهما اتفاق سنة ١٨٨٨؛ ولهذا أصبح من الضرورى اتخاذ الاجراءات التى تكفل لجميع الدول الموقعة على الاتفاق، وغيرها من الدول التى لها حق الانتفاع بها، كافة الضمانات التى نص عليها الاتفاق، مع مراعاة حقوق مصر المشروعة.

٤- ترى الحكومات الثلاث أنه لا بد من اتخاذ اجراءات لانشاء نوع من الادارة تحت الاشراف الدولى؛ لتأمين العمل فى القناة بصفة دائمة، كما نص على ذلك اتفاق ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨.

٥- ولهذه الغاية؛ تقترح الحكومات الثلاث عقد مؤتمر عاجل من الدول الموقعة على الاتفاق، ودول أخرى؛ وخاصة تلك التى لها مصلحة فى استخدام القناة.

وستوجه الحكومة البريطانية الدعوة الى الحكومات المذكورة فى البيان المرفق؛ لحضور المؤتمر الذى سيعقد فى لندن فى ١٦ أغسطس، وستشارك الحكومتان الأمريكية والفرنسية فى المؤتمر.

لم توافق الحكومة المصرية على ما جاء فى هذا التصريح، فقد حاول أن يعطى لشركة قناة السويس صفة غير صفتها الحقيقية؛ حتى يخلق الأسباب التى تبرر التدخل فى شئون من صميم السيادة المصرية.

وأعلنت الحكومة المصرية أنها تأسف؛ لأن تصريح وزراء الخارجية الثلاثة يشوه الوقائع بمحاولة منح القناة صفة دولية، كما أنه ذكر بعض الحقائق وأغفل البعض الآخر؛ الذى يثبت حقوق السيادة للحكومة المصرية. وبناء على ذلك، فإن تأميم الحكومة المصرية لشركة قناة السويس المصرية؛ قرار صادر منها بمقتضى حقها فى السيادة، وأى محاولة لاعطاء شركة قناة السويس صفة دولية، ليس الا تبريرا للتدخل فى شئون مصر الداخلية.

وحول ما ورد فى التصريح الثلاثى؛ من أن العمل الذى اتخذته الحكومة المصرية، يهدد حرية القناة وسلامتها، كما كفلهما اتفاق ١٨٨٨، فليس هناك ارتباط بين شركة قناة السويس المصرية، وبين اتفاقية ١٨٨٨ الخاصة بحرية الملاحة فى القناة. وإن أى محاولة للربط بينهما لأمر يدعو الى الشك؛ فإن شركة قناة السويس لم تكن مسئولة عن حرية الملاحة عن القناة، والحكومة المصرية هى التى تصون هذه الحرية؛ بمقتضى سلطاتها على أرضها التى تمر بها القناة، وتعتبر جزءا لا يتجزأ منها. وهذا الخلط بين شركة قناة السويس وبين حرية الملاحة، ليس الا محاولة جديدة لخلق المبررات للتدخل فى الشئون الداخلية لمصر، والتي تعتبر من صميم سيادتها.

إن التصريح الثلاثى نص على أن الدول الثلاث ترى أنه لا بد من اتخاذ اجراءات، لانشاء نوع من الادارة تحت الاشراف الدولى؛ لتأمين العمل فى القناة بصفة دائمة. إن هذا التصريح يستهدف الاعتداء على حقوق مصر، وسلبها سلطة سيادتها على القناة؛ التى تعتبر جزء لا يتجزأ من أرضها.

ذلك كان بيان الحكومة المصرية ردا على التصريح الثلاثى من وزراء خارجية الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا؛ تعقيبا على تأميم شركة قناة السويس، الذى رفض الصفة الدولية للقناة، كما استنكر الاشراف الدولى عليها، وتمسك باتفاقية ١٨٨٨ .

وقد سحب التصريح الثلاثى تجميد الأموال المصرية فى بنوك الدول الثلاث، وأعلنت كل من بريطانيا وفرنسا تعبئة الاحتياطي العسكرى، كما أذيع رسميا نبأ تحرك قواتهما وأساطيلهما. وقد استنكرت الحكومة المصرية هذا الاجراء، فهو تهديد للشعب المصرى؛ حتى يتنازل عن جزء من أراضيه أو سيادته للجنة دولية، هى فى الحقيقة استعمار دولى!

وعندما أعلنت الحكومة المصرية تأميم شركة قناة السويس، أكدت عزمها على حرية الملاحة فى القناة.

وقد وضع ناصر عدة تساؤلات، وكتب بخطة عدة ملحوظات بعد صدور التصريح الثلاثى، " ففيما يتعلق بالنص على أنه لا يتم تناول هذه المشكلة بروح عدائية، هل هذا حقيقى؟ ماذا عن العقوبات الاقتصادية، والمؤامرات لايقاف الملاحة فى القناة، والتحركات العسكرية؟

البنك الدولي لا ينتقص من سيادة الدول المشتركة فيه، والدعوة لمؤتمر لندن؛ لإقامة هيئة دولية تتولى ادارة القناة؛ العملية ليست مكسبا. والكلام عن البحث عن حل سلمى يتوافق مع أهداف ومبادئ الأمم المتحدة؛ هل التهديد والعقوبات الاقتصادية تنتمشى مع مبادئ الأمم المتحدة؟! ماذا عملت مصر ضد مبادئ الأمم المتحدة؟ أمتت شركة القناة المصرية بتعويض عادل.

إن الهدف هو حل مناسب يحترم حقوق السيادة لمصر، ويحمى قناة السويس كمرمى مائى دولى، بما يتفق واتفاقية ١٨٨٨. هل هناك اختلاف فى هذا الغرض؟ وبالنسبة لحرية المرور فى قناة السويس واتفاقية ١٨٨٨، مصر قالت إنها تحافظ على هذه الاتفاقية، هل تأثرت اتفاقية ١٨٨٨؟ ما هى العلاقة بين الشركة وبين اتفاقية ١٨٨٨؟

وعن السيادة وممارسة السيادة؛ كل يفسر ذلك على هواه، وهناك من يباشرون سيادتهم وسيادة الآخرين؛ وهؤلاء لهم تفسير للسيادة. وهناك من يباشرون سيادتهم فقط، ولهم تفسير آخر للسيادة.

والكلام عن مفاوضات حرة؛ هل هى حقا مفاوضات حرة، رغم كل العوامل التى تحيط بنا؟! أو هى فرض لارادة مستخدمى القناة؟! أما عن التعويض لاستخدام القناة؛ هل الموضوع ماضى فقط؟! إن اتفاقية ١٨٨٨ غرضها انشاء نظام للقناة تحقق بالتوقيع عليها، وعنوانها (حرية المرور فى قناة السويس).

وحول اقامة ترتيبات مؤسسية للتعاون بين مصر والآخرين المهتمين ( مجلس ادارة للقناة) وأنه لتحقيق هذه النتائج يتم التفاوض مع مصر حول اتفاقية؛ فكيف يكون هذا النظام عمليا؟ الثقة! سننظر الى هذه اللجنة كأنها استعمار مشترك اغتصب حقوقنا. هل ستكون اللجنة مسئولة عن حرية الملاحة؟ كيف ستتعاون مع الأهالى المعادين؟ من المسئول عن حماية القناة؟

ماهى حماية القناة؟ ما هى مسئولية مصر؟ كيف ستحرس هذه اللجنة القناة؟ كيف تتعامل مع العمال؟ هل سيكون هذا نهاية المتاعب أم بدايتها؟ هل كانت شركة القناة مسئولة عن حماية القناة؟ فى الحرب العالمية الثانية ماذا حدث؟ هل العملية هى تشغيل فقط؟ كيف ستعمل اللجنة فى بلد معاد؟

إبعاد تشغيل القناة تفصل عن تأثير سياسة أى دولة؛ ما معنى هذا؟ هل كانت شركة قناة السويس تحقق هذا الغرض؟ كيف تفصل هذا عن مصر؟ من المسئول عن حماية القناة؟ الأهالى فى بورسعيد والاسماعيلية والسويس، العمال، الأحزاب؟

رفض التعاون مع التنظيم الدولى، البنك الدولى المثل؛ مجلس الادارة يمثل دول، فكيف تفصل عن سياسة هذه الدول؟



مؤتمر لندن والسياسة، هذه اللجنة والسياسة، ما هي السياسة؟ الاستعمار؛ هل هو سياسة؟ السيطرة؛ هل هي سياسة؟ القومية؛ هل هي سياسة؟ الاستيلاء على القناة تحت أى اسم؟ كيف يمكن اقناع المصريين؟ كيف يمكن السيطرة عليهم بعد اغتصاب جزء من أرضهم؟ هل هذه سياسة؟ السياسة داخل مجلس ادارة شركة القناة؟ الموقف الخطير المتعلق بقناة السويس؛ ما هو السبب فى هذا الموقف الخطير؟ ماذا حدث؟ مصر باشرت حقا من حقوقها، كان سيؤل اليها فى ١٩٦٨. ما هو تأثير ذلك على حرية الملاحة؟ ما هو الغرض من خلق هذا الموقف الخطير؟ هل هذا كان سيحدث سنة ١٩٦٨ ، عند انتهاء امتياز الشركة؟

الخلاصة.. إن النظام المقترح، والظروف التى نقابلها تبين أن الغرض منه هو:

- ١- اجبار مصر على الموافقة على أن تتخلى عن حقوقها وسيادتها لمجلس ادارة قناة السويس؛ أى أن مستخدمى القناة يريدون أن يغتصبوا القناة.
  - ٢- هذا سيؤدى الى مشاكل واضطراب فى الملاحة، ولن يتحقق الغرض المطلوب؛ لأن كل مصرى سيعتبر هذا الإجراء استعمار مشترك، وسيقاومه حتى يتخلص منه.
- إن مصر ستدافع عن حقوقها وسيادتها؛ حقوقها فى ملكية القناة وحقوقها فى ادارة القناة. مصر أعلنت أنها تحترم اتفاقية ١٨٨٨ الخاصة بحرية المرور فى القناة، والتعاون الكامل مع مستخدمى القناة؛ تعاون دولى وليس سيطرة دولية! والتعاون الدولى سوف يضمن حرية الملاحة فى القناة لسفن جميع الدول. أما السيطرة الدولية سيكون لها نتائج خطيرة؛ إنها ستؤدى الى الصراع بين الشعب المصرى والمنظمة الأجنبية الجديدة؛ مما ينتج عنه اضطراب الملاحة، والاضرار بالمصالح الاقتصادية لدول كثيرة، إن ١٨ دولة تعتبر أن مصالحها الحيوية قد أضررت بشدة".
- لقد كان ناصر مؤمنا بحق مصر فيما أقدم عليه، ورغم أنه حين اتخذ هذه الخطوة لم يكن فى نيته أن يتراجع مهما كانت الظروف، فقد كان على استعداد للتفاوض على أى مستوى؛ لاعطاء تأكيدات لحرية الملاحة الدولية فى القناة، بل لقد سمح للسفن البريطانية والفرنسية بأن تمر دون دفع الرسوم المقررة عليها للإدارة الجديدة؛ حتى لا يفتح الباب لاحتمالات صدام سريع (١).

وعن تجميد الأرصدة المصرية فى باريس ولندن، كتب ناصر بخط يده؛ " إن ذلك يعتبر انتهاكا لاتفاقية بريتون وودز، التى دعت إليها الولايات المتحدة، وإن هذه الأموال كانت مرصدة لبرنامج الانعاش والتطور الاقتصادى فى مصر". وأن هذه الاجراءات التعسفية لا تتمشى مع تصرفات بنك مركزى مسئول، ثم دعا الى تكوين اتحاد للمدفوعات بين الدول الإفريقية والآسيوية.

(١) دافيد مورجان، مرجع سابق.

### ٣- مؤتمر لندن:

لقد نشأت فكرة مؤتمر لندن لدى أيزنهاور، وكان بذلك يحاول أن يكبح جماح البريطانيين والفرنسيين؛ الذين قرروا استخدام القوة المسلحة منذ أول يوم بعد صدور قرار تأميم قناة السويس. وكان أول رد الفعل عن فكرة المؤتمر الدولى فى بريطانيا، هو قلق سلوين لويد لانضمام روسيا اليه؛ لسبب أنها من ضمن الموقعين على اتفاقية ١٨٨٨، وعدم رغبة ايدن اطلاقا فى دعوة روسيا (١)؛ إلا أن دالاس قال: إنه لا يرى كيف يستطيع الهرب من واقع أن روسيا قد وقعت اتفاقية ١٨٨٨!

#### أ- المؤتمر واجهة للعمل العسكرى؟

فى أثناء المشاورات قبل عقد مؤتمر لندن، كان رأى ايدن، " أنه من الضرورى القيام بعمل عسكرى، واذا كسب ناصر بتأميم القناة؛ فإن ذلك يعنى كارثة للمصالح البريطانية فى كل الشرق الأوسط، والفرنسيون شعروا بنفس الشىء فيما يتعلق بمصالحهم فى شمال إفريقيا". وفى الوقت الذى كان يريد فيه البريطانيون والفرنسيون أن تشترك الولايات المتحدة معهم عسكريا فى عملية السويس، الا أنهم قرروا الا يعتمدوا على ذلك بعد استطلاع رأى أيزنهاور. وقد اكتفوا بطلب التأييد المعنوى والاقتصادى؛ فى صورة منتجات بترولية، وقيام الولايات المتحدة بجهود دبلوماسية لتحبيد أى اشتراك مفتوح فى الأزمة من جانب الاتحاد السوفيتى، على أن تتولى بريطانيا وفرنسا الباقي.

لقد ثار النزاع حول قناة السويس في فترة اشتدت فيها الحرب الباردة، كما توثقت فيها العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي، عقب اتفاقية السلاح في سبتمبر ١٩٥٥. وتجدر الإشارة الى تأكيد الولايات المتحدة أن الرأي العام الأمريكي ليس مستعدا لمساندة مغامرة عسكرية تقوم بها بريطانيا وفرنسا؛ ممكن أن تصور دوافعها على أنها طموح امبريالي أبعد من مشكلة القناة نفسها، ثم إن القناة كانت لا تزال مفتوحة للسفن.

Suez Canal, 1 August 1956, Cabinet Meetings 56 (56), released 2008.

(١)

وكان من رأى دالاس - الذى طار الى لندن لمحاولة احتواء الأزمة والتشاور مع أطرافها- أن المقاومة المصرية المبدئية للعملية العسكرية قد تكون محدودة، الا أنها فى الأجل الطويل ستكون كبيرة جدا. وقد أشار دالاس الى موقف بريطانيا فى قاعدة السويس فى عام ١٩٥٣، وكيف أن ٨٨,٠٠٠ من القوات البريطانية وجدوا صعوبة فى الدفاع عن أنفسهم ضد تكتيكات الاختراق والاعتقال التى قام بها المصريون! ورأيه أن الموقف هنا سيكون أسوأ؛ فمصر أقوى عسكريا، وتتلقى مساعدة معنوية وعسكرية من الاتحاد السوفيتي، كما أن نفوذها ومكانتها فى العالم العربى أصبحت أكبر.

وأكد دالاس على أنه لا يجب حساب رد الفعل المصرى فقط، ولكن رد الفعل هذا يسانده المساعدة الروسية؛ على الأقل فى شكل أسلحة ومعدات، وممكن متطوعين. وكذلك فإنه فى حالة استخدام القوة العسكرية، فإن كل العالم العربى وأجزاء من العالم الاسلامى سيكونون ضد بريطانيا وفرنسا، وسوف تكون هناك أيضا مشاكل فى الأمم المتحدة. وبعبارة أخرى فإن تبعات العمل العسكرى ستكون خطيرة، وستهدد مصالح بريطانيا أكثر من تأميم ناصر للقناة؛ خاصة بالنسبة لانتاج ونقل البترول (١).

واضح اذن أن بريطانيا كانت ماضية فى اتمام ترتيباتها العسكرية بالاتفاق مع فرنسا، فى الوقت الذى قامت فيه مناقشات فى مجلسى البرلمان البريطانى، وفى الصحافة البريطانية، وفى الجمعية الوطنية ووسائل الاعلام الفرنسية، كما اشتدت الضغوط من جانب حملة الأسهم فى القناة من الرأسماليين الفرنسيين.

ووصل التطرف والانفعال العاطفى من جانب مؤيدى الحكومة البريطانية فى مجلس العموم، الى تشبيه ناصر بهتلر وموسوليني! كما أثاروا خطوره قرار التأميم على اسرائيل، وخشية أن تحتذى به الدول العربية الأخرى؛ ويقود ذلك الى تأميم البترول. وامعانا فى عقاب مصر اتخذت الحكومة البريطانية قرارا بإيقاف شحن كل الأسلحة اليها.

Memo. of Conversation between PM Eden and Secretary of State Dulles,  
10 Downing st, London, August 1, 1956.

(١)

#### ب- الجدل السياسى فى بريطانيا يؤيد استخدام القوة:

لقد أثيرت فى مجلس العموم البريطانى فكرة التحرى عن الطرق البديلة لقناة السويس؛ كإنشاء خط أنابيب من العقبة الى حيفا - ٢٥٠ ميل - والتشجيع على بناء ناقلات بترول أكبر تمر حول الرجاء الصالح (١).

أما فى مجلس اللوردات، فكان الاتجاه الى التفرقة بين ناصر وبين مصر؛ لا أعرف كيف؟! ووضح الخوف من زيادة الرسوم، وهو ما نفاه ناصر بنفسه.

والوحيد الذى أنصف ناصر هو لورد ستانسجيت - الجنرال وليام سليم - الذى أعلن " أن ناصر لم يفعل شيئا يخرق فيه القانون، فشركة القناة مصرية، والمحكمة الوحيدة التى يمكن أن يمثل أمامها هى أعلى محكمة مصرية ". وذكر أنه قابل ناصر؛ الذى قال له: " أنتم والأمريكان تقدمون لنا أموالا، ولكن توجد شروطا كثيرة مثل؛ يجب أن تعقدوا سلاما مع اليهود، ويجب أن توقعوا اتفاقا مع السودان، ولكن عندما يتقدم الروس بعرض؛ يقولون ببساطة: خذوا الأموال!"

" لقد وجه ناصر هذه الضربة التى أدت مكانة بريطانيا، وأغضبت كل الأمة". وقد اعترف لورد ستانسجيت أنه يعرف مصر جيدا، حيث ذهب اليها فى ١٩٥٣، واشترك فى مفاوضات مع الحكومة المصرية. وإن ما يجب على بريطانيا أن تفهمه؛ أن ثورة كاملة قد قامت فى مصر، بعد حوالى مائه عام من حكم أسرة البانية كانت مكروهة من الشعب.

وذكر ستانسجيت " أنه لا يعتقد أن ناصر يريد مشاكل، ولكنه يريد أن يعمل لثورته؛ فيجب أن يحصل على أموال، إنه يجب أن يبني السد ويزرع الصحراء".

وقد اقترح ستانسجيت " حلا بسيطا ومتاحا؛ أداة جاهزة وهى اتفاقية ١٨٨٨، إنها تسيطر على الاستخدام الدولى للقناة. إنها تقيم جهازا يجتمع سنويا فى القاهرة كل سنة للمراقبة؛ للتأكد من أن كل شىء يسير بدقة. اذا انضمت اليها الولايات المتحدة وروسيا، يمكن التأكد من تأمين الاستخدام الدولى للقناة، وأن حقوق بريطانيا محمية، ولا توجد حاجة لأى مشاكل بعد ذلك".

أما بالنسبة للناحية الاقتصادية، فحذر لورد ستانسجيت "أنة قبل البدء فى اجراءات عنيفة فى شئون المال، فإن بريطانيا لديها حوالى ٣٠٠ مليون جنيه فى قاعدة السويس. أما الفرنسيين فهم فى وضع أصعب؛ لأن لهم ممتلكات كبيرة فى مصر".

Commons Sitting, HL Deb 2 August 1956, Suez Canal Debate, vol 557 cc1602 – 431602. (١)

ونصح ستانسجيت الحكومة " بألا تحاول أن تجعل من اسرائيل مخلب فى محاربة العرب؛ إن ذلك يكون خطأ قاتلا. وانتقد أن الحكومة البريطانية لم تفعل شيئا حيال حظر مصر اسرائيل من المرور فى القناة".

وحول العقاب، تساءل ما العقاب؟ وأشار الى أيام عرابى؛ "الجد السياسى لناصر والممثل للثورة المصرية فى ١٨٨١". وشرح أنه "بعد أن هدأت الأمور أرسلت بريطانيا ٢٢ سفينة حربية الى الإسكندرية، ضربتها، ثم دخلت الى القاهرة عن طريق قناة السويس"، وعلق قائلا: " هذه هى الطريقة للتصرف!" ولقد نسى ستانسجيت أن عصر الامبراطورية البريطانية قد ذهب، وأن الشعوب أصبحت لا تقبل احتلالها بالقوة.

وكرجل عسكرى ، لفت لورد ستانسجيت نظر الحكومة أنه "يجب التفكير فى آثار التصرف قبل القيام به، فاذا تقرر استخدام القوة، فماذا يكون تأثير ذلك على الكومنولث وعلى العالم بصفة عامة؛ خاصة الهند وباكستان؟ وماذا يحدث لحلف بغداد؟ وماذا عن ايران؛ وخاصة بعد أن زار الشاه الاتحاد السوفيتى؟ وماذا عن الأردن؟ واذا اتخذت بريطانيا اجراءا عنيفا ضد مصر، فمن المؤكد أن دول الجامعة العربية وكل أصدقائهم سينضمون الى الجانب الآخر.

أما لورد كيلرن فتساءل؛ "هل بريطانيا مستعدة أن تترك ناصر يأخذ القناة؟ إن الحكومة فى وقت اختبار ليس بالنسبة لناصر فقط، ولكن بالنسبة لهذه الدولة. إن تصرف ناصر " قرصنة " كما وصفته صحفية التايمز؛ ولذلك يجب التصرف وبسرعة" (١) .

بل علا فى مجلس اللوردات صوت لورد جيفريز قائلا: " إنه كان خطأ جسيما من ناحية الحكومة البريطانية أنها لم تتدخل - وبسرعة - عندما قام نجيب وناصر بالانقلاب فى ٢٣ يوليو

١٩٥٢ . لقد كان لبريطانيا التزامات نحو ما أسماه « الحكومة الشرعية » فى مصر، بينما لم يكن لها التزامات نحو الحكومة الثورية. وكانت وقتها القوات البريطانية موجودة فى مصر، وكان من الممكن أن تتدخل بريطانيا وبكفاءة، فإذا لم تتدخل بريطانيا هذه المرة، فستحدث انقلابات أخرى. إن الكلام فى الشرق؛ أن بريطانيا أصبحت ضعيفة، ولا تفعل الا الكلام عندما تجرح، وهذه سمعة مميتة هناك.

Lords Sitting on Suez, Egypt and the Suez Canal, HL Deb 2 August 1956, vol 199 c563 95563. (1)

يجب أن نظهر أن " الاستيلاء " على القناة يخرج عن الحدود، ويجب أن نتحرك بسرعة وبحسم لايقاف ما يحدث. إن ناصر يعلم تماما أن بريطانيا هى أكبر مالكة للأسهم فى شركة قناة السويس، منذ شراء ديزرائيلى لأسهم الخديوى. وإذا كانت أمريكا غير مستعدة للتعاون، اذن يجب أن نتحرك بدونها، فنحن نعرف أن هذه سنة الانتخابات الرئاسية، وعادة ما يكون الجو السياسى ضد أى مواقف قوية، ولكن فرنسا الى جانب بريطانيا. إن كل تأخير يشجع ناصر، ويجب التحرك بسرعة ولا تعطى تنازلات لمصر، فكل الدول العربية تراقب.

إذا لم يوافق ناصر على شروط بريطانيا، فيجب أن يعامل مثل عرابى فى عام ١٨٨٢؛ بأن حاربه بريطانيا وأرسلته الى سيلان! وإذا كان ضروريا يجب محاربة ناصر، وتستخدم القوات المسلحة الى حد أقصى على الأرض والبحر والجو، يجب التصرف بقوة وفورا؛ لأن كل تأخير لمصلحة ناصر".

لورد بيردود كان رأيه " أن ناصر كان ذكيا عندما قال: إنه ينظر الى تأميم شركة قناة السويس كمساهمة نحو تكلفة بناء السد العالى، ولم يقل كل التكلفة. وقد عرض بيروود بديلين؛ أن تتدخل بريطانيا بالقوة منفردة، ولكن نظرا للظروف قد لا تستطيع ذلك؛ فلديها الكومنولث لتحميه، كما أن بترول أوروبا يمر خلال القناة، وكذلك بترول شمال الأطلنطى".

وتساءل، " ما الذى يقود اليه هذا المسلك؟ اعادة الاحتلال، وهذا قد يحل المشكلة لسنه أو أكثر، ولكن هذا يقود مرة أخرى الى الدائرة القديمة. وإذا فرض أن هذا التدخل سيؤدى الى اختفاء ناصر، فمن يأخذ مكانه؟ الوفد؟ وما الذى سيحدث فى ١٩٦٨؟

إن الحكومة المصرية تخاطب مباشرة شعوب الحكومات الأخرى بتفسيرات « شيطانية »؛ ولذلك يجب التشويش على صوت العرب!"

ويدين اللورد جرانثستتر تأمين قناة السويس، ويصفه بالعمل الاجرامى. ويتساءل عن امكانية اللجوء الى المحكمة الدولية؛ حيث يوجد خرق لحقوق بمقتضى اتفاقية دولية، وعن البترول، وعن ما أعدته الحكومة البريطانية عندما ينتهى امتياز قناة السويس، على الأقل التنبؤ باعادة ترتيب لشروط الامتياز فى ١٩٦٨. وهل غرض الحكومة البريطانية أن تحاول أن تتفاوض فى فترة المؤتمر الدولى الذى يدعون اليه؛ لأجل امتياز جديد يتعلق بصيانة وادارة قناة السويس، أم أن المؤتمر الدولى سيهتم فقط بضمان حرية المرور، ويترك ترتيبات الامتياز ليتم التفاوض بشأنها تجاريا "؟

ولقد تسابق أعضاء مجلس اللوردات فى ادانة عملية التأميم، وها هو ايرل دى لاوار يقول: إن مصر سبق أن مزقت معاهده ١٩٣٦، وهى الآن تمزق الامتياز اثنتى عشر سنة قبل نهايته! لقد تحدى ناصر نفوذ بريطانيا وكل الغرب، إنه رهان من " دكتاتور " حول الزعامة، فقد قال: من الأطلسى الى الخليج الفارس. اذا نجح هذا الرهان، فلن تكون لبريطانيا قيمة فى الشرق الأوسط. إن البعض من العرب والشعوب المستعمرة سعداء بهذه اللحظة؛ حيث يشعرون بإذلال الغرب، فقد قال نهرو فى خطاب: إن ذلك مثل آخر لضعف الغرب. فإذا تطلب الأمر القوة؛ فيجب استعمالها؛ إن الحكومة يجب أن تكون حازمة (١).

والخلاصة.. أنه كان هناك شبه اجماع فى مجلس العموم ومجلس اللوردات ومن الأحزاب الثلاثة فى بريطانيا، حول تأييد الحكومة فى اجراءات تدويل القناة، ثم عدم التردد فى استخدام القوة العسكرية، حتى لو تقاعست الولايات المتحدة.

### ج- ناصر يرفض حضور مؤتمر لندن:

لقد كان ناصر مؤمنا بحق مصر فيما أقدم عليه؛ فالقناة مصرية، وأيا كان الأمر فقد كان محتما فى النهاية أن تتخذ خطوة مشابهة. ورغم أنه حين اتخذ قرار تأمين القناة لم يكن فى نيته أن يتراجع مهما كانت الظروف، إلا أنه كان على استعداد للتفاوض على أى مستوى؛ لاعطاء تأكيدات لحرية الملاحة الدولية فى القناة.

ولقد دعيت مصر لحضور مؤتمر لندن، الذى ضم كل الدول الملاحية والمهتمة بقناة السويس، وكان ناصر عازما على الحضور، وكان كل مستشاريه ووزرائه يعارضون فى ذلك؛ فقد كانوا يشعرون أن الجو سوف يكون عدائيا، ولم يروا أى وجه نافع فى حضور هذا المؤتمر. وفى الليلة السابقة لموعد القرار النهائى، أجرى ايدن حديثا تلفزيونيا قال فيه: " انظروا.. هذا هو سجل ناصر " ، ثم عرض ورقة سوداء! فعرف ناصر عندئذ أنه من العبث الجلوس الى مائدة مع

ايدن لمناقشة أى وجه من وجوه المسألة، وعرف أنه وصل الى قراره الأخير، وألا فائدة من مناقشة رجل أعمته أحقاد، وكادت تصل به الى الكراهية الشخصية (٢)!

(١) Lords Sitting on Suez, Egypt and the Suez Canal, HL Deb 2 August 1956, vol 199 c596 – 27596.

(٢) دافيد مورجان، مرجع سابق.

وقد كتب ناصر بخط يده، " أنه ليس من المألوف أن يوجه رئيس حكومة مثل هذا القول لرئيس حكومة أخرى، إلا اذا كان متأكدا أنه يستطع أن يطيح به بسرعة؛ حتى يجد من يثق به ويتعامل معه... "

وكان يوم ١٦ أغسطس أكبر مفاجأة لمستتر ايدن والحكومة البريطانية والرأى العام البريطانى؛ فقد أعلنت الأمة العربية عن وحدتها من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى؛ فقد أيدت مصر فى كفاحها من أجل المحافظة على حقوقها فى قناة السويس، وأضرب العرب فى جميع البلاد العربية... وشعر ايدن أن استخدام القوة لن يمكن؛ فأى اعتداء على مصر سينتج عنه تهديدا للمصالح البريطانية فى جميع أنحاء الأمة العربية، وأنه لا يواجه مصر وحدها، ولكن يواجه الأمة العربية جمعاء.

ولكن ايدن لم يشأ ان يتراجع، وصمم على خطته فى مجلس العموم؛ حتى أجبر فى الجلسة الأخيرة على أن يتعهد بالذهاب الى الأمم المتحدة. وقد اتضحت... خطة المستتر ايدن لينقذ نفسه وينقذ حكومته، فبعد أن يأس من امكان عودة الماضى فى مصر، وبعد أن فشلت جميع محاولاته فى توجيه أى عنصر داخل مصر؛ أصيب بحالة عصبية!

وبعد أن يأس مستتر ايدن وأعوانه من التأثير على الجبهة المصرية الصلبة، اتجهوا الى الجبهة العربية التى ظهر تماسكها فى ١٦ أغسطس؛ بغرض التفرقة وبث روح التشكك والخلاف بين قادة العالم العربى... وقد عقد المؤتمر الثلاثى بين سعود والقوتلى وناصر فى ٢٢ سبتمبر، وأرسل الملك سعود الى الرئيس أيزنهاور ثلاث رسائل عن قضية القناة، وتلقى الرد، كما قدمت السعودية الى مصر ٢٠ مليون دولار.

كان ايدن يقول فى مجلس العموم: إن نجاح مصر فى القناة انتصار للقومية العربية، بعد هذا الانتصار لن نستطيع أن نحمل اسرائيل، وإن الضربة القادمة للعرب - إذا نجحوا - هى اسرائيل... ثم بدأت اعتداءات اسرائيل على الأردن...

لقد كانت بريطانيا وفرنسا تمون اسرائيل بالسلاح الثقيل، بالاضافة الى بعض دول أوروبا... كل هذا تحقيقا لقول مستتر ايدن فى مجلس العموم البريطانى: إنه مسئول عن حماية اسرائيل!"



وفى رسالة من ايدن الى أيزنهاور يقول: "إن سيطرة ناصر على القناة كان بلا شك مخططا ليرضى الرأى العام؛ ليس فقط فى مصر ولكن فى العالم العربى، وإفريقيا أيضا. لقد شاهدت خطابه فى أبوقير فى أول أغسطس، الذى قال فيه: نحن أقوىاء جدا؛ لأننا نشكل قوة لا حدود لها تمتد من المحيط الأطلسى الى الخليج العربى". ويضيف ايدن، "إننى أعرف أن ناصر نشط حيث يكون المسلمون... إن إزاحة ناصر واقامة نظام فى مصر أقل عداء للغرب، يجب أن يكون من أولويات أهدافنا (١) .

ولقد دأب ايدن فى رسائل متتالية على تقليب أيزنهاور على ناصر، والمبالغة فى تصوير خطورته على الغرب؛ خاصة من حيث تأثيره على باقى الدول العربية، والتأكيد على ضرورة التخلص منه. وبينتهى الى القول: إن الخلاف الذى يفصل بينه وبين أيزنهاور هو "خلاف فى التقدير لخطط ناصر ونواياه، وفى تبعات العمل العسكرى ضده فى الشرق الأوسط" (٢).

ومن جانبه صرح ناصر، " أن القومية العربية هى القوة الحاسمة فى المنطقة، ونحن مستعدون لمواجهة أى تحد، ويجب أن نعتمد على أنفسنا، ولن نعرض الأمر على مجلس الأمن. وإن مصر لا تعارض اعطاء ضمان حرية الملاحة فى القناة، ولكنها تعارض سيطرة الاستعمار. إن دخل القناة يكفى لتنفيذ مشروعاتنا، ولا حاجة الى زيادة رسوم المرور، وقد قررنا تنفيذ مشروع تحسين القناة الذى كانت الشركة قد اقترحتة علينا قبل التأميم...

لقد أممنا القناة، ولم لا نؤمّمها؟! إن القناة مصرية، إنها جزءا من أراضينا، ومن حقنا أن نؤمّمها. إن الصحف تقول: لقد خطف ناصر القناة! والواقع هو أن الدول الاستعمارية هى التى كانت قد خطفت من مصر حصتها فى الأسهم، وكانت تبلغ هذه الحصة ٤٤ ٪ من مجموع الأسهم. ويريدون تأليف لجنة دولية لضمان حرية الملاحة، ولكن ما الداعى لتأليف هذه اللجنة، وقد قامت مصر دائما بضمان حرية الملاحة فى القناة؟! ثم ما فائدة اللجنة الدولية؟ وكيف تستطيع ضمان حرية الملاحة اذا كان الشعب المصرى لا يضمنها؟ إن هذا غير ممكن من الناحية العملية، إذ كيف تستطيع اللجنة حراسة القناة على طولها، اذا لم يكن الشعب المصرى مستعدا لحمايتها؟! أو لم تضمن مصر حرية الملاحة فى أثناء الحرب العالمية الثانية؟! ...

Message from PM Eden to President Eisenhower, london August 5 1956.

(١)

Message from PM Eden to President Eisenhower, london August 6 1956.

(٢)

لقد فوجئنا بالتهديدات والاجراءات العسكرية، وبالتصريحات التى عبر فيها بعض الأقطاب عن عدم ثقتهم بجمال عبد الناصر. ما الفائدة اذن من الكلام أو المفاوضة اذا كانت الثقة منعدمة؟! إن ردنا الوحيد هو عدم الاشتراك فى المؤتمر الذى دعوا اليه ...

لقد قيل عنى فى الصحف الأجنبية أنى دكتاتور، بل وقيل عنى أنى فرعون! والدكتاتور هو الذى يحكم بلاده برغم شعبه، ولكم أن تتبينوا بأنفسكم ما اذا كان الحال كذلك فى مصر أم لا! إننا نستعد الآن لمواجهة أى هجوم، وسندافع عن أنفسنا حتى آخر قطرة من دمائنا (١).

#### د- الترتيبات السياسية لمؤتمر لندن:

تم الاتفاق بين الدول الثلاث؛ بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة على أن تكون رئاسة المؤتمر للمملكة المتحدة؛ الدولة المضيفة. وكلف دالاس بوضع الخطة الثلاثية، ثم بدأت المشاورات على أساس أنه يجب التركيز فى المؤتمر على أن مصر لا تدير القناة وحدها، وممكن أن تترك لها الملكية.

وكان ايدن لا يريد تدخل الأمم المتحدة فى النزاع، ولكن ممكن أن يكتفى باتصال معها فقط. وأكد على ضرورة الترتيبات العسكرية؛ لأنهم يجب أن يكونوا جاهزين! وأنهم أكملوا الخطة، وأشار الى أن حزب العمال يتقبل ذلك.

وكان الاتجاه فى مجلس الوزراء البريطانى الى أنه يجب اسقاط ناصر، ولكن ايدن كان يرى أنه من المشكوك فيه اسقاطه بدون استخدام القوة، وركز على أهمية موقف الولايات المتحدة الى جانبهم، وإن كان الأمريكان لا يميلون الى استخدام القوة بسبب الانتخابات (٢).

وقد غضب دالاس من الأخبار فى الصحافة عن الخلاف بين موقف الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، وقد أصدر بيانا ينكر ذلك.

وفى لقاء مع دالاس، اقترح ايدن اتخاذ عقوبات اقتصادية ضد ناصر، وأكد على أهمية الا يصل دخل القناة اليه، فيمكن وضع دخل القناة فى بنك فى الخارج، ومنعها عن ناصر؛ وبذلك فإن مركزه سيكون حرجا.

وأضاف ايدن أنه عند اللجوء الى القوة؛ ممكن دخول القوات العسكرية من القناة، وابطال اتفاقية القاعدة ١٩٥٤، والرجوع اليها مرة أخرى.

(١) مؤتمر صحفى عالمى لناصر بخصوص اعلان تأميم قناة السويس ، ١٢/٨/١٩٥٦.

(٢) Suez Canal , 14 August 1956, Cabinet Meeting 59(56), released 2008 .

أما دالاس فكان من رأيه أنه لا يمكن أن يقرر حلا؛ حتى لا يبدو أن المؤتمر يفرض حلا على مصر بدون أن يتناقش معها(١).

وفى إطار المشاورات قبل مؤتمر لندن، كان شاغل الدول الثلاث هو موقف الاتحاد السوفيتي، الذي اضطرروا الى دعوته نظرا لأنه من الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية في ١٨٨٨. وقد حرص دالاس أن يؤكد أنه بالرغم من وجود صعوبات كثيرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فإنهما يتفقان على تجنب وقوع أعمال عدوانية في الشرق الأوسط أو أى جزء من العالم؛ حيث أن نتائج الصراع العسكرى لا يمكن التنبؤ بها.

إلا أن الاختلاف كان موقف الدولتين من عملية التأميم، فقد عبر شيلوف عن رأى الحكومة السوفيتية؛ وهو أنه بمقتضى القانون الدولى والسوابق التاريخية؛ فإن مصر لها الحق فى تأميم شركة قناة السويس. وإن انكار ذلك ممكن أن يكون تدخلا فى شئون مصر الداخلية؛ مما يجعل الموقف أكثر خطورة، ويثير الرفض، ليس فقط فى مصر، ولكن فى دول أخرى؛ ومن هنا فإن موضوع التفاوض يجب أن يكون حرية الملاحة فى القناة.

أما بالنسبة للعقوبات الاقتصادية والاستعدادات العسكرية التى تتخذها كل من المملكة المتحدة وفرنسا، فإن الحكومة السوفيتية ترى أنها ليست مبررة، ولن تخلق المناخ المناسب لقرار متزن. والسوفييت لا يوافقون على تشكيل هذا المؤتمر؛ فلا مصر، ولا ٢٤ دولة أخرى تستخدم القناة تمثيلها فى المؤتمر(٢).

ومن خلال المشاورات قبل المؤتمر تقابل دالاس مع سلوين لويد وكريستيان بينو فى وسط جو أكثر تعقيدا مما سبق؛ حيث كان هناك ادراكا لضخامة عمل التدخل العسكرى، وعدم كفاءة مؤسساتهم العسكرية لتتولى مهمة حربية بهذا الحجم.

فلقد أكد بورجيس مانورى - وزير الدفاع الفرنسى - على صعوبة المشكلة الحربية التى تواجه بريطانيا وفرنسا، وذكر أن البريطانيين لم يقرروا بعد، اذا كان الهدف من الحملة العسكرية يجب أن يكون احتلال القناة، أو احتلال مصر!

(١) Telegram from the American Embassy in the UK to the Department of State , London , August 16 , 1956 .

(٢) Another Telegram from the American Embassy in the UK to the Department of State , London , August 16 , 1956.

ولقد كان واضحا أن كريشنا مينون - مندوب الهند - يرغب فى أن يكون وسيطا بين القوى الغربية ومصر. كذلك كان واضحا من كلام شيلوف؛ أن بلده سنؤيد رأى مصر، وأنها ترى أنه لا يمكن أن يكون هناك دور دولى فعال فى تشغيل القناة؛ أى أنهم كانوا يرفضون تدويل القناة (١).

#### هـ - فعاليات مؤتمر لندن:

##### (١) الموقف الثلاثى العدوانى: الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا:

بدأ المؤتمر فى ١٦ أغسطس ١٩٥٦، وبعد جلسة اجرائية، ألقى دالاس اعلانا، بعد الاتفاق مع سلوين لويد وكريستيان بينو، ومضمونه؛ أن الدول التى تؤيد هذا الاعلان، والمشاركة فى مؤتمر لندن عن قناة السويس، تهتم بالموقف الخطير فيما يتعلق بقناة السويس، كما تصمم على البحث عن حل سلمى يتفق مع أهداف ومبادئ الأمم المتحدة، ويعترفون أن الحل المناسب يجب من ناحية؛ أن يحترم سيادة وحقوق مصر، ومن ناحية أخرى يحافظ على قناة السويس كمر مائى دولى؛ بما يتفق مع اتفاقية قناة السويس فى ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨:

١- إنهم يؤكدون على الهدف المذكور فى مقدمة اتفاقية ١٨٨٨؛ "نظام محدد يهدف الى ضمان، فى كل وقت ولكل القوى؛ الاستخدام الحر لقناة السويس البحرية".

٢- هذا النظام يجب أن يؤكد ما يلى:

أ- التشغيل الكفاء الجدير بالثقة، وصيانة وتطور القناة كمر مائى حر، مفتوح وآمن؛ بما يتفق مع مبادئ اتفاقية ١٨٨٨.

ب- البعد بتشغيل القناة عن تأثير سياسة أى دولة.

ج - احترام سيادة مصر.

د - عائد منصف وعادل لمصر من استخدام قناة السويس؛ كمر مائى دولى على أرض مصرية.

هـ - يدفع الى شركة قناة السويس العالمية مبالغ مالية كتعويض.

٣ - رسوم القناة تحدد، ويجب توقيع اتفاقية بشأنها.

٤ - إنشاء مجلس ادارة دولى؛ لتشغيل وصيانة وتطوير القناة وتوسيعها، وأعضاؤه، بالاضافة الى مصر، من الدول الموقعة على هذه الاتفاقية، ويقوم مجلس الادارة بعمل تقارير دورية للأمم المتحدة (٢).

Message from the American Secretary of State to the President , London , August 16 , 1956. (١)

Message from the American President to the Secretary of State , Washington , August 19 , 1956 . (٢)

وكان تعليق أيزنهاور هنا أنه اذا قبل ناصر التفاوض حول هذه الأزمة، فإنه سيقبل الورقة الأمريكية، فيما عدا الجزء المتعلق بواجبات مجلس الإدارة؛ الذى سيتولى التشغيل الفعلى وصيانة

وتطوير القناة، ولكن ناصر قد يجد أنه من المستحيل أن يقبل كل ذلك. ومن ناحية الولايات المتحدة فلا مانع من مجلس ادارة، ولكن بسلطة اشرافية وليس تشغيل، ويمكن أن يكون مجلس الادارة به مسئولية تشغيل فى يد عضو يعينه ناصر - ويوافق عليه مجلس الادارة - وبذلك تكون مؤسسة قد أنشئت لتحقيق أهداف الغرب (١).

وقد أكد ماكميلان لدالاس - بعد تقديم الاعلان الأمريكى - أنه لا يوجد الا ثلاث خيارات؛ أن يتقبل ناصر طوعا ما جاء فى الورقة الأمريكية، أو أن تجبر مصر على ذلك، أو أن يقبل رفض ناصر؛ وفى هذه الحالة الأخيرة ستنتهى بريطانيا، وسيستقيل! وكان أيزنهاور يرى؛ ألا يسمح للبريطانيين والفرنسيين أن يصروا على خط متشدد جدا مع ناصر(٢).

وكانت حكومة الظل لحزب العمال قد أصدرت فى ١٣ أغسطس بيانا يعارض الحكومة، على عكس ما قال ايدن مسبقا، تضمن الآتى:

- ١- إن تأميم ناصر لشركة القناة ليس خطأ فى حد ذاته، ولكن الأسلوب التحكمى سبب قلقا.
- ٢- استخدام القوات المسلحة لحل النزاع، لا يمكن تبريره الا فى حالة التزامات وتعهدات طبقا لميثاق الأمم المتحدة.
- ٣- باستثناء منع سفن اسرائيل، ناصر لم يفعل أى شئ ممكن أن يبرر استخدام القوات المسلحة ضد مصر.
- ٤- الحكومة البريطانية يجب أن تعلن أن الإجراءات العسكرية التى اتخذت فى العشرة أيام الأخيرة، هى وقائية، و فقط للدفاع ضد أى عدوان محتمل.
- ٥- عقد البرلمان بعد انتهاء مؤتمر لندن.

---

(١) Telegram from the American Delegation at the Suez Canal Conference to the Department of State , London , August 18 , 1956 .

(٢) Telegram from the American Department of State to the Secretary of State at London , Washington , August 18 , 1956.

وقد كان تعليق دالاس على هذا البيان؛ أنه ضربة قاسية لحكومة المحافظين، وأنه اذا وقف ناصر بصلافة؛ فإن النتيجة قد تكون حكومة عمال، وبالتالي أكثر اعتدالا (١).

## (٢) موقف الاتحاد السوفيتى الى جانب مصر:

ومن جانب آخر ألقى شيلوف خطابا فى مؤتمر لندن، أكد فيه على الحق فى التأميم، وتقديس السيادة، وإزالة بواقي الاستعمار. (٢) وقد حاول دالاس مع شيلوف أن يصل الى اتفاق مع الروس، ثم يفرض على مصر، وتكون تلك عملية ثنائية؛ بتجاهل بريطانيا وفرنسا (٣).

وكان من الواضح أنه من ٢٢ دولة مشاركة فى المؤتمر، ١٢ يؤيدون الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، ٦ دول ضدهم، ٤ دول تأخذ موقفا وسطا. وكان دالاس يرى أن الخطورة تكمن فى أن الغرب فى جانب، وآسيا على الجانب الآخر، والاتحاد السوفيتى على الجانب الآسيوى. وبرغم أن حكومتى ايران وباكستان صديقة للغرب، ولكن الشعور الشعبى فيهما مع مصر؛ لدرجة أن حكومتيهما كانت مترددة فى أن تتورط فى طريق قد يبدو ضد مصر (٤).

ولقد اختلف الموقف الروسى عن الموقف الأمريكى بصورة كبيرة أثناء المؤتمر، فقد أعلن شيلوف رفض مشروع القرار حول الورقة الأمريكية، وأعرب أنه كان يعتقد أنه من الممكن ايجاد حل وسط مقبول، خاصة بعد تبديل الصيغة الأكثر جمودا من جانب واحد بتدويل التشغيل؛ بالاشتراك المصرى، وقال: إن مشروع دالاس مخيب للآمال؛ لأنه لم يقدم الأساس للحل الوسط.

وكان السبب الأساسى لذلك فى رأى شيلوف، أن المشروع بينما يتضمن بعض الاشارات الى السيادة المصرية، فإن موضوع الحق فى التأميم - الذى قبله الجميع - من الواضح فيه من سيشغل القناة. وها هو مشروع دالاس يقترح مجلس ادارة دولى لتشغيل وصيانة وتطوير القناة، ومطلوب من الحكومة المصرية أن تقدم لهذا المجلس كل التسهيلات!

---

Message from the American Secretary of State to the President , London , August 19 , 1956. (١)

Message from the American Secretary of State to the President , London , August 17 , 1956. (٢)

Message from the American Secretary of State to the President , London , August 18 , 1956. (٣)

Message from the American Secretary of State to the President , London , August 17 , 1956. (٤)

إن هذا يعنى أن مصر لن تدير القناة، وأن أعضاء آخرين من مجلس الإدارة - بدون مصر - سيكون لديهم المسؤولية، ولمصر دور ثانوى. إن ذلك لن يقبله الشعب المصرى، وسينظر اليه كمحاولة - على أساس غير متكافئ - لفرض صيغة استعمارية.

وهناك أيضا موضوع الرأى العام، فمشروع دالاس يبدو وكأنه دولة داخل الدولة. ويجب أيضا تجنب أى مظهر لعدم المساواة؛ فهذا المشروع يكرس سيطرة دولية على شكل تنازل يمس سيادة مصر .

وكان تعليق دالاس على الموقف الروسى، أنه لن توجد الثقة الدولية اذا أدارت مصر القناة(١)!

تبنى مؤتمر لندن تشكيل لجنة خماسية برئاسة منزيس لمفاوضة ناصر. وقد كان هناك اقتراحا من ١٨ دولة أن يقوم دالاس وحده بمهمة التفاوض عنهم كلهم، ولكنه أعتذر (٢). وقرب انتهاء جلسات المؤتمر أدلى شيبيلوف بخطاب؛ اتهم فيه الخطة الأمريكية بأنها مناورة للاستعمار، مرسومة لاعادة فرض الحكم الغربى على مصر (٣).

وفى الجلسة الأخيرة لمؤتمر لندن قدم شيبيلوف مشروع قرار يتضمن؛ أنه تم الاتفاق على أن التسوية يجب أن تتم بطريقة سلمية، من خلال التفاوض على أساس حقوق السيادة لمصر، وحرية الملاحة فى القناة طبقا لاتفاقية ١٨٨٨، أخذا فى الاعتبار تغير الظروف (٤).

وقد استاء ايدن من موقف الروس، وعبر عن رأيه فى رسالة الى أيزنهاور كتب فيها عن "المجهودات الهدامة" للروس فى المؤتمر، وأنهم يستخدمون ناصر لتحقيق أهدافهم؛ وهى ابعاد الغرب عن الشرق الأوسط، والحصول على موطئ قدم فى إفريقيا للسيطرة عليها. وإن سياساتهم التى تهدف الى الوحدة العربية، والغاء كل القواعد العسكرية، ومنع الاستغلال، انما هى موجهة الى قاعدة هويلس والحيابنة، وكذلك الى امدادات البترول فى الشرق الأوسط. وفى نفس الوقت، فإن الكتلة الشيوعية تعطى مساعدات اقتصادية وسياسية للدول الإفريقية المستقلة؛ وذلك سيزداد عندما تستقل باقى المستعمرات الغربية.

(١) Memorandum of a Conversation , US Embassy London , August 20, 1956,

Subject : US and USSR views on the Suez problem , Dulles Shepilov .

(٢) Message from the American Secretary of State to the President , London, August 22 , 1956.

(٣) Message from the American Secretary of State to the President , London, August 21 , 1956.

(٤) Telegram from the American Delegation at Suez Canal Conference to the Department of State , London , August 23 , 1956 .

وأعاد ايدن التأكيد لأيزنهاور، على أن ناصر لا يجب أن يسمح له بأن يكسب، وكلما كانت جبهة الثلاثة قوية - بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة - كلما زادت الفرصة لأن يتراجع ناصر، بدون الحاجة الى اللجوء الى القوة. وقد انتهى بالقول: "إن الموقف الحالى أكثر خطورة من الذى واجهنا سنة ١٩٤٠" (١)!

### (٣) الموقف المصرى:

كتب ناصر بخط يده، "كنتيجة للمؤتمر؛ تقوية لموقف مصر .. مصر تصر على احترام سيادتها. الحجج بالنسبة للتأميم هى عدم امكان ادارة القناة بدون الشركة؛ هذه الحجج هزمت. لجنة خماسية؛ معناها اهمال مشروع الهند.

من الضرورى اعلان موقف مصر بالنسبة للمسائل الرئيسية لمشكلة القناة. فمن ناحية، يجب أن يقال أن مصر تدافع عن سيادتها الى النهاية؛ حقوق مصر فى قناة السويس، حق مصر فى ادارة القناة. ومن الضرورى - بطريق الاقناع - تأكيد أن مصر تصمم على مبادئ حرية الملاحة فى القناة، ومصالح المستعملين الأجانب للقناة، ومستعدة لمقابلة الاقتراحات التى تهدف الى اقامة نظام دولى.

إن ذلك سيؤدى الى تهدئة الدول المهمة بتأمين حرية الملاحة، وفى نفس الوقت، فإنها تجند الذين لا يريدون اقامة صراع حقيقى بالنسبة لقناة السويس. يمكن أيضا أخذ اقتراح الهند فى الاعتبار، والاقتراحات الأخرى التى يمكن أن تقبلها مصر فى مؤتمر لندن.

وفى نفس الوقت يمكن اظهار على أى أسس، وكيف تسير مصر القناة، خاصة لاعتبار امكان الآتى:

١- موقف مصر بالنسبة لحرية الملاحة المستمد من النقط الرئيسية فى اتفاقية ١٨٨٨، اعادة تأكيدات مصر فى ٢ أغسطس.

٢- بيان موافقة مصر على اقامة هيئة استشارية، تكون من ممثلى الدول المهمين بالملاحة. وموافقة مصر على اقامة أشكال التعاون الدولى؛ فيما يتعلق بتغيير الرسوم والمساعدة الفنية، والنظر فى شكل من تعاون مصر مع الأمم المتحدة؛ للرد على حجج الدول التى تؤيد تدويل القناة.

Message from PM Eden to President Eisenhower, London, August 27, 1956.

(١)



إن القول إن مصر مستعدة لاستخدام القناة كسلاح سياسى؛ فإنه كعمل مضاد لهذا، يمكن اعلان المبادئ الرئيسية لادارة القناة من جهة مصر؛ لتبين أن الحكومة المصرية أقامت هيئة القناة، التى لن يكون لها أى عمل سياسى. وفى نفس الوقت يمكن وصف الشركة كمستقلة قانونيا؛ بأنها هيئة اعتبارية. وهى ستحافظ على عمل القناة؛ على أساس احترام شديد لمبادئ حرية الملاحة، والمساواة الكاملة لسفن جميع دول العالم، بدون أى تمييز.

الشركة المصرية تُوَجَّر للعمل فنيين أجانب. ويجب الاعلان مرة أخرى عن ضرورة اقامة مؤتمرا دوليا فى القاهرة - فى أقرب وقت - من الدول التى تستخدم القناة؛ للاتفاق على حرية الملاحة، ووسائل التعاون الدولى بهذا الخصوص". وقد وصف ريموند هير - السفير الأمريكى فى القاهرة - هذه الاقتراحات بأنها بناءة لحل مشكلة القناة (١).

" ويكون جيدا اذا قامت حملة كبيرة من الدول العربية وآسيا من أجل القرار الهندى. إن مصر تستخدم نفوذها فى اندونيسيا وسيلان وبورما والدول العربية فى الشرق الأوسط؛ من أجل أن تؤيد الدول المشروع الهندى. وروسيا أعربت أنه ليس عندها شك، اذا كانت مصر تتصل بالدول الشيوعية، فإنها ستؤيد هذا المشروع.

كل هذا سينزع السلاح من أيدى الانجليز والفرنسيين والأمريكان؛ خصوصا ما يقولونه من أن فى جانبهم ١٨ دولة، وفى الجانب الآخر ٤ دول، وسيكون لمصر تأييدا عاما".

ولقد كان كريشنا مينون قد تقدم فى مؤتمر لندن باقتراح رسمى - بعد اقناع المصريين - قائلا: لماذا لا يقبلوا تكوين مجلس مستخدمى القناة؛ الذى تكون مهمته التأكد من أن القناة يتم صيانتها وادارتها بكفاءة؟! إنه لن يكون له فى الحقيقة أى تدخل فى الشؤون الادارية، إنها ليست لجنة مراقبة، ولكنه سيحقق اتصالا وثيقا مع مستخدمى القناة والادارة الجديدة لها.

والمصريون - بعد المعارضة قليلا - قبلوا فكرة وجود المجلس. وتقدمت الهند بهذا الاقتراح فى مؤتمر لندن، ورفضه دالاس، وبالتالي لم تكن هناك فرصة لكى يمر هذا المشروع فى المؤتمر، كما أن ايدن لم يوافق على فكرة أن تكون هيئة المنتفعين مجلسا استشاريا!

Raymond Hare , Oral History Project , The Association for Diplomatic Studies  
and Training , Foreign Affairs, 22 July 1987.

(١)

رفض المشروع الهندي، وتقدم الأمريكان والبريطانيون، والذين صوتوا معهم، فعينوا منزيس ليذهب لمقابلة ناصر، ويقول له: أن يتراجع عن موضوع التأميم، واشتعلت الأزمة (١).  
وفي ٢ سبتمبر ١٩٥٦ صرح ناصر في مؤتمر صحفى: "إننى مستعد لقبول أى حل لمشكلة قناة السويس؛ بشرط عدم المساس بسيادة مصر، ولكن أرفض فكرة الاشراف الدولى على القناة، وإنى على استعداد لتوقيع معاهدة تكفل حرية الملاحة بالقناة. إن مصر هى التى تواجه التهديد من دولتين كبيرتين؛ هما فرنسا وانجلترا، وإننا نريد الوصول الى حل عن طريق المفاوضات.  
ولن أثير مشكلة القناة أمام الأمم المتحدة؛ لأننى أخشى أن تستخدم احدى الدول الكبرى حق الفيتو، ولأنى فقدت الأمل فى مجلس الأمن. إننا نفضل الاعتماد على الرأى العام، وعلى السلوك الأخلاقى العالمى.  
إننا لا نستطيع أن نقبل الاشراف الدولى على القناة؛ لأنه يعنى استعمار مشترك، أما الشركة المنحلة، فإنها لم تكن الا بقية من بقايا الاستعمار، ودولة داخل الدولة. إننا لا نريد الحرب، لكننا نقاثل اذا هوجمنا".  
وأضاف ناصر: "وإنى أشعر بخيبة أمل من تصريح أيزنهاور عن دولية القناة؛ مما أدى الى أن تحتج مصر، ولكن الايضاحات التى ذكرها فى مؤتمره الصحفى، قد طمأنت الشعور المصرى بدرجة مرضية".

#### (٤) رفض مشروع منزيس لتدويل القناة:

وفى هذا الجو المشحون بالتوتر تلقت وزارة الخارجية المصرية من سفير مصر فى لندن رسالة موجهة الى ناصر من منزيس، يسأل فيها؛ هل يوافق الرئيس على الاجتماع مع لجنة من خمس دول، بالنيابة عن ١٨ دولة؛ لعرض وجهات نظرها بخصوص قناة السويس؟

وفى ٢٨ أغسطس اجتمع مجلس الوزراء المصرى للبت فى هذه الرسالة، وقرر الموافقة على التفاوض مع لجنة منزيىس. وقد عقدت اللجنة مع ناصر عدة لقاءات من ٣ - ٩ سبتمبر. عرض فيها منزيىس مقترحات مؤتمر لندن؛ التى كانت تهدف الى سحب قناة السويس من سيطرة مصر، وتتلخص هذه الخطة فيما يلى:

١- الاعتراف بملكية مصر للقناة، ومن مصلحتها صيانتها وتحسينها، وأن تكون أكثر مكسبا بمرور السنين.

٢- أعباء القناة المالية فى المستقبل، التى تتطلبها الصيانة والتحسين، ستقوم بها هيئة جديدة؛ ولذلك فإن مصر ستعفى منها.

٣- مصر وحدها هى التى ستحصل على المكسب من القناة.

٤- نظام عادل لتعويض حملة أسهم قناة السويس، قد تم الاتفاق عليه.

٥- التوتر الخطير الموجود الآن دوليا سينتهى؛ على أسس مرضية للدول المستخدمة للقناة، ومتفقة تماما مع كرامة مصر واستقلالها وملكيته للقناة (١).

وعلق ناصر: "لقد جاء منزيىس بشروط، يا إما نقبلها أو نرفضها تحت التهديد بالعدوان، على أساس تسليمهم القناة وعوائد القناة؛ تسليمهم جزء من أرض مصر. إنها ليست مفاوضة، ولكن املاء شروط! إن الكلام مع منزيىس كان واضحا؛ معناه أن مصر لن تقبل أى هيئة دولية تغتصب جزءا من أرضها، وتباشر جزءا من سيادتها.

ما الذى يحدث؟ يقولون أنهم سينشئون هيئة جديدة؛ اسمها " هيئة مستخدمى قناة السويس"؛ الغرض منها أن تجمع الرسوم ، وتمنع مصر من أن تباشر قيادتها. إنه لا يمكن أن يكون هناك جهازين يديرون الملاحة فى القناة، والا نستطيع أن نجتمع عدة دول، ونقول: نعمل هيئة مستخدمى ميناء لندن! كل دولة تستطيع أن تفعل ذلك، وتصبح هناك فوضى دولية، وتنتهى بذلك العلاقات الدولية والقوانين الدولية ... إنه اقتراح ليس لتكوين جمعية مستخدمى القناة، ولكن لتكوين جمعية لاعلان الحرب، وللاعتداء على سيادة الدول الصغرى.

طلبنا التفاوض معهم؛ رفضوا، يريدون أن يفرضوا شروطا تؤثر على سيادتنا، يهددون بالقوة، لكننا سندافع عن سيادتنا ، وسنقاوم العدوان بالعدوان، سنحارب ونقاتل من يعتدى علينا (٢).

(١) Commons Silting , HC Deb 13 September 1956 , vol 558 cc161-316161 , Suez Canal .

(٢) خطاب ناصر فى حفل تخريج ضباط جدد فى كلية الطيران ببلييس ، ١٥/٩/١٩٥٦ .

اذن لقد جاءت لجنة الخمسة الى مصر ومعها مشروع مؤتمر لندن لتدويل القناة، ويقول ناصر: "ولم أجد إلا الرفض!"

ثم أقدم البريطانيون والفرنسيون بعد ذلك على العمل الذى حسبوا أنه سيثقل حركتنا؛ فأمرنا كل مرشديهم أن يتركوا خدمة القناة يوم ١٤ سبتمبر فى منتصف الليل. وقد كان تسيير الملاحه فى القناة يحتاج فى الظروف العادية الى ٢٥٠ مرشدا؛ فلم يبق لنا بعد تخلى المرشدين البريطانيين والفرنسيين عنا سوى ٢٦ مرشدا مدريا، ٣٠ مرشدا تحت التمرين!

طلبت محمود يونس (١)، وأفهمته أن سلامة الموقف كله تتوقف على بقاء القناة مفتوحة، فرد قائلا: ستبقى القناة مفتوحة. وأنا أنهم سلوين لويد بالذات؛ لأنه أجمع مع بيكو - مدير الشركة- من ١٠ أيام ، وأنفق معه على ذلك.

وفى تلك الليلة حضرت مؤتمرا صحفيا، فلما سئلت عما أزمعت عمله إزاء خروج المرشدين، أجبت ببساطة: إني قد أعطيت تعليماتى بتيسير حصولهم على تأشيرات الخروج. واستولت الصدمة على المراسل، فسألنى قائلا: أهذا كل ما هناك؟ فقلت لا، فقد أمرت الفرقة الموسيقية أن تعزف لهم عند رحيلهم «حفظ الله الملكة» أو «المارسييز»!

وكانت هذه الكلمات ملؤها التحدى، لكن ثقنى فى محمود يونس كانت تامة، فبعض المرشدين اشتغلوا ٧٢ ساعة دون توقف! لكن القناة ظلت مفتوحة، ولم يحدث فيها أى تعطيل أو حوادث. وهكذا أفسدنا آخر اعتراض ممكن على كفاءتنا لضمان سلامة الملاحه فى القناة" (٢).

وقد وجه ناصر رسالة الى روبرت منزيس فى ٩ سبتمبر ١٩٥٦، جاء فيها: "تلقيت خطابكم فى ٧ سبتمبر ١٩٥٦ الخاص بالمقابلات التى تمت بيننا وبين اللجنة التى ترأسونها، والتى تمثل الحكومات الثمانية عشر التى اشتركت فى مؤتمر لندن الخاص بقناة السويس.

لقد أشترتم الى أن الدول الثمانية عشر تمثل ٩٠ ٪ من الدول التى تستخدم القناة، وما نفهمه من ذلك هو أنها تشمل تلك الدول؛ التى وإن لم تكن تمتلك سفن تعبر القناة، إلا أنها تعتمد عليها فى مرور الجزء الأكبر من تجارتها الخارجية؛ مثل استراليا وسيام واندونيسيا والهند وباكستان وإيران والعراق والعربية السعودية والحبشة والسودان.

---

(١) محمود يونس، رئيس هيئة قناة السويس.

(٢) دافيد مورجان، مرجع سابق.

إن مشكلة القناة لها علاقة وثيقة بمبادئ السيادة وحق الملكية وكرامة الدول، وليس هناك شك في حق الحكومة المصرية التام في تأميم الشركة العالمية البحرية لقناة السويس. وبعد التأميم أعلنت الحكومة صراحة أنها تعتبر نفسها مرتبطة بمعاهدة ١٨٨٨؛ التي تضمن حرية الملاحة في قناة السويس، واستعدادها لتعويض المساهمين تعويضا عادلا.

وفي ١٢ أغسطس أعلنت الحكومة المصرية استعدادها لدعوة الدول الموقعة على اتفاقية القسطنطينية عام ١٨٨٨، الى أن تشترك وإياها في مؤتمر تساهم فيه الحكومات التي تعبر سفنها قناة السويس؛ بغية إعادة النظر في اتفاقية القسطنطينية، والنظر في عقد اتفاقية بين تلك الدول؛ تؤكد وتضمن حرية الملاحة في قناة السويس.

ولقد استمرت الملاحة في قناة السويس بنظام وكفاية في خلال خمسين يوما الماضية، وذلك بالرغم من الصعوبات التي خلقتها كل من حكومة فرنسا والمملكة المتحدة، وبعض ذوى المصالح من أفراد شركة القناة السابقة.

إن هذه الأزمة ما هي الا من اختلاق الجهات المذكورة، ويدل على ذلك ما يلي:

- ١- التصريحات المتضمنة التهديد بالقوة.
- ٢- تعبئة فرنسا والمملكة المتحدة لقواتهما، وما تقومون به من تحركات لهذه القوات.
- ٣- تحريض الموظفين والمرشدين الذين يعملون في قناة السويس على ترك عملهم فجأة؛ بواسطة فرنسا والمملكة المتحدة، وبعض الموظفين الرسميين للشركة السابقة.
- ٤- التدابير الاقتصادية التي اتخذت ضد مصر.

وإذا كانت هناك أعمال تقوم على انتهاك وامتهان لنص ميثاق الأمم المتحدة وروحه، انما هي محاولة التهديد والضغط الاقتصادي، والتحريض على افساد أعمال الملاحة.

وقد قمنا بدراسة المقترحات التي قدمت في مؤتمر لندن وفي خارجه؛ بشأن هذه المشكلة، دراسة دقيقة، ومن بينها الاقتراحات التي قدمتها الثماني عشر دولة التي تمثلها اللجنة. ونحن نتفق مع الثماني عشر دولة في قولها: أنها يجب أن تخدم حقوق سيادة مصر، وأن تضمن حرية الملاحة في قناة السويس وفقا لاتفاقية ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ ، وأن تخدم حقوق ملكية مصر للقناة، وأن تضمن ادارة سليمة يعتمد عليها للقناة، كما تضمن أعمال الصيانة والتوسع.

ولكن عندما نفحص السبل التي تقدمها اللجنة لتحقيق هذه الأهداف؛ نجد أنها تهدم الغايات التي تستهدفها. فالشعب المصرى يعتبر النظام المقترح يقوم على العدوان، وينتهك حقوقه وسيادته؛ وكان من جراء ذلك أن تعذر التعاون.

وإن أية محاولة لفرض مثل هذا النظام، سيكون نذيرا لصراع، وسيدفع قناة السويس الى خضم السياسة بدلا من ابعادها عنها، كما تريد اللجنة. فما معنى تدويل القناة وعقد مؤتمر لندن، ثم ايفاد اللجنة الخماسية، والتهديدات بتحركات القوات المسلحة، واتخاذ التدابير الاقتصادية؛ ماذا يكون هذا كله إن لم يكن سياسة بكل معانيها!؟

وإننا نعتقد أن الابعاد الحقيقي للقناة عن السياسة يمكن أن يُضمن بإجراء دولي ملزم، إما في صورة اعادة تأكيد أو تجديد لاتفاقية ١٨٨٨، وكلا الحلين مقبول لدينا. وقد أوضحت اللجنة أن حكومة مصر مستعدة للدخول في أى اتفاق ملزم، فيما يتعلق بفرض رسوم عادلة.

أما فيما يتعلق بمشاريع تحسين القناة؛ فإننى أؤكد أن حكومة مصر مصممة على عمل كل شئ ممكن فى هذا المجال .

لقد أعلننا أن سياستنا هى أن تظل هيئة السويس مستقلة ذات ميزانية مستقلة. وإنها قد خولت كل السلطات اللازمة، دون أن تنقيد بالإجراءات أو النظم الحكومية. كذلك أعلننا عن نيتنا على تخصيص نسبة كافية من ايرادات القناة لتنفيذ مشروعاتها المستقبلية، والا توجه أى جزء من الايرادات اللازمة فى هذه المشروعات لأغراض أخرى".

إن المذكرة التى وزعت على الدول المدعوة الى مؤتمر لندن نقول؛ اقتراح بإنشاء هيئة دولية لإدارة قناة السويس:

أولا : اتفقت فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة على أنه فى أثناء عقد المؤتمر سيدرج مشروع اقتراح بإنشاء هيئة دولية لإدارة القناة.

ثانيا : أن تكون أغراض ووظيفة هذه السلطة الدولية ما يلى:

١- أن تقوم بإدارة القناة.  
٢- أن تضمن تأدية القناة لمهمتها على خير وجه؛ باعتبارها ممرا مائيا دوليا حرا مفتوحا وآمنا، طبقا لمبادئ اتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨.

٣- تنظيم دفع تعويضا عادلا لشركة قناة السويس.

٤- أن تضمن لمصر تعويضا عادلا.

وفى حالة فشل الاتفاق مع مصر فى ٣ ، ٤ ، يحال الموضوع الى لجنة تحكيم من ٣ أعضاء، تعيينهم محكمة العدل الدولية.

ثالثا: الهيئات التى تتكون منها السلطة الدولية هى: مجلس ادارة وهيئات فنية.

رابعا: اختصاصات السلطة الدولية:

١- القيام بكل الأعمال الضرورية.

٢- تحديد الرسوم والاتاوات.

٣- جميع المسائل المالية.

٤- اختصاصات الادارة والرقابة.

أى دراسة لهذه المذكرة؛ الغرض هو انتزاع القناة من أيدي مصر، ووضعها فى أيد أخرى".  
وقد عقد مؤتمر لندن الثانى فى ١٩ سبتمبر وسط جو عدائى لمصر، وانتهى الى تشكيل  
هيئة منتفعى قناة السويس (SCUA)، من الدول التى اشتركت فى مؤتمر لندن، وقد وقعت على  
البيان الآتى:

أولاً : إن أهداف هيئة المنتفعين هى:

١- تسهيل أى خطوات تقود الى حل نهائى أو مؤقت لمشكلة قناة السويس؛ يساعد الأعضاء فى  
مباشرة حقوقهم كمستخدمين لقناة السويس، بما يتفق مع اتفاقية ١٨٨٨، ومراعاة حقوق مصر.  
٢- تسهيل المرور الآمن والمنظم والكفاء والاقتصادى عبر القناة؛ لسفن أى دولة عضو تريد  
الحصول على تسهيلات هيئة المنتفعين، وتريد التعاون مع السلطات المصرية الكفؤة لهذا  
الغرض.

٣- أن تقدم تسهيلات للدول التى ليست عضوة؛ التى ترغب فيها.

٤- أن تتلقى الأموال وتحافظ عليها، وتوزع التى تأتى من الرسوم.

٥- تقدم تقارير لأعضائها عن التطورات الهامة التى تؤثر على استخدام القناة.

٦- المساعدة فى التعامل مع أى مشاكل تنتج عن فشل قناة السويس فى خدمة عملائها، وتدرس  
الوسائل التى تجعل من الممكن تقليل الاعتماد على القناة.

٧- تسهيل تطبيق أى حل وقتى لمشكلة القناة، ممكن أن تتبناه الأمم المتحدة.

ثانياً : ولتنفيذ الأهداف السابقة:

١- يتشاور الأعضاء فى مجلس يمثل فيه كل عضو.

٢- ينشئ المجلس مجموعة تنفيذية ممكن أن تفوض لها السلطات المناسبة.

٣- تعيين مدير يقوم بعمل الترتيبات بالنسبة لمصالح الملاحة البحرية، وسيتم تعيينه ويعمل المجلس  
من خلال المجموعة التنفيذية" (١).

٤- مصر فى مواجهة التآمر بالغزو:

بدأت التحركات العسكرية لبريطانيا وفرنسا مباشرة بعد تأمين قناة السويس، وكان الغرض منها ارهاب ناصر، ثم ارغامه بالقوة عن التخلي عن منطقة القناة؛ فيقومون باحتلالها، ووضع أيديهم على الممر المائي، والانفراد بادارته. وقد تأخر هذا الاجراء تحت ضغط أيزنهاور، الذى طلب من حليفه استنفاد الوسائل السياسية أولاً، كما ذكرنا. وفعلا علق ايدن اجراءات الهجوم العسكرى أثناء فترة انعقاد مؤتمر لندن، وإن استمر فى الضغط على الأمريكان للموافقة على الاسراع فى استخدام القوة.

وفى نفس الوقت " تم سحب المرشدين؛ بغرض عمل دعاية عالمية أن مصر لم تستطع تسيير القناة، أو تحافظ على حرية الملاحة فيها. وبدأت الشركة تعمل بدون المرشدين الأجانب، ماذا فعلوا؟ لأول مرة فى السنين الأخيرة يصل الى موانئ بورسعيد والسويس عدد كبير من السفن؛ مؤامرة منظمة؛ أمس مرت ٥٠ سفينة! ٧٠ مرشدا مصريا مع المرشدين اليونانيين الذين رفضوا الرشوة" (٢).

#### أ- تصاعد ضغوط ايدن لاستخدام القوة:

ولكن بعد أن انتهى مؤتمر لندن، وقبل أن تكتمل مهمة منزيس، أعاد ايدن الضغط على أيزنهاور لمساندته فى استخدام القوة ضد مصر، الا أن أيزنهاور كان يرى أنه لا ينبغى أن يكون هناك تفكيراً فى العمل العسكرى قبل عرض موضوع قناة السويس على الأمم المتحدة، ويكون ذلك بعد أن يعطى للجنة الخمسة فرصة كاملة لتقوم بعملها، وتقدير نوايا ناصر.

وأكد أيزنهاور أن مسألة اللجوء الى استخدام القوة فى هذا الطرف هى التى تجعله يختلف مع ايدن؛ فإن الترتيبات العسكرية وجلاء المدنيين الذى يجرى أمام الناس، يقوى مساندة ناصر. وكتب أيزنهاور لايدن: "إننى أرى أنه من الضرورى اذا أردنا أن نتقدم بخطى ثابتة سويلا لحل هذه المشكلة، فإن الرأى العام فى بلادنا يجب أن يكون ساحقا فى تأييده للحل.

(١) Declaration , second Suez Canal Conference , London , September 21 , 1956 .

(٢) وقد أهداهم ناصر وسام الاستحقاق المصرى.

يجب أن أقول لك بصراحة: إن الرأى العام الأمريكى يرفض فكرة استخدام القوة؛ خاصة عندما لا يظهر أن كل وسيلة سلمية ممكنة استنفذت لحماية مصالحنا الحيوية، بدون نتيجة. يضاف الى ذلك أننى أشك بشدة أننا هنا يمكن أن نضمن سلطة الكونجرس، حتى بالنسبة الى اجراءات التأييد التى ستوقعونها منا.



إننى حقيقة لا أرى كيف يمكن تحقيق نتيجة ناجحة بوسائل القوة! إن استخدام القوة - فى نظرى - سوف يزيد بسرعة مساحة الخطورة. إننى لا أرى كيف يمكن لاقتصاد غرب أوروبا أن يتحمل عبء العمليات العسكرية المطولة، وكذلك الحرمان من بترول الشرق الأدنى. كذلك فإن شعوب الشرق الأدنى وشمال إفريقيا - والى حد ما - كل آسيا وكل إفريقيا، ستكون ضد الغرب، الى درجة أخشى أنه لا يمكن التغلب عليها خلال جيل، ويمكن ولا حتى قرن، خصوصا اذا وضعنا فى الاعتبار قدرة الروس على إيذاءنا.

وقبل أن يتخذ مثل هذا الإجراء [العسكرى]، كل شعوبنا متحدة ينبغى أن تفهم أنه لم يكن هناك وسيلة أخرى متاحة؛ لحماية حقوقنا ومصالحنا الحيوية. كذلك يجب ألا يكون هناك أساس يجعل شعوبنا تعتقد؛ أن أحدا يستخدم مشكلة القناة كعذر لاستخدام القوة ضد ناصر!

ولدينا أصدقاء فى الشرق الأوسط، يقولون لنا: إنهم يريدون أن يروا انكماش ناصر يتحقق، ولكنهم يجمعون أن السويس ليست القضية التى تستخدم لتحقيق ذلك بالقوة. تحت هذه الظروف وبسبب اتجاه شعوبهم، إنهم يقولون: إنهم سيساندون ناصر حتى ضد معتقداتهم" (١)!

وفى نفس الوقت بدأ بحث الخطوات التنفيذية لايقاف أية مدفوعات من القناة لمصر؛ حتى يواجه ناصر بأحد البدلين؛ أن يسمح بالمرور الحر فى القناة أو أن يغلقها، وفى الحالة الأخيرة؛ فإن المملكة المتحدة ستكون فى موقف يسمح لها بالتصرف.

وكانت الولايات المتحدة قد جمدت أكثر من ٥٠ مليون دولار من أموال الحكومة المصرية، وهى أكثر من الضرورى لتغطية أى رسوم تدفع فى القناة. وقد تساءل دالاس؛ كيف يصدر أوامر لشركات خاصة بالأ تدفع بالطريقة العادية؟! ثم إن رفض دفع الرسوم، سيتبعها رفض ناصر السماح بالمرور فى القناة، وذلك قد يؤدى الى أن يفهم الشعب أنه قفل للمرور، مبرر برفض المستخدمين للقناة أن يدفعوا الرسوم. ولكن دالاس أكد لايدن ومنزيس أنه يواجه احساس عام أن الشعب البريطانى لن يساند استخدام القوة.

---

(١) Message from President Eisenhower to PM Eden , Washington , September 2 , 1956 .

"إن هذا الرأى غير حقيقى"؛ ذلك كان رأى ايدن،" فالشعب البريطانى - فيما عدا الجناح اليسارى العمالى - يؤيد الحكومة بشدة، وإن تقرير جالوب الحديث أوضح أن ثلثى الشعب يؤيدون الطريقة التى تعالج بها الحكومة هذا الموضوع ... وأن الحكومة ستحصل على التأييد الكامل من الشعب فى أى عملية عسكرية" (١).

وفى اطار الاستعدادات العسكرية للحكومة البريطانية، قال أنتونى هيد - وزير الحرب- أنه توجد قوات كبيرة على الاستعداد، بالإضافة الى المساعدة من الفرنسيين، وهولندا، وبلجيكا. وكان تقديره أن ناصر لن ينجح، ولكن اذا بدأوا العمليات العسكرية فإن الرأى العام العالمى سيكون ضدهم، وكذلك فى مجلس العموم، حيث يرى أن الرأى العام منقسم فى المملكة المتحدة. وفى حالة الغزو فإن العرب سيقومون بأعمال تخريب، ولوكانت ضد مصالحهم. وعن مجال العمل العسكرى قال ايدن: "مجال واسع لا يمكن تفاديه، سنستخدم قوة كبيرة جدا؛ القذف بالقنابل؛ فالميج يجب تحييدها، وكل المطارات بعيدة. وقد نتخذ اجراءات أكثر استفزازا مثل مصادرة مراكب الركاب".

وطرح أيضا الذهاب الى مجلس الأمن الذى برغم مخاطره فمن الصعب الحرب مع رأى عام منقسم (٢).

ولم ييأس ايدن، ولكنه تابع الضغط على أيزنهاور؛ وتضخيم مخاطر أن يكسب ناصر القناة؛ وذلك حتى يساند العمل العسكرى ضد مصر، فكتب له، "إن مسألة الاستعدادات [العسكرية] شغلتى بشدة، ومازلت؛ إننى لا أنسى الشعب والقتل فى القاهرة فى ١٩٥٢ ...

ماذا عن الخطوة التالية؟ ورأيك أننا هنا نختلف، وأعتقد أن اختلافنا ينتج عن اختلافنا فيما يتعلق بخطط ناصر ونواياه، واسمح لى أن أوضح وجهة نظرنا للموقف...

Memorandum of a Conversation ,American Ambassadors Residence, London , (١)

August 19, 1956 , Dulles, Eden, Menzis, subject: Suez Canal and the conference.

Cabinet Meeting 62 (56), Suez Canal, 28 August 1956, Released 2008. (٢)

إن الاستيلاء على القناة هو مناورة استهلاك لحملة مفتوحة خططها ناصر؛ لطرد كل النفوذ والمصالح الغربية من البلاد العربية. إنه يعتقد أنه اذا نجا بذلك وتحدى ١٨ دولة، فإن مكانته لدى العرب ستكون كبيرة جدا؛ لدرجة سيستطيع أن يحرك ثورات لصغار الضباط فى السعودية والأردن وسوريا والعراق، ولدينا معلومات أنه يعد لثورة فى العراق، وهى أكثر دولة مستقرة وتقدمية. هذه الحكومات الجديدة ستكون تابعة لمصر، إن لم تكن لروسيا. إنهم سيضعون مواردهم البترولية

المتحدة تحت سيطرة وحدة عربية تقودها مصر، وتحت النفوذ الروسى، وعندما تأتي هذه اللحظة؛ فإن ناصر يستطيع أن يمنع البترول عن أوروبا الغربية، وسنكون جميعا تحت رحمته ...  
إننى اتفق معك أن العمليات العسكرية المطولة، وكذلك موقف بترول الشرق الأوسط سيضع ضغطا على اقتصاد أوروبا الغربية. إننى أؤكد لك أننا مدركين للأعباء والأخطار التى تنتظر التدخل العسكرى، ولكن اذا كان تحليلنا صائبا، وإذا كان البديل الوحيد هو أن نسمح لخطط ناصر أن تنفذ بهدوء؛ حتى تقع كل أوروبا الغربية رهينة لمصر التى تتصرف تحت أمر روسيا، فإنه يبدو لنا أن واجبنا واضح" (١).

وفى نفس الوقت كان ايدن يبحث مع مجلس وزرائه موقف الولايات المتحدة، وقال: "إننا عندما نكون حازمين، فإن الولايات المتحدة تتحرك"، وكان ذلك رأى الفرنسيين أيضا (٢).  
الا أن أيزنهاور شرح موقفه أكثر فى رسالة أخرى لايدن؛ "إننا نواجه مشكلة خطيرة بسبب مغامرة ناصر بالنسبة للقناة. اننا لا نختلف فى تقدير نواياه وأهدافه، ولكننا نختلف حول الآثار المحتملة فى العالم العربى، وبالنسبة لردود الفعل للعالم العربى.  
إن الصورة التى تقدمها؛ أن ناصر ممكن أن يخرج من هذه الأزمة زعيما للإسلام، هى سوداء ومشوهة جدا. لقد استغرق الأمر منكم ١٨ سنة؛ حتى تضعوا نابليون فى مكانه الصحيح، ولكنكم فعلتوها.

---

Message from PM Eden to President Eisenhower, London , September 6 , 1956 . (١)

Cabinet Meeting 63 (56), Suez Canal, 6 September 1956, Released 2008. (٢)

وتقديرى للموقف مبنى على فهم للشعور العربى الذى يختلف عنك؛ فنحن نتوقع أن العرب سيساندون ناصر فى حالة الجوء الى القوة، بدون استنفاد كل وسيلة سلمية ممكنة لحل القضية. وكذلك فى حالة استخدام القوة، عندما لا يكون هناك دليل أمام العالم؛ أن ناصر ينوى أكثر من أن يؤمم شركة القناة. فحتى يثبت أمام العالم أنه معتدى، فإن كل العرب سيجبرون على مساندته، بالرغم من أن بعض الملوك يفضلون أن يروونه يسقط.

إن الأمر ممكن أن يكون أخطر من ذلك؛ وهو أن أى دولة كبرى تحاول أن تحل بالقوة أى نزاع مع دولة صغيرة، بدون أن تستنفذ أولاً كل الطرق السلمية المتاحة لها؛ وتضعف بذلك الأمم المتحدة، وممكن أن تدمر.

إنه من أجل هذه الأسباب، نظرنا ببعض الشك الى ترتيباتك للتحضير لحملة عسكرية ضد مصر. وإن الآراء التى عرضتها تعبر عن الشعب الأمريكى ومعظم المسئولين... وإن اختلافاتنا سببها نتائج مختلفة بالنسبة لرد الفعل المحتمل للعالم العربى، لخطوط العمل المحتملة أمامنا (١). ولم يكن ايدن وهو يخاطب أيزنهاور يستند الى موقف داخلى متحدا خلفه عندما قرر العمل العسكرى؛ ففى مجلس العموم عرض موقف حكومة المحافظين الذى يرفض تأمين قناة السويس، ويعمل على وضعها تحت نظام دولى، ويخطط لاتخاذ اجراءات عسكرية، ويعلن أن اتفاقية ١٨٨٨ ليست كافية للمحافظة على حقوق الدول المستخدمة للقناة؛ حيث أن هذه الحقوق استقرت بالاستخدام الطويل غير المنقطع لها (٢). وكان من الطبيعى أن يوافق مجلس العموم على سياسة الحكومة، حيث كانت تملك الأغلبية فيه.

أما فى مجلس اللوردات فكان النقاش مختلفا نظر لطبيعة مجلس اللوردات نفسه، وتحرره الى حد ما من السياسات الحزبية.

وتركز الخلاف بالدرجة الأولى حول استخدام الحكومة للعمل العسكرى، فقد انتقد لورد سيلكين الخطوات التى اتخذت فى هذا السبيل؛ لأنها تعدت العمل الدفاعى للمحافظة على أرواح البريطانيين. لقد كانت تشكل تهديدا لناصر، فى الوقت الذى كانت تجرى فيه الحكومة المفاوضات. إنها تجعل الأمر صعب على ناصر، حتى إذا أراد أن يكون معتدلا، إذا كان يشعر أنه يتصرف تحت ضغط. لقد كان من الخطأ أن تقوم الحكومة البريطانية باستعراض القوة، فى نفس الوقت الذى كانت تسعى فيه للتفاوض.

---

(١) Draft Message from President Eisenhower to PM Eden, Washington , September 8 , 1956.

(٢) Commons Silting , HC Deb 12 September 1956 , vol 558 cc2-1492 , Suez Canal .

كذلك لم توضح الحكومة ماهو الغرض من استعراض القوة هذا؟ هل كان دفاعيا؟ بالطبع لا، وذلك لأن الحكومة وعدت باستخدام القوة كملجأ أخير، ولم توضح معناه. وهذا كان لا يمكن أن يحقق جوا ممكن أن يقود الى مفاوضات ناجحة.

وهنا سأل اللورد سيلكين الحكومة، " ما الذى ينوون عمله بهذه القوة المسلحة؟ هل هدفهم فى ظروف معينة أن يحتلوا مصر؟ ما الذى يظنون أنهم يستطيعون أن يحققوا باستخدام القوة؟ الا نعرف

أن كل العالم سيكون ضدنا؟ الن يكون ذلك هو الذى يجمع العرب؛ وبهذا نعدى ليس فقط مصر ولكن العالم العربى؟

كذلك فإننا لن يكون معنا حتى أصدقائنا من خلفنا، فى حالة استخدام القوة. أيزنهاور أعلن نهائيا أنه ضد استخدام القوة، وهناك شك فى تأييد أعضاء الكومنولث - وخاصة الهند - وأيضا كندا وأستراليا، وبالنسبة للأمم المتحدة سينظر الى بريطانيا على أنها المعتدية.

بل سيكون هناك رأى عام فى بريطانيا ضد الحكومة، فقد أعلن معهد جالوب الاجابة على السؤال: هل توافق على استخدام القوة؟ ٣٤٪ موافق، ٤٩٪ لا أوافق. معنى هذا أن قطاعا هاما من المجتمع ضد استخدام القوة، وكذلك كل حزب العمال ضد استخدام القوة فى هذا الظرف".

وقد طالب لورد سيلكين الأخذ فى الاعتبار النتائج الاقتصادية التى ستتداعى ثم قال: "إن استخدام القوة طريق خطير، ونتائجه خطيرة، وإذا كانت الحكومة لا تتوى فعلا استخدام القوة، وتتنظر الى استعراض القوة على أنه سيؤثر على ناصر؛ أى أنه خدعة، فهى خدعة غبية!

لقد اتخذت خطوات عسكرية غير ضرورية؛ مثل السماح للقوات الفرنسية بالنزول فى قبرص، وسحب المرشدين، الذى لم يكن من المفروض أن يحدث، ومازال هناك أملا للوصول الى اتفاق. كان يجب على الحكومة أن تذهب فورا الى الأمم المتحدة؛ إما الى الجمعية أو مجلس الأمن، وتمسك برأيهما، وتجد الحكومة طريقا آخر للبتزل من الولايات المتحدة، وتهجر قناة السويس لوقت. إن ذلك يفرض مصاعب على الشعب البريطانى، ولكن الحرب مصاعبها أكبر" (١).

وعن سؤال من اللورد سيلكين حول ما اذا سلم الى العاملين فى شركة قناة السويس منشورا يأمرهم بأن يتوقفوا عن العمل يوم ١٠ سبتمبر فى منتصف الليل، وهل قامت الحكومة البريطانية بهذا الطلب؟

أجاب لورد ريدنج - سلوين لويد - بالنفى!

---

(١) Lords Sitting on Suez, the Suez Canal, HL Deb 12 September 1956, vol 199 cc630 - 724630.

وقد اعترض ايرل أتلى على مشاركة فرنسا فى المبادرة فى انشاء هيئة المنتفعين مع بريطانيا والولايات المتحدة؛ ففى إفريقيا وآسيا ينظر اليها على أنها آخر زعيم للاستعمار القديم، كما أن الفرنسيين مهتمون أساسا بمركزهم فى شمال إفريقيا.

وتساءل: "لماذا لم تقدم خطة انشاء هيئة المنتفعين بواسطة الثمانى عشر دوله؟ لماذا ثلاثة، والآخرين تبعوا فيما بعد؟

وبالنسبة للخطة نفسها, لا يمكن فهم المقترح الجديد لهيئة مستخدمى القناة, ما الذى يجب أن تفعله؟ من الواضح أنه تنشأ منظمة وظيفتها أن تجمع الرسوم, ثم السفن من المفروض أن تمر فى القناة, وهى ما زالت كلها فى يد المصريين! ولنفرض أن ناصر لم يقبل هذه الخطة, ماذا يحدث؟ هنا يثور أخطر سؤال: لقد تكلم رئيس الوزراء ووزير الخارجية عن استخدام القوة العسكرية؛ هل فكرنا ماذا يعنى ذلك؟

إننا نتذكر قديما تم قذف الإسكندرية بالقنابل, وهو اقتراح غير ممكن الآن. هل يعنون احتلال منطقة القناة؟ هل يعنون الاطاحة بحكومة ناصر؟ ولنفترض أن القوات البريطانية دخلت القناة واحتلت المنطقة, فإنها ستواجه بنفس المعارضة التى قابلتها من أماكن أخرى عندما احتلتها ضد ارادة شعبها. مالذى ستفعله الحكومة البريطانية, هل ستظل القوات العسكرية هناك ويحكمون مصر؟ إنه لم يكن من الحكمة استعراض القوة التى أرسلت الى قبرص؛ وخاصة ارسال قوات فرنسية هناك. لقد استطاعت الحكومة أن تجعل كل الشرق الأوسط ضد بريطانيا, والحقيقة أنه لم يعد لدينا صديق هناك!

إن بريطانيا يجب أن تفكر جديا فى مركزها فى العالم, ففى هذه الأيام يتوقف ذلك على القيادة المعنوية أكثر من القوة. إن الأيام القديمة التى كان لدى بريطانيا قوة بحرية فى عالم كانت تسود فيه قوة البحر, انتهت الى الأبد, ولا يمكن القبول أنه بهذا العمل تسند الحكومة القانون الدولى ومبادئ العدالة.

ثم إن قوة بريطانيا تقع الى حد كبير على الكومنولث, الذى يشمل شعوب من آسيا, ويجب أن نتذكر نمو الادراك الآسيوى - وذلك ينطبق على الهند- وأيضا صحوة الاسلام الذى يؤثر على باكستان.

إننا نسمع أن ناصر يريد أن يكون امبراطورية, وأن يصبح دكتاتورا لكل العالم العربى, ولكن الهجوم الذى يجهز ضده الآن يساعده فى آرائه. اذا هاجمت الحكومة ناصر, فهى ترفعه الى مركز يجعله ليس فقط بطل الاسلام, ولكن بطل الأجناس السوداء ضد البيض؛ وذلك سوف يكون كارثة. ما الذى نفعله؟ أن نطلب فورا سرعة اللجوء الى الأمم المتحدة؛ فهى منبر الضمير. ذلك هو الحل المتاح لمنع بريطانيا من الانسياق الى الفوضى والحرب".

وبدا لورد ستانسجيت يتكلم عن تاريخ قناة السويس؛ كيف عارضت بريطانيا حفرها, ولم تنضم الى اتفاقية ١٨٨٨, وكيف أثارت الباب العالى؛ ليضع كل عقبة ممكنة فى طريق دليسيبس,

وكيف طلبت بريطانيا حقوقا خاصة لمركزها؛ ولذلك فإن الكلام عن أن القناة تقع تحت سيطرة دكتاتور، لا يمكن أن يتحملة رجل أمين.

بالنسبة لموضوع المرشدين؛ فهم قد سحبوا، ومن الذى سيدفع ماهياتهم؟ إن الحكومة تحاول أن تجعل الأمر مستحيلا على ناصر أن يكسب مع الوقت، وكما يقول جورج بيكو: إنهم يستطيعون أن يشلوا العمل فى القناة!

من الذى سيدفع مصاريف هيئة المنتفعين؟ إنه يوجد طريق لنثبت لناصر أن الوقت ليس فى صالحه؛ أولا: أن نسحب أحسن المرشدين، وثانيا: أن نقول الحكومة للناس الا تدفع، ثم نقول إن ناصر يخرق اتفاقية ١٨٨٨! إن الحقيقة أن تعطيل الاتفاقية فى الوقت الحالى يأتى من جانب بريطانيا.

ومن الصعب فهم من الذى سيتلقى الرسوم؟ أين تذهب الاموال؟ إن هذا نظام مالى غريب؛ تجمع أموالا من أجل خدمات لا تقدمها وتعطيها للمرشدين!"

وقد رفض اللورد ستانجيت بيان الحكومة - وكان الوحيد عند أخذ الأصوات - وقال: "إننى أحب مصر والمصريين، ولقد عوملوا معاملة سيئة بواسطة بريطانيا. من الذى اهتم بالفلاحين؟ لقد حكم البريطانيون جيدا، وأيام لورد كرومر، لكنهم لم يهتموا الا بحملة الأسهم!"  
ثم تساءل هل فى ١٩٦٨ ستتملك الحكومة المصرية القناة؟

### ب- موقف نهرو مؤيدا لناصر:

وفى نفس الوقت أرسل نهرو رسالة الى أيزنهاور فى ٨ سبتمبر؛ أكد فيها الحاجة الى أن تستخدم الولايات المتحدة نفوذها الكبير من أجل تسوية مشكلة قناة السويس، والا تشجع الكلام عن حل المشكلة بالقوة. وقد تكلم نهرو عن المقترحات المصرية فى ١٠ سبتمبر؛ موضحا أنها قدمت عدة طرق لحل سلمى.

وكان رد أيزنهاور، "أن الولايات المتحدة لن تتخلى عن اعتقادها أنه، مع توافر حسن النية، يمكن تحقيق حلا سلميا.

وبالنسبة للمذكرة المصرية، والتي تقدم اقتراحا لإنشاء جهاز للتفاوض؛ للنظر في حل مشاكل القناة، ولمراجعة اتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨، فإن رد فعل الدول لذلك؛ أنه من المشكوك فيه أن يكون اجراء عملي، أن يتم التفاوض مع كل الدول المستفيدة من قناة السويس. هذه المجموعة ستضم كل دول العالم، ولا يمكن أن يكون جهاز التفاوض فعال. كما أنه من المشكوك فيه أن تمنح سلطة التفاوض لمجموعة صغيرة؛ لأن ذلك لن ينسجم مع الممارسة الطبيعية للحقوق.

إن الاجراء الذى اتبع فى مؤتمر لندن هو العملى الوحيد ... إننى آسف لأن الحكومة المصرية لم تكن ممثلة فيه، ولكن ذلك لأنها اختارت أن تكون غائبة... وإن عقد مؤتمر جديد على الأسس التى تقترحها حكومة مصر، لن تقود الى تطور يساعد فى حل هذه القضية الصعبة"(١).

### ج- استعداد مصر عسكريا:

كان من الطبيعى منذ بدء التحركات العسكرية البريطانية الفرنسية، أى منذ بدء الأزمة؛ أن تعمل مصر على استكمال الاستعدادات العسكرية لمواجهة ذلك الخطر المتصاعد. وأعلن ناصر: "اليوم عندنا أسلحة تكفى لكل قادر على حمل السلاح، سنحارب حرب نظامية، حرب شاملة، حرب عصابات. والذى يعتدى على مصر يعتدى على الأمة العربية كلها، ويجب أن يعرف أن مصالحة فى هذه المنطقة انتهت الى الأبد، وأن الشعوب الحرة الحقيقية تقف معنا وتسندها ضد الظلم والاستبداد"(٢).

---

(١) Message from President Eisenhower to PM Nehro Washington , September 15 , 1956 .

(٢) خطاب ناصر، فى ١٥/٩/١٩٥٦، مرجع سابق.

وفى اطار الاستعدادات العسكرية كتب ناصر بخط يده .."اعادة تنظيم قواتنا - غلق مداخل القاهرة - نسف جميع المخازن [العسكرية] فى الاسماعلية - الغزو سيبدأ عند كلام ايدن - الأسلحة بأسرع مايمكن فى أغسطس".

وكانت الخطوة العسكرية التالية قد ظهر فيها صراع الحرب الباردة بين الشرق والغرب، والتنافس حول كسب تأييد دول الشرق الأوسط، وضمان المصالح البترولية والاستراتيجية فى المنطقة.

فمن جانبه كان ناصر واثقا من التأييد العربى لقضيته شعبا وحكومات، فحتى تلك التى كانت تؤيد الغرب - مثل العراق - لم تجرؤ على معارضته علنا، واكتفت باعلان انحيازها ضده فى الغرف المغلقة! أما الملك سعود، فقد لعب دورا ايجابيا خلال أزمة قناة السويس؛ لقد أرسل الى



أيزنهاور في ٢٤ أغسطس رسالة جاء فيها: "نحن واثقون أنك - مع اهتمامك بإزالة أسباب التوتر - تبذل كل جهودك لإيقاف الإجراءات الاقتصادية والعسكرية، ضد مصر، وإنني - من جانبي - أعمل معها للتفاوض. وبذلك نحن نبحث عن حلول ممكن أن تحقق لكل الدول ضمان حرية الملاحة في قناة السويس، ونحافظ لمصر على حقوق سيادتها. ومن خلال هذه الوسائل يكون من الممكن تجنب هذه الأزمة، التي لو تركت ممكن أن تؤدي الى نتائج غير معلومه"<sup>(١)</sup>.

وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٥٦ عقد اجتماع في السعودية ضم الاقطاب الثلاثة؛ ناصر وشكري القوتلي والملك سعود؛ كدورة ثانية للاجتماع الأول في القاهرة في ٧ مارس ١٩٥٦. وقد أعطت المباحث اهتماما كبيرا لدعم الأمن العربي، ودفع الخطر الاسرائيلي، وبحث المؤتمر بوجه خاص مسألة قناة السويس. وكان هناك اجماع تام على ما يلي:

المشكلة تعنى البلاد العربية جمعاء؛ ولذلك فإن المؤتمر يؤيد مصر تأييدا كاملا في سائر مواقفها. ويعتقد المؤتمر أن الوسيلة لضمان مصالح الذين يهمهم أمر الملاحة في القناة؛ هي الدخول في مفاوضة مع مصر صاحبة هذه القناة، في ظل روح ميثاق الأمم المتحدة، وروح مقررات بانونج، وبعيدا عن كل ضغط من أى نوع أو رغبة في فرض حل من طرف واحد، وقد أشاد المؤتمر بالتضامن العربي.

وكان موجود فعلا بين مصر وسوريا ميثاق عسكري مشترك عقد في ١٩ أكتوبر ١٩٥٥، وكذلك ميثاق عسكري بين مصر والمملكة العربية السعودية تم في ٢٧ أكتوبر ١٩٥٥.

---

Message from King Saud to President Eisenhower, Riyadh, August 24, 1956 .

(١)

هذا ومع التحركات العسكرية في اسرائيل، وصلت قوات عراقيه الى الأردن، وكتب ناصر الرسالة التالية بخط يده للملك سعود: "قال عوني عبد الهادي - وزير خارجية الأردن - إن زيارته للعراق كانت بدعوة من الحكومة، وقد بحث ارسال فرقة عراقية الى الأردن.

قال نوري السعيد في اجتماع حضره الملك فيصل، وعبد الاله ونوري ويايان وبكر (١): إنه لا يمكن أن يرسل قوة للأردن، الا اذا تأكد أن اسرائيل لن تعتبر هذا عملا عدائيا. وإن ذخيرته محدودة؛ ولذلك لا بد من أخذ تعهدا من بريطانيا بأنها ستمد العراق والأردن بالذخيرة، في حالة عدوان اسرائيلي على الأردن.

واستدعى نوري السعيد السفير البريطاني، وطلب منه أن يتصل بحكومته؛ لأخذ رأيها في الموضوعين.

وعقد اجتماع آخر حضره السفير البريطاني، الذي أبلغهم أن إسرائيل لن تعتبر دخول الجيش العراقى الى الأردن عملا عدائيا، وسوف لا تستغله. وتتعهد الحكومة البريطانية - فى حالة غزو إسرائيل للأردن- بتموين الجيش الأردنى والقوات العراقية بالذخيرة.

وقال نورى: إن دخول فرقة للأردن يحتاج الى ٣ مليون جنيه، وهذا يحتاج الى اعتماد. سألنى عونى عبد الهادى عن رأى فى دخول العراق الى الأردن، بينت له أن هذا العمل يعتبر سياسيا وليس عسكريا؛ إن جيش العراق لن يشترك فى حوادث الحدود، ولكنه سيبقى حتى تغزو إسرائيل الأردن. وأعتقد أن إسرائيل لن تغزو أى بلد عربى، فإن سياستها هى الثأر لحوادث الحدود؛ وبهذا فإن الجيش العراقى سيبقى فى الأردن الى الأبد، فى انتظار الغزو الاسرائيلى!

موضوع القناة فى طريقة الى الحل، ولكن ليس بسهولة؛ فرنسا متعنتة جدا. إن عزل القناة عن السياسة يتأتى على أفضل وجه؛ عن طريق التزام دولى يؤكد اتفاقية ١٨٨٨ أو يجددها، وأى اجراء خلاف ذلك يتنافى مع سيادة مصر".

وعلى عكس ما ورد لناصر من أخبار أن إسرائيل لن تعتبر دخول القوات العراقية الى الأردن عملا عدائيا، فقد أرسل بن جورون خطابا الى أيزنهاور قال فيه: "إن دخول القوات العراقية الى الأردن يغير الوضع الراهن... وإن إسرائيل لا يمكن أن تغض الطرف ازاء تحرك يحضر القوات العراقية، بعد تعديه حدودهم، قريبا من إسرائيل (٢).

(١) أحمد مختار بابان، نائب رئيس الوزراء العراقى، عبد الله بكر، رئيس الديوان الملكى العراقى.

(٢) Message from PM Ben Gorion to President Eisenhower, Jerusalem, October 20, 1956 .

وفى ذلك الوقت بدأت ترد لمصر معلومات عن مفاوضات سرية تتم بين فرنسا واسرائيل. وكتب ناصر بخطه، أن "هذه المفاوضات تضمنت؛ تموين اسرائيل بالأسحلة، وتجهيز قواعد للطائرات فى حالة الحاجة اليها، والتعاون بين القيادات العسكرية، والتعاون السياسى".

#### ٥- انتقال أزمة السويس الى مجلس الأمن:

جرت بداية محاولات من جانب همرشولد للتدخل فى الأزمة، وتقدم بمقترحات، ولكن مصر لم تقبلها، ثم جاءت اللحظة لوضع موضوع قناة السويس أمام مجلس الأمن. ففى ٢٣ سبتمبر ١٩٥٦، وضع ممثلى كل من المملكة المتحدة وفرنسا فى نيويورك خطابا مشتركا موجها لرئيس مجلس الأمن، وطلبا منه عقد اجتماع للمجلس؛ للنظر فى الموقف الناجم عن العمل الفردى من جانب الحكومة المصرية (١).

وفى اليوم التالى طلبت مصر انعقاد مجلس الأمن لبحث الأعمال التى تدبرها كل من بريطانيا وفرنسا ضدها.

وكان ناصر قد قابل مسبقا أرثر لال - مندوب الهند فى الأمم المتحدة- وبحثا معا امكانيات عرض القضية فى مجلس الأمن, والوضع السياسى بصفة عامة, ودون ناصر بعدها ملاحظاته: "اذا حصل فيتو من روسيا, فإن هذا يعنى مكسب معنوى للبريطانيين؛ فهو سيعطى للرأى العام العالمى الانطباع أنه لحل موضوع السويس, استخدمت كل الوسائل السلمية - بما فيها مجلس الأمن - وهذا يساعد على اتخاذ اجراء عسكرى.

الانجليز يعتقدون أنهم يستطيعون احتلال منطقة القناة بحرب خاطفة من جنود المظلات, والجنود المحملين بالطائرات فى ٤٨ ساعة.

لال يعتقد أن الانجليز يأملون فى التخلص من الحكومة [المصرية] بثورة, وخلق حكومة تعترف بشرعية الاحتلال.

موضوع القناة يناقش مع همرشولد, الذى يعتبره خطيرا, ويجب أن ينظر فى مجلس الأمن, وكنتيجة؛ بأخذ المجلس قرارا لعمل هيئة مفاوضات".

---

(١) Selwen Loyd Declaration, Commons Sitting. HC Deb 23 October, 1956 , vol 558 cc491 - 6491.

وفى ١٣ أكتوبر ١٩٥٦ صدر قرار مجلس الأمن رقم ١١٨, بتاريخ ١٣ أكتوبر ١٩٥٦, وينص على الآتى:

مع مراعاة البيانات الموجهة اليه, والمباحثات حول مسألة السويس التى بلغها السكرتير العام للأمم المتحدة, ووزراء خارجية مصر وفرنسا والمملكة المتحدة ..

يوافق على أن أى تسوية لمسألة السويس يجب أن تتضمن المتطلبات الآتية:

١- يجب توفر المرور الحر المفتوح خلال القناة, بدون تمييز صريح أو مخفى, وذلك يشمل الجوانب السياسية والفنية.

٢- سيادة مصر يجب أن تحترم.

٣- تشغيل القناة يجب أن ينفصل عن سياسة أى دولة.

٤- طريقة تحديد الرسوم والمدفوعات تقرر بواسطة الاتفاق بين مصر ومستخدمى القناة.

٥- جزء عادل من الرسوم يستخدم فى التطوير.

٦- فى حالة المنازعات، والمسائل العالقة بين شركة قناة السويس والحكومة المصرية، يجب أن تحل بواسطة التحكيم؛ طبقا لشروط وقواعد مناسبة لدفع المبالغ المطلوبة.

وقد انعقد مجلس الأمن بين ٥ - ١٣ أكتوبر، واستخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو، وقد حدد مجلس الأمن مبادئ وافقت عليها الحكومة المصرية.

#### ٦- تجهيزات العدوان:

بدأت التحركات العسكرية البريطانية والفرنسية بعد قرار تأميم قناة السويس مباشرة، وفى أواخر أكتوبر جرى فى اسرائيل تعبئة احتياطى الجيش، وأرسل أيزنهاور فورا رسالة الى بن جوريون فى ٢٧ أكتوبر ١٩٥٦ جاء فيها:

" إننى أعبر بصراحة عن قلقى من التقارير حول التعبئة الثقيلة من ناحيتكم. إن ذلك سيؤدى فقط الى زيادة التوتر الذى أوضحت أنك تريده أن يقل. إن هذه أيام توتر كبير، و فقط قيادة من أعلى مستوى، وقدرة على ضبط النفس من جانب كل الأطراف؛ ممكن أن تضمن أن التوتر فى الشرق الأوسط ممكن السيطرة عليه، ومنعه من أن يصبح سببا لخرق السلام فى هذه المنطقة وغيرها، التى تتأثر بنتائج هذا التوتر.

إننى ما زلت على ثقة أنه فقط المهنج السلمى والمعتدل سوف يحسن الموقف. وإننى أجد النداء الذى أوصله لك دالاس؛ الا تقوم حكومتكم بمبادرة بالقوة؛ تهدد السلام والصداقة بين دولتينا" (١).

وفى اليوم التالى مباشرة أرسل أيزنهاور رساله ثانية الى بن جوريون نصها:

"لقد أرسلت لك بالأمس رسالة شخصية معبرا عن قلقى الشديد؛ فيما يتعلق بالتقارير عن التعبئة فى اسرائيل، وقد جددت ندائى السابق الذى نقله اليك دالاس؛ الا تتخذ أى مبادرة قوة بواسطة اسرائيل، التى قد تهدد السلام فى الشرق الأوسط.

واليوم تلقيت مزيدا من التقارير؛ توضح أن تعبئة القوات العسكرية لاسرائيل مستمرة، وأصحبت تقريبا كاملة. إن هذه الرسالة عاجلة لخطورة الموقف كما أراه.

إنه بسبب التبعات الواسعة التى قد تنتج فى حالة التوتر العالمية الحالية فى الشرق الأوسط، وبسبب النوايا التى عبرت عنها الولايات المتحدة فى الاعلان الثلاثى فى ٢٥ مايو ١٩٥٠، أعطيت تعليماتى بأن يناقش هذا الموقف مع المملكة المتحدة وفرنسا - وهما طرفين فى الاعلان - طالبا منهما بذل كل الجهود الممكنة لتحسين الموقف. كما أننى أعطيت توجيهاتى أن يصل قلقى الى باقى دول الشرق الأوسط بسرعة؛ طالبا أن يمتنعوا عن أى عمل يمكن أن يقود الى أعمال عدائية. مرة

ثانية.. إننى مضطر أن أؤكد على مخاطر الموقف الحالى، وأحث حكومتكم الا تفعل شيئا يهدد السلام" (٢).

وفى نفس اليوم أصدر الرئيس الأمريكى بيانا تضمن ما يلى:  
"فى الأيام السابقة تلقيت تقارير مقلقة من الشرق الأوسط؛ تضمنت معلومات أن اسرائيل تقوم بتعبئة ثقيلة لقواتها المسلحة. وقد أرسلت رسالة شخصية لرئيس وزراء اسرائيل، معبرا عن قلقى الشديد، ومجددا توصية سابقة؛ الا تتخذ مبادرات قوة تهدد السلام.  
لقد تلقيت حالا مزيدا من التقارير التى تشير الى أن التعبئة الاسرائيلية مستمرة، وأصحبت كاملة تقريبا، مع إيقاف للأنشطة المدنية.

Message from President Eisenhower to PM Ben Gorion, Washington , October 27 , 1956. (١)

Message from President Eisenhower to PM Ben Gorion, Washington , October 28 , 1956. (٢)

إن خطورة الموقف جعلتني أرسل رسالة سريعة الى بن جوريون، وأعطيت تعليماتى أن تناقش هذه التطورات مع المملكة المتحدة وفرنسا، اللتان انضمتا الى الولايات المتحدة فى الاعلان الثلاثى فى ٢٥ مايو ١٩٥٠؛ بما يصون السلام فى الشرق الأوسط.  
وحيث أننا لم نسمع عن مثل هذه التعبئة الواسعة فى بلاد تجاور اسرائيل، التى تؤكد مثل هذه التعبئة الاسرائيلية، فقد أعطيت توجيهاتى أن ينقل قلقى لدول الشرق الأوسط الأخرى؛ أطلبهم بسرعة أن يمتنعوا عن أى عمل يقود الى أعمال عدوانية.

إن مجلس الأمن لديه الآن جوانب مختلفة لصيانة السلام فى الشرق الأوسط، وآمل بشدة الا تعطل الدول الأطراف فى الأزمة مجلس الأمن فى جهوده لتحقيق حلا سلميا".

ولم يكن قد نما الى علم أيزنهاور أن بن جوريون، وممثلى دولتى الاعلان الثلاثى، بريطانيا وفرنسا قد اجتمعوا فى سيفر بفرنسا من ٢٢-٢٤ أكتوبر ١٩٥٦ ، ووقعوا على البروتوكول الآتى:

١- تبدأ القوات الاسرائيلية فى مساء ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ هجوما عسكريا على نطاق واسع على القوات المصرية؛ بهدف الوصول الى منطقة قناة السويس فى اليوم التالى.

٢- بسبب علمهم عن هذه الأحداث؛ تتقدم الحكومتان الانجليزية والفرنسية، فى يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ - واحدة بعد أخرى - بانذارين للحكومة المصرية والحكومة الاسرائيلية على الخطوط

التالية:

أ- للحكومة المصرية :

(١) إيقاف كل أعمال الحرب.

(٢) سحب كل قواتها ١٠ ميل من القناة.

(٣) قبول الاحتلال المؤقت للمواقع الحاكمة على القناة بالقوات البريطانية - الفرنسية؛

لضمان المرور الحر خلال القناة لمراكب كل الدول, حتى الوصول الى التسوية النهائية.

ب- للحكومة الاسرائيلية.

(١) وقف جميع أعمال الحرب.

(٢) سحب كل قواتها لمسافة ١٠ ميل شرق القناة.

وقد تم الاتفاق على أنه اذا رفضت احدى الحكومتين, أو لم تعرب عن موافقتها خلال ١٢

ساعة, ستتدخل القوات الأنجلو - فرنسية بالوسائل الضرورية لتؤكد قبول مطالبهم.

ج- ممثلى الحكومات الثلاثة يوافقون على أن الحكومة الاسرائيلية لن يطلب منها أن توافق على

الشروط الواردة فى الانذار الموجه اليها, فى حالة الاقبال الحكومة المصرية تلك التى فى

الانذار الموجه اليها.

٣- فى حالة ما اذا رفضت الحكومة المصرية شروط الانذار الموجه اليها, ستقوم القوات الأنجلو-

فرنسية بالقيام بعمليات عسكرية ضد القوات المصرية فى الساعات الأولى من صباح ٣١

أكتوبر .

٤- الحكومة الاسرائيلية سترسل قوات لتحتل الشاطئ الغربى لخليج العقبة, ومجموعة الجزر؛ تيران

وصنافير؛ لتأمين حرية الملاحة فى الخليج.

٥- تتعهد اسرائيل الا تهاجم الأردن خلال فترة العمليات ضد مصر, ولكن فى حالة أنه فى نفس

الفترة هاجمت الأردن اسرائيل, تتعهد الحكومة البريطانية الا تساعد الأردن.

٦- ترتيبات هذا البروتوكول يجب أن تبقى سرية.

٧- سيبدأ التنفيذ فور توقيع الحكومات الثلاثة.

توقيع .. دافيد بن جوريون , Christian Pineau , Patrick Dean .

وفى نفس الوقت قامت مصر بمبادرة؛ تعرب فيها عن الرغبة فى بدء مفاوضات مباشرة حول

قضية السويس, فأخطر محمود فوزى - وزير الخارجية المصرية - ريموند هير بذلك, وعبر عن

أسفه من التحركات الفرنسية التى تهدف الى اعاقا التقدم, ثم أخطره بأن الحكومة المصرية مستمرة

فى الرغبة فى أن تتصرف بايجابية, وقبلت دعوة همرشولد لتقابل البريطانيين والفرنسيين فى جينف

فى ٢٩ أكتوبر (١)!

ولكن للأسف كان ذلك التاريخ هو الميعاد الذى اتفقت عليه بريطانيا وفرنسا واسرائيل فى  
سيفر على بدء الهجوم العسكرى على مصر!

Telegram from Cairo , October 24 ( Department of State, Central Files, 974 7301/ 10- 2456).

—  
(١)

## الفصل الثالث

### العدوان الثلاثى على مصر

#### أولاً: هجوم اسرائيل عبر سيناء:

فى يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، وبينما كنا نحتفل بعيد ميلاد أخى عبد الحميد الخامس، فوجئنا بمن يدعونا الى داخل المنزل، والبعد عن إحداث أى صوت؛ بسبب أن والدى لديه ضيوف وأنه يعمل فى مكتبه. لم أكن أدرى - وأنا الطفلة الصغيرة - أن القوات الاسرائيلية قد بدأت هجوما شاملا على مصر، عبر خطوط الهدنة.

ويروى والدى، أن القوات المسلحة المصرية اتجهت الى الحدود فى سيناء؛ لترد اليهود المعتدين؛ جيش اسرائيل. وفى خلال ٢٤ ساعة كان الجنود المصريون يقاتلون الاسرائيليين وينزلون بهم الخسائر. وقد لاحظ طيارونا فى أول يومين من الاشتباكات الجوية مع الاسرائيليين؛ أن فى الجو طائرات مستير أكثر من قوة السلاح الجوى الاسرائيلى! واعتقدوا أن فرنسا قررت أن تعاون اسرائيل بطريقة مستترة.

وفى نفس الوقت أعلن المتحدث باسم أنتونى ايدن أن بريطانيا لن تستغل الاشتباك بين مصر واسرائيل لصالحها (١)!

#### ثانياً : الانذار البريطانى - الفرنسى لمصر:

وفى يوم الثلاثاء ٣٠ أكتوبر فُدم لمصر انذارا من بريطانيا وفرنسا؛ يطلب ايقاف القتال، والقوات الاسرائيلية داخل الأراضى المصرية. كما يطلب من مصر واسرائيل الانسحاب لمسافة ١٠ ميل عن قناة السويس، فى الوقت الذى كانت اسرائيل فيه بعيدة جدا عن هذا الموقع! والأكثر من ذلك أن الانذار طلب من مصر قبول احتلال بورسعيد والاسماعلية والسويس بواسطة القوات البريطانية - الفرنسية؛ من أجل حماية الملاحة فى القناة!

حدث هذا؛ وكانت الملاحة فى القناة مستمرة ولم تهدد، وحدث هذا أيضا؛ وكانت القوات المصرية تحتشد لمقابلة القوات الاسرائيلية المعتدية.

---

(١) بيان ناصر الى الشعب، ٥٦/١١/١.



وأضافت بريطانيا فى انذارها الذى سلمته للسفير المصرى فى لندن: أنه اذا لم يصل الرد فى خلال ١٢ ساعة، فإنها ستعمل على تنفيذ ذلك بالقوة!

ويقول ناصر: " إن الانذار كان مفاجأة لنا، كنا نحسب حساب عمل عدوانى ضد مصر من بريطانيا وفرنسا، ولكن كنا نستبعد أن تشترك بريطانيا مع اسرائيل فى هذا العمل. وكان اعتقادى أن أى عملية عسكرية تقدم عليها بريطانيا ضدنا - وخصوصا اذا كانت متحالفة مع فرنسا واسرائيل - لن تكون لها نتيجة بالنسبة لبريطانيا إلا كارثة محققة، بصرف النظر عن النتيجة العسكرية البحتة التى يمكن أن يسفر عنها القتال. إن بريطانيا لها مصالح هائلة فى الشرق الأوسط، وحماقة عسكرية من هذا النوع ستقضى على هذه المصالح. لقد كنت أتمثل مصالح بريطانيا فى المنطقة؛ البترول، أنابيب البترول، التجارة، الثقافة، النفوذ السياسى، ثم قناة السويس؛ الشريان الحيوى لبريطانيا، إنها سوف تتعطل دون شك.

تخيلت أن بريطانيا تريد منا الا نحشد جميع قواتنا ضد اسرائيل؛ وبهذا تستطيع اسرائيل أن تحصل على نصر رخيص، فى الوقت الذى نحجز فيه جزءا من قواتنا لملاقاة بريطانيا" (١).  
لقد كان الانذار البريطانى الفرنسى أعجب انذار فى التاريخ؛ السماح بالاحتلال المؤقت...  
لقد أعلنت مصر موقفها؛ أنها لا يمكن أن تسمح، ولا أن توافق على احتلال بورسعيد والاسماعيلية والسويس بقوات أجنبية بريطانية - فرنسية، كما أعلنت مصر أن هذا انتهاك لحريتها.  
وبالطبع وافقت إسرائيل على شروط الانذار؛ لأن المقصود به مصر؛ فإن قوات اسرائيل هى المعتدية، وكانت القوات المصرية ترغمها على الارتداد. واحتلال مدن القناة الثلاث طبعاً تؤيده اسرائيل؛ لأنها كانت الدولة الوحيدة التى عارضت فى جلاء بريطانيا عن منطقة قناة السويس فى ١٩٥٤.

وفى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر، أعلن صوت بريطانيا أنهم شكلوا قيادة للحلفاء - بريطانيا وفرنسا - من أجل المحافظة على سلام العالم؛ ولهذا فهم سيدخلون بالقوة حتى يفرقوا بين القوات المصرية والاسرائيلية!

وفى نفس اليوم أعطت قيادة بريطانيا وفرنسا انذارا آخر؛ بأنها ستقوم بتدمير الأغراض العسكرية، وكان هذا يعنى بالنسبة لمصر أن الانذار البريطانى - الفرنسى قد بدأ فى التنفيذ.

---

(١) المرجع السابق، وحديث ناصر الى مجلة آخر ساعة، ٥/١٢/٥٦.

ويروى ناصر، " وفى يوم ٣١ أكتوبر فى الساعة مساء كنت فى بيتى أقابل السفير الاندونيسى، وسمعت صوت صفارات الانذار، ثم سمعت مباشرة أزيز الطائرات المغيرة، وأدركت

على الفور أنها غارة بريطانية. لقد كانت الطائرات المغيرة نفاثة، والطائرات النفاثة الوحيدة فى شرق البحر الأبيض لا يمكن أن تكون إلا واحده من نوعين؛ اليوشن ٢٨ الذى تملكه مصر، أو الكانبيرا البريطانية.

تيقنت عل الفور أن بريطانيا تدخلت عسكريا فى المعركة، وأردت أن أتأكد على أى حال؛ فتركت السفير الاندونيسى وصعدت الى سطح المنزل أراقب الغارة، وأسمع صوت الطائرات لأتأكد أنها طائرات بريطانية. ثم تلقيت بعدها الاعلان البريطانى - الفرنسى عن بدء العمليات الحربية ضد مصر...

إن الخطة المبيتة كان الغرض منها سحب قواتنا المسلحة الى داخل سيناء، ثم يهاجمونا هنا فى منطقة الدلتا والقناة. وبعد الغارة الأولى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر، أصبحنا نحارب فى جبهتين؛ جبهة اسرائيل على الحدود، وجبهة الاستعمار البريطانى الفرنسى فى الداخل، الذى يهدد باحتلال القناة (١).

لقد كان واضحا أن علينا أن نراجع جميع خططنا، وخرجت من بيتى الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة، وكان هناك اجتماع كبير؛ استقر رأينا فيه أن يتم الانسحاب بسرعة قبل أن يفلت الوقت، ويتحقق للعدو ما أراد؛ تتسحب جميع قواتنا من الحدود الى منطقة القناة، على أن يتم الانسحاب على ليلتين؛ ٣١ أكتوبر / ١ نوفمبر، وليلة ٢/١ نوفمبر.

ولم يكن فى امكاننا أن نقدر لاتمام الانسحاب أقل من هذه المدة، بل لقد كانت معجزة أن يتم الانسحاب فى هذه المدة، تحت ضغط الطيران البريطانى والفرنسى والاسرائيلى، بعد أن خرج الطيران المصرى من المعركة فى أول نوفمبر. ولقد شعرت على الفور ساعة أُخطرت بأن عملية الانسحاب قد تمت كلها، أن مصر كسبت المعركة حين أحبطت خطة العدو؛ التى كانت تدمير قواتنا المسلحة كلها فى سيناء، ومن ثم يصبح من السهل بعدها سحق مصر" (٢).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) خطاب ناصر، ٢ نوفمبر ١٩٥٦، مرجع سابق.

وأيضاً فى يوم الأربعاء ٣١ أكتوبر بدأت بريطانيا وفرنسا غاراتها الجوية على القاهرة ومنطقة القناة والإسكندرية؛ وكان الغرض أن يدمروا السلاح الجوى المصرى. إن خطة التحالف البريطانى - الفرنسى - الاسرائيلى أصبحت واضحة؛ إنهم كانوا يقصدون تدمير الطائرات المصرية، وسحب القوات المسلحة الى سيناء، عزلها وتدميرها ثم احتلال مصر بدون مقاومة.

وفى بيانه فى أول نوفمبر الى الشعب، بعد الهجوم البريطانى الفرنسى، قال ناصر: "والآن.. ونحن نواجه هذا الموقف، هل نقاتل أو نستسلم؟ سنقاتل فى حرب شاملة، جنودها الشعب المصرى جنباً الى جنب مع قواته المسلحة. والآن لكم أخوة فى الجزائر يقاتلون قتالاً مريراً ضد نصف مليون جندى فرنسى فى سبيل حريتهم وكرامتهم. لقد صدرت الأوامر بتوزيع السلاح، وعندنا منه الكثير، وسنقاتل من قرية الى قرية؛ ليكن كل فرد منكم جندياً فى القوات المسلحة، وليكن شعارنا أننا سنقاتل ولن نسلم.

لقد اعتقد المعتدون أن شعب مصر سيساعدهم، ولكن خططهم كانت مبنية على أوهم" (١).

### ثالثاً: الولايات المتحدة فى الظلام!

بينما كان ناصر يواجه العدوان العسكرى الاسرائيلى فى سيناء، ويتخذ القرار بسحب قواته المسلحة الى الغرب من قناة السويس؛ حتى لا يقع فى الفخ الذى أعده التآمر الثلاثى فى سيفر، كانت هناك جوانب أخرى من المؤامرة، طرفها الآخر هو الولايات المتحدة الأمريكية.

#### ١ - رد الفعل الأمريكى بعد العدوان الاسرائيلى على مصر:

أ - ٢٩ أكتوبر:

بعد اتمام التعبئة العامة فى اسرائيل، أرسل أيزنهاور الى ناصر يطالبه بالامتناع عن أى تصرف قد يؤدى الى أعمال عدوانية، وكان ذلك فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، اليوم الذى بدأت فيه اسرائيل هجومها على مصر!

---

(١) خطاب ناصر بالإسكندرية، ٢٦/٧/١٩٥٦.

وعلى الفور عقد أيزنهاور اجتماعا فى البيت الأبيض؛ لمناقشة تقارير الغزو الاسرائيلى لشبه جزيرة سيناء. وقد أشار دالاس الى قيام الفرنسيين بامداد الاسرائيليين بطائرات المستير؛ بعدد يفوق الارقام المتفق عليها، وبدون مراعاة للاتفاقات بين الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا حول السلاح فى الشرق الأوسط. وأشار دالاس أيضا الى تبادل عدد كبير جدا من الرسائل بين فرنسا واسرائيل فى اليوم السابق!

وهنا ذكر أيزنهاور؛ " أنه فى ١٩٥٠ ، وبعدما قلنا إننا سنساعد ضحية الاعتداءات فى الشرق الأوسط، والآن كيف نفعّل ذلك؟ إن الاسطول السادس فى المنطقة، فهل يمكن عمل حصار بحرى؟" فأجاب الأدميرال رادفورد؛ أن الأمر سيكون قد انتهى خلال عدة أيام.

وعندما سأله أيزنهاور؛ "كيف من الممكن أن ينتهى فى هذا الوقت؟" قال: "إنه كان يعنى أن الاسرائيليين سيكونون عند السويس خلال يومين أو ثلاثة"، وكان يعتقد أن اسرائيل أرادت أن تحتل شبه جزيرة سيناء.

أما دالاس فقال: " إن العمليات تذهب أبعد من ذلك؛ فالقناة سوف تعطل، وخطوط الأنابيب سوف تكسر؛ وفى هذه الظروف فإن التدخل البريطانى والفرنسى سوف يحدث، ويمكن فى الحقيقة أن يكونا قد دبّرا تدخلهما مع الاسرائيليين".

وتم انتقاد فرنسا لامدادها اسرائيل لأكثر من ٣٠ - ٥٠ طائرة مستير، لم يخطرأ بها؛ مما يعد خرقا لاتفاق ١٩٥٠.

وفى هذا الاجتماع الطارئ سأل أيزنهاور؛ "ماذا سيعتقد البريطانيون والفرنسيون إذا ذهبنا لمساعدة مصر؛ لنوفى بوعدنا؟ ... وفى هذه الظروف ممكن ألا نكون مقيدى بتحالفاتنا التقليدية، وقد تكون الأمم المتحدة الطريق الأمثل".

وهنا اعترض دالاس؛ " إن الاتحاد السوفيتى قد يتغلب علينا فى عملية اللجوء الى الأمم المتحدة"، ثم قال: والغريب أنه لا توجد أخبار من الفرنسيين والبريطانيين لمدة ١٠ أيام!"

لقد كان أيزنهاور مستاءا جدا، وقال: " إن الإشارة الى الأمم المتحدة لا تكفى، بل يجب أن نأخذ اجراء أكثر تحديدا؛ حيث أننا الوحيدون الذين سيستمع اليهم البريطانيون والفرنسيون. إننا قد نوضح أننا نأخذ فى الاعتبار طرق ووسائل لتجديد التزامنا لدول الشرق الأوسط، وإذا ساند البريطانيون الاسرائيليين، فيجب أن نجدونا فى المعارضة".

واستطرد أيزنهاور؛ " إننى فى هذه المسألة لا يهمنى اذا أعيد انتخابى أم لا. إننى أشعر أنه يجب أن نلتزم بكلمتنا، وإننى لا أعتقد أن الأمريكيين سيطردونى بسبب موقف كهذا، ولكنهم اذا فعلوا؛ فليكن!"

وأبرزت المناقشة في هذا الاجتماع أنه اذا انحازت الولايات المتحدة الى جانب بريطانيا وفرنسا، فسيكون الاتحاد السوفيتي مع العرب وكل إفريقيا؛ وعلى ذلك فيجب أن تكون الولايات المتحدة مع المبدأ في هذه الحالة.

وقال دالاس: إن سفراء حلف بغداد قابلوه في نفس اليوم، وأوضحوا له أن الولايات المتحدة ملزمة بإيقاف هذا العدوان. وعلق الرئيس؛ " إنه كانت لدينا فرصة كبيرة لتقسيم العالم العربي، فبعض هذه البلاد أصبحوا يشعرون بعدم الراحة تجاه التطورات في مصر!"

وحول موقف الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة، فكان الملاحظ أنهما قد كانا في نفس الجانب في هذه المسألة .

وفي بيان صحفي في نفس اليوم، أعلنت الولايات المتحدة أنها ستساعد مصر - ضحية العدوان - وستتباحث مع شريكها في الاعلان الثلاثي لسنة ١٩٥٠؛ الذي طبقا له ستتقل الموقف في الشرق الوسط الى مجلس الأمن في اليوم التالي (١).

وهنا نتساءل هل كان من السهل أن تفقد اسرائيل تأييد الولايات المتحدة في هذه الخطوة الهجومية؟

لقد أرسل بن جوريون في نفس يوم العدوان - ٢٩ أكتوبر - رسالة تيريرية الى أيزنهاور، يلقي فيها عبء التوتر في منطقة الشرق الوسط على ناصر "وسياسته التوسعية"، على حد قوله. وادعى أن عمليات ناصر السياسية والعسكرية تمتد من المحيط الأطلسي الى الخليج الفارسي. وقد عدد بن جوريون المبررات المفتعلة؛ من استيراد مصر للأسلحة من الاتحاد السوفيتي، الى انشاء قيادة مشتركة مع سوريا والأردن، ثم مساندة بعض القوات العراقية للأردن في مواجهة عصابات اسرائيل الارهابية، ومقاومة اختراقات اسرائيل للمنطقة المنزوعة السلاح بينها وبين مصر؛ كدوافع للعدوان.

Memo of Conference with the President, White House, Washington , Oct. 29 ,  
1956, 7.15 PM.

(١)

وفي جواب بن جوريون تزييف لكل الحقائق، وتشوية للأحداث العربية، وهو عندما ذكر أن مصر لا تسمح بمرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس، لم يذكر أن ذلك يتفق مع اتفاقية ١٨٨٨؛ فحالة الحرب كانت لاتزال قائمة بين الدولتين. ثم ادعى بن جوريون في النهاية أن تلك الاجراءات تتخذ حتى لا تدمر اسرائيل (١)!

ب- ٣٠ أكتوبر:

- الموقف فى مجلس الامن:

طلبت الولايات المتحدة عقد اجتماع فوري لمجلس الأمن، بناء على المعلومات التى وصلتها بخرق اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل، واختراق القوات المسلحة الاسرائيلية الأراضى المصرية بعمق، وقد بدأ هذا الهجوم العسكرى قبل ٢٤ ساعة، وظل مستمرا فى منطقة سيناء. وبما أن مجلس الأمن يتحمل مسئولية المحافظة على السلام الدولى والأمن، بالاضافة الى مسئولية مراعاة اتفاقية الهدنة؛ لذلك فإن الولايات المتحدة ترى أنه ينبغى أن ينظر فى اتخاذ خطوات من أجل الايقاف الفوري للعمل العسكرى لاسرائيل ضد مصر. وبعبارة أخرى، فى هذه المرحلة من المؤامرة الثلاثية التزمت الولايات المتحدة بالاعلان الثلاثى ١٩٥٠، وسانددت المعتدى عليه، ولو أن ذلك اقتصر على اطار الأمم المتحدة.

وعليه قدمت الولايات المتحدة مشروع قرار، بعد ظهر نفس اليوم - ٣٠ أكتوبر - ينص على أن يطالب مجلس الأمن اسرائيل بالانسحاب، ويضع خطوات لضمان تحقيقه (٢).  
والغريب أن دالاس - برغم تأكده من تأييد بريطانيا لاسرائيل فى عملها العدوانى ضد مصر - كان لا يزال يأمل أن ينضم البريطانيين الى الولايات المتحدة! الا أنه قال لأيزنهاور فى اجتماع معه فى نفس اليوم: "إنهم اذا لم يفعلوا فسننتقم وحدنا".  
وسأل أيزنهاور عن موقف الفرنسيين، وكان مماثلا للبريطانيين؛ فأعطى التعليمات للتقدم فى مجلس الأمن بدونهما، وأضاف؛ "أنه يرى أن بريطانيا وفرنسا ليس لديهما قضية مناسبة للحرب، وأن تامين مصر لقناة السويس لم يكن كافيا لتبرير ذلك".

Message from PM Ben Gorion to President Eisenhower, Jerusalem , Oct. 29 , 1956. (١)

Telegram From the Mission of the UN to the Dept. of State, New York, Oct. 29 , 1956. (٢)

وعلق دالاس؛ " إنها ليست قضية السويس، بل هي في الحقيقة قضية الجزائر للفرنسيين، والمركز في الخليج الفارسي للبريطانيين " ! وقد تساءل أيزنهاور اذا كانت يد تشرشل خلف هذا الموضوع؛ على أساس أنه على طراز منتصف العصر الفيكتوري!

وهنا استطرد أيزنهاور؛ " وإذا قطع البترول، واضطرت السفن أن تلتف حول الرجاء الصالح، فإن امدادات البترول الى غرب أوروبا ستقل بشدة ... إن حالة البريطانيين قد تكون أحسن اذا لم يكن المصريون مجرد أممو القناة، وشغلوها بكفاءة بعد ذلك!"

وكان أيزنهاور غاضبا، وقال: " إنه لا يرى قيمة في حليف لا يستحق، ولا يعتمد عليه، وإن ضرورة مساندهم قد لا تكون كبيرة كما يعتقدون"! كما كان دالاس قلقا من ارتباط الولايات المتحدة مع دول تتبع سياسات استعمارية لا تتناسب مع السياسة الأمريكية (١).

ولقد أعرب سلوين لويد في مقر الأمم المتحدة عن استنكاره أن تعلن الولايات المتحدة أن اسرائيل دوله معتدية؛ وعليه فان الحكومة البريطانية ستكون في موقف مستحيل سياسيا، اذا اتخذ الأمريكان عملا عسكريا الى جانب مصر، بعد الاعلان عن العدوان الاسرائيلي. وقد أبدى سلوين لويد قلقه من وجود ما يساوي ٧٥ مليون جنيه استرليني من سفن داخل قناة السويس وقريبه منها، وإن افترض أن التكتيك العسكري الاسرائيلي سيكون السيطرة على كبارى القناة؛ لمنع المبادأة المصرية حيالها(٢).

أما الحكومة الفرنسية، فقد عارضت بشدة مشروع القرار الأمريكي في مجلس الأمن، وأعلنت أنها لن تتضمن الى أى قرار يدمغ اسرائيل. وأصرت الحكومة الفرنسية على رفضها، بالرغم من قلق الحكومة الأمريكية من نتائج العدوان الاسرائيلي على العالم العربي؛ سواء أن تتدخل دول عربية أخرى في الحرب، أو يحدث تدهور لمركز الغرب في العالم الاسلامي. بالاضافة الى مزايا أكيدة سيجنيها السوفييت من هذا الموقف، واحتمال أن يتدخلوا مباشرة اذا استمرت الأعمال العدوانية.

---

Memo. Of a conference with the President, White House, Washington, Oct. 30, 1956. (١)

Telegram From the American Embassy in the UN to the Dept. of State, London, Oct. 30 , 1956. (٢)

وإمعانا في الخديعة طلب الفرنسيون العمل من أجل طلب وقف اطلاق النار من الجانبين، وعدم إدانة أى منهما (١)!

هذا الشرخ فى السياسة الأمريكية - البريطانية جعل أيزنهاور يتساءل فى خطاب منه الى ايدن؛ " ما الذى حدث بيننا وبين حلفائنا الأوروبيين، وبالذات بيننا وبين الفرنسيين وأنتم؟! ... إننى أشعر أننى فى الظلام فيما يتعلق باتجاهك ونواياك بخصوص الموقف فى الشرق لأوسط ... لقد علمنا أن الفرنسيين أمدوا اسرائيل بكمية كبيرة من المعدات العسكرية، وتتضمن طائرات بكميات كبيرة. إن ذلك يخرق الاتفاقات الموجودة بين دولنا الثلاثة ... وقد أصدرنا بيانا عاما نخطرکم والفرنسيين بقلقنا...

وعندما بدأت التحركات العسكرية يوم الاثنين [٢٩ أكتوبر] قررنا بسرعة أن الموضوع كله يذهب فورا الى الأمم المتحدة؛ على ضوء اتفاقنا فى مايو ١٩٥٠ ... وأمس مساء تقابل سفيرنا فى الأمم المتحدة مع سفيركم، يطلب منه أن ينضم الينا فى تقديم القضية الى الأمم المتحدة هذا الصباح، وكنا مندھشين أنه كان غير متعاطف تماما، قائلا: إن حكومته لن توافق على أى اجراء يتخذ ضد اسرائيل، ثم قال: إن الاعلان الثلاثى فى مايو ١٩٥٠ كان تاريخا قديما، وأصبح غير صالح!"

لقد استنكر أيزنهاور هذا الموقف فى خطابه الى ايدن، وانتقد عدم اخطار الحكومة البريطانية الولايات المتحدة بنقضها الاعلان الثلاثى من جانب واحد، خاصة وأن الولايات المتحدة بنت كثيرا من سياساتها فى الشرق الأوسط عليه!

وذكر أيزنهاور؛ " أن نتائج هذه التطورات، التى تتضمن تورطكم فى حرب عامة ضد العرب، تجعل علاقة حكومتينا مضطربة. واذا كانت مصر لم تطلب بعد رسميا من حكومتنا المساعدة، ولكن الحقيقة اذا وجدت الأمم المتحدة اسرائيل معتدية، فإن مصر تستطيع أن تطلب المساعدة من السوفييت، ويكون مصير الشرق الأوسط فى النار!

وهذه الحقيقة هى التى دعتنا نصر على أن الغرب يجب أن يطلب تدخل الأمم المتحدة؛ لأننا قد نجد أنفسنا ليس فقط مختلفين فيما يتعلق بما يجب أن نفعله، ولكن نواجه بموقف فى الواقع يجعل كل متاعبنا الحاضرة تافهة.

Telegram From the American Embassy in France to the Dept. of State, Paris, Oct. 30 , 1956. (١)

ولكل هذه الاحتمالات يبدو لى من الأهمية الأولى أن المملكة المتحدة والولايات المتحدة تجدان وسيلة للتوفيق بين أرائنا وخططنا؛ حتى لا نكون فى الأزمة الحقيقية بلا قوة للتصرف معا؛ بسبب سوء فهم كل منا للآخر" (١).



## ٢- توابع الهجوم البريطاني - الفرنسي على مصر:

فى ٣٠ أكتوبر أعلن ايدن فى مجلس العموم نزول القوات البريطانية والفرنسية فى منطقة قناة السويس. وفى نفس اليوم وافقت الوزارة الفرنسية بالاجماع على التدخل العسكرى الفرنسى فى المنطقة، كما وافقت على استخدام فرنسا للفيديو فى مجلس الأمن ضد أى قرار يدين اسرائيل.

### أ- الغضب الأمريكى:

أخطر دالاس أيزنهاور تليفونيا بالانذار البريطانى - الفرنسى، وعلق.. "أنهم أعطوا مصر مهلة ١٢ ساعة، وأن ذلك تم بطريقة فجة وقاسية، كما لم يحدث من قبل" (٢)!

وعلى الفور صدرت التوجيهات؛ لتطلب وزارة الخارجية الأمريكية من الحكومة التركية تفويضا لوضع قوات أمريكية فى مدينة أدنه؛ لتكون على استعداد للمساعدة فى تنفيذ أى أوامر تصدرها الأمم المتحدة.

وأرسل أيزنهاور خطابين لرئيسى حكومتى الدولتين المعتديتين؛ ايدن وموليه تضمنا ما يلى: " لقد علمت توا - من الصحافة - عن انذار الاثنى عشر ساعة الذى ارسلتموه أنتم والفرنسيين الى الحكومة المصرية؛ مطالبين - تحت التهديد بالتدخل بالقوة - الاحتلال المؤقت بواسطة القوات الأنجلو- فرنسية لمواقع حاكمة فى بورسعيد والاسماعلية والسويس، فى منطقة قناة السويس!

إننى اشعر أنه ينبغى لى أن أعبر عن قلقى العميق بشأن هذا التصرف العنيف؛ فى الوقت الذى ينظر فيه الموضوع بواسطة مجلس الأمن. وإننى أعتقد أن العمليات السلمية يجب أن تسود؛ لتحقيق حل يعيد أحوال الهدنة بين اسرائيل ومصر، ويحل الخلافات بطريقة عادلة بالنسبة لمصر فيما يتعلق بقناة السويس(٣).

Message from President Eisenhower to PM Eden, Washington, Oct. 30, 1956. (١)

Memo. Of a Telephon Conversation between the President and the Secretary of State, Washington, Oct. 30, 1956. (٢)

Message from President Eisenhower to PM Eden and PM Mollet, Washington, Oct. 30, 1956. (٣)

وبالرغم من أن موليه طلب من أيزنهاور الا تضغط الحكومة الأمريكية لتمرر قرارا فى مجلس الأمن لاييقاف اطلاق النار، حتى تجيب اسرائيل ومصر على الانذار الأنجلو- فرنسى؛ إلا أن دالاس لم يوافق على هذا التعليق لأعمال المجلس، وانتقد الانذار؛ بأنه لا يطالب أن تتسحب القوات الاسرائيلية الى داخل حدودها، بينما مشروع قرار مجلس الأمن يؤكد على ذلك. وأخيرا قال:

إنه لا يوجد فارق بين التدخل الأنجلو- فرنسى فى السويس، واستخدام الجيش السوفيتى ضد السكان المدنيين فى بودابست" (١)!

ولقد ذهب موليه لأبعد من ذلك بعد بدء الهجوم؛ فطلب موافقة أيزنهاور على الاجراءات المشتركة البريطانية - الفرنسية وتأييدها (٢).

لقد شعر أيزنهاور بالغضب بعد هذه الخديعة من حليفه الأوروبيين، وقرر أنه لا يريد أن يكون مرتبطا بهما أمام العالم العربى، وأصدر بيانا يدعو لحل النزاع من خلال وسائل سلمية؛ حل يؤدى الى احياء ظروف الهدنة بين مصر واسرائيل، ويحقق تسوية عادلة للنزاع بشأن قناة السويس. وقد أثير موضوع موقف البترول بعد العمليات فى منطقة السويس، وظهر غضب أيزنهاور حينما قال: " إن من بدأوا هذه العملية يجب أن يُتركوا ليحلوا مشاكلهم البترولية؛ وليحترقوا فى بترولهم! إنهم سيحتاجون الى بترول من فنزويلا، وحول رأس الرجاء الصالح، وقبل وقت طويل ستنقص عندهم الدولارات لتمويل هذه العمليات، وسيطلبون المعونة. وإنهم قد يكونوا يخططون أن يواجهونا بالأمر الواقع، ثم يتوقعون أن ندفع الفاتورة!

إننى غاضب جدا من كل من البريطانيين والفرنسيين؛ لاتخاذ هذا العمل منفردين، ومخترقين تعهدات متفق عليها منذ التصريح الثلاثى فى ١٩٥٠" (٣).

---

Memo. Of a Conversation, Dept. of State, Washington, Oct. 30 , 1956, Israeli – Egyptian Conflict. (١)

Message from PM Mollet to President Eisenhower, Paris, Oct. 30, 1956. (٢)

Memo. Of a Conversation with the President , White House, Washington, Oct. 30, 1956. (٣)

## ب- رسالة ناصر الى أيزنهاور:

طلب ناصر رؤية ادموند هير في ٣٠ أكتوبر، وأرسل معه رسالة الى أيزنهاور، نصها ..  
" إن الانذار البريطاني - الفرنسي بالقيام بأعمال عدوانية ضد مصر، في الوقت الذي تدافع فيه عن نفسها ضد العدوان الاسرائيلي المرتب؛ يخلق موقفا خطيرا جدا، ويعتبر انتهاكا خطيرا لحرية الشعوب وميثاق الأمم المتحدة. وإن مصر قررت الدفاع عن سيادتها وأراضيها ضد العدوان الاسرائيلي. وإن الحكومة المصرية قررت طلب معاونة الولايات المتحدة لصد العدوان البريطاني - الفرنسي المنتظر، ضد حرية الشعب المصري (١).

وعندما سأل هير عن المساعدة المتوقعة من الولايات المتحدة، قال ناصر "إن نوع المساندة تتوقف على الظروف، بالتحديد فإنها تعني مساندة عسكرية في حالة العدوان العسكري. بعض الناس توقعوا أن الحكومة المصرية ستتجه الى الاتحاد السوفيتي من أجل هذه المساعدة، ولكننا فكرنا مليا في الأمر، وقررنا طلبها من الولايات المتحدة ...

إن الطلب المصري مخلص تماما، وتم الوصول اليه بعد تفكير، وإنه لم تثار مسألة الاتجاه الى الروس. إن المصريين كانوا دائما يعتمدون على أنفسهم، وهذه أول مرة يطلبون مساعدة أجنبية. لقد اقترح خروشوف ارسال متطوعين، ولكن مصر لم ترد. إن الأمر مسألة حياة أو موت بالنسبة لمصر" (٢).

كان رد أيزنهاور على رسالة ناصر؛ " أن الرئيس ودالاس يبذلون كل جهد في اطار الأمم المتحدة؛ لتحقيق وقف اطلاق النار، والانسحاب السريع لقوات العدوان في الشرق الأوسط، وأن الولايات المتحدة تعرض موضوع العدوان الاسرائيلي على مجلس الأمن" (٣).  
لقد كان اجتماع مجلس الأمن بناء على طلب أيزنهاور، الذي كان يعتقد أن أول هدف للمجلس يجب أن يكون تحقيق وقف اطلاق النار؛ لأن ذلك سيمنع الحرب من أن تنتشر. ومن جانب آخر فان أيزنهاور كان يرى أن الولايات المتحدة يجب أن تقود؛ حتى تتفادي قرارا من الأمم المتحدة يحقق لها موقفا محرجا؛ سواء مع فرنسا أو بريطانيا أو مع باقي العالم.

(١) الرسالة موجودة بخط ناصر ضمن أوراقه الخاصة.

(٢) Telegram From the American Embassy in Egypt To the Dept. of State, Cairo, Oct. 31 , 1956.

(٣) Telegram From the Dept. of State to the Embassy in Egypt, Washington, Nov 1 , 1956.

ويتضح من موقف أيزنهاور اصراره على منع السوفييت بأى وسيلة من أن يحصلوا على جانب من القيادة العالمية؛ من خلال اظهار الاهتمام بالدول الصغيرة. "وبما أن إفريقيا كلها تكره واحدة أو أكثر من الثلاث دول - بريطانيا وفرنسا واسرائيل - فإن السوفييت يحتاجون فقط أن يقترحوا عقابا قاسيا وسريعا لهذه الدول الثلاث، وتقوم كل القارتين الى جانبهم، ويفقد أمل الغرب الوحيد فى العالم الاسلامى والهند(١).

وفى ٢ نوفمبر أرسل ناصر رسالة ثانية الى أيزنهاور، كتب فيها " أنه مهما يحدث، فهو والشعب المصرى قرروا أن يحاربوا الى النهاية؛ من أجل أن يحافظوا على شرفهم. وطلب ناصر ابلاغ أيزنهاور باستمرار الهجمات الجوية الثقيلة، التى امتدت الى محطات الاذاعة والأهداف العسكرية".

وقال ناصر: "إن المصريين لم يصدقوا الأمريكيين عندما أشاروا الى امكانية أن يتبنى البريطانيين والفرنسيين سياسة مستقلة لا يوافق عليها الأمريكيون، والآن يلاحظ أنه كان مخطئا". أما عن الموقف العسكرى، فقد قال ناصر: إنه كان قلقا قبل يومين فيما يتعلق بالجيش فى سيناء، الذى كان يحارب بدون غطاء جوى. كما أن كل موضوع العدوان تغير بالتدخل البريطانى-الفرنسى، الذى جعله يتخذ قرارا بسحب الجيش من سيناء، وكذلك القوات المصرية فى رفح والعريش وأبو عجيله، الى غرب القناة؛ طبقا لخطة جديدة بالألا تدافع مصر عن القناة، ولكن تستخدمها كخط للدفاع. ولذلك كان مرتاحا عندما وصل جزء كبير من الجيش بسلام الى الخلف، مخترقا القناة فى اليوم السابق، كما وصلت بعض الوحدات المتفرقة أثناء الليل، على أن تبقى بعض "الوحدات الانتحارية" شرق القناة.

وفىما يتعلق بالحملة التى سيحاربها، فقد أوضح ناصر أنها ستكون حرب الشعب؛ الحرب من بلد لبلد ومن منزل لمنزل، ولن يتم اجلاء للمواطنين، ومثلا أسرته ستظل فى القاهرة. وبالنسبة للنشاط الجوى، قال ناصر: "إن مشكلته هى القصور فى الطيارين، وسيكون من الخسارة وضعهم أمام قوة كبرى. إنه يفضل أن يحتفظ بهم كاحتياطى للدفاع عن الدلتا؛ ونتيجة لذلك فإن طائرات مصر ظلت على الأرض، وحدث فيها خسائر ثقيلة"(٢).

Memo by the President, Washington , Nov 1 , 1956.

(١)

Telegram From the American Embassy in Egypt to the Dept. of State, Cairo, Nov 2 , 1956.

(٢)

إن الموقف أصبح بالنسبة للولايات للولايات المتحدة معقدا الى درجة كبيرة؛ فهناك تناقص فى المصالح لأول مرة بينها وبين حلفائها - بريطانيا وفرنسا - ورببتها اسرائيل. ولفترة لم يستطع أيزنهاور أن يتغاضى عن الخديعة من جانب المعتدين الثلاثة، بل وقد قرر منع المعونة الأمريكية عن اسرائيل بعد هجومها على مصر.

إن أيزنهاور كان ينظر للأزمة من زاوية أوسع من بريطانيا وفرنسا؛ لقد كان حريصا على مكانة الولايات المتحدة والغرب فى الشرق الأوسط ولدى العالم الاسلامى. وفى نفس الوقت كان يخشى من أن يتقدم الاتحاد السوفيتى الى المنطقة فى شكل المخّص من الاستعمار الغربى، وهو ما حدث.

### ج- التحرك السوفيتى:

كان أيزنهاور يكتب خطابا الى ايدن فى ٥ أكتوبر، بعد أن نزلت القوات البريطانية - الفرنسية فى بورسعيد؛ محاولا منع الموقف من أن يصبح أكثر خطورة وصعوبة، ملحا فى تحاشي الاشتباك العسكرى، عندما وصله " أن السوفييت عملوا الخطوة التى كان يخشى منها منذ البداية! لقد أصدرنا بيانا يطلبون فيه من الولايات المتحدة أن تتضمن إليهم فى تحرك عسكرى فورى فى الشرق الأوسط لايقاف القتال، ولم يقدموا هذا الاقتراح مباشرة الى الولايات المتحدة، ولكن من خلال الأمم المتحدة" (١)!

وفى نفس اليوم وصلت الى ناصر برقيه من شكرى القوتلى، الذى كان فى زيارة للاتحاد السوفيتى، تتضمن الآتى: " أطلعت أعضاء الحكومة الروسية على برقيتكم، وهم على استعداد بأن يقدموا لنا ولكم كل ما نحتاج اليه من معدات وطائرات وأسلحة من مختلف الأنواع، ومع كل منها ما نحتاج اليه من عناصر للخدمة بالقدر الذى نطلبه؛ وذلك باسم خبراء وفنيين وليس باسم متطوعين(٢).

إنهم يفكرون فى الطريق الواجب سلوكه لايصال ما نريد، ولديهم الآن قائد من رجالنا يبحث معهم مطلوبنا، وسنرسل ضابطا آخر ليقدم لهم تفصيلا وايضا لما نطلب.  
يطلبون منا الصمود .. أخذ الله بيدكم ووفقكم" (٣).

(١) Draft Message from President Eisenhower to PM Eden, Washington, Nov 5, 1956.

(٢) كان الاتحاد السوفيتى قد أعلن عن استعداده لإرسال متطوعين الى مصر، وأثار ذلك ضجة فى الغرب.

(٣) رسالة شكرى القوتلى، من أوراق ناصر الخاصة.

ويشرح محمد عوض القونى - سفير مصر فى موسكو - أنه لما استوضح من شكرى القوتلى الأمر، أكد مرة أخرى استعداد روسيا لتقديم كل ما نطلب، ومن ذلك الطائرات وملاحيتها؛ باسم خبراء.

وقد أكد شبيلوف مرة أخرى استعداد روسيا لتقديم كل ما نطلب، وقال: إن التحفظ الروسى الوحيد هو أنهم لا يريدون دخول حرب عالمية (١).

### (١) الانذار السوفيتى:

حدث ذلك فى نفس اليوم الذى أرسل فيه بولجانين رسالة الى أيزنهاور يقول فيها: " فى لحظة خطيرة تدعو الى تحمل المسؤولية بالنسبة الى قضية السلام، فإننى أرسل نداء لك باسم الحكومة السوفيتية. لقد مر أسبوع منذ أن هاجمت القوات المسلحة لانجلترا وفرنسا واسرائيل مصر بدون أى سبب؛ مسببة الموت والدمار. ومازال يحدث قذف مدفعى بواسطة الطيران البريطانى والفرنسى للمطارات المصرية، والموانى والمنشآت والمدن ومراكز السكان. وقد هبطت القوات البريطانية - الفرنسية على الأراضى المصرية، وقضت نيران المحتلين على كنوز من صنع الشعب المصرى. ومن يوم الى يوم تتزايد التضحيات الانسانية، وأمام عيون العالم تستمر حربا عداونية ضد مصر والشعوب العربية؛ الذين خطوهم الوحيد أنهم يدافعون عن حريتهم واستقلالهم.

إن الموقف فى مصر يتطلب تحركا فوريا وحاسما من جانب الأمم المتحدة، وإذا لم يحدث ذلك، فإن الأمم المتحدة ستفقد مكانتها فى عيون العالم وتتهار. إن الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة أعضاء دائمين فى مجلس الأمن، وهما قوتان كبيرتان تمتلكان كل أنواع السلاح، بما فيه الأسلحة الذرية والهيدروجينية. وتقع مسئولية خاصة على الولايات المتحدة لايقاف الحرب، واستعادة السلام والهدوء فى منطقة الشرق الأدنى والأوسط.

ونحن مقتنعون أنه إذا اعلنت حكومة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ارادتهما بحسم فى ضمان السلام وادانة العدوان، اذن سينتهى العدوان، ولن يكون هناك حربا.

---

(١) برقية من سفير مصر فى موسكو، ١٩٥٦/١١/٦، ضمن أوراق ناصر الخاصة.

إنه فى هذه الساعات المهددة للعالم، عندما تهدد المبادئ العليا أسس وأهداف الأمم المتحدة، فإن الحكومة السوفيتية تتوجه إلى حكومة الولايات المتحدة باقتراح؛ من أجل التعاون لايقاف العدوان،

وانهاء اراقة مزيد من الدماء؛ إن الولايات المتحدة لديها فى منطقة البحر المتوسط أسطول بحرى قوى، والاتحاد السوفيتى لديه أيضا أسطول بحرى قوى وطيران قوى. إن استخدام هذه الوسائل متحدين وعلى عجل، من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، بالاتفاق مع قرار من الأمم المتحدة؛ سيكون ضمانا أكيدا لانتهاء العدوان ضد الشعب المصرى، ودول المشرق العربى.

إن الحكومة السوفيتية تناشد حكومة الولايات المتحدة؛ ليوحدا جهودهما فى الأمم المتحدة لتبنى اجراءات حاسمة لانتهاء العدوان، وإن الحكومة السوفيتية قد ناشدت مجلس الأمن، والجلسة غير العادية للجمعية العامة بمقترحات مناسبة.

وإن هذه الخطوات المشتركة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى لن تهدد مصالح بريطانيا وفرنسا؛ إن الجماهير الشعبية فى بريطانيا وفرنسا لا يريدون الحرب، وإنهم - مثل شعبنا - يريدون المحافظة على السلام. وأيضا حكومات أخرى كثيرة مثل بريطانيا وفرنسا يهتمون بالسلام الفورى، وعودة قناة السويس التى توقفت بالأعمال العسكرية.

إن العدوان ضد مصر لم يتم بغرض حرية المرور خلال قناة السويس، إن حرب القرصنة بدأت بهدف تدعيم النظام الاستعمارى فى الشرق، الذى تم قلبه بواسطة الشعوب. وإذا لم توقف هذه الحرب، فإنه يحوطها الأخطار، وممكن أن تكبر إلى حرب عالمية ثالثة.

إذا ساند الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ضحية العدوان، فإن الحكومات الأخرى الأعضاء فى الأمم المتحدة ستتحدهم فى هذه الجهود، وفى نفس الوقت، فإن سلطة الأمم المتحدة ستزداد الى درجة كبيرة، والسلام سيرجع ويقوى.

إن الحكومة السوفيتية مستعدة للدخول فى مفاوضات فورية مع حكومة الولايات المتحدة حول التنفيذ العملى للمقترحات السابقة؛ حتى تتخذ الأفعال فى صالح السلام فى المستقبل القريب. وفى هذه اللحظة المتوترة من التاريخ؛ حيث يتم تقرير مصير كل المشرق العربى مع مصير العالم، انتظر جوابكم الايجابى" (١).

Letter From PM Bulganin to President Eisenhower, Moscow, Nov 5, 1956.

(١)

وقد أرسلت حكومة الاتحاد السوفيتى رسائل مشابهة الى كل من همرشولد ورئيس مجلس الأمن.

وفى نفس اليوم - ٥ أكتوبر - تلقى ايدن وموليه وبن جوريون رسائل من بولجانين - أو بالأحرى انذارات - أعرب فيها عن " عزمه الأكيد " لحل الموقف فى الشرق الأوسط بالقوة، اذا كان ذلك ضروريا، وزود من هجومه على بريطانيا وفرنسا، من " قوة أقوى "، إذا لم يكف عن العدوان فى مسألة السويس.

وفى رسالته الى ايدن، سأل بولجانين: " فى أى موقف كانت بريطانيا ستجد نفسها إذا هوجمت بدول أقوى منها، تملك كل الأسلحة التدميرية الحديثة"؟! وقد أخطر بولجانين فى رسائله كل من ايدن وموليه باقتراحه الى الولايات المتحدة، "ليستخدما سويا مع أعضاء آخرين من الأمم المتحدة، قوات حربية وجوية من أجل وقف الحرب فى مصر، وكبح العدوان". وأضاف بولجانين التحذير الآتى: "إننا مصممون على سحق المعتدى، وإعادة اقامة السلام فى الشرق باستخدام القوة".

وفى رسالته الى بن جوريون، أدان بولجانين عدوان اسرائيل ضد مصر، وعبر عن توقعه " أن تعود اسرائيل الى صوابها قبل فوات الأوان".

وأخطر بولجانين بن جوريون؛ أنه تم استدعاء السفير السوفيتى فى اسرائيل الى موسكو<sup>(١)</sup>! وفى جلسة مباحثات فى الخارجية الأمريكية، حضرها إيرفيه ألفان - السفير الفرنسى فى واشنطن - كان التعليق؛ أن السوفييت يحاولون تحويل الأنظار عن أعمالهم فى المجر؛ من خلال حركة دعائية فى الشرق الأوسط. كما قال السفير الفرنسى: " يجب ألا نسمح للسوفييت أن ينجحوا فى محاولتهم ربط أعمالهم الوحشية فى المجر بما يفعله البريطانيون والفرنسيون فى السويس".

وقد أنتقد الأمريكيون نشر رسالة بولجانين الى أيزنهاور قبل أن يستقبلوها. كما علق ألفان قائلا: " إنه اذا تدخل السوفييت مباشرة ضد القوات البريطانية والفرنسية، فستطبق التزامات الناتو". وأضاف، " أنه تم سجن ٣٥٠ بحارا فرنسيا بواسطة المصريين، وأنه ليس لديه معلومات عن إضعاف مركز ناصر! إننا نقع فى الفخ اذا سمحنا للسوفييت أن يقسمونا ، وحتى اذا نجح العدوان البريطانى - الفرنسى فى مصر فى الأيام القليلة القادمة، فإنه لن يحل المسألة الجزائرية!"

(١) Memo. of a Conversation, Dept. of State, Washington, Nov 5 , 1956. Soviet Moneuvers on the Middle East Situation, Franco - American Relations

وتحدث ألفان عن تدمير خط أنابيب البترول فى سوريا، وأنه يريد أن يتكلم فى موضوع امداد البترول لأوروبا (١).



وقد عبر أيزنهاور عن قلقه من امكانية التدخل العسكرى السوفيتى، "فالسوفييت خائفون وغاضبون، وهذه خطير!" ثم قال: إنه يريد أن يرسل خطابا الى نهرو؛ ليجذب وزنه الى جانب السلام وتحديد حجم الاعتداءات. وقد تم ارسال رسالة بولجانين الى نهرو، مع بيان الولايات المتحدة ردا عليها، وسأله أيزنهاور عن اقتراحاته للمساعدة فى هذه الموقف (٢).

وكان بولجانين قد أرسل رسالة الى نهرو فى ٢ نوفمبر، تضمنت أنه يشارك الهند فى تأييدها لمصر، وموضحا أنه يرى المساعدة لعقد مؤتمر فى هذا الشأن للدول الإفريقية والآسيوية. وفى الواقع فإن اهتمام القوتين العظمتين بنهرو، كواحد من أبرز قادة العالم الثالث تأثيرا واحترما؛ يدل على مدى ما أصبحت تتمتع به هذه القوة فى السياسة الدولية.

وفىما يلى نص البيان الذى أصدرته الحكومة الأمريكية. "لقد تلقى الرئيس رسالة من الرئيس بولجانين، التى نشرت فى الصحافة فى موسكو. وفى هذه الرسالة - كمحاولة لتحويل اهتمام العالم عن المأساة المجرية - يقترح أن تشترك الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى فى استخدام ثنائى لقواتهما العسكرية، لايقاف الحرب فى مصر.

إن مسألة الشرق الأوسط هى أمام الأمم المتحدة؛ لتوازن الموقف حتى تتم التسوية. ومن المؤسف أن الاتحاد السوفيتى لم يصوت فى الليلة الماضية فى مصلحة تنظيم قوة الأمم المتحدة، وكل الأطراف المهتمة بالموضوع - مع ذلك - يجب أن تقبل قرارات الأمم المتحدة.

لا القوات السوفيتية أو أى قوات أخرى؛ لا يجب أن تدخل منطقة الشرق الأوسط إلا بتفويض من الأمم المتحدة ... وبينما نحن قلقون على الموقف فى مصر، فإننا كذلك قلقون على الموقف فى المجر" (٣).

---

(١) المرجع السابق.

Memo. Of a Conference with the President, White House, Washington, Nov 5, 1956. (٢)

White House Press Release, Washington, , Nov. 5, 1956. (٣)

لقد عقد الانذار السوفيتى الموقف بالنسبة للولايات المتحدة ودولتى العدوان، أما بالنسبة لمصر والدول العربية فقد كان سندا أكيدا لهم فى تلك الظروف، الى جانب برقيات التأييد من الحكومة السوفيتية وإعرابها عن الاستعداد لتقديم المعونة العسكرية لمصر.

لقد وجد أيزنهاور نفسه فى مأزق وضعه بعيدا عن حليفه - بريطانيا وفرنسا - وأصبح فى وضع أقرب الى عدوه السوفيتى، عندما رفض العدوان ودعا الى انسحاب القوات المعتدية. ولكن بالرغم من ذلك، فإن أيزنهاور كان حريصا من بداية هذه الأزمة، ألا يترك الفرصة للاتحاد السوفيتى أن يدخل منطقة الشرق الأوسط ويزداد نفوذه فيها. إلا أن ذلك لم يحدث، فلقد كان أثر الانذار السوفيتى بعيد المدى فى المنطقة.

أما الانذار السوفيتى لايدن وموليه، فقد شمل تهديدات قوية بالعمل العسكرى ضد الثلاث دول المعتدية، وجاء فى الوقت المناسب. ففى نفس يوم ارسالها، أخطر ايدن أيزنهاور أن الهجوم الجوى على منطقة القناة قد بدأ فى ٥ نوفمبر، وبدأت قوات المظلات فى النزول حول بورسعيد وفى محاولة لكسب تأييد أيزنهاور كتب له: "والآن وقد بدأ العمل العسكرى، فيجب أن يتم. إننى متأكد أن هذه هى اللحظة للحد من طموحات ناصر، اذا تركناها تمر فسنندم كلنا. هذه هى فرصتنا لتحقيق تسوية فعالة ونهائية لمشاكل الشرق الأوسط. وإذا تراجعنا الآن فلا يمكن أن نتلافى الفوضى، كل شىء سيشتعل فى الشرق الأوسط. إنك ستدرك بحكم خبرتك أننا لا يمكن أن نترك فراغا عسكريا، بينما قوات الأمم المتحدة تشكل وتنقل الى الموقع، ومن أجل ذلك يجب أن نستمر فى الاحتفاظ بمواقفنا؛ حتى نستطيع أن نسلم المسئولية الى الأمم المتحدة...

إننا لا نريد احتلال مصر؛ فلا نستطيع ذلك ماديا! وهذا هو سبب خروجنا من السويس منذ سنتين... إن الشرق الأوسط منطقة مازلنا نستطيع أن نتخذ فيها عملا فعلا سويا... وأؤكد على التعاون، وحزين على الشرخ الوقتى الذى حدث فى علاقتنا (١).

اذن الانذار السوفيتى جاء ليحطم كل آمال بريطانيا وحليفها فى السيطرة على الشرق الأوسط، واملاء شروطهم على مصر تحت ضغط الغزو العسكرى.

Message from PM Eden to President Eisenhower, London, Nov. 5, 1956.

(١)

وفى رسالة من الحكومة الفرنسية الى أيزنهاور، أعربت فيها عن شدة قلقها بسبب التهديد فى خطاب بولجانين لايدن وموليه، وأنها لا تستطيع أن تستبعد احتمال هجوم من جانب الاتحاد السوفيتى ضد بريطانيا وفرنسا. وأعربت الحكومة الفرنسية عن أهمية أن يتم تحذير الاتحاد السوفيتى مقدما من هذا التهديد بالهجوم بواسطة حكومة الولايات المتحدة، مذكرة بوجود معاهدة شمال الأطلنطى، والتزامها بمقاومة أى هجوم ضد حلفائها (١).

ولقد أصبح أهم شئ فى الموقف الجديد بعد الانذار؛ هو خشية الغرب من التدخل السوفيتى فى أزمة السويس؛ مما يحقق للاتحاد السوفيتى عدة أهداف فى وقت واحد، أولها تقوية مركز السوفييت كبطل لمصر ومضاد للدول الاستعمارية عموما؛ وهو ما تحقق بصدور الانذار السوفيتى، وعرض المساعدة العسكرية لمصر، ومساندتها فى الأمم المتحدة.

أما الهدف الثانى المتوقع للاتحاد السوفيتى من التدخل العسكرى؛ فهو تحطيم مصالح ونفوذ بريطانيا وفرنسا، وتقسيم وإضعاف التحالفات الغربية، هذا الى جانب إبعاد الانتباه عن الموقف فى المجر (٢).

وفى اطار التحرك السياسى لمواجهة الانذار السوفيتى، تم اتصال الولايات المتحدة بالحكومة المصرية، مذكرة إياها بالمجهود الكبير الذى بذلته فى الأمم المتحدة خلال الخمسة أيام السابقة؛ لتحقيق ايقاف النار، وانسحاب قوات العدوان، وتكوين قوة الأمم المتحدة.

وفى اليوم التالى - ٦ نوفمبر - قبلت كل من بريطانيا وفرنسا ايقاف اطلاق النار، كما وافقت اسرائيل أيضا، وبدأ ايقاف القتال سعت ٢ صباح ٧ نوفمبر. وقد عقدت الجمعية العامة فى نفس اليوم اجتماعا؛ لاستكمال الترتيبات لقوات الأمم المتحدة، التى كان من المنتظر أن ترسل الى مصر بأقصى سرعة.

---

Memo. Of a Conversation, Dept. of State Washington, Nov. 6, 1956, Message from the French Government to the President. (١)

Special National Intelligence Estimate, Washington, Nov. 6, 1956. (٢)

وكان التلقين من الخارجية الأمريكية الى ريموند هير، " أن مصر يجب أن تلاحظ أن العرض السوفيتي له دوافع غير تحقيق السلام، وأن الولايات المتحدة رفضت الاقتراح السوفيتي للعمل المشترك معها في الشرق الأوسط. إن تدخل قوات أجنبية خارج إطار الأمم المتحدة سيكون خرقا صريحا لميثاقها، وسيكون من واجب أعضائها - بما فيهم الولايات المتحدة - أن تعارض ذلك. وأنه مما لا شك فيه أن مصلحة مصر وأمنها ممكن حمايته على أحسن وجه؛ بواسطة الأمم المتحدة التي تعمل على أحسن أسلوب. وإن مصر يجب ألا تترك أى شك في أنها لا ترحب بالتدخل السوفيتي المنفرد؛ الذي لا يمكن التنبؤ بنتائجه (١).

اذن تركزت مطالب الولايات المتحدة في هذه الرسالة - عبر سفيرها في القاهرة - في التحذير من دوافع العرض السوفيتي للعمل المشترك مع الولايات المتحدة، الذي رفضته بالفعل. ومن جانب آخر، حاولت أن تثني مصر عن الموافقة على التدخل السوفيتي المنفرد في الصراع. وأوضحت هذه الرسالة قيمة العمل داخل الأمم المتحدة وفعاليتها؛ حتى تقطع الطريق على أى تحرك سوفيتي خارجها.

#### د- نداء من الحكومة المصرية الى الولايات المتحدة:

في اليوم الثاني للغزو البريطاني الفرنسي لبورسعيد، سلم سفير مصر في واشنطن - أحمد حسين - للحكومة الأمريكية النداء الآتي من الحكومة المصرية باسم شعب مصر: "في هذه اللحظة التاريخية لاتخاذ القرار، عندما تصبح قيم الميراث الانساني في خطر، والجنس البشرى يتم دفعه الى الخلف نحو الفوضى والهمجية، عندما تقوم فرنسا واسرائيل والمملكة المتحدة بعدوان غاشم ضد مصر، ويقومون بتحدى بخرق القانون والخزي؛ فإن مصر تناشد للمساعدة - بواسطة متطوعين وأسلحة - لكل الذين مازالوا يهتمون في العالم بكرامة الانسان وحكم القانون في العلاقات الدولية. إن شعب مصر يحارب معركة حياة وشرف، وهم يحاربونها ليس فقط لأنفسهم وبلدهم، إنما أيضا للعالم المتحضر. وطالما استمر العدوان ضد مصر على أرضها، ومتحديا قرارات الأمم المتحدة، فإن مصر ستستمر في الحرب بكل اصرار ضد قوى الشر" (٢).

Telegram From the Dept. of State to the American Embassy in Egypt, Washington, Nov. 6, 1956. (١)

Memo. Of a Conversation, Dept. of State, Washington, Nov. 6, 1956, Egypt Request for help of the US. (٢)

هذه لم تكن أول مرة تطلب فيها مصر مساعدة الولايات المتحدة خلال هذا العدوان الثلاثي، كما سبق أن أوضحنا. وفي كلتا الحالتين كان رد فعل الحكومة الأمريكية هو التأكيد على أن مقاومة العدوان يجب أن تكون داخل الأمم المتحدة، وعدم التجاوب بتقديم مساعدة عسكرية مباشرة الى مصر.

وفي مقابلة لناصر مع ريموند هير أثناء تسليمه رسالة لأيزنهاور، يطلب فيها مساعدة عسكرية أمريكية، كما يطلب تدخل الأسطول السادس الأمريكى ضد بريطانيا وفرنسا، رد السفير الأمريكى: " إنهم أصدقاؤنا! هل تسأل هذا السؤال فعلا، أم أنك تتوقع الاجابة بالنفى؛ وبالتالي ستكون حرا للذهاب الى السوفييت"؟!

وعلق هير " إن هذه هي المرة الوحيدة التى رأيت فيها ناصر غاضبا، وقال: " إننى أعنى ما أقول".

وكانت الاجابة من واشنطن: " سنفعل كل ما نستطيع فى الأمم المتحدة، وكان رد ناصر باردا!" ثم استنرد هير؛ " ومع ذلك أخذنا خطا قويا فى الأمم المتحدة؛ مما أغضب بريطانيا وفرنسا"(١).

#### رابعا: العدوان الثلاثى فى الأمم المتحدة:

فور بدء العدوان الاسرائيلى على مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦، طلبت الولايات المتحدة عقد مجلس الأمن، الذى اجتمع ثلاث جلسات فى ٣٠ أكتوبر؛ لبحث وقف اطلاق النار بين مصر واسرائيل، وسحب القوات المعتدية الى ما وراء خطوط الهدنة. كما ناشد مشروع القرار الأمريكى الدول بعدم مساعدة اسرائيل عسكريا أو اقتصاديا، طالما أنها لم تنفذ هذا القرار.

---

Hare, Oral History Project, op.cit.

(١)

ولكن القرار الأمريكي هُزم؛ بسبب الفيتو البريطاني - الفرنسي، وفورا بدأت الحكومة الأمريكية فى بحث منع المعونة عن اسرائيل، وقد تضمن ذلك توقيف المعونة الاقتصادية وتسليم البضائع الى اسرائيل، وكذلك ايقاف ارسال كل شحنات الأسلحة، وعدم تبادل المعلومات العسكرية، ولا مدربين فى مدارس الخدمة العسكرية، وكذلك الحصار على شحن الذخيرة ومستلزمات الحرب ورخص انتاج الذخيرة. وقد وافق دالاس على الاعلان عن هذه الاجراءات؛ على أساس أنها تتخذ فى اطار الاعلان الثلاثى لسنة ١٩٥٠ (١). ثم وافقت أغلبية الأصوات على المشروع اليوغوسلافى، بدعوة الجمعية العامة الى اجتماع طارئ.

وقد تعرضت مصر لعدوان من بريطانيا وفرنسا فى ٣١ أكتوبر، فى الوقت الذى كانت تدافع فيه عن نفسها ضد العدوان الاسرائيلى؛ وذلك بعد رفض ناصر الانذار البريطانى الفرنسى. اذ أنه فى ذلك اليوم قامت الطائرات البريطانية - الفرنسية بالقاء القنابل على المدن المصرية، كما هاجمت المطارات العسكرية والمدنية. وقد أعلنت وزارتتا الدفاع فى بريطانيا وفرنسا؛ أن العمليات الجوية المشتركة ضد مصر قد بدأت من الجو والبر، تحت قيادة الجنرال كيتلى. وبذلك كشف الرأى العام العالمى المؤامرة المدبرة بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل ضد مصر؛ بغرض اخضاع الشعب المصرى، والانتقاص من سيادته وحقوقه المشروعة.

وفى ذلك اليوم أعلن ناصر التعبئة العامة، وأصبح حاكما عسكريا عاما للبلاد.

وفى أول نوفمبر كثفت بريطانيا وفرنسا غاراتها على المدن الحيوية، وعلى القوات المصرية المنسحبة من سيناء بناء على قرار ناصر؛ حتى لا تقع فى الفخ الذى نصبه المعتدون بين القوات الاسرائيلية من جانب والقوات البريطانية الفرنسية الغازية من ناحية قناة السويس. وبانتهاء اليوم، كان الجيش المصرى قد نفذ أوامر قائده الأعلى بالانسحاب من سيناء، وخرج من الكمين الذى كان معدا له.

وقد لاحق الطيران البريطانى - الفرنسى القوات المصرية المنسحبة وقام بتحطيم كوبرى الفردان (٢)؛ لمنعها من العبور الى الضفة الغربية لقناة السويس. وقد نجح سلاح المهندسين المصرى من تمكين هذه القوات من أن تعبر القناة بسلام.

---

Memo. of a Conversation, Secretary Dulles Office, Dept. of State, Washington

(١)

Oct. 31, 1956, Sanctions Against Israel.

(٢) كوبرى الفردان، يمر فوق قناة السويس.

وفى ٢ نوفمبر أرسلت الحكومة السورية مذكرة الى الولايات المتحدة، تخطر بها أنها قررت أن تطبق - من هذه اللحظة - معاهدة الدفاع المشترك المصرية - السورية ، وقائدها الأعلى عبد الحكيم عامر، قائد القوات المسلحة المصرية، وأن سوريا أصبحت تقف جنباً إلى جنب مع مصر. وقد قامت الحكومة السورية بتحريك قوات الى الأردن، كما أن قوات عراقية تحركت أيضا اليه؛ وقد أدى ذلك الى مبادرة اسرائيل لإخطار الولايات المتحدة أنها لن تهاجم الأردن (١).

وقد أصدرت الجمعية العامة قراراً فى ٢ نوفمبر، يطلب من الأطراف المشتركة فى القتال وقف اطلاق النار فوراً، وانسحاب القوات المعتدية، وقد وافقت على هذا القرار أغلبية ساحقة، وعارضته كل من بريطانيا وفرنسا واسرائيل، التى أعلنت عدم استجابتها له.

واستمرت بريطانيا وفرنسا فى عدوانهما على المدن المصرية بقاذفات القنابل. وقامت السلطات المصرية بتوزيع السلاح على أبناء بورسعيد وأفراد المقاومة الشعبية؛ ٥٠٠٠٠٠ بندقية.

وفى اليوم التالى - ٣ نوفمبر - قامت القوات المصرية باغراق ٥ سفن عند مدخل قناة السويس لاغلاقها تماما؛ منعا لتكرار احتلال مصر عن طريق القناة؛ كما حدث أيام عراقى، وذلك بعد أن أعلنت القيادة البريطانية فى بلاغاتها الرسمية أنها أغرقت السفينة عكا، بضربها بالطائرات فى قناة السويس.

وقد حاولت بعض القطع البحرية المعتدية انزال قوات كوماندوز بحرية بالسويس لتصل الى بورسعيد ، إلا أن زوارق الطوربيد المصرية تصدت لها وأغرقت ٣ قطع بحرية ؛ مما أدى الى انسحاب باقى القطع الى قاعدتها فى عدن.

وفى ذلك الوقت قررت الحكومة المصرية أن توجه نداء الى جميع دول العالم؛ تطلب فيه معاونتها على رد العدوان.

تجاهل المعتدون قرار الجمعية العامة، ففى ٤ نوفمبر اقترب طراد فرنسى من المياه الاقليمية المصرية فى البحر المتوسط، فتصدت له زوارق الطوربيد المصرية بقيادة جلال الدسوقي وجول جمال، الذى أطلق على الطراد الفرنسى طوربيدا أصابه اصابة مباشرة شطرته نصفين؛ فغرق بمن فيه. وقد تصدت الطائرات الفرنسية لزورق الطوربيد المصرى وأغرقتة، واستشهد المقاتلان. وفى نفس الوقت أغارت الطائرات المعتدية على بورفؤاد، وأحدثت خسائر فادحة فى مبانيها.

---

Telegram From the American Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, Nov.4 , 1956.

(١)

وقد اجتمعت الجمعية العامة فى ٤ ، ٥ أكتوبر، وصدر قراران على التوالى؛ بتكليف السكرتير العام بإعداد مشروع لتكوين قوة طوارئ دولية فوراً بموافقة الأطراف المعنية؛ لكفالة ومراقبة وقف العمليات الحربية. كما تضمن هاذان القراران تشكيل هيئة الطوارئ الدولية بقيادة الجنرال بيرنز، على أن يختار معاونيه من ضباط مراقبة الهدنة الدائمين، الذين لا ينتمون الى إحدى الدول ذات المقاعد الدائمة فى مجلس الأمن.

وفى تقرير همرشولد المقدم الى الجمعية العامة فى ٧ نوفمبر أكد على الصفة المؤقتة لقوات الطوارئ الدولية، وعلى أنها لا تؤثر على الميزان العسكرى وبالتالى الميزان السياسى فى النزاع القائم، وتشمل مهمتها المنطقة الممتدة من قناة السويس وتنتهى عند خط الهدنة.

ولقد تحدث كل من بريطانيا وفرنسا قرارات الجمعية العامة وقامت قواتهما فى ٥ نوفمبر بغزو مدينة بورسعيد، التى كان يسكنها ٢٥٠ ألف مصرى. وسبق الغزو غارات جوية متواصلة على المدينة؛ مما أوقع خسائر فادحة فى المدنيين من سكانها.

وإزاء مقاومة سكان بورسعيد للمعتدين، قامت القوات البريطانية والفرنسية المعتدية بضرب المدينة بالطائرات والأسطول، وصلت الى ٥٠ غارة فى ذلك اليوم؛ وفقاً لما اذاعته القيادة البريطانية - الفرنسية المشتركة. وقد نتج عن ذلك أن هدمت المساكن واشتعلت فيها النيران، كما عطلت جميع المرافق.

وفى نفس يوم توجيه الانذار الروسى للدول المعتدية الثلاث - ٥ نوفمبر - وضع الاتحاد السوفيتى فى مجلس الأمن مشروعه الذى يدعو لاشتراك الولايات المتحدة معه عسكرياً لايقاف العدوان، إلا أنه قد رُفض ادراجه فى جدول أعمال المجلس؛ بمعارضة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واستراليا وبلجيكا، وقد وافقت على ادراجه كل من الاتحاد السوفيتى ويوغوسلافيا وإيران(١).

وقد تم مسبقاً إخطار مصر بتفاصيل المشروع السوفيتى المشترك مع الولايات المتحدة؛ لايقاف العدوان عسكرياً. وأبلغ شبيلىوف محمد عوض القونى أن حكومته مصممة على أن تتخذ اجراء فورياً وفعالاً، وأنه ذلك ليس الوقت لانتظار قرار من الأمم المتحدة، بينما تستمر الخسائر الناتجة عن التدمير بالقنابل بين المدنيين؛ على يد القوات الغازية من بريطانيا وفرنسا واسرائيل.

Memo. of a Conference with the President, White House, Nov.5, 1956.

(١)



وقد سأل السفير المصرى شبيلوف، ماذا سيكون تصرف حكومته إذا خذلتهم أمريكا ومجلس الأمن والجمعية العامة؟ قال: " سنجد وسائل أخرى سريعة وفعالة" (١).

وفى ٦ نوفمبر تم تشغيل موجات الاذاعة المصرية التى سبق ضربها بالقاذفات البريطانية- الفرنسية فى بداية العدوان. ويتضح من الوثائق مدى حنق ايدن على اذاعة صوت العرب بالذات، التى كانت تسمعها الشعوب العربية من الخليج العربى الى المحيط الاطلسى.

وفى نفس اليوم قبلت المملكة المتحدة وفرنسا وقف اطلاق النار، وقد أرسل أيزنهاور رسالة الى ايدن؛ أكد فيها " أن قرار الأمم المتحدة بوقف اطلاق النار يقبل بدون شروط؛ حتى لا نعطي مصر - بمساندة السوفييت - فرصة للمراوغة. وأنه من الحيوى ألا نعطي فرصة لاشتراك السوفييت فى قوة الأمم المتحدة، وهكذا فإن كل الخمسة الكبار لا يشتركون فى قوة الأمم المتحدة" (٢).

وفى ٨ نوفمبر أرسل السفير المصرى فى موسكو برقية أعرب فيها عن شك شبيلوف فى "خدعة" وقف اطلاق النار. وقال له خروشوف: " إن اسم ومكانة الاتحاد السوفيتى أصبحت فى المحك، وأنه من المؤكد انهم سيثنون حربا بجانبنا ضد بريطانيا وفرنسا إذا اقتضى الأمر ذلك، أما بالنسبة لاسرائيل، فهو حتى لا يهتم بذكرها! وهو يعتبر أن مصر قد هزمت بالفعل بريطانيا وفرنسا، اللذان أرادا أساسا أن يطيحوا بالنظام والرئيس ناصر.

وأضاف خروشوف ، "أنه الآن تبدأ المعركة الدبلوماسية، حيث الحاجة الى المهارة والحكمة

(٣).

وبالفعل لم ينجح المعتدون فى خطتهم بالحرب الخاطفة، كما أنهم لم يستطيعوا أن يحطموا معنويات الشعب المصرى، ولم يتمكنوا من الاستيلاء على قناة السويس، وأخيرا لم يتخلصوا من ناصر، بل زادت وحدة الشعب المصرى مع قائده، كما توطدت وحدة العرب.

---

(١) البرقية ضمن أوراق ناصر الخاصة.

(٢) Message from President Eisenhower to PM Eden, Washington, Nov.5, 1956.

(٣) برقية من السفارة المصرية فى موسكو، ١٩٥٦/١١/٨، من أوراق ناصر الخاصة.

وفى بريطانيا حدثت أزمة سياسية بسبب العدوان، وازداد نفوذ حزب العمال وهؤلاء الذين كانوا ضد الحرب على مصر ، وبدأ الكلام عن احتمال تنحية ايدن عن السلطة بسبب سياسته الفاشلة فى الشرق الأوسط. ونفس الشئ حدث للاشتراكيين فى فرنسا.

#### خامسا: المعركة السياسية بعد وقف اطلاق النار:

بعد فشل المغامرة الحربية على مصر، فُتحت المعركة السياسية، وكان من المنتظر أن تحاول القوى الاستعمارية أن تفرض على مصر شروطها؛ خاصة لتدويل القناة، كما تحاول فرض قرارات أو حلول تؤثر على سيادة مصر، وفى نفس الوقت تضعف موقف الحكومة الوطنية المصرية ، وحكومات بعض الدول العربية.

#### ١- الموقف السوفيتى الى جانب مصر :

وكان من وجهة نظر السوفييت أن المعتدين سيحاولون إضعاف صداقة مصر بروسيا ، والدول الصديقة الأخرى ، وحيث أن هيبة مصر والعرب أصبحت عالية فى كل العالم؛ فهذا يعطى مصر الامكانية لأن تكون مرنة وحذرة فى هذه المعركة السياسية .

أما عن القوات الدولية للأمم المتحدة التى وافقت عليها مصر، فقد أيد السوفييت وضعها على خط الهدنة بين مصر واسرائيل على الجانبين، وهذا يعنى أن واجب القوة الدولية هو أن تمنع الصدام الحربى بين الطرفين.

وأكد السوفييت على ضرورة انسحاب القوات البريطانية والفرنسية والاسرائيلية من مصر؛ من بورسعيد وسيناء والجزر فى خليج العقبة.

وقد وصل الموقف السوفيتى الى تأكيد حق مصر أن تطلب من الدول الثلاث الغازية أن تدفع تعويضات لها عن الاصابات التى حدثت نتيجة للعدوان المسلح؛ وهى توقف الملاحة فى القناة وتعطيلها، تدمير المدن والقرى المصرية، وعرض الاتحاد السوفيتى وضع هذا الطلب فى الأمم المتحدة بواسطة مندوبه فيها. بل لقد ذهب الاتحاد السوفيتى أبعد من ذلك؛ واقترح أن تطلب مصر محاكمة المعتدين ، وتشكل محكمة دولية للتحقيق، وتأخذ القرار بعقوبة المعتدين، ووعد بتأييد هذا الطلب (١) .

---

(١) رسالة سوفيتية جديدة لمصر، ٩/ ١١/ ١٩٥٦، ضمن أوراق ناصر الخاصة.

## (٢) موقف بريطانيا وفرنسا:

لقد كان موقف بريطانيا وفرنسا واضحا فى حرصهما على تدويل القناة، والتحريض على مد دور القوة الدولية لغرض تأمين الملاحة وحماية السلام فيها. وكانت بريطانيا مصممة على أن تبقى قواتها فى مصر، حتى تصل القوة الدولية وتبدأ عملها. ومن هنا فقد ظل القتال مستمرا فى بورسعيد، بالرغم من قبول بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار فى ٦ نوفمبر.

وقد وافقت مصر فى ١٤ نوفمبر على وصول قوة الطوارئ الدولية، وكان ناصر متنبها لمخاطر تلك القوة الدولية ونواياها؛ "أن تحتل منطقة القناة أو جزء منها"، بحيث تسمح بتدويل القناة. وقد أكد محمود فوزى لهمرشولد أن قوة الطوارئ لا وظيفة لها فى بورسعيد ومنطقة القناة، بعد انسحاب قوات بريطانيا وفرنسا.

وبناء على ما سبق وجه همرشولد مذكرة الى بريطانيا وفرنسا فى ٩ نوفمبر يلفت نظرهما الى ضرورة سرعة وقف اطلاق النار تماما، وسحب كل قواتهما من الأراضى المصرية. كما أبلغ السفير السوفيتى فى القاهرة الخارجية المصرية ما أذاعته وكالة تاس السوفيتية فى ١١ نوفمبر؛ من تحذير الزعماء السوفييت الدول المعتدية - فى عبارات صارمة - من أن أى عدوان جديد على مصر سيعنى التدخل من جانب الاتحاد السوفيتى.

وقد تم الاتفاق فى ٢٠ نوفمبر على أن تدخل بعض وحدات قوة الأمم المتحدة الى بورسعيد؛ مما يساعد على سرعة الانسحاب، ومنع الفظائع التى ارتكبتها القوات الغازية ضد أهلها. وقد بذل همرشولد - بمساندة الولايات المتحدة - جهدا كبيرا متصلا وضاعطا بشدة على الدول المعتدية الثلاث للتعجيل بالانسحاب، وطلب همرشولد أن تستمر الحكومة المصرية فى ابداء حسن استعدادها نحو تطهير القناة، بشرط اتمام الانسحاب.

وفى الواقع فإن الحكومة المصرية كانت متيقظة؛ حتى لا تتقلب عملية تطهير القناة - ولو بواسطة الأمم المتحدة - الى عملية تدويل لها.

ولقد استمرت الأعمال العدوانية من جانب القوات البريطانية الى أواخر ديسمبر، عندما استولت البحرية الانجليزية على فنار الأخوين بالبحر الأحمر، ووضعت به المدافع فى ٣٠ نوفمبر، كما توجه طرادا ومدمرة انجليزية بين فنارى شدوان وديبه، مع العلم أن هذه الفنارات مصرية! ومرور الوحدات البريطانية بين الفنارين الأخيرين منها؛ يعتبر اعتداء على المياه الاقليمية المصرية، وعلى قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالانسحاب الفورى.

كذلك كان يدخل فى مهمة قوات الطوارئ الدولية؛ المخولة مراقبة انسحاب القوات المعتدية من مصر، مراقبة انسحاب القوات البريطانية من مناطق الفنارات المصرية ، وقد طلبت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية الاحتجاج لدى الأمم المتحدة.

وفى يوم ١٦ ديسمبر قامت القوات البريطانية بمهاجمة المدنيين المصريين فى بورسعيد بالدبابات والمصفحات ؛ وترتب على هذا الهجوم قتل مائة من المواطنين ، وعدد كبير من الجرحى. كما قامت هذه القوات بعمليات تفتيش واسعة النطاق للمنازل فى الأحياء الوطنية؛ أسفرت عن اعتقال ١٠٠٠ مواطن، سيقوا الى المعسكرات البريطانية؛ حيث عذبوا بحجة استجوابهم. كما نهبت المساكن والمتاجر الوطنية، واستولت القوات المعتدية على أغلب المواد التموينية اللازمة للمواطنين فى بورسعيد؛ مما نتج عنه أزمة تموينية خطيرة بالمدينة(١).

وقد قدمت الحكومة المصرية احتجاجا الى الأمم المتحدة ، محملة القوات المعتدية مسئولية كل هذه الاجراءات التى تتنافى مع قرارات ايقاف النار. وقدم محمود فوزى مذكرة يلفت النظر فى المنظمة الدولية الى أن الحالة فى بورسعيد بصفة خاصة ، وفى منطقة القناة بصفة عامة؛ فى منتهى التوتر نتيجة للأعمال البربرية التى قامت بها القوات البريطانية والفرنسية ضد الأهالى المدنيين فى هذه المنطقة؛ مما قد يترتب عليه نتائج لا يمكن تقديرها فى حالة بقاء أفراد بريطانيين أو فرنسيين فى المنقطة. وهذا ما دعا الحكومة المصرية الى عدم الموافقة على بقائهم حرصا منها على حياتهم ، وتحقيقا لاستمرار الأمن والاستقرار فى المنقطة (٢).

---

(١) تعليمات من ناصر الى محمود فوزى فى نيويورك؛ لكشف هذه الحقائق على الرأى العام العالمى، تقرير شامل من وزارة الخارجية المصرية عن اتصالات وفد مصر الدائم فى الأمم المتحدة، وتعليمات ناصر اليه، من أوراق ناصر الخاصة.  
(٢) المرجع السابق.

### ٣- الموقف الاسرائيلي:

لقد نصت اتفاقية الهدنة التي وقعت بين اسرائيل والدول العربية فى ١٩٤٩؛ على ألا يحقق أى طرف مكاسب سياسية أو عسكرية. وقد استمرت اسرائيل فى نقض اتفاقية الهدنة؛ بالأعمال الارهابية المتكررة ، والتي كان أبرزها الهجوم على غزة والقرى حولها فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ ، ثم العدوان الاسرائيلى عليها فى ٥ مارس ١٩٥٦ . وعلى أثره اتخذت السلطات المصرية اجراءات دفاعية مكثفة فى القاهرة ضد الطائرات المعادية، كما انجزت ترتيبات الدفاع السلبى فى العريش وحول قناة السويس.

لقد قامت اسرائيل بأربعة وثلاثين هجوما خلال شهرين فى عام ١٩٥٦ ؛ اسرائيل التى ادعت أن عدوانها الموسع على سيناء ، الذى بدأ فى ٢٩ أكتوبر كان غرضه الأساسى هو ردع الفدائيين المصريين!

وبعد صدور قرار الجمعية العامة بوقف اطلاق النار وانسحاب القوات المعتدية ، أعلن بن جوريون فى خطاب فى الكنيست الاسرائيلى؛ " أن اتفاقية الهدنة مع مصر قد ماتت ودفنت ولا يمكن اعادتها الى الحياة؛ وعلى ذلك فإن خطوط الهدنة بين اسرائيل ومصر لم تعد صالحة" وقد علق برنز أن تصريح بن جوريون يبدو منه أنهم مصممون على عدم الخروج من سيناء! كذلك فإن همرشولد اشتكى لمحمود فوزى فى نيويورك؛ من أنه يلقى مقاومة عنيدة من اسرائيل فى شأن الانسحاب، وأنه دارت بينه وبين جولدا مائير مشادة حامية بهذا الصدد فى ٢٠ نوفمبر. وأضاف أنه طلب أن يدخل مراقبون الى منطقة غزة ، على أن تتبعهم وحدة من قوات الأمم المتحدة ؛ فالتقارير عن غزة سيئة جدا.

وفى ٢٠ نوفمبر تقدم السوفييت بمشروع الى الأمم المتحدة؛ يحثونها فيه على فرض احترامها على اسرائيل ، التى دأبت على انتهاك قراراتها.

ومن جانب آخر، سلم وفد اسرائيل فى الأمم المتحدة الى همرشولد إشارة الى أن الاذاعة المصرية صرحت مرتين يوم ٥ ديسمبر ، بأن أعمال الفدائيين ستزيد ويتسع نطاقها. وقد خرب اليهود الطرق بسيناء ووضعوا بها الألغام، ودمروا السكك الحديدية؛ وذلك بهدف تعطيل تقدم قوات الأمم المتحدة لكسب الوقت، والحصول على منافع سياسية. كما سرقوا البترول فى سدر وبلاعيم، ونسفوا مستودعات وآبار المياه والبترول، التى يعتمد عليها ٢٠٠ الف من سكان سيناء ، كما قاموا بحرق دورهم، حتى اضطروا للرحيل الى منقطة القناة. وفى العريش دمر الاسرائيليون المدينة العسكرية تماما والمطار، كما رفعت حظائر الطائرات.

وتحدث همرشولد مع وفد اسرائيل فى الأمم المتحدة حول انسحاب قواتها، وقال: إنه يشاطر مصر تمسكها بالألا تجنى اسرائيل أى ثمرة لعدوانها، وألا تحتفظ بغزة وجزيرتى تيران وصنافير فى يدها (١).

وفى ١٩ ديسمبر صرح بن جورىون أن اسرائيل لن تسلّم غزة الى السلطات المصرية. وقد احتجت الحكومة المصرية؛ على أساس أنه حسب قرارات الأمم المتحدة ، ينبغى أن يعود الوضع الى ما كان عليه قبل ٢٩ أكتوبر، وأن تنسحب القوات الاسرائيلية خلف خطوط الهدنة. وقد أرسل ناصر الى محمود فوزى فى نيويورك؛ أن مصر لن تقبل أية ادارة غير مصرية لقطاع غزة، وأنه لا يمكن التعرض لمسألة القناة قبل انسحاب اسرائيل .

كما طلبت الحكومة المصرية من همرشولد العمل على رد ممتلكات الأفراد فى بورسعيد ، التى سلبتها القوات البريطانية والفرنسية قبل وعند رحيلها.

وفى ٢٤ ديسمبر أخبر همرشولد محمود رياض؛ أن انسحاب اسرائيل سيتم خلال أسبوع عدا غزة وجزيرة تيران. وقد أصر همرشولد على وجوب انسحاب اسرائيل الكامل وراء خطوط الهدنة، إلا أن اسرائيل كانت تستند على ما تتسبه لمصر من أعمال الفدائيين؛ لتتلكأ فى الانسحاب من غزة وتيران وشرم الشيخ .

وفعلا كانت عملية انسحاب اسرائيل تسير ببطء شديد؛ مما أعطى لها مجالاً للتمادى فى عمليات القتل والاعتداء على الأهالى المدنيين فى غزة وسيناء، والاستمرار فى تخريب المنشآت فى هذه المناطق.

وقد تقدمت الوفود العربية فى ٩ يناير ١٩٥٧؛ بمشروع قرار الى الجمعية العامة ، وذلك بسبب قلقهم العميق من امتناع اسرائيل من أن تتمشى مع قرارات الأمم المتحدة. ويدمغ القرار تحدى اسرائيل للمنظمة الدولية ، ويطالبها بسحب قواتها خلف خطوط الهدنة خلال ٧٢ ساعة، كما يدعو جميع الأعضاء الى الامتناع عن تقديم أى مساعدة لاسرائيل؛ عسكرية أو اقتصادية أو مالية.

---

(١) مقابلة بين محمود رياض وهمرشولد، ٥٦/١٢/٦، المرجع السابق.

ولقد تعرضت مصر لضغوط فى الأمم المتحدة فى ٢١ فبراير ١٩٥٧؛ فيما يتعلق بالعقبة وغزة والسويس ، فقد جرت محاولة لاستصدار قرار من الجمعية العامة لتوسيع أعمال قوة الأمم

المتحدة، وبالذات فيما يتعلق بالعقبة وغزة، ثم جرت محاولة لفصل غزة عن الادارة المصرية، بل حدث تحرك من أجل تمرير سفن وبضائع اسرائيلية فى قناة السويس، وكذلك تمرير سفن تابعة لعدة دول بخليج العقبة؛ بقصد اضاءة الصفة الدولية على مياهه، وأيضا جرت محاولات لفرض حل استعماري لمسألة قناة السويس.

ومن ناحية أخرى عبر همرشولد عن انشغاله - من خلال بيرنز فى القاهرة - بسبب ما بلغه من تحركات كبيرة للقوات المسلحة المصرية الى منقطة سيناء وعلى جانبى القناة - وذلك فى ١١ ابريل ١٩٥٧ - وهو ما يعده الآخرون استفزازا! وقد رد محمود فوزى، أن اسرائيل متجاهلة تماما لقرارات الأمم المتحدة؛ مثل أن توجد قوات الطوارئ على الجانب الاسرائيلى، كما هى موجودة على الجانب المصرى، وقد أشار وزير الخارجية الى التهديدات الاسرائيلية المتكررة ضد مصر ، وتحركات قواتها المسلحة داخل المناطق المحتلة (١).

وفى النهاية انسحبت اسرائيل خلف خط الهدنة فى ١٢ مارس ١٩٥٧ ، واستطاعت أن تحقق مكسبا من عدوانها على مصر؛ وهو المرور فى خليج العقبة.

وقد كتب ناصر بخطه، " وبعد انسحاب اسرائيل ، فإن مصر مستعدة للدخول فى مباحثات مع همرشولد؛ للتفاهم على تطبيق الهدنة، وإن اقامة البوليس الدولى يجب ألا تحول دون ممارسة مصر لحقها".

#### ٤- الموقف الأمريكى:

قدر ناصر موقف أيزنهاور تجاه العدوان على مصر، وأشار الى ذلك فى خطاب له بالإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٥٧ . وبالفعل، لقد اتضح من الوثائق الأمريكية مدى تعاطف أيزنهاور ودالاس مع مصر بعد الانذار البريطانى - الفرنسى، الذى أخفوه عنهما، ولم يعلما به إلا من الصحافة!

---

(١) المرجع السابق.

وبعد الهجوم اندفعت الولايات المتحدة للعمل من أجل وقف اطلاق النار، وانسحاب قوات الثلاث دول الغازية، وتوقيع العقوبات الاقتصادية على اسرائيل. ولكن انحصر اطار ذلك كله داخل الأمم المتحدة، فبعدها استخدمت بريطانيا وفرنسا الفيتو ضد المشروع الأمريكى الأول؛ انتقلت المعركة السياسية الى الجمعية العامة، وسرعان ما تشكلت قوة الطوارئ الدولية لتفصل بين المتحاربين، ثم تتجمع على خط الهدنة بين مصر واسرائيل.

ولما تلكأت قوات العدوان فى الانسحاب، بذلت الحكومة الأمريكية مع همرشولد جهدا متصلا وضاعطا بشدة؛ للتعجيل بتحقيقه، وأظهر أيزنهاور حماسا وتصميما فى هذا الاتجاه.

ولكن لم تتجاوب الولايات المتحدة مع مصر عندما طلبت منها المساعدة العسكرية بعد هجوم بريطانيا وفرنسا؛ لأن ذلك كان معناه مواجهة حربية بين الولايات المتحدة وحليفها التقليديين. بينما كان موقف الاتحاد السوفيتى على النقيض؛ حيث أعرب عن استعداده لامداد مصر بالاسلح والطائرات والطارين، كما ساند مصر سياسيا بكل قوة سواء فى الأمم المتحدة أو خارجها.

وقد تغير موقف الولايات المتحدة، عندما أذرت الاتحاد السوفيتى كل من بريطانيا وفرنسا ملوحا بالأسلحة الذرية والهيدروجينية، ومهددا بالتدخل المباشر فى الصراع، وكذلك عندما اقترح تكوين قوة عسكرية مشتركة مع الولايات المتحدة؛ من أجل التصدى للعدوان.

لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها فى وضع فريد؛ طلب العمل العسكرى المشترك من الاعداء، ومقاومة الأصدقاء والحلفاء التقليديين!

اذن اتجهت الولايات المتحدة، بعد قبول بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار وبدء عملية الانسحاب، الى ارضائهما ومساعدتهما، وكانت العودة لطبيعة السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، التى تركزت أساسا على مقاومة النفوذ السوفيتى فى هذه المنطقة.

وقد اتضح بعد انسحاب بريطانيا وفرنسا، أن الولايات المتحدة لديها خطة؛ لأن تحقق الأغراض التى فشلت بريطانيا وفرنسا فى تحقيقها بالعدوان، تحققها بالوسائل السلمية؛ بالضغط الاقتصادى، بالتجوع، بمنع البترول عن مصر، بل لقد رفضت الولايات المتحدة أن تباع لمصر القمح الذى انقفت عليه مسبقا بالنقد المصرى، وكان الغرض أن تحدث مجاعة! ولجأت مصر الى أصدقائها تطلب منهم المعونة، واستطاعت أن تنتصر فى معركة الضغط الاقتصادى.

" ثم بدأت قصة الفراغ فى الشرق الأوسط بعد أن انسحبت بريطانيا وفرنسا، وملء الفراغ؛ أى يجب أن تأتى دولة عظمى تملأ هذا الفراغ، وأعلن مبدأ أيزنهاور فى ٥ يناير ١٩٥٧.

لقد كان غرض مشروع أيزنهاور الظاهر هو اعطاء المساعدات العسكرية والاقتصادية. ولم تقبل مصر مبدأ أيزنهاور؛ "لأن لنا سياسة أعلنها فى باندونج وبعده؛ مبنية على عدم الانحياز



والحياد الايجابي، والتعامل الاقتصادي مع جميع دول العالم، والقضاء على احتكار السلاح. إنها سياسة مبنية على الحرية الكاملة والاستقلال الكامل، وعدم الاعتراف بمناطق النفوذ، إنها سياسة مبنية على أن الدفاع عن أي منطقة يجب أن ينبثق من داخلها، بدون اشتراك أي من الدول الكبرى" (١).

وكان ناصر يرى أن مبدأ أيزنهاور يحتوى، بالإضافة الى المساعدات الاقتصادية والسياسية، على قيود سياسية. إنه تكمله لحلف بغداد، خصوصا بعد أن انضمت الولايات المتحدة اليه. **سادسا: نظرة على العدوان:**

بعد ما يقرب من الستين عاما من حملة السويس، التي أنهت الفكر والتحرك الامبريالي تجاه الدول الصغيرة، التي كانت تتطلع لعالم عادل تسود فيه قيم التحرر ورفع مستوى الانسان، وحياء أفضل، يحق لدارسى التاريخ أن يتعمقوا في آخر فصول الاستعمار التقليدى الذى انقضى. لقد وقع العدوان الثلاثى على مصر فى فترة فاصلة فى العلاقات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية؛ فترة أعيد فيها توزيع الأوراق فى منطقة الشرق الأوسط وفى العالم. لقد كان الغزو البريطانى - الفرنسى لمصر علامة بارزة على انتهاء الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وتقدم الولايات المتحدة لتحتل نفوذهما فى الشرق الأوسط. وحتى نقدر أبعاد الفشل لحملة السويس البريطانية نستعرض حجم القوة العسكرية التي هاجمت مصر(٢):

القوات البريطانية: اللواء ١٦ مظلات، واللواء ٣ من الفدائيين البحريين، والفرقة الثالثة والعاشرة والثانية التي كانت فى المانيا، وكتيبتين دبابات سننوريون. القوات الجوية البريطانية: ٥٠٠ طائرة مقاتلة ومن ناقلات الجنود.

---

(١) خطاب ناصر ، ٢٦ يوليو ١٩٥٧ ، مرجع سابق .

(٢) الكتاب الأبيض الذى اصدرته الحكومة البريطانية عن حملة السويس .

الأسطول البريطاني: ٥ حاملات طائرات، ٥ طرادات ، ١٢ مدمرة، ١١ سفينة حاملات جنود ودبابات، ٧ غواصات، ١٤ كاسحة الغام، بالإضافة الى القوات البحرية التي شاركت فى الهجوم على السويس فى الجنوب: ٣ مدمرات، ٨ فرقاطة، بارجة، حامله طائرات، وبعض السفن المساعدة. القوات المسلحة البرية الفرنسية: الفرقة العاشرة، والفرقة السابعة السريعة الميكانيكية، والفرقة الخامسة المدرعة، والفرقة الرابعة مشاة، وجميعها سحبت من الجزائر، ولواء مظلات، ولواء فدائيين بحريين، وكتيبتين دبابات، وأطقم قتال خاصة؛ عربات مدرعة مركب عليها هاونات ثقيلة. القوات الجوية الفرنسية: ٢٠٠ طائرة.

الأسطول الفرنسى: ٣ حاملات طائرات، بارجه واحدة، طرادين، أربع مدمرات، ٨ فرقاطة، ٣ غواصات، زوارق إنزال.

وقد قدر عدد القوات المشتركة التي هاجمت شاطئ بورسعيد يوم ٦ نوفمبر، بحوالى ٥٠,٠٠٠ جندي بريطانى.

كل هذه القوات استخدمتها دولتان كبيرتان ضد دولة صغيرة، متمسكة بسيادتها وبمبادئ عدم الانحياز والتحرر القومى، ترفض الانخراط فى الأحلاف العسكرية، وتحارب مناطق النفوذ. ومن ناحية أخرى، فلقد فشل أيضا الهجوم الاسرائيلى فى تحقيق أغراضه الاستراتيجية، ولقد ظلت القوات المصرية فى سيناء قادرة على رده، الى أن صدرت لها الأوامر بالانسحاب لتواجه الغزو البريطاني الفرنسى فى منطقة القناة؛ وذلك بشهادة القادة الاسرائيليين، ومنهم الكولونيل أساف سمحونى الذى قتل فى سيناء، ووقعت مذكراته فى أيدي المصريين (١).

اذن ماذا حققت المعركة بعد انسحاب الدول الثلاث؟

" لقد انتصرت مصر فى معركة تثبيت الاستقلال، وتم تأكيد ملكية مصر للقناة. وكانت المعركة انتصارا للقومية العربية، ولسياسة الحياد الايجابى، والاستقلال الاقتصادى. إنها كانت تأمين لكل الدول الصغرى، وتثبيت حريات الدول التي حصلت على الاستقلال حديثا، فلو كانت مصر انكسرت؛ لانكسرت الحريات فى بلاد غيرها" (٢).

(١) ضمن أوراق ناصر الخاصة.

(٢) خطاب ناصر فى عيد النصر ، ١٩٥٧/١٢/٢٣ .

ولكن بدأت معارك أخرى فى الشرق الأوسط بعد أن تغيرت خريطته الاستراتيجية، وكلها كانت تستهدف مصر وقيادة ناصر، التى اكتسبت نفوذا كبيرا فى العالم العربى والاسلامى والعالم الثالث، بل ونالت تأييد المواطنين المتحضرين فى الغرب.

لقد بدأت الخطة الغربية الجديدة ضد مصر بمشروع أيزنهاور، وقد أدرك ناصر أن الخطة الجديدة هى الغزو من الداخل، وقلب نظام الحكم الوطنى؛ ومن هنا استخدم الغرب الحرب الاقتصادية ضد مصر، كما جرت محاولات لعزلها؛ حتى يمنع تأثيرها التحررى على الدول حديثة الاستقلال. ولكن مصر نجحت فى مقاومة كل هذه المؤامرات، ومضت فى طريقها نحو التقدم والتنمية.

## الوحدة المصرية السورية

١٩٥٨ - ١٩٦١

### بشائر الوحدة :

" تلقيت بترحيب بالغ نبأ قرار مجلس نواب سوريا الشقيقة مساء اليوم ؛ لاقامة اتحاد بين جمهوريتي مصر وسوريا ، ففي تحقيق لهذا الاتحاد ؛ تحقيق لأمنية يهفو اليها قلب كل عربى يؤمن بالقومية العربية ، ويعمل من أجلها . وقيام الاتحاد بين جمهوريتي مصر وسوريا ؛ إنما هو تحقيق للمادة الأولى من دستور جمهورية مصر ؛ التي تنص على أن مصر دولة عربية مستقلة ، وأن الشعب المصرى جزء من الأمة العربية " .

ذلك كان رد ناصر فى ٥ يوليو ١٩٥٦ على قرار البرلمان السورى - فى ذلك الوقت- الذى لم يأت من فراغ ؛ حيث كانت مصر وسوريا قد وقعتا على اتفاقية القيادة العسكرية المشتركة فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٥ .

ولقد وقف الشعب السورى مع مصر وساندها أثناء العدوان الثلاثى، فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٦ . وفى عام ١٩٥٧ حاول شكرى القوتلى أن يعمل اتفاقا ثلاثيا بين الأردن ومصر وسوريا ، وقد عارض ناصر ذلك ، ولكن السوريين ضغطوا ضغطا شديدا حتى تدخل الأردن فى القيادة المشتركة ، وكان بها فى ذلك الوقت حركة وطنية . وقد قاوم ناصر هذا الاتجاه ، وذكر فيما بعد، " ولكن نتيجة للاحاح السوريين ؛ قبلت وضعا غير مقتنع به؛ لوجود الموقف الوطنى فى الأردن ، وعلى اعتبار أن يكون فى هذا الاتفاق درعا واقيا بالنسبة للخطر الذى يهدد الأمة العربية" (١).

بعد عدوان ١٩٥٦ حدث تخطيط انجليزى ، ووقع انقلاب فى الأردن قضى على العناصر الوطنية ، وقيل إنه بسبب وجود انقلاب مصرى - سورى شيوعى !

تلك كانت مقدمات الوحدة المصرية السورية ، ورغم ذلك فقد تفردت فى خطوات اتمامها ؛ فى ١٤ يناير ١٩٥٨ فوجئ ناصر - وكان برفقة أحمد سوكارنو بالأقصر - بأخبار عن طائرة سورية وصلت الى مطار القاهرة بدون إذن ، ونقل ٢٠ ضابطا! توجهوا فوراً لمقابلة المشير عبد الحكيم عامر ، وأخطروه أنهم اجتمعوا مع الجيش ، ووجدوا أن سوريا فى خطر وتقابلها كارثة ؛ لتنازع ٤ أحزاب على الحكم ، والخوف أن ينقض الشيوعيون عليها ، ثم أكدوا أن الحل الذى اتفق عليه الجميع لانقاذ سوريا ؛ هو طلب الوحدة من ناصر .

حقائق الوحدة كما يرويها ناصر، فى محضر اجتماع مجلس الوزراء الذى رأسه بعد الانفصال، (الاجتماع الأول)، فى ١٩ (١) أكتوبر ١٩٦١ ، " قصة الوحدة وضرورة إعادة تنظيم البناء السياسى " .

كان الشعب فى سوريا فى هذا الوقت يعبر عن الوحدة ، كما اتخذ البرلمان السورى قرارا بالوحدة ، كما سبق ذكره.

وفى اليوم التالى - ١٥ يناير - قابلهم ناصر ، ودار الحوار التالى :

**الضباط :** لقد توصلنا الى حل ؛ وهو الوحدة .

**ناصر :** ما رأى الحكومة ورئيس الجمهورية السورية شكرى القوتلى ؟

**الضباط :** أرسلنا وفدا لشكرى القوتلى ، وهو لم يوافق على الوحدة إلا برضاء الجيش .

**ناصر :** لا يمكن القبول بهذا لأنكم لستم حكومة سوريا ، وحتى لا تتم الوحدة عاطفيا بهذا الشكل ؛ لأنها تحتاج الى ٥ سنوات . ومن الأفضل أن نبدأ بوحدة عسكرية وسياسية وثقافية ، وأخيرا النواحي الدستورية ، لكننا إذا قبلنا الوحدة مباشرة فستقابلنا الصعاب ، وإننا على استعداد لعمل برنامج لمدة ٥ سنوات ؛ كتمهيد للوحدة الدستورية .

وفى جلسة طويلة فى اليوم التالى فى مجلس الأمة ؛ حيث كان الاحتفال بالدستور المصرى ، تناقش الضباط مع الرئيس ، وكان أكثرهم تطرفا ضابط شيعى هو عفيف البزرى ، ودار الحوار التالى :

**الضباط :** تلقينا رسالة من دمشق بأن الحكومة وافقت على مطالبنا، وفى الطريق مندوب عنها صلاح البيطار - وزير الخارجية - لطلب الوحدة رسميا .

**ناصر :** إن هذا المطلب يعتبر عملية عاطفية ، وسياستنا هى القومية العربية ، وهى سياسة الأشباح ؛ لأن أعداءنا عندما يريدون ضربنا فلن يجدوا الهدف الذى يضربونه ، وإذا تمت الوحدة تحولت الأشباح الى شئ مادمى ؛ لن نقبل الوحدة بهذه السرعة.

**الضباط :** إنك تتكلم عن الوحدة العربية ، وسوف تواجه الأمر الواقعى بانهييار سوريا وضياعها ؛ فكأن سوريا لن تهلك .

**ناصر :** إنكم ضباط فى الجيش ، وإذا تمت الوحدة سوف أخرجكم منه !

**الضباط :** نقبل هذا الوضع .

**ناصر :** ليس عندنا فى مصر أحزاب ، ولا أريد أحزابا سورية ؛ لأن الحزب الشيعى يتلقى تعليماته من موسكو ، والأحزاب الرجعية تتلقى تعليماتها من الغرب .

**الضباط :** نوافق على عدم وجود أحزاب !

قابل ناصر بعد ذلك صلاح البيطار، الذى حضر مندوبا عن الحكومة السورية ، ومعه طلب رسمى بالوحدة .

وأصبح الوضع كما عبر عنه ناصر .. " الجيش والحكومة يطلبان الوحدة ، ونحن نزعماً حركة القومية العربية ونطالب بالوحدة ، ثم تعرض علينا ونرفضها ! حجة هؤلاء فى طلب الوحدة ؛ إذا لم تتم الوحدة فستضيع سوريا" (١)!

وأيقن ناصر أنه يستدل من هذا أن الوحدة تمت بانقلاب عسكري فى سوريا ؛ لأن الضباط أرسلوا ٢٠ ضابطاً لشكري القوتلى للموافقة على الوحدة ، وبعد أخذ ورد وافق شكري القوتلى بشرط موافقة الحكومة ، وأصبح كل مسئول فى سوريا يشكل نفسه على أساس الأمر الواقع !

### بدأت الوحدة وظهر التآمر :

حضر شكري القوتلى الى القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٨ ، وتم التوقيع على طلب الوحدة، ثم وقف وقال : " هذا يوم من أيام عمرى .. هذا اليوم من أيام التاريخ " ! ويقول ناصر فى أول اجتماع لمجلس الوزراء برئاسته بعد الانفصال : " والآن رأيت الأمور على حقيقتها ، والتاريخ يكتب بغير الواقع " (٢) .

لقد كان الوضع فى سوريا غير مستقراً ؛ ٥ ضباط كانوا يحضرون اجتماع الوزارة السورية ، وتتم الموافقة على القرارات على الصورة التى يراها الضباط !

ومباشرة بعد موافقة ناصر على طلب الوحدة ، قال عفيف البزرى : إنهم تسرعوا فى طلب الوحدة ؛ لأنهم كانوا على ثقة بأن ناصر لن يقبلها ؛ ولهذا انساقوا الى الدعوة من أجلها . وقد كان غرضهم أنه لو رفض ناصر طلب الوحدة ؛ يمكن الادعاء بأن مناداة مصر بالوحدة والقومية العربية باطلة ، وللاستهلاك المحلى !

وبعد شهر من قيام الوحدة بدأ الترتيب لأول انقلاب فى سوريا ، واتضح هذا من إجراء اتخذه عفيف البزرى ؛ بنقله بعض الضباط الشيوعيين فى مناطق معينة ، ثم احتك مع المشير عبد الحكيم عامر ، وقدم استقالته .

بعد شهر ونصف من الوحدة بدأ كل واحد فى سوريا يستعد لعمل انقلاب ؛ لأنه يرى أن الوحدة فرضت عليه من الجيش !

وقد بدأت العناصر الموجودة - والتى طلبت الوحدة - كل منها تريد استخدام الوحدة لتحقيق أهدافها ؛ الرأسماليون ، والبعثيون ، ورجال الجيش أيضا . ورفض ناصر أن تكون الوحدة مطمعا أو مغنما لأى كان ؛ فمصر لها مبادئ تسير عليها .

(١) المرجع السابق .

(٢) " " .

إن الثلاث سنوات ونصف - مدة الوحدة - كانت مليئة بالصعاب .. " لدرجة أننا إذا تقدمنا خطوة للأمام رجعنا خطوات الى الخلف" ؛ هكذا وصفها ناصر ، وأضاف " إن الوحدة في عهد صلاح الدين الأيوبي استمرت ٤ سنوات فقط " (١) !

لقد انكشفت العناصر المضادة للوحدة ..

١- الدول الغربية التي أقامت الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن في فبراير ١٩٥٨ ؛ للوقوف في وجه الاتحاد المصري السوري ، لأنه ضد مصالحهم ، ويؤثر على وجودهم في هذه المنطقة .

٢- الأجراء من جانب الملك سعود .

٣- العناصر السياسية الرأسمالية والأقليات ؛ التركمان والأكراد وغيرهم .

٤- المعسكر الشرقي والشيوعية العربية .

إن المدافع المصوبة للوحدة كانت لا حصر لها ؛ سواء من الرجعية العربية أو من الملوك أو من الذين يخافون من انتشار المد العربي ؛ مما يؤثر على حكمهم ووجودهم ، ويؤثر على الصهيونية واسرائيل والاستعمار .

لقد كانت جهود هؤلاء ضد سوريا وليس ضد مصر ؛ لأن القاهرة كانت تُضرب عن طريق

دمشق ، ولم يكن الهدف دمشق بل القاهرة .

—  
(١) المرجع السابق .

## الفصل الأول قيام الوحدة وتداعياتها

### أولاً: الغرب ضد قيام الوحدة:

١- جذور موقف الولايات المتحدة المعادى لناصر:

فى بداية عام ١٩٥٧ أطلقت الولايات المتحدة مشروع أيزنهاور؛ الذى كان يهدف الى تدعيم تدخلها فى الشرق الأوسط، بدعوى المحافظة على استقلال دوله!

وقد رفضت مصر مشروع أيزنهاور وهاجمته، وأعلنت تمسكها بالحياد وعدم الانحياز، إلا أن الأردن ولبنان أعلنتا قبولهما له، وقامت حكومتيهما بمهاجمة مصر وكل الذين يرفضون مشروع أيزنهاور.

ولقد واجه ناصر فى بداية ١٩٥٧ محاولات عزل مصر من قبل السياسة الأمريكية بعد العدوان الثلاثى، وإذا بحكومة لبنان على رأس سياسة العزل! وصارت بيروت قاعدة للمؤامرات ضد مصر، ومركزا للمتآمرين عليها.

لقد أعلن دالاس، بمناسبة انعقاد مؤتمر بريونى فى الأسبوع الثانى من يوليو ١٩٥٦ - الذى ضم ناصر ونهرو وتيتو - أن الدعوة الى الحياد لا تقبلها السياسة الأمريكية؛ فإن ذلك سوف يقوى الأصوات التى تتنادى بالحياد فى إفريقيا وآسيا.

وقال: " لا بد من رد يلغى آثار المؤتمر، ويثبت فى أذهان الذين تبناوا دعوة الحياد أنه مستحيل؛ وإذن فلا بد من درس قاس، ويجب أن يتجه الى ناصر؛ الى هذا المشاغب فى الشرق الأوسط، الذى يحاول أن يغير الأوضاع فى منطقة عاشت قرنين على الأقل تحت نفوذ الغرب!" وكان قرار سحب تمويل السد العالى.

ومعنى ذلك أن ناصر تحمل وحده - فى نظر دالاس - كل الفشل الذى لاقته السياسة الأمريكية والغربية فى الشرق الأوسط! وأسباب ذلك؛ أن مصر رفضت أن تربط نفسها بأحلاف الغرب ومشروعاته العسكرية، وأعلنت حيادها بين الكتلتين المتصادمتين؛ وأفشلت بذلك الاستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط، التى كانت تتجه الى تطويق الاتحاد السوفيتى من كل ناحية بالأحلاف العسكرية، وإحاطة حدوده كلها بالقواعد، وتلك كانت نظرية دالاس فى ملء الفراغ فى الشرق الأوسط، قبل ظهور الصواريخ العابرة القارات.



ووصل الأمر أن دالاس صرح علنا.. " أنه يتعين على الدول الغربية أن تخرج جمال عبد الناصر من الشرق الأوسط، أو تخرج هي منه" (١)!

(١) مجلة النيوزويك، العدد الأول، سبتمبر ١٩٥٧.

وكان تحليل دالاس للموقف في بداية ١٩٥٧؛ " أن القومية العربية هي شحنة البارود في القنبلة، وناصر هو الإبرة في جهاز التفجير!" لقد كان الخوف كله من أن يخطو الشرق الأوسط بعيدا عن تأثير الغرب.

إلا أن دالاس رأى أن استعمال القوة مع مصر خطر؛ بسبب الظروف الدولية، وأن سلاح الحصار الاقتصادي هو خير الأسلحة وأضمنها، بالإضافة الى العزل في المنطقة، والغزو من الداخل؛ أي المؤامرات!

وبدأت حكومة الولايات المتحدة تنفذ خطتها؛ فجمدت أرصدة الدولارات المصرية لديها، وأوقفت كل عقود مصر الخاصة مع الشركات الأمريكية، ودفعت الى الأسواق بكميات من مخزون القطن الأمريكي طويل التيلة؛ حتى يسد الفرص أمام قطن مصر، ثم رفضت أن تبيع لمصر قمحا؛ إذن قررت الولايات المتحدة ألا تتعامل مع نظام الحكم القائم في مصر! ومن جانب آخر، اتخذت الدعاية الأمريكية في الصحف ومحطات الإذاعة خطين؛ التشكيك في مصر، والدعوة الى تحالف ملوك البترول.. سعود وفيصل العراق (١).

## ٢- أحداث الأردن:

وفي نفس الوقت، وقعت أحداث في الأردن أجبت الوضع في الشرق الأوسط؛ فقد استعملت الخارجية الأمريكية الدولارات لكي تسقط حكومة سليمان النابلسي الشعبية في عمان، التي كانت تتنادى بالحياد.

ولقد بدأت القصة عندما ذهبت مجموعة من الضباط الشبان الى الملك في عام ١٩٥٦، وأخطروه أن التحكم البريطاني في الأردن يجب أن ينتهي، وأن جلوب (٢) يجب أن يخرج من البلاد. استجاب الملك لهم، وأصبح بطلا تعبدته الجماهير، ثم أرغم على التوقيع على معاهدة التضامن العربي (٣). ولكن حكومة الولايات المتحدة تحركت؛ فأسقط الملك وزارة النابلسي. ورغم ذلك انتهى عام ١٩٥٧، وخطة عزل مصر الأمريكية لم تنجح! وأصبح عرش العراق في حماية حلف بغداد، وعرش الأردن في نطاق مشروع أيزنهاور!

- 
- (١) محمد حسنين هيكل، "العقد النفسى التى تحكم الشرق الأوسط (٤)", بصراحة، الأهرام، ١٦/١/١٩٥٨.
- (٢) السير جون باجوت جلوب، ضابط بريطانى تولى قيادة الجيش الأردنى من ١٩٣٩ وحتى ٢ مارس ١٩٥٦، حيث أعفاه من مهامه الملك حسين، فى قرار تعريب قيادة الجيش الأردنى، وكان هذا القرار صدمة لبريطانيا.
- (٣) وقعت اتفاقية التضامن العربى بين مصر وسوريا والسعودية والأردن، فى ١٩/١/١٩٥٧.

### ٣- تتابع الأزمات السياسية في سوريا:

لقد مرت سوريا بظروف شديدة الصعوبة؛ فمنذ الشهور الأولى لعام ١٩٤٩ بدأت سلسلة من الانقلابات العسكرية؛ كان أولها انقلاب حسنى الزعيم، الذى لم يكن تعبيراً عن إرادة شعبية تتطلع الى ثورة شاملة. وبعد ثلاثة شهور فقط، قتل زعيم الانقلاب ورئيس وزرائه!

قام انقلاب ثان قاده سامى الحناوى، الذى قتل فى بيروت بعد أن فر من دمشق إثر انقلاب ثالث، بقيادة أديب الشيشكلي، وقد هرب بدوره بعد أن قامت الثورة عليه.

سادت بعد هذه الانقلابات فترة من القلق فى دمشق، ورُسمت العديد من المؤامرات. وفى وسط هذا الجو المشحون، حاربت العناصر الوطنية معركة الوحدة، وانتصرت فيها.

وكان على ناصر، بعد أن تسلم زمام الأمر فى سوريا باعتباره رئيس الجمهورية العربية المتحدة، أن يحاول ازالة آثار الماضى الصعبة، وتلك لم تكن بالمهمة السهلة!

#### ثانياً: الخطوات التنفيذية للوحدة:

" لقد اتخذ قرار العمل فوراً لتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا، مجلساً الأمة فى كلا البلدين. وهكذا بدأت فى القاهرة محادثات نهائية لرسم الشكل الخارجى للحقيقة الواقعة. ولم تكن اجتماعات قد حكام، ولكنها تمت بناء على ضغط وإلحاح وإرادة عنيدة مصممة... تمت بناء على رغبة ساسة أو أن طريق الوحدة هو طريق القوة (١).

ولقد انتهت تلك المحادثات الى إعلان الوحدة رسمياً، وتوقيعه فى أول فبراير ١٩٥٨، وأودع هذا الإعلان التاريخى فى مكتب مجلس الأمة بمصر. وكانت نتيجته توحيد مصر وسوريا فى دولة واحدة اسمها الجمهورية العربية المتحدة، يكون النظام فيها ديمقراطياً رئاسياً، يتولى فيه رئيس الدولة السلطة التنفيذية، يعاونه وزراء يعينهم ويكونون مسئولين أمامه. كما يتولى السلطة التشريعية مجلس تشريعى واحد، ويكون للدولة الوليدة علماً واحداً يظل شعباً واحداً وجيشاً واحداً، فى وحدة يتساوى فيها أبناءها فى الحقوق والواجبات.

وتم الاتفاق على عدة مبادئ تقوم عليها الجمهورية العربية المتحدة فى فترة الانتقال؛ أنها جمهورية مستقلة ذات سيادة، وشعبها جزء من الأمة العربية. أن تتكون الجمهورية العربية من اقليمين هما سوريا ومصر، ويشكل فى كل منهما مجلس تنفيذى يرأسه رئيس، يعين بقرار من رئيس الجمهورية، ويعاونه وزراء يعينهم رئيس الجمهورية، بناء على اقتراح رئيس المجلس التنفيذى.

(١) خطاب ناصر فى مجلس الأمة بمناسبة إعلان أسس الوحدة بين مصر وسوريا، ٥/٢/٥٨.

ويقوم المواطنون بتكوين اتحادا قوميا، وتمنع الأحزاب، ثم تتخذ الإجراءات لوضع الدستور الدائم للجمهورية، وأن يتم الاستفتاء على الوحدة وعلى رئيس الجمهورية العربية المتحدة فى ١٩٥٨/٢/٢١.

لقد أعلن ناصر فى هذا اليوم .. " لقد قامت دولة كبرى فى هذا الشرق". ولعل هذه الجملة بالذات - بكل تداعيتها - هى التى أثارت مخاوف الغرب، والولايات المتحدة بالذات!

كما سببت مزيادا من التوجس من جانب العراق والسعودية والأردن وحكومة كميل شمعون فى لبنان. وقد دفع ذلك دالاس الى التأكيد لباش أعيان - وزير خارجية العراق - فى اجتماع حلف بغداد فى أنقرة؛ أنه إذا حدث بعد الوحدة هجوم على العراق بأسلحة ومتطوعين سوفيين، فإن الولايات المتحدة ستكون مستعدة للتدخل طبقا لمبدأ أيزنهاور، وتم التنسيق فى ذلك مع المملكة المتحدة (١).

#### ١ - قضية الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة:

كان تقدير الخارجية الأمريكية أن الموقف الذى نتج عن الاندفاع للوحدة هو موقف معقد جدا ومشوش؛ فهو يتحرك بسرعة، ولا يمكن التنبؤ به! ووجدت الحكومة الأمريكية نفسها فى موقف به تناقضات كثيرة؛ بسبب معارضة بعض الدول العربية الموالية لها؛ مثل العراق والسعودية والأردن ولبنان، وأخيرا اسرائيل، وأيضا بسبب أن أى حركة قومية عربية هى فى نفس الوقت الذى تتحاز فيه ضد الغرب، تعتبر تعظيما لناصر!

إلا أن الحكومة الأمريكية وجدت أن التأخير فى الاعتراف بالجمهورية العربية المتحدة يضعها فى مركز حرج، وفى النهاية أعلنت اعترافها بجمهورية الوحدة؛ على أمل ألا تقوم الجمهورية العربية المتحدة بأنشطة سياسية تهدف الى قلب " الاتحاد العربى " (٢).

ولقد قامت اليمن بخطوة جريئة؛ إذ أرسل إمام اليمن - أحمد البدر - برفيقة عاجلة الى الرئيسين ناصر والقوتلى؛ يعلن فيها رغبة اليمن فى الانضمام للوحدة العربية، فى ٢ فبراير ١٩٥٨. ورد ناصر؛ بأن الاتحاد مع اليمن نواة للوحدة العربية الشاملة، وتم توقيع وثيقة الاتحاد بين ج ع م والمملكة اليمنية فى دمشق فى ٧ مارس ١٩٥٨.

(١) Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Iraq, Washington, feb. 8, 1958.

(٢) قام " الاتحاد العربى " بين العراق والأردن كرد فعل للوحدة المصرية السورية، فى ١٤/٢/١٩٥٨.

اتسعت الوحدة إذن، وزاد قلق السعودية؛ مما دفع ملكها - سعود - الى التآمر على حياة ناصر بالتخطيط لنسف طائرته؛ وذلك بأن دفع للضابط السوري الشاب عبد الحميد السراج مبلغ ٢ مليون جنيه حتى ينفذ المؤامرة. لقد كان الملك سعود لا يريد أن تتم الوحدة بين مصر وسوريا، ولا يريد لليمن من باب أولى أن تتحد مع ج ع م!

وفى النهاية اعترفت جميع الدول بالجمهورية العربية المتحدة، فيما عدا فرنسا!

وقد كتب ناصر بخط يده فى أوراقه الخاصة فى ٢٠ مارس ١٩٥٨، " عدت من سوريا ولقد كان التريص على الحدود. إذا تلفت من دمشق فى أى اتجاه؛ جيوش تتحرك، تهديد سافر، تُهم من غير حساب، محاولات لتفتيت الجبهة الداخلية، وللتفرقة بين الشعب والجيش! وسط كل هذا كان النقاء إرادة الشعب السورى مع إرادة شعب مصر؛ القوة الحقيقية التى صنعت الجمهورية العربية المتحدة.

إن درس التاريخ.. أن القومية العربية كانت فكرة جمعت المسلمين والمسيحيين أيام الصليبيين. وقبل ١٩٥٢ كان واضحا لى أن خط الدفاع الطبيعى عن العالم العربى هو وحدته؛ من يعتدى على بلد عربى، يعتدى على الجميع.

لقد جاءت ظروف الوحدة - ظروف ج ع م - والنتيجة أن بدأ المد فى الأمة العربية؛ وهذا معناه فى رأى أن سلاحا آخر من أسلحة المستعمر فقد قوته".

## ٢- التداعيات الدولية لإعلان الوحدة:

لقد أصبحت الوحدة المصرية السورية قضية حية، بعد توقيع الاتفاق العسكرى المشترك بين مصر وسوريا فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٥- السابق الإشارة اليه - وكان الحماس للوحدة مركزا أساسا فى سوريا، واستمر. ومنذ ١٩٥٥ تم إحياء الحملة من أجل الوحدة على فترات فى البرلمان السورى والصحافة.

وقد أصبح نفوذ ناصر قويا فى سوريا منذ ذلك الوقت، ولكنه كان يؤخر الاستجابة لطلب السوريين فى الوحدة كما سبق ذكره.

وافق ناصر أخيرا على أن تنفذ الوحدة خلال ٦ أشهر بشروط؛ رئيس واحد يقيم فى القاهرة، برلمان واحد، حزب واحد، جيش واحد، وسلوك دبلوماسى واحد.

## أ- رد الفعل الأمريكى:

كانت الولايات المتحدة من البداية متخوفة من الوحدة بين مصر وسوريا، إلا أنها أدركت أن الاتجاه الوحدوى القوى؛ قد شمل كل الاتجاهات السياسية فى سوريا، حتى أن الحزب الشيوعى السورى كان مضطرا أن يصدر بيانا يؤيد الوحدة!

وكان تحليل الخارجية الأمريكية للوضع، أن الخيارات البديلة محدودة؛ فالأحزاب المحافظة مقسمة وضعيفة داخل الجيش؛ الذى كان عنصرا حاسما فى السياسة السورية. كما كان نفوذ الدول العربية ذات التوجه الغربى فى سوريا أيضا قليل. والخاصة؛ أن السياسة فى سوريا غير مستقرة، والنفوذ الشيوعى يقوى باستمرار.

وكانت البدائل المطروحة؛ التزايد فى النفوذ المصرى بما يؤدى الى تحقيق الوحدة، أو تزايد النفوذ الشيوعى، الذى لا يمكن التعامل معه إلا بقوة من الخارج (١).

وبالرغم من أن الوحدة المصرية السورية كانت تتعارض مع المصالح الأمريكية، إلا أن الحكومة الأمريكية؛ وحتى تقاوم الدعاية المعادية لها بأنها تعارض وحدة الشعوب العربية، أعلنت سياسة تتخلص فى أن مسألة الوحدة العربية يقرها العرب أنفسهم، وأن الولايات المتحدة سوف تساند الوحدة الناتجة عن التعبير الحر عن رغبات الشعوب العربية المعنية.

واعتبرت الولايات المتحدة أن تداعيات مشروع الوحدة تحقق مساوئ طويلة المدى بالنسبة لمصالحها؛ تسهيل السيطرة المصرية على العالم العربى، وإحداث تأثير معاكس على الأنظمة العربية الموالية للغرب، وانتشار الحياد الإيجابى الذى تعارضه الولايات المتحدة، وأخيرا تعقيد المشكلة الفلسطينية، هذا بجانب عدم التأكد من أن الوحدة سوف تؤدى الى استقرار أكبر فى سوريا.

واعتبرت الحكومة الأمريكية أن الميزة الوحيدة التى توازن هذه المساوئ فى المدى الطويل؛ ستكون الإقصاء الكامل للنفوذ الشيوعى من سوريا (٢).

وهنا أدركت الولايات المتحدة أنه ربما قد يكون من مصلحتها فى الأجل القصير أن يقوى مركز ناصر فى سوريا؛ على أمل أن يحد من النفوذ الشيوعى هناك. إلا أنه فى الأجل الطويل؛ فإن الوحدة من المنتظر أن تقلل من احتمال أن تقوى سوريا علاقاتها بالعراق.

ومن جانب آخر فإن الوحدة ستعقد العلاقات المصرية السورية مع اسرائيل، وتعرض الدول العربية الأخرى - خاصة الأردن - لضغوط للانضمام إليها، وتبعد تأثير السعودية عن سوريا، وتقلق حكومتى العراق وتركيا؛ اللتان لا ترحبان بسيطرة ناصر على حدودهما.

(١)Tel. from the Embassy in Syria to the Dept. of State, Damascus, Jan. 15,1958.

(۲)Memo. from Berry to the Acting Secretary of State, Egyptian - Syrian Union, Washington,  
Jan. 25, 1958.

واعترفت الولايات المتحدة أنه بتوقيع كل من ناصر وشكري القوتلي إعلان الوحدة في القاهرة في أول فبراير، وتحديد ميعاد الاستفتاء عليها في كلا البلدين في ٢١ فبراير، أصبح الأمر واقعا، وتوالت ردود الأفعال العلنية والسرية (١).

#### ب- "الاتحاد العربي":

اعتبر الملك حسين أن الجمهورية العربية المتحدة - الدولة الجديدة - تشكل تهديدا خطيرا؛ وذلك ليس فقط على الأردن ولبنان؛ بل على الشرق الأوسط كله، والعالم الحر بطريق غير مباشر؛ إذا سمح لها أن تستمر بدون معارضة (٢).

وعلى الفور بادر الملك حسين بطرح فكرة إقامة تنظيم من دول عربية أخرى؛ السعودية والعراق ولبنان والأردن. وكان ذلك بناء على اقتراح من دالاس في اجتماع حلف بغداد في أنقرة، في أول فبراير ١٩٥٨؛ أن تتخذ هذه الدول موقفا موحدا في مواجهة الجمهورية العربية المتحدة (٣).

وبناء على ما سبق تم الإعلان عن إنشاء "الاتحاد العربي" بين العراق والأردن في عمان في ١٤ فبراير ١٩٥٨؛ بتوقيع الملك فيصل الثاني كرئيس، والملك حسين كنائب له. وتم النص على؛ أن يحتفظ كل ملك بالسلطة الدستورية في مملكته، وعاصمة الاتحاد بالتداول بين بغداد وعمان كل ستة أشهر. ويتكون مجلس تشريعي، ويقام مجلسان محليان للتعامل مع الشؤون غير الاتحادية، ويتم تطبيق دستور الاتحاد خلال ثلاثة أشهر.

وقد اعتبرت الولايات المتحدة "الاتحاد العربي" خطوة بناءة، وأن مصالحها والعالم الحر تحتم مساندة هذا الاتحاد ذو التوجه الغربي، والذي توقعته أنه إذا نجح مع الوقت، سوف يلعب دورا هاما في أي تجمع عربي في المستقبل. وفي نفس الوقت، فإن هذا الاتحاد الوليد يمكن العراق والأردن من تبني موقفا أقوى في مواجهة الجمهورية العربية المتحدة.

وقد بادر ناصر بإرسال برقية تهنئة الى الملك فيصل الثاني بمناسبة عقد اتفاقية الاتحاد بين العراق والأردن في نفس يوم توقيعها؛ حيث أكد على أن أي اتحاد عربي سيكون قوة لكل العرب.

(١)Tel. from the Dept. of State to the Delegation at the Bagdad Pact Council Meeting at

Ankara, Washington, Jan. 25, 1958.

(٢)Tel. from the Embassy in Jordan to the Dept. of State, Amman, Feb. 3, 1958.

(٣)Tel. from the Embassy in Jordan to the Dept. of State, Amman, Feb. 3, 1958.



### ج- موقف اسرائيل:

كان من الطبيعي أن تعادى اسرائيل الوحدة المصرية السورية، بل لقد كانت ضد وحدة الكلمة بين العرب، وعملت على أن تفرق بينهم؛ حتى تستطيع أن تهاجم في الشمال وتجمد الموقف في الجنوب، أو تهاجم في الجنوب وتجمد في الشرق.

وكانت اسرائيل تعلم - بكلام قادتها - أن وحدة العرب تستطيع أن تمكنهم من التصدي لها؛ ولهذا انضمت الى الاستعمار في العمل ضد الوحدة العربية.

وعندما وقعت مصر الاتفاق العسكري مع سوريا والأردن في ٢٥/١٠/١٩٥٦، كيف كان رد الفعل في اسرائيل؟ وماذا قال بن جوريون؟ "إن هذه الاتفاقية العسكرية إنما تهدد اسرائيل، وتجعلها كالجوزة في كسرة البندق" (١).

فمبالك بتأثير قيام وحدة اندماجية بين مصر وسوريا، أنبأت بقيام دولة كبرى في الشرق؟! وبذلك أصبح ناصر عدو اسرائيل اللدود بعد أن طوقتها دولته الجديدة من الجنوب والشمال والشرق بحدود طولها حوالي ٢٨٦ كم.

وقد افتعلت اسرائيل تهديدا للجمهورية العربية المتحدة بعد سنة من الوحدة. على الحدود مع سوريا؛ وتعللت بنشاط للفدائيين هناك. لقد قامت اسرائيل بحشد قواتها، وفي ذلك الوقت كان ناصر موجودا في دمشق، وأرسل الى عبد الحكيم عامر - القائد العام للقوات المسلحة - لحشد قوات في سيناء؛ في مظاهرة؛ حتى تشعر اسرائيل بأن هذا التهديد غير مقبول بالنسبة لسوريا. وقد أعلن اعلاميا عن هذا الحشد، والحقيقة أنه انتشرت الفرقة الموجودة في العريش في ذلك الوقت؛ بحيث يظهر لاسرائيل أن هناك قوات نقلت الى سيناء زيادة! وقد أدت هذه المظاهرة العسكرية الى انتهاء التهديد الاسرائيلي.

كما أثارت اسرائيل مشكلة حول مرور سفنها في قناة السويس؛ بأن أرسلت الباخرة الدانمركية "إنجه توفت" الى بورسعيد، وكانت واثقة أن سلطات ج ع م لن تسمح لها بعبور القناة؛ فمصر من حقها - طبقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨ - أن تتخذ بالنسبة لقناة السويس الاجراءات الكفيلة بتأمين الدفاع عنها، وكانت في ذلك الوقت علاقات الحرب مازالت تحكم العلاقة بين ج ع م واسرائيل.

(١) خطاب ناصر في العيد السابع للوحدة، ١٩٦٥/٢/٢١.

وتصورت اسرائيل أنها ممكن أن تنتهز فرصة فتور العلاقات بين ج ع م والاتحاد السوفيتى، فى الوقت الذى ظلت فيه علاقات ج ع م بالدول الغربية غير ودية، لتكسب دعائيا من هذا الحادث المدير؛ بأن تعرض قضية مرور البواخر الاسرائيلية فى قناة السويس على مجلس الأمن فى هذا الوقت بالذات؛ حيث توقعت أن الاتحاد السوفيتى لن يستخدم حق الفيتو ضد اسرائيل، كما فعل من قبل فى ١٩٥٤.

لقد صرح ناصر أن موقف ج ع م من الباخرة "إنجه توفت" لا يعتبر جزءا من حرية الملاحة فى قناة السويس، بل هو جزء من المشكلة الفلسطينية. ومنذ ١٩٤٨ أصدرت الأمم المتحدة عدة قرارات؛ بشأن الموقف بين العرب واسرائيل، ولكنها رفضت القيام بالتزاماتها وتنفيذ أى من هذه القرارات؛ فلم تقبل إعادة اللاجئين الفلسطينيين الى أوطانهم، كما لم تعوضهم عن ممتلكاتهم، بل أعلنت أنها لن توافق على قرارات الأمم المتحدة ولن تقوم بتنفيذها! وهى تطالب بالمرور فى قناة السويس؛ استنادا الى قرار من مجلس الأمن عام ١٩٥١. إن اسرائيل تود الحصول على كل شئ وأن تحرم العرب من كل شئ!

### ثالثاً: تغير السياسة الأمريكية تجاه ناصر:

بعد حوالي شهر من قيام الوحدة ظهر حماس من جانب الولايات المتحدة لجذب ناصر إليها في شكل؛ الإفراج عن أموال مصر المجمدة لديها، بعد أن تم الوصول الى اتفاقية مع مساهمي شركة قناة السويس. وتقرر برنامجاً للمعونة الأمريكية على عدة مراحل؛ تبدأ بالموافقة على رخصة إنتاج معدات شبه عسكرية، وبعض الذخيرة، وقطع الغيار لأجهزة الراديو والطيران المدني، كما تقدم فوراً معونة بمبلغ ٤٠٠ ألف دولار؛ لبناء الطرق وأجهزة الاتصالات. وتبع ذلك برنامجاً لتبادل الأفراد بين الدولتين.

وقدرت حكومة الولايات المتحدة أيضاً أنه إذا استمر اتجاه ج ع م نحو إدراك خطورة تغلغل الشيوعية الدولية، ممكن أن تعطىها معونة زراعية، وتوافق على اتفاقيات معونة جديدة؛ تشمل مشاريع التنمية الجديدة، كما تستأنف تدريب عسكريين من ج ع م في الولايات المتحدة(١).

وفي نفس الوقت، أبدى ناصر الرغبة في أن يقيم علاقات جديدة مع حكومة الولايات المتحدة، إلا أنه كان يريد أن يعرف؛ ما هو هدف الولايات المتحدة في هذه المرحلة؟! فقد كان مقتنعاً في الماضي أنها كانت تريد إيجاد وسيلة لإقالته هو ونظامه؛ ولذلك رحب بالمبادرات السوفيتية الصديقة.

لقد كان ناصر يريد أن يعرف.. ما هي نوايا الولايات المتحدة الحقيقية في ذلك الوقت؟! حتى يشعر أن ظهره آمناً! إنه كان مدركاً أن علاقاته مع الولايات المتحدة قد تحسنت أخيراً، وأصبحت لا توجد مشاكل كبيرة بين البلدين، فيما عدا المشاكل غير المباشرة؛ بسبب العداء بين ج ع م والهاشميين (٢).

وفي المقابل تعهدت حكومة الولايات المتحدة لناصر؛ ألا تتدخل في الشؤون الداخلية ل ج ع م، ولا تبحث في إقالته أو نظامه، مستشهدة بالسلوك الأمريكي خلال عدوان ١٩٥٦ على مصر؛ عندما أعطت الولايات المتحدة تأييداً قوياً لحكومة ناصر، في وقت كان مركزه فيه حساساً، وبالرغم من التدمير الشديد الذي نتج عن ذلك بالنسبة لعلاقة الولايات المتحدة مع حليفين تقليديين؛ هما بريطانيا وفرنسا.

(١) Tel. from The Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, March 25, 1958.

(٢) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 26, 1958.

وفى نفس الوقت، أرسلت الحكومة الأمريكية لناصر تحذيرا من مخاطر الاستمرار فى مزيد من الاقتراب من الاتحاد السوفيتى، وإن أكدت على أهمية موقفه من الشيوعية الدولية، ثم أشارت الى أن هجوم ج ع م المستمر على أصدقاء الولايات المتحدة فى المنطقة، لا يمكن أن يساعد على تحسين العلاقات بينها وبين ج ع م (١).

(١)Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, May 17, 1958.

## الفصل الثانى الأزمة اللبنانية

بدأت الأزمة السياسية فى لبنان نتيجة إعلان الوحدة المصرية السورية؛ فقد شعر كميل شمعون- رئيس الجمهورية - بقلق من تأثيرها على سكان لبنان المسلمين. وقد أدى ذلك الى أن يطلب من الولايات المتحدة، تحرك وحدات من الأسطول السادس الى شرق البحر المتوسط، وتكون فى حالة استعداد.

وعلى الفور أخطر السفير الأمريكى فى بيروت - روبرت ماكلينتوك - شارل ماليك- وزير الخارجية - أن مركبتين حربيّتين بريطانيّتين ومدمرة وكاسحة ألغام سوف تصل فى اليوم التالى الى بيروت من قبرص؛ لزيارة لمدة ثلاثة أيام، وأن درجة مساعدة الولايات المتحدة لمواجهة التدمير سوف تتوقف على طبيعة التهديد، والمقترحات العملية من حكومة لبنان حول نوع المساعدة التى يطلبونها.<sup>(١)</sup>

وفى واقع الأمر كان دالاس قد طلب من مجلس رؤساء الأركان الأمريكى فى ٨ نوفمبر ١٩٥٧؛ سرعة تحضير خطة لاحتمال تدخل عسكري مشترك بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، فى حالة وقوع انقلاب عسكري فى الأردن أو لبنان، وتم فعلا تحضير هذه الخطة، وظلت سرية<sup>(٢)</sup>. ولم يكتف شمعون بطلب المعونة العسكرية الأمريكية لمساندته فى الصراع السياسى الدائر فى بلده، إلا أنه - ومع اقتراب انتهاء مدة رئاسته للبنان فى ٢٢ سبتمبر ١٩٥٨- بدأت الأنباء تتسرب عن عزمه أن يعيد انتخابه، وبعبارة أخرى أن يمد مدته الانتخابية.

وكان ذلك معناه أنه يضرب عرض الحائط بنصوص الدستور اللبناني؛ التى تقر أن مدة رئاسة الجمهورية هى ست سنوات لا تكرر، إذن معنى ذلك تعديل الدستور! وكان يعتقد أن لديه تأييدا كافيا داخل البرلمان لتنفيذ اقتراحه، غير عابئ بنتائج هذه الخطوة السياسية الانقلابية على الأمن الداخلى فى لبنان!

(١)Tel. from the Embassy in Lebanon to the Dept. of State, Jan. 30, 1958.

(٢)Letter from Irwin Murphy, Washington, Feb.6, 1958.

أولاً: ضغوط شمعون على الولايات المتحدة لمساندته في خرق الدستور بالتدخل العسكري:

لقد طلب شمعون تأييد الولايات المتحدة في هذه الخطوة الخطيرة؛ معللاً ذلك بأن الخطر على لبنان داخلياً أكثر منه خارجياً، وأن لديه دلائل على أن السلاح يهرب إلى داخل لبنان بواسطة عملاء ج ع م ، من خلال جبال سوريا عبر حدودها، وكذلك بواسطة قوارب صغيرة إلى طرابلس وصيدا! وأن استمرار ذلك سوف يدفع المسيحيين إلى المطالبة بالسلاح لمواجهة التهديد من جانب المسلمين!

لقد كان رد الولايات المتحدة على استجاده بها؛ أن الانتخابات اللبنانية مسألة داخلية، يتم إقرارها بما يتفق مع متطلبات السياسة المحلية. كما تحفظت الولايات المتحدة على محاولة تعديل حتى يتسنى لشمعون أن يعاد انتخابه - على أساس التأثير السيئ لذلك على - الدستور اللبناني الأيمن الداخلي في لبنان (١).

إلا أن شمعون ظل على موقفه، وطلب أيضاً ١٥ مليون دولار للمساعدة في تطوير الاقتصاد اللبناني؛ مؤكداً أنه إذا كانت القضية مجرد سياسة داخلية - أي شمعون ضد خصومه الداخليين - لكان من الممكن أن يتولى الصراع بسهولة، إلا أن الموقف في اعتقاده تشترك فيه قوى كبيرة خارجية، بما فيها هؤلاء من ج ع م، ومؤيدي ناصر على المستوى الدولي! تلك كانت الحجج التي ضغطت بها شمعون على الولايات المتحدة ليضمن وقوفها إلى جانبه. ومما عقد الموقف في الشرق الأوسط أكثر؛ أحداث الأردن التي كانت تتبئ بأزمة جديدة في المنطقة.

وقد قام شمعون على الفور بإرسال خطاب إلى أيزنهاور؛ يبدي فيه قلقه مما يحدث في الأردن.

رد أيزنهاور.. " إنني أشاركك في اعتقادك أن التطورات الأخيرة في الأردن هامة؛ فاستقلال الأردن وسلامة أراضيه حيوي جداً للولايات المتحدة... إننا نتابع عن قرب هذه التطورات، وقد أرسلنا للملك حسين تشجيعنا وتأييدنا. وقد أبدينا للملك سعود تقديرنا لكل الإجراءات الفعالة التي اتخذها لمساندة الملك حسين وإننا أيضاً على اتصال بحكومة العراق، ونتفق معها على انتشار القوات العراقية على أرضها؛ بطريقة يمكن أن تكون جاهزة لنجدة حسين بسرعة (٢).

(١) Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Lebanon, Washington, March 18, 1958.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Lebanon, Washington, April 25, 1958, Eisenhower

(٢) Reply to Shamoun's Letter.

وفى نفس الوقت تم إخطار حكومة إسرائيل؛ أنها يجب أن تمارس أكبر قدر من ضبط النفس فى أزمة الأردن. وتم تحريك وحدات من الأسطول السادس الأمريكى - وعليها جنود البحرية الأمريكية - الى شرق البحر المتوسط (١).

وقد حاول شمعون، فى ممارسته مزيدا من الضغط على الولايات المتحدة، أن يتعلل بمذهب أيزنهاور، الذى وافق عليه الكونجرس فى جلسة مشتركة فى ٩ مارس ١٩٥٧، والذى يقدم مساعدات اقتصادية وعسكرية الى أى دولة فى المنطقة ترغب فى ذلك، وفى ظروف محددة تتحرك الولايات المتحدة عسكريا؛ لمساعدة دولة فى الشرق الأوسط، ممكن أن تكون ضحية لاعتداء.

إن لبنان، وإن وافقت حكومته على مشروع أيزنهاور، إلا أنه رؤى أن التدخل الأمريكى قد يمثل عبئا عليها فى هذا الموقف (٢)؛ ولذلك اكتفت الولايات المتحدة بتقديم مساعدة اقتصادية أكبر، بالإضافة الى مساعدة عسكرية.

وكان واضحا أن بريطانيا وفرنسا أيضا تمارسان ضغطا على الولايات المتحدة للتدخل العسكرى فى لبنان، وهو ما أعربا عنه أثناء اجتماع الناتو فى كوبنهاجن فى مايو ١٩٥٨ (٣).

وفى نفس الوقت أعلن شمعون قراره؛ بالتقدم للترشيح للرئاسة مرة أخرى! وعزمه على دعوة البرلمان لإجراء تعديل الدستور!

وبدأت الاتصالات مع الولايات المتحدة وإخطارها بالآتى؛ ٣٠٠ شخصا مسلحا عبروا الحدود مع سوريا! تعمل سفارتى الاتحاد السوفيتى و ج ع م ٢٤ ساعة لتدمير استقلال لبنان! طلب شمعون شخصيا إرسال ٢٠ دبابة مع ذخيرتها منقولة جوا! ولذلك ضع تخطيط لامكانية انتشار فرقة من جنود البحرية الأمريكية فى حالة عدوان سورى مصرى مفتوح (٤)!

---

(١)Ibid.

(٢)Letter from Dulles to Malik, Washington, April 29, 1958.

(٣)Tel. from the Secretary of State to the Dept, of State, Copenhagen, May 6, 1958, and Letter from the President to the Secretary of State to the Dept, of State, Washington, , May 7, 1958.

(٤)Tel. from the Embassy in Lebanon to the Dept. of State, Beirut, May 7, 11, 1957.

## ١- تسارع الأحداث:

فى ٨ مايو ١٩٥٨ اغتيل فى بيروت نسيب المتنى؛ الناشر بصحيفة المعارضة "تلغراف". وقد أدى ذلك الى دعوة قادة المعارضة السياسية فى لبنان الى اضراب عام، وفى اليوم التالى اشتعل التمرد فى طرابلس، ثم أحرقت المكتبة الأمريكية فى المدينة فى ١٠ مايو.

وقد سيطرت قوات الجيش اللبناني على التمرد، ولكن بعد أن قتل ١٥ شخصا، وجرح ١٥٠. وقد جرت الأحداث كما يلي.. عندما علمت المعارضة بقرار شمعون بتعديل الدستور فى هذا الأسبوع، قرر القادة المسلمون - تحت قيادة رشيد كرامى وصائب سلام وعبد الله اليافى وهنرى فرعون - القيام برد فعل على حادث الاغتيال، فبدأ التمرد؛ لإفشال خطوة شمعون من أجل إعادة انتخابه.

واجتمعت المعارضة، وطلبت استقالة شمعون الفورية، وبالطبع رفض. كما اتصل صائب سلام وهنرى فرعون وريمون إده بالجنرال فؤاد شهاب - قائد الجيش اللبناني- وطلبوا باستقالة حكومة سامى الصلح، على أن تحل محلها حكومة ائتلاف وطنى يرأسها الجنرال شهاب نفسه.

### أ- الدور الأمريكى:

هنا أرسل شمعون ثلاث رسائل لرؤساء كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا.. "الموقف فى لبنان خطير جدا!" وذكرهم بالضمانات التى أعطيت للبنان للمحافظة على استقلاله وسلامه أراضييه، وطلب منهم التدخل بإرسال قوات عسكرية الى لبنان خلال ٢٤ ساعة، موضحا أنه طلب مثل هذا التدخل بعد استشارة رئيس الوزراء والحكومة اللبنانية. إذن الأزمة أصبحت تتعدى قضية الانتخابات الرئاسية؛ الى التواجد القومى للبنان بغض النظر عن الأشخاص(١).

أسقط الأمر فى يد الولايات المتحدة، وبدأ البحث جديا فى موضوع التدخل العسكرى الأمريكى أو الغربى فى لبنان.

ومنذ البداية استبعد أيزنهاور اشتراك فرنسا فى هذه العملية بدون إبداء أسباب! ثم بدأ فى بحث المشاكل المتوقع أن تنشأ نتيجة التدخل، وهنا قال الرئيس: " إن مشاكل أكبر سوف تنشأ إذا احتاج اللبنانيون تدخلنا ولم نتجاوب!"

(١)Tel. from the Embassy in Lebanon to the Dept. of State, Beirut, May 11, 13, 1958.



وتدرج الأمر الى مناقشة تبعات وصول القوات الأمريكية الى لبنان وأهمها؛ خلق موجة من الشعور المعادى للغرب فى العالم العربى، واحتمال قطع خط البترول فى سوريا، وأن تغلق القناة فى وجه السفن الأمريكية والبريطانية؛ مما يمكن أن يؤدي الى أزمة بترول كبيرة جدا.

أما بالنسبة لموقف المملكة المتحدة، فقد بحثت الوزارة - برئاسة هارولد ماكميلان- إمكانية التجاوب مع طلب شمعون بالتدخل العسكرى، وقررت أنه يجب التدخل إذا وافقت الولايات المتحدة، على أن تتولى المهمة الأكبر.

ومن جانب آخر، كانت المخاوف أنه بينما قد تحصل الولايات المتحدة على تأييد الحكومتين العراقية والأردنية للتدخل العسكرى؛ فان تلك المساندة قد تؤدي الى ضغط عليهما؛ قد ينتج عنه انهيارهما!

وفى النهاية، أمر أيزنهاور بوضع القوات الأمريكية فى وضع الاستعداد. أما عن احتمال رد فعل سوفيتى، فقد استبعد ذلك فى حالة أن يكون التدخل العسكرى محدودا فى لبنان فقط، وأخيرا أخطر شمعون أن هدف الولايات المتحدة ليس مساندة لفترة ثانية كرئيس (١).

وقد تم الاتفاق داخل الحكومة الأمريكية على تغطية التدخل العسكرى؛ بالإعلان أنه بناء على طلب من الرئيس والحكومة اللبنانية تقرر أن ترسل الولايات المتحدة قوات محاربة الى لبنان، تكون مهمتها؛ حماية حياة الأمريكيين وممتلكاتهم، ومساعدة الحكومة اللبنانية فى برنامجها من أجل المحافظة على الاستقلال وسلامة أراضى لبنان؛ التى هى حيوية للمصالح القومية للولايات المتحدة والسلام العالمى. وأن هذه القوات فوضت أن تتصرف دفاعا عن النفس بهجوم مضاد.

وفى نفس الوقت الذى يتم فيه طلب التدخل، تقدم الحكومة اللبنانية شكوى لدى مجلس الأمن(٢)، وهو ما وافقت عليه المملكة المتحدة.

---

(١)Memo. of a Conversation, White House, Washington, May 13, 1958, Lebanese Crisis.

(٢)Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Lebanon, Washington, May 13, 1958.

## أ- رد فعل ناصر:

بالنسبة لناصر كان هذا التحرك مخيباً للآمال، وخاصة أنه جاء في وقت كان جادا فيه في تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة، بل ومد يده اليها في محاولة للوصول الى حل للأزمة اللبنانية. ولكن الولايات المتحدة كانت سلبية، وأصبح الاعتقاد راسخا في القاهرة أن الولايات المتحدة كانت تعمل على تحييده! بينما مضت في خطة سرية تهدف الى التدخل مع الجيش البريطاني؛ كما يؤيد ذلك علنا تحركات الأسطول السادس الأمريكي، ونقل القوات البريطانية الى قبرص، وارسال شخصيات عسكرية أمريكية الى لبنان في البسة مدنية .. الخ.

وأكثر من ذلك ما يتضح من أن الحكومة الأمريكية كانت هي التي توجه كل هذا التخطيط! لقد بدا أن الموقف أصبح خارج السيطرة، وبيعت على الاستياء!

لقد دعمت الأزمة اللبنانية قضية الوحدة العربية، وكان من المتوقع أن ناصر وأنصاره سوف يعاملون التدخل العسكري الأمريكي كتحد مباشر لأهداف القومية العربية طويلة المدى. وأنه سيعمل على تقوية حملته الدعائية ضد الولايات المتحدة وحلف بغداد والحكومات المعادية لـ ج ع م؛ وخاصة الأردن والعراق. كما سوف يتخذ إجراءات عنيفة في الأمم المتحدة؛ بتأييد سوفيتي.

وكان من المتوقع أيضا أن تزيد مساعدة ناصر السرية للقوى المعارضة في لبنان، الذين قد يقومون بأعمال تخريب ضد مصالح الغرب البترولية في المنطقة.

## ب- موقف قيادة الجيش اللبناني:

وهنا واجهت الولايات المتحدة مشكلة جعلتها تتردد في التدخل العسكري ألا وهي؛ الموقف الداخلي في لبنان. فاذا تدخلت الولايات المتحدة عسكريا، فانها ستكون في موقف المساند لاستمرار شمعون في السلطة ضد نصوص الدستور، وممكن في هذه الحالة ألا يؤيد الجيش اللبناني ذلك.

إن الولايات المتحدة كانت لها علاقات جيدة مع اللواء فؤاد شهاب الذي يوالى الغرب، وهو لا يرغب في تدخل الولايات المتحدة في تلك الظروف؛ لأن ذلك من المنتظر أن يدمر النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط في المستقبل (١).

---

(١) Memo. from Colonel D.J. Decker to Bruke, Washington, May 19, 1958.

### ج- رد الفعل السوفيتي:

أصدرت وكالة تاس السوفيتية في ١٧ مايو ١٩٥٨ بيانا؛ أن التدخل العسكري الأمريكي أو الغربي في لبنان ممكن أن يكون له نتائج خطيرة عليه وعلى السلام في الشرق الأوسط؛ وعليه فإن رد الفعل السوفيتي للتدخل العسكري الأمريكي سيكون قويا؛ كأن يزودوا من مساعداتهم العسكرية للعناصر القومية، والإمداد بمتطوعين؛ وهذا سوف يزيد من فرصة قيام صراع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

### د- الآثار على باقى منطقة الشرق الأوسط:

من المتوقع أن حكومتى الأردن والعراق سترحبان بالتدخل العسكري الأمريكي؛ كضربة ضد ناصر، ولكن يتوقع أن يكون هناك رد فعل شعبى قوى فى هذه الدول ضد تحرك الولايات المتحدة؛ وذلك سوف يقيد من حرية الحركة لهذه الحكومات.

أما الحكومات العربية الأخرى - ليبيا والسودان - فيتوقع أن ترحب أيضا بالتدخل العسكرى الأمريكى؛ نظرا لحساسيتها تجاه شعبية ناصر العربية، إلا أنها ستكون مقيدة أكثر من الأردن والعراق فى مساندة التدخل علنا. وبالنسبة لحكومات تركيا وإيران وباكستان فمن المؤكد أنها ستؤيد تحرك الولايات المتحدة.

### هـ- رد فعل اسرائيل :

وبالطبع فإن اسرائيل سترحب بالتدخل العسكرى الأمريكى؛ ولكنها تدرك أن تعاونها المكشوف سوف لا يكون مرحبا به من الغرب؛ وقد يؤدى أساسا الى توحيد العرب؛ ولذلك فإن اسرائيل سوف تتحاشى التورط المباشر فى الموقف؛ طالما أن الصراع يظل محدودا داخل لبنان.

### و- تبعات عدم التحرك العسكرى الأمريكى:

ولكن من جانب آخر كان هناك رأيا مخالفا داخل الحكومة الأمريكية؛ يرى أن فشل الولايات المتحدة فى التدخل سيكون رد فعله قويا ومضرا لمصالحها فى المنطقة؛ خاصة إذا كان هناك طلبا معلنا للمساعدة قبل انهيار الحكومة الموالية للغرب فى لبنان. إن أى حل وسط بالنسبة لتلك الأزمة سيؤدى الى فقدان السمعة والنفوذ الأمريكى فى المنطقة.

ومن المتوقع أن انهيار الحكومة اللبنانية بدون إجراء من جانب الولايات المتحدة، سوف يزيد من أنشطة ج ع م ومؤيديها داخل لبنان، وسيُنظر الشعور الشعبى أكثر الى ج ع م على أنها موجة المستقبل، كما سيكون هناك تزايد فى خطورة انهيار النظم المعادية لناصر!

إن أصبح طرفى الصراع فى لبنان هما؛ ناصر، والولايات المتحدة والغرب عموماً. إن تقدير الموقف الأمريكى؛ أنه إذا تدخلت الولايات المتحدة عسكرياً فى تلك الظروف - بناء على طلب شمعون - فإن رد فعل المجتمع المسيحى سيكون منقسماً، وأغلبية المسلمين سيعارضونه بشدة.

وفى إطار الموقف اللبنانى المعقد ظهرت مشكلة أمام قوات التدخل العسكرى الأمريكى؛ وهى أنها سوف تجد نفسها فى عدا، ليس فقط مع العناصر الوطنية الموالية ل ج ع م، ولكن أيضاً مع مجموعة واسعة من الشعب اللبنانى، التى لا تعادى الغرب عادة ولكنها إما معارضة لشمعون أو للتدخل الأجنبى من حيث المبدأ! كذلك فإن الصراع المحلى بين المسلمين والمسيحيين لن يزيد فقط، ولكنه سيرتبط بشدة بالقضايا الأوسع فى الصراع بين القومية العربية والغرب.

وفى المدى الطويل فمن المتوقع أن أى نظام يعتمد على الولايات المتحدة بهذا الشكل، سيُحتقر؛ ليس فقط من جانب المعادين للغرب، ولكن أيضاً بواسطة معظم العناصر المعتدلة!

### ز- تراجع شمعون :

أعلنت فجأة الحكومة اللبنانية أنها لن تحاول أن تعدل الدستور؛ لىسمح بإعادة انتخاب الرئيس لمدة تالية. وقد كان ذلك تجاوباً مع استعداد ناصر لىستخدم نفوذه مع قادة المعارضة لىساعد فى حل الأزمة اللبنانية. وطبقاً للدستور اللبنانى؛ تعقد الانتخابات الرئاسية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٨.

### ثانياً: مقترحات ناصر لحل الأزمة اللبنانية:

جرت اتصالات مع ناصر من جانب الحكومة الأمريكية فى ٧ يونيو؛ لاستطلاع رأيه فى الأزمة؛ فأكد مبدئياً لادموند هير - السفير الأمريكى فى القاهرة- أنه لا يرغب فى العمل على ضم لبنان الى ج ع م؛ فذلك خطأ، كما أنه لا يريد حكومة فى لبنان تابعه ل ج ع م؛ وإنما كل ما يريده هو حكومة لا تكون معادية.

وأعرب ناصر عن قلقه من الموقف فى لبنان فهو سئ؛ ويسوء بمضى الأيام؛ فكلما الجانبين مازالا يتسلحان، والدم يؤدى الى دم أكثر، وما يهم أكثر هو هذا التدهور داخل لبنان ذاتها.

واقترح ناصر اتخاذ أسلوب مشترك بين الولايات المتحدة و ج ع م؛ على أنه الوحيد الممكن تطبيقه. أما عن طلبه من شمعون العفو عن المعارضه، فهو مشكوك فى نتيجته؛ لأنه يعرف أن

شمعون لا يحبه؛ كما أن ذلك إذا تم من جانب واحد؛ قد يؤدي الى اتهامه بالتدخل في الشؤون الداخلية اللبنانية؛ وتساءل.. أليس من الأفضل أن يكون طلب العفو مشتركاً؟!

وعرض ناصر اقتراحاً آخر.. لماذا لا تقدم الولايات المتحدة منفردة هذا الطلب؟ فإذا تجاوبت الحكومة اللبنانية؛ فإنه شخصياً يقوم بكل ما يمكن لحفز المعارضة على قبوله؛ بالضبط كما لو كان الاقتراح مشتركاً بين الولايات المتحدة و ج ع م.

وأعرب ناصر عن عدم تأييده الإسراع بالانتخابات؛ لأنه سيكون صعباً مع الموقف المهتاج عاطفياً الموجود في لبنان. إن شهاب هو المؤهل الوحيد ليحل محل سامى الصلح - رئيس الوزراء - كما أنه الأكثر منطقية لتولى الرئاسة؛ فهو محل ثقته، بالرغم من أنه موالى للغرب وليس موالياً له!

ان ما يهم - في رأى ناصر- هو أمن لبنان في المستقبل؛ وذلك يعنى أن يكون هناك رئيس وزراء تثق فيه المعارضة؛ ثم بعد ذلك رئيساً للجمهورية تكون هناك موافقة عامة عليه مقدماً. إذا تم ذلك؛ ووقع الاختيار على شهاب؛ فإن الأمور سوف تكون مبشرة بالخير أكثر.

وأكد ناصر أن الأفكار التي عرضها هنا لم تناقش مسبقاً مع المعارضة اللبنانية؛ ولذلك فهو ليس واثقاً أنها ستقبل منها.

وقد تطرق ناصر الى أسباب مهاجمته الحكومة اللبنانية قبل الأزمة، فقال: لأن الحكومة اللبنانية عملت بنشاط ضد مصر في دول أخرى في المنطقة؛ خاصة الأردن والسعودية. يضاف الى ذلك؛ أنها سمحت أن تكون لبنان ملجأ للمتآمرين ضد سوريا ومصر؛ ثم ج ع م فيما بعد؛ وإذا توقفت هذه الاعتداءات فلن تكون هناك مشكلة (١).

وقد كتب ناصر بخطه في أوراقه الخاصة.. إن الاجراءات الاستفزازية التي يتبعها حكام لبنان ضد مواطني ج ع م؛ من اعتقال وتعذيب وإرهاب وطرد؛ تدل على أن هؤلاء الناس فقدوا عقولهم، ولا يزالون يحاولون خلق الأسباب لاستفزاز ج ع م؛ حتى تتحول الخلافات الداخلية في لبنان الى خلاف مع ج ع م ... إن حكومة ج ع م لن تعامل الشعب اللبناني في بلادها نفس المعاملة، ولا تريد أن تحمله مسؤولية الأعمال الاستفزازية التي يقوم بها حكام لبنان".

(١) Tel. from the Embassy in Egypt to the Dept. of State, Cairo, June 7, 1958.

وكان من رأى دالاس؛ أنه ليس ضد مشاورات ناصر بخصوص الموقف اللبناني، اذا كان ذلك سيقود الى ممارسة نفوذا بناء على المعارضة اللبنانية، ولكن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تواجه موقفا تتحد فيه مع ج ع م فى تحفيز حل مفصل لمشكلة داخلية لبنانية!

إن الولايات المتحدة لا تقبل قلق ناصر على مصير قادة المعارضة! وكل ما يمكن عمله فقط هو نقل مقترحاته الى شمعون، ولكن لا يمكن ضمان أن تسيطر الولايات المتحدة على تصرف أى حكومة سيادية فى العالم تجاه مواطنيها!

وقد تمت فى النهاية موافقة الولايات المتحدة على ما يلى من مقترحات ناصر.. أن يكمل شمعون مدة رئاسته، وأن يصبح شهاب رئيسا للوزارة، ثم العفو عن المعارضة. وفى مقابل ذلك؛ أن تتعهد المعارضة بتحقيق أهدافها فى المستقبل بالوسائل الدستورية فقط، وأن تتعهد ج ع م أن تبذل كل جهد لمنع استخدام أراضيها وتسهيلاتهما لأغراض التحريض أو مساندة العصيان المسلح والهدم والدمار فى لبنان!

وبعد مناقشة المقترحات السابقة مع شمعون، وافق على العفو عن معارضة إذا توقف العنف ضد الحكومة اللبنانية وتم إعادة النظام العام (١).

### ثالثا: تصاعد فى أحداث العنف فى لبنان:

لقد تطور الموقف فى ١٤ يونيه ١٩٥٨ وأصبح خطيرا جدا؛ فانتشرت الاشتباكات حول القصر الجمهورى. وفى اليوم التالى تدهور الموقف وأصبح أسوأ، وبدأ شمعون يلح فى تدخل الولايات المتحدة عسكريا فورا! ولكن وزير خارجيته - شارل مالك - عارضه؛ على أساس أن أى دولة فى الشرق الأوسط تدعو للتدخل العسكرى بواسطة القوى الغربية؛ ستكون محط الخزي والتأنيب لأجيال قادمة! ولذلك يجب توفر ثلاث متطلبات مسبقة؛ أن يتم طلب التدخل فقط فى النزاع الأخير، وأن تكون هناك مشاركة عربية فيه أو حتى مساندة عربية للتدخل، ولو بالحديث، وأن يكون للتدخل تأييدا معنويا من الأمم المتحدة؛ سواء مجلس الأمن أو الجمعية العامة.

وفى الواقع فإن أيزنهاور لم يكن متحمسا للتدخل العسكرى فى ذلك الوقت؛ فكيف تحمى دولة من قاداتها؟! وخشى من احتمال تدخل فرنسى متزامن، ثم أن الولايات المتحدة ستكون فى موقف سئ إذا تم التدخل بدون تأييد الأمم المتحدة، فحتى يكون التدخل العسكرى قانونيا؛ يجب أن يتم نتيجة طلب من شمعون فى إطار الأمم المتحدة.

(١)Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Egypt, Washington, , June 5, 9, 12 1958.

وقد ذكّر أيزنهاور بما حدث في بداية الخمسينات، عندما كان البريطانيون يحاولون أن يحتفظوا بقاعدة السويس، وكل السكان كانوا ضدهم، فنتج عن ذلك موقفا غير محتملا! وأضاف أيزنهاور أن التصريح الثلاثي سنة ١٩٥٠ كان موجها فقط ضد العدوان الخارجي، وتساءل.. ما هو المستقبل إذا تدخلت الولايات المتحدة؛ ألا تظل هناك الى الأبد؟! لقد شعر أيزنهاور أن المنطق الذي قدمته الولايات المتحدة للانجليز والفرنسيين ضد تدخلهم في السويس، ممكن أن ينطبق أيضا على هذه اللحظة، وخاصة السؤال؛ ماذا سيقود التدخل العسكرى اليه؟ وكيف سينتهي؟!

إذن أيزنهاور لم يحبذ التدخل العسكرى في ذلك الوقت، ورأى أن ما تحتاجه لبنان هو قائد قوى تستطيع الولايات المتحدة أن تسانده بقوة وألا تُجر الولايات المتحدة لأن تتدخل لتتخذ أمة، والشعب لا يريد تدخلها!

ولكن دالاس كان له رأيا مغايرا مشجعا للتدخل العسكرى الأمريكي؛ على أساس عدة اعتبارات؛ أن الموقف في العراق غير مستقر وضعيف، بالإضافة الى ضعف "الاتحاد العربي". وأن شمعون لديه قضية جيدة، عرضها ماليك في مجلس الأمن؛ بخصوص تدخل ج ع م في لبنان، ولكن الشعب اللبناني والبرلمان لم يتقبلونه، وقامت به حالة عصيان مدنى. والسبب في الصعوبات الأساسية التي تواجه شمعون هو عداء ناصر، الذى يتبع أهداف السياسة السوفيتية فى الشرق الأوسط. وطالما أن سوريا فى يد ناصر؛ فلا يمكن أن يوجد سلام دائم بين بلاده. وقد عقد شمعون العزم على إعطاء الأوامر لشهاب ليقيل الضباط غير الموالين له فى الجيش؛ حتى لا تحدث مواجهه بينهم وبين ضباط البحرية الأمريكية (١).

وقال دالاس ما سبق أن قاله من قبل: أنه إذا استنجد شمعون بالولايات المتحدة، ولم تتجاوب؛ فذلك سيكون نهاية كل حكومة موالية للغرب فى المنطقة، وهذا يجعل ليس لدى الولايات المتحدة خيارا، حتى ولو كان البديل خطأ!

فى النهاية وافق أيزنهاور على التدخل العسكرى الأمريكى فى لبنان (٢)؛ وفى ذلك الوقت أصبح الموقف فى طرابلس خطيرا جدا، والصراع تستخدم فيه مدافع البازوكا والمورتار، ولدى المعارضة ذخيرة ضخمة، وكذلك الموقف فى بيروت.

(١)Tel. from the Embassy in Lebanon to the Dept. of State, Beirut, July 17, 1958.

وشمعون غير مستعد لقبول أى حل وسط؛ فمن ناحية المبدأ يصبر على أن ناصر لا يجب أن يكون له أى صوت فى الشئون الخارجية أو الداخلية للبنان، وأى حل وسط سوف يضعف السلطة الشرعية فى لبنان ويساعد المتمردين، كما أنه يعارض أى مفاوضات مع مجموعة المعارضة، طالما هناك سوريين ومصريين على الأراضى اللبنانية.

#### رابعاً: دور الأمم المتحدة فى الأزمة اللبنانية:

وبناء على محادثات همرشولد مع ناصر وشمعون؛ اقترح السكرتير العام للأمم المتحدة أن تتم مراقبتها على الحدود بين ج ع م ولبنان من الجانب السورى. وأرسلت الأمم المتحدة مراقبين على الحدود، ولكنهم لم يستطيعوا أن يؤكدوا التسرب غير القانونى المزعوم للرجال والسلاح الى داخل لبنان من جانب ج ع م! وقد طلب دالاس من همرشولد إيجاد حل يحفظ استقلال لبنان، وتجنب أى نصر لناصر! من خلال حل وسط سياسى بين شمعون والعناصر المتمردة. رد همرشولد؛ أنه لا يوجد هذا الحل الوسط! واستطرد قائلاً: إن ناصر لم يكن يرغب فى التدخل فى شئون لبنان، ولكنه فعل ذلك فقط مع إصرار السوريين، الذين قادوا عملية المساعدة التى قدمت للقوميين اللبنانيين، وكان رأيه أن ناصر كان فى وضع يحتم عليه التحرك (١).

#### خامساً: مفاجأة ثورة العراق تعجل بالغزو العسكرى الأمريكى للبنان:

فوجئ الغرب والعالم بقيام ثورة العراق فى ١٤ يوليو ١٩٥٨؛ تلك الثورة التى قلبت الموازين فى الشرق الأوسط. لقد كان النظام الملكى العراقى برئاسة الملك فيصل الثانى، وبمعاونة رئيس وزرائه - نورى السعيد - يتزعم الدول الموالية للغرب سياسياً وعسكرياً؛ فقد كانت العراق عضواً فاعلاً البريطانية حلقة وهاما فى حلف بغداد، الذى سُمى باسم عاصمتها، وكانت قاعدة الحباينة العسكرية هامه فى الطوق حول الاتحاد السوفيتى، الذى خططت له الولايات المتحدة.

إن الثورة العراقية منذ لحظاتها الأولى كانت دموية عنيفة؛ فقد قتل الملك فيصل الثانى وولى العهد، وكذلك نورى السعيد وفاضل الجمالى وغيرهم من المسؤولين. واستولى الثوار على إذاعة بغداد وقفلت السفارة البريطانية.



(١) Memo. of a Conversation, White House, Dept. of State, Washington, July 7, 1958.

ومنذ اللحظة الأولى أدرك الغرب أن الثورة العراقية معادية له وموالية لناصر في توجهاتها. وF-86 وأول إجراء اتخذته الولايات المتحدة يوم قيام الثورة؛ هو إيقاف تسليم طائرات والمعدات العسكرية المتعاقد عليها للعراق فوراً.

وقد أرسل الملك سعود رسائل الى أيزنهاور في نفس يوم الثورة؛ بطلب عاجل بالتدخل العسكري بواسطة قوى حلف بغداد؛ لاجهاض الثورة، ولمنع حدوث ثورة أخرى في الأردن.

وثار القلق في الولايات المتحدة على الموقف في الأردن، ومصير "الاتحاد العربي" ، وبدأ الحديث عن العلاقة بين ثورة العراق وأزمة لبنان، وأن الولايات المتحدة أصبح ليس لديها خيار، ليس فقط في لبنان، ولكن يجب أن تكون مستعدة للتدخل في كل المنطقة! وهذا تطلب تقسيم العمل مع البريطانيين في العراق والكويت، وبحث امكانية تدخل الاسرائيليين في الأردن، والأترك في سوريا! إن الأسطول السادس كان جاهزاً والقوات العسكرية الأمريكية كان من الممكن أن تنزل الى الشاطئ اللبناني بعد ١٢ ساعة من إعطاء الأوامر.

وكالعادة أعطت الولايات المتحدة الأهمية لغطاء للعمليات العسكرية من جانب الأمم المتحدة، قبل التصديق على الغزو!

وعند بحث رد الفعل السوفيتي المتوقع؛ تقرر أن التدخل العسكري الأمريكي في لبنان يتضمن مجازفة الحرب الشاملة (١).

#### ١- أيزنهاور وإعادة تقدير الموقف في الشرق الأوسط بعد ثورة العراق:

في اجتماع في البيت الأبيض، تم استعراض المعلومات عن الأحداث في العراق، وكان القلق بادياً على موقف الملك حسين في الأردن؛ فهو دقيق جداً، وخاصة أنه تولى سلطة رئيس "الاتحاد العربي" والقائد الأعلى للقوات المسلحة.

أما شمعون فقد ألح من جديد في طلب تدخل الولايات المتحدة خلال ٤٨ ساعة، وأبلغ الحكومة الأمريكية؛ أنه أصر على نفس الطلب من المملكة المتحدة وفرنسا.

ومن جانب آخر طلب الملك سعود التصرف فوراً، مؤكداً أنه إذا لم تتدخل الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فوراً؛ فمعنى ذلك أنها قد انتهت كقوى كبرى في الشرق الأوسط!

وفى هذا الاجتماع الهام دار الحوار كالاتى:

**أيزنهاور:** يجب أن نتحرك!

**دالاس :** ماذا سيفعل الروس؟ إذا تدخلنا يجب أن نتوقع تحركات تهدد تركيا وإيران بصفة خاصة.

الروس ليس لديهم صواريخ بعيدة المدى، ولا طيران طويل المدى. وإذا لم ننتهز الفرصة الآن فأنهم سيضغطون، والدول المحيطة سوف تستسلم لهم.

إننا إذا لم نتجاوب مع طلب شمعون بالتدخل العسكرى، فسوف نقاسى من تدهور وفقد نفوذنا من اندونيسيا الى مراكش.

إذا كنا سنتدخل؛ فيجب أن نتوقع رد فعل سئ جدا فى معظم الدول العربية؛ قطع خط البترول، تخريب فى الملاحة فى قناة السويس، وأنشطة معادية فى كل المنطقة، والبريطانيون سيضطرون الى غزو الكويت.

ولكن خسائر عدم التدخل فى هذا الظرف ستكون أسوأ من خسائر العمل العسكرى. إذن يجب أن نرسل قواتنا الى لبنان؛ حتى لا نفقد حلفائنا، وبالنسبة للعراق؛ فإنها مسئولية المملكة المتحدة.

**أيزنهاور:** إن ما يقلقنى أكثر من موضوع الروس؛ هو سلوك الشعوب فى المنطقة.

**دالاس :** بالنسبة لتصرف اسرائيل المحتمل إذا ما تدخلت الولايات المتحدة فى الأردن والعراق؛ فإنها سوف تظل خارج الموضوع. وفى السعودية، فإن القوة فى يد القبائل الموالية للملك.

أوروبا الغربية؛ ستؤيد الولايات المتحدة، فيما عدا الاسكندنافيين. ومعظم دول أمريكا اللاتينية سيؤيدون الولايات المتحدة؛ بالضغط عليهم. معظم دول آسيا ستكون ضد الولايات المتحدة؛ بما فيها الهند وسيلان، وربما بورما وكذلك معظم إفريقيا.

يجب أن نطلب فوراً اجتماعاً طارئاً لمجلس الأمن.

**أيزنهاور:** إن فقدان هذه المنطقة بسبب عدم التدخل سيكون أسوأ من الخسارة فى الصين! بسبب الموقع الاستراتيجى للشرق الأوسط وموارده. إن أهم تحرك استراتيجى فى الظروف الحالية؛ هو الهجوم على القاهرة ولكن ذلك لا يمكن الإقدام عليه!

**دالاس :** سيقول الكثيرون: إننا نفعّل ما سبق أن منعناه عن فرنسا وبريطانيا فى وقت أزمة السويس

(١)!

(١) Memo. of a Conference with the President , White House, Dept. of State, Washington,

July 14, 1958.

وعدد دالاس مخاطر هذا العمل العسكرى؛ فقد تنتشر الاعتداءات، وقد تتلقى الولايات المتحدة ضربة ثقيلة من جانب الدعاية . وأوضح أن الموقف يختلف عن وقت حرب السويس؛ ففي هذه الحالة توجد دولة معرضة للهجوم عليها، وطلبت التدخل الأمريكى!

## ٢- القرار النهائى بالتدخل العسكرى الأمريكى فى لبنان:

إن اتخذ أيزنهاور قرار التدخل فى لبنان عوضا عن رغبته الأساسية فى الهجوم على القاهرة! وبدأ العد التنازلى الذى تطلب عدة إجراءات؛ إخطار همرشولد أن الموقف قد تغير بسبب ما حدث فى العراق، وأن الولايات المتحدة تطلب عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن، فهى لا تريد أن تتحرك بدون إخطار الأمم المتحدة وأن الوضع هو مواجهة ثورة شامله.

ومن ناحية أخرى عقد أيزنهاور اجتماعا فى البيت الأبيض مع قادة الكونجرس؛ ليكسب تأييدهم للتدخل العسكرى فى لبنان، موضحا تفاصيل الموقف فى الشرق الأوسط وعظيم خطورته بعد قيام ثورة العراق، مؤكدا أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تضمن حرية لبنان إذا لم تتدخل.

وشرح أيزنهاور أن ما يحدث فى لبنان هو حرب أهلية يثيرها ناصر! ولذلك فهو سيتصرف طبقا لسلطاته كقائد أعلى للقوات المسلحة، ثم يضع بعد ذلك الأمر أمام الكونجرس.

وفى نفس الوقت تقرر أن تغزو الولايات المتحدة لبنان بمفردها - أى بدون مشاركة المملكة المتحدة - على أن يتم مفاجأة، والا فإن المعارضة اللبنانية ممكن أن تنظم نفسها فى مواجهة الهجوم الأمريكى (١)، كما يجب أن تكون الولايات المتحدة مستعدة للتدخل فى كل منطقة الشرق الأوسط، وهذا يتطلب تقسيم العمل مع المملكة المتحدة؛ فتذهب الى العراق والكويت، ويمكن اسرائيل تتقدم الى الضفة الغربية، والأترك الى سوريا.

إن مدى اتساع التدخل الغربى فى المنطقة سوف يتوقف الى حد كبير على طبيعة ومدى رد الفعل السوفيتى، مع احتمال أن يؤدى التدخل العسكرى الى حرب عامة (٢).

(١) المرجع السابق.

(۲)Memo. for the Record of a Meeting , White House, Dept. of State, Washington,  
July 14, 1958, Meeting re Iraq.

وفى مكالمة هاتفية أيد هارولد ماكميلان أيزنهاور فى قرار غزو لبنان، وأعرب عن استعداده لحماية الأردن، ولتولى أمر بلاد الخليج العربى، موضحاً أنه اتخذ فعلاً الخطوات الأولى فى هذا الصدد. وأضاف ماكميلان أن الهدف المشترك بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة ليس مجرد انقاذ لبنان - وهى ليست هامة فى حد ذاتها - وإنما مواجهة قضايا أوسع، بعد أحداث العراق (١). وقد وُجّهت القيادة العسكرية الأمريكية لحملة الغزو على لبنان، باحتمال أفصح عنه شهاب؛ وهو أنه يخشى أن تقاوم قوته الغزو! وتم تدبير المرور الآمن لقوات البحرية الأمريكية على الطريق من المطار الى ميناء بيروت، حيث انتشرت القوات والدبابات اللبنانية على طول الطريق، وتم فعلاً وصول القوات الأمريكية بسلام الى ميناء بيروت فى ١٦ يوليو ١٩٥٨ (٢).

وفى نفس اليوم اتخذ أيزنهاور قراراً بإرسال روبرت مورفى الى لبنان؛ ممثلاً سياسياً لرئيس الجمهورية الأمريكية - أى بعد يومين من ثورة العراق - والهدف؛ هو إقامة علاقات أفضل بين رجال الجيش والدبلوماسيين الأمريكيين من جانب، والعسكريين اللبنانيين والحكومة اللبنانية من جانب آخر.

### ٣- كيف تلقى ناصر أخبار الثورة العراقية وغزو الولايات المتحدة للبنان؟

تلقى ناصر نبأ قيام الثورة العراقية وهو على السفينة المصرية "الحرية" تصحبه عائلته، فى البحر المتوسط، عندما كان عائداً من بريونى بيوغوسلافيا؛ فأصدر قراراً فورياً بإعلان التعبئة العامة فى ج ع م، التى بدأت على الفور مناورات حربية على طول حدودها مع تركيا وإيران. وكانت البرقية الأولى التى تسلمها ناصر من بغداد صباح يوم الثوره - ١٤ يوليو - بتوقيع مجلس السيادة فى العراق.. " بمزيد من الفخر والاعتزاز نقدم اعترافنا بالجمهورية العربية المتحدة، ونسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة العروبة فى كفاحها المجيد، ومساندة الشعوب الحرة".

شعر ناصر أن هذه البرقية تلقى عليه عبء تأمين ثورة العراق من الخارج.. " ذلك واجبنا على أى حال، وإن لم يطلبوه صراحة. إنهم فى هذه الظروف يواجهون مشاكل الأمن الداخلى للثورة، ولا بد أنها كبيرة وعويصة، وعلينا نحن أن نحارب المعركة من الخارج؛ حتى تتفسح الفرصة أمامهم للتدعيم الداخلى".

(١) Message from PM Macmillan to President Eisenhower, London, July 14, 1958.

(٢) Tel. from The Embassy in Lebanon, Beirut, July 16, 1958.

وهكذا من فوق السفينة "الحرية" اعترف ناصر بالنظام الجديد فى العراق، وبعث بقرار إعلان التعبئة العامة فى الجمهورية العربية المتحدة. وانتقل الى الطراد " ناصر"، عائداً الى يوغوسلافيا،

ومن فوقه أعلن - والقوات الأمريكية تنزل في بيروت - أن الجمهورية العربية المتحدة تعتبر أى عدوان على العراق عدوان عليها ، وأنها ستحارب إذا كانت الحرب.

وقرر ناصر قبل أن يعود الى دمشق ، أن يلتقى بخروشوف في موسكو؛ لبحث الموقف الدولي، ولبحث الأخطار التى تهدد ج ع م من دول الاستعمار. رحب خروشوف بالمقابلة، واجتمعا في موسكو سرا. وقد تناول البحث العمل على وقف العدوان ضد الوطن العربى، وكذلك المحافظة على سلامة واستقلال البلاد العربية (١).

توجه ناصر بعد ذلك الى دمشق بطريق الجو، وهناك التقى ببعثه تمثل ثورة العراق. وقد أيدهم على الفور، وكان مستعدا لإجابة طلباتهم؛ فالمعركة واحده والمصير واحد.

لقد حدث تغيرا جذريا بقيام ثورة العراق؛ هكذا فى ساعات قليلة امتد ظل القومية العربية على خريطة الشرق الأوسط كلها، وانحسر ظل الاستعمار، فيما عدا جيوبا صغيرة متناثرة! ولكن فى نفس الوقت دخلت المعركة بين القومية العربية والغرب فى طور مخيف (٢).

وكان من ملامح الانتصار بالنسبة لناصر بعد ثورة العراق سقوط حلف بغداد ، الذى كان يحاربه منذ نشأته فى ١٩٥٥ ، والذى كان يناضل فيه ضد مناطق النفوذ والسيطرة والتحكم (٣).

ثم أعلن بعد ذلك من دمشق فى ١٩ يوليو ١٩٥٨؛ اتفاقا بين ج ع م وجمهورية العراق، والذى كان من أهم بنوده؛ التأكيد على ما يربط البلدين من عهود ومواثيق وفى مقدمتها ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الدفاع المشترك، ووقوف البلدين معا لمواجهة أى اعتداء، والتعاون الكامل فى المجال الدولى، وتنمية التعاون الاقتصادى، والتنسيق والتشاور المستمر بين البلدين فى كل المجالات.

ومباشره فى أعقاب غزو القوات الأمريكية للبنان صرح ناصر فى ٧/١٦ .. "إن احتلال القوات الأمريكية للبنان يشكل خطرا على السلام فى الشرق الأوسط ، واعتداءا خطيرا على ميثاق الأمم المتحدة ، وتهديدا سافرا للدول العربية التى رفضت أن تخضع للاستعمار، وصممت على اتباع سياسة مستقلة".

(١) خطاب ناصر بمناسبة عيد الثورة المصرية؛ بحضور الوفد العراقى، ١٩٥٨/٧/٢٢.

(٢) محمد حسنين هيكل، بصراحة: البحث عن نهاية الفصل الثانى.. المقال (٥)، الأهرام، ١٩٥٨/١٢/١٥.

(٣) خطاب ناصر فى ١٩٥٨/١٢/٢٣.

وكان من الواضح لناصر أن الحكومة الأمريكية اتخذت من الثورة الداخلية في لبنان ، ذريعة تحقق عن طريقها غرضها في احتلال تلك الدولة العربية الصغيرة، وتهدد بلاد الشرق الأوسط المستقلة.

إن إقدام أمريكا على هذا العدوان الخطير، تحت عذر تدخل مختلق نسب الى ج ع م ، وتولت الأمم المتحدة تكذيبه رسمياً؛ بواسطة التقرير الأول لهيئة المراقبين، التي كلفها مجلس الأمن بتحري الموقف في لبنان؛ إنما يفضح نوايا الولايات المتحدة تجاه الشعوب العربية المستقلة، ومحاولتها لاختطاعها والسيطرة عليها، والإساءة الى الأمم المتحدة أصلاً وقيمة أعمالها؛ وذلك عن طريق انتهاك قراراتها وعرقلة خطواتها.

وأما عن الموقف في العراق، فإن حكومة ج ع م تعلن مرة أخرى أن أى عدوان على الجمهورية العراقية العربية، يعتبر في نفس الوقت عدواناً على ج ع م. وفي هذه الحالة سوف تقوم ج ع م بكافة التزاماتها تجاه جمهورية العراق؛ وفقاً لميثاق الضمان الجماعي العربي".

وقد عبر ناصر عن شعوره وشعور الأمة العربية بعد ٤ أيام من ثورة العراق، في خطاب له في دمشق.. "إننا اليوم أثبت مما كنا، إننا اليوم نشعر أن راية الحرية تعلو وترتفع في سماء الوطن العربي... إن القومية العربية قد انطلقت من عقابها...

وأنا اليوم اتجه الى اخوتكم في العراق، وأقول لهم: إننا معكم أيها الإخوة؛ لأن معركتنا واحدة... إن شعلة القومية العربية ستبقى أبد الدهر عالية مرتفعة؛ لأنها لا تنحصر في شخص واحد، وهو جمال عبد الناصر... ولكنها تمثل الشعب العربي...

إننى أعلن باسمكم من هذا المكان أننا جميعاً سنحمل السلاح؛ لندافع عن شعلة الحرية التي انتصرت في العراق... إننا جميعاً سنحمل السلاح لندافع عن القومية العربية ونثبت أركانها...

وإذا رأينا اليوم التهديد ينطلق من الدول الاستعمارية، وإذا رأينا اليوم أمريكا تحتل لبنان، وبريطانيا تحتل الأردن، فأنا أقول باسمكم: لقد كان هناك احتلال في الماضي؛ احتلال فرنسي وبريطاني.. أين هم الآن؟ لقد انتهى الاحتلال، أصبح رماداً، ولكن شعلة الحرية هي التي تنتصر...

إننا نسالم من يسالمننا ونعادي من يعاديننا، وإن عادونا فإننا سنقاتل لآخر قطرة من دمائنا، هذا هو سبيلنا.. هذا هو شعارنا...

اليوم يقولون: إن هناك تدخلا من ج ع م في لبنان، وأنهم لهذا في لبنان؛ ليدافعوا عن لبنان!  
ويقولون أيضا إن هناك تدخلا من ج ع م في عمان؛ وأنهم لهذا يحتلون عمان! ...  
وقد أخبرتنا أمريكا بالأمس أننا - أي ج ع م - تعتبر مسئولة عن أمن الجنود الأمريكيين  
في لبنان، وأنا لا أعرف كيف يدخلون لبنان ويحتلونها، ونحن نعتبر مسئولين عن حماية الاحتلال؟!  
...

إننا لن يرهبنا التهديد، ولن ترهبنا الأساطيل، ولن ترهبنا القنابل الذرية... إننا على استعداد  
لأسوأ الاحتمالات، ولكننا نقول إننا نسالم من يسالمنا، وسنقابل العدوان بالعدوان. ولا يعنى السلام  
اطلاقا الاستسلام!...

إن قادة الدول الغربية يجب أن يعلموا أن القومية العربية قوية جدا في كل مكان، وأنها  
أصبحت ثابتة الأركان ...

إننا اليوم نشعر أن اخواننا في العراق قد تحرروا من الأغلال، وهدموا أسوار السجن الكبير،  
وأصبحوا معنا نستطيع أن نكون قوة كبرى... ونستطيع أن نهزم العدوان" (١).

وكما كتب بخط يده في أوراقه الخاصة، كان ناصر يدرك؛ " أن الغرض من التدخل المسلح  
في لبنان والأردن؛ أن يكون رأس كوبرى في البلاد العربية، بالإضافة الى تأييد الحكام الرجعيين.  
حصلت على معلومات؛ بأن القوات [الغازية] في لبنان والأردن، غرضها الهجوم على العراق، ج ع  
م!"

وقد كانت هذه المعلومات صحيحة؛ فقد أثبتت وثائق البيت الأبيض أن أيزنهاور بحث مع  
ماكميلان احتلال العراق، وقال أيزنهاور - كما سبق ذكره - أن الوضع الاستراتيجي الأمثل أن  
تهاجم الولايات المتحدة القاهرة، ولكن لم يجرؤ!

وقد أعلن ناصر في المؤتمر التنفيذي لمجلس اتحاد الدول العربية، في ٩ سبتمبر ١٩٥٨،  
الذى وحد بين المملكة اليمنية والجمهورية العربية المتحدة، أن احتلال لبنان والأردن هو تهديد لكل  
بلد عربي. " وإن تهديد القومية العربية هو تهديد لاستقلال كل بلد عربي... إننا نطالب بالانسحاب  
من لبنان والانسحاب من الأردن، ونطالب بتحرير عدن وجنوب الجزيرة العربية، ونطالب باستقلال  
الجزائر؛ فان هذه هي مبادئ الأمم المتحدة التي أعلنوها بعد الحرب العالمية الثانية، ثم عادوا ففتكروا  
لها!"

وحول الوضع في لبنان رأى ناصر؛ " أنه من حسن الحظ أن الأمور تطورت على نحو  
سمح للواء فؤاد شهاب أن يصبح رئيسا لجمهورية لبنان" (٢). وقد أرسل له فيما بعد رسالة



(١) خطاب ناصر في دمشق، ١٨/٧/١٩٥٨.

(٢) حديث ناصر الى الصحفى الهنذى كارانجيا، رئيس تحرير صحيفة "بليتز"، ٢٨/٩/١٩٥٨.

ود إااء فى ٨ نوفمبر ١٩٥٨، ثم قابله فى خيمة فى منطقة على الحدود السورية اللبنانية فى ٢٥/٣/١٩٥٩. واتفقا على التعاون الوثيق بين الدولتين واحترام مبادئ الاستقلال والسيادة، وحق تقرير المصير، والتحرر من النفوذ الأجنبى ومقاومة الاستعمار.

ومما زاد الموقف حدة؛ أن أخطرت الولايات المتحدة ناصر بصفة عاجلة بعد يومين من ثورة العراق ما يلى.. أن نزول القوات الأمريكية فى لبنان بناء على طلب حكومته؛ وأنه قد تم من أجل المساعدة فى المحافظة على استقلال لبنان وأمن مواطنى الولايات المتحدة فيه، وأن الولايات المتحدة تتوى أن تسحبها حينما تسنح الظروف. وأكدت الحكومة الأمريكية لناصر أن القوات "الغازية" ليست فى مهمة عدوانية! فهى لا يمكن أن تمتنع عن التجاوب مع هذا الطلب من دولة صغيرة، تتوجه لها بطلب المساعدة، التى أصبحت ضرورية، على ضوء الإزاحة الدموية للحكومة الشرعية للعراق!

وانتهى الأمر بالتهديد؛ أنه إذا تمت مهاجمة القوات الأمريكية بواسطة قوات ج ع م أو بواسطة عناصر تحت سيطرتها، فانه سيكون هناك خطر كبير؛ أن يتسع مجال المشكلة، وتهدد علاقات الولايات المتحدة مع ج ع م (١)!

لقد كانت هذه الرسالة الشفوية الى ناصر من الحكومة الأمريكية تهدف الى محاولة تحييده عسكريا وإعلاميا؛ وهو ما لم يحدث. ومن جانب آخر كانت تتضمن تهديدا سافرا لناصر؛ الشئ الذى اعتاده من الغرب، ولم يعبأ به.

وفى واقع الأمر كانت العوائق الأساسية لتحسين العلاقات بين ناصر والولايات المتحدة فى هذه الفترة؛ هى العلاقات الوثيقة مع الاتحاد السوفيتى، بالإضافة الى تأثر العناصر الوطنية فى بلدان الشرق الأوسط بدعوة القومية العربية والوحدة العربية، وذلك ما يرفضه - بل ويحاربه - الولايات المتحدة والغرب.

ومن العوامل الأخرى التى أثرت سلبيا على علاقات ناصر بالأمريكيين مساعدتهم للفرنسيين فى الجزائر، ورفض الاعتراف بالآمال القومية للشعب الجزائرى لتحقيق الاستقلال. كذلك تشجيع الولايات المتحدة لبورقيية على موقفه فى الجامعة العربية عندما اتهم حكومة الجمهورية العربية المتحدة بمحاولة اغتياله، فقامت برفع مذكرة الى جامعة الدولة العربية لتتولى التحقيق فى هذا الأمر، الذى وصفته بالمسرحية الهزلية التى لا تمت بصلة الى الحقيقة، وتسببت فى قطع علاقات تونس مع ج ع م (٢).

(١)Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, July 17, 1958.

(٢)Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Oct. 28, 1958.

لقد ظل ناصر يشعر بمشكلة أساسية في العلاقات مع الولايات المتحدة؛ وهي انعدام الثقة في أنهم لن يستغلوا مشكلة مع الشيوعيين، ويطعنوه في الظهر!

#### ٤ - الموقف السوفيتي إزاء التدخل العسكري في لبنان والأردن:

أصدر الاتحاد السوفيتي بيانا غداة ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨؛ اتهم فيه الولايات المتحدة بالعدوان في الشرق الأوسط؛ مما يخلق تهديدا خطيرا للسلام. وكان الهدف من هذا البيان؛ هو تحذير الغرب من التحرك ضد النظام العراقي الجديد.

لقد طالبت الحكومة السوفيتية حكومة الولايات المتحدة أن توقف التدخل العسكري في الشؤون الداخلية للدول العربية، وأن تسحب فورا قواتها من لبنان. وأعلنت أنها لا تستطيع أن تظل سلبية تجاه أحداث تخلق تهديدا خطيرا في منطقة تقع على حدودها، وأكدت أنها تحتفظ لنفسها بالحق في أن تتخذ الإجراءات الضرورية - طبقا لمصالحها - في حفظ السلام والأمن.

وتلى ما سبق أن أصدرت الحكومة السوفيتية بيانا آخر في ١٨ يوليو ١٩٥٨، تدعو فيه الى مؤتمر للأقطاب؛ لبحث تطورات الموقف الدولي، وللقضاء على التوتر الدولي، وإبعاد شبح الحرب. وقد أيد ناصر هذا الاجتماع قائلا: " لقد سئمنا الحرب الباردة، وقد سئمنا التكتلات العسكرية، وقد سئمنا قسمة العالم الى معسكرين، وقد سئمنا التهديد بالحرب كل يوم" (١). وكان رد فعل خرشوف.. أن ثورة العراق كانت مفاجأة لهم؛ فلقد اختفى حلف بغداد وأعدائه، بل إن بغداد أصبحت ضد حلف بغداد!

وقد تم الاتفاق بين ناصر وخرشوف، أثناء لقائهما السري في موسكو في ١٨ يوليو ١٩٥٨؛ على وقف العدوان ضد العرب، والمحافظة على سلامة البلاد العربية واستقلالها، وبذل أقصى جهد لدعم السلام العالمي (٢).

وفي نفس الوقت كانت حكومة الولايات المتحدة تعتقد أن وجود موصلات نقل بترول الشرق الأوسط الى أوروبا؛ سواء عن طريق قناة السويس أو أنابيب البترول المتجهة الى البحر الأبيض، تحت السيطرة الفعلية للقاهرة؛ يعرض المصالح الأمريكية للخطر، وهو سلاح مخيف في يد ناصر (٣)!

(١) خطاب ناصر في ١٩٥٨/٧/٢٢، مرجع سابق.

(٢) هيكل، "رأيت الدنيا على حافة الهاوية" (٥)، بصراحة، الأهرام، ١٩٥٨/٧/٢٥.

(٣) المرجع السابق.

وقد دفع ذلك الولايات المتحدة أن تحاول الاقتراب من ناصر، وكان هدف ذلك؛ إزالة معتقدات ناصر بأن أصدقائه الوحيدون هم السوفييت. وافترض الأمريكيون أنه يعتقد أن السوفييت هم الذين يساعدونه على تحقيق طموحاته؛ التي تشمل بتر اسرائيل، وقلب الحكومات الموالية للغرب في الشرق الأوسط! فالاتحاد السوفيتي - الذي ليس لديه التزامات في المنطقة- يساعد ناصر لتحقيق هذه الأهداف؛ معتقدا أنه سيكون الوريث المطلق. إن الولايات المتحدة لا يمكن أن تساعد الحكومة السوفيتية على ذلك؛ وهكذا لا يمكن أن يكون الأمريكيين أصدقاء لناصر كالسوفييت(١).

إن الموقف السوفيتي من التدخل الغربي المسلح في لبنان والأردن قام على رؤية محددة؛ أن الغرض منه هو تأييد الحكام الرجعيين. وقد كان لدى السوفييت معلومات - أكدتها الوثائق الأمريكية - أن الغرض الأساسي هو الهجوم على العراق و ج ع م!

وقد أعربت الحكومة السوفيتية عن استعدادها لتقديم المساعدة في كل الإجراءات التي تتخذها ج ع م من أجل السلام والأمن في الشرق الأوسط، وأخطرت ناصر أنها أرسلت تحذيرا لتركيا وإيران ضد اشتراكهما في العدوان المدبر ضد العراق، ج ع م (٢).

وفي نفس الوقت، كانت حكومة الولايات المتحدة مشغولة في تقييم الوضع الغربي والسوفيتي في المنطقة. وكانت تدرك أن الظروف والاتجاهات السياسية في الشرق الأوسط معادية لمصالح الولايات المتحدة والغرب. وأن السببين الأساسيين لإضعاف الموقف الغربي في المنطقة هما؛ قيام حركة القومية العربية الراديكالية، وإدخال الاتحاد السوفيتي الى المنطقة. وتتناسى المنطق الأمريكي أن الاتحاد السوفيتي كسب صداقة مصر بموافقة على إمدادها بالسلاح بعد رفض الغرب لأكثر من ثلاث سنوات، وبتقدمه لتمويل بناء السد العالي بعد أن سحبت الولايات المتحدة عرضها بطريقة مستفزة!

ولذلك فان حكومة الولايات المتحدة؛ مع إدراكها للأهمية الخطيرة لبتترول الشرق الأوسط لحلفائها في الناتو، وأيضا تأمين تسهيلات الترانزيت للسلاح والتجارة، اعتقدت أن أخطر تحدى للمصالح الغربية ينبع ليس من القومية العربية في حد ذاتها، وإنما في توافقها في كثير من أهدافها مع أهداف الاتحاد السوفيتي! فالسياسة السوفيتية في الشرق الأوسط ترمى الى إضعاف، ثم إقصاء النفوذ الغربي؛ مستخدمة القومية العربية كأداة، على أن يحل النفوذ السوفيتي محل الغرب.

(١) Letter from the Secretary of State to the President, Washington, July 25, 1958

(٢) وثيقة بخط ناصر من أوراقه الخاصة عن مقابله للقائم بأعمال السفارة السوفيتية بالقاهرة، ١٠/٨/١٩٥٨.

ومن وجهة النظر الأمريكية، فإن السيطرة السوفيتية على الشرق الأوسط، تمثل انقلاباً أساسياً في توازن القوى العالمى، وتسهيلاً لاختراق الاتحاد السوفيتى لإفريقيا، وله تبعات معاكسة على مركز ومكانة الولايات المتحدة فى العالم.

لقد أصبح واضحاً أمام الحكومة الأمريكية، أن منع مزيد من الاختراق السوفيتى للشرق الأوسط؛ يتوقف على الدرجة التى يمكن بها للولايات المتحدة أن تعمل بقرب أكثر مع القومية العربية، وتقترّب أكثر من أهداف وآمال الشعب العربى؛ على أنها ليست متعارضة مع المصالح الأساسية للولايات المتحدة! ومن المؤكد أنه فى عين أغلبية العرب، ما سيكون له أهمية خاصة هو الموقف الذى ستتبناه الولايات المتحدة تجاه المتحدث الرئيسى باسم القومية العربية؛ ناصر. ولكن ذلك لا يجب أن يدفع الولايات المتحدة الى قبول حتمية سيطرة ناصر على كل العالم العربى (١).

وأصبحت الولايات المتحدة فى موقف متناقض يصعب التعامل معه؛ فإذا لعبت دور الخصم لناصر؛ فإن ذلك معناه أن تترك السوفييت يبدون كأبطال فى نظره! وفى نفس الوقت، فإنها تواجه حقيقة أن بعض جوانب الاندفاع نحو الوحدة العربية - خاصة كما يقودها ناصر - هى معادية للمصالح الأمريكية؛ فى السودان، ليبيا، تونس، مراكش، الجزائر؛ حيث تأثير نفوذ ناصر الثورى، كما وأن ربطه ما بين الوحدة العربية، وآمال مصر القديمة فى إفريقيا، تهدد النظم الموالية للغرب.

ثم إن العرب مازالوا يشعرون بالمرارة نحو دور الولايات المتحدة فى إنشاء دولة اسرائيل، وكذلك نحو المساعدة المالية والمساندة السياسية لها خلال السنوات العشر الماضية.

وقد حددت الحكومة الأمريكية من جديد أهداف سياستها فى الشرق الاوسط؛ أولاً.. إبعاد المنطقة عن سيطرة الاتحاد السوفيتى، ثم ضمان الحصول على بترول المنطقة، واستمرار المرور السلمى للولايات المتحدة وحلفائها، وتحقيق التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى فى دول المنطقة؛ لضمان قيام حكومات مستقرة يؤيدها الشعب وتستطيع مقاومة النفوذ الشيوعى، واستمرار إتاحة المواقع الاستراتيجية للولايات المتحدة وحلفائها؛ بما فيها حق الطيران وحقوق القواعد. وباختصار؛ اتساع النفوذ الأمريكى والغربى، ومواجهة والحد من النفوذ السوفيتى.

(١) National Security Council Report, Washington, Nov. 4, 1958.

وبالرغم من التأكيد على أن سياسة الحياد التي تتبعها القومية العربية؛ قد تجعلها لا تتفق مع المصالح العسكرية والاقتصادية في المنطقة، فكان على الولايات المتحدة أن تتقبل السياسات المحايدة للدول في المنطقة، حتى لو كانت هذه الدول لها علاقات دبلوماسية وتجارية وثقافية مع الكتلة السوفيتية، أو تتلقى منها معدات عسكرية (١).

#### ٥- أزمة التدخل العسكري الأمريكي في لبنان أمام الأمم المتحدة:

##### أ- مجلس الامن:

طلبت حكومة شمعون في ٢٢ مايو ١٩٥٨ عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن؛ لبحث شكاواها ضد ج ع م باتهامها بالتدخل في الشؤون الداخلية للبنان، وادعت أن استمراره يهدد المحافظة على السلام والأمن الدوليين! هذا التدخل - طبقا لما جاء في الشكوى اللبنانية - يشمل؛ ادعائها تسرب "عصابات" مسلحة من سوريا الى لبنان، واشتراك ج ع م في عمليات "إرهابية" وتمرد ضد السلطات الشرعية في لبنان. هذا بالإضافة الى الإمداد بالسلاح للمتمردين، وشن حملة عنيفة في الإذاعة والصحافة في ج ع م؛ تدعو الى الإطاحة بالحكومة اللبنانية.

وقد بدأ مجلس الأمن مناقشة الشكوى اللبنانية في ٦ يونيو ١٩٥٨، بعد أن ترك الفرصة للجامعة العربية لتناول الأزمة.

وقد توصل مجلس الأمن الى قرار في ١١ يونيو ١٩٥٨؛ بتعيين فريق من المراقبين الدوليين وإرسالهم الى لبنان؛ تكون مهمته التأكد من عدم حدوث اختراق غير مشروع للرجال والأسلحة والمعدات الأخرى عبر الحدود اللبنانية.

وفي ١٩ يونيو ١٩٥٨ قدم فريق المراقبين الدوليين تقريرا الى همرشولد؛ أوضح فيه انه بعد إقامة مراكز دائمة للمراقبة ودوريات منتظمة، أقر بوجود تحركات وتجمعات داخل الحدود اللبنانية في أماكن مختلفة، ولكن لم يكن من المستطاع تحديد من أين أتى السلاح! أو ما إذا كان هؤلاء المسلحون قد تسربوا من خارج لبنان! ومن المؤكد أن أغلبية هؤلاء لبنانيون.

وفي ١٥ يوليو ١٩٥٨، عقد مجلس الأمن جلسة طارئة - بناء على طلب الولايات المتحدة- لتبرير غزو قواتها للبنان، واحتلال القوات البريطانية للأردن؛ وذلك طبقا للحظة التي سبق أن وافق عليها أيزنهاور.

—  
(١) المرجع السابق.

ولقد بنت الولايات المتحدة موقفها في مجلس الأمن على خطورة الوضع في الشرق الأوسط عقب ثورة العراق في ١٤ يوليو ١٩٥٨، وبناء على طلب شمعون - بتأييد حكومته - المساعدة من الولايات المتحدة؛ للحفاظ على استقلال لبنان ووحدة أراضيه!

وإن الحكومة الأمريكية تؤيد هذا الطلب العاجل، وستظل قواتها في لبنان الى أن تتولى الأمم المتحدة الأمور هناك.

أما بالنسبة لاحتلال الأردن، فقد أوضح ممثل الحكومة الأمريكية في مجلس الأمن - كابوت لودج - أن المؤامرات ضد الأردن كانت أيضا علامة على عدم الاستقرار الخطير في العلاقات بين دول الشرق الأوسط.

وعلى الفور قدم ممثل الاتحاد السوفيتي في الأمم المتحدة - أركادري سوبوليف - مشروع قرار؛ يدعو مجلس الأمن الى الضغط على الولايات المتحدة؛ لكي توقف التدخل العسكري من جانب القوى الغربية، وتخرج قواتها فورا من الأراضي اللبنانية.

ومن جانبه أكد ممثل ج ع م في الأمم المتحدة - عمر لطفى - أن التدخل العسكري الأمريكي في لبنان جعل الموقف أكثر خطورة، وأن المادة ٥٠ من ميثاق الأمم المتحدة لا تسمح بمثل هذا التدخل، وانتقد قيام الولايات المتحدة بهذا الغزو العسكري بقرار من جانب واحد، أثناء قيام مجلس الأمن بمناقشة الأزمة. ولقد كان من الواضح أن قيام الثورة العراقية هو الذي دفع الولايات المتحدة لأن تتخذ القرار الخطير بالتدخل في لبنان عسكريا!

وفي ١٧ يوليو ١٩٥٨ تقدمت المملكة الأردنية الهاشمية بشكوى الى مجلس الأمن ضد ج ع م؛ تدعى فيها تدخلها في شئونها الداخلية!

أما مندوب المملكة المتحدة - سير بيرسون ديكسون - فقد قال: إن حكومته ليس لديها أدنى شك؛ أن هناك محاولات حديثة تجهز لقلب النظام في الأردن، ولخلق اضطرابات داخلية فيه، وعلى ضوء هذه المعلومات، قامت تحركات لقوات سورية تجاه الحدود الشمالية للأردن. وأكد المندوب الأردني أن طلب الأردن للمساعدة من الحكومات الصديقة للمحافظة على استقلالها، كان أمرا طبيعيا ومبررا في هذه الظروف.

لقد تم إرسال القوات البريطانية الى الأردن عن طريق الجو؛ للمحافظة على سلامة أراضيه، وأن وجود هذه القوات لا يشكل تهديدا لأي بلد آخر في منطقة الشرق الأوسط، وأن هذه القوات سيتم

سحبها من الأردن حالما يتمكن مجلس الأمن من إجراء ترتيبات لحماية الحكومة الشرعية في الأردن من التهديد الخارجي، وللمحافظة على السلام والأمن.

وقد أعلن لودج أن حكومة الولايات المتحدة تساند التدخل العسكري البريطاني في الأردن.

إذن لقد نفذت الخطة المشتركة بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لغزو كل من لبنان والأردن، ثم العمل على تغطيتها داخل الأمم المتحدة؛ على أساس أن التدخل العسكري تم بناء على طلب من كلتا الحكومتين لمواجهة تهديد خطير على استقلال كل من الدولتين وسلامة أراضيها من جانب ج ع م. وقد تُركت مدة الاحتلال مفتوحة ومشروطة؛ بتناول الأمم المتحدة للقضية، وسيطرتها على الموقف.

تدخل مندوب الاتحاد السوفيتي، مؤكداً على أنه لا يوجد أي تهديد للأردن، وأن الغزو العسكري البريطاني يثبت أن هناك مؤامرة بين المملكة المتحدة والولايات المتحدة ضد شعوب الشرق الأوسط المحبة للسلام، وبصفة خاصة ضد حركات التحرر للشعوب العربية.

وقد قدم مندوب الاتحاد السوفيتي مشروع قرار؛ يدعو المجلس بمقتضاه الولايات المتحدة والمملكة المتحدة إلى إيقاف التدخل العسكري في الشؤون الداخلية للدول العربية، وإلى سحب قواتها فوراً من أراضي لبنان والأردن.

أما مندوب ج ع م فقد قال: إن الشكوى الأردنية كان من الواضح أنها حجة للتدخل البريطاني؛ فلم تقم أي دولة بتهديد الأردن.

وفي ١٨ يوليو ١٩٥٨، تم استخدام الفيتو عدة مرات؛ في مواجهة مشاريع القرارات التي قدمت إلى مجلس الأمن من جانب كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي والسويد.

وفي ٣٠ يوليو ١٩٥٨ قدم فريق المراقبة التابع للأمم المتحدة تقريراً آخر يغطي نشاطه وملاحظاته على الحدود اللبنانية في الفترة من ٢ - ١٥ يوليو. وقد وصف التقرير تأثير نزول القوات الأمريكية في منطقة بيروت، وعلى السكان في المناطق المقابلة، حيث كان يصل المراقبون الدوليون. وأقر التقرير في النهاية أن تسريب السلاح المحتمل، لا يمكن أن يكون إلا في نطاق ضيق ومحدود في أسلحة صغيرة وبعض الذخيرة.

أما فيما يتعلق بالتسريب غير القانوني للأفراد على الحدود، فإنه يحدث من الجانبين، بطريقة طبيعية بسبب امتداد القبائل عبر الحدود.

وقد أعلنت الأردن إنهاء "الاتحاد العربي" مع العراق من أول أغسطس ١٩٥٨، كما أعلنت إنهاء دستور الاتحاد، وأصبح ممثل الاتحاد العراقي - هاشم جواد - يمثل فقط جمهورية العراق في الأمم المتحدة، وتم قبول أوراق اعتماده من همرشولد في ٦ أغسطس ١٩٥٨.

وفى ١٨ يوليو قدم الاتحاد السوفيتى اقتراحا لعقد جلسة طارئة للجمعية العامة، إلا أنه إزاء فشل محاولات اجتماع رؤساء الحكومات المعنية - الذى سبق أن اقترحه خروشوف - اجتمع مجلس الأمن فى ٧ أغسطس بناء على طلب الاتحاد السوفيتى؛ ووافق بالاجماع على مشروع قرار الولايات المتحدة بعد تعديله.

وبناء على هذا القرار؛ يقر المجلس أنه نظرا لانعدام الاتفاق بين أعضائه الدائمين - ضمن عوامل أخرى - مما أدى الى منعه من ممارسة مسؤولياته للمحافظة على السلام والأمن الدولى؛ قرر أن يدعو الى جلسة طارئة خاصة للجمعية العامة.

#### ب- الجمعية العامة:

عقدت جلسة خاصة طارئة فى ٨ أغسطس ١٩٥٨؛ بناء على قرار مجلس الأمن السابق ذكره وقد عقدت الجمعية العامة ١٥ جلسة فى الفترة من ٨ - ٢١ / ٨. وفى التاريخ الأخير، تمت الموافقة الاجماعية على قرار يحث السكرتير العام للأمم المتحدة على تسهيل انسحاب القوات الأجنبية من لبنان والأردن.

وفى ٢٥ أكتوبر قدم همرشولد تقريرا؛ أن قوات الولايات المتحدة قد أتمت انسحابها من لبنان، كما انسحبت القوات البريطانية من الأردن فى ٢ نوفمبر، وأتم فريق الملاحظين التابع للأمم المتحدة انسحابه من لبنان فى ٩ ديسمبر ١٩٥٨ (١).

وختاما.. فإن ناصر خرج منتصرا من هذه الأزمة الخطيرة، واتسعت دائرة القومية أكثر بين الشعوب العربية، وتعمقت جذورها. فأولا.. كذّبت بعثة الأمم المتحدة الى لبنان ادعاءات حكومة شمعون؛ بقيام ج ع م بأنشطة هدامة على الحدود اللبنانية، أو أنها قامت بتهريب أشخاص أو أسلحة عبر حدودها وكذلك لم يستطع الأردن إثبات اتهاماته الموجهة الى ج ع م بتهريب متمردين داخل حدوده.

ومن جانب آخر، فإنه وإن كان مخططا للاحتلال الأمريكى للبنان والبريطانى للأردن أن يستمر لأجل غير مسمى (٢) ، إلا أن كلتا الدولتين اضطرتا الى سحب قواتهما من المنطقة، بعد أقل من أربعة أشهر، تحت الضغط الدولى والعربى!



—

(١) Year Book of the United Nations ,1958 , Lebanon Crises.

(٢) Memo. of a Conversation, Dept. of State, Washington, July 17, 1958, Duration of US  
stay in Lebanon

وحول مهمة همرشولد التي أنيط بها من قبل الأمم المتحدة، لإنهاء الأزمة، قال ناصر: "وماذا يستطيع همرشولد أن يفعل؟ إن المشاكل ليست بين الملك حسين، ج ع م، إنما المشاكل الحقيقية هي ما بين الملك حسين وشعبه أولاً، ثم كان احتلال بريطانيا للأردن ثانياً؛ نتيجة خوف الملك من شعبه، واستنجاهه بجنود المظلات البريطانية! لذلك قلت: ماذا يستطيع همرشولد أن يفعل في الأردن؟ هل يستطيع التوسط بين القصر والشعب؟!"

لقد أعرب ناصر عن أمنيته أن ينجح كل مسعى تقوم به الأمم المتحدة؛ لإقرار الحق والسلام. ولكن المشكلة في مهمة همرشولد هي أنه فرض عليه أن يعمل في فراغ؛ ذلك أن التهم التي نسجها الاستعمار من خياله؛ حول وقوع عدوان مباشر أو غير مباشر من جانب ج ع م على لبنان والأردن، أمر ثبت أن لا حقيقة ولا أصل له. ولقد حققت الأمم المتحدة بالنسبة للبنان، وأكدت تقارير مراقبي الأمم المتحدة، أنه ليس هناك أى تدخل من جانب ج ع م ...

إن المشكلة الحقيقية في الشرق العربي، هي تدخل الاستعمار المستمر في أموره، وإصراره على أن يعيده إلى مناطق النفوذ التي تتمر عليها" (١).

---

(١) حديث ناصر مع الصحفى الهندى كارانجيا، رئيس تحرير صحفية "بليتزر"، ٢٨/٩/١٩٥٨.

## الفصل الثالث

### أزمة ناصر مع خروشوف

فى الوقت الذى كانت تسعى فيه الحكومة الأمريكية الى تحسين علاقاتها مع ناصر, بدأت تلوح فى الأفق بوادر أزمة بينه وبين خروشوف!

#### أولاً: محاولات أيزنهاور للاقتراب من ناصر:

أرسل أيزنهاور مبعوثاً الى منطقة الشرق الأوسط فى أوائل أغسطس هو روبرت مورفى, وقابل ناصر أثناء هذه الجولة, فوجده غاضباً من الموقف الأمريكى إزاء أزمة احتلال لبنان والأردن. وقد حاول مورفى أن يوضح أن زيارته للقاهرة هى دليل على رغبة أيزنهاور ودالاس؛ للعمل بالتعاون مع ج ع م لحل مشاكل الشرق الأوسط, إلا أن ناصر أكد أنه بالنسبة اليه؛ تظل اسرائيل هى لب المشاكل فى علاقة الولايات المتحدة مع العالم العربى.

وعندما سأل مورفى.. هل القومية العربية لها حدود جغرافية نهائية؟! أجابه ناصر؛ أنه ليس لديه طموحات ليرأس إمبراطورية متسعة! وأن ج ع م لا تضغط على الدول العربية الأخرى للانضمام للوحدة العربية. إن السبب الأساسى للوحدة العربية هو الرغبة فى تحقيق الأمن الجماعى, فإنه من الصعب على الدول العربية الصغيرة أن تقف وحدها؛ فمصر دولة ضعيفة, وسلامتها تكمن فى الوحدة العربية.

وبخصوص تحسين العلاقات بين ج ع م والولايات المتحدة - الذى سعى اليه أيزنهاور - قال ناصر: "إن الصعوبة الملحة أن نعرف ماذا تريد الولايات المتحدة حقيقة فى المنطقة. إنها تتكلم دائماً عن السلام والاستقرار, ولكن ماذا تقصد حقاً؟! هنا رد مورفى؛ "لا نريد سيطرة سوفيتية".

انطلق ناصر محللاً السياسة الأمريكية التى هدفت الى التقسيم بين الدول العربية, وكيف أنها كانت ضد مصلحة أمريكا ذاتها! ولمزيد من التحديد, فإن علاقات ج ع م مع الولايات المتحدة كانت مبشرة بالخير, الى أن ساندت حلف بغداد؛ الذى كان يعادى سياسة الدفاع الجماعى للمنطقة, الذى اعتبرته مصر أساسياً؛ حتى تتمكن الدول العربية من أن تلعب دوراً دولياً فعالاً, مبنياً على الكرامة والمساواة. وفى هذا الإطار رأى ناصر أن أى حلف بقيادة دولة كبرى, هو نوع من السياسة الهدامة.

وكان من رأى ناصر أنه وإن أدت أحداث خريف ١٩٥٦ الى تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة لعدة أشهر، إلا أن ذلك انتهى بمبدأ أيزنهاور، الذى أعلن فى بداية ١٩٥٧، ونظرت اليه مصر على أنه صُمم ليعزلها!

أما بالنسبة للأزمة الأخيرة فى المنطقة، فقد أشار ناصر الى أن أسباب الصراع بين ج ع م والولايات المتحدة قد تكون نتيجة للثورة العراقية، وحل الأزمة اللبنانية، والأمل لتحسين العلاقات مع المملكة السعودية، ولكن المشكلة الاسرائيلية تظل قائمة (١).

وقد اتخذت الحكومة الأمريكية إجراءات عملية لتحسين العلاقات مع ج ع م أهمها؛ منح مساعدات اقتصادية وعسكرية بموافقة أيزنهاور، إلا أنها أسفت لقيام ناصر بانتقاد سياسة الولايات المتحدة تجاه الصين فى ٣ سبتمبر ١٩٥٨، وخاصة اتهامه لها بالقيام باعتداءات على الشيوعيين الصينيين (٢).

ورغم ذلك ظل الإصرار الأمريكى على تحسين العلاقات مع ج ع م، فأرسل أيزنهاور - وليم راونترى وكيل وزارة الخارجية الأمريكية المساعد لشئون الشرق الأوسط- لمقابلة ناصر فى القاهرة، وفاتحه فى الرغبة الصادقة للحكومة الأمريكية لتحسين العلاقات بين البلدين.

وأثناء اللقاء رجع ناصر الى الفترة المبكرة من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، حين كان الضباط الأحرار لديهم توقعات كبرى بالنسبة للولايات المتحدة! وهو وإن أقر بالاعتراف بالجميل فى بعض الفترات، عندما تلاقت المصالح بين الدولتين، إلا أن التدهور التدريجى بدأ بطريقة أدت الى الاعتقاد أن الولايات المتحدة هى أساسا معادية للجمهورية العربية المتحدة، وأنه شخصيا بدأ ينظر بالشك لدوافع السياسة الأمريكية!

وفيما يتعلق بالشيوعيين فى مصر، قال ناصر: إنه فى بداية حياته العملية اتصل به الشيوعيون، الذين رغبوا فى أن يستخدموه لاختراق الضباط الأحرار! وفى ذلك الوقت درس كل الكتب حول الموضوع، ولكنه قرر أن الشيوعية ليست له؛ لأنه يعتز بدينه، ولا يستسيغ العنف، ولم يرغب أن يرى الشعب المصرى يتحرر من شكل من العبودية لى يستبدله بآخر!

(١) Tel. from the Embassy in Ethiopia to the Dept. of State, Addis Ababa, Aug. 8, 1958.

(٢) Memo. of a Conversation, Dept. of State, Washington, Sept.4, 1958, US – UAR Relations.

وقد تحدث ناصر عن اعترافه بالصين في ١٩٥٦، ثم كيف أثار خروشوف موضوع العلاقات بين ج م والولايات المتحدة، عندما كان ناصر في موسكو من ٢٩ ابريل - ١٦ مايو ١٩٥٨. وهنا قال ناصر لخروشوف: إن الحكومة الأمريكية تستطيع أن تفهم حياد ج م، ثم أشار الى أنه لا يعتبر علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفيتي يجب أن تتطلب علاقات غير صديقة مع دول أخرى!

وذكر ناصر أنه ظل ثابتاً على مبادئ محددة منذ تولى نظامه؛ وهي الاستقلال، الكرامة، القومية العربية. وإن فكرة الوحدة لا تحتم بالضرورة الوحدة السياسية؛ فهذه ممكن أن تحدث فقط عندما يتوفر الإجماع في الرأي بين الشعوب، ولكنها ليست أساسية. إن ما هو ضروري أن يكون هناك تضامناً عربياً(١).

وكان تعليق راونترى على مقابله مع ناصر؛ أنه يظهر قلقاً حقيقياً بخصوص الاختراق الشيوعي في الشرق الأوسط، كما أنه قدر لأيزنهاور تجاوبه معه بخصوص إرسال شحنة القمح بعد ٢٤ ساعة من طلبه لها، موضحاً أنه يريد أن يعمل مع الولايات المتحدة بخصوص العراق، فهو قلق من النفوذ الشيوعي مع قاسم.

وقد اقترح راونترى لأيزنهاور أن تعمل الحكومة الأمريكية مع ناصر بخصوص الموقف العراقي، وأن يرسل تلغرافاً الى ناصر يشكره، ويوضح أنه نقل حديثه الى أيزنهاور.

وجرى الحوار الآتي بينه وبين راونترى ..

**أيزنهاور:** هل كلام ناصر تضمن أنه في لقاء هذا التعاون، سيحدد ثمننا في صورة عمل ضد إسرائيل؟

**راونترى:** لقد ذكر ناصر ذلك عدة مرات كمشكلة خطيرة، ولكنه وضعها جانباً بدون أن يقترح إجراء محددًا.

**أيزنهاور:** إذا لم يكن وجود إسرائيل، كان من الممكن أن نعمل مع ناصر؛ فهو يستطيع أن يعارض الشيوعيين أكثر من الولايات المتحدة، في الصراع الدائر في الشرق الأوسط. إن إسرائيل متململة بلا شك، إزاء موقف نقدم فيه مساعدة مفتوحة لناصر، ولكني أشعر أنه ممكن عمل شيء؛ إذا وافق ناصر على تجاهل المشكلة الإسرائيلية .

(١)Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Dec. 15, 1958.

راونترى: توجد ثلاث مجموعات أساسية فى العراق؛ الشيوعيون، القوميون المؤيدون لقاسم، القوميون الذين يفضلون الوحدة مع ج ع م. ويجب أن يوجه مجهود الولايات المتحدة الأساسى الى لقاء المجموعتان القوميتان؛ وهذا ممكن أن يحدث إذا قرر ناصر أن الوحدة بين ج ع م والعراق مستبعدة (١).

ولقد صاحب محاولات الحكومة الأمريكية للتقارب مع ناصر، إدراك أنه مازال يشعر بمشكلة أساسية فى العلاقات مع الولايات المتحدة؛ وهى انعدام الثقة فى أنهم لن يستغلوا المشكلة مع الشيوعيين ويطعنوه فى الظهر!

وهنا يظهر عامل هام؛ وهو ليس فقط ما تفعله الولايات المتحدة، ولكن ما يقوم به حلفاءها البريطانيين والفرنسيين!

وفى النهاية اقترح ناصر.. أن أحسن شئ سيكون نسيان الماضى، وفتح صفحة جديدة(٢).  
إذن هذه الفترة شهدت تلاقى إرادتين - ناصر وأيزنهاور - فى العمل سويا فى الشرق الأوسط، وبداية مرحلة جديدة فى التعاون بين البلدين أساسا ضد الشيوعية، وإن نبه ناصر الى علاقة الصداقة التى تربط ج ع م بالاتحاد السوفيتى، وأنها لا تمنع هذا التعاون.

**ثانيا: بداية الأزمة مع خروشوف:**

**١- ناصر يهاجم الحزب الشيوعى السورى:**

كان ذلك عندما هاجم ناصر الحزب الشيوعى السورى فى خطابه الجماهيرى فى عيد النصر ببورسعيد فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨: " قامت الرجعية ضد الوحدة، وقام الحزب الشيوعى فى سوريا بعمل ضد الوحدة وضد القومية العربية، ولكن قوتكم وقوة الشعب العربى فى سوريا جعلتهم يدخلون فى الجحور، ويهربون من مواجهة الشعب، وقامت الوحدة، وأجرى الاستفتاء، وكان هناك اجماع من الشعب العربى عليها ...

واليوم.. بعد عشرة شهور من الوحدة، ونحن فى أول الطريق لبناء المجتمع الذى ترفرف عليه الرفاهية - المجتمع التعاونى الديمقراطى الاشتراكى - وقد أعلننا أننا فى هذا نتبع سياسة عدم الانحياز ... بدأت الألاعيب ضد الوحدة، وبدأت المظاهر الاستعمارية ومن أعوان الاستعمار والصهيونية تعمل ضد الوحدة...

(١)Memo. of a Conference with the President, White House, Washington, Dec. 23, 1958.

(٢)Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Nov. 7, 1958.

إننا فى هذه الأيام, ومنذ قامت الوحدة, أعلننا أن الأمة يجب أن تكون اتحادا قوميا, يجب أن نوحّد جهودنا ضد الصهيونية والاستعمار, ولن نستطيع أن نحاربها إذا كنا نحارب أنفسنا! ولكن الحزب الشيوعى فى سوريا رفض هذا, وأعلن أنه لا يقبل أن يتحد مع الأمة فى وحدة قومية وفى اتحاد قومى... بل رفض أيضا القومية العربية والوحدة العربية, وأعلن بعض أفرادها فى الأسبوع الماضى؛ أنهم ينادون بالانفصال!...

إننا بوحدتنا التى آمنّا بها.. بوحدة هذا الشعب, سنقاوم كل من يعمل ضد الوحدة والقومية العربية...

إننا لا نقبل أن تكون بلادنا يتحكم فيها رأس المال أو الاقطاع, وقلنا: إن لنا مذهباً اجتماعياً يتلاءم مع ظروفنا, ومع ديننا وطبيعتنا؛ المجتمع الاشتراكى الديمقراطى التعاونى. وقلنا: إننا لا نريد أن نحولكم جميعاً الى أجزاء, ولكننا نريد أن نمكّن أبناء هذه الأمة؛ ليكونوا ملاكاً فى دولة يتعاون فيها الجميع".

أثار خطاب ناصر هذا موسكو, وبدأ الشيوعيون هجومهم على الجمهورية العربية المتحدة؛ بهدف إفشال الوحدة, التى كانت ضد مصالحهم.

## ٢- جذور العداء بين ناصر والحزب الشيوعى السورى:

لقد فوجئ الحزب الشيوعى فى سوريا بقيام ج ع م, وكان معنى قيام الوحدة أنه فى سوريا - كما حدث فى مصر قبلها - سيقوم اتحاد قومى يجمع كل القوى الوطنية. لقد كان معنى ذلك ليس فقط أن فرصة للعمل ضاعت على الحزب الشيوعى, وإنما الأحزاب جميعاً كان عليها أن تحل نفسها؛ لتنظيم كل القوى الوطنية داخل اطار "الاتحاد القومى" (١).

وكان الحافز الجديد الذى أعاد الى الحزب الشيوعى السورى نشاطه فى مناوأة الوحدة ومعارضتها؛ هو ثورة العراق. لقد وقف الشيوعيون مع القوى الوطنية يؤيدونها, ثم تحركت المنظمات الشيوعية المحلية الى العمل؛ خوفاً من أن يتكرر فى بغداد ما حدث قبله فى دمشق.

هكذا بدأ الشيوعيون العراقيون في معركة ضد القوى الوطنية، وكان الهدف الأول الذي اتجه إليه الهجوم؛ هو فكرة الوحدة. ونشط بالتالي الحزب الشيوعي السوري؛ ليتخذ نقطة بداية يحاول أن يسترجع بها في دمشق ما كان قد ضاع منه (٢).

(١) تنظيم سياسي واحد نشأ في مايو ١٩٥٧.

(٢) هيكل، "مسألة عقائد"، بصراحة، الأهرام، ١٠/١٩٥٩.

### ٣- موقف ناصر من الشيوعية في ج ع م :

كتب ناصر بخط يده في أوراقه الخاصة تقدير موقف عن الشيوعية في ج ع م بتحليل المشكلة .. أن الشيوعيين يتبعون سياسة معادية للحكومة في ج ع م؛ سواء في الاقليم الجنوبي أو الشمالي. وتتخلص هذه السياسة في استغلال العلاقة مع الاتحاد السوفيتي؛ لتوسيع نشاط الحزب الشيوعي في مصر وسوريا، وتأييد السياسة الخارجية، والتأكيد على صداقة الاتحاد السوفيتي.

وقد حاولت الأحزاب الشيوعية في ج ع م اشراك القاعدة الجماهيرية في نشاط الحزب الشيوعي؛ أساسا بين العمال والفلاحين والطلبة. بالإضافة الى العمل على تأليب الجماهير على الحكومة؛ وذلك باثارة المشاكل الداخلية، ونقد كل أعمال الحكومة، وفي نفس الوقت بث الاشاعات.

وقد اتفق الحزب الشيوعي في مصر مع الأحزاب الشيوعية في سوريا والعراق، وتبنوا سياسة ضد الوحدة ومهاجمتها، والدعوة الى اتحاد فيدرالي، وتعدد الأحزاب، وتشكيل جبهة وطنية تشمل الحزب الشيوعي؛ حتى يجدوا الفرصة للسيطرة على التنظيمات الشعبية.

وقد وحدوا نشاط الحزب الشيوعي في سوريا والعراق، وبدأوا يعملون بخطة موحدة ضد وحدة العراق مع ج ع م، وضد وحدة سوريا مع مصر، كما هاجموا الاتحاد القومي بكل قوة؛ على أساس أنه حزب البرجوازية الدكتاتورية!

وقد قسموا الاقليم السوري الى مناطق ومسئوليات، ولهم صحيفة "النور" وهي عبارة عن دعاية سافرة للاتحاد السوفيتي.

إنهم يواجهون القومية العربية بحرب مضادة؛ كخلق القومية الكردية، والبعد عن فكرة القومية الى فكرة الوطنية.

وكان هناك اتصالا بين الشيوعيين في العراق وسوريا ومصر، والشيوعيين اللاجئين من الأردن؛ وكلهم يجمعهم مخطط واحد. وتتجه فكرتهم الى أن تنضم الأردن في المستقبل الى العراق، ومحاربة أي انضمام الى ج ع م؛ وبذلك تكون السبل ميسرة لضم سوريا بعد ذلك؛ فتكون العراق والأردن وسوريا دولة شيوعية موحدة؛ إما فيدرالية أو بطريقة أخرى.



وفى غزة، فإن النشاط الشيوعي كان متصلا بالنشاط فى مصر.  
وفى مصر اتجه النشاط الى الريف بطريقة مركزة، بالاضافة الى النشاط فى أوساط العمال  
والنقابات.

وكتب ناصر.. "العمل لمواجهة الموقف"؛ ضرورة كشف نشاط الشيوعيين، والحصول على  
معلومات عنهم، ومواجهة هذا النشاط بنشاط من الاتحاد القومى؛ على مدى واسع مركز. وكذلك  
عمل منشورات لكشف خطتهم ضد القومية العربية والعمل للشيوعية الدولية، وجمع بيانات نهرو  
وتصريحاته ضد الشيوعية، ونشرها.

وبالنسبة للإجراءات التى رأى ناصر اتخاذها فى مصر ضد الشيوعيين، فقد شملت؛ اعتقال  
العناصر الشيوعية النشيطة والمتفرغة، واعتقال العناصر التى تعمل وسط العمال، واخراج العناصر  
الشيوعية من النقابات العمالية فى مدى ستة أشهر، واعتقال العناصر التى نشطت فى الريف.  
وكذلك تطهير الصحافة من الشيوعيين المنظمين، وضبط الأجهزة الفنية التى تطبع المنشورات  
للحزب، والبحث فى اعتقال اللجنة المركزية أو بعض أعضائها.

وبالنسبة لسوريا تتخذ الاجراءات الآتية؛ إيقاف صحيفة "النور" الشيوعية، والتضييق على  
النشاط المكشوف، واعتقال العناصر النشيطة، والتضييق على نشاط الأردنيين والعراقيين.  
وفى غزة .. التضييق على الشيوعيين فى العمل.

#### ٤- تدهور العلاقات بين ج ع م والعراق:

وهنا يثور التساؤل.. ما الذى قلب الأمور مع ثورة العراق وزعيمها عبد الكريم قاسم؟  
وأفضل هنا أن أجعل ناصر يتحدث بنفسه.. "بعد الثورة فى العراق، بدأت علاقتنا بالحكومة  
الجديدة بداية طيبة، ووصلنا الى اتفاقيات عسكرية واقتصادية وثقافية؛ تشد التعاون بيننا وتربطه.  
ولكن هناك سياسات أجنبية لا تريد أن ترى الوفاق سائدا بين بغداد والقاهرة، والسياسة البريطانية على  
رأس القائمة فى هذه السياسات، ولكنى واثق أن كل هذه المحاولات لخلق أسباب سوء التفاهم  
وافتعالها؛ لن تأتى بنتيجة، وسيظل يقينى دائما هو أنه من المحتم على القاهرة وبغداد أن تعملان جنبا  
الى جنب، من أجل كفاح العرب جميعا" (١).

(١) حديث ناصر مع ودرو ويات، الاذاعة البريطانية، ١٩٥٩/١/٢٧.

لقد ذهب الى ناصر وفدا من العراق بعد قيام ثورتها بثلاثة أيام - أى فى ١٧ يوليو ١٩٥٨ - برئاسة عبد السلام عارف؛ الرجل الثانى فى الثورة، الذى طلب توقيع ميثاق دفاع مشترك، ووقع الميثاق كما طلبوه؛ على أن يكون عسكريا واقتصاديا وثقافيا. كما طلبوا سلاحا وذخيرة، وكان لدى مصر من غنائم قاعدة قناة السويس من الأسلحة البريطانية، ما يصلح للجيش العراقى.

وبدأت السفن تتحرك من السويس الى اللاذقية تحمل الذخيرة الى العراق، وكانت سيارات الجيش العراقى وسيارات الجيش الأول السورى تصنع خطا متصلا لا ينقطع من اللاذقية الى بغداد! كما طلب العراقىون طائرات بطياريتها؛ ليكونوا تحت تصرف القيادة فى بغداد، وطلبوا شبكة رادار، وكل ذلك وصل على الفور اليهم.

دب الشقاق والخلاف بعد عدة أيام بين عبد الكريم قاسم ونائبه وشريكه فى الثورة - عبد السلام عارف - واشتعلت الغيرة بينهما! وقال قاسم: "إن عبد السلام عارف ينسب الثورة لنفسه؛ لأنه هو الذى قام بتنفيذها، وينسى فى ذلك أننى قائد الثورة!"

ثم تطور الخلاف بين قاسم وعارف، حتى كان اليوم الذى أعفى فيه عارف من منصب القائد العام للقوات المسلحة. ولقد استعان قاسم ضد خصمه بالاستعمار والحزب الشيوعى والانتهازيون (١)!

#### ٥- تصاعد الخلاف بين ناصر وخروشوف :

ظهر ذلك فى مناسبة المؤتمر ٢١ للحزب الشيوعى السوفيتى بقصر الكريملين، فى ٢٧ يناير ١٩٥٩ عندما قال خروشوف: "إن هناك وجهات نظر متباينة بين الروس وبعض زعماء ج ع م، ولكن هذا لا يؤثر على العلاقات الودية بين بلادنا، وكفاحنا المشترك ضد الاستعمار. إننا لا نستطيع أن نظل نلزم الصمت أمام الحملة التى نظمت فى بعض بلاد ضد التقدميين؛ تحت ستار مقاومة الشيوعية الزائف.

ولما كانت قد صدرت أخيرا بيانات ضد الآراء الشيوعية فى ج ع م، واتهامات وجهت ضد الشيوعيين؛ فإنى - بوصفى شيوعيا - أرى أنه من الضرورى أن أعلن فى هذا المؤتمر الذى يعقده حزينا الشيوعى؛ أن من الخطأ اتهام الشيوعيين بالقيام بأعمال تساعد على الاضرار بالجهد القومى،

وبث الفرقة فى الكفاح ضد الاستعمار، فإن العكس هو الصحيح؛ لأنه ليس هناك بين الناس من هم أشد عزمًا فى الكفاح ضد المستعمرين من الشيوعيين أنفسهم".

(١) هيك، "سيادة الزعيم الاوحد.. كلام صريح وأمين موجه الى اللواء عبد الكريم قاسم رئيس وزراء العراق"، بصراحة، الاهرام، ١٩٥٩/١/٢٧.

واستطرد خروشوف قائلا: "إن قادة العرب المبرزين؛ أمثال الرئيس جمال عبد الناصر، واللواء عبد الكريم قاسم - رئيس وزراء العراق - قد كسبوا عطف الشعب السوفيتى الحار". وقال: "إنه يوجد أكثر من ٣٢ مليوناً أعضاء فى الأحزاب الشيوعية فى ٨٣ دولة، ونفى أن يكون الاتحاد السوفيتى هو الذى يوجه الأحزاب الشيوعية الأجنبية.

لقد كان خطاب خروشوف له مغزى ومعان؛ أثرت بلا شك على العلاقات بين ج ع م والاتحاد السوفيتى.

فبالنسبة للخلاف العقائدى بين الدولتين، فلا أحد يستطيع انكاره، بل لقد كان هذا الخلاف - واستمر من القسّمات الواضحة التى تميز الصداقة بين البلدين. وقد سبق وأن قال ناصر فى خطاب له فى اجتماع الصداقة العربية - السوفيتية، فى مايو ١٩٥٨: "إن الصداقة بين شعبينا نموذجاً رائعاً للتعايش السلمى بين الدول. إنها صداقة بين بلد صغير وبلد كبير.. صداقة بين بلد له نظام اجتماعى وبلد له نظام اجتماعى آخر يختلف تمام الاختلاف، ومع ذلك فإن العلاقات بينهما دائماً كانت على قدم المساواة.

وكان - من رأى ناصر - وهو ما تقرر فى باندونج، والذى تقبله الاتحاد السوفيتى ووافق عليه - أن كل شعب حر فى اختيار الأنظمة التى تلائمه، وأن التعايش السلمى بين الأنظمة السياسية والاجتماعية، وامتناع كل دولة عن التدخل فى الشؤون الداخلية لأى دولة أخرى؛ هى الأسس المتينة لعلاقات دولية مستقرة.

ولقد أغفل خروشوف فى خطابه؛ أن الاتهام الذى وجه فى القاهرة لم يوجه للشيوعية كفكرة، ولا الى الشيوعيين عموماً. لقد كان الاتهام موجهاً الى أفراد حزب شيوعى بالذات، يمارس نشاطه فى ج ع م؛ ذلك هو الحزب الشيوعى السورى (١).

إذن أصبح فى هذا الصراع أطراف عدة؛ الحزب الشيوعى السورى، الشيوعيون العراقيون، عبد الكريم قاسم فى العراق، وناصر، وأضيف اليهم أيضاً الشيوعيون المصريون!

لقد وجد ناصر نفسه فى موقف لا يحسد عليه؛ فقد أصبح خصماً للشيوعية ودارت بينها معارك فى الصحافة والاذاعات، وهو فى نفس الوقت عدو للغرب الذى يهاجمه إعلامياً بشراسة! ومثل على ذلك المحطات الموجهة ضده؛ مثل "صوت الاصلاح" و"صوت مصر الحرة"، وكذلك

الإذاعة البريطانية ورايو باريس، "وصوت لبنان"؛ الذى تسيطر عليها بريطانيا، هذا بالإضافة الى الحملات المضادة لـ ج ع م فى الصحافة البريطانية والفرنسية.

(١) هيك، " عتاب من خروشوف وعتاب على خروشوف"، بصراحة، الاهرام، ٥٩/١/٢٩.

لقد كان من الطبيعى أن يقلق ناصر من هذا الصراع الاعلامى بينه وبين خروشوف، الذى سبق أن أعلن فى ٢٣ أكتوبر ١٩٥٨؛ أن الاتحاد السوفيتى سيقدم قرضاً بمبلغ ٤٠٠ مليون روبل الى ج ع م للمساهمة فى تمويل السد العالى، وتم فعلاً البدء فى تنفيذ المشروع فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥٩. وفى نفس الوقت كان الاتحاد السوفيتى يمول برنامج التصنيع المصرى.

إلا أن كل ذلك لم يمنع ناصر من الانتصار لمبادئه، واتباع سياسة تتبع من المصالح القومية، والاصرار على الاستقلال الحقيقى وعدم التبعية لأى من القوى الكبرى.

وقد قام خروشوف بقدر من التهذبة فى الحملة الكلامية والاعلامية المتبادلة بين الاتحاد السوفيتى وج ع م؛ فقال فى خطاب له أثناء انتخابات مجلس السوفييت الأعلى فى ٢٥ فبراير ١٩٥٩: " لقد حاولت القوى المناهضة للسلام بكافة الوسائل أن تخلق الخلافات، وتفسد العلاقات الودية التى نمت بين شعوب الاتحاد السوفيتى وج ع م للاستفادة من ذلك، ولكن تأكد أن آمالهم بدون جدوى!

إن ناصر قومى عربى، بينما أنا شيوعى سوفيتى، ومن الواضح أننا عندما نتكلم عن الناحية العقائدية، تكون أراؤنا مختلفة، وذلك أمر طبيعى.

إن الآراء التى ... فى تقريرى للمؤتمر ٢١ للحزب الشيوعى السوفيتى، قائمة على تعاليمنا الشيوعية، ولكننا لم نعتقد أبداً أن العلاقات بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ينبغى أن تؤسس على الآراء العقائدية لقادة هذه الدول؛ ففى هذه الحالة لا يمكن أن يوجد تعايش سلمى بين الدول. إن مسائل السياسة الداخلية هى من اختصاص كل بلد من البلاد وشعبها".

وفى هذه الفترة التى شهدت توتراً فى العلاقات بين الاتحاد السوفيتى وج ع م، فتحت حكومة رومانيا باب الهجرة لعدد من اليهود الى اسرائيل. وبالطبع اتخذت اسرائيل والصهيونية العالمية من هذه الهجرة مادة للدعاية؛ بقصد الاساءة الى العلاقات الودية بين رومانيا وج ع م. وقد دعا ذلك الى أن تصدر الحكومة الرومانية بياناً؛ تؤكد فيه أنها سمحت - بدافع انسانى - لعدد من اليهود ذوى الأقارب فى اسرائيل أن يلحقوا بهم!

وفى خطاب فى وفود لبنان بدمشق، بتاريخ ١٥ مارس ١٩٥٩، هاجم ناصر الشيوعيين قائلاً: " هناك فئة تحاول أن تستغل تعبئة الشعب العربى ضد الاستعمار؛ لتنفث سمومها داخل الأمة

العربية؛ لتسيطر سيطرة جديدة، ولتكون التبعية. وكانت هذه الفئة تتمثل فى الشيوعيين العرب الذين أثاروا أن يتنكروا لبلدهم ولقوميتهم، والذين رضوا أن يكونوا عملاء، والذين تسلحوا بالانتهازية ومبدأ الغاية تبرر الوساطة، وأرادوا أن يستغلوا كفاح الشعب العربى ليقوموا فى أرجاء الأمة العربية الدكتاتورية الشيوعية؛ المبنية على الدماء.

ولكن الشعب العربى حينما كان يكافح من أجل حريته واستقلاله وقوميته... [ لم يفعل ذلك]؛ ليسلم الوطن العربى الى الشيوعيين العملاء، ولتكون التبعية مرة أخرى فى جميع أرجاء الوطن العربى!

ولقد حاول الشيوعيون بكل وسيلة أن ينفذوا الى الجيش فى مصر، ولكن كنا على بينة من طريقنا، ولم نقبل الشيوعية أبدا من قبل الثورة ومن بعدها؛ لأننا كنا نؤمن برسالة خالدة هى القومية العربية، ولم نكن نستطيع أن نغير ايماننا، وأن نؤمن بالاحاد والتبعية؛ لأن الشيوعية تؤمن بالاحاد وبالتبعية...

لقد انصب حقد الشيوعيين العرب علينا فى مصر، وجابهونا بحملات كثيرة، ولكننا جابهناهم، ولم نخضع لتهديدهم ولا ضغطهم... وهم أقلية قليلة. لقد هُزم الشيوعيون، وعزلت هذه القلة، ولم تستطع أن تنتشر رسالتها بين الشعب العربى فى مصر.

وهنا فى سوريا حاول الشيوعيون أن يكرروا نفس اللعبة... ليقوموا شيوعية ملحدة مبنية على التبعية، ولكن الشعب السورى... آمن برسالته المقدسة؛ رسالة القومية العربية، وكما هُزم الشيوعيون فى مصر، هُزموا أيضا فى سوريا.. وقد هرب بعض الشيوعيين من ج ع م وهم يشعرون بالهزيمة!...

وفى يوليو الماضى قامت الثورة فى العراق... ولكن الشيوعيون الذين هُزموا فى مصر ثم فى سوريا، وجدوا لهم النصير فى بغداد... وقد أرسلت الى قاسم العراق ٤ مرات أطلب منه أن نتقابل من أجل وحدة الصف العربى، لكن مُركب النقص وعقدة العقد كانت مازالت مسيطرة عليه...

وبدأ شيوعيو بغداد مع الخونة من الشيوعيين الذين هربوا من بلدكم يوجهون الحملات لتعبئة الشعور للتفرقة بين شعب العراق وشعب ج ع م، وبدأ حكم الارهاب!

وبدوره علق خروشوف على موقف ناصر فى اليوم التالى، فى حفل الاستقبال الذى أقيم تكريما للوفد الاقتصادى العراقى فى موسكو، فى ١٦ مارس ١٩٥٩، قائلا: "لقد قوبلت الثورة العراقية بفهم وتأيد عظيمين من ج ع م... فقد كانت ضربة شديدة لمشروعات الاستعماريين. ولكن موقف الرئيس عبد الناصر من الثورة العراقية أخذ يتغير شيئا فشيئا، ونحن لا ندرك لهذا سببا... ما هو إذن تفسير موقف الرئيس عبد الناصر؟

إن هذا فيما يبدو يرجع الى عدم تحقيق أمله في اتحاد الجمهورية العراقية مع ج ع م. إن الاتحاد السوفيتي لم ولن يتدخل في شئون مثل هذه الشعوب، ولكننا لا نقف غير مباليين بموقف ينشأ في منطقة قريبة من حدودنا، ومن حقنا أن نبدي وجهة نظرنا في التطورات التي تحدث هناك... يجب أن نعترف بأننا استأننا جميعا بسبب الخطب التي القاها الرئيس جمال عبد الناصر أخيرا في دمشق، واستخدم فيها لغة الاستعماريين في حديثه عن الشيوعية والشيوعيين... لقد وصف الشيوعيين بأنهم عملاء دولة أجنبية، فهل لنا أن نسأل إذن .. من هي الدولة التي يمكن أن يقال أن الشيوعيين عملاؤها؟!

وقد يقال: وما الذي ستكون عليه علاقات الاتحاد السوفيتي مع ج ع م اليوم؟! أعتقد أنها ستكون على ما كانت عليه حتى الآن؛ وذلك لأننا كنا نعرف أراء الرئيس عبد الناصر المناهضة للشيوعية منذ أن بدأنا نبني علاقتنا الودية مع ج ع م.

يقال: إن القومية العربية فوق مصلحة الدول العربية فرادى، وفوق مختلف مصالح قطاعات الشعب في البلاد العربية ... والواقع أنه لا يمكن أن تتفق مصالح كافة العرب؛ ولهذا فان المحاولات التي تبذل في سبيل تجاهل مصالح قطاعات الشعب فرادى ومصالح الطبقة العاملة؛ تحت ستار القومية، هي محاولات لا يمكن الدفاع عنها".

وفي نفس اليوم رد ناصر على خروشوف.. "إن دفاع السيد خروشوف عن الشيوعيين في بلدنا أمر لا يمكن أن يقبله الشعب العربي، ونحن لا نتدخل في الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي، أو نساعد فئه منه ضد فئه أخرى. وإن مساندة الشيوعيين في بلدنا والدفاع عنهم؛ يعتبر تحديا لاجماع الشعب في جمهوريتنا".

وتعليقا على قول خروشوف : " إن الرئيس عبد الناصر حينما يتحدث عن الشيوعية والشيوعيين، فانه يلجأ الى لغة المستعمرين"، قال ناصر: "إن وعى شعبنا العربى بلغ من القوة بحيث يستطيع أن يعرف أن حملاتنا على الشيوعيين العملاء تهدف الى حماية وطننا من استعمار جديد، كما تهدف الى بناء بلدنا على أساس وطنى قومى متحرر من الاستعمار والتبعية... وإن مساندة السيد خروشوف للشيوعية في بلدنا هي تحد لارادة الشعب!".

وتعليقا على ما قاله خروشوف: "إن الرئيس عبد الناصر يصر على توحيد الجمهورية العراقية مع ج ع م"، قال ناصر: "إن في هذا القول تحريفا للواقع؛ لأننا أعلننا دائما أن سبيلنا هو التضامن العربى، ولا بد لقيام الوحدة من موافقة الشعب العربى موافقة اجماعية... إن الشعب العربى الذى كافح للتخلص من الاستعمار، لا يمكن أن يقبل التبعية بأى حال؛ لأنه صمم على أن يبقى مستقلا خارج مناطق النفوذ".

وتصاعد الموقف أكثر عند قال خروشوف في مؤتمر صحفى بالكرملين، في ١٩ مارس ١٩٥٩: "إن الرئيس جمال عبد الناصر قد تحمس أكثر من اللازم، ولكنه عندما هاجم الشيوعية أخذ على عاتقه مهمة ثقيلة فوق طاقته. إذا وُهب الرئيس عبد الناصر صبرا كافيا، وطبق فعلا مبدأ عدم التدخل في شئون العراق والبلدان الأخرى؛ لساعد ذلك على تحقيق الوحدة الحقيقية بين البلدان العربية!"

وفي اليوم التالي مباشرة قال ناصر في دمشق: "إننا نتسلح بنفس الأسلحة التي هزمتنا بها الاستعمار وأعوانه؛ نتسلح بنفس الأسلحة لنهزم الشيوعية والأفكار الشيوعية... سنتمكن باذن الله من أن نقضى على الشيوعية والتبعية، ولن يكون هناك استعمار جديد، بعد أن تخلصنا من الاستعمار الغربى.

فلا شعبنا؛ اجماع ضد بلدنا أبناء من قليلة فئة لينصر السوفيتية الحكومة رئيس تدخل وإذا المبادئ ونرفض مصلحتنا، فى نراها التى المبادئ نقبل وطننا، فى أحرار إننا هذا. نقبل أن يمكن من بملايين ولو أبدا، نبيعه أن لا يمكن الاستقلال على حصلنا أن وبعد والاحاد. التبعية تمثل التى !الدولارات أو الروبلات أو الجنيهات

عن نعبر بهذا نكن لم وإننا...أجنى من لا بلدنا، من القوة هذه نستمد قوتنا عن نعبر حينما إننا بوطننا. ايماننا عن نعبر ولكنا - خروشوف يقول كما - الاندفاع أو الحماس أو السن صغر

قوميتنا أجل ومن بلدنا، أجل ومن حريتنا، أجل من غضبتنا على خروشوف علق وإن وأنا مندفع! متحمس،[السن ٤١ سنة صغير رجل الناصر عبد إن: وقال ببساطة وعروبنا؛ علق متحمس كله العربى الشعب ولكن المندفع، المتحمس وحده ليس الناصر عبد إن اليوم: أقول أن أحب ونحن الكبار، المعجزات هذه نحقق أن استطعنا لما الاندفاع، هذا ولولا التحمس هذا ولولا مندفع، أنفسنا". على -الله بعد - نعتمد

#### ناصر تساند المتحدة ٦- الولايات

أن وبعد تحسينها، بغية ناصر؛ تجاه المتحدة الولايات سياسة تغيير من أشهر عدة بعد أن فيه أدركت للموقف؛ تقدير بإعادة الأمريكية الحكومة قامت خروشوف، وبين بينه الأزمة تفاقمت يغيرها. لا ثابتة مبادئ له ناصر

ولكنه وهدامة، دينية لا لأنها المبدأ؛ حيث من الشيوعية يعارض الماضى فى ناصر كان لقد دائما فهو ذلك ومع الشيوعية. والحركة السوفيتية السياسة بين التفرقة يجب أنه على يعمل دائما كان

سيهاجمهم فإنه للعرب، الداخلية الشئون فى التدخل عدم سياسة من السوفييت غير اذا أنه يرى كان الاستعمار. بسبب الغرب يهاجم كان كما بقوة

ذهب بل كلمته، على ناصر حافظ يفعلوه؛ لن أنهم ناصر توقع ما السوفييت فعل وقد أما كان بينما الشيوعية، على الحملة بمسئولية بنفسه قام أنه أى الغرب! على الماضى هجومه من أبعد والاذاعة. الصحافة فى خاصة آخرون؛ به يقوم الغرب على هجومه

يستطع لا والسوفييت، للشيوعيين قوية ضربات سدد ناصر أن الأمريكية الحكومة وأدركت تلقى الغرب أن الحقيقة عن يبعد لا أنه إلا تعقيدا، وأكثر مختلفا الدافع كان وإن يضاهاها، أن الغرب الشيوعية. لكشف متوقعة غير مساعدة

يكون أن بالضرورة تعنى لا السوفييت مع الصعوبات أن الاعتبار فى يؤخذ أن يجب أنه إلا عدم موقف على المحافظة هو السائد فالاتجاه الغرب، نحو م ع ج اتجاه على أساسى تأثير لها الانحياز.

تنحو أنها العربية القومية لحركة التقدير كان اذا بأنه الأمريكية؛ الاقتراحات جاءت هنا ومن نفس للغرب، مفيد غرض الى توجه أن ممكن الحركة هذه أن أصبح الوضع فإن التطرف، الى الشيوعية. ضد دفاع أكبر هى العربية القومية إن نفسه؛ ناصر على ينطبق التعليق

بالحكم مصر؛ فى النظام تقييم فى مخطئا كان الغرب أن الأمريكية السياسة صانعو وتدرك الحقيقى. الحياد اتباع يكون أن يجب كان بينما الغرب، مع الكامل التعاون لمقياس طبقا عليه

الأفضل ومن المصالح، تطابق أساس على ناصر مع التعاون الصعب من أنه رأوا أنهم إلا بهدف الوقت؛ ذلك فى يحدث كان ما وهو الالتزام، بدون التعاون سياسة تتبع الحكومة الأمريكية أن م. ع ج مع طبيعية علاقات عن البحث

فإن العربية؛ القومية الى العراق باستعادة يهتم ناصر أن من بالرغم أنه الملاحظة وأبدوا ستكون لسوريا المتحدة الولايات تقدمها أن ممكن مساعدة أى فإن ولذلك الأول؛ اهتمامه هى سوريا التى الأوسط الشرق فى الوحيدة الدولة هى أنها وخاصة اليه؛ المتحدة الولايات وتجذب لناصر، هامة نشاط. فيها لها ليس

عن بعيدة المتحدة الولايات تظل أن الأفضل فوجد أنه من قاسم،/ناصر للنزاع وبالنسبة إذن الشيوعيين./م ع ج أكثر المشكلة تصبح عندما تخفى الاعتبارات هذه أن العربية، إلا الخلافات فقط ليس البديل كان إذا ناصر؛ مسانده درجة الى حتى التباعد، سياسة فى التفكير إعادة يجب للشرق السوفيتى الاختراق من لمزيد الموقف هذا استغلال وإنما العراق، على الشيوعية السيطرة الأوسط.



الى م ع وج المتحدة الولايات بين العلاقات عودة سياسة بداية على سنة حوالى مرور وبعد فى نفسه يجد أن حالة فى ناصر يستغلوا لن وأنهم مخلصين، الأمريكيين أن الثقة وخلق طبيعتها، مساعدات هير تقديم إدموند اقترح ، السوفييت أو الشيوعيين مواجهة فى لوقوفه نتيجة مشاكل . م ع ج الى اقتصادية

المتحدة الولايات يهاجم عدو ناصر أن هى الهامة الحقيقة فإن بالاعلام، يختص فيما أما تركز أن فيه المرغوب من يجعل ذلك فإن وقاسم؛ ناصر بين الناشب الخلاف من يبدو وكما الأول، الصحف افتتاحيات مثل الرسمية غير المصادر طريق عن ناصر؛ على الأمريكية السياسة الأمريكية.

إن الأمريكى. الرئيس من لناصر رسالة سرية إرسال فى التفكير جرى الوقت نفس وفى هذا فى أيزنهاور من الطمأنه كلمة ولكن وحده، المعركة هذه يحارب أن فى يرغب أنه يعلن ناصر شفوية(١) صورة فى بداية تكون أن وممكن الشيوعية، ضد مركزة الرسالة تكون أن على هامة، الوقت (٠)

الجديدة. السياسة لتطبيق الوسائل لايجاد الأمريكية؛ الحكومة فى التحرك بدأ الفور وعلى لأسباب -ناصر طلب كما - الوقت ذلك فى المصرى القطن شراء إمكانية عدم من الرغم وعلى للشيوعية الحقيقى المعنى كشف فى لموقفه تقديرها عن له أعربت أنها الا المتحدة، بالولايات خاصة حكومة أن وكون الماضية. الأسابيع فى الدعاية خلال من الأوسط؛ الشرق شعوب أمام الدولية على م ع ج تفسره أن يعنى لا فإنه الموضوع، لهذا بالنسبة رسميا موقفا تتخذ لم المتحدة الولايات يُستغل اتجاه أن من خوفا ولكنه الشيوعية، ضد الشجاع ناصر لموقف احترام عدم أو اهتمام عدم أنه المعادية. العناصر بواسطة لادانتها م ع ج

قضية حول المساومة يقبل لا الذى الصلب موقفه أن ناصر يبلغ أن هير من وطُلب فى ستبدأ وأنها المتحدة، الولايات حكومة فى المستويات أعلى على به الترحيب تم قد الشيوعية، (٠) م (٢) ع ج الى المساعدات تقديم

المتحدة الولايات قدرة عدم موضوع تفهم وقد اليه. ماسبق ونقل ناصر مع الاتصال جرى عن الناتجة الأجنبية العملة أن الموضوع؛ بهذا اهتمامه سبب وأوضح المصرى، القطن شراء على العملة بينما الاقتصادية، م ع حكومة ج لخطط طبقا استخدامها الممكن من كان القطن، بيع عليها. المتفق بالمشروعات مقيدة كانت الأخرى السبل من الناتجة الأجنبية

(١)Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 1, 1959.

(٢) Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, April 2, 1959.

مشاكله يواجه أن يستطيع وأنه المتحدة، الولايات مساعدة يطلب لم أنه ناصر وأوضح المعونة (١) السوفييت سحب إذا الموقف لمواجهة خططا لديه وأنه خارجية، مساعدة بدون الاقتصادية (٠).

المشاكل بعض لتنظيم م؛ ع ج و وفرنسا بريطانيا بين المالية الاتفاقات على التوقيع وبعد لتحسين م؛ ع ج الى الدولي البنك من قرض تقديم موضوع بحث بدأ السويس، أزمة عن نتجت التي القرض هذا أن بلاك يوجين رأى وقد سنه. على ٢٠ دولار قيمته ١٠٠ مليون السويس، قناة وتطوير أجنبية، عمله صورة في سنويا) دولار (١١٠ مليون مصرى جنيه مليون القناة ٤٠ دخل لأن صحيح؛ م ع ج تقدمت وقد المحلية. بالعملة الأغلب في وهى المبلغ، هذا نصف توازى المصاريف بينما القرض. على للحصول بطلب للبنك رسميا

السويس قناة في المرور رسوم تزيد ألا شروط؛ بعدة القرض ربط البريطانيون طلب وقد وهذا تعسفية؛ بطريقة القناة تعلق وألا للملاحة، بالنسبة دولية تفرقة هناك يكون وألا مبالغة، بطريقة القناة! في اسرائيل مرور مسألة الفور على يطرح

تدير مصر كانت وأن خاصة الشروط، هذه على توافق لم الأمريكية الحكومة فإن الواقع وفي وعدم م، ع ج جانب من القرض طلب مساندة المتحدة الولايات قررت النهائية وفي بجدارة. القناة عليه. بالموافقة شروط أى إرفاق

الاسرائيلية المشكلة حول المتحدة الولايات جانب من صعب سياسى تنازل يعنى كان وهذا (٢).

—

- (١) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 5, 1959.
- (٢) Memo. from Rountree to the Acting Secretary of State, Washington, April 29, 1959,  
US Attitude with Respect to UAR Application for IBRD Loan for Suez Canal Improvement.

وخروشوف ناصر بين متبادلة سرية رسائل: ثالثا

١- رسالتا خروشوف الى ناصر (١):

أ- الرسالة الأولى فى ١٩ فبراير ١٩٥٩:

اشتدت الحملة الاعلامية المتبادلة بين ناصر وخروشوف، برغم معاكستها لمصلحة كلا البلدين؛ فبالنسبة للاتحاد السوفيتى، فقد دخل منطقة الشرق الأوسط عن طريق بيع الأسلحة لمصر، بعد أن ماطل الغرب معها لأكثر من ثلاث سنوات، انتهزت فيها اسرائيل الفرصة لتقوم باعتداءات متكررة على حدودها مع مصر.

ثم توثقت العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى من خلال تقديمه قرض الى مصر لتمويل بناء السد العالى، بعد أن سحبت الولايات المتحدة عرضها فى هذا الخصوص. وتبع ذلك نمو التعاون بين البلدين فى تنفيذ البرنامج الصناعى الضخم فى مصر، ثم فى دولة الوحدة بعد ذلك. وكل ذلك كان يعنى مزيدا من النفوذ السوفيتى فى الشرق الأوسط، الذى يقع على الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى.

إذن المصالح المشتركة هى التى جمعت بين مصر والاتحاد السوفيتى، وتوثقت العلاقة نتيجة لأخطاء الغرب المتكررة؛ الناتجة عن الفكر الاستعمارى فى علاقته بالدول المتحررة حديثا.

ومن هنا المنطلق أرسل خروشوف خطابا الى ناصر؛ لرأب الصدع؛ تحدث فيه عن الشكوك التى تولدت لدى ناصر حيال موقف الاتحاد السوفيتى من حركة التحرر الوطنى العربى، والتعاون المثمر السابق بين البلدين، على الرغم من أنهما يعتنقان وجهات نظر أيديولوجية مختلفة.

وأشار خروشوف الى خطاب ناصر فى بورسعيد، فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ - الذى كان بداية الأزمة - والذى ذكر ناصر فيه أن التعبير عن رأيه فى تلك المسائل أمرا ضروريا، فاضطر خروشوف فى هذا الصدد؛ أن يرد فى المؤتمر الـ ٢١ للحزب الشيوعى السوفيتى. ولكن أصبح من الواضح أن كلا من الرئيسين كان لا يزال على رأيه، وهذا أمر متوقع.

وأضاف خروشوف أنه إذا نظر المرء بشكل واقعى الى الأوضاع الدولية فى ذلك الوقت، فإنه لن يخفى عليه أن الأعداء يتربصون بالعلاقات الودية بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة، ويحاولون استغلال الخلافات الأيديولوجية بين البلدين، وهنا أكد خروشوف على " أنه لن تفلح القوى الغربية فى زرع الشقاق من جانب الاتحاد السوفيتى".

(١) ملحق رقم ٢.

ثم تطرق خروشوف مباشرة الى الغرض الأساسى من هذا الخطاب؛ وهو الأمل فى ألا تتجح القوى الامبريالية فى العثور على ثغرة من جانب ناصر، تنفذ من خلالها؛ لإحباط وحدة شعوب البلدين فى كفاحهما ضد الاستعمار.

إن الدوائر الحاكمة فى الغرب لا تتورع عن استخدام أية وسيلة لزرع بذور الخلاف والخصومة بين الاتحاد السوفيتى و ج ع م . ومضى خروشوف فى تكذيب المعلومات التى وردت من مصادر يوغوسلافيا، وعُمت فى الصحافة البريطانية والفرنسية حول محاولة اغتيال ناصر؛ ملمحة الى الاتحاد السوفيتى! ولكن الحقيقة فى رأيه أن تلك المحاولة كان يجرى التخطيط لها على يد المخابرات الفرنسية والاسرائيلية. كما كذب خروشوف المعلومات الغربية عن تغلغل النفوذ الشيوعى فى اليمن؛ مؤكداً أن عملاء الامبريالية يحاولون عزل ناصر؛ كى يفلحوا فى الاجهاز عليه.

وأعرب خروشوف عن ارتياحه إزاء تصريح ناصر للسفير السوفيتى؛ الذى ذكر فيه أن حكومة ج ع م لا تتوى التراجع فى سياسة الصداقة التى تربطها بالاتحاد السوفيتى.

أما بالنسبة لموقف الشيوعيين داخل ج ع م، فأكد خروشوف أن الاتحاد السوفيتى لم ولن يتدخل فى الشؤون الداخلية ل ج ع م ، على الرغم من أن ناصر عندما شرع فى التقارب مع الاتحاد السوفيتى كان يعرف بالطبع أنهم شيوعيون، وأنهم لا يمكن أن يتعاطفوا مع سياسة مناهضة للشيوعية!

وفى الختام، عبر خروشوف عن الأمل فى تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفيتى والجمهورية العربية المتحدة.

#### ب- الرسالة الثانية فى ١٢ ابريل ١٩٥٩:

استمرت الحملة الاعلامية بين ج ع م والاتحاد السوفيتى؛ فقرر خروشوف أن يخاطب ناصر فى رسالة من ٣١ صفحة؛ أسف فيها أن العلاقات بين البلدين قد ساءت، بعد أن كانت وثيقة ومبنية على الثقة لفترة طويلة، بل إنها كانت فى رأيه عاملاً محفزاً على الاستقرار من أجل السلام والأمن فى الشرق الأوسط.

ثم قال خروشوف: إنه يشعر بحزن شديد؛ لأن العلاقات التى نشأت بين الجمهورية العراقية و ج ع م لم تتجح فى تعزيز التضامن بين البلدان العربية، ويرى أن المستقبل من هذا الانقسام هى القوى الاستعمارية والامبريالية.

وناقش خروشوف ما قاله ناصر عن دور الاتحاد السوفيتى فى عدوان ١٩٥٦ على مصر،  
وفند أسباب عدم التدخل السوفيتى الفعال خلال هذه الأزمة؛ على أساس ضرورة بذل كل ما يمكن  
بالطرق السلمية لتسوية هذه المسائل، ودون خوض حرب.

وقد كرر أن الاتحاد السوفيتى ضد التدخل فى الشؤون الداخلية للدول المجاورة، وأنه يبني  
علاقاته مع الدول على أساس المبادئ اللينينية عن التعايش السلمى.

وانتقد خروشوف قول ناصر: إن الشيوعيين فى البلاد العربية يطيعون أوامر صادرة لهم من  
الخارج، وأنكر ذلك قائلا: إن الاتحاد السوفيتى يتمسك بأن النظام الداخلى للدول يخص شعوب  
البلدان المعنية، ولا يقم نفسه فيها.

واستتكر كلام ناصر عن النضال ضد الشيوعية، واعتبره مسألة تتخطى حدود ج ع م  
وتدخلا فى شؤون الاتحاد السوفيتى! كما اتهمه بالانضواء تحت لواء القوات العدوانية العالمية فى  
معركتها ضد الشيوعية، واتهمه بأنه فى هذا لا يمكن أن يتسم بالحياد. وأكد على أن الموقف تجاه  
الأحزاب القائمة فى كل بلد - بما فى ذلك الأحزاب الشيوعية - مسألة تخص هذه البلدان وحدها.

واعتبر خروشوف أن مسألة الوحدة بين مصر وسوريا؛ هى شأن داخلى يخص شعبى  
البلدين، وقد اعترف الاتحاد السوفيتى بالوحدة، ورحب بقيام ج ع م ، على الرغم من أن بعض  
الخطوات فى الوحدة بدت له أنها لم تأخذ شكلا متعلقا، وكان يشوبها درجة معينة من التسرع. كما  
كانت الحريات الديمقراطية موجودة فى سوريا بشكل أكبر قبل الوحدة عما كانت عليه فى مصر،  
وكانت هناك أحزابا، وبعد الوحدة حُرم السوريون من الحريات الديمقراطية وحُلت الأحزاب!

ثم تطرق خروشوف الى الخلافات الأيديولوجية بينه وبين ناصر، الذى فى رأيه لم يفرق بين  
المسائل المتصلة بالعقيدة والأيديولوجية من ناحية، والعلاقات بين الدول من ناحية أخرى! ونقطة  
الانطلاق بالنسبة لخروشوف؛ أنه بالرغم من الاختلاف فى وجهات النظر وتباين النظم الاجتماعية،  
إلا أن هناك مجالا كبيرا للتعاون؛ لصالح أمن وسلام الشعوب.

وعرض للمساعدات السوفيتية التى تقدم للبلدان التى تحررت من التبعية الاستعمارية؛ دون  
قيود أو شروط سياسية أو عسكرية، وأبرز أنها فى هذا تختلف عن المساعدات الأمريكية، ثم أنها لا  
تفرض على أى دولة.

وانتقل خروشوف الى ما أسماه "الحملة ضد الاتحاد السوفيتى" فى ج ع م! ملوحا أن ذلك  
يؤدى الى إشكاليات معقدة فى الوفاء بالتزامات الاتحاد السوفيتى؛ بموجب الاتفاق الخاص ببناء السد  
العالى، وأنه سيكون من الصعوبة تنفيذ التزاماتهم فى مثل هذه الظروف.

وتساءل عن مصير الخبراء السوفييت في ج ع م، وكيف أن المواطنين السوفييت قلقون من أن يتعرضوا لمخاطر الضرر المعنوي، وربما المادي! ومضى خروشوف في استخدام المساعدات السوفيتية كوسيلة ضغط على ناصر، بقوله: "إرفضوها"! ثم قال: ويحتل الدعم المقدم من الاتحاد السوفيتي مكانة بارزة من النضال ضد الامبريالية.

وأنتهى خروشوف رسالته، بأن أعرب عن أمله في أن يساعد تبادل الآراء بينه وبين ناصر؛ في تبييد سوء الفهم الذى نشأ بينهما بجهد مشترك من كلا الطرفين.

## ٢- رد ناصر على خروشوف:

صفحة من ٦٣ ينشر، لم جواب في مايو ١٩٥٩ في ١٢ خروشوف، رسالتى على ناصر رد والاذاعات الصحف أشارت التى ثورة ١٩٥٢؛ بداية منذ البلدين بين العلاقات فيه (١)! استعرض فاشية! حركة الوقت، باعتبارها ذلك فى إليها السوفيتية

بالإتحاد علاقاتها تتوثق أن قبل وتطويقه الاستعمار مواجهة فى المصرية بدأت الثورة إن" الثورة. قاده بها آمن مبادئ الأمر كان فقد السوفيتي؛

الوطنية الثورة من موقفه فتغير السوفيتي؛ الإتحاد من مصر طلبته السلاح، احتكار ومع أسسه جديدا تقوم طورا تدخل البلدين بين العلاقات بدأت ثم حقيقتها، على يعرفها وأصبح المصرية، السلمى. التعايش مبادئ على

أن حاول الدولية، العلاقات فى النموذج لهذا المدى البعيد التأثير هاله وقد الاستعمار، وإن بأنها مصر ينهم الاستعمار راح السوفيتي. هكذا والإتحاد مصر بين قامت التى الصلات هذه يقطع !لهم مستعمرة بل السوفييت، لنفوذ منطقة أصحبت

وكان عقابها؛ بمحاولة بدأت عنيفة، مرحلة فى الاستعمار مع مصر علاقات دخلت وهكذا قناة وعادت تصمد، أن مصر على وكان العالى. السد تمويل فى المساهمة عرض سحب ذلك من حفرها. الذى الشعب الى السويس

مقدمتها وفى تحركه؛ التى القوى كل الى وإنما وحده، للاستعمار ضربة تلك تكن ولم عشر. التاسع القرن أفكار من المتخلفة الاحتكارات

المعركة أن البداية منذ ندرك وكنا معكم، فيها نتشاور لم وحدنا، الخطوة بهذه قمنا وقد قناة تأميم من ساعة بعد ٣٦ أعلنتم لما بالغا، وتقديرنا عرفاننا كان ولقد مضنية. عنيفة ستكون موقفنا... تؤيدون أنكم السويس؛

يوم ٢٩ أكتوبر جنيف، فى للمفاوضات فيه نستعد كنا الذى الوقت نفس فى العدوان وجاء  
.١٩٥٦

(١) ملحق رقم ٢.

ميدان فى الثلاثى العدوان مواجهة فى نقف كنا إننا : دمشق فى القيته خطاب فى قلت لقد  
ومن خطابك من أحسست ما على -العبارة هذه ولكن أحد، معونة ننتظر لا وحدنا، القتال  
!الرضا موقع منك تقع لم -لك تصريحات

ذلك فى السوفيتى الوزراء رئيس وجهه الذى الانذار قيمة من أقلل أن بالى فى يخطر لم إنه  
جيشنا وكان وحدهم، يحاربون سيناء فى جنودنا كان وحدنا؛ القتال ميدان فى كنا لقد ولكن الوقت،  
وحدهم. بورسعيد شوارع فى يحاربون وشعبنا

مع التباحث فرصة له وأتحت أكتوبر ١٩٥٦، فى ٣٠ لموسكو القوتلى شكرى زيارة وكانت  
العسكريين. ماريشالاته وكبار السوفيتى، الاتحاد قادة من عدد بحضور - الوزارة رئيس -بولجانين  
لدخول مستعد غير السوفيتى الاتحاد أن العدوان؛ من موقفكم حددت القوتلى بها بعث رسالة وتلقبت  
أقصى وأن متطوعين، بإرسال ولو عسكريا، يتدخل أن يستطيع لا الأساس هذا وعلى عالمية، حرب  
!الفنيين بعض ومعها الينا، المعدات بعض هو إرسال لمساعدتنا؛ عمله يمكنه ما

فى ووضعنها يضمها، كان الذى الملف من الرسالة هذه نزعت أننى فعلته؛ ما كان وقد  
كإحدى مكانها الى وعادت المعنوية بقراءتها، روحة تتأثر قد من عليها يطلع أن أشا لم ؛ لأنى جيبى  
المعركة. انتهت أن بعد الدولة وثائق

وحدنا القتال ميدان فى نكن ولم حاربنا، أننا على دليل خير فهى لنا؛ شرف الوثيقة هذه إن  
وحدنا. سنظل أننا ندرك كنا وانما فقط،

مفاجأة موسكو من صدر قد -أثره ينكر أن أحد يستطيع لا الذى - السوفيتى الانذار إن  
-السوفيتى الانذار حتى - شئ كل وكان وحدنا، القتال ميدان فى فيها كنا مرت ٩ أيام أن بعد لنا،  
. للتضحية واستعداده ، الشعب هذا صمود على يتوقف

الحقيقة عن -الرضا موقع منكم تقع لم التى -التصريحات استوجب الذى الأمر كان ولقد  
وسط -راحت بلادكم، تصدر فى وصحف باسمكم، تنطق اذاعات أن الثلاثى؛ العدوان أمر فى



أن واجبا وكان الانذار! هذا الى كله بالفضل تعود - السوري الشيوعي الحزب وبيننا مناقشات الصحيح. مكانه فى المصرى الشعب دور أضع

من عالمية حربا تدخلوا أن منكم نطلب أن ببالنا يخطر ولم دوافعه، ونفهم موقفكم نقدر إننا أجلنا!

!السوفيتى الاتحاد شئون فى أيضا بل لغيرنا، الداخلية الشئون فى بالتدخل اتهمتنا لقد

ميولكم يلائم لا اليها الجديد الاتجاه أن الى تشير الشواهد كانت فقد للوحدة وبالنسبة السوري للشعب الشامل الاجماع يتقبل لم الوحدة؛ أنه من الشيوعي الحزب موقف كان وقد ورغباتكم. يلجأ وجدناه ثم ، يهرب أن فضل الذى الوحيد هو بكداش خالد الشيوعي النائب وكان قيامها، على الشيوعي، للحزب ٢١ المؤتمر احتفال فى بجواركم وقف وأخيرا الاشتراكية. الكتلة بلدان بعض الى مبادئ تنتهتك أن ومبعثه والانزعاج؛ القلق لنا سبب الذى الأمر بلاده، حكومة على يتهجم وراح !العلنى الشكل بهذا السلمى التعايش

فبراير أول فى الوحدة إعلان بعد السوفيتى، الاتحاد أن اتجاهكم؛ الى يشير مما أيضا وكان فيها. رأيه ابداء عن الامتناع على حريصا أسبوعين من أكثر ظل ، القاهرة ١٩٥٨ من

الى أتطلع كنت وقد ابريل ١٩٥٨، فى ذلك وتم فيها، نجتمع فرصة الى أتطلع وبدأت يحدث. لم ذلك ولكن بلدينا، بين العلاقات فى استقرار

بلاد ضد عسكرية مغامرة فى عونك أريد أنى تصورت أنك - خطابك يدهشنى - فى وإنه !لنا؟ تهديد عربى، بلد لأى تهديد أى أن نعتبر ونحن ذلك، يستقيم أن يمكن وكيف عربية،

أعقاب فى يوم ١٦ يوليو، موسكو فى بكم الثانى اجتماعى عن خطابكم فى ماورد هالنى وقد الاستعمار نترك أن جائزا يكن ولم بثورة، العراق جيش من وطنية عناصر قامت لقد العراق. ثورة كانت مهما الثورة بجانب سنقف أننا فى واضحا؛ موقفنا وكان مهدها، فى الوطنية الثورة يسحق النتائج.

السادس الأمريكى الأسطول وكان بحتا، دفاعيا موقفا نقف مهدها فى العراقية والثورة كنا لقد فهل الأردن، فى يهبطون البريطانيون المظلات جنود كان كما اللبناني، الشاطئ على بحارته ينزل !منه؟ تخشون هجومى بعمل نقوم أن الممكن من كان

فى ورد مما الكثير كان وإن علاقاتنا، على الطارئة للأزمة بداية العراق ثورة كانت ولقد !بكثير الثورة هذه قبل ما الى تمتد كانت بيننا، الفهم سوء أسباب أن الى عيوننا فتح قد خطابكم،

هذا وأن معينة، قيادة شعبه على أفرض أن العراق ثورة بعد حاولت أننى خطابكم فى وورد إننى علاقاتنا. يسود بدأ الذى الظلام مسببات أحد والعراق؛ وبالتالي م ع ج بين الأزمة أسباب من العراق. ثورة نصرة فى موقفنا يقدر من أول تكونوا أن أنتصور كنت

التضامن إن كأساس! العربية القومية على هجوما مختلفة دوائر من نسمع أننا عجب ومن الحكومة رئيس قاسم وبينهم -العراق ثورة قادة من عددا فإن طويل؛ وقت منذ بدأ العراق ثورة مع أن اليهم؛ نصيحتنا وكانت تخطيبتها. فى نساعدهم أن وطلبوا الثورة، قبل بنا اتصلوا قد -العراقية إلا الثورة خطة وضع يتولى وألا شعبهم، من إلا العون ينشدوا وألا علينا، حتى سرا أمرهم يحفظوا تنفيذها. عبء عليهم يقع سوف الذين

أنفسهم يشغلوا ألا رأينا؛ يتغير لم لتأمينها، بذلناه ما كل وبذلنا العراق، ثورة نجحت أن وبعد الثورة انجاح على يعملوا أن لهم الأجدى وانما الاتحاد، أو للوحدة الدستورية بالصور الوقت ذلك فى وثقافية اقتصادية اتفاقيات شكل فى العربى؛ التضامن هو نطلبه ما أقصى أن على العراق، داخل وعسكرية.

العراق؛ ثورة على للسيطرة الفرصة انتهاز أراد العراقى الشيوعى الحزب أن الحظ سوء ومن تحقيق على يساعده البلبله من جوا يخلق لكى عارف؛ ونائبه قاسم بين نشب شخصيا خلافا فاستغل! أغراضه

الى نشاطه مد وإنما فحسب، بينهما ليس الفتنة يثير بدأ العراق فى الشيوعى الحزب إن ما الوحدة والاتحاد، بين مفتعلة مناقشه بإثارة ذلك وكان م. ع ج و العراق بين العلاقات الى الاساءة فى التأثير هو الهدف أن أظهر الذى الأمر الوحدة، فكرة ضد سافر هجوم الى تطور أن لبثت والحزب العراقى الشيوعى الحزب بين الوثيق التعاون خلال ذلك تجلى وقد سوريا. فى الأوضاع السورى. الشيوعى

أتباع الشيوعيين من أن خطبى؛ إحدى فى قلته ما ناقشت خطابك فى أنك أدهشنى وقد الذى هو مصر، فى الموجودة الشيوعية الثلاثة الأحزاب توحده كان ولقد الخارج! من التعليمات يتلقون النشاط الى أشير أن الماضى، ديسمبر فى ٢٣ بورسعيد عن بالجلء الاحتفال يوم على فرض الشيوعية. المنظمات به تقوم الذى للوطن المعادى

كان كذلك شأننا، من ليس ذلك كعقيدة؛ لأن الشيوعية الى يتجه لا هجومنا أن شرحنا وقد وجهة لشرح كافية تكن لم محاولتنا ولكن بلادنا، فى الشيوعية يدعون الذين هؤلاء يتعدى لا هجومنا نظرنا!

الشعوب صداقة أن فيها لكم أشرح كيسيليف؛ ديمترى سفيركم مع رسالة لكم أرسلت وقد الشيوعية الأحزاب هذه من بالرغم هي بل الشيوعية، الأحزاب نشاط الى ترجع لا لكم العربية

موقفكم؛ غيرتم أنكم منه وبدا ١٩٥٩، مارس ١٦ فى العراقى الوفد تكريم فى خطابكم جاء ثم وقد الشيوعية. الأحزاب مع التعامل تفضلون الآن بدأت الوطنية، القوى مع تتعاملون كنتم أن فبعد تصرفاتهم. وتبرير عنهم للدفاع بنفسك تتصدى أن العجيب من كان

ضد بلادنا عن الدفاع على مرغمين أنفسنا أننا وجدنا يلى؛ فيما الآن الموقف ويتلخص وجه فى ثم الحزب، لهذا شخصيا مساندتك وضد م، ع ج حدود داخل الشيوعية المنظمات نشاط "العالم فى الشيوعية والمنظمات الأحزاب جانب من العنيفة الحرب

ناصر الجانبين، فإن من النفس ضبط فيه اقترح ناصر؛ الذى الى خروشوف خطاب وازاء تغير الموقف ولكن الشيوعيين، على العلنى الهجوم ايقاف على ووافق المقصد، ودى أنه على فسره بهم. تتعلق مختلفة مسائل فى السوفيتى التدخل استمرار بسبب

الأسوأ. الى العام الاتجاه ولكن مذبذبة، السوفيتى والاتحاد م ع ج بين العلاقات أصبحت لقد السعر، ورفع التسليم ايقاف تم حيث بالأسلحة؛ بالامداد يتعلق فيما خاصة كبيرة بدرجة ذلك وانعكس عن تبحث م ع ج وبدأت سيئا، الخصوص وجه على الغيار بقطع يتعلق فيما الموقف وأصبح المحلية. الصناعة أو يوغوسلافيا مثل للسلاح؛ أخرى مصادر

فى واضحة تكن لم أنها من بالرغم ضغط، سياسة يتبعون كانوا السوفييت أن الواضح ومن اشارة محمد الخامس المغربى والملك ناصر ١٩٦٠ أعطى يناير ٩ الاقتصادى (١). فى المجال على للتفاوض السوفيتى الاتحاد مع م ع ج اتفقت يناير ١٨ وفى ، العالى بالسد العمل فى البدء السوفيتى؛ الوفد بأعضاء مارس ٢٢ فى ناصر اجتمع العالى، كما السد من الثانية المرحلة تمويل سوريا. فى الكبرى المشروعات تمويل اتفاقية على للتفاوض

الاتحاد فإن -سنة أكثر من استمرت والتي - وخروشوف ناصر بين الأزمه من بالرغم اذن البلدين. بين قطيعة الى وتؤدى الحدود، تتعدى الا على حريصا كان السوفيتى

#### **:المتحدة الأمم فى أيزنهاور يقابل ناصر رابعاً:**

للأمم العامة الجمعية أمام خطابا ليلقى نيويورك الى ناصر ذهب عندما المقابلة هذه جرت لوجه. وجها معه والتحدث أيزنهاور للقاء فرصة تلك ، وكانت فى سبتمبر ١٩٦٠ المتحدة

أن العالم يستطيع المتحدة الأمم خلال من فقط أنه الى أيزنهاور بينهما باشارة الحوار بدأ لقد بتهمة تواجه فإنها ثنائية، مساعدة تعطى أن -عظمى كانت ولو -دولة تحاول عندما وأنه يتقدم، . المتحدة الأمم خلال من تتعامل أن الافضل من فإنه ولذلك الاقتصادى؛ والاستعمار الامبريالية

فى ومجهوداتها المتحدة، الأمم على له مبرر لا الذى خروشوف هجوم الى أيزنهاور وتطرق  
تعتزم وأنها بنفسها! مشاكلها بحل الإفريقية الدول تقوم أن تريد المتحدة الولايات أن على وأكد إفريقيا.  
الإفريقية. الدول فكر يقوى كونفيدرالى اتحاد لتشكيل الإفريقية المجهودات مساندة

أثناء الكبيرة مساعدتها على المتحدة الولايات بشكر يبدأ أن يجب أنه .. بثقة" ناصر تكلم  
المتحدة، وخاصة الأمم على المحافظة يجب أنه على بشدة موافقته عن وأعرب بلده، ضد ١٩٥٦ عدوان  
الانسحاب. على المعتدين أجبرت ولكنها فقط، العدوان تنهى لم فهي معها؛ تجربة لها مصر أن

(١)Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Sept. 19, 1959.

فى الاذاعة ليوبولدفيل ومحطة مطار المتحدة الأمم قوات لاحتلال دهشت م ع ج ولكن  
لأنها ذلك؛ مصر عارضت وقد لومومبا! ضد أخذت أنها م ع ج ل بدت تصرفات وتلك الكونغو!  
الى أصلا ذهبت قد المتحدة الأمم قوات فإن الدولية، المنظمة مكانة تهدد التصرفات تلك أن شعرت  
! البلجيكية القوات لتخرج الكونغو

قضى فيها. لقد متشككا كان أنه وكيف ١٩٤٨، أحداث بعد المتحدة الأمم من موقفه ناصر وشرح  
ذلك ومع أملها! خاب ثم المتحدة، بالأمم وثقت المصرية الحكومة بفلسطين؛ لأن النجف فى أشهرها  
١٩٥٦. فى المتحدة الأمم من جانب أحسن بتجربة مر أنه أكد فقد

يُسمح أن ينبغى لا كان الكونغو فى المتحدة الأمم قوات أن شعر أنه لأيزنهاور ناصر وأعرب  
المتحدة الأمم أن أبدا ننسى أن يمكن لا نحن قال" ثم هناك. الشرعية الحكومة يعيق عمل باتخاذ لها  
".باسرائيل يتعلق فيما قراراتها تطبيق لم

كافية سلطة تملك المتحدة الأمم تكن ، لم ١٩٤٨ فى لفلسطين بالنسبة رد أيزنهاور.. أنه  
الولايات أن إلا المتحدة، تجاه الأمم م ع ج لدى المرارة بعض يفهم كان وإن وإنه القرارات. لتفرض  
الدولية. المنظمة هذه وتقوى تحسن أن دائما تحاول المتحدة

أن الأولى المتحدة الأمم وظيفة كانت الحد، فلقد عن تخرج عملية فهي الكونغو، عن أما  
والنظام. القانون تحقق

الأمريكية، الانتخابات من بالرغم أنه أيزنهاور ذكر سنة ١٩٥٦، السويس لأزمة وبالنسبة  
بريطانيا قوات انسحاب لتحقيق المتحدة، الأمم الى المساندة كل أعطى فقد اليهودى"، و"الصوت  
أن يجب ذلك أن ويعتقد المبدأ، يساند كان ولكنه السهل، بالأمر يكن لم ذلك واسرائيل؛ إن وفرنسا  
الكونغو. فى أيضا يحدث

الحاجز هو ذلك وكان اسرائيل، إنشاء المتحدة الولايات أيدت ١٩٤٨ فى إنه ناصر: قال و الولايات عاتق على تضع الأوسط الشرق شعوب إن العربى. والشعب المتحدة الولايات بين الأول المسئولية، لأن من تهرب أن المتحدة الولايات تستطيع لا الكنغو وفى ، كبرى مسئولية المتحدة واحد. كشيء المتحدة والأم المتحدة الولايات يرون البسطاء الناس

الى تنقل الباردة الحرب ترى أن تريد لا تأكيد بكل م ع ج و بسرعة، اليوم تتحرك إفريقيا إن فى داخلها. ضده ماهى بقدر الكنغو فى السوفيتى النفوذ ضد م ع ج إن إفريقيا. تساعد أن تريد وأنها واحد، جانب من تتدخل لن المتحدة الولايات أن على أيزنهاور أكد وقد أحد. على تسيطر أن تريد ولا اقتصاديا، برنامجا ولها عامة، بصفة إفريقيا وفى الكنغو فى

الولايات مع جيدة علاقات الى يتطلع وكان ١٩٥٢ فى السلطة تولى منذ أنه: ناصر وقال سلاح، يشترى أن يريد كان اسرائيل! لقد دائما ظل الأساسى الحائل ولكن بشدة حاول وأنه المتحدة، طائرات- منه أسلحة اسرائيل تلقت الوقت نفس الغرب. وفى من عليه يحصل أن يستطع لم ولكنه م. ع ج يهدد وهذا - الامتحدة الولايات من وبنادق بريطانيا، من ودبابات فرنسا، من

قناة بفتح قالت التى وكيندى؛ نيكسون لبيانات مصر فى حاد فعل رد هناك كان ولقد ؟! المتحدة الأمم قرارات باقى عن ماذا ولكن الاسرائيلية، للسفن السويس

الاسرائيلية، للسفن تفتح أن يجب السويس قناة إن تقول أن تريد المتحدة الولايات كانت وإذا تعيقها. التى القرارات تطبق اسرائيل لتجعل القوة، بنفس تحاول أن يجب فهى

سنة؛ كل دولار مليون ٢٣ وضع من تعبت المتحدة الولايات أن الى أيزنهاور أشار وهنا تسوية! تحقيق اتجاه فى تقدم أى بدون عربى، لاجئ مليون حياة على لتحافظ

ج موقف يحترم الأوسط. وأنه الشرق فى للتسلح سباقا يرى أن لا يريد أنه أيزنهاور وأضاف تريد لا المتحدة الولايات ولكن السوفيتية، الأسلحة م ع ج تتلقى أن اعتراض يوجد ولا ، الحياذى م ع السوفيتية. عليها سيطر وقد م ع ج ترى أن

التى المناقشات يجب لا أنه إلا بامتنان، لمصر القمح ارسال موضوع الى ناصر وتطرق المصرية. الكرامة ضد ذلك فإن شروط؟ وبأى لا؟ أم منحة هو هل تتناول

الأيام، وقد هذه فى ممكنة صغيرتين دولتين بين محدودة حربا أن يعتقد لا إنه: ناصر وقال . الحرب وليس السلام بشدة يفضل ، إنه ١٩٥٦ أزمة ذلك أوضحت

عندما تشك دائما المتحدة فالولايات ؛ م ع ج مع أفضل لعلاقات تطلعا أيزنهاور أظهر وقد  
بلد! الى السوفييت يصل

علاقاتها كانت أوقات وفي واستقلالها، لحريتها ثمن أى تقبل لن م ع ج أن ناصر.. وعلق  
أن يريد إنه المحك. فى بلده واستقلال حرية تكون عندما يستسلم لن ولكنه والغرب، الشرق مع سيئة  
لتمويل عرضها بسحب فجأة واشنطن قامت عندما مصر كرامة مُست ولقد ، كرامتها على يحافظ  
السد .العالى.

تتفاوض م ع ج أن المعلومات وصلتهم أن بعد سُحب العرض إن : قائلا أيزنهاور اعترض  
السد حول السوفييتى الاتحاد مع

تتأمر م ع ج أن باستمرار يدعون والأردنيون ١٩٥٧ ناصر: منذ قال الأردن، وبخصوص  
فى عملاء لها وليس المدافع، موقف فى دائما م ع ج كانت بينما الأردن! ضد السوفييتى الاتحاد مع  
لا وهو أفكاره، فى يشاركوه أناس الدول هذه فى يوجد أنه هنالك ما العراق. كل أو سوريا أو لبنان  
. العربية الوحدة وفى فيه يتقون ولكنهم ، هم من يعلم

كان الشيوعى المد ولكن م، ع ج ضد استفزازيا خطابا حسين الملك القى أشهر عدة ومنذ  
كان بعد، عندما فيما ولكن تشجيع. أى يعطيهم أن فى يرغب يكن لم يرد؛ لأنه فلم بغداد، فى يعلو  
سكوته ناصر خرق وهنا العراق، فى الشيوعى المد وضد ضده خطابا ألقى مراکش فى حسين الملك  
الأردن ألفت هزاع المجالى، اغتيال من ساعه ٢٤ وبعد يهاجم. وبدأ أشهر عدة استمر الذى  
!؟ السرعة بهذه يعرفون كيف ، م ع ج على المسئولية

!النجف أدغال فى يخدم كان ناصر؛ لأنه ليس إنه حسين؟ الملك جد اغتال الذى من  
كتائب الوقت كانت توجد ذلك بأفكاره. وفى معجبون كثيرين أناس هناك أن هو الموقف  
م ع فوضعت ج سوريا، على أردنية غارات حدثت فقط يومين وقبل السورية، الحدود على أردنية  
! الحدود طول على دوريات

ع ج دولة عربية وأفقر أضعف تهاجم لماذا يفهمه، لا الذى أيزنهاور: إن قال وهنا  
يعقل! لا ذلك م؟! إن

يلحق وبعضهم العربية، الوحدة يحب الشعب نفسى؛ عامل كله ذلك ناصر .. أن تدخل  
شخصى كله الأمر حسين"، إن "يعيش يهتفوا أن يريدهم ، أنه ناصر" " يعيش ويقولون: صورته،  
(١)!

فى له خطاب فى ناصر قال فى ٥ أكتوبر ١٩٦٠، المتحدة الولايات من رجوعه وبعد  
أن لنفسها سمحت المتحدة الأمم أن الأمل بخيبة يشعر إنه ديسمبر ١٩٦٠: ٢٣ فى بورسعيد

الوطني، بالنظام الاطاحة تؤيد التي سياستها فتتخذ الكبرى؛ الاستعمارية القوى بواسطة تُستخدم الأمم مساعدة طلب سيتردد في سياسى أى فإن ولذلك الإفريقية! القارة لكل درسا لومومبا من وتجعل الى وتحتاج الكنگو، فى يحدث عما مسئولة وإدارتها! الاستعمار لعبة تلعب أنها يعلم لأنه المتحدة؛ انهيارها. الى سيقود للاستعمار؛ الدولية المنظمة خضوع فإن وإلا تغيير، هناك، الوطنية العناصر تحمى حتى الكنگو؛ فى أهدافها أجل من تكافح عندما م ع ج وإن الاحترام. تستحق عالمية كمنظمة المتحدة؛ الأمم لحماية تعمل الوقت نفس فى فإنها

---

(1)Waldrof Towers Hotel, New york, Sept.26,1960, Conversation ‘Memo. of a Conversation with President Nasser.

الهجوم هذا لمثل تتعرض لم المتحدة الولايات أن ناصر؛ كلام على الأمريكى التعليق وكان أصحبت التى المتحدة؛ الولايات سياسة بسبب الغضب يعكس والخطاب طويلة! مدة منذ الحاد فى الفرنسيين تأييد فى -الوقت نفس فى -ومستمر الكنگو، فى ناصر أهداف مع متعارضة الجزائر (١).

ألقى الذى كازافوبو، تؤيد أنها المتحدة الولايات أعلنت عندما صدم ناصر فإن الواقع وفى الولايات أن ناصر واعتبر!قتله الذى لتشومبى وسلمه لومومبا - ١٧ يناير ١٩٦١ - على القبض الجريمة (٢). هذه ازاء كبرى مسئولية وتحمل ذلك على ثلام المتحدة

—  
Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Dec.24, 1960.

(١)

كولومبيا، ٢٦/٨/١٩٦١. تلفزيون الى ناصر (٢) حديث



## الفصل الخامس

### ثورة داخلية وانطلاقة عربية وعالمية

١٩٦١ - ١٩٦٧

هذه هي الفترة التي أعقبت مؤامرة انفصال سوريا عن الوحدة مع مصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، وتمتد حتى عدوان إسرائيل على مصر وسوريا والأردن في ٥ يونيو ١٩٦٧. لقد شهدت هذه الحقبة تغيرات عميقة داخليا سياسية واجتماعية واقتصادية كرد فعل لنجاح عملية الانفصال.

فلقد اتخذ ناصر إجراءات ثورية عديدة، كما أحدث تحولا في أسلوب الحكم وأعاد النظر في التنظيم السياسي ومؤسسات الدولة السياسية كلها.

وبدأ ناصر باتخاذ الخطوات لإنشاء تنظيم شعبي؛ هو الاتحاد الاشتراكي العربي بمفهوم جديد يختلف عن الاتحاد القومي السابق، ووضع خلاصة أفكاره وتجاريه بعد تسع سنوات من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢؛ في ميثاق العمل الوطني الذي حدد معالم التجربة المصرية في الماضي والحاضر والمستقبل.

وتنازل ناصر عن سلطاته كرئيس للجمهورية الى مؤسسة جديدة تجسد فكرة جماعية القيادة الجماعية التي آمن بها؛ هي مجلس الرئاسة، الذي أصبح يمثل أعلى سلطة في الدولة.

أما بالنسبة للعلاقات العربية بعد مؤامرة الانفصال، فقد حدث صراع بين الأنظمة العربية الرجعية - خاصة سوريا والسعودية والعراق والأردن - والأنظمة التقدمية تقودها الجمهورية العربية المتحدة (١)، وتلتقى معها الجزائر التي حصلت على استقلالها في ٥ يوليو ١٩٦٢.

ثم حدثت المفاجأة الكبرى في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢؛ وهي قيام الثورة في أكثر بلد عربي تخلفا ورجعية؛ في اليمن. وعندما لبي ناصر فورا طلب قادة الثورة اليمنية، وأرسل قوات مصرية تعضدها ضد قوات نظام الإمام المخلوع، الذي لجأ الى السعودية وطلب مسانبتها عسكريا، زادت الهوة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية التي انضم اليها النظام الملكي الهاشمي في الأردن، وتصاعد الصراع بين الطرفين، فقطعت السعودية العلاقات الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة في ٦ نوفمبر ١٩٦٢.

واستمرت العلاقات العربية في توتر الى أن أعلنت اسرائيل عن مشروع لتحويل مياه نهر الأردن لمصلحتها على حساب الأراضي العربية؛ حيث ينبع من لبنان وسوريا وفلسطين التاريخية والأردن ويصب في البحر الميت.

(١) بعد انفصال سوريا عن مصر استمر اسم الجمهورية العربية المتحدة معبرا عنها حتى رحيل ناصر. وهنا دعا ناصر الى مؤتمر قمة في القاهرة لمواجهة هذه الخطة العدوانية، وفعلا اجتمع الزعماء العرب في مقر الجامعة العربية في ١٣ يناير ١٩٦٤، واتخذوا قرارات جذرية لمواجهة هذا الموقف، متحدين ومتعالين عن الخلافات بينهم.

وتوالت مؤتمرات القمة؛ فدعا ناصر الى دورة ثانية في الإسكندرية في ٥ سبتمبر ١٩٦٤، ثم اجتمع الزعماء العرب للمرة الثالثة في الدار البيضاء في ١٣ سبتمبر ١٩٦٥.

ولكن يلاحظ أن استمرار حرب اليمن بين الطرفين المصرى وقوات الثورة اليمنية من ناحية، والسعودى وعائلة حميد الدين المخلوعة من ناحية أخرى؛ سبب مشاكل بالنسبة للعلاقات العربية، وإن لم تجرؤ أى من الدول العربية على التخلي عن مواجهة العدوان الاسرائيلى على المياه العربية، أو حقوق اللاجئين الفلسطينيين فى العودة الى بلادهم أو تعويضهم وفقا لقرارات الأمم المتحدة.

وقد شهدت هذه الفترة أيضا ثورات فى العراق وسوريا الى جانب ثورة اليمن، وتغيرت الأنظمة السياسية وتداولت الأحزاب السياسية الحكم، وبرز حزب البعث فى سوريا والعراق. وبالرغم من العداء بين ناصر وحزب البعث عموما بعد الانفصال، فقد أرسل اليه قادته فى البلدين يطالبون بوحدة ثلاثية مع الجمهورية العربية المتحدة! وبالطبع لم تتجح هذه المحاولات خاصة من جانب سوريا، واتضح أن الهدف منها كان إسكات المظاهرات ومطالبات الشعب فى كلا البلدين بالانضمام الى الجمهورية العربية المتحدة.

وكانت النتيجة هى توقف المباحثات مع بعث سوريا فور صدور ميثاق ١٧ إبريل ١٩٦٣، واستمرت اجتماعات الوحدة مع النظام العراقى بقيادة عبد السلام عارف - بعد إنقلاب أخرج البعث من الحكم فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ - الى ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦، ولكن بلا نتيجة!

وفى الفترة محل الدراسة استمر ناصر فى تحقيق رؤيته السياسية التى سطرها فى كتابه "فلسفة الثورة" عندما تحدث عن الدائرة الإفريقية والدائرة الإسلامية؛ فلقد دعا الى مؤتمرات القمة الإفريقية ومؤتمرات عدم الانحياز التى تعتبر امتدادا لمؤتمر باندونج فى ٢٤ إبريل ١٩٥٥، وأنشئت منظمة الوحدة الإفريقية فى أديس أبابا فى ٢٥ مايو ١٩٦٣.

وقد ظل ناصر على مبادئه فى مناصرة حركات التحرير فى العالم العربى وإفريقيا والعالم الثالث، وبنى مواقفه السياسية عليها؛ فكان قراره بالتدخل فى الكونغو الى جانب الأمم المتحدة عقب أزمتة العنيفة مع قوات الاحتلال البلجيكية، ثم سحب قواته عندما حادت المنظمة الدولية عن مبادئ

التحرر، وأخيرا موقفه بالنسبة لحرب فيتنام وأزمة كوبا الثابت على نفس المبادئ، حتى ولو أغضب ذلك قادة الولايات المتحدة الأمريكية.

### أولا: تقييم تجربة الوحدة المصرية - السورية وآثار الانفصال:

مما لا شك فيه أن نجاح مؤامرة انفصال سوريا عن مصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، كان أول هزيمة سياسية لناصر ولمبادئه في القومية العربية والوحدة العربية. ولكنه استطاع بحيويته وقوة روح الثورة فيه - وكان فقط في الثالثة والأربعين من عمره - أن يحول هذا الموقف المضاد الى دفعة للأمام، وخاصة في المجال الداخلي.

لقد بدأ ناصر بإعادة تشكيل حكومة الجمهورية العربية المتحدة، التي تضمنت أربع نواب للرئيس هم عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر وزكريا محي الدين وحسين الشافعى، وكلهم من أعضاء مجلس قيادة الثورة السابق.

وفي أول جلسة لمجلس الوزراء تحدث ناصر عن الوحدة ومتاعبها؛ فقال: "لقد فرضت علينا الوحدة سنة ١٩٥٨، وكنا نعتقد أنها لا يمكن أن تتم بهذه السهولة، وأنها إذا بدأت ستبدأ معها المتاعب. وقد ضحت مصر بالكثير لتتخذ سوريا من الضياع والانهيال الحتمى الذى كانت معرضة له. وتمت الوحدة، ثم بدأت العناصر التى طلبتها، كل منها تريد استخدامها لتحقيق أهدافها؛ الرأسماليون والبعثيون ورجال الجيش أيضا.

وقد رفضنا أن تكون الوحدة مطمعا أو مغنما لأى كان؛ لأن لنا مبادئ سياسية نسير عليها. وكانت مصوبة الينا مدافع لا حصر لها؛ سواء من الرجعية العربية أو من الملوك أو من الذين يخافون من انتشار المد العربى بما يؤثر على مصالحهم أو حكمهم ووجودهم، ويؤثر على الصهيونية واسرائيل والاستعمار. ويضاف الى ذلك السياسيين القدامى الذين كانوا فى سوريا، وقد كانت القاهرة تضرب عن طريق دمشق!"

ثم استطرد ناصر قائلاً: "ونحن نمر بفترة من أدق الفترات؛ لأن جميع القوى ضدنا، وأعداؤنا يركزون جهودهم على القضاء على المكاسب الشعبية التى حصلنا عليها. وقد أضحت اليوم جميع محطات الإذاعة ووسائل إعلامهم ضدنا ومركزة الهجوم علينا، واستخدمت ضدنا فى لبنان".

### ١ - السلبية واللامبالاة نتيجة إهمال العمل السياسى التنظيمى:

وبشجاعته وصراحته المعهودة، بدأ ناصر يعدد العقبات التى قابلها أثناء الوحدة أمام مجلس الوزراء، فقال: "من المشاكل التى قابلناها السلبية واللامبالاة التى وجدت فى بعض العناصر نتيجة

خطأ أساسى كنا نمارسه؛ وهو الاهتمام بالخطة ومشروعات العمل فقط دون الاهتمام بالعمل السياسى التنظيمى، ودون الاهتمام بتطوير كل أمورنا السياسية حتى نعبئ كل القوى فى جانبنا.

لقد أقمنا فى سوريا سد الرستن ومشاريع كثيرة جدا؛ مثل سد الفرات وخطوط السكك الحديدية وغيرها، ولكن هل هذا يكفى؟! إننا لم نكن ننبه الناس الى ما نعمله من أجلهم. وإذا لم ننظم أنفسنا تنظيميا سياسيا يعبئ الجهود فى الناحية السياسية - كما عبأناها فى الناحية الاجتماعية والخطة - فإن ذلك يؤدى الى وجود حالة لامبالاة لدى الناس تجعلهم سلبيين.

إن أعدائنا ليسوا غافلين عنا، ويحاولون تعبئة هذه القوى فى الاتجاهات المضادة لنا؛ كما حدث بالنسبة لسوريا. وأعتقد أننا إذا لم نتلافى هذا الخطأ فى مصر، سنقابل صعوبات فى المستقبل. إن كل المدافع وكل الجهود موجهة اليوم الى القاهرة وسيزيد تركيزها عليها.

ومضى ناصر يحلل ما حدث.. "إن التصور الأساسى الخاطئ الذى أظهرته أحداث سوريا؛ هو الاعتقاد بأننا يمكن أن نقيم تنظيميا شعبيا يجمع كل الفئات والطبقات، وكنا نقول: إننا نهدف الى القضاء على الصراع الطبقي فى إطار من الوحدة الوطنية وفى إطار سلمى!

ولكن نوايا الآخرين والحوادث أثبتت غير ذلك؛ فمن أعداء الوحدة كان أعضاء بارزين فى الاتحاد القومى ونقابة المحامين، ومنهم من أشاد بالوحدة واشتركوا فى الحركة الانفصالية! وقد أخذنا بالمظهر وكان اتجاهنا دائما الى حسن النية! لقد تجمع أعداؤنا؛ جمعتهم المصالح المشتركة وعمليات الصراع الطبقي التى كانت موجودة فى البلد، لقد كانوا يخدعوننا حتى يجدوا الفرصة للانقضاض علينا!

لقد أثبتت الأحداث أن طريقة تشكيل الاتحاد القومى كانت خطأ، وهذه الدروس يجب أن نتعظ منها فى مصر؛ لأننا سنكون عرضة لحشد كامل لكل هذه العناصر؛ الغربية والرجعية والرأسمالية، مع العناصر الشيوعية.

والسبب الأساسى بالنسبة للسياسة الدولية؛ أنهم لا يقبلون أن نسير على سياسة عدم الانحياز، ونحن لا نقبل أن ننحاز. وهذا لا يرضى عنه المعسكر الشرقى ولا الغربى؛ إن كل منهما يأمل أن نكون فى صفه، وكل منهما يعتقد أن إضعافنا والضغط علينا قد يؤدى بنا الى المساومة، وقد يصل بنا الى نوع من الحل الوسط".

## ٢ - التجربة تحتم إنشاء تنظيم سياسى على أساس جديد:

وتدرج ناصر من هذا التفسير الى نتيجة منطقية؛ وهى "ضرورة تجميع قوى الشعب الوطنية، فإن الذين أخذنا منهم الأرض وأمت مؤسساتهم، مهما تظاهروا بالرضا، فإنهم لن ينسوا ذلك.

لابد من إعادة تكوين قوى الشعب الوطنية؛ بحيث لا نعطي الفرصة للعناصر الرجعية أو الرأسمالية أو الانتهازية لكي تحتل مركز الصدارة، وتبعد العناصر الوطنية المؤمنة بنا.

لابد أن نجمع جميع العناصر التي تمثل قوى الشعب الوطنية؛ لتكون هي التنظيم السياسي الذي نعتمد عليه. أما الجمع بالطريقة التي سرنا عليها في هيئة التحرير (١) أو الاتحاد القومي حتى الآن؛ ففيها تناقض كبير جدا يتسبب في عدم التناسق".

وبدأ ناصر يشرح لمجلس الوزراء ما يتصوره لقوى الشعب الوطنية.. "إنها أساسا العمال والفلاحين والمتقنين وخريجي الجامعات والطلبة والنقابات المهنية والجمعيات النسائية؛ أي كل الشعب ما عدا الإقطاع والرأسمالية والانتهازية، الذين يتقربون حتى يصلوا الى مكاسب معينة.

وهكذا لن يكون هناك تناقضا ولكن أهداف واحدة نعمل من أجلها. إننا نجمع الذين يحسون أن الثورة قامت من أجلهم، ولا نجمع الذين يحسون أن الثورة أخذت منهم وحدت من نفوذهم؛ فهؤلاء لا فائدة منهم.

وما أريد أن أؤكد أنه مهمنا عملنا خطة وضاعفنا الدخل في عشر سنوات، وبنينا سدودا وأقمنا مصانع للحديد والصلب، فإننا إذا لم نقوم البناء السياسي وندعمه، فإن كل هذا ستأخذه العناصر الرجعية أو الفئات الرأسمالية أو الدول الاستعمارية!"

### ٣- لمصلحة من الثورة الاشتراكية واستمرارها؟

وأكد ناصر في حديثه على أنه "لا بد أن تكون الثورة سياسية واجتماعية، فإنها كانت في سنة ١٩٥٢ سياسية، وكان هدفنا أن يخرج الانجليز ونقضى على الاستعمار، وكانت العناصر الرأسمالية تجد فيها الطمأنينة لأنها زادت أرباحها.

أى أن ثورة ١٩٥٢ استمرت ثورة وطنية للتخلص من الاستعمار، ولكنها في نفس الوقت ثورة برجوازية لم يتأثر منها أصحاب رؤوس الأموال. وفي سبتمبر ١٩٥٢ أصدرنا قانون تحديد الملكية، فأثرنا على الاقطاع ولكن العناصر البرجوازية لم تتأثر، كذلك فإن القوانين الموجودة في الدولة هي قوانين رأسمالية.

وأعتبر أن الثورة الاشتراكية بدأت فعلا بالقرارات التي أعلنت في يوليو ١٩٦١؛ الخاصة بالتأميم والضرائب التصاعدية وتحديد الملكيات في المؤسسات الصناعية والملكيات الزراعية (٢). ومن الطبيعي أننا إذا بدأنا بالثورة الاجتماعية فلا بد أن نسير فيها الى مداها، ومعنى ذلك أننا في حاجة الى عمل ثورى يدعم الاشتراكية.

(١) هيئة التحرير: أول تنظيم سياسى فى صورة جبهة وطنية بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وبعد إلغاء الأحزاب فى ١٧ يناير ١٩٥٣، ثم حل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٤ يناير ١٩٥٤.  
(٢) قوانين يوليو الاشتراكية فى ١٩٦١، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وهناك عدد كبير ممن تصدر هذه القرارات الاشتراكية من أجلهم غير واع بمصلحته؛ عمال التراحيل، الفلاحون.. إلخ. هذه العناصر لا تقرأ ولا تتحرك، وهى مستعدة دائما للعمل ضد مصلحتها من حيث لا تدري! فالطبقات التى نعمل من أجلها فى حاجة الى وعى سياسى لتعبئتها وتوجيهها. أما الطبقة المتوسطة فهى متحفظة، ومجتمعنا كله متحفظ وكل فرد فيه سلبى المسلك! لأنه يتوهم أنه سيحقق مكاسبا فى المستقبل، وهو يريد أن يحى هذه المكاسب. إذا لا بد أن نحدد ما هى عناصر الشعب العاملة الوطنية، ثم بعد ذلك نعبئها لكى نتمكن من مواجهة أى موقف".

#### ٤ - معالم الصراع الداخلى:

وتحدث ناصر عن الشائعات فى البلد ضد النظام، فقال: "لقد روج لها العناصر الرجعية التى كانت منطوية تحت أجنحتنا فى هذه الفترة، والتى عاملناها بكل طيبة وانسانية! لقد ظننت أن هناك فرصة، وأن ما حدث فى سوريا من الممكن أن يحدث فى مصر! وقد وُضعت أموال ما يقرب من ٢٠٠ شخصا تحت الحراسة، لأن ترك أموال البلد فى أيديهم لا يمكن إلا أن يستخدم ضد مصلحة البلد.

وإذا نظرنا للصورة الاجتماعية فى البلد نجد أنها لم تتغير، ونخطئ خطأ كبيرا إذا تصورنا أننا غيرنا صورة المجتمع فى ١٠ سنوات! لقد بنينا المصانع، ولكن هل تغير البناء الاجتماعى فى البلد، خصوصا فى الصعيد؟! هناك بالذات لازالت الحالة كما هى!

وبالنسبة للأموال، فهى فى يد هذه الطبقة الرأسمالية، أما الطبقة التى نعمل من أجلها فهى ضعيفة، كل واحد مشغول بعمله اليومى. وإننى أعتبر أننا فى ثورتنا الاشتراكية، إذا كنا نريد المساواة بين الناس فيجب أن يكون هناك تكافؤ كامل فى الفرص".

#### ٥ - تغيير إطار التنظيم السياسى الجديد:

استمر ناصر فى الحديث عن الفترة الجديدة التى أعقبت انفصال سوريا، فقال: "إن مهمتنا صعبة جدا... والتنظيم السياسى الجديد له شقين.. الأول: الخاص بالجماهير، وذلك يتم بمعرفة

المشاكل ثم حلها. والشق الثانى وهو غير الموجود: العناصر القيادية المؤمنة التى تستطيع أن توجه ثم تفسر ثم تقود هؤلاء الناس.

إن من أخذ القيادة فى هذا البلد هى العناصر المتشككة، فإن العمل المطلوب أساسا هو إيجاد هذه العناصر القيادية المنظمة... ثم إيجاد صلة بين القيادة والقيادات الفرعية المختلفة فى جميع النواحي".

ثم أقر ناصر.. "أنه لا توجد وحدة فكرية ولا تنظيم مع ضرورة وجودها فى كل مكان، وتستطيع العناصر المضادة أن تنفذ، وهى متصلة وكان أفرادها يجتمعون فى القاهرة ويتحركون خارجها، فى الوقت الذى لم تكن عندنا هذه الحركة بالنسبة للناس المتصلين بنا!" من هنا وصل ناصر الى النتيجة الآتية؛ وهى حتمية تغيير النظام كله..

أولا: تغيير الدستور، فالعودة الى دستور ٥٦ تعتبر خطوة الى الوراء. وكان من رأيه وضع دستور يتمشى مع التطور فى الخطوات الاشتراكية، وعليه تقرر أن يُعمل بالدستور المؤقت حتى يتم وضع دستور دائم.

ثانيا: إعادة تنظيم مجلس الأمة على أساس تجميع قوى الشعب الوطنية، والبدء بوضع تعريف لها، على ألا تدخل العناصر الرجعية فى التنظيم السياسى. وأخيرا: إعادة تنظيم جهاز الحكومة، وضرورة تغيير القوانين.

## ٦- الصراع الخارجى وأبعاده:

تطرق ناصر فى جلسة مجلس الوزراء الأولى بعد الانفصال أيضا الى القوى الخارجية التى تحارب الجمهورية العربية المتحدة، فقال: "إن المدافع كلها مصوبة الينا؛ جميع محطات الإذاعة السرية من الشرق والغرب والشيوعية كلها ضدنا. ومن الطبيعى أن الصحف التى تصدر باسم الصهيونية تهاجمنا، وأيضا راديو اسرائيل، والغرب كذلك - إنجلترا وفرنسا وأمريكا - ثم الملك سعود والملك حسين، والأحزاب الانفصالية فى دمشق وعمان.

إذاً هناك حلف مقدس جمع كل المتناقضات، ولا هدف لها كلها إلا التخلص منا؛ لأن وضعنا الفكرى قوى جدا، وله أثر فيما حوله.

وفى عام ١٩٥٥ طلبوا [الغرب] منا أن نبتعد عن العرب وهم يعطونا المساعدات التى نطلبها! ولكننا رفضنا لأننا كنا سنصبح دولة تابعة كتركيا أو تايلاند!

إننى أعتقد أن الدفاع عن مصر لا يكون فيها وحدها، ولكن فى الدائرة المحيطة بها. ولم نستطع القول بأنه فى إمكاننا أن نتبع سياسة انعزالية فى مصر؛ لأنهم لن يتركونا أبدا فى بلدنا.

إن بعض الناس يقولون: ما شأننا نحن بالعرب؟! لقد كانت سياستنا دفاعية ولم تكن هجومية، ولكن حلف بغداد كان الغرض منه العزل؛ فالشرق يعمل للعزل وكذلك الغرب! الشرق؛ لأنه يعتقد أنه يستطيع أن يمكن للشيوخيين هنا، والغرب يعتقد أنه يستطيع أن يمكن للموالين له تحت اسم الديمقراطية البرلمانية؛ وهى أشد أنواع الدكتاتورية البرلمانية، فإيران بها برلمان ولكن الغرب يستخدم هذه الديمقراطية البرلمانية من أجل تدعيم عناصر معينة وقتل باقى العناصر!

إننا لا نستطيع أن نقول لا شأن لنا بما حولنا؛ وذلك حتى لا يتمكن أعداؤنا من الدائرة المحيطة بنا. إنهم لن يتركونا أبدا إلا إذا وضعونا داخل مناطق النفوذ".

#### ٧- التخطيط لسياسة الدولة الخارجية:

وضع ناصر بخط يده تخطيطا راجع فيه السياسية الخارجية بعد الانفصال، يشمل سياسة الدعاية والمؤتمر الإسلامى والبعوث الإسلامية وأعمال المخابرات، كما يشمل العناصر المضادة وطرق التغلب عليها؛ الإخوان، عملاء الاستعمار.. الخ.

فبالنسبة للسياسة الإفريقية، فإن البلاد التى بها حركات تحررية وإسلامية يكون موقف الجمهورية العربية المتحدة منها المساعدة بكل الطرق.

أما فيما يتعلق بالسياسة الآفروآسيوية، فلا بد من توثيق الروابط والتعاون فى الميادين المختلفة؛ التعاون الثقافى، فتح أسواق جديدة، وعلاقات تجارية، الدعاية، البعث الإسلامية (١). ويعرض ناصر هنا موقف الجمهورية العربية المتحدة من المشاكل المختلفة؛ مشكلة الهند الصينية، المشكلة الكورية، مشكلة كشمير.

وعن سياسة الجمهورية العربية المتحدة الإسلامية كتب ناصر.. هل الإمكانيات متوفرة؟ ثم تطرق الى وسائل توثيق الروابط الإسلامية بطريقة جدية، والاستفادة بالمؤتمر الإسلامى (٢)؛ خصوصا فى إفريقيا، "علما بأن البلاد الآسيوية فيها جاليات إسلامية تنظر الى الأزهر (٣) كأنه كعبة".

ثم كتب ناصر رؤوس موضوعات عن موقف الجمهورية العربية المتحدة من المؤتمرات الإسلامية الاستعمارية، ومؤتمرات الإخوان المسلمين.

وبالنسبة لسياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه الولايات المتحدة، فرق ناصر بين السياسة الرسمية الدبلوماسية والاقتصادية، ووسائل الدعاية ووسائلها؛ وهى الاتصال بالرأى العام، والاستفادة من الخطابات التى تصله من الولايات المتحدة - ٣٠ ألف شهريا - ومن العالم ٣٢ ألف يوميا!

وأخيرا حدد ناصر عناوين تضمنت سياسة الجمهورية العربية المتحدة تجاه الغرب، وتجاه المعسكر الاشتراكى، وتجاه اسرائيل.



- 
- (١) البعوث الإسلامية: مدينة مخصصة لإقامة وإعاشة الطلاب الوافدين للدراسة بالأزهر، أنشئت في حي العباسية بالقاهرة، وتم افتتاحها عام ١٩٥٩.
- (٢) المؤتمر الإسلامي: تأسس عام ١٩٢٦، بعد قيام مصطفى كمال أتاتورك بإلغاء الخلافة الإسلامية التي كانت تركيا مقرا لها. فلقد دعا الملك عبد العزيز آل سعود إلى عقد مؤتمر إسلامي عالمي في مكة المكرمة؛ للبحث في شؤون المسلمين، وتوحيد كلمتهم، والنظر في مختلف المشكلات الإسلامية، ولم تكن الخلافة مدرجة في جدول أعماله.
- (٣) الأزهر: من أهم المساجد في مصر وأشهرها في العالم الإسلامي، وقد أنشئ على يد جوهر الصقلي عام ٩٧٠.

## ثانيا: المدخل لإنشاء التنظيم الشعبى الجديد:

كتب ناصر بخط يده تقدير موقف بعد شهرين من الانفصال؛ متناولا آثار أحداث سوريا فى مصر كما يلى: "إن هذه الأحداث شجعت الرجعية المصرية وأعطتها الأمل، فكشفت نفسها. وفى نفس الوقت حدث شئ من التردد لدى المثقفين، ولكن الشعب أثبت متانة وصلابة، وكان أشد وعيا وهو بدون قيادات فرعية، رغم أن حياته لم تستقر من الناحية الاقتصادية؛ السكن، التموين.. إلخ، ورغم أنه لازال يقاسى من الاستغلال. كما أن الجيش صلب العود لم تؤثر فيه كل الحملات التى وجهت ضد الجمهورية العربية المتحدة.

أما الاتحاد القومى فقد تسللت اليه العناصر الرجعية المناهضة للثورة مستترة بالشعارات.

ولن تكون دولتنا متينة إلا باستئصال المناهضين للثورة تماما. إن القضاء على أعداء الثورة مطلب شعبى. وهذه العناصر تركزن الى التستر، ولكنها لن تعدل عن خططها بل إنها ستنتهز كل فرصة مواتية لتحقيق أهدافها متعاونة مع الاستعمار".

وفسر ناصر التناقض مع الأعداء، فكتب.. "إن الخلافات مع أعدائنا تستدعى تعيين الحدود بيننا وبينهم. ويجب أن يكون أول عمل لنا فى الداخل سحق المناهضين للثورة الاشتراكية من أعدائنا، وسحق جميع من يعملون على تقويض النظام الاشتراكي؛ أى اعتقال، حرمان من الثروات والأموال ومن الحقوق، حماية الدولة من النشاط الهدام فى الداخل والخارج؛ بالإختصار.. لا حرية لأعداء الشعب".

ثم تطرق ناصر الى التناقض داخل الشعب، فتساءل.. "من هو الشعب؟ جميع الطبقات والجماعات التى تؤيد وتساند التيار الاشتراكي وتساهم فيه. إن التناقضات داخل الشعب ليست متعارضة؛ أى التناقضات بين الطبقة العاملة والبرجوازية الوطنية.

إن الدولة تستند الى الشعب، لذلك يجب أن تُمارس الديمقراطية داخل الشعب، كل الحرية للشعب. إن جميع المسائل المختلف عليها داخل الشعب لا يمكن أن تحل إلا بأساليب ديمقراطية؛ بالنقاش والنقد والإقناع والتنقيف، ولا يمكن حلها بأساليب الضغط... وهنا يأتى دور القياديين؛ فيجب أن يعتمدوا على أسلوب الإقناع بطريقة ديمقراطية، أما اعتماد الأساليب الإدارية فأمر لا يقبله إنسان. والنقد الذاتى هو الطريقة الأساسية للتنقيف الذاتى".

وقد دعا ناصر الى "عقد مؤتمر منتخب للقوى الشعبية يمثل فكر الشعب وتجاربه فى شتى الميادين؛ ليضع ميثاقا للعمل الوطنى، يكون أساسا للانتخابات العامة التالية؛ لاختيار القواعد

الشعبية التأسيسية للتنظيم الشعبى، الذى ينبثق منه المؤتمر العام للتنظيم السياسى، الذى يضع الدستور الدائم للجمهورية العربية المتحدة. وبهذه المهمة يضع الخطوة الأولى لقيام التنظيم الشعبى القادر على دفع الثورة الاجتماعية" (١).

وحدد ناصر بخط يده مفهوم الحرية الاجتماعية.. "أن يكون لكل مواطن حق فى نصيب من ثروة وطنه طبقا لجهده الخاص، لكن الفرصة يجب أن تكون متكافئة".

وفى نفس الوثيقة كتب ناصر.. "الرجعية هى قلة من أبناء الوطن تحتكر الكثرة من ثروته لها وحدها، وتحرم الأغلبية، صاحبة الحق الشرعى بكونها أغلبية. إن الرجعية أقلت نفسها ورفعت يفت الاشتراكية، واستطاعت أن تدفع كثيرين الى الانحراف. وقد سادت الطمأنينة لديهم بسبب قلب الثورة الرحيم!"

وتساءل ناصر.. "المشروعات الصناعية وثروة البلد فى يد من؟ إننا فى سنة ١٩٦٠ وصلنا الى حد الخطر؛ الرجعية تسيطر وتوشك أن تجند الثورة الوطنية لحسابها؛ وذلك حتى تبعدها عن أهدافها الثورية. إن سيطرة رأس المال على الحكم ليس معناها تأليف مجلس وزراء من أصحاب الملايين، إنهم لم يدخلوا الوزارة، ولكنهم كانوا يضعون الوزارات [قبل الثورة]، وكان لا بد للثورة الوطنية أن تأخذ طريقها".

وكتب ناصر عن "أسطورة رأس المال الأجنبى... "لم يجئ إلينا إلا ٨،٧ مليون جنيه فى ١٠ سنوات!... إن اتجاهنا [الآن] الى القروض وليس الى فتح البلاد لرأس المال الأجنبى، لماذا؟ رأس المال الأجنبى سيحول أرباحه للخارج الى الأبد بالعملة الصعبة، أما القروض فسندفعها فى وقت محدد وتنتهى، وتبقى الأرباح للشعب".

وتطرق ناصر للحديث عن التجربة السابقة وخرافة طمأننة رأس المال الخاص؛ "فقد كان الاستثمار فى الصناعة فى ١٩٥٢ يبلغ ٢ مليون جنيه، وفى ١٩٦٠ بلغ ٨٨ مليون جنيه.

ولست ضد رأس المال الخاص حين يعمل، ولكنى ضده حين يستغل وحين يحجب الفرصة عن الآخرين ويسلبهم إياها...

إن العقبات فى طريق الثورة الاجتماعية هى الرجعية، الاستغلال، الإقطاع، الرأسمالية المستغلة، الاحتكار، وعندهم الفرصة فقد ورثوا المال وتركوا لغيرهم الفقر، ورثوا النفوذ وتركوا لغيرهم الجهل؛ ورثوا كل شئ..."

(١) خطاب ناصر فى اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، ١٩٦١/١١/٢٥، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٦، ص ص ٣٧٨ - ٤٣١.

ولا يمكن للديمقراطية السياسية أن تصبح حقيقة واقعة، إلا إذا توافرت الديمقراطية الاجتماعية وتكافأت الفرص وتمت المساواة".

وانتقد ناصر نظام الحزبين وفق الطريقة الغربية الرأسمالية، فرأيه "أن مثل هذا النظام فى الوقت الحاضر ليس إلا وسيلة من وسائل المحافظة على دكتاتورية رأس المال، ولا يمكن أن يؤمن الحرية والحقوق للطبقة العاملة... من الذى يستطيع أن يمول الانتخابات والدعاية؟ الرأسمالية والإقطاع المستغل... إننا لازلنا مجتمع رأسمالى يتحول تدريجيا الى الاشتراكية!"

ورد ناصر على من يقول إن الانقلاب فى سوريا هو الذى فجر الثورة الاجتماعية، قائلا: "هذا خطأ.. الثورة الاجتماعية بدأت قبل ذلك بقوانين يوليو ١٩٦١، والانقلاب السورى كان رد فعل رجعى للثورة الاجتماعية. قالوا: لا يوجد إقطاع فى سوريا! كيف ذلك وهناك من يملك مليون دونم أى ربع مليون فدان؟! قالوا: لا توجد رأسمالية مستغلة فى سوريا، كيف ذلك والشركة الخماسية والاحتكار وسيطرة رأس المال؟! وحالة القرى فى سوريا؛ لا مياه للشرب!"

### ثالثا: ميثاق العمل الوطنى دليل عمل لسنوات عشر تالية:

قدم ناصر الميثاق للمؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، حيث تمت مناقشته والموافقة عليه. وكان مليئا بالاتجاهات الحاسمة ذات التأثير بعيد المدى؛ نصف المقاعد فى جميع المجالس الشعبية - والمجلس النيابى فى مقدمتها - للفلاحين والعمال؛ باعتبارهم الأغلبية الصحيحة التى طال حرمانها. وذلك معناه أن سلطة التشريع والرقابة قد وضعت فى يد الفلاحين والعمال. كذلك فقد تم وضع سلطة المجالس الشعبية فوق الأجهزة الإدارية والتنفيذية.

بالإضافة الى ذلك أرسى ناصر دور الشعب المعلم، ومبدأ تدوير الفوارق بين الطبقات، وجماعية القيادة تأكيدا للديمقراطية.

وقد فرق الميثاق بين رأس المال المستغل المحتكر وبين رأس المال الوطنى العامل دون استغلال أو احتكار. وهو فى الواقع خرج عن الطريقين الذين يعرفهما العالم؛ الطريق الرأسمالى والطريق الشيوعى، الى طريق ثالث يجمع الفلاحين والعمال مع المثقفين والرأسمالية الوطنية فى

إطار الاتحاد الاشتراكي العربي؛ التنظيم الشعبي الجديد للجمهورية العربية المتحدة، الذي يحقق الاتصال المستمر بين القيادات وال جماهير (١).

(١) هيكل، "الأمة.. دورها في صنع البطل ودور البطل في حياتها"، ٢٥ مايو ١٩٦٢، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق. وقد تساءل هيكل: "هل يقدر الفلاحون والعمال على تحمل مسئولياتهم؟" في ١ يونيو ١٩٦٢، المرجع السابق.

وهنا أبرز ناصر الفارق بين الاتحاد القومي والاتحاد الاشتراكي، فقال: "تم إنشاء الأول ليكون إطارا من الوحدة الوطنية يجمع جميع المتناقضات، على أن تحل بالطرق السلمية في داخله. وتم تجميع الاقطاعيين مع الرأسمالية المستغلة، وأعطيت الفرص لكل الناس ليدخلوا الاتحاد القومي. وأخذنا في سوريا الدرس حينما انقضت الرجعية، وحينما تكتلت في العالم العربي ضد مبادئ العدالة الاجتماعية التي أعلنها في بلدنا؛ فوجدنا أن الأساس الذي بنى عليه الاتحاد القومي لم يكن سليما. اليوم في الاتحاد الاشتراكي نتلافى هذه العيوب؛ فيتكون من تحالف قوى الشعب العاملة، ولا مكان فيه للرجعية أو للاقطاع أو للرأسمالية المستغلة أو الفاسدة" (١).

وفي الميثاق تناول ناصر مبدأ جماعية القيادة، ثم تنازل عن سلطات رئيس الجمهورية الى مجلس الرئاسة، من منطلق أن الحكم الجماعي يحقق ممارسة الديمقراطية على جميع المستويات.

وفي خطاب له في ٢٤ سبتمبر ١٩٦٢، قال ناصر: "لقد كانت معركتنا منذ أول يوم في سبيل الديمقراطية السلمية، الاجتماعية مع السياسية. وبعد ١٠ سنين مرينا بجزء كبير في التحول الاشتراكي؛ حددنا الملكية الزراعية الى ١٠٠ فدان للعائلة، وأمنا ٨٠٪ من أدوات الانتاج. إذاً معركتنا كانت في سبيل أن يكون لكل فرد حق في بلده، وفي سبيل ألا تحتكر ثروات هذا البلد فئة قليلة..."

ويجب أن نبدأ في تنظيم الدولة؛ فمجلس الرئاسة والمجلس التنفيذي وهو مجلس الوزراء، والسلطة به ستكون أيضا تضامنية وليست لرئيس المجلس؛ بهذا نتخلص من الفردية والسلبية التي اشتكىنا منها... وسيصدر كذلك قرارا بتشكيل اللجنة التنفيذية العليا [للاتحاد الاشتراكي]" (٢).

وكتب ناصر بخطه.. "أن مجلس رئاسة الجمهورية هو الهيئة العليا لسلطة الدولة، ويمارس السلطة التشريعية، ويعين ويعزل القيادة العليا للقوات المسلحة. وينتهي عمل مجلس الرئاسة بوضع الدستور الدائم الجديد"، والذي تم في ٢٥ مارس ١٩٦٤.

ورئيس الجمهورية فى ظل هذا النظام يصدر القوانين والقرارات، ويعين رئيس المجلس التنفيذى ونوابه والوزراء، ويعين ويعزل نواب رئيس مجلس الدفاع الوطنى وأعضائه، وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة ورئيس مجلس الدفاع الوطنى.

(١) حديث ناصر مع رئيسى تحرير جريدتى "إزفستيا" و"برافدا" السوفيتية، ١٩٦٢/٧/٣١، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٥، ٢٠٠٧، ص ص ٣٨٣ - ٣٩٤، مرجع سابق.  
(٢) المرجع السابق، ص ص ٣٩٥ - ٤٢٠.

وقد أعلن ناصر أن أكبر قسط من وقته سيكرسه للتنظيم الشعبى؛ فنجاحه هو الحماية الحقيقية للعمل الوطنى. وهذا يحتاج الى تعبئة الجماهير وخلق القيادات؛ خاصة من الشباب الذى لا بد أن يحمل مسئوليته.

#### رابعاً: الواقع السياسى العملى الذى تحقق:

وفى ١٩٦٣ أصبح الاتحاد الاشتراكى يضم ٥ مليون عضواً، ولكن فى داخله أنشئ جهاز سياسى كان ضرورياً لتأمين الثورة ضد الاستعمار والإقطاع والرجعية ورأس المال المستغل؛ هو التنظيم الطليعى.

وقد شرح ناصر لقادة حزب البعث السورى الذين جاءوا الى القاهرة للمطالبة بالوحدة فى ١٩ مارس ١٩٦٣، "لماذا لم نسمح بالأحزاب؟ إن الحزب عبارة عن انتقاء، ويصل الى آلاف. معنى هذا أن نتغاضى عن باقى الشعب، ونتحول من ديمقراطية كل الشعب الى دكتاتورية الحزب! إن وضع الأحزاب فى مصر مختلف... فكلها كانت رجعية وتعاونت مع الاستعمار، ماعدا الحزب الوطنى وكانت قواعده قليلة. وقد استمر الإخوان المسلمين بعد إلغاء الأحزاب فى ١٧ يناير ١٩٥٣، وكانت أمامنا علامة استفهام حولهم، حتى كشفوا أنفسهم وحدث الصدام بيننا وبينهم فى ١٩٥٤...

والآن أصبح لا يوجد عندنا أحزاب، ولكن تحالف قوى الشعب العاملة... ونحن لا نعتبر الاتحاد الاشتراكى حزباً... فالتحالف داخله تتصادم مصالحه مع الرأسمالية والإقطاع، ولا يمكن بأى حال أن تلتقى... ولقد منعنا فى مصر حزب الرأسمالية والإقطاع شكلاً وموضوعاً، كيف؟ بالقضاء على الإقطاع وبالتأميم ثم بالحراسة.

إن ما حدث عندنا هو تقريباً تصفية كبيرة لتحالف الإقطاع مع رأس المال، ثم ما هو سلاحهم؟ هو المال.

فى البداية كنا نفكر فى تحديد عدد الاتحاد الاشتراكى ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف، ولكن عجزنا عن ذلك؛ والسبب أن البلد كلها تقول: نحن معكم! وفعلا تقدم ٥ مليون. إنه بعد ١١ سنة فيه تأييد جماهيرى من الناس للثورة؛ المطلوب هو تنظيم هذا التأييد، وخلق اتصال بين القاعدة وبين هذا التأييد الجماهيرى. وطبعاً لا يدخل ضمن عضوية الاتحاد الاشتراكى كل من طبقت عليه القرارات الاشتراكية أو وضع تحت الحراسة أو صدرت عليه أحكام...

إننا مهما عملنا برلمانات بدون القضاء على الاستغلال وعلى سيطرة رأس المال، فإنها ستكون مجالس تمثل الأقلية فقط، أى تمثل تحالف رأس المال مع الإقطاع، ولا يمكن أن تمثل الشعب العامل!... إننا لا نحكم لصالح البرجوازية، ولكننا نحكم لصالح تحالف العمال والفلاحين والمتقنين؛ لصالح قوى الشعب العاملة كلها.

وبالنسبة للإقطاع العام، عملنا نسبة فى مجلس الإدارة للعمال لمواجهة مشكلة البيروقراطية، ثم الاشتراك فى الأرباح للعمال بنسبة ٢٥٪، ثم النقابة العمالية والاتحاد الاشتراكى فى المصنع، وكانت النتيجة أن زاد الإنتاج. وقد تم تحديد الحد الأقصى للأجور بمبلغ ٥٠٠٠ جنيه والباقى أرباح، وتحديد الحد الأدنى للأجور أيضاً...

واليوم سنعمل مجالس شعبية فى القرى والمدن، وانتخابات عامة لتكوينها، ولها سلطات مشابهة لمجلس النواب بالنسبة للجمهورية.

إن الرجعية لا يؤتمن لها مهما كان؛ فهى تتشكل بمقتضيات الحال... والرجعية ورأس المال لن تظمن إلا إذا اغتصبت الحكم وحكمت لصالح طبقتها تحت اسم الديمقراطية، وهى دكتاتورية رأس المال والرجعية!

ولضمان عدم طغيان الطبقة القديمة أو الجديدة التى من الممكن أن تتكون على حساب حقوق العمال والفلاحين، وضعنا فى الميثاق أن ٥٠٪ من أعضاء مجلس الأمة والمجالس والمنظمات الشعبية للعمال والفلاحين... حتى نتلافى أساليب الرجعية والإقطاع فى أى انتخابات قادمة؛ لأن لازالت الرجعية والإقطاع لهم نفوذ عصبى، عشائرى، طبقى. بهذا نضمن أن الطبقة التى حكمت لمدة طويلة والتى ورثت النفوذ والمال، مهما عملت تأخذ فقط ٥٠٪.

وفى الواقع فإن ناصر قاد كل هذه التغييرات وسط ثورة مضادة تحركت بعد الانفصال وقالوا: فرصة، ولكن قوى الثورة استطاعت أن تقضى على الثورة المضادة، إلا أن الثورة المضادة

مستمرة دائما حتى نعمل التغيير الاجتماعي الكامل... طالما فيه ثورة، فيه ثورة مضادة... وهذه الثورة المضادة ساعدتنا على أن تقوم لجنة تصفية الإقطاع... التي استطاعت أن تصفى الإقطاع فى البلد كلها، وتقضى على عناصر كبيرة من الثورة المضادة الموجودة فى البلد. لقد كانوا يقتلون الفلاحين ويأخذون الأرض، وتجاوزوا الحد الأعلى للملكية(١)!

---

(١) المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٧٨ - ٤٠٢.

### خامسا: المطلوب ثورة على الثورة!

فى ٢٥ مارس ١٩٦٤ صدر الدستور المؤقت فى الجمهورية العربية المتحدة، حتى يتم مجلس الأمة - الذى يبدأ عمله فى اليوم التالى - مهمته بوضع الدستور الدائم، وطرح مشروعه على الشعب.

وقرب أواخر عام ١٩٦٤ شعر ناصر بحسه السياسى الوطنى أن الجو العام أصبح غير موافق، فكتب بخط يده.. "ما سبب الجو الموجود حاليا؟" ثم عدد الأسباب؛ زيادة الأسعار، إطلاق حرية النقد بغير موازين، عدم وجود مواجهة كافية.

ومن الناحية الاقتصادية رصد ناصر أن "هناك تضخم بلا شك؛ إنفاق متزايد على الجيش والقوات المسلحة واليمن، إنفلات من جانب الحكم المحلى، اتجاه الى مشروعات لا يمكن أن تكون انتاجية فى الخدمات، تعيينات وإسراف فى بدلات ومرتببات، سوء توزيع الميزانية النقدية فى العام الماضى أدى الى نقص فى الانتاج المحلى، توقف عدد من المصانع أشاع بلبلة!"

ثم كتب ناصر.. "الجهاز الحكومى كله مضاد!" فالموظفين غير واعين؛ فى القمة يريدون امتيازات، وفى القاعدة ضغط الغلاء عليهم كبير. أما القطاع العام فمعظم الناس فيه يريدون خلق طبقة جديدة ويضايقهم أى قيود. والسلك السياسى فى الخارج كله مضاد، خصوصا بعد التخفيضات الأخيرة فى الدخول!"

وعن جو الريف دون ناصر.. "المفاتيح التقليدية ضائعة، الأعيان القدامى أو بعضهم يتزلف للمحافظين، وجود إحساس بطبقة جديدة، أين فلاحى الاصلاح الزراعى؟" ثم سجل أخطاء التسويق التعاونى، ومصاعب التعامل مع بنك التسليف.



وعبر ناصر عن شعوره فكتب فى نفس الوثيقة.. "إن فقدان الثقة مخيف!" فيوجد فساد أو محاولات، وهناك ضيق بالنقد وحساسية على القمة، وأن موضوع الحراسات وما جرى فيه أوجد "طبقة طُحنت، وهى تتكلم الآن بغير حساب على مرأى من بقايا الطبقة القديمة الزميلة لها، وعلى مشهد من طبقة أخرى تتكون!"

أما الشيوعيون، "فلم ننفذ أى خطة فيما يتعلق بتفكيكهم، والنتيجة... الآن يتجمعون!"

وفى نفس الوقت، "التنظيم السياسى كاد يموت"، ثم تساءل ناصر.. "كيف يمكن بث الحياة فيه فى ظروفه الحالية"؟ ووصل الى النتيجة أنه يجب وضع برنامج للعمل يخطط لمرحلة الانطلاق. واستمر ناصر فى نقد الأوضاع فى البلد، فكتب أن "مجلس الأمة به تيارات متباينة، مع ملاحظة التربص بالحكومة، والرغبة فى الشعبية الرخيصة، وعدم وجود رابط بالاتحاد الاشتراكى، وضعف التوجيه.

وبالنسبة للوزارات، فلا وجود لوزارة البحث العلمى، وكثرة المشاكل فى وزارة الصناعة".

وتحت عنوان "تمزق الحكم" كتب ناصر ملاحظاته.. "وجود مجموعات فى مجلس الأمة وعدم الاجتماعات وعدم التناسق، السلبية والخوف، الأحاديث المتضاربة، وجود كراهيات عنيفة. يضاف الى ما سبق وجود موجة من الاضرابات (السمن - المعلمين - البوليس).

وعن الموقف فى الجيش، سوف يعكس الموقف الشعبى بالتأكيد، وهو غير متماسك، ولا يمكن الحياة على أساس القديم وحده".

ولاحظ ناصر.. "أنه توجد مشكلة نفسية؛ أنه ليس هناك شئ قابل للتغيير، بالإضافة الى وجود إحساس بالتمرد يغذى من جانب قوى كثيرة".

وبدأ ناصر وضع برنامج عمل لثلاثة شهور؛ يتضمن برنامج لخفض الأسعار، وتسوية موضوع الحراسة، وحملة فى الريف، وتشكيل لجنة مركزية للاتحاد الاشتراكى.

ومضى ناصر يفسر.. "ما هو المطلوب فى النهاية؟ ثورة على الثورة؛ إما من داخل الحكم بتغيير شامل، وهل هذا ممكن؟ وإما من الاتحاد الاشتراكى بتكوين نواة جديدة، والانتقال الى الشعب ابتداء من بيان مجلس الأمة القادم".

وحدد ناصر كتابة أيضا عملية وضع الأمور فى نصابها، وعودة النقاوة الثورية الى التصرفات اليومية. وهنا أثار مسألة الحساب، "فلا بد أن تتحى رؤوس فى المحافظين، فى رؤساء المؤسسات، فى مديرى الشركات، أو حيث يوجد أن الحاجة والحساب يدعوان الى ذلك".

يضاف الى ذلك عدة إجراءات لحل بعض المشاكل المعلقة؛ مثل النظر فى أحوال الطوائف للربط الطبقي، وإعادة المرتكزات المعبرة عن الأهداف الاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو، وحل مسألة السلك السياسى، "وضع تنظيم محكم يجعل الحكم عملية علمية متصلة مباشرة بالناس؛ بالمشاكل الحاضرة، بآمال المستقبل".

وحدد ناصر أيضا معالم خطة بالنسبة للحكومة تضمنت؛ تغيير رئيس الوزراء - على صبرى - وتغيير نوابه الخمسة، وأن يجتمع نواب رئيس الوزراء بوصفهم مجلس وزراء مصغر كل يوم صباحا، ويمكن أن يكون هناك مدير مكتب لرئيس الوزراء فى درجة وزير Cabinet للاتصالات السريعة، ويحضر اجتماع مجلس الوزراء المصغر، وكل يوم يرسل محضر الاجتماع الى رئيس الجمهورية.

وقبل وضع التنظيم لابد من تغيير فى الحكومة وفى الاتحاد الاشتراكى؛ فهذا يكفل التنسيق بوعى وتحقيق الوحدة الفكرية، وقطع الطريق على اتصالات فرعية تخلق حساسيات، ويحقق اقترابا أكثر لتذويب الشلل.

كما يوضع نظام للحكومة فى مكاتب المحافظين؛ ليكون المحافظ كل يوم على اتصال برئيس الوزراء ومجلس الوزراء المصغر، وكذلك الاتحاد الاشتراكى ليكون على اتصال بمكاتب الوزارة.

وختم ناصر.. "أنه من الواضح أن هناك جو غير عادى فى البلاد، وإذا كانت أسبابه الظاهرة هى زيادة الأسعار ومشكلة المعلمين، وإطلاق النقد بغير ضوابط الذى قاد الى المواجهات، إلا أن المسألة فى الحقيقة أكبر من هذا؛ فهناك مشاكل حقيقية تودى الى التضخم، كما أن جهاز الحكومة غير كفاء للمسئوليات المتزايدة للدولة، وجهاز الانتاج تواجهه مشاكل كبيرة؛ البيروقراطية، وعدم صلاحية بعض العناصر. إن الدولة تحولت الى أكبر منتج، ولكنها لم تطور أساليبها ولا أجهزتها الى مستوى المسئولية المتزايدة عليها".

#### سادسا: بداية مرحلة ثورية جديدة:

وقد تمت فعلا استقالة الوزارة برئاسة على صبرى فى ٢٧ مارس ١٩٦٥، وتولى من بعده زكريا محى الدين. وكان ناصر قد ترشح رئيسا للجمهورية وانتخب لمدة ٦ سنوات فى ١٦ مارس ١٩٦٥.

وفورا دعا ناصر الى اجتماع فى بيته فى ٣٠ مارس ١٩٦٥؛ لتقييم المرحلة الماضية، وتكلم عن كل الظواهر السلبية فى الحكم كما رآها، وطالب بمرحلة ثورية جديدة بالمواصفات السابق ذكرها، وطلب تقريراً من كل وزير عن أسباب المشاكل فى قطاعه وعلاجها.

وفى بداية هذه الفترة تم إلغاء الأحكام العرفية من مارس ١٩٦٤، وخرج من عليهم أحكام سياسية من السجون، ومنهم الشيوعيين والإخوان المسلمين. وفى ٧ إبريل ١٩٦٥ أعلن الشيوعيون المصريون قراراً بإنهاء الشكل المستقل للحزب الشيوعى المصرى، وأرسلوا نسخة منه الى ناصر.

وفى شهر يوليو تم اكتشاف مؤامرة جديدة للإخوان المسلمين، فقد شكلوا تنظيمًا سرى، وجمعوا سلاحاً ومفرقات، ووصلت لهم أموال من الخارج، واستعدوا لقلب نظام الحكم.

وتعليقاً على ذلك قال ناصر فى خطاب له فى الطلبة العرب من النادى العربى بموسكو فى ٢٩ أغسطس ١٩٦٥: "لا يمكن أن نقابل ذلك باللين، هل نعى كما فعلنا قبل ذلك؟! لقد عفينا مرة [عن مرتكبى محاولة الاغتيال فى ٢٦ أكتوبر ١٩٥٤] ولن نستطيع أن نعى بعد ذلك، وكلّ مسئول عن عمله؛ إذا المؤامرة سنقابلهما بشدة ونسحقها. كيف كشفت هذه المؤامرة؟ مواطن بلّغ (١).

وظل ناصر يرصد الثورة المضادة وتحركاتها، فكتب مرة أخرى بخط يده عن خطورة الوضع الداخلى فى ٢ فبراير ١٩٦٦.. "آخر مرة كان فيها تعبئة حقيقية وصلت الى الذروة فى مارس ١٩٦٥، الوضع اليوم فيه خطورة. بعد التعبئة جمد الموقف، التغيير لم يرتبط موضوعياً أو تنفيذياً بالبرنامج المرسوم. أين الجيل الجديد؟! سؤال للناس! الاهتمام بالمشاكل اليومية للجماهير؛ لا توجد صلة بين الوزارة والناس، والانجازات الحقيقية يساء تقديمها للناس. إن الجبهة الداخلية تعانى من حالة قلق نفسى!"

ومضى ناصر فى انتقاداته "لعمليات الاستغلال بالنسبة لشقق الحراسة والتموين، وتنظيم الشباب؛ هتيفة فى الشوارع، وتحالف قوى الشعب العاملة؛ لا يوجد تحالف. كما أن هناك حملة ضد ضباط الجيش وتُلقى صدى، وهى ليست جديدة، الجديد هو الصدى!... وهناك شعور بأنه توجد طبقة مميزة؛ لها كل الميزات ولا تحس بالشعب! وهناك ضغط فى الريف؛ تحصيل أموال.

الشيء الايجابى الوحيد كان موضوع السد العالى!

ما العمل؟ يجب أن نأخذ المبادأة ونعود للدق على نقطة الانجاز الذى حدث حتى الآن، ونركز على معالم النجاح لا الفشل. ويجب الاهتمام بالاتحاد الاشتراكى، والعمل على أن تفرغ الوزارة من الخطة وتعرض على المحافظات، وتحرك الناس بطريقة حاسمة ومعقدة. كما يعقد مؤتمر

لمناقشة الخطة؛ يضم أعضاء مجلس الأمة مع المجالس التنفيذية، ويتم الشرح على مواقع العمل والانتاج.

إن الناس لا تهتم بالسياسة الخارجية بل بالسياسة الداخلية... فلنشارك الجماهير ايجابيا، ويُناقش موضوع إشراف الجماهير على الخدمات".

---

(١) المرجع السابق، ج ٤، ص ص ٨٤٩ - ٨٦١.

وأكد ناصر.. "يجب أن تسير معي الجبهة الداخلية حين أدخل أي معركة عربية، ويجب أن يكون تأثيرى فى الخارج بنجاح التجربة فى مصر... نحن الآن لأول مرة نحارب البرجوازية العربية كلها، يجب جذب الطبقة الوسطى فى مصر وخارجها.

كل الاقطاعيين طبعا لا يقبلون تحديد الملكية وتوزيع الأرض على الفلاحين، الرأسماليين المستغلين والذين أممت مصانعهم لا يمكن أن يكونوا مع الثورة، الاستعماريون الذين أخذت مصالحهم الموجودة هنا - البنوك وشركات التأمين والمصانع - وأممت، لا يمكن أن يكونوا مع الثورة وإنما مع الثورة المضادة.

وقد حاولت القوى المضادة أن تستغل قطاعات من الناس من أول الثورة، ولم تنجح أبدا، كانت تنجح جزئيا فى تضليل بعض الناس وتخوفهم من التغيير".

## ثانيا: الصراع فى اليمن:

### ١ - مفاجأة اندلاع الثورة اليمنية:

فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ أطاحت القيادة العليا للجيش اليمنى بالإمام البدر، وقتلت بعض أعضاء العائلة المالكة، وأصدرت قرارا بإلغاء الملكية وأعلنت إقامة "جمهورية حرة"؛ الجمهورية العربية اليمنية. وعلى الفور أرسل عبد الله السلال - القائد الفعلى للثورة - يطلب تأييد ومساندة الجمهورية العربية المتحدة للنظام الجديد فى اليمن(١).

وفى نفس الوقت طلب الأمير الحسن - مندوب اليمن فى الأمم المتحدة وعم الإمام المخلوع البدر - من الولايات المتحدة أن تعلن أنها ضد التدخل الخارجى فى اليمن، وتعترف به على أنه الحاكم الجديد للبلاد، ثم طلب مساعدته فى العودة الى اليمن لإعادة نظام الإمامة!

وكان رد الولايات المتحدة؛ أنه من المستحيل مساعدته؛ فهى لا تتدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى! وفى نفس اليوم ليلا سافر الأمير الحسن الى لندن بحثا عن المساعدة من جانب بريطانيا(٢).

وفى اليوم نفسه أيضا، وبعد أن تلقت الحكومة الأمريكية تقاريرا خاطئة؛ توضح أن الثوريين يعملون مع الجمهورية العربية المتحدة! أرسلت حكومة الولايات المتحدة برقية الى الحكومة المصرية؛ تعلمها أنها لا تعترف بالتدخل فى الشؤون اليمنية، وأن اعتراف الولايات المتحدة بالحكومة اليمنية الجديدة مرهون بالحصول على مزيد من المعلومات؛ لتقييم مدى القبول الشعبى لها وسيطرتها الفعالة على البلاد، وبوجود أدلة على رغبة الحكومة فى احترام الالتزامات الدولية والقدرة على القيام بذلك.

وقد حرصت الحكومة الأمريكية على التأكيد فى هذه البرقية على أن طبيعة العلاقة بين الحكومة اليمنية الجديدة والجمهورية العربية المتحدة هى مسألة لا تخص الولايات المتحدة. وأنها تتمنى من الجمهورية العربية المتحدة مع ذلك، أن تتفهم أن حكومة الولايات المتحدة لها مصلحة حيوية فى الحفاظ على أمن منطقة الخليج العربى؛ وهذه مسألة تتوقف على احتفاظ بريطانيا بمكانتها ونفوذها فى منطقة عدن، وهو مع نفوذها فى الخليج الفارسى يعزز بصورة مباشرة مصلحة الجمهورية العربية المتحدة فى الحفاظ على أمن الكويت. كما عبرت الولايات المتحدة

---

(١) برقية عبد الله السلال - قائد الثورة اليمنية - الى ناصر، وردة عليها، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) Circular tel. from the Dept. of State to Certain Posts, Washington, Sept. 27, 1962.

- كل الوثائق الأمريكية موجودة على الانترنت.

عن أملها فى أن تمارس الجمهورية العربية المتحدة نفوذها على النظام اليمنى الجديد؛ لضمان توجيه جهوده نحو توطيد الاستقرار الداخلى والتنمية، بدلا من الدخول فى مغامرات خارجية(١).

يستنتج من هذه البرقية التى أرسلتها الولايات المتحدة الى الجمهورية العربية المتحدة ثانى يوم الثورة اليمنية؛ أن لب المشكلة فى الواقع بالنسبة لهم ليس فى صنعاء - العاصمة اليمنية - ولكن فى القاهرة! فهى التى لديها القدرة العربية الوحيدة للتأثير على الوضع هناك.

وقد اتصل الأمير فيصل أيضا ثانى يوم الثورة اليمنية بالولايات المتحدة؛ يطلب مسانبتها وبريطانيا لتكوين قوة مضادة للنظام الجديد فى اليمن بالاشتراك مع المملكة العربية السعودية! وفى نفس الوقت بدأت الاستعدادات العسكرية السعودية على الحدود المشتركة الشمالية والشرقية بينها وبين اليمن. وكان الإمام المخلوع البدر قد لجأ الى السعودية فور قيام الثورة يطلب النجدة والمساعدة. ولقد كانت سياسة الولايات المتحدة فى ذلك الوقت هى عدم التدخل فى اليمن كما أخطرت الجمهورية العربية المتحدة؛ لأنها كانت تعتبر أن نظام الإمام كان واحدا من أكثر النظم تخلفا فى العالم. إلا أنه كان من مصلحة الولايات المتحدة أن تساند عائلة سعود مثلما تؤيد الأردن. أما سياستها تجاه ناصر فكانت تهدف الى أن يتحول الى الداخل، وتعمل فى نفس الوقت لزيادة الضغط عليه؛ لتشجيع سياسات أقل معارضة لمصالحها ومصالح أصدقائها، كما تستمر فى المعونة الأمريكية حتى لا يتجه أكثر الى السوفييت(٢).

إذاً من أول دقيقة بعد قيام ثورة اليمن كانت الولايات المتحدة طرفا فاعلا فى الأزمة اليمنية، ومعها بريطانيا. فالدولتان لهما مصالح هائلة فى المنطقة؛ البترول فى السعودية والرغبة فى إبقاء حكم عائلة سعود على أساس أنه يحقق الاستقرار المنشود. هذا بالإضافة الى المستعمرات البريطانية التى لازالت قائمة - وأهمها عدن - وبالتالي فكان حدوث ثورة فى الجوار اليمنى يهدد الأوضاع فى القواعد العسكرية البريطانية.

وفى هذا الإطار، وصل الأمير فيصل الى واشنطن فى ٤ أكتوبر ١٩٦٢ لمقابلة الرئيس كيندى، الذى وردت اليه تقارير كثيرة؛ أبرزها أن الملك سعود أصبح ضعيفا، و فيصل يأتى بعده وهو أذكى من سعود، وقد حضر بنفسه الى واشنطن ليتأكد الى أى حد يسانده الأمريكان؛ حيث أن ثورة اليمن أظهرت الخوف السعودى من الناصرية، وعائلة سعود اعترفت أنهم التاليين بعد العائلة المالكة فى اليمن!

(١) برقية الحكومة الأمريكية الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٢/٩/٢٧، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, Oct. 4, 1962.

وكان الموقف الأمريكي إزاء هذه الزيارة؛ أنه من الصعب إرضاء فيصل بالرغم من أنهم أكدوا أنهم يساندون عائلة سعود. وقد لاحظ روبرت كומר - مساعد الرئيس كينيدي - أن فيصل يشك أن الأمريكيين قد غيروا سياستهم العربية الى سياسة تساند ناصر! ولإقناع فيصل بأن الولايات المتحدة مازالت تساند النظام السعودي؛ ذكره بما فعلته الولايات المتحدة للسعودية؛ فقد قامت بفتح إعتقاد للسلاح بلغ ١٣،٥ مليون دولار، وقدمت هدية من أجهزة الإرسال للراديو، وأرسلت فريقا للبحث الاقتصادي. هذا بالإضافة الى الاحتفاظ ببعثة التدريب العسكى فى السعودية، والموافقة على FS-A بيعهم الطائرات المقاتلة.

وكان اعتراض الأمريكيين الأساسى أن السعوديين يجب أن يسرعوا فى التحديث والتطوير، فالإصلاح الداخلى هو أهم نقطة ضد الناصرية(١)!

وقد استخدم فيصل كل الطرق لإقناع الولايات المتحدة بمساندته، فبدأ بأنه واثق جدا من الموقف فى اليمن؛ وذلك على أساس الأسلوب التاريخى للثورات اليمانية. إن القبائل التى ستجتمع فى التلال الشمالية سوف تتحد لإعادة حكم الإمام! ثم ذكر فليبيس تالبوت - مساعد وزير الخارجية الأمريكية - الذى قابله فى نيويورك فى ١٣ أكتوبر ١٩٦٢، أن الولايات المتحدة لها ممتلكات وأصول قيمة فى اليمن، ومضطرة أن تتضم الى القوات السعودية والأردنية فى مجهودها لقلب السلال.

وهنا كان الإعتراض الأمريكى؛ أنه ليس هناك إمكانية لحدوث ذلك؛ خاصة وأن الجمهورية العربية المتحدة ملتزمة بإبقائه، وممكن أن تقبل مساعدة الاتحاد السوفيتى! وفى الواقع فقد اعتبرت الولايات المتحدة أن الموقف فى اليمن وضعها فى موقف حرج بالنسبة لعلاقتها مع الجمهورية العربية المتحدة(٢).

## ٢- تحرك القوات المصرية الى اليمن:

فى ٥ أكتوبر ١٩٦٢ تحركت قوات مصرية محدودة الى البحر الأحمر، فى طريقها الى اليمن على بعد ١٠٠٠ ميل - ١٨٥٢ كم - جنوبا من الحدود المصرية؛ لمساندة ثورتها، بعد أن عبر أفراد الجيش السعودى الحدود الى مناطق فى شمال وشمال شرق اليمن، مع بعثة فنية أردنية. وفيما عدا تلك المنطقة، كان النظام اليمنى الجديد يسيطر على البلد. وفى مواجهة هذا التدخل العسكى السعودى، اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالجمهورية العربية اليمانية، وأعلنت أنها لا تسمح بأن يُقضى على نظام الثورة!

Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, Oct. 4, 1962. (١)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Oct. 13, 1962. (٢)

وقد ناقش ناصر فى مجلس الرئاسة(١) فى ٢٩ سبتمبر ١٩٦٢، البرقية التى وصلتته من قادة الثورة اليمنية فور قيامها، "... نرجو تأييداتكم المعنوية والمادية، ونحن مستعدين لتلقى توجيهاتكم وإرشاداتكم".

وقال ناصر: "إننى لم أرد فورا، ولكن أرسلت لهم عن طريق القائم بالأعمال لنا هناك، وقلت لهم: إننا فى أى تدخل خارجى أو عدوان سنعاونكم، وبالذات إذا تدخل سعود يكون لنا موقف أكبر؛ نقدر نساعدكم بالجيش. ثم قلت لهم: إعملوا حكومة حتى يعترف الناس بكم، ويجب أن تسيروا الأمور أكثر من هذا ولا تأخذوا وقتا!..."

وفى الساعة ٧،٣٠ صباحا كانت إذاعة لندن تقول مانشتات [الصحف]: ناصر مرة أخرى! لدرجة أنه مشارك!..."

الحقيقة أنه لا توجد لنا علاقات مع اليمن؛ لأن سفارتنا هناك المفروض أنها مقفولة، ولكن فيها أمين المحفوظات مستغلبه كوزير دولة! وفى رأى أن نعتذر... لا داعى أبدا؛ لأننا محتاجين قروض، وسنخيف سعود خصوصا أننا سنتعب!... ثم إن هؤلاء مشكلة، لأن هذه معركة، وفى المعركة على الأقل أن تكون مستعدا بـ ٢ مليون جنيه، فلا داعى! ولأنه لا توجد حكومة، ولا ضرر أن نعتزف بها، وطبعا الانجليز سيتضايقون، وسعود وحسين أيضا سواء اليوم أو غدا.

النقطة الثانية.. أننا فى هذه العملية لابد أن نتحرك على جميع المسارات... لقد كنت سعيدا لما شفت أول بيان للثورة، ولكن لما بعثت برقيته فى اليوم ده...

إن الجيش فى يد رجال الثورة، ولكن فى نفس الوقت القبائل عند الآخر [الإمام المخلوع]. طبعا الاطمئنان على الجيش سيضع العملية كلها فى معركة حرب أهلية. وفى رأى أن من المعقول أن تحدث حرب أهلية، لكن الجيش فى الأساس وحده هو من صنعاء...

إن الشعور بالنسبة للطبقات المتوسطة والمتقنين والأميين والقبائل، لم يتضح موقف كل منها بعد. وتشير بعض الدلائل أنهم غير مؤيدين تأييدا مطلقا؛ خوفا من عدم عودة المساعدات الأمريكية.

وكلامهم [رجال الثورة] أول أمس، أرسلو الى إشارة يقولون فيها: إبعث لنا طائرات حربية.. إلخ، وبسرعة!



(١) مجلس الرئاسة، أعلى سلطة في الدولة منذ سبتمبر ١٩٦٢ الى مارس ١٩٦٤، فقد تنازل له ناصر عن سلطات رئيس الجمهورية؛ من أجل تحقيق مبدأ القيادة الجماعية.

إن الانجليز لا يستطيعوا أن يدخلوا بعد ما يحدث الموقف؛ لأن لا يمكن السعودية تبعت لهذه القبائل مساعدات، لأنها لا يمكن تبعت طائرات؛ لأن مدى الطائرات التي عندها ٢٠٠ كم... والذي أتصوره أن الحسن سيذهب الى السعودية، وسيعلم نفسه، والملك سعود سيؤيده!"

وإجابة على سؤال أحد الحاضرين.. هل لا يوجد احتمال أن يتفق الانجليز مع السعودية، ويسمحون بأن طائرات سعودية تذهب الى عدن وتقوم على أنها سعودية؟

قال ناصر: "الطائرات لا تستطيع أن تصل الى عدن... إنه محصن جزء في الرياض، والحرس فقط هو الذي معه طيران!"

وعن إمكانية المساعدة الاقتصادية، قال ناصر: "لقد أرسلت لهم أمس [٢٨ سبتمبر].. أننا في هذا نستطيع أن نساعد مع وزير الاقتصاد ووزير الخزانة. ولكنه قال: إن كل المعاملات عملة صعبة! سنقدر نساعدكم بماذا؟! مشكلتهم ستكون صعبة!..."

الحقيقة عملية اليمن تسبب انهيارا كاملا للأوضاع كلها... وإذا طلبوا منا شيئا سنعطيتهم... وأيضا بالنسبة للعمليات التي تتم كلها نعطيهم كل التأييد الممكن، ولكن ليس مباشرة.. كل التأييد غير المباشر أي ممكن أن نبعت لهم أسلحة. لكن لا نعمل عملية تدخلنا في أزمة دولية، بالذات مع الانجليز أو مع سعود مباشرة، أي ممكن أن نرسل مجموعة من الصاعقة - عدد قليل - يعملون معهم...

أما من ناحية الأموال، لو احتاجوا سنعطيتهم؛ لأن لا أحد سيعطيهم!... ثم إن الموقف في عدن... الاتحاد السوفيتي اعترف بالحكومة في اليمن".

وقد حدثت مفاجأة عسكرية يوم ٥ أكتوبر ١٩٦٢ بعد أن بدأ سعود في حشد جيشه على الحدود اليمنية؛ إذ وصلت الى القاهرة طائرة حربية سعودية يقودها الطيار رشاد ششه ومعه زملائه من السعوديين، وكانوا يحملون سلاحا لضرب الثورة اليمنية ولكنهم رفضوا.

واستمر ناصر يناقش موضوع اليمن والتدخل العسكى المصرى فى جلسة مجلس الرئاسة، فى ١٠ أكتوبر ١٩٦٢ - أى بعد ١٤ يوما من قيام ثورة اليمن - فقال: "إن العملية فى اليمن قطاعا ستتطور بدخول السعودية... إن لدينا جسر جوى يوميا [الى اليمن]، ونحن فى يدنا أن نصل الى

صنعاء، ونقل المعابر عند صعدا، وسنستطيع بمواجهة أن نكسر العدوان... والأسطول سيصل من أجل قواتنا...

ولكن السؤال.. هل لا شأن لنا [ بما يحدث فى اليمن ]؟ لنا شأن بمجرد ما أعلننا من أول يوم [تأييد الثورة]. إن المعركة ليست سهلة بل صعبة جدا، ولكن الحسن دخل [ الأراضى اليمنية ]، وهم ظروفهم صعبة جدا...

إن نجاح هذه الثورة معناه إهيار السعودية، وأيضا إنهاء الاستعمار فى المحميات؛ وهذا ما دفعه لأن يقاوم. وفى نفس الوقت فهم يخشون أن وجود مصر هناك ينقل الموقف الاستراتيجى فى المنطقة كلها". وأضاف ناصر.. "وعموما فإن الروس بعدما كان فيه نوع من الفتور، أصبح التجاوب معنا سريعا!"

وأبلغ ناصر مجلس الرئاسة.. "أن قواتنا تزيد [فى اليمن]، وفى رأى أنه توجد معركة دفاع؛ أذاع عن القاهرة فى صنعاء!

إن الموقف فى السعودية منهار ومهزوز، وأيضا فى سوريا مهزوز نتيجة اليمن، واحتاروا جدا أول ما اعترفنا باليمن!

من أول أمس [ ٨ أكتوبر ]، أخذوا قوات صاعقة، وكان فيها قوة يمنية فى العملية، وهى قرب الحدود. إن الحشد السعودى ماشى باستمرار، والحشد الأردنى ماشى باستمرار معه... الملك سعود يتحرك - عندنا معلومات كاملة - أنه يرسل عربات ويرسل أموالا للقبائل هناك، ومستمر من الجنوب مع سلاطين اتحاد الجنوب، خصوصا سلطان بيحان".

واستطرد ناصر قائلا: "الموضوع الذى يقفنى أن المعركة فاصلة، والبعض يشبهونها بمعركة واترلو بين الملكيات والجمهوريات بعد الثورة الفرنسية!...

"إن لدينا ٣٠٠٠ من جنود المظلات [فى اليمن]، وتساءل.. "الى أى مدى سنصل هناك؟ إذا قام طيران من جدة وضرب، فلا بد أن نضرب بالطيران".

وعلق ناصر: "إن الثورة سنكسب المعركة رغما عن كل القوى التى ستقف ضدها. وبالفعل كون الثورة تقابل العدوان وتتصر عليه؛ فإن هذا يشجع جميع القوى التقدمية والتحررية خصوصا فى عدن. وطبعا ممكن أن نتصرف فى أسلحة من اليمن الى عدن!...

وخطتنا.. إذا تدخل الطيران السعودى والأردنى يجب أن نضربهما، وليس أن نضرب السعودية؛ نضرب الطيران على الأرض ولا نضرب البلد... كذلك لن نعتدى على عدن...

الجيش السعودي عنده حوالى ١٢ طائرة حربية، وميزة الطائرات السعودية التى جاءت لنا، أنهم فقدوا ثقتهم فى الطيران الذى عندهم...

إن الانجليز لن يقوموا بعدوان مباشر أبدا، لكن سيدفعون السلاطين ويعطون معونة لبعض القبائل... وقد أرسلوا طائرات لحسين...

إنه عدوان غير مباشر من الانجليز، وعدوان مباشر بالنسبة للسعودية، ولكن العساكر السعوديين ملبسينهم يمنى! وتعليمات سعود؛ أن يلبسوا العساكر يمنى، ويضعوا على العربيات نمر لاتينى، وكلامه.. أوعوا تنكشفوا أحسن عبد الناصر يعرف ويتدخل ضدنا ويضرنا!

إن قواتنا لازالت فى صعدة، وأولا... لا يوجد جيش لليمن! إنه لا يُعتمد عليه... كما أنه من الحرج أن تكون قواتنا صغيرة ويضربونا؛ ستكون صورتنا [سيئة]!...

وقد أخبرت القادة اليمنيين أن العملية ليست ثورة فقط، يجب أن يسير العمل فى السياسة جنبا الى جنب مع القوة؛ يجب أن يُشكل مجلس رئاسة ومجلس ثورة. ومن الواضح أن العملية ستطول!"

وإزاء احتمال التزام عسكرى كامل تجاه اليمن من جانب الجمهورية العربية المتحدة بدلا من التدخل المحدود الذى حدث، فإن الولايات المتحدة كانت تخشى من احتمال تدخل السوفييت الذين من مصلحتهم اتساع نفوذهم فى البحر الأحمر. هذا الى جانب التدايعات الخطيرة داخل السعودية إذا زاد تورطهم فى اليمن؛ حيث لا يوجد بديل للمجموعة الحاكمة هناك بالنسبة للأمريكان، وإنهيار الأسرة السعودية سيؤدى الى تقسيم الدولة، وفوضى تهدد المصالح الحيوية للولايات المتحدة. هذا بالإضافة الى تهديد المصالح الأمريكية والبريطانية فى عدن؛ ولذلك فإن الدولتين تعملان سويا فى مواجهة الأخطار فى اليمن(١).

وقد أرسل كنيدي الى فيصل رسالة، فى ٢ نوفمبر ١٩٦٢ بعد عودته الى السعودية من الولايات المتحدة، وكان قد قابلته فى البيت الأبيض فى ٥ أكتوبر. وقد أكد له كنيدي فى هذه الرسالة ما ذكره من قبل.. "أن المملكة السعودية يمكنها أن تعول على صداقة الولايات المتحدة وتعاونها فى التعامل مع المهام العديدة التى تقع على عاتقكم خلال الأيام المقبلة. فالولايات المتحدة لديها مصلحة عميقة وثابتة فى الحفاظ على استقرار المملكة العربية السعودية وتقديمها وازدهارها"(٢).

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UK, Washington, Oct. 11, 1962.

(١)

(٢) رسالة كنيدي الى فيصل، ١٩٦٢/١١/٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وفى نفس الوقت استطاعت الولايات المتحدة أن تأخذ من ناصر تعهدا فى ٩ نوفمبر ١٩٦٢؛ أنه لن يغزو الأراضى السعودية، وأنه على استعداد أن يفكر فى فض اشتباك متبادل بين قوات الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية(١).

وقد توقعت كل من الولايات المتحدة وبريطانيا نتائج سيئة إذا أثرت قضية اليمن فى مجلس الأمن؛ على أساس أن النظام الجديد قد حصل على الشرعية بإعتراف الكتلة السوفيتية ومعظم الدول العربية. وأبدت بريطانيا قلقها من التهديد على منطقة عدن؛ لذلك فقد قررت ألا تساعد الحسن مباشرة (٢).

وقد بدأ التصاعد فى المعارك فى اليمن، وحدثت أول خسائر فى قوات الجمهورية العربية المتحدة فى ٢٣ أكتوبر ١٩٦٢. "إزاء وجود حشود من قوات البدر والقوات السعودية والأردنية مع بعض القبائل فى الشمال، مع وجود حاملة طائرات أمريكية، بالإضافة الى القاعدة البريطانية فى عدن، تأكد أن العملية ستطول". هذا ما قاله ناصر فى اجتماع مجلس الرئاسة فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٢، ثم أضاف.. "إن هناك عملية هستيرية لضرب ثورة اليمن!"

وفسر ناصر عدم تدخل الأمريكان بسلاح الطيران بالرغم من أن السعودية دخلت طيران أردنى؛ "لأنهم متخوفين على الحكم فى السعودية!"

إلا أن الموقف إزداد سوءا بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة، ودعت الحاجة - بناء على مشورة المشير عبد الحكيم عامر - الى مزيد من القوات فى اليمن، وخاصة فى المنطقة الساحلية وفى المحاور الأخرى فى صرواح وصنعاء وعمران، كما تقرر أنه لا بد من أن يتم التحول من الدفاع الى القيام بعمليات هجومية. والطيران هو القوة الوحيدة الممكن استخدامها، ولكن المطارات عددها محدود، وعملية إنشاء مطارات بسرعة صعبة، إنما كان لا بد أن يتم إنشاء مطار(٣).

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Nov. 10, 1962.

(١)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UK, Washington, Oct. 11, 1962.

(٢)

(٣) مجلس الرئاسة، جلسة ١١/٧/١٩٦٢، مرجع سابق.

وكان رأى ناصر.. "أن هذه معركة فاصلة أى حاسمة، والحلف المقدس الرجعى فى المعركة، وقطعا الأمريكان يساعدون اسرائيل لأنهم قلقين جدا من أثر هذه الثورة عليها. والانجليز أيضا يتبنون القضاء على الثورة، وقلقين جدا لدرجة أنهم يريدون أن يعملوا 'الاتحاد العربى' (١)، ويحتفظون بعدد من المستعمرات؛ بحيث أنه إذا حدثت ثورة فى المحميات يكون لديهم فى آخر الأمر عدن كمستعمرة فى هذه المنطقة".

ومضى ناصر يقول: "إن الخطة العسكرية حتى الآن ليست عمليات نظامية، ولكنها هى حرب عصابات... والبدر لم يدخل اليمن... ونظرا لوضع قواتنا حتى الآن نحن لا نستطيع أن نتحرك، وسنحتاج أن نرسل قوات أخرى... حتى ننهى العملية... ثم إن القوة التى نبعثها الى اليمن نعوضها هنا؛ بحيث أن قواتنا فى الجمهورية العربية المتحدة لا تنقص، وهذا طبعا سيحتاج الى ميزانية؛ لأننا ننتظر فى أى وقت أن اسرائيل تدخل" (٢).

وفى ١٢ نوفمبر لجأ الى القاهرة أيضا سهيل حمزة - قائد الطيران الأردنى - وطائرات معه، وقد استقبلهم ناصر ووافق على تعيينهم بالقوات الجوية للجمهورية العربية المتحدة مع زملائهم السعوديين.

ومع الوقت أصبحت الولايات المتحدة على استعداد أن تعترف بجمهورية اليمن العربية بعد أن اعترفت بها ألمانيا الغربية قبل ألمانيا الشرقية. وقد تم ذلك فعلا من جانب الحكومة الأمريكية فى ١٩ ديسمبر ١٩٦٢؛ استنادا الى أن النظام الجديد أصبح يسيطر فعليا على معظم اليمن منذ قيام الثورة فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، وأن قوات الملكيين غير قادرة على التفوق. وفى نفس الوقت كان هناك خطر مزيد من التصعيد من جانب السعودية بالنسبة للصراع العسكرى، وتزايد عدم الرضاء الداخلى فى السعودية والأردن؛ المساندين الأساسيين للملكيين اليمنيين. وكانت الولايات المتحدة تخشى أيضا من بروز سلوك معادى لها ومؤيد للاتحاد السوفيتى فى الجمهورية العربية اليمنية. ويؤخذ فى الاعتبار هنا تأكيد ناصر أن الجمهورية العربية المتحدة لن تستخدم اليمن لغزو السعودية،

ولن تعمل على تدمير مركز بريطانيا في عدن؛ الهام للاستقرار في الخليج العربي من وجهة النظر الأمريكية.

- (١) "اتحاد الجنوب العربي"، هو اتحاد ضم ١٢ سلطنة عام ١٩٦٢، ثم انضمت اليه ولاية عدن عام ١٩٦٣، ثم خمس سلطنات أخرى عام ١٩٦٤، ولم تتضمن سلطنتي حضرموت والمهرة له. تأسس برعاية بريطانية ثم انتهى عام ١٩٦٧، عقب قيام ثورة ١٤ أكتوبر وقيام جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. والجنوب العربي هو الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية.
- (٢) مجلس الرئاسة، جلسة ١١/٧/١٩٦٢، مرجع السابق.

أما بريطانيا فقد أخبرت الولايات المتحدة أنها ستؤخر عملية الاعتراف، ولكنها لا تعارض في الاعتراف الأمريكي(١).

### ٣- مبادرات إنهاء الصراع في اليمن:

وقد تلاقى ثلاث أطراف في هذا الصراع على ضرورة إنجائه بأسرع ما يمكن؛ الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية، ولكن السعودية شذت عن هذا الاتجاه، وأصر فيصل على المضي في مساندة الملكيين اليمنيين والمشاركة مباشرة في الاصطدام بالقوات المصرية. وفيما يلي تطور الوضع في اليمن..

#### أ- المبادرة الأمريكية الأولى:

أصدرت الجمهورية العربية المتحدة بياناً قرأه ناصر في اجتماع اللجنة التنفيذية العليا في ٢٨ نوفمبر ١٩٦٢ كما يلي: "إن الجمهورية العربية المتحدة لتتسرع بالفخار إزاء ما قامت به تجاه ثورة اليمن منذ الساعات الأولى من انطلاقها. وإنها قدمت على الفور تأييدها المطلق؛ تلبية لرغبات الشعب اليمني لاستعادة وطنه من تدخلات شتى من البلاد المجاورة. ولقد استطاعت الجمهورية العربية اليمنية اليوم تثبيت أقدامها، وأصبحت هي الحكومة الشرعية في اليمن. وإن الجمهورية العربية المتحدة تبتدى عدم رضاها عن استمرار سفك الدماء، وتبتدى استعدادها لوقف الاشتباك المسلح من جانبها، وأن تبتدى في سحب قواتها الموجودة في اليمن بالتدرج، إذا ما انسحبت القوات السعودية والأردنية المشتركة في تأييد الملك المخلوع من مناطق الحدود، وإذا ما توقفت المساعدات الخارجية للملكيين، أو حالما تطلب منها ذلك حكومة الجمهورية العربية اليمنية".

وقد علق ناصر قائلاً: "إن الانسحاب مشروط، ونحن الذين سنقرر"، ثم أضاف أن خطاباً وصله من كنيدي بتاريخ ١٦ نوفمبر عن اليمن، "إنهم يريدون أن ينهوا الوضع حتى لا تتطور الأمور الى عمليات حربية كبيرة داخل السعودية، ويحدث صدام بيننا وبينهم" (٢).

Memo. from Rusk to President Kennedy, Washington, Nov. 10, 1962.

(١)

(٢) مجلس الرئاسة، ٢٤/١٠/١٩٦٢.

وقد أرسل كنيدي رسالة مماثلة الى كل من الملك حسين والأمير فيصل والسلال. جاء في هذه الرسالة.. "أشعر بحزن شديد إزاء الخلافات التي نشأت بين دول ترغب الولايات المتحدة في الحفاظ على أقصى قدر ممكن من العلاقات الودية معها، ويساورني قلق بالغ من أن الصراع على اليمن يأذن بتهديد الاستقرار في المنطقة. وأحث من ثم قادة الدول المعنية المنخرطين حالياً في هذا الصراع على التفكير ملياً في المخاطر الكبرى التي يتسبب فيها ترك العنان للتطورات الراهنة كي تمضي دون رادع، واقترح عليكم خطة العمل التالية للنظر فيها بشكل عاجل وسري، ولتنفيذها في أقرب وقت ممكن بغية تطبيع الوضع.

وتتضمن خطة العمل العناصر الرئيسية التالية:

١- الانسحاب المرحلي والسريع للقوى الخارجية من اليمن.

٢- وقف الدعم الخارجي لأنصار الملكية.

٣- الانسحاب المرحلي والسريع للقوات التي استقدمت عقب قيام الثورة في اليمن إلى المنطقة

المتاخمة للحدود السعودية - اليمنية (١).

وهذا يؤكد أن الولايات المتحدة تلعب دوراً أساسياً في هذه الأزمة، وأنها تريد إنهاءها حتى لا تقلت الأمور فتهدد مصالحها الحيوية في المنطقة. وفي نفس الوقت فإن ناصر يلتقي مع هذا الهدف الأمريكي؛ فهو منذ البداية كان حذراً من التدخل العسكري، بما يحمله للجمهورية العربية المتحدة من أعباء مادية وبشرية!

ولكن فيصل كان يرى شيئاً آخر؛ لقد أراد أن يستمر في محاولة إعادة نظام الإمامة الى اليمن؛ ليضمن استمرار حكم العائلة السعودية في بلده من جانب، ومن جانب آخر، ليسبب أقصى ما يمكن من أضرار لقوات الجمهورية العربية المتحدة! لقد كان ينظر الى ناصر كخصم معاد

للرجعية خاصة بعد أن ساند ثورة اليمن، كما أن راديو القاهرة كان يقول: إن سعود سيكون التالي! ويلاحظ أن فيصل أثناء زيارته للولايات المتحدة بعد أسبوع من ثورة اليمن؛ أبدى قلقه من عدم مساعدتها للحسن في الرجوع الى اليمن، واتهمها أيضا باتخاذ أسلوب سلبي تجاه ناصر(٢)!

---

(١) رسالة كنيدي الى ناصر، ١٦/١١/١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
(٢) Komer to Kennedy, Oct. 4, 1962, Op. Cit.

فبعد أن سلم باركر هارت - سفير الولايات المتحدة في السعودية - رسالة كنيدي الى فيصل المماثلة لرسالته الى ناصر بشأن اليمن، قال فيصل بنبرة فاترة: "من النظرة الأولى أقول: إن هذا أمر مؤسف للغاية! فلم أكن أتوقع من فخامة الرئيس وحكومته وضعنا في هذا الموقف.

لقد اعتمدنا الى حد كبير على الولايات المتحدة، ولكن هذا في الواقع هو مايريده ناصر. ويعنى هذا بالتالي أن وجهة نظر ناصر هي التي حظيت بالقبول، وأنها ستفرض علينا جميعا!" وأما فيما يخص اقتراح الحكومة السعودية استقبال مبعوثي الجمهورية العربية اليمنية، وعرض السلال إرسال وفد الى الرياض، فقد قال فيصل: "إنه لن يقبل تحت أى ظرف من الظروف استقبال مبعوثي السلال. إن حكومة المملكة العربية السعودية تعترف بالبدر، ولا تتوى الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية".

وقد ذكر السفير الأمريكي فيصل بوعد كنيدي له خلال زيارته الأخيرة للولايات المتحدة؛ بمنح المملكة العربية السعودية دعما معنويا وماديا. كما حذرت الولايات المتحدة بشكل واضح أنها لن تقف مكتوفة اليدين وهي ترى النظام السعودي يتعرض لهجوم أو تقويض على يد الجمهورية العربية المتحدة، وأن الولايات المتحدة تعتبر استقرار المملكة العربية السعودية مسألة حيوية بالنسبة لمصالحها.

وقد أشار السفير الأمريكي الى رد ناصر.. أنه لا ينوى على الإطلاق التدخل في شئون ، والمدمرة F-100 نظام فيصل. وقد أرسلت الولايات المتحدة الى السعودية الطائرات من طراز الى الظهران للدعم والطمأنة. IRB 66 الأمريكية، كما أرسلت أيضا المدمرات من طراز



وفيما يتعلق باليمن، فقد أكد السفير الأمريكي وجهة نظر حكومته، وهي.. "أن الثورة كانت حقيقة واقعة... وإن الجمهورية العربية المتحدة كانت على استعداد للتدخل بشكل أقوى وأعمق من أي وقت مضى للحفاظ على وجود الجمهورية اليمنية وبقائها، ومن ثم كان خطر تصعيد النزاع واضحا ومباشرا. وهناك اعتبار مهم... وهو إخراج قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن، وبمجرد خروجها فإن احتمالات النزاع المباشر بين المملكة العربية السعودية والجمهورية العربية اليمنية يمكن أن تقل، بل وقد يمكننا في ظل وجودنا في اليمن أن نراقب أنشطة الجمهورية العربية المتحدة في البلاد، بل وأكثر أهمية من ذلك أن نرصد أنشطة الاتحاد السوفيتي المتنامية بشكل كبير في المنطقة. وإن القوة الوحيدة التي يمكنها تحييد الاتحاد السوفيتي في اليمن هي الولايات المتحدة... وإن وجودها لا يمكن أن يستمر دون اعتراف بالجمهورية اليمنية".

واستطرد السفير الأمريكي قائلاً ليفصل: "إن حكومة الولايات المتحدة ترغب في وقف القتال الدائر في اليمن في أقرب وقت ممكن، والسماح بأن يحل السلام بهذا البلد الذي هو في أمس الحاجة إليه".

رد فيصل بتأكيد غاضب.. "لا توجد قوة على وجه الأرض يمكن أن توقف هذا القتال؛ يجب أن ينتصر هذا الجانب أو ذاك. ومن يظن خلاف ذلك لا دراية له بطبيعة اليمنيين". ثم تساءل فيصل.. "وكيف يمكن لحكومة الولايات المتحدة أن تقترح برنامجا من جانب واحد على هذا النحو؛ عن طريق تصفية الملكيين فعليا؟!".

رد السفير الأمريكي.. "إن حكومة الولايات المتحدة كان لابد لها من اتخاذ قرار حاسم وقاطع وسريع ودقيق في الوقت نفسه، وهو الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية".

هنا أكد فيصل بقوة.. " أن حكومته لن توافق أبدا على اعتراف الولايات المتحدة بالثوار، إلا بعد انسحاب فعلى وكامل لجميع القوات الأجنبية من اليمن. وإن الحكومة السعودية سوف تستمر بطبيعة الحال في الاعتراف بالبدر ودعمه كإمام، ولن يثبثها أي ظرف من الظروف عن موقفها هذا، ولن تحملها أي قوة أو تمارس سطوتها عليها كي تسحب هذا الاعتراف! ولا يعني ذلك أن بإمكاننا أو أننا نفترض أننا نستطيع أن نملى على الولايات المتحدة سياستها".

وقد أكد فيصل مرة أخرى.. "إن كل عنصر من العناصر الخارجية يجب أن يخرج من اليمن - الاتحاد السوفيتي، الجمهورية العربية المتحدة، المملكة العربية السعودية، الأردن، الولايات المتحدة الأمريكية - ويقصد بذلك قوات الجيش - وقد اتفق معه السفير الأمريكي في ذلك.

وقد اعترض فيصل بشدة على توقع الولايات المتحدة المسبق بانسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة بالكامل، ثم قال: " أناشذكم عدم الثقة بناصر، وعدم منح اعترافكم قبل أن يسحب جميع قواته".

وأشار فيصل الى أن القتال الدائر فى اليمن ليس بين اليمنيين، ولكن بين اليمنيين وقوات الجمهورية العربية المتحدة... إن الاعتراف سيكون ضربة قاصمة لمعنويات القوات الملكية؛ لأنه قد يتبعه سلسلة متلاحقة من الاعترافات". وأردف قائلاً: لماذا لا تعدونهم بالاعتراف بدولتهم بعد انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة؟... إن الاعتراف السابق لأوانه يرضى ناصر أكثر من أى شئ آخر؛ لأن بإمكانه عندئذ أن يفترض أنه خرج من الحرب منتصراً حتى بعد انسحاب قواته".

وقد أوضح السفير الأمريكى لفيصل.. أن هدف الولايات المتحدة هو السعى الى انسحاب متبادل للقوات المتمركزة على كلا الجانبين".

رد فيصل.. أنه بمجرد انسحاب القوات المصرية، لا يهمله إذا استمر وجود القوات اليمنية على الحدود اليمنية - السعودية... وإذا استمرت هجمات الجمهورية العربية المتحدة ومضايقاتها الموجهة للمملكة العربية السعودية، فلن تستطيع تحمل ذلك وغض الطرف الى ما لا نهاية".

وكرر فيصل.. "أتوسل اليكم توخى الحذر من ناصر والجمهورية اليمنية؛ فأنا لا أصدق ما يقولون!"

وكان آخر تعليق لفيصل هو.. "لا تقصوا أنفسكم تماماً عن البدر"(١)!

وقد قامت الولايات المتحدة بمبادرة لفك الاشتباك بين قوات الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية، وافق عليها ناصر، ولكن السعوديين والأردنيين لم يكونوا سعداء بها، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يغيروا من اتجاه الأمريكان(٢).

وقد كانت قوات الجمهورية العربية المتحدة قد وصلت الى حدود السعودية ووقفت عندها، فى الوقت الذى زادت فيه الحشود السعودية على حدود اليمن، ومنهم جنود أردنيين ومرترفة وأسلحة ثقيلة.

ولم يكتفى فيصل بموقفه المتصلب الغاضب عند مقابلة السفير الأمريكى، بل أرسل له رسالتين.. الأولى يرفض فيها نشر الرسائل المتبالة بينه وبين كنىدى؛ لأن نشرها سيكون مخالفاً

لمصالح السعودية. أما الرسالة الثانية: يقول فيها.. " إنه إبان زيارته إلى واشنطن اتفقت وجهات النظر المتبادلة بينه وبين مسؤولين أميركيين - وعلى رأسهم الرئيس كينيدي - على أن سياسة ناصر تشكل خطراً على العرب وعلى السلام والأمن اللذين تسعى الولايات المتحدة إلى توطيدهما وصونهما في المنطقة. وتمحورت المناقشات (التي دارت في الولايات المتحدة) حول ما ينبغي القيام به لمعالجة الوضع الراهن".

---

Tel. from the Embassy in Saudi Arabia to the Dept. of State, Jidda, Nov. 19, 1962.

(١)

Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, Nov. 28, 1962.

(٢)

وأضاف فيصل.. "أن المسؤولين الأميركيين المعنيين قرروا أنهم سيعملون قدر الإمكان على تقليص المساعدات المادية والمعنوية المقدمة إلى ناصر، وأنهم سيستمرون في ممارسة الضغط عليه بحيث يمكن الحيلولة دون اتساع نطاق الضرر الذي يتسبب فيه". بيد أن فيصل "لاحظ في الأيام الحالية اتجاهها جديداً في السياسة الأميركية نحو مساعدة ناصر من خلال زيادة المساعدات المادية المقدمة له والتي ستعينه بدورها على تعزيز ميوله العدوانية في اليمن. وأكبر دليل على هذا الاتجاه هو "المذكرة" (الخطاب الرئاسي) التي تلقيناها والشروط الواردة فيها. وهذا أمر لم يكن ناصر يحلم بتحقيقه. وتسعى الولايات المتحدة في الوقت نفسه إلى الاعتراف بالثوار، وهو أمر من شأنه أن يمنح العدوان الذي يمارسه ناصر وعصيان السلال، صبغة قانونية".

ولذلك يرغب صاحب السمو الملكي في الحصول على توضيحات بشأن ما إذا كانت الولايات المتحدة قد غيرت وجهتها السياسية عما استشفه في واشنطن. ويعبر فيصل عن انزعاج حقيقى إزاء هذا الاتجاه الجديد الذى لاحظته فى سياسة الحكومة الأمريكية(١).

وفى خطاب لناصر فى بورسعيد فى عيد النصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢، تحدث عن وضع قوات الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن، التى أرسلها لمساندة الشعب اليمنى ضد العدوان الخارجى؛ فالمصير مشترك. وشرح كيف تمت زيادة هذه القوات البرية والجوية فى مواجهة الغزو من الشمال؛ من جيزان ونجران فى السعودية، ومن بيحان والمحميات حيث الانجليز فى الجنوب.

وقال ناصر فى خطابه: "بعد ثورة اليمن كانت حالة الانجليز عصبية، خافين على مصالحهم؛ على البترول، وعلى مستعمراتهم فى الجنوب العربى.

---

(١) الرسائلان بالعربية والانجليزية، ١٠/١٢/١٩٦٢، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

إن عدن لابد أن تتحرر، الجنوب لابد أن يتخلص من الاستعمار، كونهم يعملوا يافطة الجنوب العربى، لا يمكن لأى عربى أن يقبلها لأنه عارف أن السلاطين تحت حماية بريطانيا، وأنهم يحبسون الأحرر ويعذبوهم! كل عربى عارف أن هناك استعمار فى جنوب الجزيرة العربية لابد أن ينتهى".

ثانى يوم أرسل كنيدي رسالة شفوية الى ناصر قرأها عليه السفير الأمريكى جون بادو، يؤكد فيها على المبادرة الأمريكية.. "إننى أقيم وزنا كبيرا للجهود الدولية التى شاركنا فيها على حد سواء؛ للتوصل الى تفاهم بين الأطراف المنخرطة فى النزاع الدائر حالياً فى اليمن. وأنا واثق من أن حكومتكم سوف تتعاون بالكامل مع أى هيئات أو وكالات غير متحيزة، تكلف بالتحقق من تنفيذ فض الاشتباك وعملية الانسحاب.

وكما تعلمون فإن النزاع أضر بمصالحنا الحيوية فى عدن ومنطقة خليج فارس، وفى جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية. وأرحب بالتأكيدات السابقة لحكومتكم أنها تعترف بهذه المصالح. وآمل أن

نتمكن من العمل معا لتشجيع الجمهورية العربية اليمنية على إيلاء إهتمام خاص؛ لتعزيز الاستقرار السياسى والاقتصادى فى أراضيها، وإقامة علاقات سلمية وودية مع جيرانها.

وقد أتلج صدرى أيضا إقرار الجمهورية العربية المتحدة بالحاجة الى إحراز تقدم منتظم فى سياق الاستقرار السياسى فى المملكة العربية السعودية. وآمل أن يبذل كلانا كل جهد ممكن؛ لتهيئة مناخ موات يفضى الى المصالحة بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية. وكما أوضحت الولايات المتحدة فى الماضى، فإننا نقف بالكامل وراء سلامة نظام الأمير فيصل" (١).

وكانت الولايات المتحدة قد اقتنعت بعد قيام ثورة اليمن بتغيير الملك سعود الذى وصفته بالضعف، وإحلال الأمير فيصل محله والذى تم فعلا فى ٢ نوفمبر ١٩٦٤.

وقد أرسل كنيدي رسالة شفوية ثانية الى ناصر فى ٣٠ ديسمبر يؤكد على اهتمام الولايات المتحدة بفك الاشتباك؛ لأن استمرار العمليات العسكرية ممكن أن يهدد استقرار السعودية، ويسبب رد فعل أمريكى مباشر. ويشير الى أن ذلك فى مصلحة اليمن ومصر؛ فالسلال غير مستقر حتى الآن، ومصر تدفع ثمنا غاليا فى مقابل مسانبتها العسكرية لليمن.

---

(١) Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Dec. 24, 1962.

- الرسالة الشفوية من كنيدي الى ناصر، فى ١٩٦٢/١٢/٢٤، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وقد انتقد كنيدي ما ذكره ناصر فى خطابه فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢ (١)، وأطلق عليه "دعاية"! فرد ناصر فى حضور بادو.. "أنه بينما وافقت الجمهورية العربية المتحدة على أن تشترك فى فك الاشتباك، وكانت تنوى أن تفعل ذلك، فإنه لم يعقد هذا الاتفاق ليظل ساكنا فى مواجهة الهجوم عليه أو على الجمهورية العربية المتحدة من جانب السعوديين أو شيخ بيحان! ولم يكن يستطيع أن يترك ذلك بدون أن يرد".

وهنا ذكر بادو.. أن هذه "الدعاية" تؤثر على الكونجرس الذى يصوت على المعونة وبرنامج السياسة الأمريكية، أى أنه نوع من التلويح بسلاح المساعدات الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة إذا استمرت فى موقفها!

وفى نفس الوقت طالب بادو بإرجاع الطائرات السعودية والأردنية، فإعترض ناصر؛ "على أساس أنه بالرغم من عدم وجود حالة حرب معلنة بين الجمهورية العربية المتحدة وحكومة اليمن وبين معارضيها، ففى الواقع أن الحرب دائرة، والسعودية تحشد أسلحة لتستخدمها بعد أن تتسحب قوات الجمهورية العربية المتحدة! وتحت هذه الظروف فإنه من الصعب إرجاع

الطائرات". وأضاف ناصر.. "أنه قد بلغنا أن الطيارين الأمريكيين ينقلون الأسلحة السعودية الى مناطق المعركة!"

باختصار ظهرت صعوبات جديدة لحل الصراع في اليمن؛ أهمها تزايد استفزاز السعودية بمساعدة الملكيين لكل من الجمهورية العربية المتحدة والنظام اليمني، ثم الموقف الأمريكي المزدوج حيث يدعو في العلن وفي الاجتماعات الى إنهاء القتال، وفي نفس الوقت يقدم المساعدات العسكرية الى السعودية وبالتالي الى الملكيين!

وكان رد فعل ناصر الحاسم على تطورات الموقف الأمريكي بالمواجهة؛ وبالمضى قدما متجاهلا مقترحاتهم لفك الاشتباك؛ لأنها تنطبق فقط على جانب واحد هو قوات الجمهورية العربية المتحدة، بينما السعودية ماضية في طريقها العدواني! كل ذلك أدى الى إعادة تقييم السياسة الأمريكية تجاه الجمهورية العربية المتحدة؛ من أجل تحقيق أقصى مصلحة ممكنة.

---

(١) خطاب ناصر في بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٢، خطب وتصريحات ناصر، ٥، ص ص ٤٣٩ - ٤٧٣، مرجع سابق، حيث قال ناصر: "وبعدين لو نسمع مثلا راديو الملك حسين نلاقيه زعلان، بيقول والله حتى الأمريكان.. زعلان من الأمريكان.. بيقول دا الأمريكان راحوا اعترفوا باليمن؛ علشان حفظ ماء وجه جمال عبد الناصر؛ لأنه مقابل مشاكل في اليمن ومن قواته"..

وكان التقييم بأن التقارب الأمريكي مع ناصر - الذي بدأ بمراسلات كثيرة معه - يضر علاقات الولايات المتحدة مع اسرائيل، وعدد من الدول العربية، وحلفائها الأوروبيين - وخاصة بريطانيا - التي رفضت الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية، ومارست ضغوطا على النظام الجديد من مستعمراتها في جنوب الجزيرة العربية وخاصة بيحان. هذا بالإضافة الى العداء الشديد من الصحافة البريطانية لناصر، واتهامه بأن له أطماعا في الجنوب وفي عدن! وهذا غير حقيقى باعتراف ناصر نفسه(١).

ولكن تغير الموقف الأمريكي عند المقارنة مع مركز الولايات المتحدة في الشرق الأوسط في عام ١٩٥٧، وكيف أن تحسين العلاقات مع ناصر في عهد أيزنهاور قوى منه، وكانت النتيجة تأكيد الحكومة الأمريكية على أن سياستها تسير في الطريق الصحيح، وليس من الحكمة تغييرها بدون استفزاز كبير من ناحية الجمهورية العربية المتحدة؛ وذلك لعدة أسباب..

فمن حيث القوة والحجم، فإن الجمهورية العربية المتحدة هي أهم دولة في الشرق الأوسط، وإذا وجهت قوتها ضد مصالح الولايات المتحدة، فمن الممكن أن تدمرها بشدة.

وإذا قامت الولايات المتحدة بمنع المعونة أو استخدمت قوتها بطريقة أكثر مباشرة، فإن الجمهورية العربية المتحدة تستطيع أن تتحول الى قوة فى مصلحة الاتحاد السوفيتى؛ فيزيد نفوذه فى المنطقة.

وأخيرا، فإن حاجة مصر للتقدم الاقتصادى وكره قادتها للسيطرة الأجنبية - ومنها السوفيتية - على المنطقة العربية، يساوى بذل مجهود طويل من جانب الولايات المتحدة لبناء الثقة، وإقامة قوة دبلوماسية فى موقع هام(٢).

ومن جانبه، رفض ناصر الاقتراح الأمريكى؛ أن تقوم الأمم المتحدة بالإشراف على عملية فض الاشتباك، مؤكدا أن الحديث معهم كان على أساس أن لديهم إمكانية أن يجعلوا السعوديين ينسحبوا، وهم يعترفون أن فيصل يعاند! "ويقولون: إنهم مسئولون عن حماية السعودية! إنهم يريدون أن تهاجم السعودية اليمن وتدخل متسللين، ولا يُعمل شئ ضدها"(٣)!

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Dec. 24, 1962.

(١)

- الرسالة الشفوية من كنىدى الى ناصر، فى ٢٤/١٢/١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢)Memo. from Talbot to Rusk, Washington, Jan. 2, 1963.

(٣) مجلس الرئاسة، ١/٢/١٩٦٣، مرجع سابق.

وبعد فشل المبادرة الأمريكية الأولى لفك الاشتباك؛ نتيجة لتصلب رأى فيصل واستمراره فى مساندة الملكيين بالرجال والسلاح والمرتزة، حدث تصاعد فى العمليات العسكرية مع بداية عام ١٩٦٣، وقامت الجمهورية العربية المتحدة بقذف السعودية بالقنابل؛ بهدف الضغط عليها لإيقاف هذه المساعدات؛ ففى ٧ يناير ضربت طائرة مصرية نجران.

وعلى الفور أرسلت الحكومة الأمريكية تهديدا لمحمود فوزى - وزير الخارجية المصرية- أن تكرر ضرب السعودية بالقنابل سينتج عنه رد فعل من جانبها(١).

وأعقب ذلك برقية من كنىدى الى ناصر، بتاريخ ١٨ يناير ١٩٦٣، حاول فيها أن يزيل سوء الفهم بين البلدين قائلا: "إننى أستشعر ببعض الشك من جانب الجمهورية العربية المتحدة بسبب أن المملكة العربية السعودية لم تسحب دعمها للملكيين، وبالتالي فمن الجائز أن الولايات المتحدة تمارس

سياسة مزدوجة فى اليمن. وأود أن أؤكد لكم بشكل قاطع أن الأمر ليس كذلك. فقد قمنا وسنقوم بكل ما هو ضرورى لحماية مصالحنا فى شبه الجزيرة العربية، ولكننا أجرينا حساباتنا بعناية فائقة؛ بحيث لا ندعم السياسات السعودية فى اليمن.

وربما الأخطر من ذلك هو شعور الجمهورية العربية المتحدة أننا قد نكون قادرين على إجبار السعوديين على فض الاشتباك والانسحاب من اليمن. واسمحو لى مرة أخرى أن أقول إننا قد قمنا بحث فيصل من أجل مصلحته الشخصية على القيام بذلك تحديدا... [وهو] يرى فى اللحظة الراهنة أن سياسته تجاه اليمن ضرورية للمحافظة على سلامة أراضى المملكة العربية السعودية. وأخشى أن أقوال وأفعال الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العربية اليمنية هى التى ساعدت على إقناعه وأودت به الى هذه النتيجة!

وفى الواقع أننا كل مرة نشعر فيها بإحراز بعض التقدم نحو فض الاشتباك، تأتى أحداث من قبيل تفجيرات نجران لتعود بنا الى نقطة الصفر مرة أخرى. ولا بد لى أن أقول لكم بكل صراحة من وجهة نظرنا هنا: إن هذه الأفعال لن تخيف فيصل أو تخضعه بل ستزيد من غضبه.

وهذا الوضع فى تقديرى يحتاج الى صبر وحكمة سياسية نعرفها عنكم وآخرون، وأثينا عليها فى مناسبات سابقة...

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo , Jan. 2, 1963.

(١)

واسمحو لى أن أؤكد لكم أننا سنواصل جهودنا من أجل فض الاشتباك فى اليمن على نحو يسمح للجمهورية العربية اليمنية الجديدة بالعيش فى سلام مع جيرانها...

ونحن بحاجة الى التوصل الى صيغة تقدم لفیصل مسوغات معلنة لفض الاشتباك. ويمكن لوسيط محايد أن يجد الصيغة المناسبة على الوجه الأفضل. وأنا أحتكم على الموافقة على هذا الجهد وتعزيزه" (١).

ورد ناصر على رسالة كنيدي برسالة فى ٣ مارس ١٩٦٣ كما يلى.. "أحب أن أؤكد لكم على الفور أنني قبلت من غير تردد اقتراحكم البناء بتفادى الاصطدامات على حدود اليمن، ولقد كان



ذلك أصلا وأساسا هو الهدف الذي من أجله ذهبت قوات من الجمهورية العربية المتحدة الى اليمن...

ومن سوء الحظ، أن صاحب الجلالة الملك سعود - والأمير فيصل من بعده - أخذ الأمر على غير وجهته الصحيحة؛ فلقد تصور الثورة في اليمن معركة بين النظامين الملكي والجمهورى، ومن ثم فإنه بهذا التصور غير الصحيح، اندفع بكل إمكانياته فى محاولة لغزو اليمن من الخارج...

وأؤكد لك أن الجمهورية العربية المتحدة تملك الوثائق التى تثبت أن بعض الطيارين الأمريكيين اشتركوا فى عملية نقل العتاد والجنود ما بين الأردن والسعودية الى حدود اليمن...

إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد بالتأكيد حربا مع السعودية على حدود اليمن... لكن العدوان على حدود اليمن ظل يندفع موجة بعد موجة من المتسللين، يسبقهم ويلحقهم سيل من الإمداد لا يتوقف...

إن الجمهورية العربية المتحدة لا تريد أن تتدخل فى الطريقة التى قد تحاولون بها إقناع أصدقائكم بما ترونه مناسبا حتى لمصلحتهم أنفسهم(٢).

وقد ناقش ناصر موضوع اليمن وعلق على برقية كنىدى فى جلسة مجلس الرئاسة فى ٢٣ يناير ١٩٦٣، فقال: "حتى الآن إننى غير مستريح للموقف فى اليمن! هناك عمل يقومون به على ثلاث محاور؛ محور جحانة وصرواح والجوف، وأيضا على الساحل... إنهم يهاجمون أكثر منا، ثم الإمداد مستمر لهم، وأبرموا صفقة مع بلجيكا وستصل لهم أسلحة منها. إننى لا أقول إن الموقف خطير، ولكن واضح أن العملية لن تنتهى..."

---

(١) برقية كنىدى الى ناصر ، ١٨/١/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) رسالة ناصر الى كنىدى، ٣/٣/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وقد أرسل كنىدى يقول: إنهم لا يتبعون سياسة ذات وجهين، وإنهم يريدون أن يحلوا، وإنهم لا يستطيعوا أن يضغطوا على فيصل، وإنهم لا يؤيدوا سياسته فى اليمن، وإنهم بكل الوسائل يريدون أن يقيموا علاقات جيدة معنا...

ولكن الأمريكان يستطيعون أن يضغطوا على السعودية حتى توقف عمليات المساعدة للملكيين. والحل هو الضرب عند السعودية؛ لأن قواعد التسلل موجودة هناك ونراها، وضرينا مرة واثنين وثلاثة".

وإزاء اقتراح فى الجلسة بالفتح عسكريا مع المشيخات فى الخليج، قال ناصر: "إننا لا نريد أن ندخل مع الانجليز فى أى صدام، وهم من الممكن أن يدخلوا بطائرات الى صرواح... إننا لو وسعنا العملية، قد تخرج من أيدينا تماما! إن عملية التآليب فى مناطق البترول غير مريحة للدول، والانجليز مستعدين أن يدخلوا حرب عالمية من أجل الخليج! وقالوا هذا الكلام لخروشوف وبولجانين.

إننى أرى فى المرحلة الحالية أن نُطمئن من ناحية الخليج بقدر الإمكان، لماذا؟ الروس ليسوا ماشيين معنا كالسابق؛ اقتصاديا مثلا رافضين أى قروض. أما الأمريكان فبدأوا منذ سنتين يعطون أكثر، وهذه نقطة مهمة من ناحية الخطة الاقتصادية".

وقد استبعد ناصر الرد على الانجليز، قائلا: "إننى أريد أن ألم أكثر ما أفتح، لماذا؟ لأنه توجد عوامل كثيرة جدا يدخل فيها الروس والانجليز والأمريكان واسرائيل".

وفيما يتعلق بموقف بريطانيا من ثورة اليمن، ورفضها الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية، فقد برر كنيدي فى برقيته السابقة الى ناصر، أن تصرف بريطانيا "ينبع بوضوح من قلقها فيما يخص عدن. فالتهديدات المتكررة التى ردها الرئيس السلال لم يكن لها أثر سوى أنها زادت من وطأة تلك المخاوف، فى حين أننى مقتنع بأن كلمات الطمأنة من شأنها أن تساعد على الوصول الى اعتراف المملكة المتحدة بالجمهورية الجديدة، ولكنى لست فى موقف يسمح لى بالضغط عليها كي تعترف بالجمهورية العربية اليمنية، لا سيما إزاء التصريحات القادمة من صنعاء التى تقتقر الى الحكمة"<sup>(١)</sup>.

---

(١) برقية كنيدي الى ناصر ، ١٨/١/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، مرجع سابق.

وتعليقا عن قول أحد الحاضرين فى جلسة مجلس الرئاسة السابق الإشارة إليها: "العملية هى مساومة بالنسبة لليمن!" قال ناصر: "نحن الذين نثير [الموقف]، مع خطورة أننى إذا هدّيت لا أستطيع أن أثير [الوضع] مرة أخرى ومن أجل مصلحتى هنا فى مصر أهدّهم؛ وبالتالي لم تصبح قضية قومية! العملية يجب أن تدرس من ناحية الاستراتيجية وليس من ناحية التكتيك، إذا أخذناها من ناحية التكتيك فقط نجد أنفسنا استراتيجيا نخطئ، وهى تحتاج الى حرص كبير جدا.

وبالنسبة للجنوب، هم القائمين بالعملية، لكن لو أنا اللي مقومهم كان الوضع يختلف، لماذا؟ عدن نفسها فيها قوة عمالية تساعد على هذا، لكن هل أقدر اليوم أن أساوم على عدن؟! لماذا تكلمت على عدن فى بورسعيد؟ لأنهم قالوا: إننا ساومنا عليهم! ما نتيجة أن يعرفوا أننا ساومنا عليهم؟ لن تكون لنا القدرة الجماهيرية أن نؤثر على العرب فى بعض المناطق! وهذا هو ما جعلنا قلنا: إن عدن والجنوب والاتحاد الانجليزى لابد أن يكون وفق إرادة الناس، وهذا هو السبب الأساسى الذى جعلنى أتكلم عن الجنوب العربى فى بورسعيد(١).

ثم هل استراتيجيا صح أن نساوم على حركات فى بلاد عربية؟! رأيت أنه خطأ؛ لأننا حتى الآن عمرنا ما ساومنا على أى حركة فى أى بلد عربى، وإذا عُرف أننا ساومنا على حركة فى أى بلد عربى من أجل عمل نعمله؛ يُقضى على قدرتنا التأثيرية شعبيا وجماهيريا، وبعد ذلك نُعزل!

إننى اليوم أرى أن الحل الأفضل أن نصل مع الأمريكان الى حل سياسى، ولو أننى بعد ذلك غير مطمئن الى السلال واستمرار الحكم؛ لأن لا عندهم جيش ولا قاعدة سياسية! والقيادات؛ السلال والبيضانى مختلفين، والبلد ليس فيها أموال ومفلسة؛ يمكن بعد شهرين لا يستطيعوا أن يدفعوا ماهيات، إنهم ضاعفوها وليس عندهم أموال! حتى الروس وافقوا أن يعطوهم بعض الأسلحة، ولم يوافقوا على أى معونة اقتصادية!

طبعا الثورة فى السعودية قد تكون حلا، وقد تكون مشكلة كبيرة، لا أحد يعرف(٢)!

#### ب- المبادرة الأمريكية الثانية لفك الاشتباك:

إزاء التصاعد فى الصراع فى اليمن، أعادت الحكومة الأمريكية تقدير الموقف؛ على ضوء أن الحكومة اليمنية غير قادرة على السيطرة على القبائل الملكية، وخشية أن يكون نتيجة ذلك نزاع دائم مثل الصراع الكردى - العربى فى العراق. وأن استمرار هذا الوضع خطير جدا لجميع الأطراف، الى جانب الخلافات الموجودة فى الحكومة اليمنية.

---

(١) إشارة الى خطاب ناصر فى ذكرى الجلاء عن بورسعيد، ٢٣/١٢/١٩٦٢، ج ٥، خطب وتصريحات عبد الناصر، مرجع سابق.

(٢) مجلس الرئاسة، ٢٣/١/١٩٦٣، مرجع سابق.

حيال كل هذا، فقد وجدت الولايات المتحدة أن الموقف قد حان لإتخاذ خطوة الى الأمام لإنهاء هذا الوضع فى اليمن.

وفى برقية كنيدي الى ناصر السابقة فى ١٨ يناير ١٩٦٣، ذكر.. "نحن بحاجة الى التوصل الى صيغة تقدم لفصل مسوغات معينة لفض الاشتباك. ويمكن لوسيط محايد أن يجد الصيغة

المناسبة على الوجه الأفضل. وأنا أحتكم على الموافقة على هذا الجهد وتعزيزه". وفي نفس الوقت يكون هذا الوسيط متصلاً بالأمم المتحدة على أساس تدويل هذه القضية.

وقد عُرض موضوع الوسيط رسمياً على ناصر في ٢٣ يناير ١٩٦٣، على أساس أن يكون في نفس الوقت ممثلاً للأمم المتحدة. وقد أكد ناصر في هذه المقابلة على أنه لا يهدف إلى قلب النظام السعودي، وأن كل الأنشطة المضادة للسعوديين هدفها فقط إيقاف مساندتهم للملكيين.

وقد كانت الجمهورية العربية المتحدة تعتقد أن الولايات المتحدة قادرة بسهولة أن تضمن انصياع السعودية إلى مقترحاتها الأولى لفك الاشتباك، ولكن هذا الانطباع كان خاطئاً!

وأضاف ناصر.. إن المبادرة الأمريكية الأولى لفك الاشتباك قد فشلت بسبب موقف السعودية المتشدد بعد اعتراف الولايات المتحدة بالجمهورية العربية اليمنية، فقد تدفقت على السعودية الأسلحة البلجيكية والباكستانية، كما وضع فيصل شروطاً لفض الاشتباك تهدف إلى أنه أثناء انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من مواقعها، تقوى السعودية القوات الملكية إلى درجة تجعلهم يحتلون المواقع المخلاه! إن هذه القبائل لا تدين إلا لنفسها، والسعودية تمدها بالذهب والذخيرة والمساعدة الفنية. وإذا توقف ذلك فإن الموقف سيهدأ وستكون الجمهورية العربية المتحدة مستعدة لتنفيذ التزامات فك الاشتباك(١).

وكالعادة نسق كنيدي سياسته مع هارولد ماكميلان - رئيس الوزراء البريطاني - وخاصة وأن بريطانيا طرفاً أساسياً في الصراع، فأرسل له برقية قال فيها: " ونحن بصدد المضي قدماً في توجيه مهمة فك الاشتباك في اليمن، وهي مهمة أنا على يقين بأنها تصب في صميم مصلحة بلدنا، أود أن أسألكم عما تتوون إزاء الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية. وأسألكم.. هل عدم الاعتراف بها لا يزال له قيمة؟ إذ يبدو أنه قد يفضي إلى استفحال العلاقات بينكم وبين الجمهورية العربية المتحدة / الجمهورية العربية اليمنية دون أن يعزز في الوقت ذاته احتمالات فوز الملكيين في تلك المعركة.

---

(١) مقابلة بادو مع ناصر:

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Jan. 24, 1963.

ويبدو أن الحرب الأهلية قد تتأرجح ما بين انحسار ومد إلى أجل غير مسمى، إلا أن الملكيين لن يتمكنوا من سحق قوات الجمهورية العربية المتحدة التي تتفوق عليهم. فكل ما يوسعهم هو قطع

الطرق فى بعض الأحيان، ولكنهم أظهروا قدرة متواضعة على الاستيلاء على المدن الرئيسية. وحسب تقديراتنا فإن عدد القوات المصرية المنتشرة فى صنعاء على سبيل المثال تصل إلى ٨٠٠٠ جندي. وفى حين أن فيصل ألحق بلا شك أضرارا بناصر، فإن ناصر ملتزم فى الوقت الراهن بمساندة اليمن إلى حد لا يستطيع معه أن يتحمل الانسحاب دون تحقيق انتصار... ويمكن لناصر، رغم التكلفة الإضافية التى قد يتكبدها، بالتأكيد أن يزيد عدد قواته فى اليمن إذا لزم الأمر، وقد وافق السوفييت دون شك على سد أى نقص فى المعدات واستبدال أى خسائر قد تلحق بها.

والخطر الأكبر كما نراه فى الواقع هو أن ناصر وأخيه الصغير السلال سوف يعتمدان فى خضم إحباطهما مسارات أكثر تطرفا. وقد يسعيان أيضا إلى إثارة الاضطرابات فى المملكة العربية السعودية أو فى أى مكان آخر... وأنا على يقين من أن وضعنا كهذا يناسب السوفييت، ولكن أنت وأنا سنكون بالتأكيد من الخاسرين!

ونحن قلقون أيضا بشأن أثر الحرب التى يخوضها فيصل فى اليمن على موقفه الداخلى، سيما وأن تلك الحرب لا تحظى بشعبية فى البلاد. فالملك فيصل والملك حسين يعتقدان أنهما يدافعان عن نفسيهما ضد ناصر فى اليمن، ولكننا نعتقد أنهما يعرضان نفسيهما أكثر لخطر اندلاع ثورة تستلهم من خطى ناصر داخل بلديهما... وإذا قامت ثورة أو نشبت اضطرابات خطيرة داخل المملكة العربية السعودية فهذا بالكاد يعزز موقفنا فى عدن والخليج...

وإذا أجبرنا الجمهورية العربية المتحدة على تعزيز وجودها فى اليمن بدلا من تقليصه، وإذا تركنا الفرصة سانحة أمام السوفييت للقيام بذلك أيضا، قد ينتهى بنا المآل إلى وضع أكثر تهديدا لمصالحنا مما هو عليه الآن...

واعتقد أنكم أجلتم الاعتراف باليمن حتى يمكن استئناف العلاقات مع السعوديين (١) ومن ثم الإعلان عن اتحاد عدن. ونظرا لأن هذه العلاقات قد أتت ثمارها على نحو سلس، فقد يخدم اعترافكم بالجمهورية العربية اليمنية مصالحنا المشتركة بشكل أفضل، ومن ثم يساعد على عزل فيصل" (٢).

---

(١) فى ١٦ يناير ١٩٦٣ أعلنت الحكومة البريطانية استئناف علاقاتها الدبلوماسية مع السعودية، التى كانت قد قطعت أثناء أزمة السويس فى ١٩٥٦.

Tel. from President Kennedy to PM Macmillan, Washington, Jan. 26, 1963.

(٢)

- الرسالة من كنيدي إلى ماكميلان، ١/٢٦/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وفى هذه الأثناء حدثت تغييرات فى المنطقة العربية لمصلحة ناصر والتيار التقدمى العربى؛ فقد قامت ثورة ٨ فبراير ١٩٦٣ فى العراق ضد نظام عبد الكريم قاسم الذى ناصبه العداء، كما حدث انقلاب فى سوريا فى ٨ مارس من نفس العام، حد من نفوذ حزب البعث، وحفز الجماهير السورية على التظاهر للمطالبة بعودة الوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة؛ مما نتج عنه إجراء مباحثات الوحدة الثلاثية فى القاهرة بين مصر وسوريا والعراق، فى إبريل ١٩٦٣.

ومن ناحية أخرى أرسل كنىدى رسالة الى فيصل فى ٢٢ فبراير ١٩٦٣ يحاول إقناعه بفك الاشتباك، فكتب.. "قد أذنت - كما تعلمون - للقوات الأمريكية على مدى الأشهر القليلة الماضية؛ باتخاذ بعض الإجراءات العسكرية نيابة عن المملكة العربية السعودية، كأمانة على دعم الولايات المتحدة لسلامة أراضي المملكة العربية السعودية، ولضرورة استتباب الهدوء النسبى اللازم لتنفيذ برنامج التحديث والإصلاح فى بلادكم.

ولكننى أشعر فى الوقت نفسه بقلق عميق إزاء المسار الذى يتخذه الصراع فى اليمن، وأخشى ما أخشاه أن تحدث اضطرابات وقلقل أشد خطورة، لن تعود بفائدة على أى طرف من الأطراف إن لم تبدأ عملية فك الاشتباك فى وقت قريب.

وينبع قلقى بشكل رئيسى من تأثير القوى والاتجاهات التى تعج بها المنطقة فى الوقت الراهن على المملكة العربية السعودية فى نهاية المطاف، ما لم يوضع حد للصراع فى اليمن وتقليل حدة التوترات، وتكريس كامل الطاقات والموارد لتحقيق مهمتكم الأساسية...

ولا مفر بالنسبة لى من استنتاج أن استمرار التدخل السعودى لدعم الفصيل الملكى فى اليمن، لن يؤدى مع مرور الوقت إلى تفويض الوضع الداخلى فى بلادكم فحسب، بل سيكون أيضا مدعاة لتدخل قوى خارجية فى الشؤون الداخلية للمملكة العربية السعودية...

ولم يطرأ أى تقدم فى اتجاه انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن حسبما تعهدت على الملأ بالقيام به؛ نظرا لاستمرار المساعدات الخارجية لأنصار الملكية داخل اليمن<sup>(١)</sup>.

وعرض كنىدى على فيصل موضوع الوسيط من جانب الأمم المتحدة سعيا لحل الموقف فى اليمن، وهو ما عرضه من قبل على ناصر، الذى قبله بشرط أن توقف السعودية مساعدتها للملكيين.

---

(١) رسالة كنىدى الى فيصل، ١٩٦٣/٢/٢٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

## (١) رفض فيصل للمبادرة الأمريكية الثانية:

أرسل فيصل رسالة الى كنيدي في ٢٣ فبراير ١٩٦٣ يرفض فيها طلبات الولايات المتحدة الأخيرة؛ بإيقاف الإمدادات للملكيين اليمنيين، وإيقاف السماح للطائرات الأجنبية بالطيران فوق الأراضي السعودية من أجل الملكيين.

وكتب فيصل.. "إن موقف الولايات المتحدة هذا يتعارض مع تأكيد كنيدي في أكتوبر ١٩٦٢ على رغبة الولايات المتحدة غير المشروطة لمساعدة السعودية في الحفاظ على أمنها واستقرارها وتقدمها!"

وقال فيصل: "إن موقف الولايات المتحدة هذا قد سبب صدمة شديدة له، وأنه يتعهد أن السعودية ستستمر في إتخاذ الإجراءات لضمان سلامتها وأمنها"(١)!

وكان رد الفعل الأمريكي هو استياء من هذه الرسالة؛ وكان رأيهم أن فيصل يسير في طريق يهدد المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط، والمطلوب في هذا الموقف السياسة وليس الحرب؛ فالمصريين موجودين بقوة في اليمن، والروس ينتظرون ليحصدوا الميزات، "وفيلصل يسير في طريق تدمير الذات"(٢)!

وفي الواقع فإن الولايات المتحدة أعربت في ذلك الوقت عن مصلحتها في أن تبقى اليمن لليمنيين بدون الالتزام بعودة الإمامة، وأن تخرج قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن، وأن تظل الولايات المتحدة صديقة لكل من الجمهورية العربية المتحدة والسعودية.

وبناء على ذلك كانت الاقتراحات الأمريكية لمواجهة الموقف في اليمن؛ أن يعين وسيط من الأمم المتحدة ليشرف على فض الاشتباك - كما سبق ذكره - فيكون ذلك "حفظا لماء الوجه بالنسبة لفيصل"، ولتجنب الانفجار بواسطة سعود، يوضع فيصل مكانه!

وقد وجدت الولايات المتحدة نفسها في موقف متناقض؛ فإن فيصل مصمم على أن يساند الملكيين اليمنيين طالما قوات الجمهورية العربية المتحدة موجودة في اليمن، ويعتقد أن ناصر سيستخدم اليمن كقاعدة ضد النظام الملكي السعودي؛ ولذلك فهو يرى أن إطالة الصراع في اليمن ممكن أن "يدمى" ناصر! وأن هيئته وشرفه ملزمة له في عيون العرب.

---

Memo. from Brubeck to Bundy, Washington, Feb. 24, 1963, Review of Policy toward

(١)

the Yemen Conflict.

- الرسالة من فيصل الى كنيدي، ١٩٦٣/٢/٢٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

- رد كنيدي على رسالة فيصل السابقة، ١٩٦٣/٣/١، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
Memo. from Brubeck to Bundy, Washington, Feb. 24, 1963. (٢)

هذا بالإضافة الى أن موارد السعودية كافية لمساندة الملكيين الى الأبد. إذاً كان من الواضح أن فيصل يحاول أن يجذب الولايات المتحدة الى جانبه ضد ناصر، ويبحث عن زيادة المساندة العسكرية الأمريكية.

ومن ناحية أخرى، فإن الولايات المتحدة كانت متأكدة أن ناصر ملتزم ببقاء الجمهورية العربية اليمنية، ويريد أن يخلص الشرق الأوسط من الملكيات الرجعية التي تقف في وجه التقدم. أما الجمهورية اليمنية فتريد بقاء القوات المصرية في اليمن الى أن يصبح النظام آمناً.

وهكذا أصبحت مواقف أطراف الصراع في اليمن أكثر تصلباً، كما ظهرت عوامل جديدة في المنطقة في غير صالح فيصل؛ ثورة العراق، وفي نفس الوقت تصاعد العمليات العسكرية الجوية من جانب الجمهورية العربية المتحدة، وظهرت علامات الخوف في السعودية!

وكان موقف شركات البترول الأمريكية؛ أن رفضت أن يكسب ناصر؛ فقد كانوا ضده بشدة(١)!

وفي الواقع فإن السياسة الأمريكية كانت تأخذ في الاعتبار أن اليمن هي فقط جزء من صورة كبيرة تشمل علاقات مع دول؛ مثل الجمهورية العربية المتحدة والعراق والجزائر، فإذا انحازت الولايات المتحدة علنا الى السعودية بينما هي تستمر في مساندة الملكيين؛ فقد ينتهي الأمر بتدهور خطير في العلاقات مع هذه الدول بدون أن تكسب كثيراً بالنسبة الى تقوية النظام السعودي.

وفي نفس الوقت، إذا فشلت الولايات المتحدة في مساندة فيصل، فهي تخاطر بإنهيار المملكة وحدوث فوضى في الداخل وتفتيت البلد.

وقد انتهى الأمر بإصرار الولايات المتحدة على المضي في مبادرتها لفك الاشتباك من أجل إنهاء الصراع المسلح في اليمن، الذي يضر بمصالحها من كل جانب.

وقد تقرر إرسال مبعوث أمريكي على مستوى عالي - السفير إيسورث بانكر - الى فيصل بجواب من كنيدي، وإخطار يوثانت - سكرتير عام الأمم المتحدة - سرا بذلك. وفي نفس الوقت، تقدم الولايات المتحدة مساعدة عسكرية لفيصل، مع افتراض توقف الطيران المصري نتيجة لفك الاشتباك، فتضع سرب طائرات حربية اعتراضية، وأجهزة للإنذار المبكر والرادار، وأفراد لتشغيلها في غرب السعودية! والهدف من ذلك - من وجهة النظر الأمريكية - توفير رادع



لمنع العمليات الجوية من جانب الجمهورية العربية المتحدة ضد السعودية، وبرهاننا على أن الولايات المتحدة مستمرة في الاهتمام بها ومساندتها، وبإختصار لقد قررت أن توفر الحماية الجوية للسعودية.

كما تمت الموافقة على تدريب القوات الجوية السعودية وقوات الدفاع الجوي، وإمدادها بالأجهزة اللازمة على نفقة السعوديين، على أن تقدم الولايات المتحدة لهم أيضا معدات دفاعية بكميات كافية لاحتياجات الدفاع الجوي.

وتقرر أيضا الاستمرار في الضغط الأمريكي على ناصر بواسطة بادو، وكذلك الاستمرار في الحوار مع الأردن وكذلك مع المملكة المتحدة التي لم ترحب بالمبادرة الأمريكية، وحدث خلاف بينهما بخصوصها(١).

وقد تساءل كنيدي في هذه المرحلة.. "هل نستطيع أن نوقف فيصل؟ فكانت الإجابة من مساعديه السياسيين.. "نعم"! وكان كنيدي يريد أن يربط المساعدة العسكرية الأمريكية للسعودية بإيقاف مساندة الملكيين اليمنيين، وبالسماح بعملية فض الاشتباك.

ومن الواضح أن كنيدي كان حريصا على صداقة ناصر؛ فقرر إخطاره قبل إرسال سرب الطائرات المقاتلة الأمريكية الى السعودية. وتفسير الدافع الى ذلك على أنه من أجل جعل فيصل يسحب مساندة الملكيين! والتأكيد على أن هذا السرب لن يقيم في السعودية إقامة دائمة - شهرين مثلا - بالرغم من أنهم في الحقيقة كانوا يعتزمون إبقائه مدة أطول(٢)!

ويلاحظ هنا أن كنيدي كان دائما يهتم برد فعل ناصر إزاء كل تحرك أمريكي خاص بالصراع اليمنى، لكن أصبح واضحا من الإجراءات العسكرية التي اتخذها أنه ينحاز الى فيصل، حيث توجد المصالح الأمريكية!

وقد قابل بانكر فيصل ووجده في حالة سيئة! وأخبره أنه يريد أن يعرف رد فعل الولايات المتحدة بالنسبة للقوات الضخمة والمعدات الثقيلة التي يرسلها ناصر الى اليمن.

وفي نهاية المناقشة، وافق فيصل على المقترحات الأمريكية من حيث المبدأ، ولكنه أضاف شروطا تتعلق بطريقة انسحاب الجمهورية العربية المتحدة، لا يمكن تنفيذها!

Ibid.

(١)

Memo. for the Record, Washington, Feb. 25, 1963, Presidential meeting on Yemen.

(٢)

وقد أرسل كنيدي رسالة شفوية الى فيصل، في ١٤ مارس ١٩٦٣ قال فيها: "هناك مشكلة واحدة تؤرقني بقدر ما تؤرق سموكم أيضا؛ فلا يمكن من وجهة نظرنا التفاوض بنجاح على المقترحات التي تقدمتم بها لفك اشتباك القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة، وليس بالتأكيد في ظل ضيق الوقت المتاح لنا من أجل تجنب توسيع نطاق الصراع في اليمن. فقد أفضت الأحداث التي جرت في العراق وسوريا بما لا يدع مجالا للشك إلى خلق مناخ جديد في العالم العربي يمنح خصومك ثقة متجددة، ويفضى إلى ضغوط جديدة على حكومتكم. ويبدو لنا أن الهجوم العسكى المصرى فى اليمن على وشك النجاح.

وتؤكد معلوماتنا الاستخباراتية الملاحظات التي أبديتها من أن الأفكار الثورية فى بلادكم تأتي من الخارج. ويمكن تصحيح هذا الوضع إذا حدث تحرك الآن، واتخذت بعض الإجراءات على الفور...

ولذلك، وبكل صراحة أعتقد أن مصلحتكم تكمن بالتأكد فى بدء عملية فك الاشتباك... وسأكون على أتم الاستعداد بالطبع فى هذه الحالة لإرسال سرب جوى كما أبلغكم بذلك السفير بنكر.

وقد أكد لى ناصر - وأنا أنوى الضغط عليه بقوة فى هذا الصدد - أن القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة سوف تتسحب على مراحل وعلى وجه السرعة بمجرد توقفكم عن دعم الملكيين...

وقد اتخذنا بالفعل - كما تعلمون - عددا من الإجراءات؛ تشمل حشدا بحريا ووجهنا تحذيرات أخرى لناصر، بهدف تأكيد حرصنا على سلامة أراضي المملكة العربية السعودية(١).

وفى مباحثات رالف بانس - مندوب الأمم المتحدة - مع السلال، وافق الأخير على فك الاشتباك المتبادل، ووعده أن اليمن سوف تسمح للجمهورية العربية المتحدة أن تبدأ فى سحب قواتها، وذلك عندما يتعهد فيصل علنا بإيقاف المساعدة للملكيين، وفور مغادرة الأمراء اليمنيين السعودية،

وعند التزام المملكة المتحدة والحكومة السعودية بإقامة علاقات دبلوماسية مع الجمهورية العربية  
اليمنية(٢).

---

(١) رسالة كنيدي الشفوية الى فيصل، ١٤/٣/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
President Meeting on Yemen, March 11, 1963 .

(٢)

وفى الواقع كان كنيدي حريصا على أن يعرف ناصر أنه شخصيا قام بمجهود كبير لتحسين العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة، وأنه أصر على هذه السياسة فى مواجهة كثير من المعارضة فى الولايات المتحدة. فقد اعترف بالجمهورية اليمنية الجديدة، وتقبل ما تقوم به الجمهورية العربية المتحدة هناك، وسعى لأن تتبع المملكة المتحدة سياسة مماثلة، وبذل جهودا مضنية لإقناع فيصل بفض الاشتباك، ثم أرسل بانكر كمبعوث شخصى للسعودية من أجل هذا الهدف(١).

## (٢) رد ناصر على المبادرة الأمريكية الثانية:

أرسل كنيدي رسالة شفوية الى ناصر فى ٢ مارس ١٩٦٣، بخصوص ما يحدث فى اليمن من التصاعد العسكرى بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية، قال فيها: "شعرت بقلق عميق إزاء الأحداث الأخيرة ذات الصلة باليمن. ونظرا لارتفاع وتيرة ومستوى الأحداث داخل اليمن وخارجه، أعتقد أن تطور الأحداث يمثل خطرا حقيقيا قد يؤدى الى صدام يضر بمصالح بلدينا. والسؤال الذى يطرح نفسه هو كيفية تجنب مثل هذا الصدام..."

لقد أوفدت كما تعلمون السفير إلسورث بنكر الى المملكة العربية السعودية للبحث عن وسيلة لإنهاء الصراع فى اليمن سلميا... لذلك أحتكم على المساهمة فى خلق الأجواء المناسبة من خلال حصر العمل العسكرى داخل أراضى اليمن.

وسوف تسهم هذه الخطوة أيضا وبشكل ملحوظ فى إيجاد سبل للتعاون المثمر بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة"(٢).

وقد أكد ناصر موقفه الى بادو فى اليوم التالى مباشرة فى ٣ مارس ١٩٦٣.. "لم يكن القصد من قصف [السعودية بالقنابل] الاستفزاز المتعمد، ولكنه كان جزءا لا يتجزأ من الاستراتيجية العسكرية للجمهورية العربية المتحدة التى ثبت نجاحها. إن كل يوم يمر والقتال مستمر فى اليمن يعنى خسائر فى أرواح المصريين، ولا يمكنه بصفته زعيما للبلاد أن يتهرب من المسئولية.

Ibid.

(١)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, March2, 1963.

(٢)

- رسالة كنيدي الى ناصر، ١٩٦٣/٣/٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وإن الجمهورية العربية المتحدة لا يسعها الانتظار لمدة خمسة أشهر أخرى؛ من أجل تفعيل فك الاشتباك".

وعندما أكد بادو التأثير السياسى الضار لتلك الهجمات، وعد ناصر بأنه سيصدر أوامره للمشير عامر؛ بوقف الأنشطة العسكرية عبر الحدود، انتظارا لنتائج جهود بعثة باناش - بانكر، التى قال بادو أنها سوف تستغرق أسبوعين.

وأشار بادو الى أن الأمريكين تمكنوا من تحديد موقع الإذاعة السرية للجمهورية العربية المتحدة، واقترح وقف البث منها؛ حيث أنها من وجهة النظر الأمريكية، تلحق ضررا كبيرا بالعلاقات بين الدولتين. إلا أن ناصر لم يتعهد بأى التزام بشأن ذلك (١).

وشعر الأمريكيون أن ردود ناصر فيها استجابة، بعد أن برر القذف العسكرى؛ بأن الهدف منه هو إيقاف المدافع السعودية وليس قلب نظام فيصل، وبعد أن وعد بإيقاف الهجوم ليعطى فرصة لمجهودات الوساطة الأمريكية (٢).

وأرسل كنيدي رسالة شفوية أخرى الى ناصر فى ١٨ مارس ١٩٦٣ أبلغها السفير بانكر؛ تُظهر رغبته فى الحفاظ على حسن العلاقات مع جميع أطراف الصراع فى اليمن.. "قد كلفنى الرئيس أن أبلغكم أن اهتمامه الرئيسى ينصب فى دعم سلامة وشرف جميع الأطراف المعنية، أثناء اضطلاع بمسئوليته إزاء شعبه فى حماية المصالح الأمريكية الحيوية. وبالتالي إذا كانت الولايات المتحدة قد أبدت قلقا إزاء سلامة أراضى المملكة العربية السعودية، فإنها قد أظهرت أيضا حرصها على سلامة أراضى الجمهورية العربية اليمنية. وإن كانت قد أعربت عن قلق نحو أمن عدن، فقد أظهرت أيضا تفهما لموقف الجمهورية العربية المتحدة واحتراما له".

ثم قال بانكر: "وقد حث الرئيس جميع الأطراف وفى كافة المناسبات على الاعتدال وضبط النفس والحكمة. وهو يناشد فيكم مرة أخرى هذه الحنكة السياسية... ويحدو الرئيس الأمل فى أنكم سوف تستكشفون معى بكل صراحة سبل احتواء النزاع فى اليمن، وإنجاز هذه المهمة فى وقت قريب" (٣).

---

(١) رسالة ناصر الى كنيدي، ١٩٦٣/٣/٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

A Note from Komer to Bundy, Cairo, March 5. 1963.

(٢)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, March 18, 1963.

(٣)

- رسالة كنيدي الشفوية الى ناصر، ١٨/٣/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وفي نفس اليوم - ١٨ مارس - أرسل ناصر البرقية التالية الى المشير عبد الحكيم عامر في صنعاء.. "وصلتني الآن رسالة من كنيدي مع السفير الأمريكي يقول: إنه في غاية القلق بالنسبة لاتساع الغارات داخل السعودية. وإن فيصل طالبه بتنفيذ التزاماته للدفاع عن السعودية. وإن هناك احتمالات خطيرة قد تقود الى التصادم بين مصالحنا ومصالح أمريكا؛ الملزمة بالدفاع عنها في السعودية. وأنه أرسل هذه الرسالة؛ لتجنب هذه الاحتمالات الخطيرة. وأرسل مبعوثا خاصا الى فيصل... لبحث نهاية سلمية للنزاع. كما أن استمرار الغارات الجوية على السعودية، لن تساعد على نجاح مهمة بانث والمندوب الأمريكي.

ويختم الرسالة بمناشدتنا العمل على توفير الجو المناسب؛ بتحديد العمليات الحربية داخل اليمن.

وقد كان ردى على السفير [والكلام لناصر].. أننا انتظرنا جهودهم التي تكلموا عنها لمدة خمسة شهور بلا نتيجة. وأن ضرب المطارات السعودية ضرورة عسكرية لسلامة قواتنا. وأن استمرار تدخل السعودية في اليمن يدفعنا الى التدخل في السعودية.

وعلق السفير على ذلك؛ بأن إرسال مندوب كنيدي يعتبر مجهودا أخيرا، وأن الرئيس الأمريكي يحاول بكل وسيلة أن لا تتطور الأمور لتصادم بين الجمهورية العربية المتحدة وأمريكا.

وقد وعدته بايقاف الغارات الجوية؛ حتى تظهر نتيجة جهود المندوب في السعودية؛ من أجل منع التسلل، فاذا فشلت هذه الجهود فليس أمامنا الا منع تسرب السلاح والذخيرة والأفراد من السعودية؛ بضرب قواعد العدوان"(١).

وفي ١٩ مارس أخطر ناصر قادة البعث السوري الذين قدموا الى القاهرة لبحث إعادة الوحدة.. "إن الموقف في اليمن جيد جدا".

وفي جلسة مجلس الرئاسة في ٢٤ مارس ١٩٦٣، قال ناصر: "إن عملية اليمن هدأت أو تم فيها الدور الرئيسي؛ وهو غلق جميع طرق التسلل وضرب العدو ضربات قاتلة. إلا أنه يظل بعد ذلك جيوبا داخل اليمن وهي لا تهم... ولكن المهم هو قطع وسائل الإمداد الى داخل اليمن بواسطة

السعودية، وقد ضربت جميع قواعد السعودية التي تشترك في الإمداد حتى ما يقرب من ١٠٠ كم داخل السعودية.

---

(١) برقية ناصر الى المشير عامر، ١٨/٣/١٩٦٣، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ونستطيع أن نعتبر أن العملية في اليمن انتهت وبنجاح، وفي نفس الوقت خسائرتنا بالنسبة للقوات هناك وبالنسبة للعمليات، تعتبر قليلة. لقد بلغت قواتنا هناك ٢٨,٠٠٠. وكان من الواجب أن ندفع قوة كبيرة؛ لأن المعركة كانت فاصلة، ليس فقط لصنعاء بل وبالنسبة للقاهرة.

وتساءل ناصر.. "كيف سنخلص من هذه العملية ونرجع؟! ثم أضاف.. "هذه هي العقدة الأساسية في الموضوع!"

وحدد ناصر المحاولات التي بذلت لتصفية هذا الصراع، وقال: "نحن بلّغنا الانجليز والأمريكان والروس بنوايانا؛ حتى لا يغلطوا في الحساب. قلنا لهم بصراحة: إننا ليس لنا نوايا في الهجوم على السعودية أو غزوها، أو الاحتفاظ بقواعد عسكرية في اليمن. إن كل عملياتنا لمساندة حق الشعب اليمني في الثورة، وسندافع عنها الى أقصى مدى. الى أن أعلن جواب كنيدي [في ١٨ يناير ١٩٦٣] ونحن في أسوان، وأعلنوا أن الأمريكان عملوا مظاهرة [مساندة للسعودية].

في هذا اليوم أخذنا قرارا بضرب السعودية بعدها بيومين؛ حتى نرى رد فعل هذا الكلام، وبعد تانى يوم ضربت نجران لأول مرة.

طبعاً رد الفعل كان واضح؛ أن العملية كلها تهوئش! ثم تم الضرب لأربعة أيام...

استمر الأمريكان في التوسط بعد جواب كنيدي وردنا عليه، وكنا معتبرين أنه يتكلم باسم فيصل. وفي الآخر قال: إنه لا يستطيع أن ينفذ ما وعد به؛ بأن يمنع فيصل من التدخل، وهو مانع عنه بعد ذلك الغارات المستمرة على السعودية.

وذكر ناصر في نفس جلسة مجلس الرئاسة، أن السفير الأمريكى قال له: "إن فيصل مستعد أن يسوى العملية ولكنه يريد أن يعقد اجتماعاً معنا، ومستعد أن نتفق على مراقبة منارة الإمداد الموجودة في السعودية، ونضع فيها مراقبين؛ على أساس سحب الجيش المصرى من اليمن في وقت نتفق عليه، ولكن لم ندرس الموضوع.

ثم حدث اتصال هنا بواسطة السعوديين فى أواخر الشهر الماضى - حافظ وهبة(١) - وقالوا: إنهم يريدون أن يتفقوا على إيقاف القتال بالنسبة لخارج حدود اليمن، وعمل اجتماع بين ممثلين لوزيرى الدفاع فى كلا البلدين.

---

(١) حافظ وهبة، ولد فى القاهرة فى ١٥ يوليو ١٨٨٩، وعمل مستشارا للملك عبد العزيز آل سعود، وسفيرا للسعودية فى لندن أثناء الحرب العالمية الثانية، وظل شخصية سياسية نالت تقديرا فى بلده.

وقد وافقنا على هذا على أساس أننا نريد أن ننهى العملية، وقد اقترحوا أن يتم الاجتماع فى روما، فقلنا: يالما فى الغردقة أو فى يوغوسلافيا؛ على أساس أنها ليست مفتوحة بالنسبة للصحافة، ونستطيع معهم أن يلموا الموضوع.

وكان سؤالى الأساسى.. هل هذا الاقتراح من الحكومة؟ وكان الرد.. نعم، ولكن لم يأتى رد بعد ذلك!

بعد ثورة العراق اتصلوا بالسفير السعودى، وقالوا له: إنه يهمنى الموضوع فى اليمن، وإن استمرار العمليات العسكرية فى اليمن سيؤسئ للعلاقات بيننا؛ ما ينتج عنه على حدودنا - العراق والسعودية - مشاكل.

جاءهم رد من السعودية؛ أنهم مستعدين أن يجتمعوا مع الجمهورية العربية المتحدة لبحث الموضوع وفض الخلاف، ولكنها رافضة!

بلغونى العراقيون هذا الكلام أخيرا، فقلت لهم: نحن مستعدين أن نجتمع، وليكن مكان الاجتماع بغداد، وأبلغتهم الرسالة التى وصلت مع حافظ وهبة".

واستطرد ناصر قائلا: "إذاً عملية إخراج قواتنا وفض الاشتباك هى باستمرار علامة الاستفهام الموجودة أمام كل الناس؛ انتهت العمليات ثم ماذا نفعل؟!

ولا أظن أننا نستطيع أن نسحب كل قواتنا من هناك، فلا بد أن تبقى قوة تستطيع أن تواجه أى عمل عدوانى، حتى تصلها إمدادات فى حالة استئناف العدوان.

وبالنسبة للسعودية، إنهم يعتبرون أن الثورة فى اليمن ونجاحها مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم؛ أى أن نجاحها يقضى عليهم!"



## (ج) فك الاشتباك فى الواقع العملى:

### (١) موقف ناصر:

قابل بانكر ناصر ثلاث مرات فى ١ و ٢ و ٣ إبريل ١٩٦٣، وتقدم اليه بالعرض الآتى:  
إيقاف حكومة السعودية لمساندتها للملكيين فى تاريخ يحدد فيما بعد، ومنع حكومة السعودية من استمرار استخدام مؤيدى الإمام لأراضى السعودية.

ومن جانب آخر، إيقاف هجوم الجمهورية العربية المتحدة على الأراضى السعودية، وإقامة منطقة منزوعة السلاح لمسافة ٢ كم على الجانبين من الحدود السعودية - اليمنية.

وبعد ١٥ يوما من إيقاف المساعدة السعودية للملكيين، تبدأ الجمهورية العربية المتحدة فى سحب قواتها من اليمن، وتستمر فى الانسحاب على مراحل من مناطق العمليات العسكرية الى قواعدا حتى تغادر اليمن.

يوضع مراقبين محايدين على جانبى الحدود فى المنطقة المنزوعة السلاح؛ حتى يتم التأكد من إيقاف الأنشطة السعودية، ومنع تحركات قوات الجمهورية العربية المتحدة من الخارج، أو ورود الأسلحة الى قواتها من المطارات والموانئ.

وطلب بانكر أيضا؛ ضرورة تعاون الجمهورية العربية المتحدة والسعودية والجمهورية العربية اليمنية مع ممثل السكرتير العام للأمم المتحدة أو أى وسيط آخر مقبول من الطرفين؛ للوصول الى اتفاق حول عملية فك الاشتباك.

كما طلب موافقة الجمهورية العربية المتحدة على أن تمارس تأثيرها على السلال؛ ليتوقف عن إلقاء خطب حماسية أخرى ضد البلاد المجاورة، ولتأكيد رغبته فى أن يعيش فى سلام مع جيرانه(١).

وقد وافق ناصر على البدء فى سحب قواته فى نفس الوقت الذى توقف فيه السعودية مساندة الملكيين، على أن يكون انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة على مراحل.

وأصر ناصر على إجلاء عائلة الإمام - ١٥ شخصا - من منطقة الحدود، إما الى جدة أو الرياض؛ للتأمين ضد أى أعمال تخريبية من جانبهم.

وفيما يتعلق بشروط الجمهورية العربية اليمنية؛ مثل الاعتراف المسبق بالنظام الجديد من جانب المملكة المتحدة والسعودية، علق بانكر أن الاعتراف البريطانى سوف يتم بعد حدوث فك الاشتباك، وفى المدى الطويل لا يمكن أن تظل السعودية البلد الوحيد المحجم عن الاعتراف!(١).

وقد ناقش ناصر مع زملائه فى مجلس الرئاسة فى ٢ إبريل ١٩٦٣ هذه المقترحات الأمريكية، فقال: "بالنسبة لفك الارتباط تقريبا اتفقنا". ثم كرر.. "ولكن أصعب شئ الآن بالنسبة لنا؛ هو كيف نمشى من اليمن؟ نحن نريد ذلك وغير قادرين، هناك قوة كبيرة - ٣٠ ألف - مبعثرة على الطرق!

---

(١) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 3, 1963.

Ibid.

(٢)

الأساس الذى يهمنى هو وقف الإمدادات من جانب السعودية بالسلاح والذخيرة والأموال. ويجب أن نضع فى حسابنا أنه بعد هذا الاتفاق ستحدث مؤامرات! ومنذ ١٧ نوفمبر الماضى - أول وساطة لحل موضوع اليمن وحتى الآن - لا توجد مبادرة رفضتها، ولكنهم يذهبون الى فيصل فيقول: إنه غير موافق!"

وبعد أن حصل بانكر على موافقة كل من ناصر و فيصل على ترتيبات فك الاشتباك، بعث كنيدي رسالة شفوية الى ناصر فى ١٨ إبريل ١٩٦٣.. " أبلغنى السفيران بنكر وبادو بما جرى فى محادثتهما الأخيرة معكم، وأكدوا على التعاون الجيد الذى أبديتموه. وأود أن أعرب عن تقديرى لنهجكم البناء الذى ينم عن أنكم رجل دولة محنك.

وأنا على يقين - وأكتب لولى العهد الأمير فيصل فى السياق نفسه أيضا - أن أطراف النزاع فى اليمن سوف تبدى الاستعداد نفسه للتعاون مع الأمين العام للأمم المتحدة وممثله الشخصى تماما كما أبدته للسفير بنكر، وأنها سوف تنفذ فض الاشتباك بالكامل وعلى وجه السرعة وتنسحب من النزاع الجارى فى اليمن. ونحن نعول على المشورة الودية التى ستعطونها للجمهورية العربية اليمنية لضمان تعاونها فى هذا الصدد.

وذكر لنا السفير بادو أيضا أنكم أعريتكم عن بعض القلق من أن الولايات المتحدة قد تغير سياستها تجاه الجمهورية العربية المتحدة. إن سياسة الولايات المتحدة لم تتغير، ولا أرى أى سبب لتغييرها فى الوقت الراهن. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون مسار التعاون بيننا سلسا طيلة الوقت، ومع ذلك فقد أتلج صدرى كثيرا أننا استطعنا معا بالصبر وبذل الجهد والنية الحسنة، أن نخفف من

أثر بعض الصدمات، وأن نجد سبلا للخروج من مأزق صعبة وأن نتوصل إلى حلول لمشكلات بدت للوهلة الأولى مستحيلة أو مستعصية الحل" (١).

وفى رسالة من كنيدي الى ناصر فى ٢٧ مايو ١٩٦٣، سلمت اليه بعد عودته من أديس أبابا.. "يبدو لى من المستحسن مع بدء عملية فك الاشتباك فى اليمن التى نأمل أن تتم إجراءاتها فى القريب العاجل، أن نتواصل مجددا فى ضوء التطورات التى طرأت فى الأسابيع القليلة الماضية..."

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, April 18, 1963.

(١)

- رسالة كنيدي الى ناصر، ١٨/٤/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ويلعب الكونجرس دورا رئيسيا فى المسائل المتعلقة بالمساعدات بطبيعة الحال. ومع ذلك فإن السياسة التى أنتهجها تركز على مواصلة برامج المساعدة الاقتصادية الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة، ويحدونى الأمل فى أن يستمر الكونجرس فى النظر إلى تلك المسألة على هذا النحو أيضا.

لقد دُهِشت سيدى الرئيس من عدة نقاط أثرتموها فى رسالتكم الطويلة المؤرخة فى ٣ مارس، التى تعكس عمق التفكير والدراسة. لقد ذكرتم أن الجمهورية العربية المتحدة لا تعتبر أن مهمتها هى نشر الثورة عشوائيا بين الشعوب الأخرى فى العالم العربى، وأعربتم عن اعتقادكم أن أفضل ما يمكن أن تقدمه الجمهورية العربية المتحدة فيما يتعلق بمهمتها الثورية نحو الشعوب العربية؛ هو أن تكون مثلا عمليا لقدرة العرب على تطوير حياتهم والتطلع إلى مستقبل أفضل. ونحن نتعاطف مع هذا الاعتقاد، ولهذا سعينا لمعاونة الجمهورية العربية المتحدة على خلق هذا المثال العملى وسنستمر فى هذا المسعى.

ومع ذلك وفى الوقت نفسه أنا على يقين من أنكم تشاركونى قلقى وخشيتى أن تخلق المناورات والتمويه فى الشرق الأدنى تطورات غير مرغوب فيها خلال الفترة الحالية؛ قد تقضى الى مشكلات حادة لكل منا" (١).

وبالرغم أن ناصر كان مستعدا لتنفيذ المقترحات الأمريكية فورا، إلا أنه فى الفترة بين تقديمها وبداية عمل الأمم المتحدة اشتدت العمليات العسكرية، وواجهت الجمهورية العربية المتحدة

عمليات للمحاربين المرتزقة من الجانب السعودي، أى أن تزايد مساعدة السعودية للملكيين أدى الى تعميق المشكلة. كما بدأت حرب القبائل فى المنطقة منزوعة السلاح، وتدفقت الأسلحة والأموال بكثرة من السعودية الى شمال شرق اليمن. ومما عقد الأمر أكثر، أن دعاية البدر والسعودية بين القبائل أصبحت تصور نصرا قادمًا للملكيين!

حدث كل ذلك على الرغم من أن الجمهورية العربية المتحدة احترمت مقترحات فك الاشتباك التى وافقت عليها، وأعادت بعض القوات المسلحة الى وطنها على ألا يتم الإحلال محلها. ولكن فى النهاية لم تتم شروط فك الاشتباك للأسباب السابق ذكرها، كما أن البدر والأسرة المالكة اليمنية ظلوا فى منطقة جيزان بالأراضى السعودية!

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, May 27, 1963.

(١)

- رسالة كنيدي الى ناصر، ٢٧/٥/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وقد أكد ناصر للأمريكيين فى ذلك الوقت أن هدفه هو عودة كل قواته المسلحة فى أغسطس ١٩٦٣، حيث يتوقع أن تنتهى مقاومة القبائل فى شمال اليمن. وأنه يعمل على أن يجعل طيران الجمهورية العربية المتحدة بعيدا عن الحدود مع السعودية، ويتجنب أى صدام مع القوات الجوية الأمريكية هناك(١).

وفى ٧ يونيو ١٩٦٣ تلقى كنيدي رسالة من ناصر(٢)...

ورد كنيدي على ناصر برسالة شفوية فى ١٥ يونيو ١٩٦٣، قال فيها: "اسمحوا لى ياسيادة الرئيس أولا وقبل كل شئ، أن أعبر عن سعادتى الشخصية أن مراقبى الأمم المتحدة فى طريقهم الآن الى اليمن؛ نتيجة لتحرك مجلس الأمن الدولى فى ١١ يونيو. ويمكن فى الوقت الراهن البدء فى عملية فك الاشتباك بشكل جدى. ولقد كان الدور البناء الذى قامت به بعثة بلادكم لدى الأمم المتحدة وسفارتكم فى واشنطن؛ ذا فائدة عظيمة فى المساعدة على تحقيق ذلك"(٣).

(٢) موقف السعوديين:

بذل كنيدي جهدا كبيرا للتأثير على فيصل وناصر لتحقيق فض الاشتباك، فأرسل الى فيصل في أول يوليو ١٩٦٣ رسالة يقترح فيها تدخل الأمم المتحدة لحل الأزمة، فكتب.. "لقد شعرنا منذ فترة طويلة أن الكياسة في التعامل مع الوضع الحالي تتطلب أن تكون الأمم المتحدة في الطليعة من أجل التعامل مع هذه المشكلة [اليمنية] بصفتها مراقبا وشاهدا على الأحداث؛ وذلك لتجنب توجيه الاتهامات والاتهامات المضادة بانتهاك فض الاشتباك، أو إطلاق التفسيرات الخاطئة وما قد ينجم عن ترك المسألة في يد الولايات المتحدة بمفردها؛ من تقويض العلاقات السعودية الأمريكية، ولضمان منح الشعب اليمني أفضل فرصة لاتخاذ قراراته النهائية فيما يتعلق بشؤونه الخاصة دون أى تدخلات...

وقد اعتمد مجلس الأمن الأممي مؤخرا وعلى الرغم من العرقلة السوفيتية، قرارا بتفعيل عملية إيفاد فريق من المراقبين الأمميين الى اليمن والى المناطق الحدودية للمملكة العربية السعودية مع اليمن. وقد وصل الجنرال فون هورن مع طليعة من الخبراء إلى مسرح الأحداث، والمراقبون بصدد التحرك إلى مواقعهم.

(١) Tel. from the Embassy in the UAR the Dept. of State, Cairo July 11, 1963.

(٢) رسالة ناصر الى كنيدي، في ٦/٧/١٩٦٣ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٣) Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, June 15, 1963.

- رسالة كنيدي الشفوية الى ناصر، في ٦/١٥/١٩٦٣ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

لذا فقد أرسلنا إلى المملكة العربية السعودية وحدة من القوات الجوية الأمريكية؛ وفقا للتعهد الذى قطعته على نفسى منذ فترة وأبلغتكم به من خلال المبعوث الأمريكى السفير بنكر؛ بإرسال تلك الوحدة إلى بلادكم بمجرد تعزيز مراقبى الأمم المتحدة عملية فض الاشتباك...

وأنا واثق تمام الثقة فى هذا الصدد من تعهد سموكم بضمان وقف مرور جميع شحنات الأسلحة عبر الحدود من المملكة العربية السعودية إلى اليمن، حيث أن هذا التعهد هو المفتاح لنجاح عملية فض الاشتباك، فى حين يتمثل المفتاح الآخر فى تعهد الرئيس عبد الناصر بسحب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن" (١).

وأخيرا، فى النصف الأول من شهر يوليو أوقف السعوديون المساعدات العسكرية للملكيين، ووصل مراقبى الأمم المتحدة الى مكانهم فى المنطقة منزوعة السلاح؛ وهو عنصر رادع، كما أخطرت الولايات المتحدة السعوديين أنها ستسحب سرب الطائرات الحربية الذى أرسلته من قبل، إذا بدأوا يتحايلون ثانية!

وكان تقدير الأمريكيين أنه بالرغم من أن حرب اليمن قد استغرقت أكثر مما توقعوا بداية، إلا أنهم فى طريقهم الى تحقيق أهدافهم الأساسية؛ وهى منع حرب اليمن من أن تنتشر وتتحول الى صراع عام بين العرب؛ يؤدى الى تورط مفتوح لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وأن تضمن فى نفس الوقت حماية عملائها السعوديين!

يضاف الى ما سبق أنه بالتقارب مع ناصر، اعتقدت الولايات المتحدة أنها أبعدته عن مزيد من التقارب مع الاتحاد السوفيتى. كما تصور الأمريكيون أنهم أصبحوا على علاقة طيبة بالعرب الثوريين بدون أن يفقدوا عملائهم القدامى، برغم مواجهتهم الكثير من الصعوبات(٢)!

وفى ٢٩ يونيو ١٩٦٣ بعث ناصر الى كنىدى الرسالة الآتية.. "استجابة لمناشدة الرئيس كنىدى من أجل سحب قوات الجمهورية العربية المتحدة من اليمن؛ تنفيذاً للاتفاق المبرم مع السفير بانكر... قرر الرئيس عبد الناصر سحب عدد (كبير) من القوات من اليمن فى النصف الأول من شهر أغسطس... وأنه اتخذ هذه الخطوة على الرغم من اعتقاده أن المملكة العربية السعودية لم توقف مساعداتها لأنصار الملكية، وأنها لم تمتثل لالنص اتفاق بانكر ولا لروحه"(٣).

---

(١) رسالة كنىدى الى فيصل، ١٩٦٣/٧/١، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٢) Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, July 12, 1963.

Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, July 31, 1963.

- رسالة ناصر الى كنىدى، ١٩٦٣/٦/٢٩، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وكتب كومر لكنىدى تعليقا على هذه الرسالة.. "تتضمن رسالة عبد الناصر الموجهة لكم والمرفقة طيه تأكيدا على أنه ينوى الانسحاب من اليمن. وتشير بعض التقارير إلى أن ١٥٠٠ جندي غادروا بالفعل أرض اليمن. وفى حين أن هذا الأمر سوف يثبط الانتقادات المتزايدة الموجهة لسياستنا إزاء اليمن، إلا أنني أعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة أمامها مدة تتراوح بين ١٢ و ١٨ شهرا كى تسحب الجزء الأكبر من قواتها خارج البلاد. والى أن يحين ذلك سوف نتلقى انتقادات بصفة متكررة من السعوديين وغيرهم؛ بشأن عدم امتثال الجمهورية العربية المتحدة لاتفاق فك الاشتباك. ولكن طالما تلتزم الجمهورية العربية المتحدة بالإجلاء التدريجى لقواتها (وينبغى أن نستمر فى الضغط عليها للوفاء بهذا الالتزام)، سنكون قادرين على التعايش مع هذا الأمر. وإن وجود قوات الأمم المتحدة بدلا من القوات الأمريكية للفصل بين القوات فى المنطقة العازلة، وتلقى القسم الأكبر من الشكاوى واحتمالات الفورة واندلاع الغضب؛ يبدو أنها تستحق الانتظار لمدة شهرين من أجل إشراك قوات الأمم المتحدة فى تلك المهمة"(١).

ولكن بعد سحب جزء من قوات الجمهورية العربية المتحدة، ظل السؤال من جانب الأمريكيين أيضا.. كيف يمكن إنهاء الحرب في اليمن؟ فلقد خشوا أن تُترك اليمن في حالة فوضى ينتظرها السوفييت لملي الفراغ! إذاً كان من مصلحة الولايات المتحدة أن تستمر الحكومة اليمنية قوية حتى ينتهى الصراع. ولكن الظروف في ذلك الوقت كانت غير مشجعة؛ فالوضع العسكرى كان متدهورا، والسلال ضعيف. لذلك أبلغ ناصر الولايات المتحدة أنه لا يمكن أن يترك اليمن، حتى تنتهى الحرب تماما؛ ومعنى ذلك أن فك الاشتباك أصبح يتوقف على إنهاء الحرب(٢).

#### د- الدور الأمريكى فى الدعوة لمحادثات سرية مباشرة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية:

لجأت الولايات المتحدة الى هذا الاقتراح؛ حتى يتم الوصول الى حل وسط يساعد على عملية فك الاشتباك، ووقف الحملات الإذاعية بين فيصل وناصر. وبالرغم من أن كل من الجمهورية العربية المتحدة والسعودية قد اشتبكتا على الحدود، إلا أن الأمم المتحدة كانت تعمل فى المنطقة العازلة بين الجانبين، وفى نفس الوقت قوات الجمهورية العربية المتحدة كانت تتسحب، ويقبل تدفق السلاح السعودى للملكيين(٣).

---

Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, July12,1963,OP.Cit.

(١)

(٢)Memo. from Harold Sanders to Kaysen, Washington, June 26, 1963.

Memo. from Komer to President Kennedy, Washington, August 16, 1963.

(٣)

وقد تجاوب الطرفان المصرى والسعودى للدعوة الأمريكية وأعربت الحكومة السعودية عن ترحيبها بالاهتمام المصرى بإجراء محادثات مباشرة، وأنها مستعدة لمقابلة ممثلى الجمهورية العربية المتحدة فى أى مكان، وإن اعترضت على دعاية الجمهورية العربية المتحدة ضدها لأنها تخلق لها المشاكل(١)!

وفى ١٩ أكتوبر ١٩٦٣، شرح ناصر الوضع فى اليمن فى اجتماع مجلس الرئاسة فقال: "لقد انتهت الأعمال العسكرية كلها فى اليمن... وطريقتنا فى التعامل هى أن نتساهل... وقد تحدد ميعاد اللقاء بين المنسوب من الجمهورية العربية المتحدة والسعودى فى نيويورك، على أن يحضر محمود رياض(٢) ووكيل وزارة الخارجية السعودية، ولكنها طلبت تأجيل اللقاء!"

وأضاف ناصر.. "إن مصلحتنا أن نحل الموضوع مع السعودية سياسياً؛ لأن علاقاتها القبلية مع اليمن ممكن أن تخلق باستمرار مشاكل.

وآخر طلب من السعودية؛ كان وقف الهجوم الإعلامي عليهم، قلنا: لن نوقف إلا بعد أن يحدث اتفاق، ويوقف تسريب الأسلحة الى داخل اليمن. آخر يوم كان أمس [١٨ أكتوبر]، فقد سربوا أسلحة - ٢٠٠٠ - بندقية - الى جيزان ونجران... وبالنسبة للانسحاب مستمرين فيه".

#### هـ - تشدد السياسة الأمريكية ضد ناصر:

لم يحقق الموقف في اليمن تقدماً كبيراً منذ أن اقترحت الولايات المتحدة اللقاء المباشر بين الطرفين، الذي لم يتم نظراً لتراجع السعودية! وبالرغم من ذلك فقد قرر كينيدي تصعيد الموقف في اليمن ضد الجمهورية العربية المتحدة، وإنهاء الصراع في الشرق الأوسط في أقرب فرصة.

فقد أمر كينيدي بتقوية قدرة القوات الجوية في الأسطول السادس الأمريكي؛ لأنه كان قلقاً من عدم التوازن الواضح بين القوة الأمريكية الجوية في مواجهة نظيرتها التابعة للجمهورية العربية المتحدة في شرق البحر الأبيض وفي البحر الأحمر.

كما أصدر كينيدي التعليمات باستعداد القوات الجوية الأمريكية في أسبانيا لمساندة العمليات المحتملة في الشرق الأوسط؛ وذلك للمساعدة في استقرار الوضع في السعودية، وتقليل وقت رد الفعل إذا تم الاحتياج لهذه القوات.

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, August 22, 1963.

(١)

(٢) محمود رياض، مندوب مصر الدائم في الأمم المتحدة.

وفي نفس الوقت قرر كينيدي الاتصال بخروشوف على خط موسكو، وإخطاره مسبقاً أن بعض عناصر قيادة الطيران الاستراتيجية الأمريكية تم نشرها في أسبانيا؛ بسبب محاولة فرض استقرار الموقف في السعودية. كما قرر أن يؤكد لخروشوف أن هذه القوات سوف تسلح بأسلحة تقليدية فقط، وأنها لن تستخدم إلا كإجراء أخير؛ حيث أن الولايات المتحدة تتمسك بالتزاماتها تجاه السعودية تحت كل الظروف(١).



إذاً لقد انحاز كنيدي تماماً للسعودية سياسياً وعسكرياً، وإن ظل يناور مع ناصر؛ فأرسل له رسالة شفوية في ١٩ أكتوبر ١٩٦٣ تضمنت ما يلي.. "أعرب لكم عن قلقي الشخصي من فشل الجمهورية العربية المتحدة حتى الآن في تنفيذ الجزء الخاص بها من اتفاق فك الاشتباك في اليمن.

واعتقد أنه من الإنصاف القول أن السعوديين يقومون بما يخصهم في الصفقة... ونحن واثقون من أن حكومتى بريطانيا والسعودية تحترمان بل وتلتزمان بالتأكدات التي قطعناها لنا بعدم مد يد المساعدة للملكيين، ومن ثم فلن يكون لى نفوذ ولا سطوة مع فيصل عندما ينفذ هو الالتزامات الخاصة به في الاتفاق، في حين أنه مازال يشهد وجود القوات المصرية في اليمن ويسمع عبارات عدائية صادرة ضده من حكومة الجمهورية العربية المتحدة في القاهرة.

ومن ناحية أخرى، لم تقم الجمهورية العربية المتحدة بالانسحاب تدريجياً على نطاق يتسق وفهمنا لروح الاتفاق...

ونظراً للدور الشخصي الذي أضطلع به في هذه المسألة، أعتقد أنكم سوف تفهمون لماذا أشعر بالحرع، عندما توجه انتقادات الى الولايات المتحدة في هذا الصدد من الداخل والخارج على حد سواء... وإذا كنا سندع مسألة اليمن تؤثر على مصالحنا الكبرى، فسوف نكون قد فقدنا قدرتنا على صياغة الأحداث، وسمحنا للأحداث أن تسيطر علينا وتسيرنا كيف تشاء" (٢).

ومن ناحية أخرى أراد فيصل أن يستعلم من الولايات المتحدة عن موقفها في حالة الإنهاء المحتمل لمهمة الأمم المتحدة على الحدود بين اليمن والمملكة العربية السعودية، واستئنافها تقديم المساعدات لأنصار الملكية في اليمن ثم تعرضوا لهجوم! أي أنه يستأذن ويطمئن قبل نقض اتفاق فك الاشتباك!

---

Memo. of the Meeting with the President and the Secretary of Defense, Washington,

(١)

Oct. 8, 1963.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Oct. 19, 1963.

(٢)

- رسالة كنيدي الى ناصر، ١٩/١٠/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ورد كنيدي في رسالة الى فيصل في ١٩ أكتوبر ١٩٦٣، فقال: "إن سياستنا الثابتة والراسخة تتمثل في صون تنفيذ عملية فض الاشتباك، وبقاء بعثة الأمم المتحدة للمراقبة إلى أن تتحقق هذه الغاية".

واستأنف كنيدي.. "ونحن عازمون على ممارسة ضغوط قوية على الرئيس جمال عبد الناصر... وقد وافقت الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت نفسه على تمديد ولاية بعثة الأمم المتحدة للمراقبة فى اليمن، ونسعى... الى التأكد من الحفاظ على هذا العنصر الضرورى من عناصر فض الاشتباك..."

وإذا استأنفتم تقديم المساعدات لأنصار الملكية ثم تعرضتم للهجوم، فلا يوجد ثمة شك فى حرصنا الدائم والثابت على سلامة بلادكم... ويجب لهذا السبب عدم السماح بفشل عملية فض الاشتباك... وقد اتفقنا منذ فترة أن وفاء كلا الجانبين بالالتزامات التى تعهد بها فى اتفاق فض الاشتباك هو السبيل الوحيد الممكن لإقرار السلام والاستقرار فى اليمن وهو شرط أساسى لتحقيق السلام والاستقرار فى بلادكم...

ونحن نعتبر الاعتراف بالجمهورية العربية اليمنية بشكل كبير مسألة ضرورية للحفاظ على استقرار المملكة العربية السعودية... وبعد أن أقمنا علاقات مع الجمهورية العربية اليمنية لا يمكن أن نشارك فى أى هجمات جديدة ضدها... وبالمثل فإننا لن نغض الطرف عن أى عدوان ضد المملكة العربية السعودية... وأنا نؤمن بجذوى المصالحة بين القوى داخل اليمن؛ ولذا آمل أن تتضموا إلينا فى دعم تلك المصالحة...

إن ما يفضى إليه الاستقرار السياسى فى نهاية المطاف؛ هو مسألة متروكة لليمنيين كى يقرروها بأنفسهم، كما اتفقنا. وتحقيقا لهذه الغاية من ثم؛ دعونا نضاعف جهودنا لتنفيذ عملية فض الاشتباك بنجاح" (١).

ولم تعدم الولايات المتحدة وسيلة ضغط على ناصر من أجل تحقيق أهدافها فى منطقة الشرق الأوسط، فقد قال راسك للسفير البريطانى فى واشنطن: "إن ناصر يجب أن يفعل أكثر من ذلك، فإن أدائه أبعد ما يكون عن رضائنا" (٢)!

---

(١) رسالة كنيدي الشفوية الى فيصل، ١٩/١٠/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
Letter from Rusk to the British Ambassador, Washington, Oct. 19, 1963.  
(٢)

وبالإضافة الى التحركات العسكرية فى منطقة الشرق الأوسط وخارجها، استخدمت الحكومة الأمريكية المعونة كأداة ضغط مباشر على ناصر؛ فقد أوضحت صراحة لعبد المنعم القيسونى - وزير الخزانة والتخطيط المصرى - أثناء زيارته الى واشنطن، "أن المعونة الأمريكية الى الجمهورية العربية المتحدة تتوقف الى حد كبير على أدائها فى اليمن!"

وأشار الأمريكان الى أهمية استمرار دور الأمم المتحدة فى اليمن، وعدم قيام طائرات الجمهورية العربية المتحدة بحماية الحدود السعودية.

وتم اقتراح توسيع تكوين النظام اليمنى العربى الجمهورى، وطلب راسك من السفير البريطانى فى واشنطن مساندة الحكومة البريطانية من حيث المبدأ فى هذا الاقتراح، وأعرب عن أمله أن يفكر الملكيون فى المشاركة فيه! وطلب أن تخبر حكومة المملكة المتحدة الحكومة اليمنية أنها ستكون مستعدة للاعتراف بهذه الحكومة الائتلافية.

وأيضاً لوحث الولايات المتحدة لليمن بالمعونة الاقتصادية المتوقعة فى حالة تشكيل هذه الحكومة(١).

وقد رد أليك دوغلاس هوم - وزير الخارجية البريطانية - قائلاً: إن الحكومة البريطانية لا تستطيع أن تنفذ ما ذكره راسك فى رسالته؛ لأنه مع توسيع الحكومة اليمنية، فإنهم لا يستطيعوا أن يخطرأ الملكيين أنهم يساندون فكرة نظام جمهورى فى اليمن! كما رفض هوم الاعتراف بهذا النظام(٢).

وعموماً أصبح الوضع فى اليمن كالاتى.. نظام السلال الجمهورى يسيطر على ثلثين اليمن من خلال مساندة حوالى ٣٠ ألف من قوات الجمهورية العربية المتحدة. أما القبائل الملكية الشمالية التى تمولها السعودية، فمازالت تسيطر على الجبال فى الشمال والشرقى. ولا يبدو أنه من الممكن تحقيق انتصار عسكرى حاسم لأى من الجانبين(٣).

---

Ibid.

(١)

British Embassy in Washington to the Dept. of State, Washington, Oct. 23, 1963.

(٢) National Intelligence Estimate, Washington, Nov. 6, 1963, The situation and

Prospects (٣)

## و- أثر تغيير الإدارة الأمريكية على الصراع فى اليمن:

فى هذه الأثناء تم اغتيال كنىدى فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٣، وخلفه جونسون نائب الرئيس فى ذلك الوقت. وقرر جونسون استئناف الحوارات بينه وبين ناصر وفيصل، بعد أن اطلع على الرسائل بين كنىدى وبينهما. وفى ١٩ ديسمبر ١٩٦٣، أرسل جونسون رسالة الى الملك فيصل قال فيها: "إن التقاهم بين الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية مسألة ذات أهمية حاسمة وحيوية، وأن تبادل وجهات النظر بيننا بكل صراحة محبذ للغاية... وقد أدركت من خلال اطلاعى على المراسلات المتبادلة بينكم وبين الرئيس كنىدى مدى قلقكم من سياستنا تجاه اليمن. وأؤكد لكم أن لدينا هدف واحد فقط بالنسبة لليمن، وهو حماية سلامة المملكة العربية السعودية. ونحن نعتقد أن أمن المملكة العربية السعودية يتطلب بالضرورة تجنب المواجهة المباشرة مع الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن".

وقد اتضح من هذه الرسالة أن جونسون انحاز الى موقف الأمير فيصل ضد ناصر، وأنه كان معتقداً أن ناصر يريد الهيمنة على اليمن، الأمر الذى نفاه بشدة.

وإزاء طلب الأمير فيصل قطع المساعدات الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة، قال جونسون فى رسالته: "إن قطع المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة للجمهورية العربية المتحدة لن يعجل بانسحابها من اليمن؛ بل من المرجح أن يعزز العلاقات الوثيقة بينها وبين السوفييت، ما يُعد مخالفاً لمصلحتكم ولأغراضنا الخاصة بنقل الصنف النفوذ السوفييتى فى العالم العربى... واسمحوا لى أن أضيف أننى سأشعر بالقلق من استئناف السعودية تقديم الدعم لأنصار الملكية اليمنيين فى الوقت الحالى؛ لأن تلك الخطوة من شأنها على الأرجح أن تستفز ناصر على معاودة التفجيرات، وتدفعه للاعتماد أكثر على المساعدات السوفييتية، وأن يلقى على كاهلكم المسؤولية التى يجب أن يتحمل هو مغبتها الآن.

نسعى نحن والأمم المتحدة إلى دفع الجمهورية العربية المتحدة نحو التسوية السياسية والانسحاب. وسوف نتابع تلك الجهود بكل عزم وتصميم. وآمل ألا تُتخذ أى إجراءات تحبط هذا الاتجاه وتتسبب فى أن يلتزم ناصر بقوة أكثر بالبقاء فى اليمن.

لقد نصحت الولايات المتحدة بضبط النفس في السابق. وبعد أن توليت هذا المنصب في الوقت الراهن، أود أن أؤكد مجدداً النصائح نفسها، معتبراً ذلك أعظم خدمة لمصالحنا المشتركة ولمصلحة السلام العالمي" (١).

---

(١) رسالة جونسون الى فيصل، ١٩/١٢/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وفي ٢٣ ديسمبر أرسل الرئيس الجديد أول رسالة منه الى ناصر.. " إدراكاً منا لآفاق الحوار فإنني أمل أن يستمر هذا الحوار بينكم وبين الرئيس كنيدي وللصراحة التي كان يتسم بها هذا الحوار، بيننا أيضاً. وإنني أعتزم أيضاً الاستمرار في انتهاج السياسة الرامية الى توسيع نطاق التعاون بين بلدينا. ولكن استمرار حالة عدم الاستقرار في اليمن يشكل تحدياً خطيراً يتعين على حكومتنا مواجهته. وأنا على علم بأنكم تعربون في كثير من الأحيان عن مدى نفورك ومقتكم للحرب بين الأشقاء العرب، ونحن نتطلع أيضاً الى خلق ظروف يمكن أن تؤدي الى إنهاء الصراع وتنفيذ فك الاشتباك، ولكن لا يمكننا أن نؤكد دعمنا المشترك لمبدأ تقرير المصير، إلا من خلال تدابير تؤسس بموجبها مباشرة حكومة يمنية مستقلة تستطيع أن تقف على قدميها" (١).

وأرسل جونسون الى ناصر رسالة أخرى، في ٢٧ فبراير ١٩٦٤؛ معلقاً على قرارات مؤتمر القمة العربي الأول بالقاهرة في يناير ١٩٦٤، فقال: "لقد أثلجت صدري التأكيدات التي صدرت مؤخراً عن القادة العرب المجتمعين في القاهرة؛ أن الدول يجب أن تسوى خلافاتها من خلال الوسائل السلمية... ونرحب أيضاً باحتمالات تسوية الأمور وعودتها الى طبيعتها في اليمن، وضبط النفس في التعامل مع المشكلة بين العرب واسرائيل" (٢).

ورد ناصر في ٢٦ إبريل على رسالة جونسون؛ مرحباً باستئناف الاتصالات معه، ومؤكداً أنه يلتقي معه في كثير من المسائل؛ وخاصة في ضرورة تعميق العلاقات العربية الأمريكية، والتعاون مع الأمم المتحدة، واستخدام الذرة لخدمة السلام.

إلا أن ناصر أضاف بعض الملاحظات:

"أولاً: أن هناك صراعاً ضد الاستعمار مازال قائماً... وأشير هنا على سبيل المثال الى موقف بريطانيا في جنوب شبه الجزيرة العربية، والى موقف البرتغال في أنجولا وموزمبيق. ثانياً: أن هناك صراعاً من أجل الوحدة؛ باعتبارها تحقيقاً للذات القومية للأمم عديدة... ثالثاً: أن هناك صراعاً بين التقدم والتخلف؛ بتعبير آخر بين الغنى والفقر... رابعاً: أن هناك صراعاً اجتماعياً في داخل هذه الأمم المتنبهة حديثاً إلى أبعاد القرن العشرين...

خامسا: بالنسبة الى الشرق العربى هناك صراع بين الأمة العربية واسرائيل...  
ولربما كان يمكن تلخيص هذه الملاحظات التى أوردتها فى عبارة واحدة هى؛ أن السلام لا  
يمكن أن يستقر أو يستمر حقيقة إلا إذا كان مدعما بالعدل" (٣).

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Dec. 23, 1963.

(١)

- رسالة جونسون الى ناصر، ١٩٦٣/١٢/٢٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.  
(٢) رسالة جونسون الى ناصر، ١٩٦٤/٢/٢٧، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.  
(٢) رسالة ناصر الى جونسون، ١٩٦٤/٤/٢٦، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وفى نفس الوقت أرسل جونسون رسالة الى إشكول، أكد له فيها على الآتى: "يحتل ضمان  
أمن اسرائيل فى المستقبل موقع الصدارة على جدول أعمالنا... ويتعين علينا أن نتدارس معا فى  
المستقبل القريب عدة مشكلات رئيسية أهمها إعادة توزيع مياه نهر الأردن؛ حيث أننا ندعم حقكم فى  
الحصول على حصتكم المقررة... ونشعر بقلق بالغ أيضا حيال التوصل إلى تسوية مرضية لمشكلة  
اللاجئين الفلسطينيين؛ باعتبارها شرطا أساسيا للسلام العربى الإسرائيلى" (١).

وبعد أن تولى جونسون الرئاسة، أرسل له السفير بادو تقدير موقف للسياسة الأمريكية فى  
الشرق الأوسط، فكتب.. "إن مصر هى أكثر دولة عربية شرقية أهمية، وهى قائدة حركة الاصلاح  
القومى. وبالرغم أن حافز القومية أصبح بطيئا، إلا أن ناصر يظل أهم قائد عربى محترم على نطاق  
واسع. وهذا يعطى الجمهورية العربية المتحدة قدرة مستقلة هامة على التأثير على المصالح الأمريكية  
فى المنطقة.

إن مصالحننا هى؛ إضعاف الاختراق السوفيتى، والحفاظ على وصول الغرب للطرق البحرية  
والجوية والبنترول العربى... وتأكيد حق الوصول لقناة السويس... وتشجيع السلام والتقدم فى  
المنطقة.

وسياستنا هى؛ التوسع فى المعونة الاقتصادية [كأداة ضغط]... والاستعداد لاستخدام قوتنا  
ونفوذنا للدفاع عن مصالحننا.

وإن نتائج هذه السياسة ظهرت فى الآتى.. زيادة النفوذ الأمريكى على حساب السوفيتى منذ  
١٩٥٦، والخلافات العربية أصبحت أكثر اعتدالا" (٢).

وأرى أن التحليل الأخير بعيد عن الواقع؛ والدليل هو الحرب الدائرة بين النظام الجمهورى اليمنى والجمهورية العربية المتحدة وبين المملكة العربية السعودية، والعداوة والحملات الإعلامية بين البعث السورى والعراقى وناصر!

ولقد أخذ الساسة الأمريكيون الانطباع فى عهد كنيدي - نتيجة لتبادل المراسلات بينه وبين ناصر - أن سياسته أصبحت معتدلة بالنسبة لاسرائيل، "وأن الجمهورية العربية المتحدة قد حفظت مشكلة اسرائيل فى صندوق ثلج!" أى جمدها، وأنها لن تهاجم اسرائيل إلا إذا بدأت فى انتاج أسلحة ذرية!

---

(١) رسالة جونسون الى إشكول، ١٩٦٤/١/٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Jan. 27, 1964.

(٢)

والواضح أن هذا الاستنتاج بعيد جدا عن الواقع، كما تكشفه الجلسات السرية لمؤتمرات القمة العربية(١).

واستطرد بادو فى تقريره الى جونسون.. "إن المشاكل المتبقية بين القاهرة وواشنطن يمكن التعامل معها؛ فالانسحاب المصرى من اليمن كان بطيئا، ولكنهم يعترفون بمبدأ فك الاشتباك...

إن الجمهورية العربية المتحدة لاتزال معتمدة بشدة على المساعدة العسكرية السوفيتية، إلا أن (٢) - ساعدت على المحافظة على عدم الانحياز، ولكن PL 480 المعونة الغربية - خاصة الجمهورية العربية المتحدة مازالت تعادى اسرائيل"(٣).

ز - حقبة جديدة فى العلاقات بين ناصر وفيصل:

(١) طلب السعودية الوساطة الأمريكية مع ناصر حول اليمن:

حدث ذلك بعد زيارة فيصل للقاهرة فى يناير ١٩٦٤ لحضور مؤتمر القمة العربى، الذى دعا ناصر الى عقده لبحث قضية تحويل اسرائيل لمياه نهر الأردن.

وقد رأى بادو أنه لا فائدة من هذا العرض الذى تقدم به عمر السقاف - نائب وزير الخارجية السعودى - مشيرا الى أنه حدث فى مناسبة سابقة أن حصلت الولايات المتحدة على موافقة الجمهورية العربية المتحدة لعمل محادثات ثنائية مع السعودية، ولكن فيصل لم يوافق!

وقد أوصى بادو ألا تتدخل الولايات المتحدة في هذا الموضوع، إلا إذا تلقت طلبا مباشرا من فيصل(٤).

## (٢) استئناف السعودية والجمهورية العربية المتحدة العلاقات الدبلوماسية:

وكانت هذه العلاقات قد قطعت في ٦ نوفمبر ١٩٦٢ بعد إرسال القوات العسكرية المصرية لمساندة ثورة اليمن، وتم استئنافها في ٣ مارس ١٩٦٤ بعد مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة.

(١) نص الجلسات السرية لمؤتمرات القمة العربية، ١٧/١/١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) PL 480 : برنامج المعونة الأمريكية من الغذاء.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Jan. 27, 1964.

(٣)

Ibid.

(٤)

وقد شهدت هذه الفترة تغييرا هاما في موقف السعودية من الصراع اليمني؛ فتوقفت العمليات العسكرية بين الطرفين المصري والسعودي، ولكن ظلت بريطانيا تساعد حكم الإمامة في اليمن، ونشاط المرتزقة في عدن.

وقد أوضح فيصل استعداده ليعترف بأى حكومة في اليمن يقبلها اليمنيون! وهذا يعد تغييرا كبيرا في موقفه.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة كانت قد أخبرت الجمهورية العربية المتحدة أنها تساند مركز بريطانيا في عدن، إلا أن هذا الموقف قد تغير، وتقرر أن تُظهر الولايات المتحدة أنها "لا تتعاطف مع السياسة البريطانية العربية الغبية" (١)!

فقد قلق الأمريكيون من رد فعل خطاب ناصر في ٢٢ فبراير ١٩٦٤ (٢)، "الذي أعلن فيه أنه لا يمكن أن تدعى دولة الاستقلال إلا إذا قضت على القواعد العسكرية على أرضها. بعد ذلك أعلنت الحكومة الليبية أنها لا تتوى تجديد المعاهدات التي بمقتضاها تحتفظ بريطانيا والولايات المتحدة بقواعدها في ليبيا!...

ثم إن التشجيع البريطاني السري للملكيين في اليمن يؤدي الى ردود فعل خطيرة. وقد هاجمت النفاثات البريطانية قلعة في حريب في اليمن في ٢٨ مارس؛ ردا على هجوم اليمن على أراضي منطقة اتحاد الجنوب العربي".



وكان رأى الأمريكان "أن هذه التصرفات المبالغ فيها ستؤدى الى ضغط أكبر على بريطانيا وعلى الولايات المتحدة، إلا إذا ابتعدت الأولى عن هذه الأعمال. ولذلك فكان من رأى الممثل الدبلوماسى الأمريكى فى اليمن أن يتوقف عن تمثيل بريطانيا فى صنعاء"(٣)!

إذاً الولايات المتحدة كانت مستعدة لأن تتخلى عن حليفها بريطانيا من أجل المحافظة على المصالح الأمريكية فى المنطقة العربية، وما دعاها الى ذلك بالدرجة الأولى؛ هو التقارب بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية بعد مؤتمر القمة الأول فى القاهرة، وضخامة تأثير ناصر القومى التحررى على الشعوب العربية، حتى فى الدول الموالية للغرب مثل ليبيا ومستعمرات الجنوب العربى.

---

Memo. of Conversation, Yemen, Washington, March 17, 1964.

(١)

(٢) خطاب ناصر فى ٢٢/٢/١٩٦٤، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٤، ص ص ١٣ - ٤٥، مرجع سابق.

Memo. from Komer to Bundy, Washington, April 21, 1964.

(٣)

#### د- قضية اليمن فى الأمم المتحدة:

أدان مجلس الأمن بريطانيا فى أول إبريل ١٩٦٤، حيث صرح رئيس المجلس أنها قامت بأكثر من ٤٠ عملاً هجوماً فى اليمن منذ ١٩٦٢، وكان أكبرها الهجوم الجوى ضد قلعة حريب فى ٢٨ مارس ١٩٦٤، السابق الإشارة إليه(١).

وقد صدر قرار الإدانة؛ مع امتناع الولايات المتحدة عن التصويت! ودفع هذا الى سعى بريطانيا الى عودة التعاون بينها وبين الولايات المتحدة، مؤكدة أن مصالحهما واحدة فى اليمن وعدن(٢).

وقد تبادل جونسون مع دوجلاس هوم المراسلات بخصوص الموقف الأمريكى المتخاذل فى مجلس الأمن، من وجهة النظر البريطانية!

وقد برر جونسون هذا الموقف فى رسالته الى هوم.. "أن قرار الامتناع عن التصويت جاء على مضض، ولأننا لم نشأ معارضتكم مباشرة... وإنى برغم ألا أمل فى ناصر، إلا أننى أشك أنه فى هذا التوقيت، أى تحدى للعرب مفيد لمصالحنا المشتركة. ولذلك فإننى أوافق على تنسيق سياساتنا بخصوص الشرق الأوسط بطريقة أوثق"(٣).

وفى الواقع كان تقدير السياسيين الأمريكيين "أن غارة حريب كانت تكاليفها السياسية عالية، فقد جعلت كل العرب - وليس فقط ناصر - غاضبين من البريطانيين، وأصبحوا يركزون على عدن! ولنتذكر أيضا أن المشاكل على الحدود اليمنية - السعودية هي الى حد كبير نتيجة للعمليات السرية البريطانية لمساعدة الملكيين اليمنيين" (٤)!

#### ٥- معركة ناصر مع المملكة المتحدة حول عدن وجنوب الجزيرة العربية:

لقد عارضت الولايات المتحدة الاقتراح البريطاني بإتخاذ خط أشد مع ناصر، على أساس أن ذلك "سيكلفها أكثر مما تكسب". وهنا قفدت الى ذاكرة الأمريكيين قصة السد العالى فى أسوان، وآثار رفض المساعدة الأمريكية فى بنائه فى ١٩٥٥ - ٥٦! واتخذت هذه السابقة كتدعيم للموقف الأمريكى فى مواجهة حليفها بريطانيا؛ فقد أدى ذلك مباشرة الى دخول الاتحاد السوفيتى الى العالم العربى، وتأميم ناصر لقناة السويس!

---

Tel. from the Dept. of State to the Mission to the UN, Washington, April 1, 1964.

(١)

Message from British PM to President Johnson, Washington, April 11, 1964.

(٢)

Message from President Johnson to PM Douglas Home, Washington, April 12, 1964.

(٣)

Memo. from Komer to Bundy, Washington, April 21 , 1964, OP. CiT.

(٤)

وقد أقر مستشارى البيت الأبيض الآتى.. "حقيقة أن ناصر يحاول أن يخرجنا من قواعدا فى ليبيا وعدن، ويعارضنا فيما يتعلق بإسرائيل، وأن مساعدتنا له تقيدنا بشدة... لقد كان خطابا واحدا عن القواعد الليبية كافيا!

إننا لا نستطيع أن نهزم ناصر طالما أنه يرمز الى القومية العربية. إذاً أحسن طريقة أن نحافظ على مكتسباتنا بأن نقيدناه لا أن نسدد له ضربة. إن السياسة المرنة؛ باستخدام الجزر والعصا، هي أكثر ما يخدم المصالح الأمريكية والبريطانية" (١)!

وقد أدى الحوار بين جونسون وهوم الى مزيد من التمعن فى سياسة ناصر تجاه المملكة المتحدة، ورد فعلها المتوقع إزائه. "قطالما أن ناصر قد أعلن الحرب على بريطانيا، فإنهم سيحاربونه؛ وذلك بتقوية الحملة العسكرية السرية فى اليمن، كما سيطلبون من الولايات المتحدة أن توقف

المساعدات له. وهم يخططون لعرض القضية ضد مصر على مجلس الأمن، ويطلبون وعدا من الولايات المتحدة بمساندتهم".

وتعتقد الولايات المتحدة "أن البريطانيين - بسبب إحباطهم وقلقهم على عدن - يتصرفون بعدوانية مبالغ فيها... وأن البريطانيين لا يستطيعوا أن يكسبوا في عدن".

وتعترف الولايات المتحدة "أنه بالرغم من الضغط الخفي أو المكشوف، فإننا لا نستطيع أن نجبر ناصر ليخرج من اليمن. ومنذ سبتمبر ١٩٦٢، فإنه يقول تكرارا: إنه سيرسل أى عدد من القوات حتى يستمر ( الآن ٤٠,٠٠٠ ). وبدلا من أن ينحنى الى الضغط السرى الخارجى، فإنه سيقوم بانقلاب مضاد...

أما عنا والمملكة المتحدة؛ فإننا أيضا لا نستطيع أن نفوز فى الأمم المتحدة؛ إنها ستصبح قضية استعمارية صريحة، ودائما ما نخسر فيها...

حقيقة أننا نستطيع أن نجعل ناصر ينزف الى مالا نهاية فى اليمن - كما تفعل المملكة المتحدة منذ عدة شهور - ولكن ذلك يجعل سياستنا فى فك الاشتباك تفشل...

والأسوأ من ذلك أن نفقد أكثر مما نكسب؛ فإننا بذلك لن نعلن الحرب فقط على ناصر، وإنما - فيما عدا السعودية - كل دولة عربية ستسانده! إننا بذلك سنقوى العرب ضدنا؛ لأن ناصر سيثير مرة أخرى موضوع مساندة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لاسرائيل، وهى القضية العربية الناجحة بالتأكيد... ولا يجب دفع العرب للتحرك ضد سياستنا مع اسرائيل...

---

Ibid.

(١)

وعندما يحاول ناصر أن يهاجم، فإن التركيز المنطقى سيكون على القواعد فى عدن وليبيا؛ وبالتالي فبدلا من أن نحافظ على حقوقنا فى هذه القواعد فإننا نزيد الضغط عليها!...

وبالرغم من حديث البريطانيين عن العلاقة بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن والسوفييت! فنحن نرى أن ناصر يريد أن يحد من الوجود السوفيتى فى اليمن لأسبابه الخاصة، ولكن مقترحات المملكة المتحدة قد تدفع ناصر الى السماح بوجود سوفيتى متزايد!

وخلص الأمريكيون الى "أن البريطانيين لم يفكروا جديا فى مقترحاتهم، ولن يسببوا لنا إلا المشاكل! وذلك لمساندة حكومة ضعيفة فى آخر عمرها... إننا لا نريد معركة مع ناصر بينما القضية العربية - الاسرائيلية مازالت ساخنة"(١).

#### ٦- زيارة ناصر لليمن:

بدأت فى ٢٣ وحتى ٢٧ إبريل ١٩٦٤، أى بعد حوالى عام ونصف من الثورة اليمنية. وقد قوبل ناصر هناك باحتفاء كبير من الشعب اليمنى، فعلمت وكالات الأنباء الأجنبية أنه كان أعظم استقبال شهده اليمن. ولقد غادر عشرات الألوف من اليمنيين قراهم سيرا على الأقدام قبل يومين متوجهين الى صنعاء لرؤية ناصر، وسار موكبه من المطار الى القصر الجمهورى - ٧ أميال - فى ٧٥ دقيقة! وكان اليمنيون يوقفون الموكب لينحروا أمامه الذبائح ترحيبا به حسب عاداتهم.

وقد وصف هيكى لقاءات ناصر مع جماهير الشعب اليمنى من سكان المدن وأهل القبائل فى شمال اليمن وجنوبها.. "لقد كان عبد الناصر يبدو وسط زحام البشر كأنه شارع وسط البحر الواسع الممتد"! حيث كان يستقل سيارة مكشوفة.

وقد علق جورج ماك آرثر - مراسل وكالة الأسوشيتدبرس - قائلاً بإنفعال: "رياه!.. أليس هناك مسئول واحد عن الأمن، يقول لهذا الرجل أنه مهما بلغت ثقته بهؤلاء الناس الذين ترك نفسه وسطهم، فليس ينبغى له أن ينسى أن كل واحد منهم - بحكم تقاليد اليمن - يعلق على كتفه بندقية ويحمل فى وسطه خنجرا"(٢)؟!

---

Memo. from Komer to Bundy, Washington, April 28 , 1964,.

(١)

(٢) هيكى، "أهذه الحقيقة الآن فى اليمن!؟"، ١/٥/١٩٦٤، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

وفعلا راعتنى صور هذه الزيارة بأثر رجعى! وحمدت الله أنه عاد لنا سالما، فلم يحمه إلا حب الشعب اليمنى والإرادة الالهية.

"وكان منظر دخول ناصر الى مدينة تعز على الطريق الذى يمتد على الوادى بين التلال التى تنتشر فوقها الخضرة لا ينسى، فقد تدفق أهلها على سفوح التلال متدافعين اليه على الطريق فى قلب الوادى، وكانت طبولهم تدق، ودعاؤهم وصلواتهم تتجاوب مع دقات الطبول، وأشكال القادمين على السفوح وأزياؤهم هى من قرون طويلة مضت"(١).

وفى خطبه وأحاديثه الى فئات الشعب اليمنى أثناء هذه الزيارة، تكلم ناصر عن الهدف من دخول القوات العسكرية المصرية الى اليمن؛ وهو مساندة الثورة اليمنية بناء على طلب رجالها ضد مؤامرات الرجعية والاستعمار، وضد حكم الاستعباد للأئمة الذى اتخذ من الدين شعارا.

وفى أول خطاب له فى ميدان التحرير بصنعاء، قال ناصر: "إننا نذكر ونحن نلتقى فى بلد الثوار.. فى بلد الأحرار؛ الجنوب المحتل والعدوان البريطانى على أرض اليمن، ونقول: إننا حينما صممنا على الحرية فإننا نعنى ما نقول... وإننا سنقابل العدوان بالقوة، ولن نمكن الاستعمار من أن يبقى فى أى جزء من أرض الأمة العربية. ولا بد للاستعمار.. لا بد لبريطانيا التى تنظر الى ثورتكم بحقد وكراهية، لا بد أن تحمل عصاها وتخرج من عدن ومن الجنوب؛ فإن عدن عربية والجنوب عربى... ونعاهد الله فى هذه الأرض الطاهرة.. أرض الثوار.. أرض الأحرار أن نُخرج بريطانيا من جميع أجزاء الأمة العربية"(٢).

"إن هذه الثورة كانت نقطة تحول كبرى فى تاريخ الأمة العربية؛ لأن الرجعية بعد الانفصال فى سوريا شعرت - وشعر معها الاستعمار - أن الدنيا قد دانت لهم، وأن فى استطاعتهم أن يضعوا الأمة العربية داخل مناطق النفوذ، ولكن قامت ثورتكم هنا فى اليمن ففضت على أحلام الاستعمار وأعدائه، وكان لها الصدى الكبير فى كل أنحاء الأمة العربية".

---

(١) المرجع السابق.

(٢) خطاب ناصر فى اليمن، ٢٣ إبريل ١٩٦٤، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٤، ص ص ١٠٣ - ١٠٧، مرجع سابق.

ثم إنطلق ناصر قائلاً: "إننا نذكر إخوة لنا فى الجنوب المحتل وفى عدن، تعرضوا لأبشع صور القسوة والإرهاب والتعذيب من الاستعمار البريطانى... إننا معكم - أيها الإخوة - بدمائنا

وقلوبنا وأرواحنا، وإنما لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نرضى بالاستعمار أو الاحتلال، فعلى بريطانيا أن تخرج من أرض العرب؛ لأن أرض العرب للعرب، ولا بد أن تتحرر أيضا وتحرر باقى أجزاء الجزيرة العربية التى يتحكم فيها الاستعمار... وهذا الشعب اليمنى عليه دين الله؛ لأن الله نصره.. عليه دين أن يساعد أخوته الذين يكافحون الاستعمار البريطانى، والذين يقاسون فى سجون الاستعمار البريطانى" (١).

وفى الواقع فإن هجوم ناصر على بريطانيا فى اليمن كان نتيجته كشف وثائق تفيد أنها تمد اليمنيين فى الحدود الجنوبية بالأسلحة والأموال والمساعدة العسكرية، وأنه بسبب ذلك يقتل الجنود المصريون، وهو مالا يقبله ناصر!

وهذا وقد تكرر طلب بريطانيا من الولايات المتحدة قطع المعونة الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة، وعلق ناصر قائلا: "إن بريطانيا تصدر تهديدات علنية ضد الجمهورية العربية المتحدة، إذا كانوا يهددون، فنحن نستطيع أن نهدهم أيضا" (٢).

وقد اجتمع ناصر فى اليمن مع شيوخ القبائل ورجال الدين، وطلب منهم أن يدعموا ويعملوا على تحرير عدن والجنوب العربى من الاستعمار.

كما أرسل له ثوار الجنوب العربى برقية.. "نتنظر اليوم الذى نراكم فيه على أرض الجنوب العربى؛ قائدا وزعيما للأمة العربية".

وفى نهاية زيارة ناصر لليمن طالب اليمنيون بالوحدة مع الجمهورية العربية المتحدة، فأعلن ناصر أن الوحدة قائمة، ولكن الوحدة الدستورية لن تقوم قبل خروج القوات المصرية من اليمن.

وفى ٢٧ إبريل ١٩٦٤ تم إعلان الدستور اليمنى بعد اجتماع ناصر والسلال مع قوى الشعب العاملة فى اليمن؛ فلقد كان الهدف الأساسى من رحلة ناصر لليمن الى جانب لقائه بالشعب اليمنى، هو إعادة تنظيم الحكومة اليمنية الذى تحتاج اليه بصفة عاجلة.

---

(١) خطاب ناصر فى اليمن، ٢٤ إبريل ١٩٦٤، ج ٤، المرجع سابق، ص ١٠٨ - ١١٠.

(١) مقابلة السفير الأمريكى مع ناصر:

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, May 8, 1964.

كما تم التوقيع على اتفاق تنسيق التعاون المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن، فأُنشئ مجلس للتنسيق يختص بدراسة وتنفيذ الخطوات اللازمة لإقامة الوحدة بين البلدين، والتعاون في جميع المجالات(١).

وطبيعي أن يكون لهذه الزيارة رد فعل عنيف في بريطانيا وفي الجنوب العربي المحتل و عدن، التي كانت توجد بها واحدة من أكبر القواعد العسكرية البريطانية في العالم. فقد صرح المندوب البريطاني في الأمم المتحدة أن خطب ناصر التي أكد فيها على محاربة الاستعمار، تعتبر تهديدا للسلام والأمن!

ومن جانب آخر فقد اشتعلت الحركة الوطنية في الجنوب ضد بريطانيا، وزادت إجراءات القمع الاستعمارية في المحميات.

وبعد أن عاد ناصر الى القاهرة تعرض في عيد العمال في ١ مايو ١٩٦٤ لموقف المملكة المتحدة في الجنوب العربي، وهاجمها قائلا: "لقد اغتصبت بريطانيا عدن قبل الحرب العالمية الأولى، وأجزاء أخرى بعدها؛ وهي تقيم دولة مزيفة خاضعة لها تحت اسم الاتحاد العربي! ونحن نقول: لا يمكن لأرض عربية أن تخضع للاستعمار البريطاني، ومن أول أيام الثورة ونحن نحارب الاستعمار، ونساند كل دولة في العالم تعمل من أجل الحرية.

لقد قامت ثورة اليمن، وكان لابد لها من أن تطالب بخروج بريطانيا من عدن ومن الجنوب المحتل، وكان لابد لنا من أن نطالب بذلك.

اليوم اليمن فيها دستور تقدمي، ورئيس جمهورية، وحكومة ومجلس شورى له كل السلطات. إنها قفزة ١٠ قرون الى الأمام! وأصبحت اليمن تحت الحكم الجمهوري بأغلبية ٩٢٪، والباقي تحتله عصابات وقوى مرتزقة بمساعدة الانجليز"(٢).

وبمناسبة توقيع اتفاق التعاون المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية اليمنية في ١٣ يوليو ١٩٦٤، قال ناصر: "واجب علينا أن نساند اليمن في جميع الميادين كما ساندناها في الميدان العسكري(٣).

---

(١) نص اتفاق التنسيق، ١٣/٧/١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) خطاب ناصر فى عيد العمال، ١٩٦٥/٥/١، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٤، ص ص ١٣٤ - ١٥٣، مرجع سابق.

(٣) خطاب ناصر، ١٩٦٤/٧/١٣، ج ٤، المرجع سابق، ص ص ٢٣٦ - ٢٣٩.

#### ٧- مؤتمرات القمة والاتصالات بين ناصر وفيصل:

ومع قرب انسحاب بعثة الأمم المتحدة من المنطقة المنزوعة السلاح على الحدود اليمنية الشمالية مع السعودية فى ٤ سبتمبر ١٩٦٤، بدأ هجوم مشترك بين قوات الجمهورية العربية المتحدة والقوات اليمنية؛ لتنظيف شمال اليمن، ومواجهة فيصل بأمر واقع فى قمة الإسكندرية، خاصة بعد أن قام السعوديون بإرسال إمدادات لمنطقة حدودهم، وهددوا باستئناف المساعدة للملكيين!

وهنا قام فيصل بإرسال نداء الى جونسون.. " طالما أن فك الاشتباك فاشل، فقد تضطر السعودية الى بدء الحرب مرة ثانية!" ووجه فيصل نفس النداء الى باتلر، نائب رئيس الوزراء البريطانى(١)!

وفى الواقع فقد تباين موقف كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة من تجدد الصراع بين ناصر وفيصل، فقد كان من رأى دين راسك أن استمرار الاشتباك بين ناصر وفيصل يهدد الموقف فى اليمن، وأن استئناف الأخير مساعدة الملكيين سيدمر كل المصالح الغربية!

أما باتلر فقد رفض هذا الكلام وقال: إن تجدد القتال قد يمنع ناصر من الانتصار فى اليمن، وهو فى مصلحة كل من بريطانيا والولايات المتحدة؛ خوفا من أن تصبح اليمن منطقة نفوذ مصرية. وطالما أنه لا يوجد اتفاق على حكومة ائتلافية، فكيف يتم اتفاق بين ناصر وفيصل(٢)؟!

وقد رأى راسك أن تستمر الولايات المتحدة والمملكة المتحدة فى الاستعداد لمساندة فيصل بكل الوسائل الممكنة. واعترف أن هدف الولايات المتحدة من اتفاقية فض الاشتباك؛ كان إعطاء فرصة لفيصل للتنفس حتى يستطيع أن يواجه المشاكل الداخلية، التى تمثل خطرا على المصالح الغربية فى المنطقة.

ودعا راسك الى التعاون بين الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وإنهاء الخلافات بينهما حول اليمن؛ فهما يتعاونان فى العالم كله! وأضاف أن الخلاف الأساسى هو حول التكتيك فى التعامل مع ناصر(٣)!



Memo. from Komer to Bundy, Washington, Aug. 24, 1964.

(١)

Ibid.

(٢)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UK, Washington, Aug. 31, 1964.

(٣)

وقد أرسل جونسون رسالة الى فيصل في ٢٩ أغسطس ١٩٦٤ يدعو لضبط النفس، فرد عليه بأن اتفاق سحب القوات ميت! وأن وجود قوات الجمهورية العربية المتحدة في شبه الجزيرة العربية يجعل السعودية في خطر مميت! والسعودية ستفعل كل ما هو ممكن حتى تمنع الملكيين من هذا الخطر(١)!

#### أ- نتائج مؤتمر القمة الثاني:

التقى ناصر و فيصل في المؤتمر بالإسكندرية في ٥ سبتمبر ١٩٦٤، وأعلننا أن الدولتين تتويان التعاون الكامل في حل الخلافات الموجودة بين مختلف الأطراف في اليمن، وأن خطوات ستتخذ لإقامة الاتصالات الضرورية؛ للوصول الى حل سلمى لهذه الخلافات.

إنها كانت المرة الأولى بعد سنتين من الصراع في اليمن، التي يتحدثان فيها سويا - ناصر و فيصل - حول الموقف في اليمن، ومعنى ذلك أن مشكلة اليمن وصلت مرحلة جديدة.

إلا أن الأمور لم تتم بسلاسة كما كان متوقعا؛ فقد اتفق ناصر و فيصل على تمثيل الجمهوريين في الحكومة اليمنية بالثلثين، والثلث للملكيين، إلا أن الجمهوريين رفضوا هذه النسب!

وقد كشف ناصر لشارل حلو - رئيس جمهورية لبنان - أثناء المباحثات بينهما في القاهرة في ٣ مايو ١٩٦٥، أنه قال لفيصل: "لا هدف لنا في اليمن؛ لا ننوي الاحتفاظ بقواعد في اليمن، ولا أن نهدد السعودية من اليمن. وقد اتفقنا على عدة أشياء؛ منها ما أعلن، ومنها لم يعلن.

ما لم يعلن.. أن توقف السعودية جميع مساعداتها للملكيين، وكذلك أى تسلل للأسلحة لليمن، وأن يوقف إطلاق النار، وأن يعقد مؤتمر بين الملكيين والجمهوريين؛ للتفاهم والصلح على أساس استتباب الأمر في اليمن. وبعد هذه الخطوات ينسحب جيشنا من اليمن على مراحل. وقد أوضحنا التمسك بإبعاد عائلة حميد الدين، والتمسك بالجمهورية.

بعد ذلك حدث إيقاف قتال، وكان اليمنيون موجودون على حدود السعودية وفي جبل جنب السعودية، وكل المناطق الأخرى نحن ماسكينها، ولنا ٥٠ ألف عسكري في اليمن.

---

Memo. from Komer to Bundy, Cairo, Aug. 31. 1964.

(١)

وقد اقترحت السعودية أن يقبلوا الجمهورية؛ على أساس أن يكون رئيس الجمهورية أحد أفراد العائلة المالكة، ونقبل السلالة!

لا نستطيع ذلك".

وقال ناصر في جلسة اللجنة التنفيذية العليا، في ١ يونيو ١٩٦٦: "فيصل تراجع عن هذا الاتفاق، وقام بوضع عقبات كثيرة بالنسبة لما تم الاتفاق عليه، واتضح لنا أنهم كانوا يحاولون كسب الوقت؛ كي يتخلصوا من الملك سعود، ويثبتوا أقدامهم!"

وبالرغم من أن فك الاشتباك لم يتم، إلا أن قوات الجمهورية العربية المتحدة في اليمن امتنعت عن الهجوم على السعودية(١)، وتوقفت الحرب الإعلامية بين البلدين.

وقد ظل الموقف في اليمن جامدا؛ الملكيون على حدود السعودية، والانجليز في الجنوب يرسلون الأسلحة وعلى اتفاق كامل مع السعودية! ولم تقم حكومة يمنية تستطيع أن تكسب تأييدا واسعا من اليمنيين، وبالتالي لم يسحب ناصر قواته.

وقد أخبر ناصر شارل حلو أيضا.. أن الأمريكان "يرون أن الضغط الاقتصادي يمكن أن يساعد في تحقيق أهدافهم. وكان كلامهم أن السنتين الماضيتين لم تؤثر على مساعدات التموين بالقمح، وأخيرا قرروا ألا يعطونا أى مساعدات.. ضغط علينا!"

واستطرد ناصر قائلا: "إن فيصل غير مطمئن لنوايانا، والأمريكان متصورين أن عملية الضغط الاقتصادي قد تؤثر علينا! ونحن مستعدين لمجابهة هذا الموضوع بالكامل، ولو نريد أن نتعب السعوديين نستطيع ذلك! وستثبت للأمريكان العكس؛ فهم يعتقدون أنه بمنع المعونة سنتوقف.

إن اليمن عملية أساسية، ولا يمكن أن نتركها للانجليز. وقد قلنا لهم: ليس من أهدافنا خلق متاعب في الجنوب ولا قواعد، وفي مقابل ذلك لا نتدخلوا في اليمن، ولا تقدموا أى مساعدات.

ولكنهم لم يلتزموا بكلامنا، فقد مسكنا وثائق؛ وقد بدأوا يعطون أسلحة ويثيرون بعض القبائل.  
وقررنا خلق مشاكل للانجليز، وذلك سهل جدا. وقد قلت للسفير الانجليزي: إذا كنتم تأخذون إجراء  
ضدنا، نأخذ إجراء ضدكم، ونستطيع أن نعمل عمليات ضد السعودية! وحتى الآن أنا مانع هذا".

Memo. of Conversation, NY, Dec.11, 1964, the Yemen Situation.

(١)

وأضاف ناصر لشارل حلو.. "توجد مشاكل؛ جزء من قواتنا المسلحة المفروض وجودها على  
حدود اسرائيل، موجودة في اليمن! ولكن القوات التي تذهب الى اليمن ندرب غيرها؛ لأن جبهة  
اسرائيل لا بد أن تكون جاهزة".

ولكن هذا الجمود في الموقف في اليمن لم يطول، فقد أعلنت السعودية عن مساعدتها  
للملكيين، كما أن المساعدة الإيرانية لهم من خلال السعوديين أضافت تعقيدا للموقف.

وقد أفصح ناصر لعبد السلام عارف - رئيس جمهورية العراق - أثناء مباحثات القيادة  
الموحدة بينهما في ١٩ مايو ١٩٦٥، عن مشاكله في اليمن، فقال: "نحن تعبانين من الجمهوريين  
أكثر من الملكيين؛ عندنا ٥٠ ألف في اليمن، وبعثنا في الأسبوع الماضي لوائين آخرين؛ لواء مدرع  
وآخر مشاة، أصبح لنا هناك ٦٠ ألف، ولا توجد معارك!

إن الانجليز متحالفين مع السعودية، والخطة هي استنزاف قواتنا في اليمن! نحن نصر في  
اليمن نقدا ٣٠ مليون جنيه، وإجمالي ٤٥ مليون جنيه؛ باستهلاكاتنا في السلاح والمعدات  
والاستعواض والبنزين.. إلخ!

والملكيون أمرهم هين، ولكن الجيش السعودي كله محتشد اليوم على الحدود، وعمليات  
التسلل أو تسرب الأسلحة موجودة، وإيران مشتركة ترسل أموال وأسلحة! كل هذا ليس له تأثير؛ أي  
عملية ممكن نضربها!

نحن ذهبنا لنساعد اليمنيين والثورة كواجب قومي، وهم الآن متصورين أنهم هم الذين  
يساعدونا! إن الجمهوريين بينهم خلاف على السلطة والحكم لدرجة المناورات؛ كل يريد أن يقلب  
الثاني، وهذا يؤدي الى التعريض بالجمهورية العربية المتحدة وبالقوات العربية.

والحقيقة نحن لا نحكم اليمن؛ السلال ضعيف، والجمهوريون أصبحوا مجموعات متصارعة،  
ولا يهتمون بالوضع في البلد، إنهم متصورين أننا سنترك كل شئ ونمشي؛ ذلك سيكون ضربة لنا  
كبيرة جدا!

والقبائل - حتى الجمهورية - يأخذون منا أموالاً، وأيضاً من السعودية! وبعضهم ليسكتوا ويتركونا!

وفى الواقع أننا نحارب وحدنا فى اليمن، واليمنيون لا يحاربون معنا! ونحن موجودون فى الجزء الشمالى من اليمن، وهو الذى فيه كل المشاكل فى المنطقة".

وأوضح ناصر لعبد السلام عارف.. أنه "بالنسبة للمفاوضات مع فيصل، فهى لم تصل الى شئ! وفى رأىى أن نصبر ونتحمل المسئولية ونضحى، ونحاول إقامة بناء سياسى جمهورى فى اليمن؛ وهذا يعنى مجهوداً كبيراً. ولكن عملية اليمن ليست مستحبة فى مصر! أى أننا لو مشينا منها سنجد تأييداً فى مصر، سواء أخذها البدر أو أى أحد! لكن العملية أكبر؛ لأن الناس إذا كفرت بالعمل العربى، نكون قد حققنا أهداف أعدائنا.

ونحن باستمرار عندنا إنذارات من أمريكا، إذا تعرضنا للسعودية فهى متعهدة أن تدافع عنها، ورغم هذا ضربنا داخل السعودية عدة مرات!"

### ب- ناصر يمد يد السلام الى السعودية بلا تجاوب!

كتب ناصر بخط يده فى ١٨ إبريل ١٩٦٥ عن حرب اليمن.. "لقد كانت ثورة يمنية يساعدها المصريون، أما الآن فهى تصبح حرباً مصرية لا تجد مساعدة كافية من اليمنيين، فاليمنيون يجلسون على الهامش!..."

ويوجهها الآن احتمالان..

الأول: هو زيادة قواتنا وإبقائها الى وقت غير محدود.

والثانى: الانسحاب وترك اليمن للملكيين!"

وكتب فى آخر الورقة.. "عندما لا يكون هناك حل عسكرى لأى أزمة، فيجب أن تكون هناك مفاوضات لإنهائها".

وفى خطابه فى الذكرى الثالثة عشرة لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ - فى ٢٢ يوليو ١٩٦٥ - تقدم ناصر بمبادرة الى السعوديين قائلاً: "نحن نمد يدنا بالسلام، وعندنا خطة أن ننسحب فى أقل من ستة أشهر من اليمن إذا استطعنا أن نحقق السلام".

وتعرض ناصر في خطابه للخلافات بين الجمهوريين فقال: "إنهم يعتمدون على مساعدتنا، ولكن يجب أن يساعدوا أنفسهم أولاً! ولذلك يجب أن يكون فيه وحدة وطنية في اليمن؛ حتى تكون الجمهورية ثابتة وراسخة الأركان".

وبعد هذا النداء حذر ناصر من خطورة الحرب إذا فشلت المفاوضات بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية، فقال: "إذا لم نصل إلى سلام مع السعودية، ستتطور الأمور بيننا وبينها إلى صدام؛ لأننا لا بد أن نضفي قواعد العدوان التي تنتج منها القوات المعادية للجمهورية اليمنية" (١).

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يهدد فيها ناصر علناً بضرب الأراضي السعودية التي تتمركز فيها القوات المعادية!

والغريب أن السعوديين استمروا يساعدون الملكيين بالرغم من أن الولايات المتحدة نصحتهم بأن يتوقفوا عن ذلك، وأن ينقلوا الموضوع إلى الأمم المتحدة (٢)، وقد سبب موقفهم المتشدد هذا حرجاً للولايات المتحدة؛ لالتزامها المستمر بسلامة أراضي السعودية، ولتواجد قاعدة عسكرية أمريكية في أراضيها لتحميها، بالإضافة إلى الأسطول السادس في البحر الأبيض المتوسط الذي كان على أهبة الاستعداد.

وإزاء تصاعد التوتر السعودي المصري في اليمن، طلب فيصل من خلال وزير دفاعه الأمير سلطان بن عبد العزيز من الولايات المتحدة؛ أن ترسل سرب طائرات محاربة إضافية إليهم. كما طلبوا التعجيل في زيارة مدمرة أمريكية للسعودية، كان قد تقرر مسبقاً أن تتوجه إلى جدة، هذا بالإضافة إلى إرسال بعض وحدات عسكرية بالقرب من الحدود السعودية اليمنية؛ وكل ذلك بهدف إخافة المصريين، كما كانوا يتصورون!

وقد فوجئت أثناء البحث أن الأمريكيين لم يوافقوا على مطالب فيصل، فقد كان الانطباع دائماً أن الولايات المتحدة ترمي بثقلها كاملاً إلى جانبه، ولكن الرد الأمريكي عليه كان.. أنهم مستعدين لإرسال المدمرة، ولكن لن يرسلوا طائرات حربية إلى السعودية - مثلما فعلوا في ١٩٦٣ - لردع ناصر، إذا كان هدفها أن تكون مظلة لتجديد المساعدات السرية للملكيين اليمنيين!

وكان الهدف من ذلك، أن تحافظ الولايات المتحدة على الضغط على الطرفين؛ لكي يتحدثوا حول تسوية يمنية بأنفسهم. وفي نفس الوقت أن تحتفظ بحرية الحركة، فلا حشد جوى بدون موافقة الرئيس جونسون(٣).

---

(١) خطاب ناصر، في ١٩٦٥/٧/٢٢، ج ٤، ص ص ٧٧٨ - ٨١٦، مرجع سابق.  
Information from Handley to Rusk, Washington, Aug. 6, 1965, Rising Tensions Between  
(٢)  
UAR and Saudi Arabia over Yemen.  
Memo. from Komer to President Johnson, Washington, Aug. 13, 1965.  
(٣)

### ج- ناصر في جدة!

أعلن ناصر فجأة عن توجهه الى جدة لمقابلة فيصل مباشرة؛ من أجل إنهاء الصراع في اليمن بدلا من الوساطات. وكان الاقتراح بداية من السعودية أن يتقابل الزعيمان في مكان محايد على ظهر مركب في البحر الأحمر، ولكن ناصر بأسلوبه الجريء وشخصيته المعتدة بنفسها، قرر مقابلة فيصل في عقر داره، بالرغم من معارضة مستشاريه في مصر!

وكانت وجهة نظره؛ أنه يريد أن يريح ضميره وضمير الشعب المصري والأمة العربية الى أقصى حد، قبل أن ينفجر الموقف. كما أنه يريد أن يكون الشعب السعودي نفسه شاهدا أن مصر لم تترك بابا للسلام إلا وطرقته. وهو لا يعتبر الأمر كرامة شخصية، وإنما أكبر من ذلك بكثير(١).

وقد كان ما دفع ناصر الى اتخاذ هذه الخطوة غير المتوقعة؛ هو إدراكه أن "الهدف من إرسال القوات المصرية الى اليمن قد تحقق، وأصبح البقاء في اليمن بعده عسكريا جهد بلا جدوى؛ فقد سقطت أسوار السجن من حول الشعب اليمني نهائيا"(٢).

ولم يكن بعيدا عن ناصر أن يرى أن تطورات الموقف مع اسرائيل [يعد إعلانها عن مشروع تحويل مجرى نهر الأردن، واتفاق العرب في مؤتمر القمة في ١٩٦٤ على الرد]؛ "كل هذا يقتضى تجميع كل القوى العربية ضد العدو الصهيوني، وكانت العقبة الحقيقية الباقية هي أزمة الثقة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية"(٣).

وقال ناصر في خطاب الى الشعب: "لقد سادت النوايا الحسنة جميع الأطراف، وكان الدافع اليها أن نحافظ على روح وحدة العمل التي ظهرت في مؤتمر القمة"(٤).

## (١) ناصر وفيصل يوقعان اتفاقية جدة فى ٢٤ أغسطس ١٩٦٥:

نجحت زيارة ناصر فى تحقيق الغرض منها، ووقع مع فيصل اتفاقية السلام بخصوص اليمن، ثم توجه معه مباشرة الى المطار وعاد الى القاهرة.

وقد نصت الاتفاقية على وقف إطلاق النار فى اليمن، وإجراء استفتاء شعبى فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٦. كما دعت الى التعاون بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية لعقد مؤتمر بين الجمهوريين والملكيين اليمنيين فى حرض باليمن فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥؛ وذلك للتفاوض بشأن الترتيبات لإقامة حكومة انتقالية ثم الاستفتاء.

(١) هيكل، "شهادة الوقائع من التاريخ القريب والحي"، بصراحة، الأهرام، ١٩٦٦/٥/٦، مرجع سابق.

(٢) خطاب ناصر فى ١١/٢٥/١٩٦٥، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج ٤، ص ص ٩٦٠ - ٩٨٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) خطاب ناصر فى ٢٢/٢/١٩٦٦، المرجع السابق، ج ٣، ص ص ٥٠ - ٧٧.

ونصت الاتفاقية أيضا على انسحاب قوات الجمهورية العربية المتحدة العسكرية خلال ١٠ شهور من ٢٣ نوفمبر ١٩٦٥. وفى المقابل وافقت السعودية على الإيقاف الفورى للمساعدة العسكرية للملكيين أو استخدام الأراضى السعودية للعمل ضد اليمن.

لقد نجح لقاء الزعيمين فى جدة بكل المعايير، وأرسل جونسون رسالة الى فيصل معبرا عن سروره بهذه الاتفاقية؛ فالولايات المتحدة كانت تريد إنهاء الصراع فى اليمن بأية طريقة، وضغطت على الطرفين من أجل تحقيق ذلك؛ حماية لمصالحها فى المنطقة.

وفى الواقع فقد ذكر ناصر لبادو.. "فى البداية كنت متشائما، ولكن السعوديين أرادوا الاتفاقية، وهو أيضا، الذين لم يريدوها هم اليمنيين الجمهوريين! إننى أواجه متاعب معهم كالتى أواجهها مع الملكيين! وما يهمنى هو ألا تتولى أسرة حميد الدين الحكم، وأى مجموعة سواء بالنسبة لى!

واستطرد ناصر قائلا لبادو: "إن قضية اليمن كانت الأصعب بالنسبة لى. لقد كان لدينا أكثر من ٧٠ ألف من القوات العسكرية هناك!" وذلك قبل سحب جزء منها.

وطلب ناصر نقل رسالة منه الى الولايات المتحدة.. "أن تكون على اتصال قريب من فيصل خلال هذه الفترة الحساسة؛ حتى لا يحدث شيئا خطأ"(١).

## (٢) فيصل ينشئ الحلف الاسلامى لمواجهة التيار القومى العربى:

زاد التوتر فى المنطقة العربية مع الكلام عن إنشاء حلف إسلامى فى ديسمبر ١٩٦٥؛ بمبادرة من الملك فيصل مع شاه إيران! ومن وجهة نظر ناصر، "هذا الحلف هو محاولة للرد على حركة القومية العربية التى تنتزعها القاهرة، وموجة الحياد التى تجتاح الشرق الأوسط..."

إنه تحرك رجعى استعمارى ناتج عن الخوف فى الغرب وبعض الدول الرجعية؛ مما يحمله المد العربى الثورى من خطر متزايد على احتكارات البترول، ومما يحمله تيار الاشتراكية من تهديد لكيان الرجعية...

إنه استغلال للدين كسلاح لتحقيق مآرب الرجعية والاستعمار؛ لاستعادة النفوذ الذى بدأ يتقلص أمام الحركات التحررية والشعبية فى العالم العربى" (٢).

---

Tel. from The Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Nov. 24, 1965.

(١)

(٢) خطاب ناصر فى ٢٢/٢/١٩٦٦، خطب وتصريحات ناصر، ج ٣، ص ٥٠ - ٧٧، مرجع السابق.

وقال ناصر فى جلسة اللجنة التنفيذية العليا، فى ١ يونيو ١٩٦٦: "لقد كان الهدف من الحلف الاسلامى أن يضم السعودية والأردن والكويت، ومحاولة ضم العراق ثم إيران وتركيا وباكستان وليبيا والسودان وتونس والمغرب. وقد أنكر الأمريكان أنهم وراء هذه العملية، لكنى فى هذا لا أصدق للحظة واحدة!

وفى نفس الوقت الذى بدأت فيه الدعوة للحلف الاسلامى، وُجِعت حملة عنيفة ضد الأنظمة الاشتراكية، ولم يكن هناك رد فعل من جانبنا على هذا الكلام!"

وكتب ناصر بخط يده.. "نحن نعارض الحلف الاسلامى، الذى غايته ضرب المسلمين باسم الدين، وتفتيت أمة العرب لحساب الاستعمار. وليست معارضته أو مقاومته تعنى رفض التعاون والتضامن الاسلامى الحقيقى".

## (٣) فيصل يُفشِل اتفاقية جدة:



لقد فشل مؤتمر حرض، الذى نصت عليه اتفاقية جدة بين الملكيين والجمهوريين؛ من أجل إقامة حكومة انتقالية يعقد بعدها استفتاء لإقرارها. وبالتالي فإن الجمهورية العربية المتحدة لم تستطع أن تترك اليمن قبل قيام هذه الحكومة.

وكان الخلاف الأساسى داخل مؤتمر حرض هو اسم اليمن أثناء الحكومة الانتقالية؛ فالسعوديين لم يعجبهم تعبير "الجمهورية"! فوافقت الجمهورية العربية المتحدة على اسم "الدولة". وتحت السطح كان الخلاف حول مشاركة أسرة حميد الدين فى الحياة السياسية المستقبلية لليمن. إن الجمهورية العربية المتحدة لم تقبل إعادة أسرة حميد الدين الى البلاد، وفى نفس الوقت كان ذلك رأى الأغلبية الكبرى فى اليمن(١).

إن عدم انسحاب القوات المصرية بسبب فشل اليمنيين فى تشكيل حكومة انتقالية أقلق فيصل؛ مما جعله يستنجد بالأمريكان كالعادة، وأبلغهم عن طريق وزير دفاعه - الأمير سلطان بن عبد العزيز - أنه يعتقد أن ناصر لا ينوى أن يحترم التزاماته لإكمال الانسحاب فى آخر ١٩٦٦. بل إنه ذهب الى أبعد من ذلك، حين أخبرهم أنه يعتقد أن السوفييت يمولون بقاء ناصر فى اليمن؛ حتى يقيموا مركزاً آمناً لهم فى منطقة البحر الأحمر، بما فيها قواعد للغواصات!

---

(١) المحادثات بين السادات وراسك:

Memo. of Conversation, Washington, Feb. 23, 1966, Yemen.

وفى الواقع إن صانعى السياسة فى الولايات المتحدة لم يصدقوا رسالة فيصل اليهم، وخاصة الى الجمهورية العربية المتحدة PL 480 عندما أضاف أن تسليم المعونة الغذائية طبقاً لبرنامج يشجع استمرار ناصر فى اليمن.

والغريب أن تحريض فيصل توافق مع كلام الاسرائيليين مع الأمريكان بنفس المنطق؛ مشجعينهم على قطع المعونة!

وقد توقع الأمريكان أن يستمر فيصل فى مساندة الملكيين، إذا لم تبدأ قوات الجمهورية العربية المتحدة فى الانسحاب، وقرروا أن يطلبوا من فيصل الصبر(١).

وقد أضاف وزير الدفاع السعودى على لسان فيصل.. أن تهديد الشيوعية فى الشرق الأوسط هو أكبر خطر يراه السعوديون، وأن مشكلة اليمن وأنشطة ناصر هناك هى جزء من خطة شيوعية

طويلة الأجل لتقويتها فى المنطقة! وادعى أن ثلاث سفن سوفيتية أنزلت أسلحة ومعدات فى الحديدة باليمن!

وقد اهتم راسك بتحركات الشيوعيين هذه، وقال: إنهم تحروا الأمر ولم يجدوا تأييدا لوجود غواصة سوفيتية أو قواعد لهم فى المنطقة(٢)!

وفى مقابلة بين ناصر وبادو فى ١٩ مارس ١٩٦٦، جرى بينهما الحديث التالى كما دونه السفير الأمريكى..

نعتقد أن الجانبين فى اليمن يريدان تسوية. بادو :

قاطع، وقال بحدة: هل فعلا تعتقد أن السعوديين يريدون حلا؟! ناصر:

نعتقد أنهم يريدونه، على أن تجد الأطراف المهتمة طريقة لاستكمال المناقشة، وإعادة بادو : بناء الثقة التى كانت موجودة فى الماضى.

لقد أخبرت العاملين معى أن يجعلوكم تعلمون تماما كل جوانب مشكلة اليمن. ناصر:

هل سيستأنف مؤتمر حرض؟ بادو :

---

Memo. from Rusk to President Johnson, Washington, Feb. 20, 1966, Visit of Saudi

(١)

Defense Minister.

Memo. Of Conversation, Washington, Feb. 23, 1966, Yemen, Communism in the ME.

(٢)

نعم، ولكنه لن يأتى بأى نتيجة! إن من أهم مشاكلى هى الروح المعنوية فى الجيش ناصر: المصرى، الذى لا يستطيع أن يقبل هزيمة فى اليمن! إننى أخشى أن الصدام بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية لا يمكن تجنبه!

مندهشا.. لا أستطيع أن أقبل ذلك.. إن خطورته كبيرة! بادو :

إننى أفهم العلاقة بين هذه المشكلة وصلاتنا معكم ومع دولتكم، وأؤكد لك أننا نفكر ناصر: بحرص على ضوء ذلك.

أطلب تفسيراً لخطابك الأخير، الذى ربطت فيه بين انسحاب قوات الجمهورية العربية بادو: المتحدة من اليمن وبين الموقف البريطانى فى عدن(١).

إننا لن نضع أى قوات فى عدن، ولا نربط بين الموقف بينها وبين التسوية فى اليمن(٢). ناصر: وبعد يومين من هذا اللقاء - أى فى ٢٢ مارس ١٩٦٦ - تحدث ناصر فى مؤتمر الاتحاد

الاشتراكى فى السويس بمناسبة عيدها القومى، وهاجم المؤتمر الإسلامى وقال: "إن المؤتمر الإسلامى أو الحلف الإسلامى مات قبل مايقوم؛ لأن النهاردة اللي بيؤيدوا العملية اثنين.. شاه إيران... وبورقوية..."

والرجعية فى العالم العربى لابد أن تسقط، الرجعية تدافع ضد الاشتراكية... تدافع تحت اسم الدين، والدين لا ينادى بالاستغلال، والدين لا ينادى بالاستعباد، الدين ينادى بالمساواة، والدين ينادى بأن أموال المسلمين تكون للمسلمين، مش لملوك المسلمين!... إذا كانت الرجعية عايزة فعلا تثبت للعالم أنها فعلا تمشى مع الدين كل واحد يتنازل عن أمواله المسلوقة.. الأموال المنهوبة... سيدنا محمد ماعملش نفسه ملك ليه؟! ماسفش أموال المسلمين ليه؟!... إدانا المثل؛ كان قائداً للمسلمين ورسولاً للمسلمين، ولكن أما مات؛ مات ماعندوش حاجة أبدا، حتى الثوب بتاعه تصدق به!"

---

(١) قال ناصر فى هذا الخطاب فى عيد الوحدة فى ٢٢/٢/١٩٦٦: "إن المباحثات التى حصلت فى السعودية [فى ٢٢/١١/١٩٦٥]، كانت تستهدف إيجاد حل للمشكلة اليمنية، وإعطاء الفرصة للشعب اليمنى ليقرر مصيره، وفى نفس الوقت كانت تنص على انسحاب قواتنا... كان من نتائج الثورة اليمنية أن بريطانيا ليس أمامها من سبيل إلا إعطاء الاستقلال لعدن والجنوب المحتل... النهاردة كان فيه إعلان بيقول: إن انجلترا قررت إعطاء الاستقلال فى سنة ٦٨، طيب إحنا بنقعد هناك لغاية بعد ٦٨"، خطب وتصريحات ناصر، ج ٣، ص ص ٥٠ - ٧٧، مرجع سابق.

(٢) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, March 20, 1966.

وتحدث ناصر فى خطابه متحدياً فيصل.. "لم يسر تنفيذ اتفاقية جدة بالطريقة التى كنا نتصور أنها ستنفذ بها... النهاردة.. هل نتخلى عن ثورة اليمن؟!... حتى تستطيع الثورة اليمنية أن تقف على رجلها وتدافع عن نفسها ضد مؤامرات الاستعمار والرجعية، إحنا سنساند الثورة اليمنية. وإحنا النهاردة نعدل فى خططنا؛ علشان نقعد فى اليمن إذا دعا الأمر خمس سنين أو أكثر. وحننزل

من عدد قواتنا، وحنزل من مصاريفنا فى اليمن... وسيكون لنا استراتيجية جديدة فى اليمن؛ اللى هى استراتيجية النفس الطويل" (١).

قابل بادو ناصر بعد ذلك؛ وجرت المحادثة بينهما كما دونها السفير الأمريكى كالاتى..

ما الهدف الأساسى مما ورد فى خطاب ٢٢ مارس؟ لقد اعتبره فيصل هجوماً ضده (أوماً بادو : ناصر بالإيجاب) ! ومن ناحيتنا قلل ما جاء فى الخطاب من نتائج لقاء الجمهورية العربية المتحدة مع السعودية.

لقد فقدنا الأمل.. وقد اعتقد الملك فيصل أننى عندما وافقت على اتفاق جدة، أنها حركة ناصر: ناتجة عن ضعف! ولكنها ليست كذلك. إنها لتجنب الصدام بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية... إن اتفاق جدة أصبح غير موجود.. لا توجد اتفاقية!

إننا نقوى قواتنا، وسنسحب أعدادا كبيرة - يمكن نصفها - ولكننا نستطيع أن نستمر فى اليمن ١٠ سنين! نحن لسنا ضعفاء، ولا تكلفنا الحرب هناك القدر الذى يفكر فيه فيصل.. لا تكلف عملة صعبة. التكلفة الحالية ٣٥ - ٤٠ مليون جنيه فى السنة، وبالخطوات التى اقترحتها ممكن أن تخفض هذه التكلفة ٢٠ - ٢٥ مليون جنيه.

إن ذلك لا يعنى استئناف الاشتباكات من جانب الجمهورية العربية المتحدة، ولكن ما سوف يحدث يتوقف على السعوديين.

إذا كنت تنوى الانسحاب، لماذا لا تفعل ذلك كجزء من المجهود لتطبيق اتفاقية جدة؟ وهذا بادو : ممكن أن يؤدى الى تنازلات من الجانب الآخر، ويقود الى امكانيات حل.

، فإذا أعلنت أننى أطبق هذه One Piece هذا مستحيل! لأن اتفاقية جدة هى نص متكامل ناصر: الاتفاقية بسحب القوات، فإننى سوف أُمْنَع من العودة الى اليمن إذا استؤنفت بعد ذلك الاعتداءات واحتاج اليمنيون الى مساعدات!

نحن نحتاج الى الصبر والدبلوماسية الهادئة. بادو :

---

(١) خطاب ناصر فى ٢٢/٣/١٩٦٦، خطب وتصريحات ناصر، ج ٣، ص ٧٩ - ١١٥، مرجع سابق.

إننى لا أستطيع أن أفعل مثل السعوديين؛ يتكلمون بطريقة ويتصرفون بنهج آخر! إما يكون ناصر: هناك تفاهم أساسى وصداقة بين دولتين أو لا يكون. إننى لا أستطيع أن أنظاها علنا بما لا يوجد فى الواقع؛ ولذلك يجب أن أذكر صراحة ما أشعر أنه حقائق الموقف فيما يتعلق

بالتعامل مع المشكلة. إن الشعب المصرى له اهتمام عميق باليمن، ومن حقه أن يعرف حقيقة الموقف.

بادو : إن هذه المشكلة لا يمكن التعامل معها بالدعاية، بل يجب بذل جهد ضابط للنفس وهادئ من أجل الحل.

ناصر: إننى أمارس فعلا ضبط النفس؛ فيوجد الكثير الذى من الممكن أن أقوله عن السعوديين عما قلت! إنهم ينفقون الأموال فى الكويت وبيروت وأماكن أخرى ضدنا! إننى أعرف ذلك، ولكننى امتنعت عن الحديث عنه!

بادو : إن دولتى مازالت تأمل أن حوارا بين الجمهورية العربية المتحدة والسعوديين يمكن أن يستأنف، وأنه على ضوء الموقف الحالى يعتبر السعوديون أن الخطوة التالية تتوقف على ناصر.

ناصر: ( هز كتفيه بغضب ).

بادو : إن لى من الأسباب أن أعتقد أن مبادرة من جانب الجمهورية العربية المتحدة بإرسال ممثل على مستوى عالى الى جدة يقابل الملك؛ ثم تستأنف المحادثات على مستوى ممثلى البلدين، سوف تستقبل جيدا فى السعودية.

ناصر: ( رد متشددًا جدا ).. هذا مستحيل! ثم إننا سنستقبل ممثل عن السعوديين، ولكن لن أبادر بذلك، ولا أستطيع أن أرسل أى أحد هناك فى الحاضر!

بادو : إن دولتى تريد أن تساعد فى حل هذه المشكلة، وهل للرئيس أى اقتراحات؟

ناصر: إننى أرغب أن تكونوا على علم تام وبدقة لتصرفاتى حول اليمن.

بادو : هل الرئيس لديه أفكارا فيما يتعلق بعدن، على أساس أنها مرتبطة باليمن.

ناصر: ليس لى اقتراحات.

بادو : بما يتعلق بمشاكل انسحاب البريطانيين، فإننى أشجع الأعمال البناءة التى تؤدى الى الاستقرار، وتولى حكومة فى عدن تعكس إرادة الشعب(١).

واضح من هذه المقابلة، كما فسر ناصر فى اللجنة التنفيذية العليا، فى ١ يونيو ١٩٦٦..  
"أن الأمريكان يرغبون فى أن نسكت تماما؛ حتى يستطيعوا تنفيذ مخططهم بهدوء وبدون معوقات،  
وقد كانت المبادأة فى أيديهم بينما نحن صامتين. وهدفهم الرئيسى هو نحن فى الداخل؛ فهم  
يتصورون أنهم إذا ضربونا فليكن ذلك من الداخل!

وفى قضية مخابرات [التي كشفت فى القاهرة وجند فيها مصطفى أمين(٢)]، كان كلام  
الجانب الأمريكى عدائيا جدا، فكانوا يقولون مثلا: إنهم تخلصوا من بن بيلا، ولا بد أن يتخلصوا من  
ناصر أيضا!"

وكان ناصر يرى أن "السبيل الوحيد للقضاء على هذا المخطط؛ أن نواجههم بحملة خارجية  
عنيفة جدا؛ بحيث تضعهم فى مشاكل. وفى نفس الوقت نرهب الدول الأخرى التى تسير فى فكهم.  
وأقصد من كلامى هذا أنه لا ينبغى أن نسكت إطلاقا على الأمريكان! والخلاصة فى نظرى أنه لا  
يمكن التعاون مع الأمريكان إطلاقا".

ومن ناحية أخرى فقد كُتب تقدير موقف فى المخابرات الأمريكية عن الوضع فى الجمهورية  
العربية المتحدة، وبالنسبة لليمن جاء فيه أن الولايات المتحدة لا ترى أى فرصة للحل فى السنتين  
التاليتين، فإن ناصر لن يقبل إنسحابا مهينا. وفى نفس الوقت فإنه سيتجنب مخاطر التصاعد، بالرغم  
من تواجد خطر الاشتباكات بين قوات الجمهورية العربية المتحدة والقوات السعودية. وتوقعوا أن  
سياسته ستكون التمسك بالمناطق الدفاعية على أمل أن يصل الى حل مرضى(٣).

ومن جانبه، أعلن ناصر فى خطابه فى عيد العمال فى أول مايو ١٩٦٦.. "نحن نصر  
على تطبيق اتفاقية جدة، ولكن لا نقبل المراوغة فى تنفيذها! المناطق التى تركها الجيش المصرى  
موجودة تحت حماية القبائل اليمنية والقوات المسلحة اليمنية، ولم تُترك للملكيين.

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 8, 1966.

(١)

(٢) مصطفى أمين، رئيس تحرير أخبار اليوم.

National Intelligence Estimate, Washington, May 19, 1966. The Outlook for the UAR.

(٣)

كان الملكيون يتسللون من حدود السعودية بالسلاح ليضربوا القوات المصرية، وكنا لا نعدى  
الحدود. اليوم سياستنا تختلف؛ إذا حدث تسلل الى الأرض اليمنية من السعودية، فلا بد أن نضرب

قواعد العدوان، بل نحتلها! وهذا نستطيع أن نحققه. ونحن في هذا ندافع عن ثورتنا، ونعتبر أن ثورة اليمن ثورتنا.. ثورة العرب كلهم.

ونحن نستطيع أن نعزل السعودية كلية عن اليمن؛ بأن نأخذ جيزان ونجران! وأصل منطقة جيزان يمنية، اغتصبها السعوديون سنة ١٩٣٠ بالغزو! ويمكن لليمنيين أن يطالبوا بمنطقة جيزان ومنطقة نجران، وسنحارب في هذه المعركة؛ المصريين مع اليمنيين" (١).

وبعد هذا الخطاب أشار ناصر في اللجنة التنفيذية العليا، في ١ يونيو ١٩٦٦، "أن فيصل قد أحس عندما تكلمت عن اليمن، لم أكن أتكلم من موقف الضعف، وقد أفاد تهديدنا كثيرا..."

واستطرد ناصر قائلاً: "والواقع أن فيصل يعاني من مشاكل كثيرة في داخل بلده، كل ذلك في الوقت الذي قررنا فيه أن نخفض قواتنا في اليمن الى النصف؛ لكي يوفر لنا ذلك مالياً وعسكرياً.

إن الأمريكيين والانجليز اليوم يتبنون القوى الرجعية في المنطقة العربية، وبهدف القضاء على كل النظم التقدمية في العالم العربي. والمعروف أن قاعدة هذه القوى التقدمية هي مصر.. إذاً نحن قد بدأنا نأخذ زمام المبادرة لأول مرة في مواجهة القوى التي تعمل في المنطقة".

لقد استمر الجمود في أزمة اليمن حتى نهاية ١٩٦٦، "فالجيش المصري لم يدخل معارك هناك منذ سنة ونصف، اليمنيين أخذوا المسؤولية في أكثر المناطق" (٢).

وبالنسبة للعلاقات مع الولايات المتحدة، فمن الواضح أنها تأرجحت الى حد كبير عبر السنوات، وهي في النازل! وهذا نتيجة تأجج الصراع بين ناصر من ناحية والقادة العرب الموالين للغرب وخاصة فيصل من ناحية أخرى. ومما جعلها أسوأ؛ مشاكل ناصر مع البريطانيين في الجزيرة العربية، ورفضه لسياسات الولايات المتحدة في تقييد المعونة تجاه الجمهورية العربية المتحدة، واعتقاده أن الولايات المتحدة تزيد من مساعدة أعدائه (٣).

(١) خطاب ناصر في ١/٥/١٩٦٦، ج ٣، ص ١٢٠ - ١٥٠، مرجع سابق.

(٢) خطاب ناصر في ٢٣/١٢/١٩٦٦، خطب وتصريحات ناصر، ج ٣، المرجع السابق، ص ٥٩٠ - ٦٢٥.

National Intelligence Estimate, May 19, 1966, Op. Cit.

(٣)

د - السعودية تحبط الوساطة الكويتية:

وقد طلبت الكويت في ٢٠ أغسطس ١٩٦٦ مساندة الولايات المتحدة بتقديم اقتراحات من أجل عقد تسوية في اليمن. وتمت اتصالات بين راسك ومحمود رياض - وزير الخارجية المصرية - في نيويورك أثناء انعقاد الجمعية العامة. وقد أكد رياض على موقف الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لليمن؛ فأولاً: عائلة حميد الدين يجب أن تنسحب من الأراضي اليمنية عندما ينسحب نصف القوات المصرية؛ وقد أظهرت ثورة الشعب اليمني رأياً القاطع في هذه الأسرة. والنقطة الثانية.. أن يستفتى الشعب اليمني حول نظام الحكم الذي يريده. بينما كان الموقف السعودي مصراً على أن جميع هذه القوات يجب أن يتم سحبها أولاً!

وشرح رياض لراسك أن الرأي العام المصري لا يقبل هذا. وقال: إن الكويتيين أخبروه أنه من الواضح أن السعوديين قد وافقوا على الاقتراح بأن تتكون حكومة جمهورية اليمن من ٣ أخماس جمهوريين، وخمسين ملكيين، وأن انسحاب القوات سيبدأ في اللحظة التي تتشكل فيها الحكومة الجديدة. وعلق رياض قائلاً: "إن نقاط الخلاف بسيطة، وإذا أرادت السعودية؛ فإن اتفاقية ممكن أن توقع فوراً" (١).

وقد قبلت مصر أن يكون النظام اليمني خلال الفترة السابقة على الاستفتاء الشعبي تحت إسم "الدولة اليمنية"، عند رفض فيصل تعبير "الجمهورية"، كما سبق ذكره! كما وافقت مصر على أن تسحب قواتها العسكرية من اليمن في ٩ شهور، وأن يشرف على الاستفتاء ٣ دول عربية يتفق عليها مع السعودية، وترسل كل منها قوة رمزية من جيشها الى اليمن لا تقل عن ١٠٠٠ جندي؛ لكي تساعد في ضمان نزاهة الاستفتاء الشعبي.

وقد كانت النقطة التي تعثرت عندها الوساطة الكويتية؛ هي إبعاد أسرة حميد الدين عن الحدود السعودية مع اليمن. في البداية وافقت السعودية من حيث المبدأ، ثم وقع الخلاف على التوقيت! فقد رأت مصر أن يتم ذلك عندما تنسحب نصف القوات المصرية في اليمن، إلا أن السعودية أصرت على ألا يتم ذلك إلا بعد سحب كل القوات المصرية من اليمن! وكان معنى ذلك أن كل ما تريده السعودية؛ هو انسحاب الجيش المصري من اليمن، لكي تتاح لها بعد ذلك حرية التدخل المطلقة ضد الثورة اليمنية!

---

Memo. of Conversation, NY, Oct. 7, 1966, Yemen (Part III of IV).

(١)



وخلال الوساطة الكويتية لم تتوقف مصر عن محاولة الاتصال المباشر بالسعودية، فقد كتب ناصر خطابا الى فيصل، الذى رد عليه بعد ٤٠ يوما محتفظا بعناده! وقد قال ناصر للسفير السعودى وهو يسلمه الرد: "قل للملك إذا سارت الأمور على هذا النحو، فإن الخلاف بين مصر والسعودية بسبب مشكلة اليمن، قد ينقلب الى صدام بينهما أوسع بكثير من مشكلة اليمن! قل له: إننى لست أرى داعيا لموقف العناد الذى يتخذه"<sup>(١)</sup>!

وفى سبتمبر ١٩٦٦، انتهت الوساطة الكويتية بالفشل! وبدأت مرحلة صراع أشد فى اليمن.

## ٧- التصاعد بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة بعد أن أخذت زمام المبادرة فى المنطقة:

فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٦ لاحظت قوات الجمهورية العربية المتحدة باليمن أنشطة عسكرية غير عادية وتحركات تشير الى نوايا عدوانية سعودية؛ تُعرض القوات المصرية للخطر وتمس أمنها؛ ولذلك اتخذت إجراءات وقائية بالاستطلاع ليلا ونهارا. وحدث خطأ أن هاجمت طائرات حربية مصرية نجران، وهى مركز للمتسللين الذين يقتلون المصريين!

وتصاعد الموقف عندما طلبت الحكومة السعودية من الحكومة الأمريكية، تنفيذ تأكيداتها على مدى طويل للمساندة فى حالة هجوم بدون استفزاز. وبالرغم من أن الولايات المتحدة قد حاولت أن تنفذ هذه الالتزامات أساسا بالوسائل الدبلوماسية - كما سبق عرضه - ورفضت طلب السعودية وضع بطاريات صواريخ هوك تدار بواسطة الأمريكيين بجوار نجران، فقد حدث هذه المرة تغيير جذرى فى الموقف الأمريكى.

لقد أمرت الحكومة الأمريكية بعثتها التدريبية العسكرية فى السعودية أن ترسل ثلاث ضباط الى منطقة الحدود السعودية، فى ٨ فبراير ١٩٦٧؛ لكى تقدم النصح بالنسبة لترتيبات الدفاع الجوى السعودى.

وقد وصلت الى السعودية فى ذلك الوقت بطارية صواريخ هوك لتوضع بجوار نجران، وأصبحت من ممتلكات السعودية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هيكلم، "هل وصلنا الى نقطة اللاعودة مع فيصل؟"، ١٠/٢/١٩٦٧، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

(٢)

Involvement in Saudi – Yemen Border Area.

إلا أن الولايات المتحدة قلقت من موقف ناصر، الذى أوقف الطيران الأمريكى الذى يحمل السلاح للأردن من التحليق فوق أراضي الجمهورية العربية المتحدة. وشعر الأمريكيون أنهم أصبحوا فى الوسط بين ناصر وفيصل! فهم لا يريدون سوء العلاقات مع مصر ولا أن يفقدوا مصداقيتهم لدى فيصل. ونقرر بناء على ذلك بدء مبادرة جديدة من جانب الولايات المتحدة للوساطة بين الطرفين(١).

بل إن الموقف أصبح أكثر خطورة بالنسبة للسعودية، فعندما حشد فيصل الجيش السعودى فى مواجهة المنطقة التى تجمع فيها الجيش المصرى استعدادا للردع، بدأ الملك يكتشف أنه لا يستطيع أن يصدر أمرا للجيش السعودى بالدخول فى معركة مع الجيش المصرى! لقد بدأ يظهر تعاطفا من جانب الكثيرين منهم مع التيار القومى الثورى.

إذاً بات الخوف من أنه إذا أصدر الملك أمرا الى الجيش السعودى بأن يتصدى الى الجيش المصرى، أن تتضمن أقسام كبيرة منه الى المصريين! ولذلك فإن الحكومة البريطانية نبهت فيصل الى ذلك، ونصحته باستبدال قوات الجيش بالحرس المجند من قبائل البدو، والتى تشرف على تدريبه وتتولى قيادته بعثة عسكرية بريطانية. فاستجاب فيصل، وبدأ الحرس يحل محل الجيش.

وبدأت الانفجارات تسمع فى نواح متفرقة من السعودية؛ فى جيزان ونجران القريبة من اليمن، ثم امتدت الى الرياض، على بعد ١٥٠٠ كم من حدود اليمن! وحدثت انفجارات فى الفندق الذى تقيم فيه البعثة العسكرية الأمريكية "زهرة الشرق"، وفى سرب الطيران الأمريكى فى مطار الرياض العسكرى. وكذلك انفجارات فى مكاتب وزارة الداخلية السعودية التى يتولاها الأمير فهد، ووزارة الدفاع التى يتولاها الأمير سلطان!

إذاً ظهر أن هناك عناصر سعودية تشترك فى هذه العمليات، ثم هى عناصر عسكرية مما يدعو الى القلق! قلق فيصل، وقلق الولايات المتحدة وبريطانيا على مصالحهما.

وعندما ضربت قوات الجمهورية العربية المتحدة نجران، بعد أن بان فى المنطقة آثار نشاط معاد متزايد لم يقترب بعد من حدود اليمن، كان المقصود أن يسمع فى الرياض تحذيرا لفصيل ونذيرا؛ بأن الجمهورية العربية المتحدة جادة فى عزمها على ضرب قواعد العدوان فى السعودية، إذا ما عاد التحرش بثورة اليمن(٢).

Memo. from Wriggins to Rostow, Washington, Feb. 17, 1967, Yemen  
Mediation. (١)

(٢) هيكل، الأهرام، بصراحة، "هل وصلنا الى نقطة اللاعودة مع فيصل؟"، ١٠/٢/١٩٦٧، مرجع سابق.

وفى ذلك الوقت اشتدت الحركة الوطنية فى جنوب الجزيرة العربية، وأعلنت بريطانيا أنها ستسحب منها ومن عدن بسبب ضربات الثورة الوطنية، فى ٩ يناير ١٩٦٨. إلا أن الحكومة البريطانية طردت حكومة عدن الوطنية برئاسة عبد القوى مكاوى التى كانت على صلة بالحركة الثورية، ثم أقامت حكومة من سلاطين المحميات المواليين لها! وذهبت بريطانيا الى الأمم المتحدة، وادعت حاجتها الى المساعدة على توفير انتقال سلمى من الاحتلال الى الاستقلال!

فى ذلك الوقت أيضا بدأت الثورة تمتد من الجنوب العربى المحتل الى الخليج العربى المحتل، كل ذلك مع تفجر البترول بغزارة. كما برزت مراكز قومية فى هذه المنطقة؛ فحدثت تغييرات فى حكامها الذين تعاونوا مع العرش السعودى(١).

وقد اتخذت الولايات المتحدة خطوات من أجل الوساطة بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية فى هذه الفترة الحرجة من الصراع اليمنى. وفعلا قابل لوشىوس باتل - السفير الأمريكى الجديد فى القاهرة - ناصر، وعرض عليه الوساطة الأمريكية.

كان رد ناصر.. أنه ذهب الى جدة ووقع اتفاقية ضد نصيحة زملائه، ولكنه الآن لا يأمل فى حل؛ على ضوء إصرار الطرف الآخر أن يرى ذلك على أنه علامة ضعف! إنه يرغب أن تعرف الولايات المتحدة أنه يقبل من حيث المبدأ أن يقوم السفير ريموند هير بدور الوساطة(٢). وقد قبل فيصل أيضا توسط هير، وقررت الحكومة الأمريكية البدء فى هذه العملية(٣).

تأخرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى التجاوب مع الوساطة الأمريكية؛ مما أقلق المسئولين هناك. وقد زاد القلق عندما ظهر الملك سعود فى اليمن، وهلل له السلال على أنه "الملك الشرعى للشعب السعودى"! وقد أغضب الأمريكيين أن سعود ذهب الى اليمن فى طائرة رسمية تابعة لحكومة الجمهورية العربية المتحدة، وبصحبة رسميين مصريين على أعلى مستوى! وأعربت الولايات المتحدة عن انزعاجها من تأثير هذا التصرف على عملية الوساطة التى تقوم بها، من عدم التجاوب من الطرفين(٤).

---

(١) هيكل، "اللغز والصورة"، ١٧/٢/١٩٦٧، بصراحة، الأهرام، المرجع سابق.

Tel. from the Embassy in the UAR to The Dept. of State, Cairo, March 28. 1967.

(٢)

Memo. from Sanders to Rostow, Washington, April 6, 1967.

(٣)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, April 25, 1967.

(٤)

ومما زاد فى تعقيد الموقف بالنسبة للحكومة الأمريكية، أنه فى ٢٦ إبريل حدث شغب ضد فرع السفارة الأمريكية والمعونة فى مدينة تعز باليمن. كما قامت مظاهرات بها وهتف المتظاهرون فى شوارعها.. "لا أمريكيين بعد اليوم"! وكان الذين ساروا فى المظاهرة حوالى ٧٠٠٠ مواطن يحملون كفن، ثم تجمعوا أمام المجمع السكنى الأمريكى ودخلوه، وقلبوا السيارات، وأحدثوا تدميرا بالمبنى، وتم القبض على اثنين من الأمريكيين!  
إزاء كل ذلك ألغت الحكومة الأمريكية اتفاقية المساعدة الخاصة باليمن، وسحبت بعثة المعونة الأمريكية(١).

وقد أرسل المشير عبد الحكيم عامر رسالة الى راسك ردا على رسالته الى محمود رياض فى ٢٩ إبريل، مشيرا الى أن ما حدث فى تعز هو أمر يخص العلاقات الأمريكية - اليمنية، وأن الحكومة المصرية قامت فقط بمراقبة تطور الأحداث، بل حاولت أن تمنع مزيدا من التدهور فى الموقف.

ومن ناحيته فقد أصدر المشير عامر تعليماته لقائد قوات الجمهورية العربية المتحدة فى اليمن؛ أن يقدموا مساعداتهم فى ضمان أمن مواطنى الولايات المتحدة، وأن يتعاونوا مع الأمريكيين الذين يرغبون فى مغادرة اليمن(٢).

وبدأ التصاعد من جديد، هذه المرة من جانب الولايات المتحدة، التى أبلغت الأمم المتحدة أن الجمهورية العربية المتحدة تستخدم قنابل الغاز فى اليمن منذ أول يناير ١٩٦٧(٣)!

وقد أصدرت الجمهورية العربية المتحدة بيانا رسميا فى ١ فبراير ١٩٦٧، أكدت فيه بطريقة قاطعة أنها لم تستعمل الغازات السامة فى أى وقت، ولم تلجأ الى استعمالها حتى وقت أن كانت هناك معارك حربية فى اليمن.

وأعلنت الجمهورية العربية المتحدة رسميا أنها على استعداد لقبول بعثة لتقصى الحقائق من الأمم المتحدة، وأنها على استعداد لترتيب إجراءات سفرها فورا الى اليمن. وقد وافقت حكومة

الجمهورية العربية اليمنية على أن تقدم لهذه البعثة كل التسهيلات فى أراضيها؛ لكى يتضح كذب الدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة.

(١) Circular tel. from the Dept. of State to Certain Posts, Washington, April 28, 1967.  
Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, April 30, 1967.

(٢) Tel. from the Dept. of State to the Mission to the European Office of the UN,

(٣)

Washington, May 25, 1967.

#### ٨- خاتمة الصراع فى اليمن:

تضائل الصراع فى اليمن أمام عدوان اسرائيل على مصر وسوريا والأردن فى ٥ يونيو ١٩٦٧، ويرى البعض أن حل المشكلة بين القاهرة والرياض كان بين ما تحقق فى مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم، فى ٢٦ أغسطس ١٩٦٧. ولكن فى الواقع كان النزاع فى اليمن أمرا منتهيا منذ اليوم التى أعلنت فيه بريطانيا، أمام الضربات المتلاحقة لثوار الجنوب العربى؛ أنها قررت الجلاء عن الجنوب سنة ١٩٦٨. ثم حددت يوم ٩ يناير موعدا لإتمام هذا الجلاء، وتم إنسحاب القوات البريطانية فعلا من عدن فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧؛ تحت ضغط الحركة الوطنية هناك، وذلك قبل الموعد المقرر من قبل رئيس الوزراء البريطانى هارولد ويلسون، وقامت جمهورية اليمن الشعبية.

وهذا الانتصار القومى سوف يبقى دائما أثرا تاريخيا هائلا للدور الذى أداه الجيش المصرى فى اليمن؛ فقد قاد الى قيام دولة عربية جديدة فى الجنوب متحررة وتقدمية.

إن رحيل القوات البريطانية عن الجنوب العربى يبعد عن الثورة اليمنية أكثر أعدائها شراسة وضراوة، وانتهت أسرة حميد الدين وتمزقت، كما أن أسوار العزلة التى كانت مضروبة حول اليمن قد تحطمت.

وفى الاتفاق الذى عقده ناصر وفيصل فى الخرطوم، فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٧؛ كان الأساس هو أن توقف السعودية كل مساعداتها للأطراف اليمنية التى كانت تؤيدها. وفى المقابل تقوم الجمهورية العربية المتحدة بسحب جيشها من اليمن. وبعبارة أخرى، تأخر تنفيذ اتفاقية جدة الى ما بعد عدوان اسرائيل فى ١٩٦٧، مع اعتقاد فيصل أنه فى موقف قوة. إلا أنه فى الواقع كان مجبرا أمام الجماهير العربية على التخلى عن عناده، كما أجبر على تقديم الدعم لدول المواجهة مع اسرائيل. وتلك قصة أخرى أتناولها فى الفصل القادم.

وعموماً فإن الجمهورية العربية المتحدة لم تكن تسعى بتدخلها في اليمن إلى سيطرة، بل إنها كانت تقاوم التحكم من جانب المرتزقة الذين كانوا يقاتلون في اليمن ضد شعبها، وكذلك من جانب قوات الاحتلال البريطانية في الجنوب.

وقد غادرت قوات الجيش المصري صنعاء تنفيذاً لاتفاقية الخرطوم في ١٥ أكتوبر ١٩٦٧.

وعندما نحل ما حدث في اليمن لمدة أكثر من ٥ سنوات، يجب أن نأخذ في حسابنا الظروف السياسية التي كانت تسود العالم العربي وقتها. لقد كان ذلك في أعقاب مؤامرة انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في سبتمبر ١٩٦١، وفي أعقاب مؤتمر شتيرة في أغسطس ١٩٦٢، الذي اتخذ النظام الانفصالي في سوريا منبرا للهجوم على الحركة الوطنية العربية، وكان يبدو أن القوى المعادية للتقدم العربي تريد أن تخنق كل صوت ينادى بالتحرك العربي(١).

وفي ذلك الوقت جاءت ثورة اليمن، ووجدت نفسها مهددة من أعداء التقدم في العالم العربي والاستعماريين أصحاب المصالح في المنطقة. وفورا طلب قادة الثورة نجدة مصر، قائدة التيار العربي الثوري التقدمي.

وأجرى ناصر مشاورات حول هذا الطلب، وقال: "هل نترك الثورة اليمنية وحيدة يسهل ضربها؟ وماذا يحدث للحركة العربية العامة إذا؟!"

وكان الرأي أن الوقت لا يحتمل التردد وإلا ضاعت الثورة اليمنية، وأن تدخل بعض قوات الصاعقة وسرب واحد من الطيران يكفي!

وبهذا المنطق تدخلت مصر لنجدة الثورة في اليمن، فالزاوية القومية هي التي يجب أن ننظر منها إلى هذا الموضوع.

واستفز التدخل العسكري المصري الرجعية العربية، فناصره الملك سعود ومن بعده فيصل العدا، وحشدت القوات والعتاد مساندة للملكيين؛ مما أدى إلى زيادة القوات المصرية على مراحل حتى وصلت إلى ٧٠ ألف في نهاية ١٩٦٥. وكانت وجهة نظر ناصر أنه والشعب المصري لا يقبلون الهزيمة في اليمن.

ومن جانب آخر استعدى التواجد العسكرى المصرى فى اليمن الاستعمار البريطانى الذى خشى على قاعدته العسكرية الكبيرة فى عدن، وعلى ممتلكاته ومصالحه فى الجنوب العربى والخليج العربى.

---

(١) هيكل، "الحديث الرابع: حكايات المذابح.. اليمن - القضاء - حرية الصحافة"، ١١/٣/١٩٧٦، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

وبذلك تشعبت المواجهة مع الجيش المصرى فى الشمال والشمال الشرقى والجنوب، إلا أن هذا التواجد العسكرى المصرى لحماية الثورة اليمنية أحدث آثارا واسعة المدى فى المنطقة؛ فقد خرج الاستعمار البريطانى من شبه الجزيرة العربية، واستقل الجنوب العربى والخليج العربى.

كما كان من النتائج المباشرة لتطورات المعارك فى اليمن أن اضطر فيصل الى إجراء عملية تحديث فى المملكة العربية السعودية، بناء على نصيحة الولايات المتحدة، وذلك حفاظا على مصالحها هناك - وخاصة البترولية - التى ارتبطت ببقاء الأسرة السعودية فى الحكم؛ معتقدة أن ذلك هو الذى سيحقق الاستقرار والأمان!

وبالرغم من أن مصر فقدت ٥٠٠٠ شهيدا على تراب اليمن، إلا أن ذلك كان فداءا تطلبه الدور الريادى القومى والتحررى للجمهورية العربية المتحدة. كما أن التغييرات الجذرية التى حدثت فى هذه المنطقة ساعدت فى وضع استراتيجية عربية تكفل سيادة كاملة على البحر الأحمر، بأهميته الاستراتيجية الكبيرة كطريق يصل ما بين البحر الأبيض والمحيط الهندى، وكانت سلامة البحر الأحمر خطا استراتيجيا ثابتا فى كل عصور القوة المصرية منذ تحتمس الثالث الى عبد الناصر(١).

وقد تحقق هذا الهدف فعلا أثناء حرب التحرير ضد جيش الاحتلال الاسرائيلى فى ١٩٧٣ عندما عبر الجيش المصرى قناة السويس ليحرر سيناء؛ فقد قفل اليمنيون مضيق باب المندب فى جنوب البحر الأحمر لمنع السفن المعادية من العبور الى خط القتال فى القناة.

وفى الخاتمة.. لم يكن الصراع ضد الثورة فى اليمن إقليميا، ولكنه كان دوليا بمعنى الكلمة؛ فقد تعددت الأطراف؛ الولايات المتحدة وبريطانيا والاتحاد السوفيتى وإيران وتركيا، وبالتالي حلف

الأطلنطى، والدول العربية كافة، ثم أخيرا إسرائيل التى كانت تراقب استنزاف فيصل للقوات والأموال المصرية!

ويرجع كل ذلك الى الموقع الاستراتيجى الذى تحتله اليمن عند مدخل البحر الأحمر وبالتالي قناة السويس المعبر البحرى الهام، وعلى الحدود مع السعودية فى الشمال حيث مصالح البترول الأمريكية، ومع الجنوب العربى الذى تحتله بريطانيا والذى كان يكافح من أجل الاستقلال وتحقيق الجلاء عن القواعد العسكرية البريطانية.

---

(١) هيكىل، " .. الخطر فوق البحر الأحمر"، ٢٧/١٠/١٩٧٢، بصراحة، الأهرام، المرجع سابق.

يضاف الى ما سبق أن معركة اليمن كانت فى نفس الوقت صراعا بين الرجعية والاشتراكية، بين التقدم والتخلف، بين الحرية واستعباد الشعوب وامتصاص ثروتها.

والتاريخ سوف يقيم أكثر الدور المصرى فى اليمن وفى نصره شعبها ومساندته ضد حكم الإمامة الجاهلى، وضد تسلط حكام السعودية الراضين للتغيير، وضد سيطرة الاستعمار.

ولكن ما أتق فيه - ولمسته بنفسى - هو شعور أفراد الشعب اليمنى بالعرفان للشعب المصرى، وتقديرهم للتضحيات التى قدموها من دم أبنائهم. وقد تجلى ذلك فى النصب التذكارى الذى أقاموه رمزا لعلاقة المحبة الخاصة بين اليمن ومصر، وكذلك خصهم للشهداء المصريين مكانا بارزا فى العاصمة صنعاء، وقد كتبوا أسماءهم جميعا على لوحة الشرف.



ثالثا: مؤتمرات القمة العربية:

### ١- مؤتمر القمة العربي الأول في القاهرة ( من ١٣ الى ١٧ يناير ١٩٦٤):

دعا ناصر الى اجتماع الملوك والرؤساء العرب في خطابه في بورسعيد في مناسبة عيد النصر، في ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣؛ وذلك لمواجهة التحدي الاسرائيلي للعرب بمشروع تحويل مجرى نهر الأردن.

وكانت القاهرة قد شهدت قبل ذلك - من ٧ الى ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ - مؤتمرا لرؤساء أركان حرب الجيوش العربية(١)، الذي بحث نفس المشكلة، ولكن اتضح أن "موضوعا بهذا الشكل لا يمكن أن يقرر فيه رؤساء أركان حرب أى شئ؛ هذا موضوع سياسى قبل ما يكون موضوع عسكرى؛ العسكرية تابعة للسياسة في هذه الأمور". هذا ما قاله ناصر، ثم أضاف.. "إن موقفنا هنا في الجمهورية العربية المتحدة... وحتى نجابه اسرائيل التي تحدثنا الجمعة الماضية، والتي وقف رئيس أركان حربها وقال: «سنحول المياه غصبا عن العرب!»... أقول: لابد من أن يتم اجتماع الملوك والرؤساء العرب في أسرع وقت ممكن بصرف النظر عن الخصام والشجار؛ من نخاصمهم نحن مستعدين أن نجلس معهم، ومن نخانقهم؛ من أجل قضية فلسطين مستعدين أن نجلس معهم!"

وقال ناصر: "أقترح اجتماعا للملوك والرؤساء العرب، وسأرسل للجامعة العربية لتدعو لهذا الاجتماع في أقرب وقت ممكن... يجب أن يعالج موضوع نهر الأردن باجتماع يضم أكبر مسئولين في كل بلد من البلاد العربية؛ لأن القضية ليست قضية صغيرة، القضية قضية مصير"(٢).

ولقد تجاوبت الدول العربية مع نداء ناصر، وبرغم الجو العاصف وحرب اليمن، فإنه لم تتخلف عنه دولة عربية واحدة، وانهقد المؤتمر في القاهرة في مبنى جامعة الدول العربية، في ١٣ - ١٧ يناير ١٩٦٤.

ودائما ما تجرى في مثل هذه المؤتمرات مباحثات جانبية بين الحاضرين، وفعلا لقد قابل ناصر في ١٢ يناير؛ كل من الملك حسين وبن بيلا وعبد السلام عارف وأمير الكويت، وفي ١٥ يناير التقى مع الملك سعود(٣).

---

(١) محاضر مؤتمر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية، من ٧ الى ١٠ ديسمبر ١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.  
(٢) خطب وحوارات ناصر، ج٥، ص ٨٤٩ - ٨٧٤، مرجع سابق.  
(٣) محاضر اجتماعات الرئيس مع الملك حسين وبن بيلا وعبد السلام عارف وأمير الكويت في ١٢ يناير ٦٤، ومع الملك سعود في ١٥ يناير ١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

ففي اجتماعه بالملك حسين قال ناصر: "نحن نفتح صفحة جديدة، ومافات مات"، وعندما أثار الملك حسين قضية الوحدة العربية قائلا: "هى هدفنا جميعا"، علق ناصر.. "إن الوحدة أوسع من

الوحدة الدستورية... هناك تناقضات قد تكون اجتماعية أو سياسية، ولكنها موجودة ولا نعتبرها تصادمات، ونستطيع ألا نثير هذه التناقضات ونجتمع على هدف واحد.

وبالنسبة لفلسطين، نُحل بتقوية القوى العربية كلها، وإن شاء الله يكون هذا المؤتمر فاتحة خير، ولا بد من تضامن عربي كامل، إنه ضرورة لمواجهة الدول الاستعمارية واسرائيل".

ومضى الحوار كالآتي:

**حسين:** "هناك مخاطر كبيرة، وأولها.. إذا تمكنت اسرائيل من تحويل نهر الأردن. وإذا قامت اسرائيل بذلك وقمنا بإعلان الحرب؛ فستكون القوات الأردنية فى الطليعة!"

"لأنقدر أن نعلن الحرب؛ لأننا فى الحرب لا نستطيع أن نصل إلا الى نقطة معينة ونقف، **ناصر:** لابد أن تكون الحرب الى النهاية. بعد اجتماع رؤساء الأركان شعرت أن الموضوع صعب.. الموضوع ليس كرامة شخصية، ولكن هناك بعض الدول العربية لديها امكانيات حرب وليس لديها امكانيات مادية، وبلد عندها ناس وليس لديها امكانيات.

لقد قرأت المحاضر، فيه امكانيات حرب ولكن فيه استهانة بالوضع! وكان رأيى أن الدعوة [الى المؤتمر] لن تتجح، ولكن فكرت أنه آن الآوان بعد كل هذه الفترة أن نجتمع وننحى الخلافات. إن سياستنا واحدة فى الاجتماعات وفى العلقن أمام الناس.

التنسيق العسكرى، لابد أن تكون هناك قيادة موحدة. إن اسرائيل عندها قوة جوية ومساعدات من الغرب، ورأيى أننا لابد أن نستعد. هل يمكن أن نعلن حربا بدون حساب كل هذا، وبدون عمل قيادة موحدة؟! هل يمكن حساب القوات العسكرية للدول العربية؟!؟

**حسين:** "هل هناك طريقة لمساعدتنا عسكريا ودفاعيا، ويكون هناك اتفاق عربى بين الجميع"؟!

"سأكلم عبد السلام عارف.. الجيش العراقى تعب من موضوع الأكراد، وليس عندهم القوة **ناصر:** الكافية.

فيه ناس تقول إننى دعيت لهذا الاجتماع لإعلان الحرب! إن تحرير فلسطين هدف لنا، ولكن المشكلة ليست فى اسرائيل ولكن من هم وراءها. نحن لا نريد أن نقترح حربا، ولكننا نريد أن نقترح خطة بالنسبة لفلسطين، وما نستطيع أن نعمله".

"أى قرار نحن معكم". **حسين:**

"لابد أن نستعد". ناصر:

وفى نفس اليوم اجتمع ناصر مع عبد السلام عارف وجرى الحديث كالآتي:

"بالنسبة للمؤتمر، فى رأى أنه فرصة لحل المشكلات. ومن سماعى لإذاعة اسرائيل، هى ناصر: تمشى فى خططها والعرب لا فائدة!... الوضع أصبح يهدد الأمن العربى، وكل تكتيكات اليهود مبنية على الوضع العربى!"

"نحن مستعدين لأى نوع من الاتفاق تشير اليه، وهذا حديث أخوى من القلب. بالنسبة عارف: لخلافتنا مع الجزائر؟"

"أحمد بن بيلا قلبه مفتوح وجيد. وبالنسبة للمؤتمر الغرض ليس الحرب، للأسف الدول العربية تتعامل على أن فلسطين ضاعت! عملية مياه الأردن هى توسع اسرائيلى فى داخل حدود اسرائيل..."

نحن مقدمين اقتراحا؛ وهو عمل قيادة مشتركة، الاستعداد، بحث امكانيات الدول العربية. نحن فى ١٩٥٦ قوتنا كانت من إن العرب كانوا إيد واحدة."

ودار الحوار بن ناصر وين بيلا فى نفس الإطار وكذلك مع أمير الكويت..

"اليهود إذا استفردوا بالأردن سيقضون عليها، وكذلك سوريا. هل هناك قيادة موحدة أو ناصر: تخطيط؟!..."

الصباح: "نحن مستعدين لأى شئ"...

"نحن عندنا ١٠٠ مليون عربى، ممكن أن يكون هناك شئ مشترك بيننا". ناصر:

أما الحوار مع الملك سعود فقد جرى فى ١٥ يناير وحضره بن بيلا بناء على طلب ناصر، ولكنه لم يتكلم.

"بالنسبة لفترة الوحدة، ياريت نطوى هذه الصفحة(١)، نحن مع المصلحة القومية. القرار سعود: الذى سوف يتخذ سيكون من جامعة الدول العربية، وبالتالي نحن مع ذلك. نحن حضرناها ايجابيين لصالح القومية العربية، وهناك جهد مشكور للجمهورية العربية المتحدة."

---

(١) يشير الملك سعود الى مؤامره على حياة ناصر التى جند فيها عبد الحميد السراج، وما تلاها.

"أساس هذه الدعوة هو تصفية الخلافات والمشاكل التي تؤثر على العالم العربي كله. لقد ناصر: اتضح لنا أن هذا الجو يساعد إسرائيل، وكلامهم أن العرب لا يفعلون شيئا إلا الكلام، والسبب فينا!

نجلس ونبحث إمكانياتنا، القوات التي نحتاجها، والتمويل الذي نريده، وطوبنا هذه الصفحة من الكلام والإذاعات. نبدأ صفحة جديدة؛ موضوع الأردن صُفي، وموضوع السعودية كذلك. بالنسبة لليمن، نريد أن ترجع علاقاتنا كما كانت وأحسن".

وبدأ المؤتمر، في حين أن أصوات المزاييدات راحت تطالب بهجوم شامل على مشروعات إسرائيل لتحويل مياه الأردن وتدميرها، وقف ناصر قائلاً: "إذا كنا نقول إننا لا نملك المقدرة على عمل دفاعي يحمي مشروعاتنا على أراضيها، فكيف نفكر في عمل هجومي يدمر مشروعات إسرائيل على الأرض التي تحتلها من سنة ١٩٤٨؟!".

واقترح ناصر أن يبدأ العرب بدراسة ما لديهم من مشروعات لاستغلال مياه نهر الأردن على الأرض العربية، ثم ليباشروا بعد ذلك تنفيذ هذه المشروعات ويحولوا المياه الى أراضيهم. وفي نفس الوقت ليبدأ العرب ببناء قدرة دفاعية تستطيع أن تمارس الحق المشروع في الدفاع عن كل ما بينوه فوق أراضيهم.

وتقدمت مصر بثلاثة اقتراحات محددة:

- ١- إنشاء هيئة عربية لدراسة ومباشرة تنفيذ مشروعات نهر الأردن في سوريا ولبنان والأردن، وتكون تحت تصرفها اعتمادات مالية للدراسة والتنفيذ تتحمل الدول العربية كل مسؤوليتها.
- ٢- إنشاء قيادة عربية موحدة ترسم خطة لحماية المشروعات العربية، وتكون بها قوات تعمل تحت قيادتها.
- ٣- إسهم الدول العربية كلها في تسليح الدول الأكثر تعرضاً لعدوان إسرائيل على مشروعاتها لتحويل مياه نهر الأردن.

وبعد ثلاثة أيام من المناقشات، تم الاتفاق بين الملوك والرؤساء العرب على إنهاء الخلافات وتتيقن الجو العربي من جميع الشوائب، وإيقاف جميع الحملات الدعائية.

ومن الناحية العسكرية، تقرر إنشاء قيادة عربية موحدة لجيوش الدول العربية، على أن يكون القائد العام لمجلس القيادة من الجمهورية العربية المتحدة، وتقوم حكومتها بتعيينه، وعليه أن يختار رئيس الأركان الذي يعاونه في عمله. وفي الاجتماع السرى للملوك والرؤساء العرب في ١٧ يناير ١٩٦٤، قال ناصر: "إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة تعين الفريق على عامر قائدا عاما. وقد تقرر أيضا أن يكون مقر القيادة في المكان الذي يختاره القائد العام، وكان في القاهرة.

كما تم في نفس الجلسة السرية الموافقة على قرار اللجنة الخاصة بنهر الأردن المجتمعة في ١٣ يناير، وتنفيذ توصياتها بالعمل على استغلال نهر الأردن وروافده، وإنشاء هيئة خاصة لها الشخصية الاعتبارية في إطار الجامعة العربية؛ يكون لها مجلس إدارة برئاسة أمين عام جامعة الدول العربية.

وتقرر أيضا إقامة كيان فلسطيني، واعتماد أحمد الشقيري كمثل لدولة فلسطين في الجامعة العربية. وكذلك تشكيل لجنة خاصة برئاسة الأمين العام للجامعة؛ تقوم بمتابعة تنفيذ قرارات المؤتمر. وفي الختام تمت الموافقة على قرار بأن يجتمع الملوك والرؤساء العرب مرة على الأقل كل سنة(١).

وتداعت بعد مؤتمر القاهرة عدة مؤتمرات؛ قمة الإسكندرية في سبتمبر ١٩٦٤، والدار البيضاء في سبتمبر ١٩٦٥، ثم تعثرت الاجتماعات وتوقفت، الى أن عقد مؤتمر القمة العربي في الخرطوم في ٢٦ أغسطس ١٩٦٧ بعد العدوان الاسرائيلي على الدول العربية في ٥ يونيو.

ولكن قبل أن ننقل الى تحليل ما حدث في المؤتمرات التالية ينبغي أن نجاب على السؤال.. ماذا تحقق من المؤتمر الأول؟

بالنسبة لتتقية الجو العربي، نجح في بعض المواقع؛ مثل إنهاء الصدام بين المغرب والجزائر، ووضع حد للخلاف مع تونس؛ فقد دعا بورقيبة ناصر الى بنزرت، وقام بخطوة اشتراكية ضخمة بتأميم أراضي المستوطنين الفرنسيين.

ولكن من جانب آخر لم يحدث أى تقدم في علاقات المملكة العربية السعودية باليمن، ولم يشترك الأمير فيصل في اجتماع القاهرة الأول وإنما حضر الملك سعود فقط، ولم يهدأ العمل السعودي ضد الثورة اليمنية. ولكن برغم كل هذا فالحصيلة ايجابية(٢).

---

(١) محضر الاجتماع السرى للملوك والرؤساء العرب، ١٧ يناير ١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) هيكل، الأهرام، بصراحة، ٢٢ ديسمبر ١٩٧٢، "رحلة الى عصر جديد.. الصراع والرؤية التاريخية"، مرجع سابق.

## ٢- مؤتمر القمة العربي الثاني فى الإسكندرية ( من ٥ - ١١ سبتمبر ١٩٦٤):

قبل عقد المؤتمر أرسلت الولايات المتحدة الى ناصر، أنها ترغب فى أن تعرب عن قلقها أن التطورات الناتجة عن مؤتمر القمة العربى الأول؛ ممكن أن تؤثر بعمق على التوازن السياسى والعسكرى فى الشرق الأوسط، إذا استمروا فى نفس الخط. وإذا كان فى مؤتمر يناير الأول قرر القادة العرب بحكمة ضد الحرب تحت قيادة الجمهورية العربية المتحدة، فإن بعض الإجراءات التى اتفق عليها تقود الى خطر الحرب وعدم الاستقرار فى الشرق الأوسط. وهذا يتضح خاصة فيما يتعلق "بالقيادة العربية الموحدة"، وبرنامج التسليح الذى تبناه المؤتمر.

وانتقدت الولايات المتحدة التصريحات العربية بخصوص تحويل مياه الأردن، وكذلك إنشاء الكيان الفلسطينى؛ فقد ارتفعت توقعات اللاجئين الفلسطينيين الذين تساعدهم الحكومة الأمريكية. وادعت أن هذه الأموال تذهب الى شراء الأسلحة للقيادة العربية الموحدة بدلا من برنامج التنمية الاقتصادية! وكانت الولايات المتحدة تخشى أن إجراءات الدفاع عن النفس لا تكون كبيرة؛ بحيث تؤدى الى المخاطرة بالعدوان أوزيادة سباق التسلح فى الشرق الأوسط(١).

وقد عقد مؤتمر القمة العربى الثانى ثمانى جلسات سرية (٢)، ناقش فيها الملوك والرؤساء العرب قضية فلسطين والكيان الفلسطينى، والمشروعات العربية لاستغلال نهر الأردن وروافده، والدفاع العربى والقيادة العربية الموحدة وانضمام باقى الدول العربية الى معاهدة الدفاع المشترك(٣)، والاستعمار البريطانى فى العالم العربى، وقضية تحرير الجنوب المحتل وعمان.

وقد بدأت الجلسة السرية الأولى فى ٥ سبتمبر ١٩٦٤، بتقديم كشف حساب عن ماتم تنفيذه من قرارات مؤتمر القمة العربى الأول. فمن الناحية السياسية، أنهى الخلافات وتمت تصفية الجو العربى وتم إيقاف جميع حملات أجهزة الإعلام، كما جرى التوقيع على اتفاق فى ١٩ فبراير بحل النزاع الجزائرى - المغربى على الحدود(٤)، وتبعه استئناف العلاقات الطبيعية بين البلدين.

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Aug. 24, 1964.

(١)

(٢) محاضر الجلسات السرية لمؤتمر القمة الثانى بالإسكندرية، ٥، ١١ سبتمبر ١٩٦٤، فى ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٣) معاهدة الدفاع المشترك بين الدول العربية، عقدت في ١٩٥٠، وانضمت إليها مصر، الأردن، سوريا، العراق، السعودية، فلسطين، لبنان، اليمن، الكويت، ليبيا، تونس، السودان، الجزائر، البحرين، قطر، الصومال، الإمارات، نصها في ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

بسبب مشاكل من عام ١٩٦٣ في أكتوبر والجزائر حرب الرمال: هو صراع مسلح وحرب اندلعت بين المغرب (٤) حدودية، استمرت لأيام معدودة. توقفت المعارك في ٥ نوفمبر؛ حيث انتهت بوساطة الجامعة العربية ومنظمة في الوحدة الأفريقية. قامت المنظمة الإفريقية بإرساء اتفاقية لوقف نهائى لإطلاق النار في ٢٠ فبراير ١٩٦٤ عاصمة مالي، ولكنها خُفّت توترا مزمنًا في العلاقات المغربية الجزائرية. مدينة باماكو

وفي ٢٨ فبراير تمت عودة العلاقات الأخوية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية(١). وفي ٤ مارس عادت العلاقات السياسية بين السعودية والجمهورية العربية المتحدة، وكانت قد قطعتها السعودية في ٦ نوفمبر ١٩٦٢؛ بسبب مساندة الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية، وفي ٢٨ يوليو تم اعتراف الأردن بالجمهورية العربية اليمنية. وفي ٢٦ مايو وقعت اتفاقية التنسيق الحدودى بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، وفي ١٣ يوليو وقعت اتفاقية مماثلة بين الجمهورية العربية المتحدة واليمن.

ومن الجانب العسكرى، تم إنشاء "القيادة العربية الموحدة"، وحددت المبالغ اللازمة لتعزيزات العسكرية فى سوريا والأردن والعراق والسعودية.

أما المسائل الأساسية المعروضة فى المؤتمر الثانى فكانت؛ تعزيز الدفاع العربى، وانضمام سائر الدول العربية الى معاهدة الدفاع العربى المشترك.

وقد قامت "هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده" بتجهيز المشاريع التنفيذية فى الأردن وسوريا ولبنان، وكان من المتوقع إنجاز الأعمال النهائية فى نهاية عام ١٩٦٦.

وبالنسبة للكيان الفلسطينى، مثل أحمد الشقيرى فلسطين فى الجامعة العربية، وكان قد عُقد المؤتمر الفلسطينى فى ٢٨ مايو وافتتحه الملك حسين، وأُعلن فيه قيام "منظمة التحرير الفلسطينية"، وانتخب الشقيرى رئيسا لها.

كما تم فى نفس المؤتمر توقيع اتفاقية الوحدة الاقتصادية، وإنشاء المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة.

ومن ناحية أخرى قدم على عامر، القائد العام "للقيادة العربية الموحدة" تقريراً أوضح فيه أن احتمال قيام اسرائيل بعمل عدوانى على أى دولة عربية مجاورة لها هو احتمال قوى يجب الإعداد لمقابلته. وطالب بزيادة القوات البرية والقوات الجوية وحشد القوات فى الدول العربية المجاورة لاسرائيل، واستعدادها قبل بدء عمليات تحويل نهر الأردن.

وبدأت المزيادات فى الجلسة السرية الثانية فى ٦ سبتمبر، من جانب وفد النظام السورى،

وجرت على النحو التالى:

"فى المؤتمر السابق كلفت القيادة العربية الموحدة أن تضع خطة تعرض على الملوك أمين الحافظ(٢):  
والرؤساء؛ عرضها الرئيسى إزالة اسرائيل من الوجود!"

---

(١) قررت مصر مساندة الجزائر فى حرب الرمال ووقفت معها، وفى يوليو ١٩٦٣ استقبلت القاهرة المعارض السياسى المغربى المهدي بن بركة، وفى أكتوبر من نفس العام أغلقت السلطات المغربية مركزى البعثة الثقافية المصرية فى الرباط وفاس.

(٢) رئيس سوريا من حزب البعث.

"بينما فى المؤتمر الأول ما هى الدوافع التى أعلنت بسببها الدعوة... فحينما إطلعت على ناصر: محاضر رؤساء أركان حرب الجيوش العربية شعرت أن قضية فلسطين تضيع، وأن العمل العربى الجماعى أصبح لا حول له ولا قوة، الى أن ثبت من المناقشات التى دارت فى هذه الاجتماعات أن العرب غير قادرين على العمل فى داخل حدودهم خوفا من اسرائيل!

وعللت الأسباب فى هذه الاجتماعات الى جو الخلافات العربية، وفعلا شعرت أن لابد أن نعمل بسرعة حتى نعيد إمكانية العمل الجماعى العربى؛ حتى نستطيع أن ندافع كلنا عن أى بلد عربى يتعرض للعدوان.

وكان الهدف من هذه الدعوة الأولى هو تعزيز الدفاع العربى ضد أى عمل عدوانى من اسرائيل؛ إذاً هذه المرحلة هى مرحلة تعزيز الدفاع العربى. وليس هناك ما يمنع أبدا فى أن نبحث فى القضاء على اسرائيل، ولكن هذا له تقدير آخر.

إننى لم أعلن أننا سنجتمع لمنع تحويل نهر الأردن؛ فالعملية ليست هجوماً ومنع، ولكن هى عملية نقص فى الدفاع عن حدودنا؛ بحيث أننا لا نستطيع أن نعمل فى داخلها! قبل أن نتكلم على الهجوم لابد أن نكون على ثقة كاملة من أننا سنستطيع الدفاع! وفى رأى أن هذه هى الخطوة الأولى التى يجب أن يتجه فيها بحثنا لمواجهة اسرائيل، ثم بعد هذا نستطيع أن نبحث ونخطط وأن نحسب المطلوب للقضاء على اسرائيل."

"ما أذكره أن هناك خطة توضع فى مدة زمنية محددة لإزالة اسرائيل من الوجود، وكنا الحافظ: ننتظر أن تكون موجودة وتدرس فى سنة أو سنتين! نحن لم نأت لتعزيز الدفاع، بل لوضع خطة بالتعاون مع إخواننا العرب لمنع اسرائيل من التحويل بالوسائل السياسية والاعلامية والعسكرية."



"الجامعة العربية من سنة ٦٠ تطالب بتحويل الروافد، وتشكيل القيادة العربية الموحدة. ناصر: حدثت عدة اجتماعات للمجالس العسكرية والسياسية ولم يتم شيئاً، ولم يكن هناك شيئاً لمنع اسرائيل من التحويل! ولكن كان الكلام عن تحويل الروافد، ثم القيادة العربية الموحدة، هذا فى ١٩٦٠ - ٦٣.

ولما اجتمع رؤساء أركان الحرب العرب، قال الوفد السورى واللبنانى: إنهما لا يستطيعان تحويل نهر بانياس؛ لأن ذلك قد يدفع اسرائيل لأن تحتلها! إذاً الموضوع لم يصبح منع اسرائيل من أن تحول نهر الأردن، ولكنه أصبح قدرتنا على الحركة داخل حدودنا!

وكان من الواضح بعد قراءة هذه المحاضر [اجتماعات رؤساء أركان حرب الدول العربية]؛ أننا لن نكون قادرين على الحركة فى داخل حدودنا، إلا إذا تم شئ يمكن من العمل العربى الجماعى؛ أن تكون الجيوش العربية المتاخمة لاسرائيل-العراق وسوريا والأردن ولبنان والجمهورية العربية المتحدة - لها قيادة واحدة.

على هذا الأساس بدأ البحث ووجهنا الدعوة، ولم نقل فى كتاب الدعوة منع تحويل نهر الأردن؛ لأن منع تحويل نهر الأردن يحتاج الى عمل هجومى. كيف نستطيع ذلك، ونحن فى نفس الوقت نحذر من أننا إذا قمنا بعمل مشروع فى داخل أراضينا قد تواجهنا اسرائيل وتحتل هذه الأراضى؟!!

إذاً فى عملنا العسكرى واجبنا الأول أن نكون قادرين على حرية العمل فى داخل حدودنا، وأن نكون قادرين على أن نوقف أى عدوان اسرائيلى، ونوجه له الضربة المضادة.

نحن الآن نبحث فى - بعد أن تكونت القيادة - هل سنحول الروافد؟ هل سنعزز الدفاع العربى؟ هل المبالغ كافية أم غير كافية؟ هذا فُرر فى المؤتمر الماضى، وهو لا يمنع أبداً من أن يُبحث تقدير موقف كامل عن كيف يمكن للدول العربية أن تقضى على اسرائيل".

"نحن رضينا بتحويل الحصبانى فى الماضى؛ على أساس أن هناك خطة توضع خلال الحافظ: زمن محدد تزول فيها اسرائيل! أما إذا كانت القصة هى تحويل [نهري] البانياس والحصبانى وهدر الأموال؛ فرأينا غير ذلك! الجيش السورى لا يخاف أبداً من اسرائيل!"

"لازالت هناك أزمة عدم ثقة فى العالم العربى يجب أن نقضى عليها. إن اسرائيل لو شعرت بأننا سنقوم بعمل جماعى عربى إذا اعتدت على لبنان وسوريا أو الأردن أو الجمهورية العربية المتحدة، ستفكر مرات قبل الهجوم. ما هو الرادع لاسرائيل؟ لن يكون هناك رادعا

لاسرائيل إلا بالعمل الجماعي العربي. إذاً نحن في حاجة الى أن نحدد هدفنا وطريقنا، والقضاء على أزمة الثقة الموجودة بالمناقشات".

وفي الجلسة السرية الرابعة لمؤتمر القمة العربي في ٧ سبتمبر، تحدث ناصر كالاتي: "أرى قبل الاستطرد في المناقشات أن نحدد ما هو الهدف، فالواضح من المناقشات أن هناك وجهات نظر وتفسيرات متباينة بالنسبة لقرارات مجلس الملوك والرؤساء في الدورة الأولى. ونحن نعتقد أننا قررنا في الدورة الأولى تعزيز قوات الدول العربية المتاخمة لاسرائيل؛ حتى تكون قادرة لأن تتصدى لأي عدوان اسرائيلي، وفي نفس الوقت قادرة على أن تصد هذا العدوان بعمليات تعرضية على اسرائيل.

وفي القرار الأول من مجلس الملوك والرؤساء فقرتين؛ اعتبار أن قيام اسرائيل هو الخطر الأساسي الذي أجمعت عليه الأمة العربية، وهذا أمر متفق عليه جميعا. والى أن وجود اسرائيل خطر يهدد الأمة العربية؛ لذلك فإن على الدول العربية أن تضع الخطوات اللازمة لمعالجة الجوانب الاقتصادية والسياسية والإعلامية، ولم يذكر العسكرية".

واستطرد ناصر قائلا: "وأذكر أنه عندما ناقشنا هذه الفقرة، وناقشنا في هذا الاجتماع النواحي العسكرية واستبعدنا أن يشتمل البيان عليها؛ حتى إذا لم تتحقق النتائج المطلوبة من العمل السياسي والاقتصادي والإعلامي، كان الاستعداد العسكري العربي الجماعي القائم بعد استكمال هو الوسيلة الأخيرة العملية للقضاء على اسرائيل نهائيا.

وفي فهمي أن هدفنا الأول هو استكمال الدفاع.. هو حماية مشاريع تحويل الروافد، وأن الغرض من ذلك هو حرمان اسرائيل من استخدام مياه الأردن التي تحولها الآن، ومنع اسرائيل من التوسع.

أما الهدف البعيد الذي نفكر فيه جميعا منذ عام ١٩٤٨ هو القضاء على اسرائيل وعودة فلسطين.

إن الواجب علينا أن نحدد ما هو هدفنا، وإذا كانت هناك أهداف متعددة أن نحدد ما هو الهدف الأول والثاني والثالث، ثم بعد ذلك مناقشة الأهداف؛ وذلك حتى يأتي هذا الاجتماع بنتائج إيجابية".

وفي الجلسة السرية الخامسة في نفس اليوم، جرت المناقشة كالاتي؛ ردا على مقترحات الوفد السوري؛ أن تعتبر التعزيزات العسكرية كمنطلق لوضع خطة نهائية من أجل القضاء على اسرائيل في المستقبل القريب.

"عندما اجتمعنا في المؤتمر الأول لم يكن هناك عمل عربي جماعي أو عسكري موحد، ناصر: نحن بدأنا ذلك في يناير ١٩٦٤، قبل هذا كانت الاجتماعات حبر على ورق! وقد بدأ العمل

العربى الجماعى بتشكيل القيادة العربية الموحدة وتعيين قائد عام لها، وكلف بتحويل الروافد وتعزيز الدفاع العربى. هذا هو الهدف الأول، كيف يمكن أن نهاجم قبل أن نستكمل قدرتنا على الدفاع؟! وهذا ما قدر له مبلغ ١٥٠ مليون حنيه استرلينى.

المرحلة الثانية نقدر مستلزماتها، ثم نبحت هذا التعزيز بعد أن يضعه القائد العام للقوات العربية الموحدة، قد يكون بعد سنة أو ١٠٠ سنة!"

"بعد ١٠٠ سنة تكون فلسطين ضاعت!" **صوت:**

"بعد ٣ أو ٤ سنوات، طبعاً الكل يتمنى أن نكون قادرين على الدخول فى هذه المعركة، **ناصر:** ولكن هناك عقبات كلنا يعلمها، إنما إذا كان العمل العربى الموحد يسير فى الشكل الصحيح سيكون هناك تفوقاً".

"نحن نريد وضع إبادة اسرائيل كهدف واضح، ونريد الاتفاق على الهدف!" **صوت:**

"نحن لا تهمنا حرب الأعصاب وخلافه". **الحافظ:**

"إن الجمهورية العربية المتحدة ليست طرفاً فى حرب الأعصاب ولا المناورات؛ بدليل أننا لا نريد أن تنتهى هذه الاجتماعات إلا إذا كانت هناك وحدة فكر. وكنا نستطيع أن نتجاهل كل ما قيل من الوفد السورى ونسير فى طريقنا، ولكن كنا نشعر أن هذا هو الخطر؛ لأننا كنا نشعر أننا سوف نحضر فى الاجتماع القادم بنفس عدم الاتفاق. إذا كان الأخ أمين يقصدنا بحرب الأعصاب! فنحن خالصى النية، ونريد أن نكون على وفاق كامل حتى نسير فى طريقنا".

وفى الجلسة السرية الثامنة، وافق أمين الحافظ على الاتفاق على الغرض والهدف الذى قدمته الجمهورية العربية المتحدة.

وقد اقترحت الجمهورية العربية المتحدة أن تنفذ جميع مقررات الدورة الأولى لمجلس الملوك والرؤساء العرب فى جميع الميادين الفنية والعسكرية والسياسية والاقتصادية، وفى مقدمتها المشروعات العربية لاستثمار مياه نهر الأردن وروافده.

كما يستلزم تحقيق الهدف القومى النهائى لتحرير فلسطين؛ استكمال القوة العربية وحشد جميع الطاقات العربية العسكرية والاقتصادية والسياسية، وأن تضع القيادة العامة الموحدة خطة تفصيلية لتنفيذ هذا الهدف وما يستلزمه من معدات وأموال ووقت، وأن تبين كل دولة مقدرتها على تقديم العون البشرى والمالى؛ لاستكمال قوات الدول العربية المحيطة باسرائيل التى تحتاج الى هذا العون.

"تعديل على اقتراح وفد الجمهورية العربية المتحدة.. هدف قومي نهائى وهو القضاء على صوت: اسرائيل، يعدل الى؛ وضع خطة تقدم الى مجلس الدفاع المشترك أو مجلس الملوك والرؤساء؛ تحدد فيها المدة التي يجب أن يتم فيها القضاء على اسرائيل كمدة قصوى".

"هذا الكلام مبين فى اقتراح الجمهورية العربية المتحدة". ناصر:

"المدة"؟ صوت:

"أيضا المدة تتوقف على الامكانيات وعلى القدرة. رأى أن تقدير الموقف الذى سيعده القائد ناصر: العام سيشمل حلولا تبادلية".

"تكلف القائد العسكرى بتقدير موقف فى حالة هجوم وليس دفاع". صوت:

"ملاحظة من حيث الشكل.. نحن عرضنا اقتراحا وتمت الموافقة عليه، بعد ذلك يقدم الوفد ناصر: السورى اقتراحا بالنسبة للقوات أو الخطة، ثم يقدم الوفد التونسى اقتراحا خاصا بهيئة سياسية تضطلع ببلورة الخطر الاسرائيلى، وتكون منبثقة من مؤتمر الملوك والرؤساء العرب، وتقوم مقام المؤتمر ما بين اجتماع دوراته. وبالتالي نكون قد غطينا خلافا طويلا منذ المؤتمر الأول حتى هذا المؤتمر".

وقد كتب ناصر بخط يده ملاحظات عن مؤتمر القمة العربى وقراراته.. "كان اجتماع مجلس ملوك ورؤساء الدول العربية فى دورته الأولى، نقطة تحول فى ميدان العمل الجماعى العربى. تعزيز الدفاع العربى: نهوض الدول العربية بمسئولياتها فى الدفاع عن المنطقة، تعزيز الجيوش العربية المحيطة باسرائيل وسائر الجيوش العربية.

هيئة استغلال مياه نهر الأردن وروافده: مهمتها تخطيط وتنسيق وملاحظة تنفيذ المشروعات العربية فى هذا الشأن (٦،٢٥٠،٠٠٠ جنيه استرلينى)، مشاريع الاستثمار الآجلة (٦٥ مليون جنيه استرلينى). الدراسات التفصيلية لبعض أجزاء المشروع أصبحت جاهزة للبدء فى التنفيذ (فى سوريا ولبنان والأردن)".

وقد نص بيان مجلس القمة العربى على الإجماع على تحديد الهدف القومى فى تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى، كما رحب بقيام منظمة التحرير الفلسطينية واعتمادها ممثلة للشعب الفلسطينى، وإنشائها جيش التحرير الفلسطينى. كما حيا المجلس كفاح الشعب العربى فى الجنوب العربى المحتل وعُمان ضد الاستعمار البريطانى، وقرر تقديم معونات للتخلص منه. وأخيرا أقر المؤتمر التعاون العربى فى البحوث الذرية لخدمة الأغراض السلمية(١).

وفى الواقع فإن هذا المؤتمر قد نجح كما نجح المؤتمر الأول، وذلك بالرغم من موقف لبنان بعدم قبول دخول قوات عربية أخرى الى أراضيه؛ لاستكمال قدرته للدفاع عن نفسه ضد أى تعرض إسرائيلى له، عندما تبدأ الأعمال التنفيذية للمشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الأردن.

وكان ناصر يرى بقبول وجهة النظر اللبنانية، رغم ضيق بعض من حضروا المؤتمر بتحفظات لبنان. لقد كانت المسألة فى نظره - أولاً وقبل كل أى شئ - عروية لبنان وضرورة المحافظة عليها، وتمكينها من النمو الطبيعى بغير ضغط أو إكراه.

---

(١) نص قرارات مؤتمر القمة العربى الثانى بالإسكندرية، ٥ - ١١ سبتمبر ١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وبينما أن كثيرين كانوا يتوقعون أن يتحول المؤتمر الى صدام بين الذين يملكون البترول وبين الذين لا يملكونه، إلا أن البترول العربى إذا لم يكن فى هذه المرحلة مستعداً لممارسة دوره كاملاً، فإنه على الأقل قد بدأ يعى بأن له فى المعركة دوراً(١).

### ٣- مؤتمر القمة العربى الثالث بالدار البيضاء ١٣ - ١٧ سبتمبر ١٩٦٥:

عقد هذا المؤتمر أيضاً فى جو عربى مشحون بسبب قضية فلسطين؛ فالسوريون يذهبون الى حد طلب إزالة إسرائيل فى المستقبل القريب، وبورقيبه يدعو الى الصلح معها والتنازل عن حقوق العرب فى فلسطين(٢)!

وكان هذا هو ما دفع ناصر أن يقول أثناء زيارته فى موسكو فى أغسطس ١٩٦٥، قبل بداية مؤتمر القمة العربى: "مالم تتوقف عمليات المتاجرة بالمزايدة وبالمناقصة فى قضية فلسطين، فإن الجمهورية العربية المتحدة تجد نفسها مرغمة على الانسحاب من سياسة مؤتمرات القمة! متحملة وحدها إذا اقتضى الأمر مسئولياتها التاريخية حيال النضال العربى، وقضية فلسطين فى المقدمة منه"(٣).

وبرغم المعوقات، نجح مؤتمر الدار البيضاء - وكان يرأسه ناصر - الذى مارس دوره بلا مجاملة ولا تحرج! وقد تمكن فى إحدى جلسات المؤتمر أن يجمع أكثر من مائة مليون جنيه استرلينى إضافية، تكفلت بمعظمها دول البترول العربية؛ وذلك استجابة لمطالب على عامر - القائد العام للقيادة العربية الموحدة - فى تعزيز الدفاع العربى عن الأردن وسوريا ولبنان.

وقد حدثت مفاجأة في العراق قبل المؤتمر بعشرة أيام، حيث قام عارف عبد الرزاق (٤) بمحاولة انقلاب ضد عبد السلام عارف أثناء وجوده في الرباط، وأدى ذلك الى مزيد من المشكلات التي واجهت المؤتمر.

---

(١) هيكل، الأهرام، بصراحة، ١٩٦٥/٩/١٨، "عن المؤتمر.. وبعد المؤتمر"، مرجع سابق.

١٩٦٥، دعا الرئيس الحبيب بورقيبة اللاجئين الفلسطينيين إلى عدم التمسك بالعاطفة، وإلى مارس (٢) في ٣ الاعتراف بقرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ مع اسرائيل. وفي ٢٨ ابريل ١٩٦٥، تعلن الحكومة التونسية سحب كل أعضاء سفارتها في القاهرة.

(٣) هيكل، الأهرام، بصراحة، ١٩٦٥/٩/١٧ "من على شاطئ المحيط عند الغرب"، مرجع سابق.

(٤) عارف عبد الرزاق، رئيس وزراء العراق في عام ١٩٦٥.

ولكن قد خرج من المؤتمر؛ ميثاق التضامن العربي، الذي ركز على سلوكيات الإعلام العربي، ونص على وقف حملات التشكيك بين البلاد العربية (١). وكانت باقى قرارات المؤتمر استمرارا لتنفيذ ماوافق عليه الملوك والرؤساء فى المؤتمرين السابقين؛ وخاصة ما يتعلق بدعم القضية الفلسطينية بكل جوانبها السياسية والعسكرية والاقتصادية، بالإضافة الى مساندة الحركة الوطنية فى الجنوب العربى المحتل.

وكان ناصر يعلم يوم دعا الى مؤتمر القمة العربى الأول أنه لن يقضى على التناقضات بين الرجعية والتقدمية فى العالم العربى، ولن يوقف الصراع بينهما. وفى نفس الوقت من المعروف أن اسرائيل والغرب لم يرحبوا بمنظمة التحرير الفلسطينية، وهى من ثمار مؤتمر القمة، كما لا يستريحون لقيام القيادة العربية الموحدة، ولا مخططات التسليح العربى.

ووصل ناصر الى قناعة أن "الرجعية استفادت نتيجة مؤتمرات القمة من المهادنة، ولكن أيضا قضية فلسطين استفادت من الخطة الموحدة للعمل العربى من أجل فلسطين" (٢).

ومع عام ١٩٦٦ بدأت تظهر من جديد بوادر الصدام، حيث فشل التعايش السلمى بين القوى التقدمية وقوى الرجعية فى العالم العربى. وشعر ناصر أنه لا يطمئن الى وحدة الصف مع الرجعية التى تتاجر بالدين الاسلامى تحت اسم المؤتمر الاسلامى. وكان رأيه أنها عملية سياسية الغرض منها وضع العالم العربى داخل مناطق النفوذ الاستعمارية، وأنها موجهة بالدرجة الأولى ضد الجمهورية العربية المتحدة (٣).

وفى نفس الوقت تأمرت الرجعية العربية - بقيادة الملك فيصل - رغم مؤتمرات القمة على ثورة اليمن؛ مما دفع ناصر الى أن ينذر أنه سيضرب قواعد العدوان، كما تأمرت أيضا على ثورة الجنوب العربى، وتواطأت مع الانجليز.

وقال ناصر: "إذا لقد انتهزت الرجعية فرصة مؤتمرات القمة لتتآمر ضد القوى الوطنية العربية... إذا يحق لنا أن نبحث هل فعلا مؤتمرات القمة حققت الهدف منها؟... وسألنا أنفسنا ما الجدوى أن نذهب ونحضر المؤتمر فى هذا الجو؟..."

---

(١) نص ميثاق التضامن العربى، ١٥ ديسمبر ١٩٦٥، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) المؤتمر الصحفى لناصر مع وفد الصحفيين العراقيين بقصر القبة، ١٨/٢/١٩٦٦، المرجع السابق، ج٣، ص ٣٢ - ٤٨، المرجع السابق.

(٣) خطاب ناصر فى المؤتمر الشعبى بدمنهور، ١٥/٦/١٩٦٦، المرجع السابق، ج٣، ص ٢١١ - ٢٣٥. المؤتمر الاسلامى ص من الكتاب.

نحن لا نستطيع أن نجلس مع هذه القوى الرجعية فى مؤتمرات قمة قادمة، وإلا معنى هذا أننا نعطيهم رد اعتبار رغم التهم المسلطة والملقاة فوق رؤوسهم! معنى هذا أن الجمهورية العربية المتحدة لن تذهب الى مؤتمر القمة القادم، ولكن ليس معنى هذا أننا انسحبنا من مؤتمرات القمة. لقد طلبنا من الدول العربية... أن يؤجل مؤتمر القمة الى أجل غير مسمى... ونحن بعد هذا سوف نتعاون فى إطار الجامعة العربية وخارجها مع الذين نشعر أننا على صلة بهم من وحدة الهدف" (١).

لقد كان من المقرر أن يعقد مؤتمر القمة العربى الرابع فى الجزائر فى سبتمبر ١٩٦٦، ولكن تم تأجيله الى أجل غير مسمى.

---

(١) خطاب ناصر فى العيد الرابع عشر للثورة من استاد الإسكندرية، ١٩٦٦/٧/٢٦، المرجع السابق، ج٣، ص ص  
٢٧٤ - ٢٨٩.



## رابعاً: قضية الجزائر:

### ١- دور مصر فى ثورة الجزائر:

لعبت مصر دوراً أساسياً فى مساندة الثورة الجزائرية؛ فمدتها بالسلاح، وأيدتها معنوياً فى العالم. وقد قاوم الجزائريون المحتلين الفرنسيين بشراسة؛ حتى سميت ثورة المليون شهيد. وانتهت تضحيات الشعب الجزائرى بتنازل فرنسا بقيادة الجنرال ديغول، الذى وصل الى الحكم على يد الجنرالات الفرنسيين اليمينيين فى مايو ١٩٥٨، وحصول الجزائر على استقلالها بعد استفتاء الشعب الفرنسى فى ٨ إبريل ١٩٦٢.

ولقد بدأت مصر بإرسال أول شحنة من الأسلحة الى الجزائر قبل بدء الثورة فى سنة ١٩٥٤، وقابل ناصر بن بيلا لأول مرة فى نفس العام، وكان لاجئاً فى مصر، واستمع الى كل فرد من قادة الثورة الجزائرية؛ آمالهم فى المستقبل؛ بن خده، كريم بلقاسم.. وقال لهم ناصر: "إن سلاحكم الرئيسى هو الوحدة الوطنية، وإن الاستعمار... سيحاول بالدس أن يفرق بينكم"(١)!

وفى الواقع لقد تبنى ناصر ثورة الجزائر منذ البداية، فى أول مؤتمر آسيوى - إفريقي يحضره فى باندونج، فى إبريل ١٩٥٥، وكان يدعو الى الحياد بين القطبين المتصارعين فى ذلك الوقت، وكانت قضايا الاستقلال حية، وتناضل من أجلها شعوب آسيا وإفريقيا، فى هذا المؤتمر الذى اعتبر فارقة فى العلاقات الدولية، عرض ناصر قضية الجزائر معلقاً على موقف الحكومة الفرنسية منها ومن دول شمال إفريقيا فقال:

"تزعّم الحكومة الفرنسية أنه ليس للأمم المتحدة حق مناقشة مشكلة تونس ومراكش؛ بحجة أن ذلك تدخلاً فى شئون فرنسا التشريعية... وتتخذ الحكومة الفرنسية خطوة أبعد؛ فتزعم أن الجزائر هى جزء لا يتجزأ من الاتحاد الفرنسى، وتقيم الحكومة الفرنسية مثل هذا الزعم العجيب على أساس مواد الدستور الفرنسى!

إن مثل هذه الوثيقة الصادرة من جانب واحد هو الحكومة الفرنسية، لا تلزم شعب الجزائر، ولا تغير حقيقة أن الجزائر بلد عربى، وأن لشعب الجزائر حق طبيعى فى الحرية وتقرير المصير".

(١) خطاب ناصر فى أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، ٣/٧/١٩٦٢، المرجع السابق، ص ٢٢٧ -

وقدم ناصر الاقتراح الآتى الى مؤتمر باندونج.. "بالنظر الى الموقف غير المستقر فى شمال إفريقيا، واستمرار حرمان شعوب إفريقيا من حقها فى تقرير المصير، يعلن المؤتمر الآسيوى - الإفريقى تأييده لحق شعوب الجزائر ومراكش وتونس فى تقرير المصير والاستقلال، ويتعجل الحكومة الفرنسية فى أن تسوى تلك القضية تسوية سلمية بدون تأخير" (٢). وقد تبنى المؤتمر الاقتراح المصرى.

وقد زادت عداوة فرنسا لناصر ونظامه بسبب مساندته لثورة الجزائر ولقضايا الاستقلال الإفريقى، وكان من نتائج ذلك مزيد من التعاون بين الحكومة الفرنسية واسرائيل؛ فقد أمدتها بالسلاح، بل وأعطتها الخبرة النووية التى كان من نتيجتها بناء مفاعل ديمونة.

وفى ١٤ مارس ١٩٥٦ مر بالقاهرة كريستيان بينو - وزير خارجية فرنسا - وقابل ناصر وتكلم معه حول إجراء اتفاق بالنسبة للجزائر. ولكن ناصر رفض قائلاً: "إن ثورة الجزائر لها قيادة، وهذه القيادة هى الوحيدة التى تستطيع أن تتكلم باسم ثورة الجزائر، ولكننا نساعد الجزائر معنويًا ونساعدهم بكل ما يمكن المساعدة، ولكن ليس نحن الذين نحارب فى ثورة الجزائر، الذى يحارب فى ثورة الجزائر هم الجزائريون".

وأنكر ناصر ما يقوله الوزراء الفرنسيين المقيمين فى الجزائر: من أن هذه الثورة قادمة من مصر! وقال: "لا يمكن أن تقوم ثورة فى بلد وتتدلع من بلد آخر؛ لابد أن تكون هناك أسباب ومقومات حتى تقوم الثورة، والأسباب موجودة فى الجزائر والمقومات موجودة فى الجزائر" (٢). وإجابة على أسئلة بينو، أخبره ناصر أن مصر كانت تدرب جزائريين ولكن التدريب انتهى وأصبح الجزائريون قادرين على تدريب أنفسهم.

واقترح ناصر على بينو أن يتصل بقيادة ثورة الجزائر ويطلب منهم أن يرسلوا ممثلين لهم الى القاهرة، وفرنسا أيضا ترسل اليها ممثلين، ويتكلم الطرفان مع بعض. وقد وافق بينو على هذا الاقتراح وأرسل اثنين من فرنسا، كما حضر ممثلين عن ثورة الجزائر، وطلب بينو أن يكون الموضوع سريًا.

---

(١) كلمة ناصر فى اجتماع اللجنة السياسية لمؤتمر باندونج، ١٩٥٥/٤/٢٢، المرجع السابق، ص ١٨٣ - ١٨٥.

(٢) خطاب ناصر من بورسعيد بمناسبة عيد النصر، ١٩٦٦/١٢/٢٣، المرجع السابق، ص ٥٩٠ - ٦٢٥.

وفى يوم نشرت جريدة فرنسية أخبار المفاوضات، فما كان من الحكومة الفرنسية إلا أنها فى الحال سحبت الاثنين اللذين كانوا يمثلونها من القاهرة بدون إبداء الأسباب! لأنها لم تستطع أن تواجه الجمعية الوطنية فى فرنسا" (١).

وأضاف ناصر.. "وكان السياسيون الفرنسيون يقولون إن مصر وعبد الناصر هم المسئولون عن ثورة الجزائر!... وكانوا الوزراء المقيمين فى الجزائر من فرنسا يقولون: ليس لنا ذنب طالما فيه معونة من مصر! طبعاً لقد كنا نساعد الجزائريين؛ كنا نساعدهم معنوياً، وكنا نساعدهم بالسلاح، وكنا نساعدهم بكل شئ..."

وكان الساسة فى فرنسا فى هذا الوقت يتوهمون ويخدعون أنفسهم أنهم إذا أخضعوا القاهرة يمكنهم أن يخضعوا ثورة الجزائر. وكان هذا ما تريده فرنسا بالعدوان على بورسعيد ومصر فى سنة ١٩٥٦" (٢). بل إن بينو نفسه عاد من مصر مقتنعاً بأن فرنسا لا تستطيع إخماد ثورة الجزائر إلا بإسقاط الثورة المصرية وعبد الناصر (٣)!

وتتبعه ناصر الى المقاصد الفرنسية عندما استمرت الاعتداءات الاسرائيلية على غزة والحدود المصرية، بهدف إلهاء مصر عن الوقوف بجوار الجزائر المكافحة (٤).

بل إن بورجيس مانورى - وزير الحربية فى حكومة جى موليه - قال صراحة يوم بداية غزو مصر: "إذا نجحنا فى مصر فمعنى ذلك أننا انتصرنا فى الجزائر!... إن القاهرة هى قلب الثورة ضد مصالح فرنسا، وإذا قضى على القومية العربية فلن يكون لثوار الجزائر سند يحمى ظهورهم (٥)!" ولفت ناصر النظر الى مؤامرات فرنسا فى شمال إفريقيا للقضاء على القومية العربية فى الجزائر. وبسبب موقف مصر من هذه القضية؛ فقد قامت فرنسا بحملة عليها وعلى ناصر شخصياً، وقال وزير الدفاع الفرنسى: إن مصر لها أطماع فى الجزائر! وهنا رد ناصر.. "ليس من المعقول أبداً أن لنا أطماع فى الجزائر! كل ما نطمع فيه أن نتحرر وأن نستقل وأن تعود الى أبنائها..."

(١) المرجع السابق، ص ص ٥٩٠ - ٦٢٥.

(٢) المرجع السابق، ص ص ٥٩٠ - ٦٢٥.

(٣) هيكل، الأهرام، بصراحة، عن هيرمان فاينر، "من خبايا حرب السويس"، ١٩٦٤/٦/٥، مرجع سابق.

(٤) كلمة ناصر أثناء زيارته لغزة وتفقدته لقوات الحدود، ١٩٥٦/٥/١٣، خطب وحوارات ناصر، ج ١٠، ص ٥٧٦.

(٥) هيكل، مجلة آخر ساعة، "همرشولد لم يلق أى متاعب أو عقبات فى مصر"، ١٩٥٧/٣/٢٧.

إن سياستنا مبنية على عدم التدخل... نحن مع القومية العربية مجتمعة من المحيط الأطلسي الى الخليج الفارسي... إن سياستنا مستقلة، لا هي مع الشرق ولا هي الى الغرب... سياسة فقط مصرية من أجل مصر ومن أجل مصلحة مصر، ومن أجل الوطن العربي الأكبر" (١).

وقد تناول مؤتمر بريوني الذي عقد بين ناصر ونهرو وتيتو في ١٧ - ٢٠ يوليو ١٩٥٦، مشكلة الجزائر. فقد رأى رؤساء الحكومات الثلاثة أن الموقف في الجزائر يتطلب اهتماما عاجلا من وجهة نظر الحقوق الطبيعية لشعب الجزائر، ولدعم السلام في ذلك الجزء من العالم. وكان موقف الزعماء الثلاثة "إن من واجبهم التعبير عن عطفهم التام على رغبة شعب الجزائر في الحرية. وهم يدركون أنه يوجد في الجزائر عدد كبير من الأشخاص الذين من أصل أوروبي، والذين تجب حماية مصالحهم... على أنه يجب ألا يقف هذا في طريق الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الجزائري. وهم يؤيدون كل الجهود والمفاوضات التي تهدف الى إيجاد حل عادل وسلمي، وبخاصة وقف أعمال العنف" (٢).

وبالطبع عاون الاستعمار فرنسا في مقاومتها لثورة الجزائر والحركة الوطنية في تونس ومراكش، وانتقلت قوات حلف الأطلسي من أوروبا الى شمال إفريقيا لتقاتل ثوار الجزائر! وكذلك أيدت الولايات المتحدة وبريطانيا فرنسا في هذا الموقف الذي يعادى الحرية وتقرير المصير. وبالرغم من كل ذلك، فإن المجاهدين الجزائريين بأسلحتهم البسيطة المحدودة استطاعوا أن يقفوا أمام فرنسا.

وبعد إعلان ناصر تأميم قناة السويس في الإسكندرية في ٢٦ يوليو ١٩٥٦، تمادت فرنسا في الدعاية ضد مصر وصاحبها الاحتجاج البريطاني، ولا ننسى أن شركة القناة كان يملك أغلبية أسهمها الفرنسيون، كما كان لها مكاتب في باريس!

وبدأت التهديدات العسكرية البريطانية والفرنسية، وقد كان لفرنسا أكثر من نصف مليون عسكري في الجزائر، فتوعدت بحشد أسطولها ضد مصر.

وكانت فرنسا قد احتجزت الباخرة المصرية "أتوس" في عرض البحر الأبيض المتوسط، وعلى متنها أسلحة موجهة للثوار الجزائريين؛ مما أدى الى تدهور العلاقات المصرية - الفرنسية.

---

(١) كلمة ناصر في المؤتمر التعاوني الثاني، ١٩٥٦/٦/١، خطب وحوارات ناصر، ج١٠، ص ص ٦٠٨ - ٦٥٢.

(٢) خطاب ناصر في عيد الثورة الرابع من الإسكندرية، "خطاب تأميم قناة السويس"، ١٩٥٦/٧/٢٦، المرجع السابق،

ص ص ٧٥٥ - ٨٠٧.

وقد انتهزت السلطات الفرنسية فرصة سفر بن بيلا وزملائه الثوار من المغرب الى أسبانيا على متن طائرة مغربية، فقام طيران الجيش الفرنسى باختطافها فى ٢٠ أكتوبر ١٩٥٦، وأرغمت على النزول فى مطار البيت الأبيض فى الجزائر، واعتقل بن بيلا ومعه أربعة من زعماء الثورة الجزائرية؛ محمد بوضياف وحسين آية أحمد ومحمد خيضر ورايح بيطاط. وبذلك أفضل الجيش الفرنسى مفاوضات ثوار الجزائر مع الحكومة الفرنسية، التى كان من المفترض أن تتم بوساطة تونسية - مغربية، واعتبرهم ديڭول سجناء عسكريين! وقد أثارت عملية الاختطاف الغادرة هذه العالم العربى فى كل مكان من المحيط الى الخليج، وعبر الشعب العربى عن غضبه بإعلان الإضراب العام.

بعد ذلك تم التواطؤ فى سيفر بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل، بحضور سلوين لويدي وكريستيان بينو ودافيد بن جوريون وموسى ديان، فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٦، للهجوم على مصر للاستيلاء على القناة. وقد بدأ العدوان الفاشل على مصر - طبقا لهذا الاتفاق - فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ (١). ومن المعروف أن مشاركة فرنسا فى هذا العدوان كانت لتعاقب مصر على وقفها بجانب الثوار الجزائريين؛ فقد قال جى موليه: "إننا نريد أن نخضع الجزائر عن طريق القاهرة!"

وبعد إنقلاب ١٣ مايو ١٩٥٨ فى فرنسا وعودة شارل ديڭول الى السلطة فى ٢٩ مايو، علق ناصر على الموقف السياسى بالنسبة لحرب الجزائر مع فرنسا، فقال: "لن يحدث فرق فى الموقف، سواء تولى الجنرال ديڭول الحكم أم لا! إن الشعب الجزائرى يكافح ويقاوم فى سبيل حريته واستقلاله منذ أكثر من ٣ سنوات، وسيواصل كفاحه بغض النظر عن سيتولى رئاسة الوزارة الفرنسية". وندد ناصر بسياسة فرنسا القاضية "بحرق القرى الجزائرية وطرد الجزائريين من منطقة الحدود التونسية، وحرقت محاصيلهم، وضربهم بالمدافع، واستخدام سلاح الجوع ضدهم بحرمانهم من الطعام" (٢).

وبانتهاء زيارة ناصر الى موسكو ٢٩ إبريل الى ١٦ مايو ١٩٥٨، صدر البيان الرسمى بتأييد الاتحاد السوفيتى لحق شعب الجزائر فى الحرية والاستقلال وفى تقرير المصير، كما تم استنكار كل من مصر والاتحاد السوفيتى "للمذابح والحرب العدوانية التى تشنها فرنسا على العرب فى الجزائر".

---

(١) ص من الكتاب.

(٢) تصريح ناصر للصحفيين فى بودابست فى طريق عودته من موسكو الى القاهرة، ١٦/٥/١٩٥٨، خطب وحوارات ناصر، ج٩، ص ٥٤٤، مرجع سابق.

وفى عام ١٩٥٨ تأسست الحكومة الجزائرية المؤقتة الأولى فى المنفى برئاسة فرحات عباس، ثم الثانية أيضا برئاسته فى ١٩٦٠، أما الحكومة المؤقتة الثالثة فكانت برئاسة يوسف بن خده فى ١٩٦١ - ١٩٦٢، وهى التى فى ظلها تم الاستفتاء فى فرنسا على اتفاقيات إيفيان، التى أنهت الحرب فى الجزائر، وحصل بمقتضاها الشعب الجزائرى على حق تقرير المصير فى ٨ إبريل ١٩٦٢. (الموافقة ٨، ٩٠٪، نسبة الحضور ٣، ٧٥٪).

ولكن ظل الشعب الجزائرى يقاتل وأصبحت "فرنسا تتن من شعب الجزائر الأعزل أكثر مما يئن شعب الجزائر" (١).

وقد استنكر ناصر التفجير الذرى الذى أجرته فرنسا على أرض الجزائر، وقال: "ليس لفرنسا من حق فى أن تستخدم الوطن العربى فى هذه التجارب الذرية" (٢). وأعلن ناصر "أن مصر تساعد المجاهدين الجزائريين حتى يحصلوا على حريتهم واستقلالهم، ونحن نعاونهم بكل الوسائل، وهذا هو سبب النزاع بيننا وبين فرنسا... إننا نساعد الجزائر بكل السبل، وهناك مكاتب تطوع للجزائر فى القاهرة ودمشق" (٣). وكان قد سبق أن طلبت حكومة الجزائر متطوعين لينضموا الى جيشها.

وظل ناصر يثير قضية استقلال الجزائر عن فرنسا فى مصر، وفى كل دولة يزورها ومع كل رئيس دولة يلتقى به وفى المحافل الدولية. وعندما ذهب الى الأمم المتحدة عام ١٩٦٠ قال فى ٢٧ سبتمبر: "إنه من الأمور البالغة الأهمية ألا تنسى الأمم المتحدة نفسها.. لا تنسى ميثاقها ولا تنسى قراراتها؛ وإلا فإننا نشجع بذلك الذين يحاولون تناسى الأمم المتحدة وتجاهل وجودها. وإننا لنرى أمامنا المثال الصارخ الفاضح لهذا التجاهل فى سياسة فرنسا تجاه الجزائر! فلقد عرقلت الحكومة الفرنسية كل محاولة للأمم المتحدة تستهدف وضع حد للمجازر الاستعمارية فى الجزائر. وراحت هذه الحكومة تتصور أنها قادرة بالمدافع على أن تغير إرادة الله الذى جعل الجزائر قطعة من القارة الإفريقية؛ فإذا هى تحاول أن تجعل من أرضها امتدادا جغرافيا لفرنسا، ومن شعبها شعبا مستعبدا!"

---

(١) كلمة ناصر فى الاحتفال بيوم رشيد، فى رشيد، ١٩/٩/١٩٥٩، خطب وحوارات ناصر، ج٨، ص ص ٥٩٣ - ٦٢١.

(٢) كلمة ناصر فى اللاذقية، ١٤/٢/١٩٦٠، خطب وحوارات ناصر، ج٧، ص ص ٥٥ - ٦٦.

(٣) مؤتمر صحفى لناصر بدكا بالباكستان، ١٤/٤/١٩٦٠، المرجع السابق، ص ص ٣٧٦ - ٣٧٩.

ومضى ناصر موجهها كلامه للأمم المتحدة.. "برغم كل المحاولات التي بذلتها الحكومة الجزائرية الحرة التي تعبر عن تصميم شعب الجزائر، وترمز لإصراره على الاستقلال، رغم كل المحاولات التي بذلتها هذه الحكومة الجزائرية من أجل الوصول الى حل سلمي؛ فإن هذه المحاولات كلها لم تصل الى نتيجة ايجابية... بل لقد ظلت فرنسا تتحين الفرص بالزعماء [الجزائريين] حتى استطاعت أن ترغم طائرة مدنية كانوا بين ركابها فوق البحر، على النزول في أحد المطارات الخاضعة لسيطرتها، ثم ألقت القبض على هؤلاء الزعماء!... وقد مضت الحرب بعد ذلك أربع سنوات كاملة. وإنه من دواعي الأسف أن الحكومة الفرنسية راحت تقيم معسكرات الاعتقال، وراحت تجرب كل ألوان التعذيب الوحشي ضد الأحرار من ثوار الجزائر، الأمر الذي ثار له الضمير العالمي حتى في فرنسا ذاتها!...

وليس يخالجننا شك في أن الحرب الدائرة في الجزائر اليوم، والتي قدم لها الشعب الجزائري طواعية أرواح مليون من أبنائه حتى الآن؛ لا يمكن أن تنتهي بغير انتصار الحرية. وإن الأمم المتحدة اليوم ليتعين عليها أن تقوم بواجبها، وما أظن أننا نغالي في الطلب إذا تقدمنا الآن نطلب حق الشعب الجزائري في تقرير مصيره؛ على أساس استفتاء يتم تحت إشراف الأمم المتحدة وفي رقابتها وحماها" (١).

وقد اتجهت فرنسا الى تطبيق أسلوب طويل الأجل لخلق المتاعب ضد مصر لأن ناصر يساعد الجزائر؛ فقامت بمساعدة اسرائيل لإنتاج قنبلة ذرية، كما أمدتها بمزيد من الأسلحة التي استخدمتها فيما بعد في العدوان على مصر.

## ٢- خطوات استقلال الجزائر:

حاولت حكومة الجزائر المؤقتة أن تجرى اتصالات مباشرة مع فرنسا بقصد تحقيق الاستقلال، إلا أن الحكومة الفرنسية أخذت تماطل. وأخيرا بعد أن قطعت الثورة الجزائرية شوطا كبيرا من الكفاح المسلح - ٧ سنوات - وفرضت نفسها، ولم يستطع الفرنسيون أن يوقفوا سير العمليات الفدائية والحربية بالمدن والأرياف، وبعد أن اعترفت الدول المحبة للسلام بجهة التحرير الوطني على أنها الممثل الوحيد للشعب الجزائري، وإزاء ضغط الرأي العام العالمي على فرنسا وتنديده بسياستها في الجزائر خاصة في الأمم المتحدة التي اعترفت بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره في ١٩ ديسمبر ١٩٦٠، بدأت مفاوضات إيفيان في ١٨ مايو ١٩٦١، واستمرت حتى سلم ديغول في مؤتمر صحفى في ٢ أكتوبر ١٩٦١؛ بضرورة التفاوض مع جبهة التحرير الوطني على أساس استقلال الجزائر.

(١) خطاب ناصر فى الأمم المتحدة، ١٩٦٠/٩/٢٧، المرجع السابق، ص ٧٦٥ - ٧٨٧.

استؤنفت مفاوضات إيفيان فى ٦ مارس ١٩٦٢ بين يوسف بن خده رئيس الحكومة الجزائرية المؤقتة ولويس جولى، وزير الدولة لشئون الجزائر. وقد توصل الجانبان الى اتفاقية لوقف إطلاق النار فى ١٩ مارس ١٩٦٢، وأهم بنودها؛ الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها الكاملة على أراضيها ووحدة ترابها، وحق المستوطنين فى الاختيار بين الجنسية الجزائرية والفرنسية، وتحديد فترة انتقالية ٤ أشهر لإجراء الاستفتاء حول تقرير مصير الشعب الجزائرى.

وقد بدأ الاستفتاء فى أول يوليو ١٩٦٢، وفى ٥ يوليو تم الإعلان الرسمى عن استقلال الجزائر.

ولكن للأسف بعد أن كسب الشعب الجزائرى معركة الاستقلال حدثت خلافات بين زعماء الثورة الجزائرية؛ مما دعا ناصر أن يترك موضوع خطاب له فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية؛ وهو تقديم مشروع التنظيم السياسى الجديد، وتحدث عن الجزائر فى يوم انتصارها، فقال: "لا بد لى فى هذه اللحظات التى كنا ننتظرها جميعا أن أتحدث اليكم فى مسألة تشغل بالى كما تشغل بالكم جميعا دون شك. وإننى أثق أنكم جميعا تشعرون بما أشعر به من سعادة؛ لأن يوم الاستقلال فى الجزائر قد أشرق فجره. إن علم الاستقلال الجزائرى كان من أعز أعلامنا... أحلام الأمة العربية كلها...

وإذا كنت وكنتم تشعرون بالسعادة، فإنى لا أخفى عليكم قلقى للتطورات التى تقع فى الجزائر الآن... وإن هناك على ما يبدو الآن خلافا يهدد الوحدة الوطنية للجزائر... اتضح بصورة جلية من قرار الحكومة الجزائرية بعزل قادة جيش التحرير الجزائرى، واتضح أيضا من البيان الذى أصدره أحمد بن بيلا بعد موافقته على هذا القرار. وينبغى أن أقول لكم على الفور: إنه لا ينبغى لنا ولا لغيرنا أن ندخل فى هذا الخلاف، إلا بالالاحاح والرجاء الى جميع الأطراف الجزائرية، التى قاتلت معا وعاشت بالأمل معا وواجهت الخطر معا، أن يجدوا حلا للمشكلة".

ومضى ناصر يقول: "بالأمس تلقيت رسائل من الرئيس بن خده، ومن نائبه أحمد بن بيلا، ومن غيرهما من زعماء الثورة الجزائرية. لقد واجهت قرارات كثيرة فى حياتى السياسية... وأمس لأول مرة واجهت أزمة الحيرة حينما علمت بهذه الخلافات!...

إن شيئا واحدا يجب الحرص عليه؛ وهو وحدة الثورة الجزائرية، إنهم جميعا موضع تقديرنا واحترامنا... إن أى خطر يهدد وحدة الثورة الجزائرية الآن، يفتح بابا جديدا للتدخل الاستعمارى، ويمكن لسلطاته أن تتلاعب بمقدرات الشعب الجزائرى، وتعصف باستقلاله الذى دفع هذا الشعب البطل ثمنه غالبا" (١).



(١) كلمة ناصر فى أعضاء المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، ١٩٦٢/٧/٣، خطب وحوارات ناصر، ج٥، ص ص ٢٢٧ - ٢٣٨.

وقال ناصر فى يوم آخر بعد أن أرسل رسائل الى كل من بن خده فى تونس، وبن بيلا فى بنغازى، محاولا أن يوفق بين الطرفين: "الفرنسيون مازلوا فى الجزائر.. حوالى نصف مليون عسكرى فرنسى فى الجزائر، لازالت الإدارة فى أيدى الفرنسيين، فرنسا استمرت ١٣٢ سنة تحكم الجزائر؛ إذا إذا نجح الاستعمار فى سياسة فرق تسد ستكون كارثة على الجميع، بعد جهاد سبع سنين ونصف استشهد فيها مليون جزائرى!"

واستطرد ناصر قائلا: "أنا لى علاقات مع الجميع... فنحن حاولنا بكل الطرق أن نصل الى حل يتفق عليه الكل، ولكن لم يمكن أن نصل الى هذا الحل!... ولازال باين من البيانات ومن وكالات الأنباء أن فيه أيضا انقسامات فى داخل جيش التحرير... فرنسا تتمنى إيه أكثر من ذلك؟! على كل حال نحن لم نياس من أن نوفق بين الجميع... وربنا يوفقهم فى المهمة الصعبة التى يقابلوها الآن، لأن الفرنسيين حرقوا وهدموا البلد.. حرقوا كل شئ؛ حرقوا محطات الكهرباء، حرقوا المستشفيات ودمروها، وكانوا يقولون: يجب أن نسلم لهم الجزائر مثل ما أخذناها منهم من ١٣٢ سنة"(١)!

وبذلك لم تقف مصر أبدا موقفا سلبيا فى أى وقت من ثورة الجزائر، ولا رضيت لنفسها موقف الحياد حين لاح خلاف داخل جبهة التحرير الجزائرية ذاتها، وإنما سعت بايجابية لتبقى ثورة الجزائر.

تولى بن بيلا رئاسة جمهورية الجزائر فى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٢، وزار ناصر فى ١٩ مايو ١٩٦٣، حيث كان مثار ترحيبا كبيرا. وعندما قامت الاشتباكات بين الجزائر والمغرب حول مشكلة الحدود، قال ناصر: "اليوم يعز علينا أن نرى الجزائر تتعرض للعدوان، وأن نرى دولتين من الدول العربية والدول الإفريقية - وهما المغرب والجزائر - فى أزمة عنيفة"(٢).

وفى ذلك الوقت أرسل بن بيلا يطلب طائرات من ناصر، وكان قد أرسل له ٦ طائرات ميج ١٥ من قبل، وكان هناك اتفاق أن يأخذ بعد ذلك ستة آخرين، وأرسلهم ناصر بالطيارين، كما طلب بن بيلا قطع بحرية فأرسل له قطعتين والأطعم البحرية الناقصة، وهو عنده قوارب طوربيد، وقد أرسل له كاسحة ألغام من قبل. "إن مصر لا تقوم بعمليات هجومية أبدا فى الجزائر إنما تقدم مساعدات للدفاع عنها"(٣).

(١) كلمة ناصر فى المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، ١٩٦٢/٧/٤، المرجع السابق، ص ص ٢٣٩ - ٣٠١.

(٢) كلمة ناصر فى السويس فى حفل استقبال القوات العائدة من اليمن، ٢٢/١٠/١٩٦٣، المرجع السابق، ص ص ٨١٢ - ٨٢٩.

(٣) مجلس الرئاسة، ١٩ أكتوبر ١٩٦٣.

وكان الفرنسيون غير راضين عن سياسة بن بيلا ويشجعون الملك الحسن، وحتى ١٨ أكتوبر ١٩٦٣ دخلت القوات المغربية حوالى ١٠٠ كم من حدود الجزائر. وظل موقف ناصر هو أنه لا بد من الحل السياسى.

وذكر ناصر أنه فى مؤتمر أديس أبابا - ٢٢ مايو ١٩٦٣ - تقرر أن هناك مشاكل كثيرة للحدود بين الدول الإفريقية، وأن استخدام القوة لحل هذه المشاكل سينتج عنه أن جميع الدول فى إفريقيا ستحارب بعضها البعض! ونادت مصر بحل هذه المشاكل بالمفاوضات. وأعلن ناصر أن مصر تقف ضد أى عدوان، وأن سلامة الثورة العربية لا تتجزأ(١).

وكان طبيعيا أن يحدث مزيد من التقارب بين ناصر وبين بيلا، وبين التنظيمات السياسية فى كل من مصر والجزائر بعد استقلالها. وفعلا دُعى ناصر الى زيارة الجزائر فى ٤ مايو ١٩٦٣، وكان لقاء شعبيا رائعا، فقد زحفت جماهير غفيرة من الشعب الجزائرى من كل الولايات من الجبال ومن الصحراء، سائرة على الأقدام فى اتجاه مدينة الجزائر لتكون هناك فى استقبال ناصر، وكان الموقف كالاتى.. مئات الألوف وسط شارع واحد تجمعوا ليستقبلوا ناصر ويمدون له أيديهم سلاما، وينادون باسمه محبة.. بحر من البشر وقف وسطه ناصر ومعه بن بيلا وهوارى بومدين، ومن حولهم نطاق من جنود جيش التحرير.

وفى كلمة بحضور ناصر قال بن بيلا: "إن الجزائر كانت تناضل وتنتظر شيئين.. يوم الاستقلال ويوم أن يزورها عبد الناصر... إن الجزائر لم تشهد يوما كيوم وصول عبد الناصر.. حتى ولا يوم الاستقلال!... أريد أن يسمعها الجميع لا أستثنى منهم أحدا.. فى وقت الأزيمة وقبل أن تكون هناك ثورة، لم نجد شرقا ولا غربا الى جانبنا... لم نجد إلا رجلا واحدا هو جمال عبد الناصر...

ويوم كان فى الجزائر جزائريون لا يرون احتمالا للنصر، ويوم كانت الأحزاب - كعادتها - تتصارع من أجل الكسب السياسى، وجدت فى القاهرة رجلا لم يتردد لحظة فى أن يضع كل الامكانيات المادية والمعنوية لمصر تحت تصرف ثورة الجزائر ومن أجل نصرها...

لقد تعرضت مصر للحرب، وبين أسباب المعتدين عليها موقفها من الجزائر، وإن الدم الذى سال فى بورسعيد ربط مصير الجزائر بمصر والى الأبد... إننا نعلنها صراحة.. أنه لا يوجد إنسان خلصنا ونصرنا إلا جمال عبد الناصر"(٢).

(١) كلمة ناصر في السويس في حفل استقبال القوات العائدة من اليمن، ٢٢/١٠/١٩٦٣، المرجع السابق، ص ص ٨١٢ - ٨٢٩.

(٢) هيكل، الأهرام، بصراحة، "عائد من الجزائر"، ١٠ مايو ١٩٦٣، مرجع سابق. وفي خطابه الى الجماهير الجزائرية المحتشدة تحت الأمطار، قال ناصر: "الحمد لله الذى أعطانا هذه الفرصة لنرى الأمانى وقد تحققت.. الحمد لله فقد كنا نحلم أن نرى الجزائر العربية، وقد رأينا اليوم الجزائر العربية وشعب الجزائر الثائر... حينما التقيت بكم ظهر اليوم كنت أشكر الله من كل قلبى الذى مكننى من أن أعيش هذا اليوم... وكنت أقول لأخى أحمد بن بيلا: إننى حينما أرى هذا الشعب الثائر أشعر أننى بين أهل بلدى.. بين أبناء العروبة... وحدثنا المعارك الطويلة، وحدثنا المشاعر المتشابكة، وحدثنا الدماء التى ارتببت على مر السنين...

وأنا اليوم بينكم وأرى علمكم - علم الجزائر الحبيب - الذى مسكتموه بأيديكم وعرقكم ودمائكم وبأرواح شهدائكم، وقد ارتفع عاليا ليعلم للعالم أجمع أن شعب الجزائر قد استقل.. إن شعب الجزائر قد تحرر...

إننا هنا اليوم معكم - أيها الأخوة.. أيها المناضلون.. أيها الثوار - وقد انتهت ثورتكم المسلحة من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال وبدأت ثورتكم الكبرى من أجل الاشتراكية ومن أجل العدالة الاجتماعية... ونقول لكم: إننا نساندكم دائما كما ساندناكم فى الماضى" (١).

وبعد استقلال الجزائر فى عهد ديغول حدث تقارب بين مصر وفرنسا، فصرح ناصر الى صحيفة الفيجارو فى ٣ مارس ١٩٦٤.. "إن شخصية الرئيس الفرنسى وسياسته المستقلة، وتعاون فرنسا مع الجزائر، واعترافها بالصين، قد رفعت مكانة هذه الدولة بين بقية الدول. إن صفحة جديدة قد فتحت مع فرنسا، نأمل أن تؤدى الى الاحترام والتفاهم المتبادلين" (٢).

وقال ناصر فى العام التالى: "إن التناقض الخطير بيننا وبين فرنسا، ذلك التناقض الذى لم يكن يسمح ببقاء؛ كان هو معركة الجزائر. وفى اللحظة التى انتهت فيها الحرب بانتصار الحرية وبانتصار شعب الجزائر، اعتبرنا أن التناقض الخطير بيننا وبين فرنسا قد انتهى، ولم نتعجل فى شئ وإنما تركنا العلاقات العربية - الفرنسية تتطور بطورها الطبيعية" (٣).

وقد فوجئ ناصر فى ١٩ يونيو ١٩٦٥ بحدوث انقلاب عسكرى فى الجزائر، وعزل بن بيلا وتولى هوارى بومدين! وكان ذلك قبل انعقاد المؤتمر الأفروآسيوى بأيام.

المحير أن بومدين كان أقرب الناس الى بن بيلا، فالأول مثل الثورة الجزائرية عسكريا، وبن بيلا كان شخصية الثورة سياسيا!

- 
- (١) كلمة ناصر في ملعب البلدية بالجزائر، ١٩٦٣/٥/٤، المرجع السابق، ص ص ٥٨١ - ٥٨٧.
- (٢) تصريح ناصر الى صحيفة الفيجارو الفرنسية، ١٩٦٤/٣/٣، خطب وحوارات ناصر ج٤، ص ص ٥٨١ - ٥٨٧.
- (٣) خطاب ناصر في المؤتمر الشعبي بالمنصورة، ١٩٦٥/٣/١٣، المرجع سابق، ص ص ٦١٩ - ٦٢٩.

وكانت الأزمة قد تفجرت بسبب رغبة بن بيلا في إخراج عبد العزيز بوتفليقة من وزارة الخارجية، وتمسك بومدين به لأنه من مجموعته. والغريب في الأمر "أن بن بيلا كان في موضع القيادة للجزائر وموضع الإعزاز العاطفي بغير مناقشة بالنسبة للسواد الأعظم من شعبها، ثم هو وجه الثورة الجزائرية في العالم العربي كله... وأمام آسيا وإفريقيا التي كان زعماء دولها على وشك الالتقاء في المؤتمر الثاني على أرض الجزائر" (١).

ولكن أصل الموضوع كان يكمن في مشكلة الثورة والدولة، ومشكلة الدولة والجيش، فمن جانب لم تكن الدولة موجودة في الجزائر، ككيان أو كمفهوم؛ إنه ليس مجرد الاحتلال ولكنه الملكية المباشرة والإفناء الذاتي الكامل للشخصية الجزائرية. فالجزائر كانت امتدادا للأرض الفرنسية كأنها مقاطعة من مقاطعات فرنسا، وجزء لا يتجزأ من السيادة الفرنسية الوطنية؛ الدولة إذاً كانت في فرنسا والحكومة في باريس! وقد استولى المستعمرون الفرنسيون على كل مصادر الانتاج والمال!

وبالتالي فإنه في يوم الاستقلال جاءت أول حكومة للثورة الجزائرية لتجد نفسها وسط فراغ كامل، فلم تكن هناك أجهزة تنفيذية أو كوادرنية. إذاً كان على الثورة الجزائرية أن تخلق دولة وجهاز حكم من الفراغ! وفي نفس الوقت، فإن جبهة التحرير الجزائرية كانت تتكون من ائتلاف أحزاب قديمة وجديدة، تقليدية وثورية، وأدت الظروف الى وقوع الانقسام. بل إن قادة الثورة في سجون فرنسا - ومنهم بن بيلا - اختلفوا فيما بينهم. أما جيش التحرير الجزائري فقد أصبح جيشين؛ في الداخل والخارج على حدود المغرب أو تونس (٢). واختلفت قيادته مع السياسيين وبالذات مع بن بيلا. والواقع أن الخلافات الشخصية والعقائدية بين رفاق الطريق الثوري كانت السبب الأساسي لهذا التغير المفاجئ بعد استتباب القيادة لبن بيلا؛ والدليل على ذلك أنه قد تم اعتقاله ولم يخرج من محبسه إلا بعد وفاة بومدين في ٢٧ ديسمبر ١٩٧٨.

- (١) هيكّل، بصراحة، "ليلة طويلة.. طويلة في الجزائر"، ١٩٦٥/٦/٢٥، مرجع سابق.
- (٢) هيكّل، بصراحة، "عن الجزائر وليس عن بن بيلا"، ١٩٦٥/٧/٢، المرجع السابق.

وإزاء هذه الأحداث بعث ناصر رسالة الى بومدين فى ٢٧ يونيه ١٩٦٥، قال فيها: "إن العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والجزائر هى فوق مستوى العلاقات الشخصية، وإن كل ما أرغب فيه هو أن أطمئن على سلامة بن بيللا". وتابع ناصر قائلاً: "ولقد وعدنا بومدين بالمحافظة على سلامة بن بيللا، وبعد ذلك تبادلنا الآراء؛ فأوفدت المشير عبد الحكيم عامر، كما أرسلت له عدة رسائل، وتلقيت منه ردوداً"<sup>(١)</sup>.

وأوضح ناصر أن أهداف مصر تجاه الجزائر هى "أن يكون بيننا علاقات طيبة وصداقة. نحن لم نطلب الوحدة مع الجزائر؛ لأننا نعلم أن الوقت الحالى ليس أفضل وقت للوحدة بالنسبة للجزائر. لقد حاربت الجزائر سبع سنوات، وإنهم يبدؤون تكوين حكومتهم وبناء بلادهم، بينما الوحدة هى عمل كبير تترتب عليه مشاكل كثيرة"<sup>(٢)</sup>.

وقد زار بومدين القاهرة فى ٣ نوفمبر ١٩٦٦، وأشار ناصر فى كلمته اليه الى العلاقات الخاصة التى تجمع ما بين الثورة المصرية والثورة الجزائرية تاريخيا ونضاليا وإنسانيا، وأنها تمثل خطأ استراتيجيا ثابتا يتجاوز الظروف<sup>(٣)</sup>.

وكان بومدين من أوائل الرؤساء العرب الذين اتصلوا بمصر بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ عارضين المساعدة العسكرية الفورية. وفعلا أسرع الطيارون المصريون الى الجزائر، ورجعوا بأربعين طائرة حربية من طراز ميج ١٧ كانت ضرورية جدا للدفاع عن مصر غرب القناة، بعد أن دمر الاسرائيليون الطيران المصرى على الأرض.

ثم زار بومدين القاهرة فى ٩ يوليو ١٩٦٧ عارضا المساعدة لمواجهة المعتدى ولاسترداد الأرض المغتصبة، وجاءت كتيبة جزائرية عسكرية على جبهة قناة السويس لمساندة القوات المصرية.

---

(١) حديث ناصر الى محطة تليفزيون وإذاعة كولومبيا الأمريكية، ١٩٦٥/٧/٩، المرجع السابق، ص ٧٦٣ - ٧٧٤.

(٢) المرجع السابق.

(٣) كلمة ناصر فى حفل العشاء الذى أقيم تكريما لبومدين، ١٩٦٦/١١/٢٨، خطب وحوارات ناصر ج٣، ص ٥٧٨ - ٥٨١.



## خامسا: الجهود الوجودية العربية.. الوحدة الثلاثية:

فى الفترة التى أعقبت الانفصال بين سوريا ومصر، جرت عدة محاولات فردية ورسومية لإعادة الوحدة بين البلدين. وكان أولها قدوم مجموعة من الضباط السوريين الى مصر فى ١٤، ٢٩ يناير، ٣ فبراير، ٢٣ إبريل ١٩٦٢؛ محاولين اقناع ناصر باستئناف الوحدة. ولكنهم عجزوا أمام إصراره على البدء بإصلاح الأوضاع داخل سوريا نفسها، وخاصة سيطرة حزب البعث - الذى يناوئ مصر - على السلطة.

وبعد نجاح ثورة العراق فى ٨ فبراير ١٩٦٣؛ بادرت سوريا والعراق بطلب الوحدة الثلاثية مع مصر، وجرى مباحثات بين قيادات الدول الثلاث فى القاهرة. ولكن هذا الهدف لم يتحقق بسبب تزعم حزب البعث الحكم فى البلدين. فبعد توقيع ميثاق ١٧ إبريل نقضه البعثيين السوريين والعراقيين، وعادوا الى مناصبة مصر العداء واستأنفوا سياستهم الهجومية. الى أن تولى عبد السلام عارف الحكم فى العراق؛ فاستأنفوا العمل على إنشاء القيادة السياسية الموحدة بينهم وبين مصر. وقد عقدت اجتماعات عدة لتحقيق هذا الهدف، من ١٤ سبتمبر ١٩٦٤ - ٢٧ نوفمبر ١٩٦٦.

### ١- مبادرات تمهيدية:

#### أ- اجتماعات ناصر مع الضباط السوريين:

فى ١٤ يناير ١٩٦٢ فوجئ ناصر بحضور مجموعة من الضباط السوريين سرا الى القاهرة؛ يطلبون الوحدة مع مصر! قابلهم ناصر، وتحدث معهم عن الوضع فى سوريا فى ذلك الوقت، وسيطرة الرجعية واتجاهها الى تصفية العناصر الوطنية فى السلطة وفى الجيش.

وتطرق الحديث الى تجربة الوحدة السابقة مع سوريا، فقال ناصر: "إنها كانت فريدة من نوعها، فلم تحدث وحدة بين العرب أبدا؛ ولذلك إعادتها عملية ليست سهلة أبدا.. من أصعب الصعاب، فعملية الوحدة كشعار شئ لطيف، ولكن التطبيق أصعب!

ثم إن الوحدة لها مدلول اجتماعى؛ لأن اليوم فيه ثورة اجتماعية ودور اجتماعى فى العالم العربى؛ لذلك ستجد لها باستمرار أعداء من السياسيين المحترفين ومن الرأسماليين والاقطاعيين، ومن الاستعمار وأعدائه؛ الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والغرب كله.

لكن يمكن القومية العربية كوحدة بين الشعوب هى التى تمهد للوحدة العربية... وحتى نضمن تحقيق الوحدة لابد أن يكون فيه حكم وطنى، ثم إن وحدة فى خدمة الاستعمار مصيبة! فالاستعمار وحسين ونورى السعيد ينادون بالوحدة، ولكن هل نقبل وحدة فى خدمة الاستعمار؟!؟



وقال ناصر: "إن في مصر اليوم ردة إقليمية عنيفة! ويجب أن نأخذ دروس من الوحدة السابقة"، وتساءل.. "من هي العناصر الوطنية في العالم العربي؟ قليلين، ولكن الرجعيون منظمون أبا عن جد وموجودون، الوطنيون موجودون ولكن غير منظمين! إن قوة السياسى أو الإقطاعى أو الرأسمالى هي المال، إنه أقوى من الدبابة، وهو يستطيع أن يستخدمه كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة، إنه سلاح مستمر، والعناصر الوطنية سلاحها الدعوة والكلام!

وحتى تستأصل الرجعية لابد أن تغير المجتمع، وذلك صعب لأن معناه انقسامات ومعارك، وطريقة توزيع الثروة، وهذا ما نعمله في مصر".

وتطرق ناصر كاشفا الوضع في سوريا.. "مجلس النواب رجعى ٨٠ - ٩٠%؛ إذا العناصر الوطنية تقوى العناصر الرجعية، تساعدنا على أن تصل لمصلحتها. وقرار إلغاء التأمين في سوريا معناه أن الرجعية وصلت الى الذروة وبدها تسمح كل شئ، من الذى يسندهم؟ أين العناصر الوطنية؟! وكل ما تقوى الرجعية، كل ما تحفر في قبر العناصر الوطنية! إن سلاح الرأسمالية دائما أن تعمل انتخابات، العناصر الوطنية لا تقدر أن تنجح، العناصر البرجوازية والاقطاعية تستطيع أن تنجح بمساعدة رأس المال".

وشرح ناصر وجهة نظره في هذه الظروف، فقال للضباط السوريين: "عناصر وطنية يهمنى أن الخط الوطنى في سوريا يقوى؛ لأن ذلك لا يؤثر على سوريا فقط، بل هنا. ولذلك كان رأى أن الشعار أولا يكون حكم وطنى لأنه يجمع عليه ناس، أما شعار الوحدة فهو قابل للنقاش بسبب الأخطاء الماضية".

واستطرد ناصر.. "هناك ظلم اجتماعى في سوريا. القوتلى قال لى: سوريا ليس فيها إقطاع! إن سوريا فيها أكبر إقطاع ورأسمالية! إن هذا التناقض الاجتماعى يؤدي الى سيطرة طبقة، ورأى أن بحكم وطنى في سوريا نصل الى الوحدة.

إن طبيعة سوريا صعبة جدا، والاتفاق على رأى صعب، والانفصال ضرب الفكرة العربية. مشاكل سوريا كانت تضايقتى؛ مشاكل اقتصادية، علاقات بين الناس.. إلخ، أكثر من مشاكل مصر عشرات المرات. إن سوريا مفتاح لكل الشقاء؛ لأنها تجمع تركيا، لبنان، اسرائيل، الأردن، العراق. لذلك الصراع في سوريا عنيفا؛ خصوصا أن شعب سوريا صعب. التاريخ يبين أن سوريا باستمرار كان فيه خطة للقضاء عليها وتقسيمها - ولازالت هذه الخطة - ليدخلوها ضمن كيان آخر موالى!"

وعندما طلب الضباط السوريون التنسيق مع مصر، قال ناصر مُصرًا: "وحدة الهدف أولاً هو الذى يوصلنا لهذا الغرض، لن نستطيع أن نصل الى الوحدة إلا بحكم وطنى، الوحدة مع حكم رجعى مستحيل! ثم لا بد أن نستفيد من الأخطاء الماضية قبل أن نأخذ العملية عاطفياً، ولا بد أن نتعقل"(١).

واجتمع الضباط السوريين مرة ثانية مع ناصر فى ٢٩ يناير ١٩٦٢، وطرحوا عليه سؤالاً مباشراً.. "هل فى الإمكان قيام اتحاد؟ وما الوقت الذى تتصوره لكى يتحقق هذا الاتفاق؟"

وكان رد ناصر.. "لكى أتكلم معكم فى الموضوع لا بد أن يكون فيه وضوح، إنها عملية مصير.. مصير الوطن العربى كله ومصير فكرة القومية العربية. ففى رأى أن ضياع فكرة القومية العربية؛ يحدث تفتتاً للعرب، والقضاء الكامل عليهم من الناحية المبدئية".

واستطرد ناصر متسائلاً.. "ما هى الصورة التى نتخيلها للوحدة؟ الوحدة دولتين أو دولة؟ مع اليمن كانت الوحدة دولتين، مع الجمهورية العربية المتحدة كانت الوحدة دولة واحدة؛ لذلك كان فيه الجمهورية العربية المتحدة واتحاد الدول العربية. فى الجمهورية العربية المتحدة لم تكن التجربة ناجحة، وإلا ما كنا وصلنا الى هذه النتيجة، ولو كانت نجحت ما كنا انفصلنا!"

وتساءل ناصر أيضاً.. "ما هو الوضع بالنسبة للاشتراكية؟ اليوم مثلاً يلغون القرارات الاشتراكية! الشركة الخماسية الحكومة كانت تماشياً، ثم إن الرجعيين لن يتوانوا عن الحرب على النظام! إن عودة الجمهورية [كما اقترح أحد الضباط] لما مشاكل، لها حسابات، ولها متاعب فى الوضع السائد اليوم فى العالم العربى.

هل الجيش [فى سوريا] تبع الحكومة أم مستقل؟ هل سيكون فيه حكم وطنى أم لا؟ ما هو الهدف الذى نرغب فى تحقيقه؟ وما هو الهدف من جانبكم؟ هل هو فقط الوحدة؟ أم الوحدة والعدالة الاجتماعية؟ أم إقامة مجتمع اشتراكى ديمقراطى متحرر من جميع أنواع الاستغلال السياسية والاجتماعية والاقتصادية؟

إننى أثير هذه النقط لأن الهدف ثقيل والعملية شاقة، ويوم ماترجع هذه الجمهورية سنتكتل جميع الكتل والقوى المعادية".

وأمام إصرار الضباط السوريين على أن الهدف هو إقامة الوحدة على أسس متينة، مع الاستفادة من الأخطاء السابقة، رد ناصر.. "هذه نقطة تنظيمية وهى أسهل شئ. ولكن النقطة الثانية هى النقطة الاجتماعية، فلها أهمية؛ فلا نقدر أن نعمل جمهورية اشتراكية رأسمالية، وإذا اتحدنا مع دولة أخرى شيوعية!"

(١) محضر اجتماع ناصر الأول مع الضباط السوريين، ١٩٦٢/١/١٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة. إذا لم يكن فيه وحدة بنظام اجتماعي تربط الكل، يكون باستمرار فيه قلقلة. إن مبادئنا هي التي تعطينا قوة، لا الجيش ولا الأساطيل؛ هذا هو الفرق بين الرسالة والاحتراف" (١). وعن هاذين الاجتماعين السريين بين ناصر والضباط السوريين، علق ناصر بخط يده على الاجتماع الأول..

"التوقيت: يجب حساب الأمر بالعقل، وبعد ذلك يتدخل الحماس والعاطفة. شكلها: وعن اقتراح البدء بوحدة سياسية وعسكرية وتأجيل الأمور الاقتصادية، ما هو الفرق بين السياسة والاجتماع؟ وبينها وبين الاقتصاد؟ وهل نستطيع أن نفصل بين السياسة والاقتصاد؟! السياسة والاجتماع شئ واحد، فالسياسة ليست البوليس والجيش والقضاء... المخاطرة: إن الوحدة فيها مخاطر كبيرة بالنسبة لكم، وكذلك من الناحية القومية والعربية. والوحدة يجب أن تكون قوية وليست مجرد صورة، وأيضا يجب أن تتوفر الثقة فكلنا مصيرنا واحد. الحكمة من القوانين الاشتراكية: سوريا فيها ظلم اجتماعي عنيف؛ فيه إقطاع، رأسمالية. وكل السياسيين والاقطاعيين آخذين سلفيات من البنوك! إن البنوك في سوريا ليست إلا أفرع لبيروت، وشركة التأمين في سوريا ودائعها في الخارج! وقد تم إطلاق حرية النقد؛ وذلك معناه أن رأس المال المستثمر يستطيع أن يأخذ من عرق الناس أموالا، ثم ينقلها الى الخارج! الاشتراكية: موضوع أساسى.

كيف ننظم العمل السياسى فى البلد؟ يجب أن يكون هناك تنظيم سياسى، يجب أن تكون هناك ثقل أمام الشيوعيين. فكرت فى أن نعمل تنظيم مشابه للتنظيم الحزبى الشيوعى؛ لجنة مركزية أو مكتب سياسى فوق الحكومة يناقش كل شئ. ذلك هام؛ لأن كل واحد الى زوال، ولا بد أن يكون هناك أجهزة سياسية غير البرلمان والحكومة، وهذا التنظيم يجمع كل الفئات السياسية... هناك أجهزة سياسية غير البرلمان والحكومة، وهذا التنظيم يجمع كل الفئات السياسية... هناك أجهزة سياسية غير البرلمان والحكومة، وهذا التنظيم يجمع كل الفئات السياسية...

وأعتبر أن عودة الوحدة ستكون مكسبا كبيرا للقضية العربية، وإذا كان فيه أخطاء لا بد أن نتلافها. وممكن أن نحقق اتحادا بحيث يبقى لكل إقليم شخصيته. فى رأى أن يعتمد النظام على العناصر الوحديّة والتي تقبل الاشتراكية، ولا يعتمد على العناصر الرجعية. والعملية الأساسية فى الموضوع؛ عدم تغيير القرارات الاشتراكية، وعدم تغيير الاصلاح الزراعى".

---

(١) محضر اجتماع ناصر الثانى مع الضباط السوريين، ١٩٦٢/١/٢٩، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وكتب ناصر بعد الاجتماع الثاني مع الضباط السوريين..  
إن الموقف من القرارات الاشتراكية له تأثير على الوضع هنا؛ حيث القاعدة للوحدة  
والاشتراكية!

والنقطة الأساسية الثانية فهي خاصة بالجيش.. فيجب أن يكون جزء في كيان الدولة،  
ومراعاة الضباط الذين خرجوا من الجيش بسبب أنهم وحدويون، وأن يكون تعيين قائد الجيش من  
سلطة رئيس الجمهورية.

نظام الحكم: رئاسي لا مركزي. تنظيم سياسي.. لجنة مركزية لها سلطة كبيرة...  
بالنسبة للمستقبل: حكم جماعي للضمان والاستقرار والاستمرار. البلد ينقصها البناء السياسي  
لكل الفئات".

لم يتمخض اجتماعي الضباط مع ناصر الى نتيجة واقعية، ولكن تتابعت أحداث في العالم  
العربي؛ كان من شأنها تقوية التيار القومي العربي في مواجهة الرجعية والانفصال، اللذان كانا  
يتصوران أن الانفصال بين سوريا ومصر قد دمر كل أمل عربي في الوحدة.

ماذا حدث إذًا؟ في عام ١٩٦٢ حدث انقلاب في دمشق في ٢٨ مارس، وفي ٢٦ سبتمبر  
قامت ثورة اليمن.

وفي الاجتماع السري الثالث بين ناصر والضباط السوريين في ٢٣ إبريل ١٩٦٢، تحدث  
ناصر عن تجربة الوحدة السابقة، فقال: "قلت في الجامعة: إن هذه النكسة ليست معناها انهيارا،  
وإنما يجب أن تكون دفعة للقومية العربية. إن ذلك موضوع تجربة يجب أن نستفيد منه على الصعيد  
العربي والقومي.

أيام الحرب العالمية كانت الخطط كلها متجهة لتفتيت سوريا، وحتى الآن سوريا هي مفتاح  
الموقف الأساسي في الشرق الأوسط.

بعد فشل الوحدة يجب أن نبدأ من البداية؛ أي نبني فكرة القومية العربية مرة أخرى، وكذلك  
فكرة الوحدة العربية على أساس جديد. لقد كان في تفكيري أن الوحدة كههدف تستغرق ٥ سنين؛ نحل  
فيها مشاكل ونضع الأسس ثم نصل الى الهدف. لذلك طلبت اتحادا وليس وحدة في ٤ فبراير  
١٩٥٨؛ على أساس أن يكون حاكم عام في كل من البلدين، ولكن السوريون عارضوا؛ لذا كنت  
متخوفا من التجربة وعارف مصاعبها.

واعتقد أنه قبل قيام أي وحدة أو اتحاد ينبغي أن نأخذ دروسا من الماضي، ولقد تعلمت أن  
أقول إنه حدثت أخطاء؛ لأن هذا موضوع تاريخي.

إن الشعب واعى، ولكنه يحتاج الى جهد. يقولون: إن فكرة القومية العربية ماتت وانتهت!  
وذلك يحز في نفسى!"

ووضع ناصر تساؤلات حول عودة الجمهورية العربية المتحدة بشكل جديد... "كيف تسير الأمور؟ ماذا عن السياسيين والأحزاب والحكومة والبرلمان؟ ثم سؤال أساسى بالنسبة للاشتراكية والإجراءات الاشتراكية؟ اليوم يلغون قوانين العمال والتأميم! ثم بالنسبة للرجعيين؟ لأنهم لن يتوانوا عن محاربة النظام الجديد!"

وعن عودة الجمهورية، والمشاكل والمتاعب والحسنات، قال ناصر عن المزايا: "بالنسبة للوضع الموجود فى العالم العربى تعمل رجة، وقد تطيح بعروش! بالاضافة الى الصدمة التى ستحقيق بكل الدول الاستعمارية، وفساد مخططاتهم. كما أن المد الثورى العربى من الخليج الى المحيط قد يسرع بتحقيق أهداف النضال العربى".

أما عن المتاعب، فقد قال ناصر: "إن عملية الانتخابات لا أومن بها لأنى لست سياسيا محترفا، لكن أؤيد عملية قومية واشتراكية. والقول أن الاشتراكية تأخذ أموال الناس! هذا الكلام قيل وسيقال؛ منعا من القضاء على الظلم الاجتماعى، وإقامة العدالة الاجتماعية التى أعتبرها ليست حسنة بل هى حق.

بالنسبة للأحزاب، الرجعيون سيحاربوننا بأموالهم.

ثم إن فى سوريا كان هناك إزدواج فى الحكم - الحكومة والجيش - وهذا لا ينفع! الجيش تابع للحكومة أم مستقل؟ أم الحكومة تابعة للجيش؟! هذا وضع غير طبيعى، وليس من المعقول أن نعمل وحدة والجيش فى مصر تابع للحكومة. والحكومة فى سوريا تابعة للجيش! ذلك معناه الدولة تنهار!"

وأعاد ناصر السؤال.. "ما هو الهدف من قيام الجمهورية؟ الوحدة فقط؟ أم الوحدة هى إقامة عدالة اجتماعية وخلق مجتمع اشتراكى ديمقراطى متحرر من جميع أنواع الاستغلال السياسى والاجتماعى والاقتصادى؟ وكيف نحقق هذا؟"

وحذر ناصر مرة أخرى.. "يوم ما ترجع الجمهورية ستنكتل جميع القوى الرجعية والمعادية ضدها".

واستطرد ناصر مكررا.. "النقطة الأساسية هي النقطة الاجتماعية، فلا يمكن أن نعمل جمهورية اشتراكية رسمالية! لأن النظام الاجتماعي هو الأساس؛ وحدة النظام الاجتماعي تربط التجربة...

إننا لا يمكن أن نساوم وإلا ضياع رأسمالنا! نحن عندنا مبادئنا التي تعطينا قوة. إن الوضع ليس سهلا، ويجب أن تكون الأمور واضحة للمستقبل، والقوى المضادة أمانا كثيرة جدا. إن عودة الوحدة هي هزيمة لاسرائيل معنويا، وكذلك الانجليز، والشيعيين والمسيحيين في لبنان، والعراق والأردن والسعودية والإمام في اليمن!"

### ب- ثورة العراق ورد فعل ناصر عليها:

قامت ثورة دموية في العراق ضد حكم عبد الكريم قاسم في ٨ فبراير ١٩٦٣، وذلك بقيادة عبد السلام عارف. وقد ضمت عناصر من حزب البعث العراقي، وأعدمت زعماء الحزب الشيوعي هناك.

وبعد أقل من ربع ساعة من إعلان نبدأ قيام الثورة العراقية، طلب ناصر أن توجه كل طاقات الجمهورية العربية المتحدة لدعمها وتأييدها(١).

كيف حدثت الثورة في العراق يوم ٨ فبراير ١٩٦٣؟ ناقش ناصر هذا الحدث في اجتماع مجلس الرئاسة فقال: "نزل الحرس القومي - عدد ١٠٠٠ - والذين اشتركوا فيها فيهم ضباط بعثيين، ولكن في نفس الوقت كان فيهم ضباط قوميين. وقد بدأت العملية صغيرة وأحضروا الفئات القومية الأخرى ليلا لأنهم كانوا سيبدأون صباحا؛ فكلها أيدت، والجيش كله أيد واشتركوا في العملية... وقد أسس حزب البعث في العراق سنة ١٩٥٢، وفي ١٩٥٥ كان أعضاؤه ١٥٠ فقط. وفي سنة ١٩٥٨ لما قامت ثورة ١٤ يوليو كان أعضاؤه ٤٠٠ مكونين في خلايا سرية. بعد ذلك قابل البعث اضطهادا، وهرب منه أعضاء كثيرون...

وعندما قامت ثورة سوريا بعد العراق بشهر - في ٨ مارس ١٩٦٣ - وعين صلاح البيطار رئيسا للوزارة، أذيع أن ناصر يريد أن تعرف جميع القوى أن الجمهورية العربية المتحدة سوف تتدخل عسكريا لحماية الثورة السورية إذا ما تعرضت لعدوان من الخارج، وذلك بعد أخبار عن نشاط سياسي وعسكري في تركيا واسرائيل، كما سارعت الجمهورية العربية المتحدة بالاعتراف بالثورة السورية(٢). وعن الكلام مع السوريين، أوضح ناصر في مجلس الرئاسة.. "أنهم قالوا: سيذهب صلاح البيطار وميشيل عفلق ويتكلمان مع العراقيين، وأتصور أن تكون هناك جبهة أيضا في العراق؛ على أساس دولة واحدة ولها سيادة إقليمية واحدة.

(١) هيكل، الأهرام، بصراحة، "نار تحت الرماد فى المشرق العربى"، ١٩٦٣/١/١٨، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، "سلاما يادار السلام.. وأهلا"، ١٩٦٣/٢/١٥، مرجع سابق.

وقد مثلت العناصر المشتركة فى ثورة العراق جميع أطراف الشعب العراقى، وكان الملاحظ على تشكيل حكومة الثورة هو عدم التجانس بين أفرادها! وبما أن مشاكل العراق الداخلية عديدة ومعظمها طائفية، فقد عين نائب رئيس الوزراء من الأكراد.

وفى ذلك الوقت كان البعث السورى مسيطرا على العراق، وكان الجيش السورى دولة داخل الدولة، وكانوا يسعون لعمل وحدة مع العراق تحت مسمى قيادة جماعية".

وفى اجتماع مجلس الرئاسة فى ١٣ فبراير ١٩٦٣، تساءل ناصر.. "ماهى الاحتمالات؟" واستطرد.. "فى رأى ستحدث صراعات بين القيادات الموجودة، وفى هذا سيحاول كل جانب أن يعتمد علينا. ويقال: إن تأييدنا للثورة من أول دقيقة وصوت العرب؛ ساعد على نجاحها... الهجوم الشديد اليوم من الجرائد الشيوعية [العراقية] على حزب البعث، وفى رأى أن الشعب فى العراق لن يقبل ما يعرف بالتسلط البعثى، والناحية الشعبية مهمة فى هذه الفترة.

إن البعثيين عندهم عقدة كبيرة منا، وعندهم مركب نقص، وميشيل عفلق ليس له شعبية!... وحدة؟ نحن لانريد وحدة مع العراق؛ لأننا سنتعب، ورأينا.. لا بد من الحرية ثم الاشتراكية ثم تأتى الوحدة، وهذا هو الخلاف مع البعث؛ لأنهم يقولون وحدة حرية اشتراكية".

ثم قال ناصر: "إن موقفنا يجب ألا يكون معاديا للبعث حتى لو غلطوا، ونحن تصرفنا هكذا مع الكل.. سعود استمر يهاجمنا ٣ شهور وبعد ذلك ردنا عليه! وكذلك عبد الكريم قاسم، وهو لو كان مشى معنا لم يكن حصل فيه ما حدث؛ لأن عقده أن يكون شخصيته مستقلة جعله ينفصل عن الدنيا كلها! وقد حاولت أن أقابله، وأرسلت له ٤ جوابات بهذا، وهو رفض!..."

وذكر ناصر فى مجلس الرئاسة أيضا.. "نحن ليس لنا تنظيمات فى البلاد العربية، ولكن لنا اتصالات مع ناس عدة لهم اتصالات وتنظيمات، وقد نقوم بالاتصالات بعيدا عن السفارة.

ولقد أيدنا ثورة العراق بدون أن نعلم من قام بها؛ نحن أيدنا مبادئ البيان الأول والثانى. لقد بدأت الثورة سعت ٩،٣٠، ونحن من ١٠،٣٠ كانت صوت العرب معهم؛ غيرنا البرامج كلها ومشينا معهم! وسياستنا أن نؤيد مبادئ وليس أشخاصا، أما بالنسبة لموقفنا من الوحدة فهو الحرية ثم الاشتراكية ثم الوحدة.

لو تمت وحدة بين سوريا والعراق ستقاوم من اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل.. الغرب. وستقاوم أيضا من الشيوعيين، لماذا؟ لأن وجود دولة قوية تطل على البحر المتوسط والمحيط الهندي فى نفس الوقت، لها أهمية استراتيجية كبيرة.

إن المشاكل كبيرة جدا داخل سوريا والعراق، وفى رأى يجب أن نؤيد هذا الاتحاد ونشجع على قيامه...

وإذا حاولوا أن يعملوا من عبد السلام 'طرطورا'، نحن كنا واضعين محمد نجيب فوق رأسنا ومستخبين.. محمد نجيب الذى تكلمنا باسمه، لم يكن يعلم شيئا عن الثورة. كلمته فى التليفون، قال: مين؟ وذهبنا اليه، وقررنا ألا نقول له شيئا. جلست عنده ساعة وكان معى عبد الحكيم، وكان معه ناس، فمشينا. بعد ذلك جلسنا مدة فى مجلس القيادة بدون محمد نجيب. وأنا الذى طلبت أن يأتى.. وأتى، وقلت أنا متنازل، قال: لا.. هذا حقكم... بعد ذلك بشهر... ركبته العفاريت! وبعد فترة أصبح يمسك الجرائد والصور.. وأصيب بالجنون!

اليوم عبد السلام عارف ليس من الممكن أن يصبح [مثله]، وهو ليس بعثى، ممكن يسايرهم لكن لا يمكن أن يأخذ أوامر من نائب رئيس الوزراء... ثم إن الجيش ممكن أن يذهب لعبد السلام أو طاهر (١) أو البكر (٢)...

إنهم فى حاجة لنا، ويكفى أن العالم يتحدث عن ثورة العراق بأنها نصر لنا، الصور التى علقتم.. لم يقل أحد لهم علقوا صورة جمال عبد الناصر! اليوم الصور التى وصلت [من العراق]، معلقين صور جمال عبد الناصر على الدبابات!

نحن نتفق فى أهدافنا مع حزب البعث، لكن توجد عقدة؛ هذه العقدة هى جمال عبد الناصر! صلاح البيطار قال لعبد الحكيم [عامر]: نحن مستعدين أن نتعاون معك وغير مستعدين أن نتعاون مع عبد الناصر! عبد الحكيم قال له: أنا لا يمكن اشتغل إلا مع عبد الناصر!" وتكلم ناصر عن سوريا فى ذلك الوقت، فقال: "هناك حالة غليان وممكن أن يحدث أى شئ؛ الحكم واقع، ولا توجد اليوم حكومة فى سوريا!"

ولإدراك قيمة ثورة العراق بالنسبة للعالم العربى فى السياق التاريخى الذى حدثت فيه بعد انفصال سوريا عن مصر قبل عام ونصف، أو كما كتب ناصر بخط يده.. "فى أصعب الأيام أمل عريض.. ثورة العراق؛ يضيف - بعد العزلة التى فرضت عليه - قوته الى الأمة العربية.. ثورة تقدمية".



- 
- (١) طاهر يحيى، رئيس أركان الجيش العراقي.  
(٢) أحمد حسن البكر، رئيس وزراء العراق.

ثم عدد عبد الناصر فى نفس الوثيقة ما يلي: "السد العالى - ثورة اليمن التى جاءت كالمعجزات.. نضال من أجل التقدم - انتصار ثورة الجزائر.. تجربة ثورية اشتراكية كاملة - نجاح فى إطلاق الصواريخ - ميثاق العمل الوطنى.. أطلقنا الشعارات التقدمية - الشعب السورى تمكن من أن يرفع صوته".

وكتب ناصر أيضا عن.. "الصراع بين قوى التقدم وعروش الرجعية؛ أصدقاء الاستعمار وأعداء الاشتراكية.. لقد ظنوا أنه بعد نكسة الانفصال القومية العربية الثورية - بمضمونها الودوى التقدمى - تتراجع الى انحسار!"

## ٢- مراحل الوحدة الثلاثية:

أ- المرحلة الأولى فى المباحثات: تقارب بين الجمهورية العربية المتحدة والنظام الثورى العراقى:

شرح ناصر فى جلسة مجلسة الرئاسة فى ٢٤ مارس ١٩٦٣ ما حدث.. "بعد ثورة العراق، جاء وفد الى القاهرة وعقدنا مباحثات طويلة، كان الغرض منها تحديد العلاقة بيننا؛ بحيث لا تستطيع أى قوة فى المستقبل أن توقع بين القاهرة وبغداد وتخلق منها قوتين متصادمتين مما يؤثر فى العالم العربى. وباعتبار أن الحكومة فى العراق كانت بعثية، أيضا كان موضوع المباحثات يشمل علاقاتنا بحزب البعث فى سوريا، وعدم الثقة الموجودة عندنا بالنسبة له، والشك بالنسبة للحوادث والظروف التى حدثت، ومحاولة ترك هذا الموضوع جانبا وفتح صفحة جديدة مع البعثيين الموجودين فى العراق؛ ونعتبر أن هذا الموضوع قد نجح.

أثير موضوع الوحدة فى هذا الوقت، فقالوا: إن لديهم مشاكل بالنسبة للوحدة، وإنهم متفقين معنا فى وحدة الهدف. ونحن قلنا: حسب الميثاق.. الوحدة بالنسبة لنا تبدأ من وحدة الهدف، وإننا نرحب بهذا... ورجعوا وسارت العلاقات جيدة جدا".

ثم قال ناصر: "حصلت الثورة فى سوريا(١)، وكانت قوى كبيرة تعمل فى داخل الجيش وداخل البلد؛ بحيث أصبحت الحكومة السورية فى النهاية لا تستطيع أن تسيطر على شئ؛ أى فقدت كل قدرة وكل هيبة وكل احترام، والوضع إنهار!"

وقد بحثت القوة الموجودة في الجيش تغيير الوضع، ولم يتفقوا على يوم! وعرف أن الجيش كله مشترك في هذه العملية، ووجد أن العملية سهلة جدا... وانتهت في دمشق بدون أي خطة، وبدون أي تقدير لما سيتم بعد ذلك!

(١) قامت الثورة في سوريا في ٨ مارس ١٩٦٣.

كل ما عملوه هو البيان الأول، واتخذوا مجموعة قرارات.. تشكيل الحكومة؛ صلاح البيطار.. رئيس وزارة، ونهاد القاسم.. نائب رئيس. وقد تجمع ناس من البعث ومن هنا ومن هنا، ولم يكن فيه أي تركيبة، وسارت العملية في الثلاث أربع أيام الأولى بدون خطة، ثم قالوا: نعمل مجلس ثورة من الموجودين.. من ٥٠ واحد!"

واستطرد ناصر.. "والعملية.. من قاموا بها؟ كلهم كانوا ضباط وحدويين، ضابط واحد اخترق العملية كان بعثيا!"

في الأيام الأولى كانت العملية مفاجأة للناس؛ لا يفهمون ما اللغز أو من الذي قام بالعملية، وأعلن أن وفدا عراقيا سافر الى سوريا.

وصل الوفد العراقي الى سوريا، وكانت هذه أول فرصة للبلاد لتخرج في استقبال الوفد العراقي من المطار حتى قصر الضيافة. وكانت أول مرة يظهر فيها أن الإجماع كله على الوحدة الفورية وعودة الجمهورية [العربية المتحدة]، وبدأت المظاهرات من هذا اليوم.

الوفد العراقي لم يكمل الى قصر الضيافة، حول على وزارة الدفاع الموجودة في الطريق من المطار. خطب رئيس الوفد العراقي - على صالح السعدى.. نائب رئيس وزراء العراق - وقدم ثلاثة مقترحات..

١- عمل اتفاقيات بين الدول الخمس؛ الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق والجزائر واليمن؛ وهو اتفاق بالنسبة للأمن المتبادل بين القوات، فإذا حدثت مؤامرة رجعية أو استعمارية، فلجيوش الدول الأخرى حق التدخل لحماية الأوضاع الداخلية.

٢- عمل اتفاق عسكري بين جيوش هذه الدول.. دفاع مشترك.

٣- عمل مجلس أعلى للتنسيق السياسي بين هذه الدول".

وعلق ناصر.. "وقد فوجئنا بهذا الكلام، فأول مرة كنا نسمعه من الراديو! وما لفت النظر أن صلاح البيطار رد عليه في نفس اللحظة وقال: إن هذا الكلام فعلا يجول في خاطر مجلس قيادة الثورة، الذي نعرف أنه لا يجتمع لأنه مكون من ٥٠ واحد، ولا أحد يقدر يلمه! وبهذا كان واضحا أن

هناك عجز عن اتخاذ أى قرارات؛ لأن يجب أن يوافق ٥٠ عليها! ولم يكن هناك إمكانية؛ فوقفت الدنيا وقتها!

بعد ذلك خرجت البلد فى مظاهرات ثلاثة أيام مستمرة، وكلها تنادى بعودة الجمهورية، وحتى فى العراق لم تحدث عمليات كهذه!"

### ب- المرحلة الثانية: كيف بدأت فكرة الوحدة الثلاثية؟

قال ناصر فى نفس اجتماع مجلس الرئاسة فى ٢٤ مارس ١٩٦٣: "جاء وفد من دمشق؛ مكون من وزير خارجية العراق وضباط عراقيين. وبدأ الكلام معنا فى هذه الأسس التى أعلنت [فى دمشق]، وطلبوا رأينا فيها أو تعديلها؛ بحيث يخرج ببيان بيننا وبين وفد العراق يعلن تبنيها هذه القرارات، وبيان آخر - الذى نشر فى سوريا - أننا سندرس الخطوات التى تؤدى الى الوحدة بين مصر وسوريا والعراق".

ماذا حدث؟

يكمل ناصر.. "عملنا معهم اجتماعين.. فى الأول سألنا واستوضحنا، وقلنا: إننا لم نكن نحب أن نسمع هذه الاقتراحات من الإذاعة؛ لأن ذلك يعطى انطباعات - حتى بالنسبة للجزائر- أن فيه تفاهم بيننا وبينكم على هذه الأمور، ودخلناهم فى العملية ولم نأخذ رأيهم!

وسمعنا الحكمة فى هذا الإعلان، فقالوا: إن العملية لم تكن مرتبة، ولكن هذا كلام جهوزه فى الطائرة، وحتى مجلس الثورة فى العراق لم يكن عنده خبر به! ثم وجدوا أن الظروف تستدعى ذلك لحماية الثورة. وقالوا: إن البلد فلتانة، والرجعيين متروكين فى البلد، والضباط الانفصاليين موجودين فى الجيش، ولا أحد هناك يأخذ قرارات، والحكومة عاجزة، ومجلس الثورة لا يستطيع أن يجتمع، والوضع خطير جدا فى سوريا؛ وهذا هو ما دفعهم أن يتخذوا قرارات بهذا الشكل!"

واستطرد ناصر قائلاً: "كان ردنا.. أن معالجة هذه المواضيع التى فى سوريا لا تكون بقرارات بهذا الشكل! ولكن تكون باتخاذ قرارات فى داخل سوريا؛ بالنسبة لتطهير الجيش من الانفصاليين، بالنسبة للاعتقالات.. العناصر الرجعية والشيوعية، وبالنسبة لمحاسبة المسؤولين على ما حدث فى مرحلة الانفصال، وبالنسبة لتطبيق قواعد وقوانين العزل تجاه هؤلاء الناس، الذين مثلوا فعلاً شراسة الرجعية وتحالفها مع الشيوعية".

واستأنف ناصر الحديث.. "سافر الوفد، وثانى يوم عرفنا من الراديو عن المظاهرات التى قامت هناك [فى سوريا]. والوضع أن البلد كانت فلتانة؛ فهى لا تعرف ما هو خط الحكم الواضح! ثم عرفنا من الراديو عن البيان من قائد الجيش أن فيه وفد سيقوم للقاهرة لبحث الوحدة! ثم بيان آخر.. أن الطائرة التى أقلت الوفد دخلت المجال الجوى المصرى! وعلى هذا رتبنا استقبال الوفد. فلم يعطنا أحد أى خبر عن الوفد! وكان الوفد العراقى والسورى اللذين حضروا وعقدنا عدة اجتماعات".

وبدا ناصر يشرح ما حدث.. "فى أول اجتماع [فى ١٤ مارس ١٩٦٣] طلب من السوريين أن يقولوا الأخطاء التى حدثت أثناء الوحدة. ذكروا أشياء تختص بالموظفين المصريين والضباط المصريين؛ اختصارها.. عدم الشعور بالمساواة من جانب المصريين!" علق ناصر.. "فى المستقبل يجب أخذ ذلك موضع الاعتبار".

ثم سأل ناصر.. "من الذى يحكم سوريا أو من هم مجلس الثورة؟ كان كلامهم أن مجلس الثورة هو مجموعة من الضباط المؤمنين بالوحديين الذين كافحوا طوال عهد الانفصال، ووصل العدد الى ٥٠. وأنهم قبل حضورهم عملوا انتخابات فأخذوا ١٠ وسينضم اليهم ١٠ من المدنيين". رد ناصر.. "إذا كان البعث هو الذى يحكم سوريا، نحن لانتق فيه ونشك فيه! لأننا نعتبره مسئولاً عن جريمة الانفصال. وأن الوزراء يوم ما استقالوا انسحبوا من الوحدة، وحاولوا أن يتصلوا ببعض الوزراء المصريين حتى يستقبلوا معهم(١)!"

وقلنا بالنسبة لهذه المواضيع عن سوريا: إننا لانستطيع أن نتكلم مع العراق عن سوريا، نستطيع أن نتكلم عن العراق مع العراق، وإن علاقتنا مع سوريا تختلف عن العراق لأن لنا معهم ٥ سنوات، وهذا الحساب لابد أن يصفى قبل ما نتفق على أى شئ مع سوريا، ولن نستطيع أن نبحث هذه الأمور مع وفد العراق، الذى لا يعرف عنها أبداً أى شئ، بل إن الأمر الطبيعى أن نبحث هذه الأمور مع سوريا.

وعلى هذا نرفض أن نبحث أمور سوريا مع العراق - وهذا لا يعنى تقليلاً من قيمة العراق - بل معناه تقدير لقيمة الموضوع الى نتكلم فيه، والذى لا يقدرهم هم أن يتكلموا فيه. وبالنسبة للاقتراحات كان ردنا..

(١) لا نوافق على الاقتراح الأول الخاص بتدخل الجيوش، وهذا بالنسبة لمصر الجيش لا يقبله، وإلا معناه أننا لا نثق فيه ونريد أن نحضر جيش من الخارج يحمينا منه! وفى رأى أيضاً بالنسبة للعراق وسوريا هذا الكلام يعطى تفسيرات كأنها اتفاقيات ضد الجيوش [الوطنية]! ولقد كان لنا حق

استخدام الجيوش مع سوريا يوم ٢٨ سبتمبر - يوم الانفصال - وقررنا ألا نستخدم الجيش؛ بعلم أنه كان لنا حقا، وجيش دولة واحدة وليس دولتين واتفاقية! ونحن نرى أن هذا الكلام ضرره أكثر من فائدته ولا نتفق عليه.

(٢) بالنسبة للاتفاقيات، نحن مستعدين مع العراق أن نعمل أى اتفاقيات عسكرية، أما مع سوريا فلا بد أولا أن نتكلم معها بالنسبة لعمل شئ للتنسيق والتنظيم.

---

(١) محضر الاجتماع الأول بين ناصر والوفدين العراقي والسوري، ١٤/٣/١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٣) وبالنسبة لعمل بيان، مستعدين لعمل بيان فى أى شئ بالنسبة لعلاقتنا مع العراق، ولكن لسنا مستعدين لعمل معهم بيانا بالنسبة لعلاقتنا مع العراق وسوريا!"  
واستأنف ناصر الحديث.. "وفى الاجتماع الثانى [فى ١٥ مارس ١٩٦٣] قلنا: إننا بعد الانفصال عملنا الميثاق، وفيه نؤمن بالقيادة الجماعية، ونؤمن بالمساواة والتكافؤ بالنسبة للوحدة. ولكن حتى نضع الأمور على طريقها السليم لا بد أن نتكلم فى الأخطاء، ولا بد أن يوضع الموضوع بصراحة"(١).

وأعاد ناصر السؤال الذى وجهه فى الاجتماع الأول.. "نريد أن نعرف من الذى يحكم سوريا؟" ثم قال: "نحن نؤيد الوحدة بين مصر وسوريا والعراق، ونعتبرها أهم من الوحدة بين مصر وسوريا؛ لأن لأول مرة من أكثر من ألف سنة يمكن مصر وسوريا والعراق ينضموا مع بعض، ولأن هذه الوحدة أقوى من الوحدة الماضية، وسوقها من الناحية الاقتصادية كبير.

قال العراقيون: إنهم يؤيدون الوحدة الثلاثية وسيشتركون فيها، إلا أن الدراسة يمكن تحتاج سنة أو سنتين! هاج السوريون، فسحبوا هذا الكلام!

وأثير موضوع حزب البعث مرة ثانية، فقلنا: إذا كان الحكم فى سوريا بعثى ستكون الوحدة فيها محاور؛ محور بين بغداد ودمشق، ونحن لا نستطيع أن ندخل فى هذه العملية بين المطرقة والسندان! وعلى هذا فُضت الجلسة حتى يرجعوا لحكوماتهم...

بعد الجلسة أُلح الضباط [السوريون] على إصدار بيان.. أننا موافقون على الوحدة الثلاثية. وقالوا: إن الأوضاع فى سوريا غير مستقرة، ولا بد من إصدار هذا البيان (موافقتنا على الوحدة الثلاثية)!

قلنا: لا نستطيع أن نصدر بيان على المجهول!

قالوا: إن هذه العملية يمكن تسويتها كلها؛ بحيث لا يكون هناك بأى حال أغلبية بعثية! لم أقبل، وقلنا لهم: العملية مصير ومستقبل، ولا نستطيع أن يكون قرارنا على أساس كلام بهذا الشكل؛ لأن ما نتصوره أن في دولة اتحادية يكون الثلث والثلث والثلث؛ فمعنى هذا أن البعث تلتين ونحن الثلث! خصوصا إذا اتعمل برلمان اقليمي، أى ممكن أن يعمل برلمان اتحادى على أساس عدد السكان، لكن بعد ذلك يعمل برلمان اقليمي فى الاتحاد. وبهذه العملية يكون البعث له الثلثين؛ لأنه حزب واحد فى كل البلاد العربية.. حزب واحد فى العراق وسوريا.

لقد استمرينا يومين نحاول أن نعرف النسب بين الضباط والبعثيين والمدنيين [فى مجلس الثورة السورى]، ويقولون: إنها لم تقرر! وهذه بداية سيئة!"

(١) الحديث بالتفصيل فى محضر الاجتماع الثانى بين ناصر والوفدين العراقى والسورى، ١٥/٣/١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وقال ناصر مستكرا: "طلبت من الضباط أن يسافروا لبحثوا هذه الأمور. إننا لا نتكلم على أعداد وإنما على شكل الحكم، ونريد أسامى مجلس الثورة قبل مانتكلم ونجتمع غدا؛ ياتصلوا ياتسافروا، ومستعدين نعطيكم طائرة!"

واستطرد ناصر.. "وفى الاجتماع الثالث، [فى ١٦ مارس ١٩٦٣] (١)، بدأنا الحديث بأن البداية غير سليمة والأمور لا تدعوا الى الاطمئنان... وتجعلنا أكثر شكا! وعلى هذا الأساس فإن كلامنا الذى قلناه فى البداية؛ بأننا مستعدين أن نقيم اتحاد بين مصر وسوريا والعراق نسحبه! ونتقدم باقتراح آخر؛ هو الموافقة على المبدأ من الاتحاد [الثلاثى]، ولكن يكون على مراحل؛ تبدأ إما بإقامة اتحاد بين مصر وسوريا، وبعد ستة أشهر تنضم له العراق. وإذا نجح نستطيع أن نختبر حزب البعث فى هذه المدة ونرى كيف سيسير، ونستطيع أن نواجه سوريا مواجهة كاملة، ويكون معنا بعث واحد، أى تكون الأمور على قدم المساواة.

أو يبدأ اتحاد بين العراق وسوريا، على أن تنضم مصر اليه بعد سنة.. بعد ما نرى النتيجة. رد العراقيون.. أنهم لا يوافقون بأى حال على إقامة اتحاد بينهم وبين سوريا، ولكنهم يشتركون فى اتحاد ثلاثى!

ورد السوريون.. لا نوافق أيضا على اتحاد بين سوريا والعراق، ولكن نريد اتحادا ثلاثيا! قلنا لهم: هذا رأينا النهائى، ولو كنتم دوغرى من البداية كانت الأمور فيها ثقة، ولكن ما حدث أمس زرع الثقة، ولا نستطيع أبدا أن نقبل اتحادا بالطريقة هذه (الثلث والثلثين). وقد شعرنا بعدها أن عدم قيام الاتحاد يؤثر على أوضاع حزب البعث عندهم!"

### ج- المرحلة الثالثة اجتماع ناصر مع الوفدين الرسميين العراقي والسوري:

رجع الوفدان الى بلديهما ثم أبلغوا سفير الجمهورية العربية المتحدة في بيروت أن الوفد السوري سيتضمن صلاح البيطار ولؤى الأتاسي - قائد الجيش - وميشيل عفلق، وأحد أعضاء مجلس الثورة العسكرية.

وبدأ ناصر يقص ما حدث لأعضاء مجلس الرئاسة في ٢٤ مارس ١٩٦٣.. "تكلمنا في الجلسات معهم بصراحة، وبدأنا بأن سردنا أخطاء حزب البعث معنا منذ بداية الوحدة، وكذلك ماقلوه: استعمار مصرى! وكانوا يهاجمون فيه المصريين.. حتى الانفصال، وكيف وقع صلاح البيطار على وثيقة الانفصال، والاستقالات ومحاولتهم لتشجيع انفصال بعض ضباط الجيش!

---

(١) محضر الاجتماع الثالث بين ناصر والوفدين العراقي والسوري، ١٦/٣/١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

قالوا: إنهم قادمين ليصفوا الأمور وبدء صفحة جديدة وعمل جديد مبنى على الثقة وعلى الاتفاق!

قلنا: إن الوضع في مصر يختلف عنه في سوريا والعراق. نحن استمرينا ١١ سنة، والأحزاب التي كانت عندنا تختلف عن الأحزاب التي كانت في سوريا والعراق. ونحن في تفكيرنا بعد الانفصال، وجدنا أنه كان من الواجب علينا أن نجمع الأحزاب القومية كلها في جبهة، ووضعنا هذا الكلام في الميثاق.

ولهذا.. فنحن لا نعتبر حزب البعث هو سوريا! ونحن لا نتحد مع حزب البعث ولكن نتحد مع سوريا. وهي بالنسبة لنا تمثلها الفئات القومية التي ناضلت طوال عهد الوحدة، وناضلت أكثر مابعد الوحدة، ودخل ناس منها السجون. فنحن مستعدين أن نتفاهم على ضرورة قيام جبهة قومية تجمع في سوريا؛ البعث والقوميين العرب والوحدويين الاشتراكيين والجبهة العربية المتحدة، وهي الأربع فئات التي ناضلت وتتبني شعارات قومية، والتي في عهد الانفصال قاومتها.

أضاف ناصر.. "كان كلام ممثلي الجيش قاطع.. أنهم يقرون ذلك، وأن الجيش مسئول عن إقامة هذه الجبهة.

وقلنا: إنه يجب أن يُعمل ميثاق لهذه الجبهة، ويجب أن يبحثوا الموضوع مع العراق؛ لأن الفئات القومية هناك مضطهدة وبعضها في السجون ومحرم عليها أي عمل سياسي، علما أن المعركة في العراق مع الشيوعية والرجعية أشد ضراوة!

ومضى ناصر يشرح مفهومه فى العمل السياسى فى الجمهورية الاتحادية لأعضاء المجلس الرئاسى كما ذكره فى الاجتماع.. "كله لابد أن تجمعهم جبهة واحدة بقيادة سياسية واحدة، وإلا إذا كان العمل السياسى فى كل بلد منفصل؛ معنى هذا أن الوحدة لابد أن تنفصل حينما يحدث أى تناقض بين المنظمات السياسية المستقلة. وفى المرة القادمة التى ستنفصل هى مصر! لأنها فى أول عملية تجدها بعدما تأثرت بعملية ٢٨ سبتمبر لن تستمر فى الوحدة!

قالوا: إن أى وحدة عربية بدون مصر لايمكن أن تعيش، واتفقوا على هذا...  
قلنا لهم: إذا كانت وحدة شكلية لن نقبلها، أما أى وحدة حقيقية فنحن نؤمن بها ونعتبر أنها عمل ضرورى. وفى الميثاق.. نحن مستعدين فى الوحدة أن نسير مع أى بلد عربى من وحدة الهدف الى الوحدة الدستورية، ونحن لا نمارس المناورات الحزبية!  
نحن مستعدين أن نقبل اتحاد ضعيف واتحاد متوسط واتحاد قوى، ولكن لا نقبل اتحادا شكليا! ونحن غير مستعدين أن نقبل وحدة اندماجية؛ لأنه ثبت أننا عندما نتكلم عن الوحدة لابد باستمرار أن نقول إن فيه إقليمية، وكذلك فى سوريا والعراق.

قالوا: إن تصورهم للوحدة أو الاتحاد أنه يمثل دولة واحدة. وقد كنت أثرت اتحاد الجمهوريات فى الجلسات مع العراق، وقالوا: نحن نفكر فى دولة واحدة وفيها أقاليم.  
وبالنسبة للجيش، قالوا: رئاسة واحدة أو رئيس واحد، وحكومة اتحادية لها سلطة وتجمع الوزارات الأساسية وبرلمان اتحادى.. إلخ.

قلت لهم [للسوريين]: لقد رفعت شعارا بعد ٢٨ سبتمبر.. «وحدة بلا عبد الناصر»! وإننا مستعدون أن ننفذ هذا على أساس أن تكون وحدة سليمة؛ لأننى مؤمن بقضية الوحدة، وأعتبر أنها إذا لم تحدث فى الأوقات التى فيها التيار الوحدوى جارف، سننتظر ٥٠٠ سنة حتى تتم! أنكروا هذا الكلام تماما!

فقلت: مع الاخلاص والثقة، يجب أن تكون الوحدة مبنية على نسب متساوية، ولا نقبل أن يكون للبعث الثلثين.

قال قائد الجيش: إنهم حلوا هذه العملية على مستوى القيادة السياسية؛ فى مجلس الرئاسة [الاتحادى] يمثل ٢ من مصر وواحد من سوريا وواحد من العراق، خلاف رئيس الدولة...  
وبالنسبة للقيادة السياسية فى سوريا، قال ممثل الجيش: إنهم سيعملون قيادة سياسية تمثل فيها جميع القوى الوحدوية.

وبالنسبة للعراق، لن يكون هناك مجلس ثورة بعد ٣ أشهر؛ مدة تحقيق الوحدة.



قاطع ناصر قائلًا: إننا لا نتفق مع حزب البعث؛ لأنه ليس هو سوريا، بل إن قوته ضعيفة جدا!"

وأضاف ناصر.. "نحن مستعدين أن نسمح لحزب البعث أن يعمل في مصر.. يعمل فرع فيها ونتفق، ونحن نعمل اتحاد اشتراكي في سوريا وآخر في العراق، ونسير على هذا الأساس. قاوموا هذه العملية، فقلت لهم: إننا إذا اتفقنا معكم؛ معنى هذا أننا نسحق الوجوديين (الناصريين) الموجودين في سوريا، ونكون قد تخلينا عنهم؛ وعلى هذا الأساس نحن نصمم على الجبهة القومية".

وتساءل ناصر.. "وبالنسبة للقيادة السياسية هل ستمثل جميع القوى الوجودية في سوريا والعراق، خصوصا إذا كان العدد محدودا (١٢)؟"

واستطرد ناصر.. "في آخر يوم [١٧ مارس] جهزوا بياننا.. اتفاق بين الجمهورية العربية المتحدة وحزب البعث. وقد رفضنا هذا الكلام كلية، وقلنا لهم: إذا جاء ذكر حزب البعث في البيان، معناه أننا فقدنا صفتنا القومية وأعطينا لأنفسنا لونا حزبيا، وهذا لا يتماشى مع سياستنا؛ فهي مبنية على عدم إقامة أحزاب في البلاد العربية، وعلى أن نكون على علاقة طيبة بالجميع".

وعقب ناصر قائلًا: "إن معنى هذا أنهم أخذوا منا صكا لإطلاق يدهم كلية في سوريا!... كما أننا في الجمهورية العربية المتحدة لا نضع أنفسنا في مستوى واحد مع سوريا. وهم رفضوا هذا الكلام، وصدر البيان الذي صممنا فيه على إشراك جميع العناصر القومية والثورية(١)". وعن انطباعه عن الوضع في سوريا، قال ناصر لأعضاء مجلس الرئاسة في ٢٤ مارس ١٩٦٣: "الجيش.. الوجوديون فيه أغلبية والبعثيين أقلية، ونفس الشيء بالنسبة للشعب... إن الجيش قوى وهو القوة الأولى، والبعثيون شاعرين بضعفهم!"

### ٣- رأى ناصر في الوحدة الثلاثية:

#### أ- أهميتها بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة:

عرض ناصر رؤيته للوحدة في هذا التوقيت بالذات أمام مجلس الرئاسة في نفس الجلسة السابقة، فقال: "لقد آمنا منذ بداية ثورة ٢٣ يوليو أن المحيط الأول لنا هو البلاد العربية، وانعزلنا يتعبنا جدا اقتصاديا وسياسيا. أيضا عندما نتكلم على الوحدة يجب أن نضع أمامنا أن فيه وحدة وفيه إقليمية!"

ومن الناحية العسكرية، انعزال مصر يجعلها باستمرار معرضة للضغط السياسي وحتى للعمل العسكرى، فإن اتساع الرقعة يجعل مسرح العمليات يمس مصالح أكثر؛ فيحدث تردد بالنسبة للضغط السياسي وبالنسبة للعمل العسكرى.

ومن الناحية الاقتصادية، البلاد العربية كلها تستورد؛ لا أحد عنده صناعة إلا بعض الحرير وأشياء بهذا الشكل. العراق يستورد بـ ١٢٠ مليون جنيه ويصدر بـ ١٢ مليون جنيه فقط أو أقل! وكله بضائع استهلاكية ننتجها هنا أو فى سبيل انتاجها.

وبعد ثورة العراق وسوريا رجعت أسواقنا؛ أقصد لا بد من إيجاد سوق مشترك... ونحن كنا نشجع التجار السوريين أن يحضروا الى مصر...

ثم إن التصدير لأى بلد أخرى عملية صعبة؛ فلا يمكن أن نصدر لأوروبا، وفى إفريقيا هناك منافسات. ونحن نتكلم مع إفريقيا على السوق المشتركة أيضا؛ بحيث نستطيع أن نقفز بالتصنيع أكثر وأكثر. كما أن هناك اقتراح فى أديس أبابا على أساس نعمل جامعة إفريقية تتم فيها اتفاقيات اقتصادية".

واستطرد ناصر.. "معنى هذا أن الوحدة العربية ستقاوم بكل قوة؛ فالمفروض أننا سنسترد أسواقنا فى هذه العملية. وأيضا لها فائدة؛ لأن ممكن يتم سوق مشترك وتبادل تجارى، ثم بعد ذلك توحيد عملة وسوق استهلاكي كبير.

---

(١) نص البيان، فى ١٧ مارس ١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

أيضا نحن نزيد مليوننا كل سنة ولا بد أن يكون لنا مجال، وقد أثار العراقيون موضوع التهجير؛ فعندهم أرض ولا أحد يزرع فيها! قلت لهم: نحن ليس عندنا أحدا يمشى من مصر! من ناحية القوى السياسية عالميا، إذا لم يكن لنا قوة عالمية لم تكن أمريكا تعطينا هذا العام ١٥٠ مليون دولار، وروسيا تعطينا قروضا.. إلخ؛ لأننا قوتنا السياسية مبنية على شيئين.. إما المنافع التى يعطيها، وإما اتقوا شره! ونحن لا نعطي منافع، وهم يتقوا شرنا فى التعامل السياسى؛ ولهذا يكون موقفنا دوليا وسياسيا أقوى".

وقال ناصر: "كنت أفضل وحدة ثنائية بين مصر وسوريا، ونحن نقبل الوحدة الثلاثية غصبا، ولكنها ستكون دولة تمتد من الخليج العربى الى نصف إفريقيا وقربا على المحيط.. دولة فيها منابع البترول وقناة السويس وأنابيب البترول فى سوريا.. دولة تؤثر على الخليج الذى يعتبر منبع الحياة السياسية لأوروبا وإنجلترا. إنها ستكون دولة فى العالم لها قوة، ليس بعدد سكانها ولكن بموقعها الاستراتيجى وبتأثيرها. وممكن بعد ذلك فيه احتمالات أن تتضم الأردن والسعودية واليمن. وفى رأى

أن تيار القومية العربية والوحدة العربية يستمر تيارا جارفا. وعندما أقول دول تتضمن فذلك على أساس أنها غير رجعية، فلا توجد دولة رجعية ستتضم!

وتوجد عوامل مضادة؛ كأن نخوض مشاكل، كما توجد إقليمية، وممكن انقلاب في سوريا فقد كانت باستمرار تشكل قلقا؛ لأنها محاطة بأعداء؛ تركيا، العراق إبان قاسم، لبنان مركز للعمل ضد سوريا، اسرائيل معادية، الأردن معادية.

إن دخول العراق في الدولة الاتحادية يغير الأوضاع التي كانت موجودة من نهاية الحرب العالمية الأولى الى الآن. تشعر سوريا أنها ليست وحدها في المعركة، ثم يشعرون في الدولة الواحدة أن جيش العراق موجود، أى سيكون هناك توحيدا في الجيش. ولن يكون من السهل الانقلابات، أى يكون هناك استقرارا أكثر في الدولة التي فيها العراق من الدولة التي فيها سوريا وحدها".

وأثار ناصر قضية أن "هناك من يخشى أن يحدث محور بين سوريا والعراق ضد القاهرة! بالنسبة للسوريين، الناس هناك صعب، لا يستطيع أحد أن يفرض عليهم سياسة بهذا الشكل.. سيقاوموها. ثم إن السوريين اتجاههم للقاهرة أكثر من العراق. لقد كان هناك دائما منافسات بين سوريا والعراق، وعمر ما كان فيه منافسات بين سوريا ومصر؛ لأن المحاور التي كانت موجودة هي؛ سوريا ومصر والسعودية أمام العراق والأردن. ومهما حدثت محاولات من السياسيين لخلق محاور بهذا الشكل، فالرأى العام في سوريا والتيار الشعبى قوى وسيظل متجها لمصر. والسوريون اختلاطهم بالمصريين أكبر من اللبنانيين والعراقيين؛ لأنه حدث في وقت الوحدة".

وأثار ناصر موضوع اليمن، فقال: "من أول يوم أرسل السلال أنه يريد أن يدخل في الوحدة، وأنه مفوض بالوحدة. وقد فوجئنا بهذا، وفضلنا ألا ندخل موضوع اليمن أبدا في هذه العملية على أساس ألا يكون هناك مساومة؛ سوريا والعراق، ومصر واليمن؛ لأن الأساس في هذا يكون غير سليم. وكان رأينا بالنسبة لليمن أن الوقت غير مناسب لها لأن تدخل في الوحدة اليوم؛ لأن المعركة لم تنتهى بعد، ثم إنه من الواضح أن هناك عداوات كبيرة بالنسبة للوحدة أو الاتحاد، ومن المصلحة ألا تدخل اليمن اليوم في هذه المشاكل.

إن الانجليز في حالة مفاجأة كاملة وقلق على الخليج وعلى عدن! أما الأمريكان، فيرون أن العملية قربت من السعودية ومن الخليج! الروس، في حالة هستيريا بعد ما حدث في العراق! لأن المعركة أصلا ليست مع العراق أو سوريا إنما معنا من سنة ١٩٥٩؛ معركة الشيوعية المحلية، وهم ينظرون للعملية على أنهم دخلوا المعركة وخسروا! إن حالتهم صعبة، ويقولون: إنها وحدة عاملاها المخابرات الأمريكية، إمبراطورية البترول!

بالنسبة للجزائر، أرسلنا المحادثات لبن بيللا، ورأيه أنهم حكومة مؤقتة وبرلمان مؤقت؛ لأن ظروفهم لا تمكنهم أن يدخلوا في وحدة أو اتحاد، ولكن يبدأون معنا في وحدة هدف؛ على أساس أنهم جزء من الأمة العربية، وسوف تجرى انتخابات قريباً وبعد ذلك يفكرون في الموضوع. ورأينا أنه لا تزال عندهم قوة فرنسية وقواعد.. إلخ، ودخولهم في دولة اتحادية يكون معناه أنه توجد قواعد فرنسية في الدولة الاتحادية!

إن بن بيللا يؤيد موقفنا باستمرار كل التأييد، ويقدر الجهد المصري معهم من سنة ١٩٥٤ حتى اليوم، وقد قرر أن يرسل وفد سيصل اليوم لبحث معنا هذه الأمور. ونحن قلنا: إنه ممكن أن نعمل حسب ما جاء في الميثاق(١)؛ لأن التنظيم يجمع القوى الثورية كلها في العالم العربي بصرف النظر عن الوحدة".

---

(١) جاء في ميثاق العمل الوطني، ١٩٦٢ مايلي: إن الوحدة لا يمكن - بل ولا ينبغي - أن تكون فرضاً، فإن الأهداف العظيمة للأمم يجب أن تتكافئ أساليبها شرفاً مع غايتها، ومن ثم فإن القسر بأى وسيلة من الوسائل عمل مضاد للوحدة. إنه ليس عملاً غير أخلاقي فحسب؛ وإنما هو خطر على الوحدة الوطنية داخل كل شعب من الشعوب العربية، ومن ثم بالتالي فهو خطر على وحدة الأمة العربية في تطورها الشامل. وليست الوحدة العربية صورة دستورية واحدة لا مناص من تطبيقها، ولكن الوحدة العربية طريق طويل قد تتعدد عليه الأشكال والمراحل وصولاً إلى هدف أخير. إن أى حكومة وطنية في العالم العربي تمثل إرادة شعبها ونضاله في إطار من الاستقلال الوطني هي خطوة نحو الوحدة، من حيث إنها ترفع كل سبب للتناقض بينها وبين الآمال النهائية في الوحدة. إن أى وحدة جزئية في العالم العربي - تمثل إرادة شعبين أو أكثر من شعوب الأمة العربية - هي خطوة وحدوية متقدمة تقرب من يوم الوحدة الشاملة، وتمهد لها وتمد جذورها في أعماق الأرض العربية.

### ب- موقف ناصر فيما توصلوا إليه في مباحثات الوحدة الثلاثية:

قال ناصر في مجلس الرئاسة في ٢٤ مارس ١٩٦٣: "رأى في العملية الجديدة أن نسير ببطء في كل خطوة بعكس ما عملناه في المرحلة الماضية، لماذا؟ لأن في رأى أنها عملية تقوية للوحدة باستمرار .

طبعاً بالنسبة للجيش سيكون هناك قيادة عامة واحدة وقيادة مشتركة واحدة، وعملية دمج الجيش أعتبرها مستحيلة في الوقت الحاضر، ولا لمدة ١٠ سنين ممكن أن تنفذ! الآن ونحن نتكلم عن الوحدة، يجب أن نضع في الاعتبار أن فيه إقليمية، وأما نحل إقليمية ظلت ١٠٠٠ سنة بوحدة، وتريد أن تقضى عليها في شهر! أعتبر هذا صعب جداً!...

نحن تاركينهم من يوم الثورة يطلبون دكاترة وطيارين وفنيين. ونحن من مصلحتنا أن نعاونهم، ولكن هم لابد أن يشعروا بحاجتهم الى هذا، وتسير الأمور بهذا الشكل لو يكون هناك السوق المشترك والناحية الاقتصادية.

إن الغلطة الكبيرة أننا كنا نتكلم على وحدة وننسى الإقليمية باستمرار.. يجب أن نتذكر إن فيه إقليمية!"

وقد كتب ناصر بخطه في ٦ إبريل ١٩٦٣، "لابد من تكتيل الاتجاه القومي كله في كل بلد، ثم الكل مع بعض؛ نكون حركة عربية قومية واحدة في البلاد الثلاثة. إنه لا يمكن لحكم ائتلافى فى الوحدة - كل بلد يمثل حزب - أن يضع وحدة حقيقية؛ ذلك ما سينتج عنه الصراع السياسى، وتتأثر الوحدة بالتالى".

وكتب ناصر فى ٧ إبريل ١٩٦٣.. "قبل وحدة القيادات توجد نقطة ضرورية هى وحدة الهدف. وإذا كان هناك خلاف مذهبى، كيف تلتقى هذه القوى السياسية؟! إنها لن تلتقى إلا على أساس محاولة حل هذا الخلاف المذهبى، الذى قد يتولد عنه تصادم مذهبى، أى فهم الشعارات الثلاثة فهما مختلفا.. للوحدة والاستراكية والحرية...

هذه هى النقطة الأولى التى يجب أن تكون كأساس للعمل الوحدوى. بعد هذا نبدأ فى ناحية العمل التنظيمى والشعبى، والعلاقات التى تجمع الجمهورية الاتحادية كلها فى هذا التنظيم. ورأى أنه لا توجد خلافات مذهبية، بل توجد عقد نفسية وخلافات شخصية. إننى أعتبر أن تحديد مفاهيم الحرية والاستراكية والوحدة أهم جدا من الدستور؛ فهو ينبغى أن يكون مسنودا بأسس كبرى من التفاهم والوحدة الفكرية، وبدون ذلك ممكن أن يحدث بيننا تصادمات فى المستقبل.

ويجب أن يكون هناك لغة واحدة فى الاجتماعات وخارجها. ونحن يهمننا تدعيم الموقف الثورى فى كل من سوريا والعراق، وتوضيح أهداف الثورة، وتجريد أعدائها من كل سلاح (الرجعية). ذلك هو العامل الأول لضمان استمرارها، والعامل الثانى هو تجميع قوى الشعب العامل".

ومضى ناصر يكتب: "من الضرورى توحيد النظم السياسية، فالوحدة لابد أن تسير على قدمين؛ الحكم أو الناحية الدستورية، والعمل الشعبى الذى لا يمكن أن يتوحد إلا بتوحيد المفهوم السياسى.

فى العمل السياسى لابد أن تقوم المنظمات الشعبية بجانب الأحزاب أو الجبهة، باعتبارها طليعة ثورية وأنها ستتولى القيادة والتوجيه. وإذا كان هناك كيانيين - الحزب والمنظمات الشعبية - فيجب أن يقيما سويا. وإذا فهمنا أن الحزب هو المنظمات الشعبية، سنجد أنفسنا واقعين فى خطأ كبير، والنتيجة الوحيدة لهذا أن يعزل الحزب عن الشعب، ويضطر أن يمارس دكتاتورية الحزب! كيف توجد المنظمات الشعبية؟ من النقابات ومن الجماهير الشعبية، من الجمعيات التعاونية والهيئات، وهذه المنظمات ليس من الضروري أن تكون كلها أعضاء فى الحزب".

وفى ٨ إبريل ١٩٦٣ كتب ناصر.. "إن الدولة المقترحة أمس(١)، فيها جميع أنواع الفراغ؛ دولة لا سلطة لها، بلا إرادة، كلها ضعف، ونقول عليها دولة اتحادية! ونحن لا نستطيع أن نساهم فى ذلك مطلقا بهذا الشكل. إننا بذلك نقضى على فكرة الوحدة العربية عند الناس! الأجدى أن نضع ميثاق العمل من أجل الوحدة، ثم العناصر المطلوب تفاعلها، ونحدد ٥ سنين، ونعمل مجلس للتوحيد الاقتصادى وآخر للتوحيد العسكرى، ثم التوحيد الثقافى والتوحيد السياسى.. إلخ.

إن أى دولة بدون تعريف العمل السياسى لا يمكن أن تقوم، من الذى سيسندها؟! إننا نريد أن نتلافى أخطاء ١٩٥٨؛ بأن نقيم دولة على أساس شعبى، وعلى منظمات شعبية وسياسية، وعلى جذور عميقة".

وقال ناصر: "إن ما فهمته أمس؛ أننا سنكون دولتين فى داخل الاتحاد؛ البعث يحكم سوريا والعراق، والاتحاد الاشتراكى يحكم مصر! أمس لم يكن الكلام أبدا عن اتحاد، كان كلام عن تحالف بين دول منفصلة!

---

(١) كان ذلك فى الاجتماع الثانى من المرحلة الثالثة لمحادثات الوحدة الثلاثية، ٧ إبريل ١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

إن توحيد العمل السياسى له الأولوية على قيام الدولة الاتحادية؛ حتى لا يقع تصادم يؤدى الى نكسة. وهذا لأن فى داخل بلدين - سوريا والعراق - يوجد توحيد للعمل السياسى عن طريق القيادة القومية لحزب البعث. معنى هذا أن الأمر فى داخل الدولة الاتحادية لن يستقيم أبدا، بل سيكون عبارة عن استمرار للتصادمات وتكرارها؛ بما يضعف الدولة الاتحادية وقد يفسخها! إذاً الحل أن تكون هناك قيادة قومية لكل يمثل فيها جميع الأطراف، وتكون هى الوحيدة؛ بما فيها قيادة البعث، وكل من القوميين العرب والوحدويين والجبهة العربية والاتحاد الاشتراكى.

وبدون توحيد القيادة القومية للعمل السياسي في الجمهورية، سنقابل مشاكل؛ لأنه سيكون فيه محور في داخل الدولة المتحدة، ولن يكون هناك انسجاماً!

واستطرد ناصر.. "وفي تصوري أن القيادة الاتحادية بالشكل الذي قيل، ستكون هي القيادة القومية لحزب البعث من وراء ستار! فإذا كان هناك ثلاث أطراف منهم اثنين تجمعهم قيادة موحدة، مهما عملت قيادة اتحادية فإنها ستكون شكلية. وما أقصده أن القرار في أي موضوع سيكون في قيادة حزب البعث!"

وأصبح الموقف في سوريا - كما شرحه ناصر - في اجتماع مجلس الرئاسة، في ٢ إبريل ١٩٦٣، "أن هناك ضغوط عليهم من الشعب، وكانت هناك مظاهرات أمس. وأحسن تعبير عن هذه المحادثات من لبناني قال: «حوار الطرشان»!

إن حزب البعث يتصل بالأمريكان والروس والشيوعية، ويقولون لهم: نحن الذين نقدر نقف ضد عبد الناصر؛ فساعدونا، وإذا أكلنا عبد الناصر سيلتهم العالم العربي كله!

لقد اشتربنا جبهة وطنية، ونحن عارفين أنهم لن يقدروا على ذلك!  
إن الوضع في العراق صعب، وعلى الرغم من سوء حزب البعث، إلا أن سقوطه وعدم وجود البديل قد يؤدي إلى دكتاتورية عسكرية؛ فيأتي شخص مثل عبد الكريم قاسم.. إنعزالي!...

وأخيراً قال ناصر: "السؤال الهام.. هل لو اتحدت سوريا مع العراق ستكون هناك معركة معنا؟ هم اليوم عارفين أنه لو حدثت وحدة ووصل عبد الناصر إلى دمشق، يستطيع أن يفعل أي شيء!"

قابل ناصر أحمد حسن البكر - رئيس وزراء العراق - في القاهرة في ١٤ إبريل ١٩٦٣، ودار الحديث حول تصفية مشاكل العراق قبل الدخول في الوحدة. وكان رأى ناصر في مشكلة الأكراد.. أن "حلها بالحرب ليست حلاً، وسنؤيدكم في موضوع الأكراد ونعتبر ذلك واجباً".

وعبر ناصر عن شعوره فقال: "إن هذه الثورة [في العراق] كنا ننتظرها بفارغ الصبر ونحمل لكم كل تقدير. ومنذ الآن يقولون: «تمصير العراق».. مانشيت في لبنان! اليوم في عملية الوحدة الدعاية المضادة من الجويش أوبزرفر إلى راديو اسرئيل إلى الجرائد العميلة في لبنان؛ خالقين معركة مع عبد الناصر والقاهرة!

والشيوعيون.. من يوم ما بدأ الكلام عن الوحدة يقولون: الناصرية تريد أن تتوسع!

إن التركيز كله على القاهرة؛ فهي التي تؤيد أية حركة تحررية جديدة، واليوم الوحدة الجديدة أصعب".

وأضاف ناصر.. "البعثيون فى سوريا يقولون: تكبيل الطغيان المصرى! وحدة بلا طغيان ناصرى!"

ووجه ناصر كلامه الى البكر قائلا: "إننى أعتبركم متحيزين للبعث فى سوريا؛ ولذلك لا بد أن أتخوف! الصورة التى أمامى سيئة! من ناحية الشكل، فيه طرفين فى جانب - البعث العراقى والسورى - وطرف فى جانب آخر وهو الجمهورية العربية المتحدة! هل يمكن أن نتجاهل هذا الوضع؟! لا يمكن طبعا.

إن مشاكلنا مع السوريين وليست معكم، وأكثر كلامى نتيجة تجربتى معهم... إن فى سوريا حاليا مجتمع صعب جدا، ولن تستطيع قوة أن تسيره! صلات قرابة متشابكة، وعائلتان ثلاثة هم المسيطرين فى الجيش وغيره من المؤسسات! فى دمشق الرجعية لها قوة وكذلك رأس المال وسيضرب الوحدة... إن من يحكم سوريا هم عتاولة المال - الرأسماليون والاقطاعيون - وهى تحكم من بيروت وليس من دمشق!

نحن نعتبر الوحدة الاندماجية أمرا مستحيلا، ولا نقبل وحدة فورية. فإذا لم تكن هذه الوحدة سليمة ومفهومة ونفكر بها بكل ثقة، فإننا نجد أنفسنا نغرق!"

واستطرد ناصر قائلا: "لى رأى.. ولو نبدأ بوحدة ضعيفة، لكن إذا ضيعنا فرصة الوحدة اليوم، يمكن ألا تجئ مرة أخرى أبدا. وعلى هذا الأساس يجب أن نكون مرنين الى أقصى حد، ومهما كانت الوحدة ضعيفة تظل وحدة؛ على شرط أن تكون هناك إمكانيات تقويها.. فى ٥ سنين، ١٠، ١٥، يقودها من يأتون بعدنا، ولكن لا نضيع الفرصة".

والمهم هنا.. هل ما توقعه ناصر حدث؟

#### ٤ - توقيع اتفاقية الوحدة(١):

وكتب ناصر معلقا على توقيع ميثاق الوحدة..

- "هل كان حزب البعث يريد الوحدة أو يريد الحكم؟!"



- كانت مفاوضات الوحدة بناء على الضغط الشعبى.
- ميثاق ١٧ إبريل ١٩٦٣ من ميثاق العمل الوطنى الذى صدر فى القاهرة [فى ٢١ مايو ١٩٦٢].
- لا تعريف للوحدة والحرية والاشتراكية!
- وفى اجتماع مجلس الرئاسة فى ٢٤ إبريل ١٩٦٣ - بعد أسبوع من توقيع ميثاق الوحدة- قال ناصر: "فى رأىى هى ليست وحدة، ولكن عمل من أجل الوحدة، وسنظل سنتين ثلاثة الى أن تتضح الأمور! فى فترة قصيرة ستظهر النوايا بالنسبة لحزب البعث - وهو أقلية فى العراق وسوريا - وواضح من اتجاهاتهم أنهم يريدون السيطرة فى البلدين. وإذا حدث ذلك ستكون الأوضاع غير مستقرة؛ لأنهم سيضربون عناصر كثيرة.
- إنهم سيتعبون جدا فى سوريا؛ ففيه كلام أنهم سيقومون بالتخلص من العناصر التى يسمونها الناصرية فى الجيش. وإذا حدث ذلك سنقع فى مشاكل معهم، وهم متفقين فى ذلك مع العراق! والحقيقة أن العناصر الوجدوية فى الجيش أكثرية، ولكنهم عناصر ضعيفة بدون قيادة، العناصر التى مع البعث أقلية جدا ولكنهم منظمين.
- إن أى أحد عمل معنا يتخلصون منه، إذا كانوا حسنى النية كانوا لا يفعلون ذلك! وقد تكلمت فى هذا مع لؤى الأتاسى - قائد الجيش - فقال: إنهم خائفين منا!
- بالنسبة للوحدة، كان من المهم عدم فشلها، لأن ذلك كان سيؤدى الى رد فعل عكسى، ويكون نجاحا لاسرائيل والرجعية والشيوعية، ونجد أنفسنا فى مواجهة مفتوحة مع البعث! ولذلك كان رأىى أن ندخل فى وحدة حتى ولو ضعيفة، ثم نعمل على تقويتها".
- **الوحدة الثلاثية واسرائيل:**

وقد أثار ناصر أيضا فى نفس اجتماع مجلس الرئاسة أنه فى اليومين السابقين بدأ يقلق من اسرائيل لأول مرة! وقال: "موضوع الأردن لا أحد يعرف نهايته؛ لأنه ليس مفتعلا وإنما عفويا".

---

(١) نص ميثاق الوحدة، ١٧/٤/١٩٦٣، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

فقد قامت مظاهرات فى المدن الأردنية الكبرى فى ٢٠ إبريل ١٩٦٣ تجاوبا مع إعلان الوحدة، وأمر الملك حسين بإطلاق النار على الجماهير! ونشبت معارك بين المتظاهرين وقوات

الحكومة. وسقطت وزارة سمير الرفاعي، وحل الملك حسين البرلمان وعين زوج عمته - حسين بن ناصر - رئيسا للوزارة!

وقد شرح ناصر الوضع قائلا: "يربط الحوادث ببعضها، فإن صدى إعلان الجمهورية العربية المتحدة الجديدة يخوف! فلم يكن أحدا منتظرا أن تتم العملية، بل كانت مفاجئة. والمرارة بانته بعد ذلك من الصحافة الانجليزية والأمريكية، وبالذات الحملة اليهودية - جريدة دافار والهستروت - وفيه كلام عن تدمير قواعد الصواريخ، وعملية حمى!

حتى أول أمس كان مدى العملية أنها سياسية؛ الغرض منها كسب الأموال ومنع المعونة الأمريكية عن مصر، ولكنى أرى الموضوع زيادة عن ذلك! فبالأمس كان هناك اجتماع للوزارة الاسرائيلية، وكان المفروض أن يحضر رئيس الأركان في الجيش الاسرائيلي، إلا أنه أجل الاجتماع لليوم!

الحوادث اليوم في الأردن؛ عدد القتلى ١٠٠. وفي رأيي أن الملك حسين يقدر أن يسيطر على الوضع، ولكن سيكون لها رد فعل!"

ومضى ناصر يتساءل.. "هل لو حدث شيئا في الأردن اسرائيل ستتدخل كما يقولون؟! الكلام أمس أن بن جوريون كان طالب أن المجلس يعطيه سلطات للتصرف حسب الظرف. ولكن حتى إذا لم يأخذ سلطات، فإنه يستطيع أن يتصرف، ففي ١٩٥٦ ولا حتى مجلس الوزراء كان عنده خبر! وفي عملية لافون(١) زوروا الإمضاءات وتمت العملية! وهو ماشى بحسب علاقته بالجيش. في رأيي أن اليهود في حالة خوف اليوم؛ لأنه لو حصلت وحدة عربية ومشيت، الوضع الطبيعي أن اسرائيل تُضرب وتنتهي.

---

(١) قضية لافون: هي عملية سرية اسرائيلية فاشلة في صيف عام ١٩٥٤، كانت تعرف بعملية سوزانا وكان من المفترض أن تتم في مصر عن طريق تفجير أهداف مصرية وأمريكية وبريطانية. هدفها تهريب يهود مصر وإيهامهم مضطهدون داخل مصر بهدف ترغيبهم في السفر إلى اسرائيل. ولكن هذه العملية اكتشفتها السلطات المصرية، وسميت باسم " فضيحة لافون " نسبة إلى وزير الدفاع الاسرائيلي آنذاك بنحاس لافون الذي أشرف بنفسه على التخطيط للعملية. حكمت السلطات المصرية على منفذي العملية في ديسمبر عام ١٩٥٤.

وأمس كلمت عبد الحكيم [عامر] فى الوضع، وبالذات كنت خائف على الطيران، وبالذات أننا كنا مركزينه فى مطارين أو ثلاثة. وقلنا نتخذ حد حالة الطوارئ، ونرجع القوات من اليمن بأسرع ما يمكن!

إن اليهود بدأوا يضغطون على أمريكا، ونحن ما صدقنا أن الروس غيروا سياستهم فى الفترة الأخيرة بعد سفر على صبرى(١) الى موسكو. لقد كانوا يهاجمون الوحدة، ثم لما تكلم على صبرى مع خروشوف - الذى اهتم به وقطع اجازته - فطلب إرسال دعوة لعبد الحكيم؛ وهذا يدل على أنهم يريدون سياسة تقارب".

واستطرد ناصر.. "نحن عندنا خطط بالنسبة لاسرائيل، لكن موقفنا اليوم بالنسبة لأية حملة هجومية، أننا نستطيع أن نذهب لبيير سبع بالنسبة للقوات والأوضاع الموجودة اليوم. وبالنسبة لعملية دفاعية، عندنا امكانية كاملة للدفاع، وقد بحثت ذلك أمس بالنسبة لليمن، وقلت لعبد الحكيم: يجب أن نخلص موضوع اليمن بأسرع ما يمكن! بالنسبة للدفاع وضعنا سليم، بالنسبة للهجوم وضعنا صعب! إن عملية ضرب اسرائيل ليست فى حسابنا، وكل ما نعمل فيه اليوم على أساس دفاعى.

وفى رأى أن الحرب الوقائية التى يتكلمون عليها؛ هى ضرب المطارات، والحديث عن الصواريخ هو حرب وقائية ليهدم قواعد الصواريخ.

هل العملية ستكون خاطفة فى أول ضوء صباحا؟ إن رادارنا الروسى لا يسجل الطيران الواطى؛ وهم بهذا يستطيعون أن يدخلوا! ونظام الصواريخ على الدلتا وأسوان والقناة والصواريخ أرض - جو دفع فيه ١٢ مليون جنيه، والانجليز والسويسريون مستعدون أن يعطونا رادارات. إن عملية الهجوم صعبة جدا، سنجد أنفسنا غارزين فى النقب ولا نستطيع أن نفعل شيئا! وبالتالي فسياسة الدفاع مبنية على مقابلة الضربة بضربة أشد.

وعلى هذا الأساس تكلمنا على تسع مطارات جديدة، وجهزناهم... وقد واجهتنا مشاكل؛ وهى التزويد بالوقود، وألحينا فى الحصول على طائرات TU16، وعندنا طائرتان. كما قررنا تزويد فرقتان مشاه وفرقة مدرعة، وحصلنا على ٢٠٠ دبابة لها، واتفقنا على ٢٠٠ دبابة أخرى، وطلبنا الأسراب من طائرات ميغ ٢١.

كل ذلك من سنة ١٩٦٠؛ على أساس أن استراتيجيتنا لو اسرائيل ضربت نكون جاهزين. نحن عاملين خط دفاعى فى سيناء، ومطارين جداد (سرى)؛ على أساس أنه من هذه المطارات نقدر ندخل داخل اسرائيل، فمن القناة لا نستطيع أن ندخل شمال اسرائيل.

(١) رئيس المجلس التنفيذي.

قد يكون هدف اسرائيل الأكبر أن يشل القوات المسلحة، فإذا ضرب الطيران شلك لفترة". وعن موقف الولايات المتحدة، قال ناصر: "إنها تضغط حتى لا يعمل العلماء الألمان [في مشروع الصواريخ]، ولتتمنع المعونة وصناعة الصواريخ، ولتوجد توازن في القوى [بين العرب واسرائيل]، وهذا هو الجديد؛ لقد تكلم الأمريكان معي عنها، وقبل ذلك كانوا يتجنبون الكلام عن اسرائيل!

قالوا: إن أمريكا تتدخل ويحدث نوع من توازن التسليح بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل، وهذا يمنع العبء عنكم!

قلت: في ١٩٤٨ قلتم هذا الكلام، ثم أعطيتم اسرائيل [سلاح] وفرنسا أعطتها! إن هذا الكلام لا يؤخذ به!

قالوا: ما الحل؟

قلت: ما يهدى الموضوع هو رجوع اللاجئين الى فلسطين؛ فإذا عاد مليون لاجئ الى اسرائيل.. ولكن اسرائيل ترفض! إن الاقتراح الذي تم في الأمم المتحدة العام الماضي على عودة اللاجئين، لم يحددوا رقما، ونحن رفضنا لأننا علمنا أن الرقم كان ٢٠ ألف!" واستطرد ناصر مخاطبا أعضاء مجلس الرئاسة.. "وبالنسبة لاحتمال احتلال الضفة الغربية، فإن من يريد ذلك لا يعلنه! إذا أخذوها بالعرب تكون أكبر مشكلة! معناها أنهم أخذوا المليون عربى الموجودون في الضفة الغربية الى داخل اسرائيل! ثم إن المنطقة جبلية وليست سهلة. عملية اسرائيل - [تهديداتها] - الغرض منها منع المساعدة الأمريكية عنا، وهذا هدف لاسرائيل. لقد أخذنا هذا العام ٧٧ مليون دولار، وهم يعرفون أن هذه الأموال نصرف منها على اليمن والسلاح، ولو وقفت سنقف فترة.

الاتحاد السوفيتى انكشف من سنة ١٩٥٦ حتى الآن ومع كوبا! لذلك هو سيعمل سياسة!" وتساءل ناصر.. هل اسرائيل ستضرب؟ بعد سنتين سيكون هناك جيش موحد، اليوم الجيش السورى ضائع، والعراقى مشغول فى الأكراد. والعام القادم - بعد قيام الدولة بعدة شهور - ستكون هناك قيادة موحدة وخطط موحدة. وبالنسبة للعراقيين، بعد ٣ شهور سنكون قد دربنا طيارهم.

إن بن جوريون واليهود إذا كانوا يريدون أن يضربوا فليس أمامهم إلا مصر! لقد كتب ماكين فى الاكسبريس أمس [٢٣ إبريل ١٩٦٣].. أول من يظهر بعد الفراغة هو عبد الناصر! وهنا فيه جواسيس كثيرين وحتى فى السفارات.. الأرجنتين، اليونان، فرنسا؛ كلهم يتشغلون لليهود! إن الأمريكان يعلنون عن دخول أسلحة قبل ما أعرف! وقد مسكنا طلائنة ويونانيين يعملون مع اليهود، وكذلك مصريين!

نحن فى المرحلة الحالية سياستنا هى الدفاع، والنقطة.. ماذا لو هجموا على الأردن؟ إن امكانياتنا اليوم لا توصلنا لبير سبع، وقد بحثت الأمر أمس.

إن القوة الأساسية فى اسرائيل هى الطيران والصواريخ، والعملية فى المستقبل غير متكافئة؛ لأنهم بعد ما يحصلون على [صواريخ] الهوك - ٢٥٠ كم ويقابل الطائرة قبل ما تصل- الطيران يكون صعبا، الحل الوحيد هو الصواريخ.

واستطرد ناصر، "إن أول شئ هو سلامة الجمهورية والدفاع الجوى ومعه الدفاع الأرضى، لماذا؟ إذا كنت ستضرب الطيران، ستضرب منشآت البترول، الموانى.. إلخ؛ لقد أخذنا الدرس من ١٩٥٦، وعندنا مدافع كثيرة مضادة للطيران ١٠٠ مللى، لكن إذا ضرب مدن سنضرب مدن!

السؤال.. إذا ضرب الأردن بدون أن يضربنا، لا نستطيع أن نظل ساكتين. بالنسبة للصواريخ الخاصة بالميج ١٥، ١٧، ٢١ فإننا لا نشغلها، إنها لليمن ونشتريها من سويسرا ولست روسى. ونحن عندنا طيارين زيادة عن الطائرات، وأمس طلبت أن الطيارين يرجعوا من اليمن".

وتساءل ناصر مرة أخرى.. "إذا احتلت اسرائيل الضفة الغربية أو جزء منها بدون العدوان، فما هو موقفنا؟ علما بأنى قلت أمس: لا بد أن نعمل خطة بحيث إذا دخلوا الأردن سندخل! وعبد الحكيم قال: إن الخطة جاهزة.

الأساس.. أنهم حتى يحلوا موضوع فلسطين لا بد أن يضربونا! والآن نوزع الطائرات ولا نركزها فى ٣ مطارات".

وأجاب ناصر ردا على طلب الهجوم على اسرائيل فى اجتماع مجلس الرئاسة.. "رأى من الناحية السياسية، أننا إذا ورطنا أنفسنا فى قتال هجومى نكون بعد ذلك صيدة لكل القوة الدولية، وسنكون عرضة للمساومات؛ يعطون لاسرائيل قطع بحرية وطائرات، ثم يعطوك هزيمة مضبوطة من اسرائيل فى الوقت الذى الكل فيه ضد اسرائيل! هذا هو الموقف الذى دائما يقلقنى من موضوع اسرائيل!

وإذا بدأنا بالحرب لا نستطيع أن ننهينا، وإذا هاجمت إسرائيل الغرب كله والصهيونية تنظر لنا كقوة كبيرة طالعة ومرسلة قوات لليمن!

وليست إسرائيل هي المشكلة، ولكن من هم وراء إسرائيل! الحقيقة أنني لا أحسب أبدا قوات إسرائيل فقط الموجودة لديهم.. ٦٠ مستير، ١٦ فيتوري، ٣٠ ميراج؛ لأن هذا العدد ممكن يتغير في ٢٤ ساعة! ففي عملية بهذا الشكل، الفرصة الأساسية أنهم يخلصوا علينا فيها! بالنسبة للوحدة وموقف مصر، نحن اليوم أخطر عليهم من سنة ١٨٤٠ أيام محمد علي، وواصلين لحدود إيران وتركيا والخليج؛ إذا وجدوا الفرصة يخلصوا منا".

وعاد ناصر الى السؤال الآتى للمرة الرابعة.. "ماذا لو احتل اليهود الضفة الغربية أو جزء منها، بدون أن يهاجم مصر، فما هو موقفنا؟

وهنا يجب أن ينظر للموضوع من جميع النواحي. إن الروس أقوى منا مائة مرة، ولماذا تراجعوا ضد أمريكا؟! لسلامة الاتحاد السوفيتي!

إن كلام اليهود.. أنهم سيفرضون علينا ميعاد ومكان المعركة!

وفي ٢٦ إبريل ١٩٦٣ أرسل بن جوريون رسالة استغاثة شخصية الى كنيدي، وذلك بعد توقيع ميثاق الوحدة الثلاثية بين الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق، وذلك بالرغم من نقض سوريا لهذا الاتفاق بعد أربعة أيام من صدوره.

لقد انتهز بن جوريون الفرصة ليعبر للرئيس الأمريكي عن قلقه مما يحدث في مصر؛ ويقول إن إعلان الوحدة الثلاثية حقق وعد بالوحدة العسكرية لتحرير فلسطين، وأن هذا يهدد الاستقرار في المنطقة وأمن إسرائيل.

ويحرض بن جوريون كنيدي قائلا: "إن إسرائيل تجد أنه من الصعب أن تصدق أن الولايات المتحدة والعالم المتحضر سوف يذعن لهذه المحاولات للتحرير". ومضى يقول: "إن مصر تتلقى مساعدات مالية كبيرة من الولايات المتحدة والقوى الغربية الأخرى".

واقترح بن جوريون لاحتباط مجهود "التحرير" "الكارثي" - [من وجهة نظر إسرائيل] - فكرة غريبة جدا؛ أن يصدر إعلان مشترك من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي؛ يضمن أمن ووحدة أراضي كل الدول في الشرق الأوسط!

ويوعد بإنهاء كل مساعدة لأي دولة تهدد جيرانها أو ترفض الاعتراف بهم!

واقترح بن جوريون في نهاية رسالته أن يطير الى واشنطن ليتناقش مع كنيدي بدون إعلان.

وانتهز بن جورون الفرصة فشكر كنيدي على صفقة الهوك، إلا أنه أعرب أنها لا تكفى وحدها فى مواجهة تسليح جيرانها!(١)

رد كنيدي على رسالة بن جورون فى ٤ مايو ١٩٦٣(٢) يطمئنه - بعد مبالغته فى كلامه عن تهديد العرب لأن اسرائيل بعد تحقيق الوحدة الثلاثية - قائلاً: "دعونى أؤكد لكم مجددا حرصنا العميق على أمن وسلامة اسرائيل. ونحن نراقب عن كثب التطورات الجارية فى العالم العربى، ونسعى للتأكد من أنها لا تأخذ منحى يشكل خطرا على أمن أى دولة من دول المنطقة..."

وينبغى لبلدنا على حد سواء الاستمرار فى توخى الحذر والتأهب لجميع الآثار التى قد تترتب على حركة الوحدة العربية الحالية؛ وليس من الواضح على الإطلاق فى الوقت الحالى ما سيؤول إليه مستقبل هذه الحركة وما هى سرعة تطورها.

وأنا متفق مع وجهة نظركم أن الاستخفاف بالتهديدات العربية المستمرة بتحريض فلسطين هو من قبيل الاستهتار غير المبرر، وأنهم تماما الفلق الذى تشعرون به أنتم وحكومتم إزاء بعض العبارات الواردة فى وثيقة ١٧ أبريل التى وقعتها مصر مع سوريا والعراق. وسوف تلقى أية سياسات وأغراض تتم عنها تلك العبارات؛ معارضة مستمرة من الولايات المتحدة...

وفيما يتعلق بطلب اسرائيل وقف المساعدات الاقتصادية الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة، قال كنيدي فى رسالته لبن جورون: "ومازلت أوّمن إيمانا عميقا، أن الجهود التى تبذلها الولايات المتحدة... من أجل إقامة علاقات فعالة مع الدول العربية؛ تصب فى واقع الأمر فى صميم المصالح طويلة الأمد لاسرائيل على الأقل بقدر ما تفيد الولايات المتحدة أو البلدان العربية نفسها.

هذا النفوذ الذى نمارسه دائما لصالح السلام فى المنطقة، وفى ظل مراعاة كاملة لأمن إسرائيل. وبالتالي فإننى لا يمكن أن أتفق مع الإشارة إلى أن المساعدات الاقتصادية المحدودة التى نقدمها للجمهورية العربية المتحدة يمكن اعتبارها مصدر قوة من شأنه توجيه الأسلحة الروسية ضد إسرائيل عندما تسنح الفرصة..."

---

(١) رسالة بن جورون الى كنيدي، ٢٦/٤/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٢) رسالة كنيدي الى بن جورون، ٤/٥/١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ولكننا نعتقد في واقع الأمر أن العلاقات الاقتصادية بيننا وبين الجمهورية العربية المتحدة تحجّم النفوذ الخطير للاتحاد السوفيتي، وتعتبر بمثابة رادع لأي عمل عربي قد يدمر السلام في المنطقة، ويضر بمصالح الولايات المتحدة. وبطبيعة الحال، كما تعلمون، نحن لم نسمح على الإطلاق للاعتراضات العربية بأن تؤثر على سياسة الدعم القوي والمساعدة التي نقدمها لإسرائيل، كما برهنا على ذلك مؤخرا من خلال اتفاقنا على منح إسرائيل صواريخ هوك، وقبل ذلك، على المساعدة في تسوية مسألة مياه بحيرة طبرية.

بل إن كنيدي رفض عرض بن جوريون للذهاب سرا وعلى وجه السرعة الى واشنطن وقال: "إن التجربة السابقة تشير الى أنه في وقت كهذا؛ عندما يكون الاهتمام العام متركزا على هذا الجزء من العالم، وعلى دور الولايات المتحدة فيه.

لا توجد احتمالات معقولة لامكانية عقد لقاء بيني وبينكم دون إعلان. وأخشى أن أي اجتماع معلن بيننا سيكون له أثر على زيادة مستوى التوتر في المنطقة وسيعزز التكهنات التي تشكل خطرا على هدفنا المشترك في الحفاظ على الاستقرار والسلام".

## ٦- نقض اتفاقية الوحدة الثلاثية من جانب البعث السوري والعراقي:

لقد حدث ما توقعه ناصر، ونكث البعث باتفاقية الوحدة الثلاثية التي تم توقيعها مع مصر والعراق في ١٧ إبريل ١٩٦٣.

وقد حكى ناصر لعبد السلام عارف أثناء زيارته لمصر في ٢٢ أغسطس ١٩٦٣ ما حدث.. "إنه في المحادثات السابقة لم تسر الأمور في الطريق المرجو! لقد كان فيها أزمة ثقة متبادلة، وهي اليوم أشد وأكبر! لقد عُذر بنا بعد توقيع الميثاق، وقد وقعنا بناء على طلب الوفد العراقي، ولم نكن لنوقع!

فقبل التوقيع بيومين وصلنا لنقاط خلاف، وكان المفروض ألا اتفاق! [ولكن] حضر العراقيون وتكلموا عن مصلحة العراق وظروفه، وقلت: من أجل المصلحة العربية سنوقع الاتفاق، ونعتبر الميثاق عملا من أعمال الوحدة، ومن الخسارة أن نضيع الفرصة.

رغم هذا، بعد توقيع الميثاق بأربعة أيام، حدثت عملية غدر وتحطيم لكل شيء! ومن المؤسف في الموضوع أنه كان بالاتفاق مع العراق.. سوريا مع العراق! لقد كنا نوقع الميثاق في ١٧ إبريل، ويوم ٢٠ يحدث هذا!؟!



إن بيننا وبين سوريا لا توجد ثقة، وكنت دائما ألح على العراقيين أن يبعدوا عن مشاكلنا مع سوريا؛ لأن لها ذيول وتاريخ ولن تنتهي بسرعة؛ خمس سنين طوال!  
إن المعركة أصبحت بين القوميين وبعضهم في سوريا، ومن أول مقابلة قلنا: لا بد للقوميين أن يكونوا جبهة واحدة في مواجهة العناصر اللاقومية.  
الكلام.. أن قرر الرفاق تصفية الناصرية! وهذا جعلنا نسحب ثقتنا ونشعر أن المستقبل غير آمن.. طعن وغدر!

وهل طلبت وحدة؟! إننى لم أطلب وحدة. وعندما قامت ثورة العراق أيدتكم، وعندما حضرتم في فبراير قلت لكم: وحدة هدف، ولا بد من لقاءات، ويجب أن نعرف بعض.  
إن بغداد انحازت نحو سوريا، ولا يوجد أسباب خلاف مباشرة مع العراق!  
لماذا لم نطالب بالوحدة؟ لأن إذا كان هناك من يتهم أن الوحدة تسلط أو فرعونية! إذا لا نتكلم حتى تضيع كل الرواسب ونعالجها، ثم نتبى الوحدة على أساس سليم".  
وقال ناصر: "إننى أعتبر أن ميثاق ١٧ إبريل انتهى! وعندما يقال إنه تقرر تسريح الناصريين، فما معنى هذا؟! كيف يكون فيه ثقة وأمان؟!

وإذا كان السوريون البعثيون يعتبرون أن ناصر يريد أن يتحكم، إذاً لماذا يتحدثون معه إذا كانت العملية تسلط وتحكم؟! إنها عملية لف! والذين سيشتغلون في الدولة الاتحادية نواياهم غير سليمة بالنسبة لبعض!

لقد قلت: إذا انحاز العراق الى سوريا فى أى مشاكل سنكون داخلين بين المطرقة والسندان، ومصر ستسحب، ونكون بهذا نهد كل شئ!

إن هناك تواطؤ بين بعث سوريا وبعث العراق! إن البعث لديه عقدة التسلط والتحكم! كيف ندخل وكل معقد من الآخر؟! سيكون الوضع الطبيعي فيه تصادم، وقد قلت: فيه مشاكل مع بعث سوريا يجب أن نصفها".

ثم تحدث ناصر عن الوحدة.. "فيه قيادتان متربصتان ببعضهما؛ إذا قيام الوحدة فيه تخريب لمصيرنا ولقضية الوحدة. إننا لا بد أن نتكلم فى وحدة العمل السياسى، وإلا سيحدث تصادم عنيف يقضى على احتمالات أن تعيش الدولة!

ومن أول يوم فى الجلسة قلت: ليس لى ثقة بالبعث فى سوريا، وإذا كان يحكم وحده لا يمكن أبدا أن نقيم وحدة لأن مصيرها الانفصال!

إن البعث هو الذى يحكم سوريا، والغرض هو التوقيع! إنهم هم الانفصاليون، وهم مسئولون عن جريمة الانفصال، وعملوا على الانفصال بعد ثلاث شهور من وحدة ١٩٥٨!"

وفى اجتماع مجلس الرئاسة فى ١٩ أكتوبر ١٩٦٣، تحدث ناصر عن الأحوال فى سوريا والعراق، فقال: "فى سوريا العملية عدائية جدا، وانكشفت الصورة جدا. الآن هم يعملون بوجهين؛ جاؤا الى هنا وطلبوا معدات، وكنا غير موافقين فليس عندهم قطع غيار، ولكن توسط عبد السلام عارف وأعطيناهم بعض أشياء.

عندنا معلومات مؤكدة عن اتصالاتهم مع إيران وتركيا، وهم ساييرين مع مخطط الغرب. داخليا هناك انشقاق كامل بين أعضاء حزب البعث، والجناح المتطرف فى سوريا هو الذى يقود، وكذلك الحال بالنسبة للعراق.

والأوضاع فى العراق منهاره جدا (عملية الأكراد)، ولا يوجد لديهم قوات وطلابين من سوريا، ويريدون أن ينهوا عملية الأكراد قبل الشتاء (فى نوفمبر). وإن الجيش كله فى الشمال، ماعدا ٢ كتيبة مدرعة وكتيبة مشاه فى بغداد، ٢ كتيبة مشاه فى البصرة! فى المنطقة الجنوبية أيضا هناك عمليات لقطع الطريق والمواصلات، ثم إن كل القوى ضدهم! الفارق بين سوريا والعراق، أن الجيش العراقى فيه عدد كبير من القومييين، ولكن فى سوريا صفوه من القومييين.

بالنسبة للحالة الاقتصادية فى سوريا، فهى سيئة. وأعتبر أن الوضع فى سوريا والعراق يحتاج الى إعادة تنظيم". وكان رأى ناصر كما عبر عنه فى اجتماع مجلس الرئاسة المشترك (١) بالإسكندرية، فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٤، "أن الفكرة من اتفاقية إنشاء القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، هى الوصول الى وحدة على مراحل، وأن القفز مرة واحدة يدخلنا فى مشاكل! فإن السير فى الوحدة الدستورية يخلق المشاكل. وإذا عملنا وحدة سنتصدر جميع القوى فى العالم لمحاربتها؛ من جانب إيران وتركيا والاستعمار والشيوعية وبريطانيا والولايات المتحدة والرجعية والبعث! فإذا لم تكن الوحدة قادرة على أن تصمد نكون قد أخطأنا.

وأمثلة من المشاكل.. أنه لدينا طبقة من المثقفين لا تميل الى الوحدة! بالاضافة الى الحساسية وعدم توفر الصلابه لمواجهة الهجمات.

إن العاملين اللذين يعتمد عليهما [فى الوحدة]؛ جيش قوى، وتنظيم شعبى متماسك مؤمن.

(١) محاضر اجتماعات مجلس الرئاسة المشترك، بين قيادتي الجمهورية العربية المتحدة والعراق، في ٢٧ مايو ١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

إن المسافة بين البلدين ١٠٠٠ كم، وإنكم ستكونون مسئولون عن الوحدة وحمايتها، والجيش لا يمكن إدارته من بعيد!"

وقد اجتمع ناصر مع عبد السلام عارف في القاهرة، في ١٤ أكتوبر ١٩٦٤، وبدأ ناصر قائلاً: "ينبغي التروى قبل إتخاذ أى قرار، حتى نستكمل التنظيم السياسى، والتركيز على العمل الداخلى فى العراق ومصر... ومطلوب من العراق تقدير موقف فى جميع النواحي؛ العسكرية.. بتوحيد الجيش توحيداً كاملاً، وحل مشاكل الطائفية، وعمل اصلاحات فى المناطق المحرومة، وحل مشكلة الأكراد، وإيجاد الفرصة لتهيئة الجو فى العراق للعمل الداخلى".

واستطرد ناصر.. "ولقد قبلنا الميثاق بضعفه لأن العراق داخلة؛ لأنها فرصة قد لا تتكرر.. دولة من الخليج الى نصف إفريقيا! إننا ننظر للوحدة كقضية قومية وليس كعمل سياسى! إنها لا تتحمل المناورات لأن أعداؤها كثيرون؛ لا أحد يقبل أن تقوم دولة بهذا الشكل! وإذا كان العداء للوحدة من داخلها فالموضوع يحتاج الى إعادة نظر!

لقد قال على صالح السعدى [نائب رئيس وزراء العراق ووزير الداخلية أثناء مباحثات الوحدة الثلاثية] للطلبة البعثيين: العقبة فى الوحدة عبد الناصر! كلام لا يدل على إمكان التلاقى.

وتجنبنا كل شئ يسيء للعلاقة معه [بعث العراق]، لكن نقطة التحول كانت أن العراق أخذ جانب سوريا فى الدعاية والإذاعة، أى مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة؛ الرجعيين، العملاء، الانفصاليين! لقد قامت بغداد بحملة بهذا الشكل دون أن نتعرض لها بكلمة!

لقد كانت بداية سيئة، والدعاية.. أن مصر تؤيد الأكراد وتحرضهم، هذه لا يمكن أن تكون سياسة الجمهورية العربية المتحدة".

كان هذا موقف ناصر بعد نقض الوحدة الثلاثية من جانب البعث السورى والعراقى. وفى خطابه فى عيد الثورة، فى ٢٢ يوليو ١٩٦٣(١)، توجه ناصر بالحديث الى العرب فى جميع أرجاء الوطن العربى؛ شارحا الأزمة العنيفة التى واجهت قضية الوحدة العربية، وشرح مؤامرة الانفصال فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، التى أيدها قادة حزب البعث كما وقعوا على وثيقة الانفصال!

واستعرض ناصر الأساليب العدائية التي استخدمها قادة حزب البعث ضد الجمهورية العربية المتحدة بعد الانفصال، والتي عادوا إليها بعد نقض وثيقة الوحدة الثلاثية الى وقعت في ١٧ إبريل ١٩٦٣ (٢).

(١) خطاب ناصر، ١٩٦٣/٧/٢٢، خطب وحوارات ناصر، ج ٥، ص ص ٦٢٧ - ٦٢٤، مرجع سابق.  
(٢) أشار ناصر الى مقال هيكيل، "إني أعترض"، الذي كشف فيه نوايا ومناورات حزب البعث السوري، الأهرام، بصراحة، ١٩٦٣/٣/٣١، مرجع سابق.

وكرر ناصر: "قلت: نبدأ بوحدة ضعيفة، ولكن يكون شعارنا أن هذه الوحدة لا بد أن تقوى مع الأيام، ولا بد أن تجعل الشكوك [من جانب حزب البعث] تذوب في تجربة العمل المشترك؛ على أساس وحدة العمل السياسي في الدولة، ووحدة التنظيم السياسي. وقلت لهم: إن بعد ما وصلنا الى هذه الوحدة الضعيفة التي ليس فيها أي شيء، أحب أن أقول لكم: إن هذه الوحدة لا تحتل مناورة ولا خديعة ولا هزل! ووقعنا اتفاقية الوحدة الثلاثية واتكلنا على الله، ولكن كانت عيوننا مفتوحة، لم نكن سذج بعد هذه العملية!...

يوم ٢٠ إبريل كنت في اسكندرية، والمخابرات أحضرت لي رسالة مرسلة من دمشق الى بغداد - من الملحق العسكري العراقي في دمشق الى علي صالح السعدي في بغداد - ماذا تقول هذه الرسالة؟ تقول له: إن الرفاق البعثيين قرروا تصفية الناصريين... ويطلبون منكم أن تجهزوا الطيران وأي مساعدة يطلبوها!...

وأول ماشفت هذا الكلام حسيت بالصدر، وحسيت أن البعث عاد الى أساليبه القديمة في الطعن بالأساليب اللاأخلاقية!...

وقلت [للوزير سامي الدروبي الذي كان عندي]: هذا الكلام خطير ينقض الاتفاق؛ لأن الاتفاقية كلها قائمة على توحيد العمل السياسي وتوحيد القيادة السياسية، وافترض حسن النية والثقة!... وفي بغداد سرحوا ٥٠ ضابط وحدوى مناضل.. من يقولوا عليهم ناصريين!...

في رأيي أن ما حدث كان انقلابا على الميثاق من أول أسبوع بعد توقيعه، وأن البعث غدر بالوحدة العربية وبالقومية العربية بهذا التصرف...

وبعد ذلك استقال الوزراء الوجوديون [السوريون]، وقامت المظاهرات وبدأت الاعتقالات وبدأ الرصاص!

وأعلن ناصر في خطابه السابق الإشارة اليه.. "نحن لا نعتبر أن الجمهورية العربية المتحدة تربطها بالنظام الفاشستي القائم الآن في دمشق وحدة هدف... لا يمكن أن تكون هناك وحدة هدف مع نظام مبنى على الغدر والطعن في الظهر، ثم نحن نعتبر أن نظام حزب البعث القائم في دمشق

الآن؛ نظام لا وحدوى لاشتراكى، بل نعتبره مع الأسف نظام انفصالي لا إنسانى لا أخلاقى! ثم نحن لا نعتبر أن حكومة دمشق تمثل سوريا التى وقعنا معها اتفاقية الوحدة الثلاثية! إن هذه الاتفاقية لم تكن بين حكومات، وإنما كانت بين قوى عربية ثورية وقومية...

إن حكومة دمشق الفاشستية ليست هى الجهة التى وقعت اتفاقية الوحدة، إن الذين وقعوا اتفاقية الوحدة أغلبهم الآن فى السجون والمعقلات أو المخابئ البعيدة عن الإرهاب والتسلط!... لا وحدة مع حزب البعث الفاشستى، أما الوحدة فهى مع الشعب السورى المناضل... ولا بد لتحقيق الوحدة العربية؛ من قيام الحركة العربية القومية الواحدة، التى تجمع كل ما يؤمن بالوحدة العربية وبالقومية العربية".

وقد صدر بيان من الاتحاد الاشتراكى كتبه ناصر بخره فى ١٨ سبتمبر ١٩٦٣(١)، يكشف مناورات حزب البعث فى سوريا والعراق التى أدت الى فشل الوحدة. وقد أوضح فيه قصة غدر حزب البعث.. "بالأمس مضى ١٧ سبتمبر ١٩٦٣؛ اليوم الذى حدد للاستفتاء لقيام الجمهورية العربية المتحدة وتحقيق أهداف الأمة العربية.. مضى ١٧ سبتمبر ولم يتم الاستفتاء!... وحزب البعث... بعد أيام قليلة من توقيع ميثاق ١٧ إبريل... نقض ميثاق الوحدة! إن مفاوضات الوحدة لم تكن إلا مناورة من مناورات حزب البعث اللاأخلاقية؛ لمجابهة الضغط الشعبى الجماهيرى، إذ خرج الشعب فى شوارع سوريا يطالب بالوحدة... وبعد أن سارت محادثات الوحدة شوطا طويلا، ظهر أن البعث يضع العقبات حتى تكون الوحدة شكلية! فأوقفت القاهرة المفاوضات، وتدخل وفد العراق فاستجابت له القاهرة، وتم الاتفاق على ميثاق ١٧ إبريل...

لقد لعب حزب البعث بقضية الوحدة؛ فاستخدمها فى مناوراته الحزبية، من أجل الانفراد والتسلط. إن الوحدة قضية مصير.. قضية الحفاظ على القومية العربية.. قضية التصدى للصهيونية والاستعمار.. وقضية تحرير فلسطين".

وقد انفجر حكم البعث فى العراق من الداخل فى ١٣ نوفمبر ١٩٦٣، فقد صحا سكان بغداد على صوت طائرات عراقية تضرب القصر الجمهورى ووزارة الدفاع ومبنى الإذاعة،

وسمعت طلقات رصاص وانفجارات قنابل. لقد حدث صراع بين البعثيين العراقيين، وتولت القيادة القومية لحزب البعث كل السلطات في العراق(٢).

---

(١) نص بيان الاتحاد الاشتراكي العربي، ١٨/٩/١٩٦٣، بقلم الرئيس، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
(٢) هيكل، الأهرام، بصراحة، "مجموعة ملاحظات تجرى وراء التطورات"، ٢٢/١١/١٩٦٣، مرجع سابق.

#### ٧- القيادة السياسية الموحدة بين مصر والعراق:

وفي ١٨ نوفمبر ١٩٦٣، قام انقلاب عسكري في العراق، وأسقط الجيش حكم البعث في بغداد، وتم إعفاء أحمد حسن البكر من منصب رئيس الوزراء، وإخراج الكثيرين من الحكم من حزب البعث، وتولى عبد السلام عارف رئاسة الجمهورية، وطاهر يحيى أصبح رئيسا للوزراء - وكان بعثيا - وكذلك حردان التكريتي الذي أصبح وزيرا للدفاع.

وقد تم توقيع اتفاقية إنشاء القيادة السياسية الموحدة مع العراق في ٢٦ مايو ١٩٦٤؛ وذلك كخطوة أولى في سبيل الوحدة الشاملة(١). وقد اعتبر ناصر "أن الوحدة بين العراق ومصر قائمة منذ ثورة ١٨ نوفمبر [١٩٦٣]، ونحن نعتقد أن وحدة الهدف هي الوحدة الحقيقية... فكلنا نعمل من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة..."

إننا نريد أن تقوم الوحدة على أسس راسخة قوية متينة.. أن تقوم الوحدة على مراحل؛ حتى نستطيع أن نقابل وتلقى أعداء الوحدة(٢).

وقد نص اتفاق إنشاء القيادة السياسية الموحدة بين العراق والجمهورية العربية المتحدة، في ١٦ أكتوبر ١٩٦٤، على "أن الأساس السليم لإقامة الوحدة بين البلدين هو توحيد العمل السياسي، وإنشاء قيادة سياسية موحدة تعمل على قيام الوحدة الدستورية في أقصر وقت ممكن".

وقد اتفق الطرفان على أن تقوم القيادة السياسية الموحدة - وهي أعلى سلطة سياسية في البلدين - باتخاذ كافة الخطوات العملية لتحقيق الوحدة السياسية بين الاتحاد الاشتراكي في كل من البلدين. ومن أجل ذلك تم إنشاء مجلس الرئاسة المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، في ٢٧ مايو ١٩٦٤.

وقد صادقت القيادة السياسية الموحدة على برنامج سياسي سري في اجتماعها بالقاهرة من ١٩ - ٢٥ مايو ١٩٦٥، الذي تضمن.. التركيز على أهمية تحقيق الوحدة الوطنية في العراق. وهذا يتطلب؛ وحدة القيادة السياسية، دعم الاتحاد الاشتراكي، فعالية القيادة السياسية الموحدة.

---

(١) نص اتفاق إنشاء القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق، ٢٦ مايو ١٩٦٤، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) خطاب ناصر أثناء توقيع اتفاقية الوحدة مع العراق، ٢٦ مايو ١٩٦٤٥، خطب وحوارات ناصر، ج ٤، ص ص ٢٠٢-٢٠٤، مرجع سابق.

وقد تم الاتفاق على البرنامج السياسى وتحديد فترة انتقال وموعد الانتخابات لقيام برلمان، والاتفاق كذلك على برنامج اقتصادى واجتماعى(١).

وكرر ناصر على عارف رأيه فى الوحدة.. "وحدة بدون تنظيم العمل السياسى وتوحيد القيادة السياسية؛ أخاف أن ندخل فى مشكلة لا نعرف كيف نخرج منها! أول شئ ممكن أن نخسر بعض. نمشى خطوة خطوة.. العمل السياسى الداخلى، ثم وحدة التنظيم السياسى، ثم الوحدة.

نبدأ بتوحيد العمل السياسى، نعمل قيادة تجمع العراق ومصر؛ لابد أن الناس تعرف بعضها. إن العلاقة بيننا اليوم أكثر من علاقة وحدة، ومستعدين أن ننمىها فى كل النواحي ماعدا الناحية الدستورية. ولو لم تكن هناك مضاعفات لقيام الوحدة على العالم العربى كله، ما كنا نتأخر!...

اتحاد اشتراكى موحد للبلدين، وتكون هناك لجنة فيها أنا وأنت ومجموعة من البلدين نعمل، وأعتقد أن تطور الحكم يجب أن يسير الى اللامركزية. وحتى نحل موضوع الأكراد فى العراق مثلا؛ نعمل حكم محلى، ويأخذ سلطات طالما أنها ليست جيش ولا سياسة خارجية...

وبالنسبة للسنة والشعبة، لا يجب أن نفرق بينهم أبدا. وفى حالة الاستفتاء على الوحدة اليوم؛ لا الأكراد ولا السنة سيوافقون عليها! إنهم فى حاجة الى تطمين، وإن البلد بلد واحد وليس بلدين...

وإذا لم نحل هذه المشاكل قبل الوحدة وحاولنا حلها بعدها، ستحدث خلافات... نحتاج الى سنتين حتى نحكم على وحدة العمل السياسى؛ هل نجحت أم لا؟... بعد سنتين ممكن نقرر متى سنقيم الوحدة، ويكون عرفنا بعض أكثر"(٢).

وقد استمرت القيادة السياسية الموحدة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق تعمل للتقارب بين البلدين، وفى ٤ يونيو ١٩٦٧ وقع ناصر مع طاهر يحيى - رئيس وزراء العراق - اتفاقية الدفاع المشترك، وانتهى الأمر عند هذا الحد.

---

(١) نص البرنامج السياسى السرى، القاهرة، من ١٩ - ٢٥ مايو ١٩٦٥، وبيان القيادة السياسية الموحدة، ٢٥ مايو ١٩٦٥، وبيان القيادة السياسية الموحدة، ١٩ فبراير ١٩٦٦، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٢) محاضر اجتماعات القيادة السياسية الموحدة، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة، مرجع سابق.

سادسا: العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٦١ - ١٩٦٧):



منذ الحرب العالمية الثانية، والولايات المتحدة فاعل أساسي في أحداث وسياسات الشرق الأوسط. وقد تصاعد الدور الأمريكي مع اتساع مصالح الولايات المتحدة في المنطقة، وبحكم قربها من الاتحاد السوفيتي. فبدأت تعمل على إدخال الدول العربية في منطقة الدفاع عن الشرق الأوسط؛ كحلقة في سلسلة تطويق الغرب للاتحاد السوفيتي بالأحلاف.

ولكن تم رفض الانضمام الى هذا الحلف من جانب معظم الدول العربية، حتى قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. أما بعدها، فقد أصبح الأمر أشد صعوبة بالنسبة للولايات المتحدة والغرب عموماً. فلقد أعلن قادة الثورة عدة مبادئ؛ القضاء على الاستعمار واستقلال الإرادة السياسية، وعدم الدخول في صراع بين القطبين العالميين حيث لا توجد لها مصلحة في ذلك، وبناء جيش قوى.

وفي بداية الثورة، حدث تقارب مع الولايات المتحدة، وطلبت مصر شراء السلاح الأمريكي بعد رفض منكر من جانب بريطانيا. وبدأت المماثلة، ولم يكن ناصر يعرف أنه منذ البداية كان هناك اتفاقاً بين بريطانيا والولايات المتحدة على ألا تتبع الأخيرة السلاح لمصر، إلا بعد أن تعقد صلحاً مع إسرائيل(١)!

وتمت صفقة الأسلحة التي آذنت بدخول الاتحاد السوفيتي الى منطقة الشرق الأوسط، وتلاها سحب عرض تمويل السد العالي من جانب الولايات المتحدة وبريطانيا والبنك الدولي، وكانت قمة الأزمة في العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦(٢).

وقد تذبذبت تلك العلاقات وفقاً للمصالح الأمريكية من جانب، والسياسة المصرية من جانب آخر؛ التي كانت قائمة على الاستقلال والقرار الوطني، ومصصلحة القومية العربية؛ مما أدى في بعض الأحيان الى اختلاف وجهات النظر بين الدولتين، وتباين المواقف، وأحياناً الصراع الخفي والعلني.

لقد كانت الفترة من أواخر سبتمبر ١٩٦١؛ التي شهدت الانفصال بين مصر وسوريا في ٢٨ منه، الى مايو ١٩٦٧؛ حيث مقدمات العدوان الاسرائيلي على مصر في ٥ يونيو من نفس العام، فترة محورية في العلاقات المصرية الأمريكية؛ تؤكد فيها أن العلاقة بين الولايات المتحدة واسرائيل هي علاقة عضوية يحميها تعهد كل الرؤساء الأمريكيين بالحفاظ على أمنها، وعلى تفوقها عسكرياً واقتصادياً على كل الدول العربية!

---

(١) وثيقة رقم .

(٢) ص من الكتاب.

ولا ننسى أنه فى هذه الفترة كانت حرب فيتنام دائرة، والولايات المتحدة طرف أصيل فيها فى مواجهة هوشى منه الذى كان يسانده الاتحاد السوفيتى. وكان من الطبيعى أن تعمل الولايات المتحدة على جذب مختلف الدول الى جانبها بالنظر الى دور الأمم المتحدة فى القضية. وكان لمصر موقفا مميذا أيدتها فيه دول عدم الانحياز وانعكس على قرارات المنظمة الدولية.

ومن جانب آخر برزت الأزمة الكوبية، التى أدت الى مواجهة مباشرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى؛ وضعت العالم على شفا حرب نووية. وهنا أيضا كان لمصر موقفا المستقل الذى أملتة عليها مبادئها فى الحرية والسلام.

وأخيرا، كانت الحرب الدائرة فى الكونغو فى ١٩٦٠، وموقف الجمهورية العربية المتحدة، أيضا كانت له آثار على العلاقات المصرية الأمريكية.

أما فيما يتعلق بالعلاقات الثنائية المباشرة بين مصر والولايات المتحدة فى هذه الفترة فقد شهدت تقاربا سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

ثم بدأ الاختلاف فى الرؤى والمواقف فى سبتمبر ١٩٦٢، وخاصة بالنسبة الى موضوع اليمن، كما أشرنا(١)، وموضوع تسليح اسرائيل والتوازن الذى فرضته السياسة الأمريكية بينها وبين الدول العربية جميعا! وموقف كنىدى من البرنامج الذرى المصرى، وانتاج الصواريخ على يد العلماء الألمان.

وكانت الولايات المتحدة تستخدم المعونة الأمريكية كأداة لتحقيق مصالحها وللضغط على مصر؛ محاولة إجبارها على السير فى الطريق الأمريكى الذى يحقق مصالح الغرب عموما. وقد جرى تبادل رسائل بين كنىدى وناصر بشأن المعونة الأمريكية، فقد أرسل ناصر الى كنىدى رسالة فى ٢١ يونيو ١٩٦٢؛ بشأن مهمة عبد المنعم القيسونى - وزير الاقتصاد - فى واشنطن، جاء فيه.. "إن الدكتور عبد المنعم القيسونى نقل الى من واشنطن شعورا عاما أحس به لدى جميع المسؤولين الأمريكين الذين التقى بهم؛ وهو شعور مفعم بالفهم والتقدير لمشاكل الدول المتطلعة الى النمو... هذا الشعور الذى نقله الى الدكتور عبد المنعم القيسونى؛ هو ظاهرة جديدة تستحق شكرنا العميق"(٢).

---

(١) ص من الكتاب.

(٢) رسالة من ناصر الى كنىدى، ٢١ يونيو ١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وقد رد كنيدي على رسالة ناصر، في ١٦ أغسطس ١٩٦٢ بالآتي.. "يمكنني أن أؤكد لكم أن سياسة الولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة أو الشرق الأدنى بشكل عام، لم يطرأ عليها أى تغيير، ولا توجد أى نية لتغيير أساس علاقتنا الودية، ولا استعدادنا للتوسع فى هذه العلاقات.

وقد علمت أن الدكتور القيسونى يخطط لزيارة الولايات المتحدة مرة أخرى فى شهر سبتمبر المقبل، وأقول لكم أنه سيلقى كل ترحيب" (١).

وبالرغم من ذلك فقد كان ناصر مدركا منذ البداية لخطورة هذه المرحلة، ومتوقعا لأن تكون مصر عرضة للمؤامرات من جانب الغرب والرجعية والشيوعية. وقال فى مجلس الوزراء فى ١٩ أكتوبر ١٩٦١: "بالنسبة للسياسة الدولية، إنهم لا يقبلون أن نسير على سياسة عدم الانحياز، ونحن لا نقبل أن ننحاز! وهذا لا يرضى عنه المعسكر الشرقى ولا الغربى؛ كل منهما يأمل أن نكون فى صفه، وكل منهما يعتقد إن إضعافنا والضغط علينا قد يؤدى بنا الى المساومة، وأن يصل بنا الى نوع من الحل الوسط!...

إن المدافع كلها مصوبة الينا، جميع محطات الإذاعة مصوبة، وكذلك جميع محطات الإذاعات السرية؛ الشرق والغرب والشيوعية.. كلها ضدنا! ومن الطبيعى أن الصحف التى تصدر باسم الصهيونية تهاجمنا، وأيضا راديو اسرائيل، والغرب كذلك - إنجلترا وفرنسا وأمريكا - ثم الملك سعود والملك حسين والأحزاب الانفصالية فى دمشق وعمان.

إذاً هناك حلف مقدس جمع كل المتناقضات، ولا هدف لها إلا التخلص منا؛ لأن وضعنا الفكرى قوى جدا، وله أثر فيما حوله. وفى ١٩٥٥ طلبوا منا أن نبتعد عن العرب وهم يعطونا المساعدات التى نطلبها! ولكننا رفضنا؛ لأننا كنا سنصبح دولة تابعة كتركيا أو تايلاند!

إننى أعتقد أن الدفاع عن مصر لا يكون فى مصر وحدها، ولكن فى الدائرة المحيطة بها. ولا نستطيع القول بأنه فى إمكاننا أن نتبع سياسة انعزالية فى بلدنا؛ لأنهم لن يتركونا أبدا فى بلدنا! إن بعض الناس يقولون: وما شأننا بالعرب؟! لقد كانت سياستنا دفاعية ولم تكن هجومية، ولكن حلف بغداد كان الغرض منه العزل؛ فالشرق يعمل للعزل وكذلك الغرب. الشرق لأنه يعتقد أنه يستطيع أن يمكن للشيوعيين هنا، والغرب يعتقد أنه يستطيع أن يمكن للموالين له تحت اسم الديمقراطية البرلمانية، وهى أشد أنواع الكتاتورية البرلمانية؛ فإيران لها برلمان، ولكن الغرب يستخدم هذه الديمقراطية البرلمانية من أجل تدعيم عناصر معينة وقتل باقى العناصر!

(١) رسالة كنيدي الى ناصر، ١٦ أغسطس ١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.  
إننا لا نستطيع أن نقول لا شأن لنا بما حولنا؛ وذلك حتى لا يتمكن أعداؤنا من الدائرة المحيطة بنا. إنهم لن يتركونا أبدا إلا إذا وضعونا داخل مناطق النفوذ" (١).  
فى هذا الإطار توقع ناصر أن تسير العلاقات بين مصر والولايات المتحدة بل الغرب عموما. وكان يُنظر من جانب دوله الى فكرة الدوائر الثلاث - العربية والإفريقية والإسلامية - التى وردت فى كتابه، "فلسفة الثورة" عام ١٩٥٣ على أنها "انتهازية واستعمار جديد" (٢)!

### ١- بداية تقارب كنيدي مع ناصر:

لقد ظهرت مشكلة جديدة فى الشرق الأوسط فى الشرق الأوسط دفعت لهذا التقارب؛ فقد قامت اسرائيل ببناء مفاعلا ذريا فى ديمونة، الى جانب مفاعل الأبحاث الصغير الذى أهدهته الولايات المتحدة اليها من قبل، وأجرت بشأنه اتفاقية للتفتيش عليه.  
وكان قلق كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، أن العرب سوف يخشون من استخدام المفاعل الذرى فى إنتاج أسلحة ذرية! ولهم الحق فى ذلك، وخاصة وأن بن جوريون رفض التفتيش على مفاعل ديمونة، كما عارض فى اتباع إجراءات السلامة طبقا للوكالة الدولية للطاقة الذرية، وقال: إن هذا يعنى تدخل الاتحاد السوفيتى!  
وكان موقف الولايات المتحدة وبريطانيا؛ هو رفض دخول الأسلحة الذرية فى الشرق الأوسط. ومن هنا اتفقت الدولتان على التقارب مع ناصر، بالرغم من تأكدهما أن ذلك "لن يغير ناصر! ولكن تكون هناك علاقة... أى تكون السياسة متوازنة.. لا صداقة ولا عداوة" (٣)!  
وفى هذا الإطار أرسل كنيدي الى ناصر مبعوثا شخصيا - تشستر باولز - لاستكشاف مزيد من التعاون الاقتصادى، ودعوته الى أمريكا، وإبداء الرغبة فى أن ترجع العلاقات بين البلدين الى الفترة من ١٩٥٢ - ٥٥ من تبادل الثقة؛ معتقدين أن "ناصر وكنيدي - كشباب - لديهما الشجاعة والتصميم؛ فمن هنا يجب تحديد مناطق المصالح المتبادلة، والدفاع عنها ضد القوى التى تعمل على التفرقة بينهما" (٤).

(١) جلسات مجلس الوزراء المصرى، ١٩ أكتوبر ١٩٦١ - ٣٠ يناير ١٩٦٢، موقع [www.nasser.com](http://www.nasser.com).

(٢) جمال عبد الناصر، فلسفة الثورة، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٥٣.

Memo. of Conversation, Washington, Feb. 31, 1961, US - UK Bilateral Talks, the ME & Arab - Israeli Problem.

(٤) الرسائل المتبادلة بين ناصر وكنيدى، من ٢ مارس ١٩٦١ الى ٣٠ أكتوبر ١٩٦١، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وفى نفس الوقت، كان هناك اهتمام من جانب كنيدى بتحقيق الاستقرار السياسى فى الشرق الأوسط، والتقدم الاقتصادى والاجتماعى، والتبادل الثقافى، وتجنب الاختراق الشيوعى أو السيطرة السوفيتية فيه وفى إفريقيا، وهو الأهم(١).

وهنا يجب ألا ننسى أنه كان هناك دائما حائلا بين تحسين العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر؛ وهو اسرائيل، التى كانت فى سباق تسلح معها، وتضع السياسيين الأمريكيين باستمرار فى حالة من القلق على منطقة الشرق الأوسط من أجل تحقيق أغراضها.

ففى مايو ١٩٦٢ طلب شمعون بيريز - وزير الدفاع الاسرائيلى - المساعدة المالية من الولايات المتحدة فى مجال التسلح، وكانت قد رفضت من قبل أن تباع اسرائيل صواريخ الهوك. وقد إدعى بيريز.. "تزايد القوة العسكرية لناصر، وأنه ملتزم بضرب اسرائيل عندما يحقق تفوقا عسكريا كافيا"(٢)!

## ٢- قضية فلسطين بين ناصر وكنيدى:

### أ- قضية اللاجئين الفلسطينيين:

وبالطبع كانت القضية الفلسطينية هى المحك الأساسى فى العلاقة بين ناصر وكنيدى باعتبارها القضية المحورية التى يتحد حولها العالم العربى، وقد تم تبادل رسائل بين الرئيسين فى هذا الصدد(٣). وقد تقدم كنيدى بجرأة عن طريق تصديه لقضية اللاجئين الفلسطينيين التى تبناها جوزيف جونسون - الممثل الخاص لبعثة الأمم المتحدة للتوفيق - بخصوص قضية فلسطين؛ فقد دعا الى عودتهم الى ديارهم فى اسرائيل أو تعويضهم؛ تنفيذاً للقرار رقم (١١) ١٩٤ الذى أصدرته الأمم المتحدة فى ١١ ديسمبر ١٩٤٨، والذى نص على.. "أن اللاجئين الذين يريدون العودة الى بيوتهم ويعيشون فى سلام مع جيرانهم، يجب أن يسمح لهم بذلك فى أقرب وقت ممكن. والتعويض يجب أن يدفع عن الممتلكات لهؤلاء الذين يختارون ألا يرجعوا، وعن فقدان أو تدمير الممتلكات التى - بموجب القانون الدولى أو العدالة - يجب أن تصلح بواسطة الحكومات أو السلطات المسؤولة. وتأمراً ببعثة التوفيق أن يسهل الرجوع وإعادة التوطين والتأهيل الاجتماعى للاجئين ودفع التعويض"(٤).

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel, Washington, May 24, 1962.

(٢)

(٣) الرسائل المتبادلتان بين ناصر وكنيدى حول قضية فلسطين، فى ١١ مايو ١٩٦١، ٢٢ أغسطس ١٩٦١، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة، ص ص من الجزء الرابع من الكتاب.

Memo. from Rusk to P. Kennedy, Washington, Aug. 7, 1962, Dr. Joseph Johnson's

(٤)

Proposals on the Palestine Refugee Problem.

وكان رأى ناصر فى خطة جونسون بخصوص مشكلة اللاجئين.. أن الحل النهائى لهذه المشكلة يمكن أن يتم عندما يسمح للأغلبية من اللاجئين أن يعودوا الى بيوتهم؛ وبذلك تصبح اسرائيل دولة ثنائية القومية بعدد من العرب كبير؛ لدرجة أن يضمنوا المساواة فى الحقوق والمعاملة، بدلا من المعاملة من الدرجة الثانية التى يلقاها العرب المقيمين فى اسرائيل! وكان ناصر يدرك أن هذا الحل يتعارض بشدة مع أساس الفكرة الصهيونية، وقد يستغرق ٧٠ عاما حتى يتحقق(١)!

وبالطبع لم يوافق بن جوريون على مشروع جونسون، ووضع شروطا مستحيلة التطبيق مثل؛ موافقة ناصر على استقرار هؤلاء اللاجئين الفلسطينيين فى الجمهورية العربية المتحدة! وأن يوافق على عدم توجيه دعاية مباشرة للاجئين لحثهم على العودة الى ديارهم!

والجدير بالذكر أنه فى ذلك الوقت كان للرئيس الأمريكى مستشارا خاصا يمثل مصالح اليهود واسرائيل فى البيت الأبيض هو ماير فيلدمان(٢). وكانت إدارة كنيدي تعتقد أن تسوية الصراع العربى الاسرائيلى لن تتم إلا بتحريك حل لقضية اللاجئين؛ غافلين عن النوايا التوسعية لاسرائيل! وقد ضج السياسيون الأمريكان من رفض الجانب الاسرائيلى كل المقترحات لإيجاد حل للقضية الفلسطينية، واعترفوا أن "الاسرائيليين لا يريدون حتى أن يتحدثوا عن خطة جونسون! هذا بالرغم من أن الولايات المتحدة كانت قد وافقت فى ذلك الوقت على صفقة الصواريخ الهوك لاسرائيل، ولكن ذلك كان قبل إعلان مشروع جونسون!

وكانت وجهة النظر الأمريكية أن هذا الوقت مناسب لتنفيذ تسوية جونسون؛ لأنهم "الأول مرة قد تكون لهم القدرة على التأثير على مفتاح العرب.. ناصر". وقدروا أن نفوذهم فى الشرق الأوسط قد أصبح بذلك أعلى مما كان خلال سنوات سابقة.

ولكن الاسرائيليون مضوا فى إصرارهم على عدم قبول أى خطة تتضمن تعبير اللاجئين عن تفضيلاتهم فى العودة الى بلدتهم أو التعويض على أساس خطة جونسون! ولذلك أقر الأمريكان أن الصراع العربى الاسرائيلى سبب لهم كثيرا من الصداق على مدى ١٥ عاما، وتقديرهم أنه سوف يتفاقم الأمر إذا لم يتم التحرك نحو حل! واعترفوا أن "هذا الصراع بين العرب واسرائيل يضع الولايات المتحدة بين شقى الرحى!"

Tel. from the Embassy in the UAR, Aug. 24, 1962, Op. Cit.

(١)

Tel. from The Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Aug. 21, 1962.

(٢)

إن قضية اللاجئين.. "عبارة عن مليون لاجئ عربي يتحركون في داخل خيامهم غير راضين، يعيشون على هبات الأمم المتحدة". وكان التساؤل الأمريكي.. "الى أى مدى تريد اسرائيل أن تعيش في شبه ثكنة عسكرية، محاطة بمليون لاجئ غير راضين، ومضطرة الى توجيه نسبة عالية من دخلها الى احتياجات الأمن؟! فلقد عاشت اسرائيل طويلا في دائرة عربية معادية، والوقت ضدها؛ فسياستها المتشددة تؤدي الى تغذية العداء العربي ولا تقلل منه(١).

والحقيقة أن الأمريكان غضوا الطرف عن نشأة اسرائيل نفسها في سنة ١٩٤٨، واغتصاب الصهاينة للأراضي العربية وتهويدها اسما وفعلا؛ باستقدام المهاجرين اليهود من الخارج ليحلوا محل السكان العرب الأصليين.

وإذا كان الأمريكان في ذلك الوقت قد استكثروا الأموال التي تم إنفاقها على الأمن الاسرائيلي، فإن الأيام أثبتت بعد ذلك ما هو مكتوب ومؤيد في العقيدة الصهيونية من أهدافها؛ في الحصول في كل مرحلة على المزيد من الأراضي العربية!

#### ب- مشكلة المياه بين العرب واسرائيل:

بادر كنيدي بالحوار مع بن جوريون حول برنامج التنمية الشاملة للموارد المائية في الشرق الأوسط، الذي ينظم حصص اسرائيل وسوريا والأردن من مياه نهري الأردن واليرموك؛ بموجب الخطة التي صاغها السفير السابق للولايات المتحدة إيريك جونستون(٢).

وقد أرسل كنيدي جوابا الى بن جوريون، في ١٣ يونيو ١٩٦٢، وقد بدأ كنيدي رسالته "بأن سياسة الولايات المتحدة تشمل باستمرار ضمن أهدافها أمن اسرائيل... إن صيانة سلامة أراض واستقلال اسرائيل، وتقدمها الاقتصادي يحظى بكل مساندتنا".

ثم حثه على استمرار الهدوء على الحدود، والتعاون الكامل مع الأمم المتحدة لضمان احترام جيران اسرائيل العرب لحدودها.

وقد ساند كنيدي هذا المشروع، وأرسل في نفس الرسالة الى بن جوريون؛ يحضه على الالتزام به ووضعه موضع التنفيذ، بعد أن أعرب عن تفاؤله من إمكانية تحقيق هدف الولايات المتحدة؛ وهو السلام النهائي في الشرق الأوسط(٣).

---

Memo. from Komer to P. Kennedy, Washington, Dec. 5, 1962.

(١)

(٢) مشروع جونستون، تبلور من مفاوضات ١٩٥٣ - ٥٥، التي شاركت فيها دول نهري الأردن واليرموك.  
(٣) رسالة من كنيدي الى بن جوريون، ١٣ يونيه ١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

رد بن جوريون على رسالة كنيدي بطريقة ملتوية، استخدم فيها كل عوامل الضغط المعتادة التي سئم منها الجميع؛ مثل انفراد اسرائيل بنظام ديمقراطي - ولم يذكر عسكري في ذلك الوقت! - والتذكرة بالهولوكوست! ولكن ما لم أكن قد اطلعت عليه من قبل؛ هو إدعاء بن جوريون أن قادة العرب الفلسطينيين - ومن بينهم المفتي السابق وأعوانه - قد اشتركوا في قتل اليهود! ثم إدعاء الخوف من أن يتكرر حدوث ذلك للاثنتين مليون يهودي في اسرائيل، إذا منيت قوات الدفاع الاسرائيلية بالهزيمة!

وقد تظاهر بن جوريون بالامتنال لتوصيل المياه الوارد في الاتفاق الفنى الذى قدمه جونستون؛ للانتفاع بالمياه المهذرة من نهري الأردن واليرموك! وهو ما لم يحدث، وسوف تكشفه بعد ذلك مشروعات اسرائيل لتحويل مجرى نهر الأردن.

وبالطبع لم يدع بن جوريون الفرصة تقوت دون أن يدس لدى كنيدي ضد الدول العربية؛ فانتهدها وقال: إنها لا تتحد على أى شئ سوى العداء المعلن ضد اسرائيل! كما أن جميع تلك الدول - على حد قوله - يحكمها الجيش بشكل مباشر أو غير مباشر(١). ونسى الدور الأساسى الذى تلعبه المؤسسة العسكرية الاسرائيلية حتى من قبل إنشاء اسرائيل فى ١٩٤٨، وتولى قادتها دائما المراكز السياسية الهامة فى الدولة (شمعون بيريز رئيس اسرائيل الحالى كان ضابطا، ومناح بيجن وموسى ديان واسحاق رابين...).

ثم ختم بن جوريون.. "أن اسرائيل تواجهها مشكلة أمنية كبرى تهدد الوجود الاسرائيلي ذاته! ولذلك من المهم أن تمد الولايات المتحدة قوات الدفاع الاسرائيلية برادع كافي وقوى؛ يمنع الجيران العرب من محاربة اسرائيل"(٢)!



---

(١) رسالة بن جوريون الى كنيدي، ٢٤ يونيه ١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

ibid.

(٢)

### ٣- ناصر وأزمة كوبا:

أيد ناصر الثورة الكوبية وفيديل كاسترو، من منطلق مبدأ مساندة تأييد قضية الحرية فى كل مكان، كما سبق وأن ذكرنا(١). وأعلن ذلك صراحة فى خطاب له بالإسكندرية فى ٢٦ يوليو ١٩٦٠.

وفى ٢٢ أكتوبر ١٩٦٢، أرسل كنيدي رسالة الى ناصر يقول فيها: "هناك أدلة دقيقة بدرجة لا يرقى إليها الشك؛ على أن الحكومة السوفيتية قد قامت سرا بإنشاء قواعد لصواريخ نووية هجومية فى كوبا. وعلاوة على ذلك، يجرى العمل الآن على نطاق واسع لإنشاء قواعد إضافية، وسيتم إطلاع سفيركم هنا على تفاصيل هذا الأمر. ويأتى هذا الإجراء السوفيتى فى تناقض مباشر لأقوال السيد خروشوف، الذى أكد لى شخصيا منذ بضعة أيام عن طريق وزير الخارجية جروميكو، أن كوبا تزود بأسلحة دفاعية فقط...

وبالتالى فلابد من فرض عزل أو حجر نووى فورى لمنع الحكومة السوفيتية من نشر المزيد من قواعد الصواريخ الهجومية فى كوبا. وأنا على ثقة أيضا من أن هذا الإجراء سوف يؤدى إلى القضاء على الصواريخ الهجومية التى نشرت بالفعل.

وقد أخبرت السيد خروشوف أننى أمل أن نتمكن من استئناف مسار المفاوضات السلمية. وسأطالب كذلك بعقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وقد طلبت من السفير ستيفنسون تقديم قرار بالنيابة عن الولايات المتحدة؛ يدعو لسحب قواعد الصواريخ والأسلحة الهجومية الأخرى الموجودة فى كوبا تحت إشراف مراقبى الأمم المتحدة. وهذا الإجراء من شأنه أن يمكن الولايات المتحدة من ضمان الحجر الذى ترغب فى فرضه".

واستطرد كنيدي فى رسالته.. "وآمل أن تكلفوا ممثلكم فى نيويورك بالعمل بنشاط معنا والتحدث بصراحة وعلى نحو مباشر؛ لدعم البرنامج المشار إليه أعلاه فى الأمم المتحدة"(٢).

(١) تطور أزمة كوبا منذ بدايتها، إنظر ص ص من الكتاب.

(١) رسالة كنيدي الى ناصر، ٢٢/١٠/١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

وقد عرض ناصر على زملائه فى مجلس الرئاسة، فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٢ ما جاء فى رسالة كنيدي السابق ذكرها. وقد عرض ناصر أن يقدم مندوب الجمهورية العربية المتحدة مشروع قرار الى مجلس الأمن بالنيابة عن الولايات المتحدة؛ يدعو لسحب قواعد الصواريخ والأسلحة الهجومية الأخرى الموجودة فى كوبا، تحت إشراف مراقبى الأمم المتحدة، على أساس أن هذا الإجراء يمكن الولايات المتحدة من ضمان الحصار الذى ترغب فى فرضه. ودعى كنيدي ناصر أن يكلف ممثل الجمهورية العربية المتحدة فى نيويورك بالعمل بنشاط مع الولايات المتحدة.

وأشار ناصر فى الاجتماع أنه يجب أن يكون للجمهورية العربية المتحدة موقفا ايجابيا مبنى على القيام باتصالات بين الدول المحايدة ومع روسيا وأمريكا. وأن نطالب باتخاذ القرار بمنع إعطاء قوة ذرية من أى دولة ذرية غطاء شرعى.

وأعرب ناصر عن رأيه أنه إذا كان هناك فعلا صواريخ موجهة لأمريكا من كوبا فهى نقطة خطيرة. وأن المفروض ألا نوافق على هذا الحصار على كوبا، ولكننا نعارض قيام قواعد أجنبية فى أى دولة، ونطالب بتفكيكها فى أسرع وقت، ونقل الأسلحة الذرية.

وبعد هذه المناقشة فى مجلس الرئاسة رد ناصر على رسالة كنيدي فى ٣١ أكتوبر ١٩٦٢

قائلا:

١- "إننا نقدر استجابتكم لنداء السكرتير العام المؤقت للأمم المتحدة - المستر يونانث - وتعاون وفد الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة معه...

٢- إننا نقدر كل التقدير أن الإجراءات الأمريكية التى اتخذت - بصرف النظر عن أى رأى لنا فيها - قد جرت ممارستها بطريقة خالية من التحرش العدوانى.

٣- إننا نقدر تعهدكم الذى قطعتموه بعدم غزو كوبا عسكريا، ونرى أن هذا العهد كان مساهمة جدية فى تخفيف حدة التوتر...

وإننا نضيف الى ذلك - مؤمنين - اعتقادنا أن الولايات المتحدة - بكل قوتها وهيبتها - تقدر على دعم السلم. كما لا يقدر عليه آخر، كما أنها تتحمل مسئولية تاريخية أمام البشرية كلها فى هذا الصدد"(١).

---

(١) رسالة ناصر الى كنيدي، ٣١/١٠/١٩٦٢، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

#### ٤ - التسليح الأمريكى لاسرائيل بين النظرية والواقع:

لقد كانت هناك قضايا معلقة بين الولايات المتحدة واسرائيل، وبالطبع كانت تمس مصر والعرب فى نفس الوقت، أى أنها كانت علاقات متشابكة، معقدة، متصارعة! وأول هذه القضايا من وجهة النظر الصهيونية كانت قضية أمن اسرائيل! ولذلك كانت تحرص دائما أن تكون لها علاقة عسكرية وثيقة مع الولايات المتحدة، التى كانت تعتبر المورد الأساسى للأسلحة لها، بالإضافة الى المنح والمساعدات والقروض.

وأهم من ذلك - وهو كان سرا - أن الولايات المتحدة كانت قد أعطت اسرائيل ضمانا لأنها، احترمه كل الرؤساء الأمريكيين حتى كنيدي، الذى جدد تأكيده واهتمامه بأمن وسلامة الدولة الصهيونية، ثم تبعه جونسون بإقرار نفس الالتزام!

ولكن وجدت اختلافات فى سياسة كل من الدولتين؛ فيما يتعلق بالغازات الرادعة التى كانت تشنها اسرائيل على العرب حول الحدود، ورفض اسرائيل التعاون مع الأمم المتحدة وأجهزة حفظ السلام الخاصة بها فى منطقة الشرق الأوسط، وكذلك معارضة اسرائيل لحل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، ثم اعتراضها على مبادرة الولايات المتحدة تجاه إقناع دول أخرى ألا تقيم بعثات دبلوماسية فى القدس.. إلخ.

كل ذلك دعا الولايات المتحدة الى مراجعة سياستها مع اسرائيل فى نفس الوقت الذى قامت فيه بالتقارب الأمريكى المصرى والعربى عموما. ومن هنا اتخذت الولايات المتحدة قرارا بتجنب العلاقات العسكرية الخاصة مع اسرائيل - وهو ما لم ينفذ أبدا - على أساس أن إقامة حلف مع اسرائيل سيدمر التوازن فى علاقات الولايات المتحدة بدول الشرق الأوسط.

وما أكد هذا الاتجاه من جانب السياسة الأمريكية هو تأخيرها لبيع الصواريخ الهوك الى اسرائيل، وذلك لعدم رغبتها فى أن تتحمل المسؤولية للبدء فى تقديم الصواريخ فى سباق التسليح العربى - الاسرائيلى. ولكن كان دائما هناك البديل؛ أنه فى حالة ما تؤكد المخابرات الأمريكية أن الجمهورية العربية المتحدة قد حصلت - أو هى فى طريقها للحصول - على صواريخ مماثلة من الاتحاد السوفيتى، ستقدم الولايات المتحدة صواريخ الهوك لاسرائيل(١)!

---

Memo. from Talbot to Rusk, Washington, July 9, 1962, US Policy Toward Israel.

(١)

إلا أن إسرائيل أصرت وكررت طلب الصواريخ الهوك من الولايات المتحدة؛ مدعية زيادة القدرة العسكرية المصرية! وقد تحدث ناصر مع بادو عن التدايعات السياسية لبيع الصواريخ لاسرائيل، وتوقع هجوما حادا وعاما من الحكومات العربية على الولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنها تخالف سياستها المعلنة سابقا بألا تكون مصدرا للسلح في الشرق الأوسط، وخاصة لاسرائيل. وقال بادو مخاطبا الإدارة الأمريكية: إن بيع الصواريخ الهوك أو الغربية لاسرائيل سوف يواجه بعرض سوفيتي لأنواع من الصواريخ للدول العربية! وهنا يصبح اللوم على اتساع دور السلح السوفيتي في الشرق الأوسط على الولايات المتحدة! وعندما قابل بادو ناصر، أخبره باهتمام كنيدي العاجل بتحقيق حظر السلح في مؤتمر جنيف!

رد ناصر.. أن حظر السلح أثناء حرب فلسطين قد فشل؛ بل إنه كان ضد العرب، فقد سمح لاسرائيل أن تحصل على دبابات وأسلحة أخرى من فرنسا! كما أن دولتين من الثلاث دول التي وقعت على الإعلان الثلاثي ضد العدوان، قد ساعدتا اسرائيل واشتركتا في مهاجمة مصر في ١٩٥٦، ومرة أخرى أمدت فرنسا اسرائيل بأسلحة وطائرات وطيارين! وفي ضوء هذا السجل التاريخي، أكد ناصر أنه لا يثق في أي اتفاقية لحظر السلح أن تكون فعالة ضد اسرائيل!

وقد أخطر ناصر السفير الأمريكي.. أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها نية مهاجمة اسرائيل، وسياستها هي أن تبني قواتها المسلحة كرادع ضد هجوم اسرائيلي محتمل؛ على ضوء نواياها التوسعية وتجربة العدوان الاسرائيلي المرة في ١٩٥٦(١)!

وفي ذلك الوقت كان كنيدي نظريا يشجع سياسة تقييد التسليح في الشرق الأوسط - كما ذكرنا - وبذل في هذا الشأن مجهودا مع ناصر وبن جوريون، بل لقد كانت الخارجية الأمريكية تشجع مقابلة بين ناصر وبن جوريون! وإن توقعوا عدم موافقة الرئيس المصري(٢). والحقيقة أن مجرد هذا الاقتراح كان يدل على عدم فهم من جانب السياسيين الأمريكيان للقضية الفلسطينية وتاريخها.

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Aug. 24, 1962.

(١)

ثم تكرر التناقض فى السياسة الأمريكية! فقد تم إخطار السفير المصرى فى واشنطن - مصطفى كامل - بقرار الولايات المتحدة "برغبتهم من حيث المبدأ فى بيع صواريخ قصيرة المدى دفاعية أرض - جو لاسرائيل! والمعروف أنه لا توجد صواريخ دفاعية وهجومية! والغريب أنهم قالوا للسفير المصرى: إن هذا لا يؤثر على العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة! وأن الولايات المتحدة مازالت تعارض التصاعد فى التسليح فى المنطقة(١)!

وفى المقابل، ورغبة فى كسب رضاء مصر، تم توقيع اتفاقية المعونة الغذائية الأمريكية الى الجمهورية العربية المتحدة لمدة ٣ سنوات فى برنامج PL 480، فى ٦ أكتوبر ١٩٦٢ بعد تأخيرها لفترة طويلة. وقد قُصد هذا التوقيت؛ "حتى يقللوا من احتمال تصرف ناصر بعنف عندما تعلن رسميا صفقة الصواريخ الهوك لاسرائيل!"

وبموجب اتفاقية المعونة هذه، تقرر منح الجمهورية العربية المتحدة قرض تسوية قيمته ١٠ مليون دولار(٢)، وقد تم التوقيع بأمر مباشر من كنيدي، بعد أن أظهر اهتمامه بإتمام الاتفاقية(٣). وفى نفس الوقت - ٢١ يوليو ١٩٦٢ - أعلن ناصر عن نجاح الجمهورية العربية المتحدة فى إطلاق صواريخ صناعة مصرية مداها ٨٠٠ كم بمساعدة العلماء الألمان. وعلى الفور قامت المخابرات العسكرية الأمريكية بعمل تقدير موقف حول تنفيذ الجمهورية العربية المتحدة برنامج إنتاج صواريخ أرض / أرض، وتوصلت الى أن هذا لا يغير توازن القوى فى الشرق الأوسط؛ بالرغم من أنها تُعتبر ضربة لناصر من الناحية النفسية فى مواجهة خصومه العرب واسرائيل، كما تمثل خطوة أخرى فى سباق التسليح فى المنطقة.

وبالنسبة للسلاح الذرى، كانت معلومات المخابرات الأمريكية أن الجمهورية العربية المتحدة مازال ينقصها القدرة على تطويره؛ بحيث يمكن استخدام رؤوس ذرية على الصواريخ المصرية، وإن كان لديها مفاعلا ذريا صغيرا للأبحاث وبرنامجا فى هذا المجال.

Memo. of Conversation, Sales of Missiles to Israel, Washington, Sep. 26, 1962.

(١)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR , Washington, Sep. 9, 1962.

(٢)

Memo. from Komer to P. Kennedy, Washington, Oct. 5, 1962.

(٣)

كما توفرت المعلومات للأمريكان أن الجمهورية العربية المتحدة قد اتفقت مع الاتحاد السوفيتي على تسليح كتيبة صواريخ أرض / جو، وتدريب المصريين على استخدامها، وستكون بعض المواقع جاهزة خلال عام ١٩٦٣. وكذلك حصلت الجمهورية العربية المتحدة على ٣ سفن حربية حاملة صواريخ ١٠ - ١٥ ميل بحري، ٤٥ طائرة ميج ٢١ النفاثة المقاتلة المجهزة بصواريخ جو / جو، وجارى تدريب القوات المصرية على استخدامها(١).

وبالطبع قامت اسرائيل بحملة ضد مساعدة العلماء الألمان للجمهورية العربية المتحدة فى صنع الصواريخ، وأبدت قلقا مبالغا كشفه الأمريكان، الذين حاولوا بشدة أن يمنعوا سباقا جديدا للتسلح الذرى والصواريخ بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل(٢).

وقد طلب كنيدي على وجه السرعة أن يتخذ كل إجراء ممكن لتقوية عمل المخابرات الأمريكية لتفقد البرنامج الذرى الاسرائيلى، وأيضا أى برنامج للأسلحة المتقدمة فى اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة، وتقوم بتقييمها. وأكد كنيدي على ضرورة أن يتم التفتيش على مفاعل اسرائيل النووى بدقة(٣).

وقد قابل كنيدي شمعون بيريز فى بداية إبريل ١٩٦٣، الذى بالغ فى الحملة ضد الجمهورية العربية المتحدة؛ وقال: "إنها هى الدولة العربية الوحيدة التى تخشاها حقيقة اسرائيل!" وتحدث عن الصواريخ التى تملكها الجمهورية العربية المتحدة.. الخ.

وهنا أعرب كنيدي عن شدة قلق الولايات المتحدة من أى انتشار للأسلحة الذرية، وعبر عن أمله فى ألا تطور اسرائيل أو تحصل على هذا النوع من الأسلحة(٤).

وفى ١٨ إبريل ١٩٦٣ أرسل كنيدي خطابا الى ناصر ورد فيه: "إننى قلق للغاية إزاء المخاطر والتكلفة التى تتطوى عليها دوامة التسلح فى الشرق الأوسط. وأستطيع فى الوقت نفسه أن أتفهم شواغلكم الأمنية وشواغل اسرائيل كذلك. ويمكننى أن أؤكد لكم عزمنا على الحفاظ على منظور التوازن إزاء هذه المشكلة، والتعامل معها بعقلية منصفة وبطريقة عادلة وغير متحيزة"(٥).

Assessment by the Defense Special Intelligent Agency, Washington, Jan. 24, 1963.

(١)

Memo. from Komer to P. Kennedy, Washington, March 22, 1963.

(٢)

National Security Action Memo., Washington, March 26, 1963, Middle Eastern Nuclear

(٣)

Capacities.

Memo. of Telephone Conversation Between Talbot & Fedlman, Washington, April 5,

(٤)

1963.

(٥) الرسالة من كنيدي الى ناصر، في ١٨ إبريل ١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ولكن الضغوط الاسرائيلية لم تتوقف واللوبي الصهيوني أثر على الكونجرس، وبدأت الاتهامات أن الولايات المتحدة تساعد مصر في صراعها ضد اسرائيل! وأن السياسة الخارجية للحكومة الأمريكية تركز فقط على الشرق الأوسط ومصالح البترول! ومن جانب آخر، كانت الإدارة الأمريكية مدركة لمزايا تقديم المعونة الى الجمهورية العربية المتحدة وتحسين العلاقات معها؛ فاعتبرتها فرصة للتأثير على سياسة الجمهورية العربية المتحدة؛ والحد من نفوذ الاتحاد السوفيتي، وتقييد الأفعال ضد المصالح الغربية الحيوية في المنطقة، ووقف الحوادث ضد المواطنين والمنشآت الأمريكية، وعدم تحريك المشكلة العربية - الاسرائيلية، والتعاون مع قوات الأمم المتحدة لحفظ السلام، وحياد الجمهورية العربية المتحدة إزاء قضايا الحرب الباردة، وتزايد تبادل العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والغرب بكل أشكاله؛ الاقتصادية والثقافية والعلمية، وتعديل الدعاية المعادية للولايات المتحدة في العالم العربي، والعمل على قمع الأحزاب الشيوعية المحلية في العالم العربي وفي إفريقيا، وتزايد الفرص التجارية للولايات المتحدة في المنطقة(١).

وهنا أرسل كنيدي رسالة الى ناصر، في ٢٧ مايو ١٩٦٣ يطمئنه فيها.. "أن سياسة الولايات المتحدة لم تتغير، كما أنني لا أرى سببا لتغييرها في الوقت الراهن. ويلعب الكونجرس دورا أساسيا في المسائل المتعلقة بالمساعدات بطبيعة الحال. ومع ذلك فإن السياسة التي انتهجها تركز على مواصلة برامج المساعدات الاقتصادية الأمريكية الى الجمهورية العربية المتحدة، ويحدوني الأمل في أن يستمر الكونجرس في النظر الى تلك المسألة على هذا النحو أيضا"(٢).



وأبدى كنيدي دهشته من عدة نقاط أثارها ناصر في رسالة سابقة اليه في ٣ مارس ١٩٦٣ عندما كتب.. "أن الجمهورية العربية المتحدة، في ايمانها بالثورة طريقا الى تحقيق أهداف شعبها وأمتها العربية، لا تعتبر أن رسالتها هي توزيع الثورة كيفما اتفق على بقية شعوب الأمة العربية... وفي رأينا أن خير ما تستطيعه الجمهورية العربية المتحدة، حتى لرسالتها الثورية تجاه الأمة العربية، هو أن تكون نموذجا عمليا لقدرة الانسان العربي على تطوير حياته الى المستقبل الأفضل"(٣).

---

Memo. from Brubeck to Bundy, Washington, May 8, 1963, Justification of US Aid to  
(١)  
the UAR.

(٢) رسالة من كنيدي الى ناصر، ٢٧ مايو ١٩٦٣ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٣) رسالة من ناصر الى كنيدي، ٣ مارس ١٩٦٣ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

ورد كنيدي على ذلك بقوله: "ومع ذلك وفي الوقت نفسه أنا على يقين من أنكم تشاركون قلقي وخشيتي أن تخلق المناورات والتمويه في الشرق الأدنى، تطورات غير مرغوب فيها خلال الفترة الحالية؛ قد تفضى الى مشكلات حادة لكل منا...

إننى منزعج للغاية من أن تصبح الأردن مسرحا لصراع عربي قد يدمر السلام في الشرق الأدنى، إذا تدخلت اسرائيل في الأردن بحجة حماية مصالحها الأمنية، وقد نجد أنفسنا في مواجهة الأمر الواقع. وإذا شعرت الدول العربية الأخرى بأنها مجبرة على الرد في هذه الحالة، قد يترتب على ذلك نشوب نزاع كبير.. نزاع تشير تقديراتنا الى أن القوات العربية لن تتمتع فيه بأى ميزة...

وإن سباق التسلح يحمل في طياته بذور كارثة ستحل علينا جميعا. ونحن نشعر بالارتياح لعدم اضطلاع أى دولة من دول الشرق الأدنى في تطوير أسلحة نووية... وأن التقدم الذى أحرزته اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة في استخدام الطاقة النووية لأغراض سلمية هو تقدم واعد نحو تحقيق الرفاهية لشعوب المنطقة. بيد أنه في ظل عدم وجود الضمانات الملائمة؛ قد يتحول استخدام مفاعلات الطاقة من الأغراض السلمية الى أغراض عسكرية. وهكذا، قد تمتلك اسرائيل القدرة على تطوير أسلحة نووية في السنوات القليلة القادمة، إذا وجهت جهودها نحو هذا الهدف. وقد تضيف الصواريخ الهجومية التى باتت كل من اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة بصدد تطويرها أيضا، بعدا جديدا وخطيرا لتلك المسألة...

وتدرس الولايات المتحدة على نحو عاجل ما يمكن القيام به للمساعدة على تجنب حدوث مشكلة خطيرة فى المنطقة... ولم تقف حتى الآن مسألة أهمية أمن اسرائيل وسلامتها، التى تشكل مصدر اهتمام عميق ودائم بالنسبة للولايات المتحدة، عقبه دون نمو علاقات ودية بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة" (١).

وفى نفس الوقت قرر كنيدي إعادة النظر فى السياسة الأمريكية؛ فأعطى اسرائيل ضمانا للأمن؛ لمنع الحرب الوقائية ولمنع انتشار الأسلحة الذرية، فى مقابل أن تعطى اسرائيل تأكيدات بأنها لن تخرق السلام، وأن تتعاون تماما فى هذا المجال مع جهاز الأمم المتحدة للحفاظ على السلام. كذلك أن تتوقف اسرائيل عن الدعاية والأفعال التى تسئ الى علاقة الولايات المتحدة مع العرب، وأن تتبنى سلوكا تعاونيا لحل مشكلة اللاجئين (٢).

---

(١) رسالة من كنيدي الى ناصر، ٢٧ مايو ١٩٦٣، مرجع سابق.

letter from Talbot to Badeau, Washington, May 20, 1963.

(٢)

ومما سبق يتضح مدى انحياز الولايات المتحدة الدائم لمصلحة اسرائيل، وبالطبع ضد الدول العربية، فليس فى علمنا أن السياسة الأمريكية أعطت ضمانا مماثلا للأمن لأى من الدول العربية، حتى تلك الحليفة مع الغرب! واكتفت فى هذا الصدد بإحياء التصريح الثلاثى لضمان أمن دول المنطقة، وقد أثبتت الحوادث - كما ذكر - أنه ولد ميتا!

وقد اعترض تالبوت على الضمانات الأمريكية لأمن اسرائيل؛ فقط لأنه فى هذه الحالة سوف يعطى السوفييت مثلها للعرب!

وكانت الإدارة الأمريكية مدركة أن الاسرائيليين لا يريدون فقط أن تضمن الولايات المتحدة أمنهم، ولكن هدفهم هو أن يحققوا تحالفا دفاعيا كاملا معها، بالاضافة الى مساعدة عسكرية كبيرة! وأبدى كنيدي لمساعديه قلقا حول الأسلحة الذرية، ومخاطر الحرب حول الأردن واحتمال احتلال اسرائيل لضفته الغربية (١).

ولم يكتفى كنيدي برسالته السابقة الى ناصر، بل أرسل مبعوثا شخصيا اليه - جون ماكلوى (٢) - ليؤكد له ضرورة تجنب تصاعد سباق تسلح ذرى وصاروخى بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل. كما قدم عرضا لناصر؛ أن ترفض الجمهورية العربية المتحدة صناعة واستخدام الأسلحة الذرية، وتوقف تطوير أو استخدام الصواريخ الهجومية.

وفى المقابل عرض ماكلوى أن تقوم الولايات المتحدة بمراقبة وتفتيش المواقع الحساسة؛ لكي تتأكد أن الجانبين لن يخرقا التزاماتهما. وأنه إذا لم يوافق ناصر على ذلك، ممكن أن تساعد الأمم المتحدة فى هذه المهمة. كما تم إخطار ناصر بما كان يعلمه من قبل؛ وهو أن اسرائيل لديها مفاعل ذرى يمكن استخدامه فى انتاج الأسلحة الذرية؛ مفاعل ديمونة.

وتساءل ناصر.. "لماذا هذا العرض الآن؟! وكان يشعر بحيرة بالنسبة لأسباب هذا التوقيت! وقال: إنه يرى صعوبات عديدة..

"أولها: قد يجد صعوبة فى شرح لماذا فى هذا الوقت تكون الجمهورية العربية المتحدة الوحيدة من الدول غير الذرية التى تعطى هذا الالتزام!؟

---

Memo. President's Meeting on McCloy Exercise, June 15, 1963.

(١)

(٢) جون ماكلوى، مستشار الرئيس كنيدي.

وثانيا: مشكلة التفتيش والملاحظة: فدائما ما اتخذت الجمهورية العربية المتحدة موقفا قويا ضد أى شكل من التفتيش العسكرى، فلقد رفضته مرات عديدة على أى شكل، وبالنسبة له فإن تطبيق عكس هذا الموقف يشكل صعوبات حقيقية". وأشار ناصر الى "رفض مصر مسبقا أن توافق على حقوق التفتيش، حتى بالنسبة للأسلحة التى يتم تقديمها تحت برنامج المساعدة المتبادلة"... وعلق ناصر.. "إن هذا قد يبدو وكأنه ترتيبا بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة! مما قد يثير صعوبات بالنسبة له".

وفضل ناصر أن يرسل له كنيدي كتابة بخصوص هذا الموضوع، وأبدى استعداده أن يقدم إجابة مكتوبة تنص على.. "أنه ليس لديه نية لانتاج أسلحة ذرية، وليس لديه نية لمهاجمة اسرائيل". وقال ناصر: "إن استراتيجيته دفاعية محضة، وأنه اضطر أن يحصل على طائرات لموازنة قوة اسرائيل فى الجو، خاصة بعد بيع طائرات الميراج الفرنسية اليها. كما كان عليه أن يحصل على قوة صواريخ لموازنة الأسلحة أرض / جو لدى اسرائيل، فبدون ذلك لم يكن ليستطيع أن يواجه التهديد الاسرائيلى"(١).

وفى المقابلة الثانية مع ماكلوى، رد ناصر على عرض كنىدى كآلآتى.. "أنه بينما يقدر رغبة كنىدى فى أن يحقق الاستقرار فى المنطقة - وهى تتفق مع رغبته أيضا - فإنه لا يمكن أن يدخل فى اتفاق مع الولايات المتحدة لرفض انتاج الأسلحة التى ذُكرت؛ لأنه إذا فعل ذلك سيكون تقييدا للسيادة المصرية من خلال الاتفاق مع قوة أجنبية!

كما أنه - فى إطار جو الحساسية الذى يسود البلد - سيظهر كنوع من علاقة «الحماية» أو التبعية؛ وطبقا لذلك، لن يكون فى موقف أن يدخل مع الولايات المتحدة فى مثل هذا الترتيب. إنها مسألة مبدأ بالنسبة له، ولا يمكن أن يتغير الموقف، حتى إذا تم ترتيب مماثل بين الولايات المتحدة وإسرائيل.

وفى نفس الوقت، كرر أنه لا يمكن أن يقبل أى ترتيب للتفتيش أو المتابعة، وذلك تقليد من جانب مصر. إنه يجب أن يعمل فى جو من الحساسية الوطنية التى تجد مصر نفسها فيها كدولة مستقلة حديثا. كما وأنه فيما يتعلق بالأنشطة الذرية، فلا يوجد شئ للتفتيش عليه! وأضاف أنه ليس ضد أن يتم ذلك من خلال الأمم المتحدة، ولكنه لا يستطيع أن يوافق على قيام الولايات المتحدة بذلك...

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, June 28, 1963.

(١)

وأشار ناصر الى الدعاية الاسرائيلية؛ فيما يتعلق بكثافة الاستعدادات العسكرية المصرية. وأوضح أن "ما يهمله هو تجنب أى عمل فردى من جانب الولايات المتحدة؛ كرد فعل للدعاية الاسرائيلية أو أى اقتراح يهدد السيادة المصرية".

وقد وافق ناصر أن يعلن أنه ليس لديه النية لانتاج أسلحة ذرية أو مهاجمة إسرائيل، وقال: إن استراتيجيته هى المواجهة ورد العدوان، وليس العدوان... وأنه لا يمكن أن يثق فى البيانات الاسرائيلية؛ فيما يتعلق بنواياهم السلمية!

وإجابة على سؤال بادو حول رد فعل ناصر إذا علم أن الاسرائيليين يستخدمون مفاعلهم الذرى لصناعة الأسلحة، قال بادو: "الحرب الوقائية.. لن يكون لنا خيار آخر! إنه لا يستطيع أن يسمح بتفوق إسرائيل فى السلاح! وإنه قد علم أخيرا أنها عقدت اتفاقا لتسلم ٩٦ طائرة ميراج أخرى

من الفرنسيين! ويجب أن نواجه هذا؛ فللمحافظة على التوازن يجب أن نحصل على طائرات وصواريخ.

وبالنسبة للتفتيش على الصواريخ وتطورها، فإنه لا يقبل هذا سواء بواسطة الولايات المتحدة أو الأمم المتحدة أو أى أحد آخر". وأضاف.. "أنه لا ينوى أية زيادة فى قوته الصاروخية، وأن العملية مكلفة للغاية، ولن يصل بها إلا الى ما يحقق التوازن العسكرى مع اسرائيل".

وقد أشار ناصر الى قيام الولايات المتحدة بعقد قرص لاسرائيل لشراء صواريخ الهوك! وكذلك تصرف البوندستاج؛ فى أن يجعل من غير القانونى مساعدة المواطنين الألمان من العلماء للدول الأجنبية فى صناعة الأسلحة! فمن الواضح أن هذا الإجراء موجه مباشرة الى الجمهورية العربية المتحدة، وأنه كان نتيجة ضغوط اسرائيلية! ثم قال: "وإذا كان ذلك ضروريا، فإنه قد يعطى العلماء الألمان جنسية مصرية"<sup>(١)</sup>!

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, June 30, 1963, Memo.

(١)

from Komer to P. Kennedy, Washington, July 3, 1963, and Memo. from Rusk to P. Kennedy, Washington, July 23, 1963, McCloy Mission NE Arms Limitation.

وبعد أن اطلع كنيدي على تقارير ماكلوى عن مقابلاته مع ناصر، أرسل له الرسالة الشفوية التالية فى ٧ يوليو ١٩٦٣، التى تتم عن الإحساس المرهف والتقدير الشخصى لناصر.. "يرجى إبلاغ ناصر أننا نستشعر أنه يريد أن يطرح علينا السؤال التالى: لماذا قررنا أن نخص الجمهورية العربية المتحدة بهذا الأسلوب من التعامل؟ والأمر ليس كذلك فى الواقع. فقلقنا إزاء انتشار الأسلحة النووية لا يقتصر على الشرق الأدنى، ولكنه يشمل العالم بأسره... ونحن لم نخص الجمهورية العربية المتحدة أو ننتقياها دوننا عن الدول الأخرى، بل على النقيض؛ فقد ضغطنا على عدد من البلدان بشأن هذه المسألة، ولا سيما على بعض حلفائنا المقربين.

وفىما يتعلق بتوقيت هذا النهج، لدينا أسبابا محددة لطلب التحدث مع ناصر فى هذا التوقيت بالذات؛ وهى أسباب تتصل بأن كلا البلدين يتجه الآن نحو مجال إنتاج الصواريخ، والاسرائيليون على وجه الخصوص أحرزوا تقدما جيدا فى المجال النووى... وهم يقترحون من مرحلة... القدرة على إنتاج سلاح نووى فى غضون سنوات قليلة، إذا توسع نطاق سباق التسلح ووصل الى مجالات متطورة للغاية... ونحن، فى إطار عزمنا الذى لا يفتر على ضمان عدم سلوك اسرائيل المسار النووى، نريد أن تمنحنا ضمانات وتأكيدات أنها إذا امتنعت عن ذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة سوف تتبع النهج نفسه، والعكس بالعكس.

ويقودنا ذلك الى مسألة التحقق.. فقد أشارت الجمهورية العربية المتحدة أنها لا تملك أسلحة نووية يمكن تفحصها أو التفيتش عنها، ولا يوجد لديها نية أن تدخل فى مجال إنتاج الأسلحة النووية. ونحن نقر بأن المنشأة النووية الموجودة فى الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحالى لا يمكنها إنتاج أسلحة من هذا القبيل، ولكننا نود أن نشير الى أن الجمهورية العربية المتحدة عندما ترفض منح ضمانات التحقق لجهة خارجية استنادا الى مبدأ السيادة، فإنها تتخذ بذلك موقفا يمنح اسرائيل الفرصة لرفض إجراءات التحقق استنادا للأسباب نفسها، وللقول بأن الجمهورية العربية المتحدة تقوم سرا بتطوير أسلحة نووية.

وقد قِيلَ عدد متزايد من البلدان تطبيق مبدأ منح ضمانات بالنسبة للمفاعلات النووية؛ بدافع المصلحة المشتركة فى منع انتشار الأسلحة النووية. فالهند رفضت من قبل منح تلك الضمانات، ولكنها قبلتها بالنسبة للمفاعل الكبير الذى أقامته فى تارابور؛ على أساس أن تجرى الولايات المتحدة عملية التحقق أولا، ثم تقوم بها الوكالة الدولية للطاقة الذرية لاحقا. أما فى حالة الجمهورية العربية المتحدة، فليس من الضرورى أن تتولى الولايات المتحدة مهمة التحقق الأساسية، بل يمكن أن تقوم بها أطراف متعددة مثل الوكالة أو بلدان أخرى".

ثم انتقل كنيدي في رسالته الشفوية الى مسألة الصواريخ.. "إنها تشكل صعوبات أكبر بالنسبة الى الجمهورية العربية المتحدة، ونحن نستشعر استنادا الى المحادثات التي جرت مع ماكلوى أن لدينا فهم أعمق لنظرة الجمهورية العربية المتحدة إزاء جهودها الرامية لإنتاج الصواريخ... ولقد استغل البعض أن الجمهورية العربية المتحدة كشفت النقاب على الملأ عن برنامجها لإنتاج الصواريخ؛ مما منحهم ذريعة لشن حملاتهم الدعائية ضدها... ونشعر بالقلق إزاء تسارع وتيرة الجهود التي تبذلها إسرائيل لإنتاج الصواريخ للرد على التطوير الذي أدخلته الجمهورية العربية المتحدة في مجال إنتاجها... ولقد اقترحنا عليها أن تعيد النظر في مسألة عدم التعجل في برنامجها لتطوير الصواريخ انطلاقا من هذه الاعتبارات، ولم يكن في حسابنا أن تتخلى الجمهورية العربية المتحدة تماما عن جهودها الرامية الى تطوير الصواريخ، بل أن تمارس في المقابل ضبط النفس...

نحن ندرك تماما بل ونتفهم المخاوف السياسية التي تبديها الجمهورية العربية المتحدة بشأن إجراءات التحقق الدولية المكثفة، ولا نرغب بالتأكيد في وضع الجمهورية العربية المتحدة تحت الحماية، ولا ننظر اليها باعتبارها دولة تابعة... وقد قررنا في الولايات المتحدة وفي إطار علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتي... أن نقبل إجراءات التحقق التي من شأنها منح ضمانات وتطمينات لنا وللاتحاد السوفيتي على حد سواء...

باختصار، نحن نؤمن بأن الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة لديهما مصلحة مشتركة في ضمان ألا يأخذ التطور التكنولوجي في الشرق الأدنى منحى يمكن أن يشكل منعطفا كارثيا. فالحرب الوقائية ليست حلا، ولكنها ملاذ أخير قد يثبت أنه أفدح ثمنا بكثير بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة، وأقل احتمالا للنجاح من النهج الذي نقترحه... ونعتقد أن الحد من التسلح مع وجود ضمانات لكلا الجانبين هو السبيل الأفضل" (١).

وكان رد ناصر على هذه الرسالة الشفوية من قبل كنيدي.. " أنه تشاور مع دائرة معاونيه ومستشاريه المباشرة، الذين أكدوا رد فعل ناصر الفوري والمباشر بعدم قبول الجمهورية العربية المتحدة أى شكل من أشكال التفتيش والتحقق؛ لأن ذلك يعنى ضمنا العودة الى السيطرة الغربية (٢).

---

(١) رسالة شفوية من كنيدي الى ناصر، ١٥ يونيو ١٩٦٣ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٢) المرجع السابق.

وفى الواقع كان ناصر مدركا لخطورة الموقف، فكتب بخط يده.. "العدو الاسرائيلى: يجب أن تبنى الاستراتيجية على سياسة تمنع اسرائيل من العدوان علينا. إن سياسة اسرائيل مبنية على فرض السلام، وفرض السلام لا بد من دخول معركة مع مصر وهزيمتها. يجب أن تكون استراتيجيتنا مبنية على؛ سياسة رادعة سريعة، قوات مسلحة خفيفة الحركة تستطيع أن تحقق أهدافها بسرعة خاطفة. ومن المسلم به أن السياسة التقليدية لا تناسب الحرب مع اسرائيل نظرا للمستعمرات".

وفى ٣٠ يوليو ١٩٦٣ أرسل ناصر رسالة شخصية الى كنىدى؛ تؤكد نية الجمهورية العربية المتحدة الانضمام الى المعاهدة الثلاثية الخاصة بالحظر الجزئى للتجارب النووية(١). ومضى تبادل الرسائل بين الرئيسين المصرى والأمريكى، ففى رسالة شفوية من كنىدى الى ناصر، فى ١٢ سبتمبر ١٩٦٣ أبلغه.. أنه طلب من السفير بادو "أن ينقل اليكم مدى سعادتى بالتأييد الشخصى الذى أبديتموه على الفور إزاء الحظر الجزئى للتجارب النووية، وبتوقيع حكومتكم دون إبطاء على المعاهدة...".

وأشعر بالارتياح والتشجيع إزاء المؤشرات التى استخلصتها من تصريحاتكم، والتى تفيد بأن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها أى نية لمهاجمة أى من البلدان المجاورة لها، وأن برنامج التسليح الخاص بها يهدف فقط الى الردع أو الرد على أى هجوم"(٢).  
٥- نجاح الجهود الاسرائيلية لتشويش العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة:

وعلى الجانب الآخر، بذل قادة اسرائيل محاولات للوقعة بين كنىدى وناصر، ففى أثناء تواجد جولدا مائير - وزيرة خارجية اسرائيل - فى نيويورك، لحضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة، سبتمبر عام ١٩٦٣، قابلت جوزيف سيسكو(٣)، وقالت له: "إن المشكلة الأساسية هى ناصر!" ثم تكلمت عن التكلفة العالية لحرب اليمن؛ كإشارة الى استخدامات المعونة الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة!

وقد أبدت قلقها من نشاط العلماء الألمان فى مصر فى مجال الصواريخ.. إلخ، وادعت أن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة ممكن أن تصل الى تل أبيب فى ١٩٦٥، وقالت: "إن ناصر لن يبدأ الحرب إلا إذا شعر أنه يستطيع أن يفوز! ولذلك اسرائيل يجب أن يكون لديها رادعا قويا!" وأضافت "أنها قلقة بالذات من نوعين من الأسلحة؛ الدبابات والصواريخ".

(١) رسالة ناصر الى كنىدى، ٣٠ يوليو ١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٢) رسالة شفوية من كنىدى الى ناصر، ١٢ سبتمبر ١٩٦٣، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.



(٣) مسئول في وزارة الخارجية الأمريكية، تولى من ١٩٥١-١٩٦٥ منصب ضابط الشؤون الخارجية، والمتخصصة في القضايا المتعلقة بالأمم المتحدة والمنظمات الدولية الأخرى.

ولمزيد من الوقعة بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة ادعت مائير: "أنه مازال هناك دليل على أن الجمهورية العربية المتحدة تبنى قوة نووية، وهم يقومون بعمل متطور في الحرب الكيميائية والمعالجة الإشعاعية!"

وقد طلب سيسكو من مائير معرفة أماكن هذه المنشآت؛ لأن معلومات الولايات المتحدة

لا تؤيد كلامها(١)!

ومن الجانب آخر، فإن إشكول - أثناء مقابله للوزير الأمريكي في تل أبيب - عبر عن أمله في أن تقارير الأزمة الاقتصادية في الجمهورية العربية المتحدة لا تقود الى زيادة معونة الولايات المتحدة الى مصر!

رد السفير الأمريكي.. "نحن نقدم معونة الى الجمهورية العربية المتحدة؛ حتى يكون لنا مصلحة في التصرف بحكمة! وإذا توقفت هذه المعونة، فالأثر سيكون عكسيا، ولن نستطيع أن نقلل من مخاوفه، كذلك سنجعله أكثر اعتمادا على الاتحاد السوفيتي"(٢).

وقد تحدث أيضا ممثلوا اسرائيل مع المسؤولين الأمريكيين، وأبدوا مخاوفهم من الصواريخ والأسلحة المتطورة التي أصبحت الجمهورية العربية المتحدة تمتلكها، وكرروا كلام مائير؛ أن ذلك قد يشجع الجمهورية العربية المتحدة على الثقة المبالغة فتهاجم اسرائيل! كما جسموا في قوة الجمهورية العربية المتحدة من حيث الدبابات والبحرية! ولم يضيعوا الفرصة لطلب دبابات ومعدات للدفاع البحري الاسرائيلي من الولايات المتحدة(٣)!

وفي ذلك الوقت رفضت الولايات المتحدة قرض منتجات زراعية كانت عازمة على منحه الى الجمهورية العربية المتحدة، وكانت حجة الإدارة الامريكية؛ أنه من الضروري تقديم دليل على أن المعونة الأمريكية لا تدفع جزءا من تكاليف الحرب في اليمن، حيث يوجد بها أكثر من ٥٠,٠٠٠ من القوات المصرية(٤)!

ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة بدأت تستجيب لكلام المسؤولين الاسرائيليين، وتضغط مرة أخرى على الجمهورية العربية المتحدة باستخدام سلاح المعونة!

---

Memo. of Conversation, N.Y., Sept. 30, 1963, Secretary's Delegation to the 18th Session

(١)

of the UNGA, Middle East Affairs- Israel Security.

Tel. from the Dept. of state to the Embassy in Israel, Washington, Oct. 30, 1964. (٢)

Circular Tel. from the Dept. of State to Certain Posts, Washington, Nov. 13, 1963, (٣)  
US – Israeli Talks.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, Nov. 14, 1964. (٤)

ولقد تمادى قادة اسرائيل فى هذا الاتجاه، فقد قابل اسحاق رابين كومر فى واشنطن، وشرح له على خريطة احتمالات هجوم الجمهورية العربية المتحدة على اسرائيل تكتيكيا، وأنه يتوقع ذلك من جنوب قطاع غزة!

ولقد أدرك كومر الخديعة الاسرائيلية فكتب.. "هذه مبالغة فى تقديرات اسرائيل لإمكانيات الجمهورية العربية المتحدة"! وإن الإدارة الأمريكية تشك فى كلام الاسرائيليين؛ أن الجمهورية العربية المتحدة ستكون واثقة أكثر من اللازم وخطرة بالنسبة للأسلحة التى تصنعها، كما أن الولايات المتحدة لا ترى فى الأسلحة التقليدية أية فجوة رادعة واسعة بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل؛ وبالتالي لا توجد الخطورة أن تقوم الجمهورية العربية المتحدة بالهجوم عليها كما يدعى الاسرائيليون!

وعندما كرر رابين أن اسرائيل يجب أن يكون لديها قوة عسكرية كافية لردع أى هجوم من جانب الجمهورية العربية المتحدة كما يدعى - كمبرر لحصوله على مزيد من الأسلحة الأمريكية - أكد كومر على دور الولايات المتحدة فى مثل هذا الردع؛ "فسوف تتدخل الولايات المتحدة فوراً إذا هوجمت اسرائيل! ثم أضاف كومر.. "أن ناصر يدرك أن لدى الولايات المتحدة طائرات تكتيكية فى أدانا بتركيا، كما أن الأسطول السادس قريب، وكذلك قيادة القاذفات البريطانية فى قبرص"(١).

ولم يمض أكثر من يومين حتى اتضح أن الولايات المتحدة أعطت اسرائيل مياها ثقيلة لانتاج القنابل الذرية، بالإضافة الى صواريخ الهوك بمقدار ٢٥ مليون دولار! وقد ذكر تالبوت لراسك.. "إننا لا نستطيع أن نحافظ على مصالح الولايات المتحدة بعيدا عن مصالح اسرائيل"(٢)!

وفى نفس الوقت وثانى يوم بعد اغتيال كنيدي، قال الرسمىون الأمريكيون للقيسونى - أثناء وجوده فى واشنطن - إن تقديم المعونة الجديدة سيكون صعبا؛ طالما استمرت الجمهورية العربية المتحدة فى الإنفاق الكبير على عمليات اليمن! ووضعوا مزيدا من الشروط(٣).

وفى الواقع فإنه فى الشهور الستة الأخيرة من حكم كنيدي حدثت تغييرات فى السياسة الأمريكية تميزت بمزيد من التقارب مع الجمهورية العربية المتحدة؛ فاعترفت الولايات المتحدة بالجمهورية اليمنية رغم معارضة حليفها بريطانيا، وإن كان ذلك لأسباب تتعلق بالمصالح الأمريكية كما أوضحنا(٤).

(١) Memo. for the Record, Washington, Nov. 14, 1963.

(٢) Memo. from Talbot to Rusk, Washington, Nov. 18, 1963, Anticipated Special Problem in the US – Arab Relationship.

(٣) Memo. from Talbot to Rusk, Washington, Nov. 23, 1963, Problems & Opportunities Ahead.

(٤) ص من الكتاب.

كما أنه أثناء الضغوط في الكونجرس لمنع المساعدات عن مصر، قال كنيدي: "تذكروا ما حدث في مصر عندما سحبنا وعدنا بالمساهمة في بناء السد العالي!" وبالإضافة الى ذلك فإن كنيدي هو الذى تبنى تنفيذ قرار الأمم المتحدة فى ٦٣/١٩٤٩ بشأن عودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم أو تعويضهم(١).

لقد كان ما سبق ليس تحولا جذريا فى السياسة الأمريكية، ولكنه محاولة للفهم غابت عن القادة الأمريكيين منذ قيام اسرائيل فى ١٩٤٨!

وبالرغم من هذه المظاهر، فإن حقيقة سياسة الولايات المتحدة – كما اتضح من مقابلة كومر مع شمعون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلى فى واشنطن – أن ما يذكر علنا عن اتباعها سياسة محايدة تماما بين اسرائيل والعرب مخالف للواقع، فقد كان واضحا منذ ١٩٤٧ أن السياسة الأمريكية أساسا فضلت اسرائيل! لقد كانت الولايات المتحدة أقوى سند خارجى لها ماليا وتسليحا، وأن القوة الأمريكية الرادعة هى التى حققت لاسرائيل أهدافها الأمنية. وكل ما حدث هو أن الولايات المتحدة فى عهد كنيدي بحثت عن مظهر للتوازن فى سياستها؛ يسمح لها باستمرار النفوذ فى العالم العربى، وكانت ترى أن ذلك ضروريا بالنسبة لمصلحتها ومصلحة اسرائيل؛ لأنها لا تحمى بذلك فقط الأصول الأمريكية فى المنطقة (البتروى والقواعد)، وإنما تقيد الاختراق السوفيتى لها.

وكان واضحا أن ما حدث بالنسبة للسد العالى أعتبر فشلا للسياسة الأمريكية، وكان الأمريكان هم الذين أعطوا خروشوف فرصته الذهبية لبيع الأسلحة السوفيتية فى الشرق الأوسط، وهى التى خلقت التهديد الحقيقى لاسرائيل. وأصبح من المهم ألا تدفع الولايات المتحدة العرب للانحياز صراحة مع موسكو.

وظهر الاعتقاد فى الولايات المتحدة أنها انتقلت الى سياسة موالية لناصر؛ على أساس أنه مجهود محسوب للوصول الى أساس من التعاون المتبادل معه ومع البلد اللذان ينظرون اليهما على أنهما دعائم العالم العربى. ولكن الولايات المتحدة قامت فى نفس الوقت بمحاولات لتحجيم الدور المصرى؛ وذلك بمنح المعونة الأمريكية الى ليبيا والسودان والحبشة والسعودية والأردن؛ أى كل دولة حول الجمهورية العربية المتحدة!

(١) هيكل، "كنيدى وعصره"، ٢٩ نوفمبر ١٩٦٣، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

وأثبتت الولايات المتحدة بذلك أنها مستعدة للتعامل مع ناصر عندما توجد مصلحة متبادلة؛ لتقدم له بديلا حتى لا يعتمد على الاتحاد السوفيتي، واعتقدت الإدارة الأمريكية أنه طالما لديه هذا البديل فسوف يأخذ من الطرفين(١)!

وقد تكلم ناصر مع ويلي برانندت - عمدة برلين - الذى قابله فى القاهرة فى ٨ نوفمبر ١٩٦٣ - بمرارة ومطولا ضد التكتيك الأمريكى باستخدام المعونة للضغط عليه؛ وقال له: "إن الجمهورية العربية المتحدة خرجت من أزمة السويس مقتنعة أنها لا تستطيع أن تعتمد على العالم الغربى، ولكن السياسة الأمريكية فى هذه الإدارة جعلته يأمل أن هذا التوقع من الممكن عكسه، إلا أنه الآن أصبح من الواضح أنه يجب أن يرجع الى عام ١٩٥٧(٢)!

معنى ذلك أن ناصر بدأ يشعر بمزيد من الضغط عليه من جانب كنيدي فى أواخر حكمه؛ سواء فى قضية توازن التسلح فى الشرق الأوسط بين كل الدول العربية من جانب واسرائيل من جانب آخر، أو بالنسبة للنشاط الذرى وإنتاج الصواريخ فى الجمهورية العربية المتحدة، أو بالنسبة للقضية الفلسطينية ومشكلة اللاجئين.

#### ٦- رجوح كفة اسرائيل فى العلاقات بين ناصر وجونسون:

أ- مدى أهمية المعونة الأمريكية الى كل من الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة:

بعد أن تولى جونسون الرئاسة بدأت إعادة تقييم لعلاقات الولايات المتحدة مع كل من الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل. وكان رأى المخابرات الأمريكية، أنهم لا يقدرُوا أن تطوير الصواريخ المصرية يشكل التهديد الذى إدعاه الاسرائيليون!

وكان قادة اسرائيل قد أعلنوا أن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة ممكن أن تؤثر جديا على المعنويات الاسرائيلية، وتشكل مشكلة بالنسبة للتعبئة العسكرية! هذا فى الوقت الذى تعاقدت فيه اسرائيل مع شركة فرنسية على شراء ٢٥٠ صاروخ أرض / أرض حديث (٣)!

Memo. for the Record, Washington, undated, Talk with Israel Defense Minister,

(١)

Shimon Peres.

Memo. from Bundy to Senator D. William Fulbright, Washington, Nov. 11, 1963.

(۲)

Special National Intelligence Estimate, Washington, Dec. 4, 1963, the UAR Missile

(۳)

Program& its Implications for Israel.

ومع قدوم جونسون الى البيت الأبيض أرسل بادو له رسالة قال فيها.. "إن مصر هي أكثر دولة عربية شرقية أهمية، وهي قائدة حركة الاصلاح القومى. وبالرغم من أن حركة القومية العربية أصبحت بطيئة، إلا أن ناصر يظل أهم قائد عربى محترم على نطاق واسع، وهذا يعطى الجمهورية العربية المتحدة قدرة مستقلة هامة للتأثير على المصالح الأمريكية فى هذه المنطقة.

إن هذه المصالح هي؛ إضعاف الاختراق السوفيتى للشرق الأوسط، والحفاظ على وصول الغرب للطرق البحرية والجوية وللبترول العربى، وتشجيع السلام والتقدم فى المنطقة.

والسياسة الأمريكية تقوم على؛ التوسع فى المعونة الاقتصادية، وعدم التحيز فى مشاكل المنطقة! والاستعداد لاستخدام قوة الولايات المتحدة ونفوذها للدفاع عن مصالحها".

وفى الواقع فإن التحيز الأمريكى الى جانب اسرائيل كان واضحا حتى فى عهد كنىدى. وعبر بادو عن رأيه فى هذه السياسة، فكتب.. "إن عقلانية هذه السياسة ظهرت فى الآتى: زيادة النفوذ الأمريكى على حساب السوفيتى منذ ١٩٥٦، الخلافات العربية أصبحت أكثر اعتدالا! ودلل على ذلك بموقف الجمهورية العربية المتحدة العلنى فيما يتعلق بمياه نهر الأردن".

وهنا توجد مغالطة فبالرغم من عقد مؤتمرات القمة العربية، إلا أن الخلافات ظلت كما هي. فقد فشل فك الاشتباك بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة العربية السعودية فى اليمن، وظلت الأردن تعادى الجمهورية العربية المتحدة.

كذلك رأى بادو أن الجمهورية العربية المتحدة "حفظت مشكلة اسرائيل فى صندوق مثلج"! وهى لن تهاجم اسرائيل إلا إذا بدأت فى إنتاج أسلحة ذرية.

وفى الواقع أن اسرائيل هى التى إدعت عزم الجمهورية العربية المتحدة على مهاجمتها، فدائما كان ناصر ينفى هذه الأكاذيب، ويعلن أن سياسته دفاعية. أما حفظ مشكلة اسرائيل فى ثلاجة، فهو لم يحدث أبدا؛ والدليل على ذلك موقف ناصر من مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ومشكلة تحويل مياه نهر الأردن فى مؤتمرات القمة.

وقد لفت بادو نظر جونسون الى "أن الميزات التى كانت تطالب بها الولايات المتحدة قد تحققت؛ وهى تأكد حق وصول الغرب لقناة السويس، كما أظهر المصريون تقديرا متزايدا لميزة التعاون الأكثر قربا معه". وهنا لا أعرف كيف؟ فالاتحاد السوفيتى كان المورد الأساسى للسلاح الى الجمهورية العربية المتحدة، والغرب هو الذى يمد اسرائيل به سرا وعلنا!

أما المشاكل المتبقية بين القاهرة وواشنطن فيمكن التعامل معها وهى؛ بطء الانسحاب المصرى من اليمن، وإن اعترف ناصر بمبدأ فك الاشتباك، كما لا يوجد تهديدا للحكومة السعودية أو عدن، بل إنه قد تحدث فوضى فى اليمن إذا خرجت الجمهورية العربية المتحدة بسرعة!"

واستطرد بادو فى رسالته.. "لاتزال الجمهورية العربية المتحدة تعتمد بشدة على المساعدة - ساعدت على المحافظة PL 480 العسكرية السوفيتية ، ولكن المعونة الغربية - خاصة برنامج على عدم الانحياز".

وفى الخاتمة، كان رأى بادو أن إيقاف المعونة الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة لن يؤدى الى اعتدال سياسة ناصر، بل سيقضى على المكاسب الأمريكية منذ ١٩٥٦ ويعرض مصالحها للخطر(١)!

#### ب- مشكلة تحويل مياه نهر الأردن:

ومع تولى جونسون السلطة، برزت مشكلة مياه نهر الأردن مع إعلان اسرائيل عزمها على تحويل مياهه لمصلحتها. ومن هنا دعا ناصر فى يناير ١٩٦٤ الى مؤتمر قمة عربى فى القاهرة؛ لمناقشة الإجراءات التى من الممكن أن يتخذها العرب لمواجهة المشروعات الاسرائيلية فى هذا الصدد.

وقد صرح ناصر لبادو.. أنه كان يفكر فى مؤتمر القمة العربى منذ منتصف صيف ١٩٦٣. ولكنه اعتقد أن عقد هذا المؤتمر مستحيلا، طالما أن حزب البعث يسيطر على كل من سوريا والعراق. ولذلك فقد انتظر حتى انهار البعث فى العراق؛ مما أدى الى عزل واضعاف البعث فى سوريا، ووضعه فى موقف لا يستطيع معه أن يرفض حضور المؤتمر.

وقد أوضح بادو لناصر موقف الولايات المتحدة من مشكلة مياه نهر الأردن؛ الذى يؤكد على حقوق الدول على مجرى حوض النهر - أى انحازت الى اسرائيل - ثم أشار بادو الى أن الجمهورية العربية المتحدة - كمستخدمة للجزء الأسفل من مياه نهر النيل الذى ينبع خارج حدودها - من المتوقع أن تكون حساسة بالدرجة الأولى بالنسبة لتعديل مجرى النهر!

رد ناصر.. أن سحب مياه النيل يخضع لاتفاقية بين الدول المعنية، ولا توجد اتفاقية مماثلة بين الدول العربية واسرائيل!

وعند قول بادو: إن خطة جونسون(٢) تقترح لقاء فنيا لكل الأطراف المهمة؛ وعلى هذا الأساس تعتقد الولايات المتحدة أن هذا الاتفاق سيكون فى مصلحة كل الأطراف، سأل ناصر.. هل تعنى أننا إذا حولنا مياه الأردن ستعتدى اسرائيل علينا؟! رد بادو.. نعم!

علق ناصر.. معنى ذلك أننا يجب أن نظل أقوىاء ومستعدين(٣)!

---

Summary of Ambassador Badeau's Letter to the President, Jan. 3, 1964.

(١)

(٢) ص من الكتاب.

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Jan. 7, 1964.

(٣)

### ج- مزيد من الانحياز العسكرى الأمريكى الى اسرائيل:

شعرت الولايات المتحدة أنها تواجه سنة صعبة فيها تحد لها فى الشرق الأوسط؛ فلقد زاد التوتر بين الدول العربية واسرائيل، والولايات المتحدة - تحت تأثير الدعاية الاسرائيلية المستمرة- أصبحت قلقة على أمن الدولة العبرية فى المستقبل. كما أن المصالح الأمريكية فى المنطقة أصبحت مهددة فى إطار تزايد اعتماد أوروبا على بترول الشرق الأوسط، وحاجة الولايات المتحدة الى النقل والاتصال الاستراتيجى، بالإضافة الى أهمية أن توقف التقدم السوفيتى فى المنطقة. وقد برزت عدة قضايا قدرت الولايات المتحدة أنها من الممكن أن تسمى الى موقفها فى الشرق الأوسط..

١- رد الفعل العربى العنيف على مشروع تحويل اسرائيل لمياه نهر الأردن.

٢- إمكانيات اسرائيل الذرية بعد استكمال مفاعل ديمونة.

٣- تهديدات تزايد التسليح الحديث للجمهورية العربية المتحدة واسرائيل.

٤- الصراع بين الحكومات العربية وشركات البترول الغربية.

ولكن خبرة السنوات الماضية أكدت للولايات المتحدة أن مفتاح السياسة البناءة فى الشرق الأوسط بالنسبة لها؛ هو المحافظة على توازن فى علاقتها بين العرب واسرائيل، وإن اعترف الأمريكان أن ذلك ليس سهلاً(١).

وفى الواقع فإن هذا التوازن لم يحدث على الاطلاق، وإنما كل ما تم هو تقارب وحوار بين كنيدي وناصر. ولكن ظلت الولايات المتحدة منحازة الى اسرائيل؛ فأعطتها ضمانات للأمن لم تعطى مثلها لأى من الدول العربية، كما منحتها باستمرار المعونة الاقتصادية منذ إنشائها، وأمدتها بالأسلحة بدون مقابل فى معظم الوقت، وأخيراً - وفى عهد كنيدي - قدمت لها صواريخ الهوك أرض / جو ، وساندها دائماً فى الأمم المتحدة.

هل هذا توازن؟!

ولقد أدركت الولايات المتحدة أنها ستحتاج الى العلاقات مع العرب فى ١٩٦٤؛ لمواجهة العواصف التى توقعت إثارتها بسبب القضايا السابق ذكرها. إنها ستحتاج لمجهود كبير لفرض هيبتها فى مساندة اسرائيل ضد الرفض العربى بخصوص هذه القضايا.



ومن أجل ذلك، فإنه عندما طلبت اسرائيل مزيدا من الأسلحة من الولايات المتحدة - ٥٠٠  
دبابة تحت برنامج "المساعدة العسكرية" - وعندما كتب إشكول لكنيدى فى عام ١٩٦٣، أن اسرائيل  
تحتاج المساعدة فى أن تحصل على أجهزة بحرية وصواريخ، وكان ذلك يخالف سياسته المعلنة فى  
ذلك الوقت؛ ألا تصبح الولايات المتحدة المورد الأساسى للأسلحة الهجومية للدول المتورطة فى  
الحرب الاسرائيلية - العربية! شجعت الولايات المتحدة اسرائيل أن تحصل على احتياجاتها من هذه  
الأسلحة والمعدات الحربية من أوروبا، ووعدت بمساندة هذه الطلبات بتوصية منها.

وبدافع من انحيازها الى اسرائيل، استعوضت الولايات المتحدة عن الاستجابة لمزيد من  
تسليح اسرائيل بتذكيرة قادتها؛ أن لديها تأكيدات علنية وخاصة بالتزام الولايات المتحدة بأمنها ووحدة  
أراضيها! وعندما تم استعراض الامكانيات الأمريكية العسكرية للتجاوب مع عدوان محتمل ضد  
اسرائيل، كان كنيدى راضيا تماما أن الولايات المتحدة تستطيع أن تنتشر قواتها لمقابلة التهديد  
المحتمل فى ٣٠ ساعة! وقد أخطر إشكول بذلك.

ورأت الإدارة الأمريكية فى ظل حكم جونسون، أن ذلك يقلل من حاجة اسرائيل فى أن  
تضغط بسرعة نحو التصاعد فى التسليح، الذى يؤدى الى المزيد من اعتماد العرب على  
السوفييت(١).

وقد كان ناصر صريحا عندما أخطر الأمريكان أن حصول اسرائيل على أسلحة ذرية سيكون  
سببا للحرب مهما كانت انتحارية للعرب! ولذلك رأت الولايات المتحدة أنه من الحيوى لحفظ السلام  
فى الشرق الأوسط؛ أن تطمئن ناصر الى الطبيعة السلمية للمفاعل الذرى الذى بدأت اسرائيل فى  
تشغيله فى ديمونة، والذى حتى ١٨ يناير ١٩٦٤ لم يكن له قدرة على انتاج الأسلحة الذرية(٢).

وبعد المراجعة الكاملة لسياسة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، أرسل جونسون خطابا  
الى ناصر، فى ١٧ فبراير ١٩٦٤، يطلب استمرار الحوار الذى بدأه مع كنيدى والذى ساهم فى  
التفاهم بين الحكومتين المصرية والأمريكية(٣).

Ibid.

(١)

Memo. from Reed to Bundy, Washington, Feb. 11, 1964, Need to Reassure P.

Nasser on (٢)

the Peaceful Nature of the Dimona Reactor.

-المذكورة من ريد الى باندى، ١١ فبراير ١٩٦٤، وملحق بها تقرير بنتائج التفتيش الأمريكى على مفاعل ديمونة، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٣) خطاب جونسون الى ناصر، ١٧ فبراير ١٩٦٤، هيكل، عبد الناصر والعالم، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وكانت الولايات المتحدة قد أجرت تفتيشا على مفاعل ديمونة الذرى فى عهد كنيدي فى ١٩٦١، وطُلب من بن جوريون أن يطمئن الأمريكان ناصر الى الطبيعة السلمية لهذا المفاعل الذرى الاسرائيلى (٢٤ ميجاوات) الذى بدأت فى تشغيله فى ديمونة، ولم يعترض بن جوريون على ذلك. ولكن فى المراسلات بين كنيدي وإشكول فى ١٩٦٣، لم يوافق على طمأنة ناصر بالنسبة للمفاعل الذرى الاسرائيلى، وكان هو الوحيد من ضمن جميع الدول الذى اتخذ منه هذا الموقف!

وظلت الولايات المتحدة مصممة على نقل المعلومات السابقة الى ناصر، وخاصة بعد إرسال الصواريخ الهوك الأمريكية الى اسرائيل؛ على أساس أن ذلك من الممكن أن يمنع تحركا خطيرا من جانب الجمهورية العربية المتحدة؛ للحصول على مستوى جديد من التسليح السوفيتى(١).

وقد أرسل جونسون خطابا الى إشكول جاء فيه.. "نحن منزعجون من أن الخطوات التى تفكر اسرائيل فى اتخاذها قد تساهم فى الإسراع بوتيرة سباق التسليح داخل المنطقة دون داعى، ودون أن يساهم ذلك فى تعزيز أمنكم فى واقع الأمر...

إن علينا أن نعمل معا للحد من التداعيات غير المرغوب فيها، ووضع خطوات لتجنب الزيادة غير الضرورية فى استعداد العرب، مع ما يترتب على ذلك من إضعاف للقوى المعتدلة. وإن نفوذ الولايات المتحدة على المحك، ونحن نعتبر ذلك مكونا أساسيا لقدرتنا على المساعدة فى تحقيق أى تحسن فى العلاقات بين اسرائيل وجيرانها"(٢).

كما أثار جونسون فى رسالته الاختلاف فى التقدير بين الولايات المتحدة واسرائيل؛ فيما يتعلق بالتهديد "المحتمل" لصواريخ الجمهورية العربية المتحدة، ومخاطر وتكاليف مواجهتها.

وطلب جونسون من إشكول أن يعمل سويا فى مواجهة عدة قضايا؛ منها مياه نهر الأردن، وتنشيط مفاعل ديمونة والمشاكل المرتبطة به، وأمن اسرائيل، وسباق التسليح فى الشرق الأوسط، وأوضح جونسون أن هدفه تجنب تصاعد الصراع العربى بما تكون من نتيجته إضعاف القوى المعتدلة فى المنطقة(٣).

Memo. from Reed to Bundy, Feb. 11, 1964, OP. Cit.

(١)

(٢) الرسالة من جونسون الى إشكول، ٢٠ فبراير ١٩٦٤، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

(٣) المرجع السابق.

وقد قرر جونسون أن يفتح ناصر حول الصواريخ أرض / أرض التي تنتجها الجمهورية العربية المتحدة والتي تبالغ اسرائيل في خطورتها، وتعتبرها الولايات المتحدة خطوة في سباق التسلح، خاصة أن اسرائيل تضغط عليها وعلى دول أخرى باستمرار للحصول على أسلحة، مدعية عدم التوازن بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة نتيجة حصولها على أسلحة سوفيتية أو تطويرها لأسلحة محلية.

وفيما يتعلق بالمجال الذري، فإن الولايات المتحدة كانت تتابع عن قرب تقدم اسرائيل فيه، وبدا لها أنه لا يوجد أى دليل أنها تنتج أسلحة ذرية فى ذلك الوقت، وإن لم تستبعد أن يحدث ذلك فى المستقبل. وأعلن جونسون مثل كنيدي أنه يقف بشدة ضد انتشار الأسلحة الذرية(١).

وبدأ ارتفاع نبرة الحوار من جانب الولايات المتحدة، فاقترح كומר على جونسون أن يتم إخطار ناصر؛ أنه إذا استمر فى الحصول على السلاح من موسكو، فإن الولايات المتحدة ستفعل نفس الشئ مع اسرائيل(٢)، وهى كانت بالفعل تمدها بما تطلبه منه.

ومن هنا، عرض بادو على ناصر مطالب الولايات المتحدة وهى:

١- التفاهم غير المعلن حول تحديد انتاج الصواريخ أرض / أرض والأسلحة المعقدة الحديثة الأخرى، مع توفير إمكانية التأكيد من ذلك، أى عن طريق التفتيش! وتم التلويح لناصر باحتمال أن يؤثر قراره على المعونة الامريكية للجمهورية العربية المتحدة، وقيل له إن الولايات المتحدة لا تطلب ذلك لأسباب عسكرية بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة واسرائيل، وإنما لأسباب اقتصادية قوية!

٢- أن يقبل ناصر تفتيش الوكالة الدولية للطاقة الذرية وإجراءات الحماية بالنسبة للمفاعلات الذرية المستقبلية، مع الاشارة الى موافقة الهند على هذا الإجراء. وتم الإيضاح أن هذا الإجراء لن يمس السيادة - كما قال ناصر لماكلوى(٣) - بل إنه سيسجع الولايات المتحدة أن تضع مفاعل ديمونة الاسرائيلى تحت إشراف الوكالة!

٣- طلب جونسون رسالة مكتوبة من ناصر؛ تقر أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها النية لتطوير أو الحصول على أسلحة ذرية. وهنا أثار ناصر إمكانية عقد اتفاقية جماعية بهذا الشأن.

Memo. from Rusk to P. Johnson, Washington, Feb. 25, 1964, Resumption of NE Arms

(١)

Limitation Probe.

Memo. from Komer to P. Johnson, Washington, Feb. 26, 1964.

(٢)

(٣) ص من الكتاب.

وقد أوضح بادو لناصر أنه بالنسبة للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، فلم يصل الى اتفاقات للحد من التسلح، ولكنهما قاما بهدوء بالحد من ميزانية التسلح، كما أنهما اتفقا على منع الأسلحة الذرية في الفضاء الخارجي، وهذا يعتبر مثالا ممكن أن يحتذى بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة واسرائيل.

وقد رد ناصر على الطلبات الأمريكية قائلا: "إن لب المشكلة بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة هي اسرائيل، وهكذا كانت دائما!" ثم قال: "وإنه كان واضحا في حواراته مع ممثلي الحكومة الأمريكية؛ عندما ذكر أن الجمهورية العربية المتحدة كان عليها أن تحافظ على دفاعاتها.. فهي لا تثق في اسرائيل! وفي عام ١٩٥٥ تحدثت الولايات المتحدة عن تحقيق مزيد من التوازن بين قوات اسرائيل وكل العرب، ولكن اسرائيل تحركت الى سيناء، وفجأة هاجمت قوات الجمهورية العربية المتحدة! وأول أخبار سمعها هو وضباطه عن هذا الهجوم، نقلت عبر الإذاعة الاسرائيلية! ولا أحد منهم يستطيع أن ينسى هذه الأيام من عام ١٩٥٦! وهكذا لا يمكن مناقشة الحد من الأسلحة؛ لأن الجمهورية العربية المتحدة وكل العرب لا يتقون في اسرائيل!"

وبالنسبة للصواريخ، قال ناصر: "لقد بدأت الجمهورية العربية المتحدة برنامج الصواريخ في ١٩٦٠؛ لكي تطور رادعا ضد قوة اسرائيل المتزايدة، وقد بدأت أيضا في ذلك الوقت صناعة الطائرات".

وشرح ناصر موضحا.. "أنه شعر أن الجمهورية العربية المتحدة يجب أن تصنع الصواريخ والطائرات؛ لأنه في ذلك الوقت كانت هناك خلافات بين الجمهورية العربية المتحدة والسوفييت، وكان الاتحاد السوفيتي يرفض أن يزودنا بقطع الغيار، وأصبحوا بذلك مصدر للسلاح لا يوثق فيه! وقد بحثت الجمهورية العربية المتحدة عن السلاح في ذلك الوقت في أماكن أخرى - بما فيها الولايات المتحدة - بدون نجاح!" وأضاف ناصر.. "إن مهمته الأساسية هي تحسين نوعية الصواريخ، فهم ليسوا بعد على دقة كبيرة".

وأضاف ناصر.. "إن الجمهورية العربية المتحدة لم تحصل على صواريخ سام من السوفييت؛ إنها غالية جدا، ولا يمكن أن تأمل الجمهورية العربية المتحدة أن تغطي كل البلد، أو حتى المناطق الهامة بصواريخ سام المماثلة لصواريخ الهوك التي اشترتها اسرائيل من الولايات المتحدة! إن الجمهورية العربية المتحدة معرضة للهجوم؛ لأنها ليست لديها تغطية كاملة بالرادار على الحدود على عكس الولايات المتحدة، وهذا النقص يزيد من حاجة الجمهورية العربية المتحدة الى رادع".

وعن الأسلحة الذرية، علق ناصر في نفس المقابلة مع بادو التي استغرقت ساعتين.. "إنها قضية أخرى؛ والجمهورية العربية المتحدة ليس لديها النية لإنتاج الأسلحة الذرية، والاستراتيجية منها لا يمكن استخدامها ضد اسرائيل لأنها دولة صغيرة، ويمكن أن تنتشر القنبلة الذرية الدمار في الأرض العربية خارج اسرائيل! وأنه سوف يفكر فيما سوف يفعله بشأن تأكيد عدم النية لإنتاج الأسلحة الذرية، وممكن أن يقر ذلك في رسالة الى جونسون"، كما اقترح بادو من قبل.

وتابع ناصر حديثه.. "وفيما يتعلق بالوكالة الدولية للطاقة الذرية، فإن الجمهورية العربية المتحدة ممكن أن تقبل إجراءات السلامة من جانبها في الوقت المناسب. إن الجمهورية العربية المتحدة تحاول أن تبنى مفاعلا ذريا كبيرا للأغراض السلمية؛ فهي تشعر أنها يجب أن تدخل عصر الذرة في وقت مناسب. ومن الممكن وقت استعداد المفاعل الجديد للعمل، أن تعلن الجمهورية العربية المتحدة تقبلها لإشراف الوكالة الدولية للطاقة الذرية"(١).

وقد استمر جونسون في نفس الوقت في محاولة التأثير على اسرائيل، فكتب لإشكول في ١٩ مارس ١٩٦٤.. "إنني متأسف أن أعلم أنك لا توافق على أن نطمئن ناصر عن الطبيعة السلمية لمفاعل ديمونة (قال إشكول: إن الخوف من امكانيات اسرائيل الذرية هي رادع مفيد لعبد الناصر، ويمنعه من الهجوم على اسرائيل!) ونحن نعتقد في العكس؛ أن خوف ناصر من تطوير قوة اسرائيل النووية قد يدفعه الى الاختيار بين الإسراع في تنمية القوة العسكرية للجمهورية العربية المتحدة أو هجوم وقائي يائس! وكل من هذين الاختيارين لهما آثار خطيرة على أمن اسرائيل. إننا لن نمده بالتفاصيل، وإنما طمأنته سوف تقلل من التوتر العربي الاسرائيلي. ولذلك فإنني آمل أن تعيد النظر في قرارك هذا، ونحن نهتم بأمن اسرائيل مثلك"(٢)!

وقد اعترض إشكول على جونسون، ورد عليه.. "أنه يقدر تأكيدات العننية وغير العننية عن أمن اسرائيل، ولكن فلسفة اسرائيل هي الدفاع عن نفسها. وعبر إشكول عن الشك في أنه إذا هاجمت

الجمهورية العربية المتحدة اسرائيل وساندها السوفييت أن تتدخل الولايات المتحدة بالضرورة بالقوة الى جانب اسرائيل!"

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, March 4, 1964.

(١)

(٢) الرسالة من جونسون الى إشكول، ١٩ مارس ١٩٦٤ بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

ثم بدأت سلسلة من المبالغات فى رسالة إشكول مثل؛ مدى تهديد برنامج الصواريخ المصرى لاسرائيل، وأن الجمهورية العربية المتحدة هى الأولى فى النفاثات والقاذفات الجوية، والبحرية، والدبابات! كل ذلك من أجل الحصول على ٥٠٠ دبابة التى طلبوها ومزيد من الأسلحة،" مع ملاحظة أنها عقدت صفقة صواريخ مع فرنسا، أحسن من صواريخ ناصر!"

ولمزيد من المعارضة قال إشكول: "هل الولايات المتحدة متأكدة أن ناصر لن يضع رؤوسا من الغاز على صواريخه"؟!

وانتهز إشكول الفرصة؛ فطلب من الولايات المتحدة أن تساعد اسرائيل ماليا بالنسبة للدبابات التى تعتزم شرائها من أوروبا! ثم ذكر.. أن الإنفاق على الطائرات الميراج الفرنسية كبير (٦٠ - ٧٠ طائرة ميراج تكلف اسرائيل أكثر من ١٠٠ مليون دولار، بالاضافة الى قطع الغيار وتكلفة التدريب فى فرنسا)(١)!

وقد اعترف الجانب الأمريكى بحاجة اسرائيل لتحديث قوة دباباتها، وذلك بعد أن قارن إشكول قوته فى هذا المجال مع قوة الجمهورية العربية المتحدة.

ولكن فى نفس الوقت كانت الولايات المتحدة ترغب فى أن تتجنب عدم التوازن فى أى اتجاه فى المنطقة، وأن التزام الولايات المتحدة تجاه أمن اسرائيل أساسى مهما تغيرت السياسة الأمريكية، وإن أكدوا أن الأمن المطلق غير موجود. وأخيرا.. فإن اسرائيل تبدو وكأنها تغفل القوة الضاربة للأسطول السادس الأمريكى الى جانبها(٢)! وهو ما ثبت أثناء عدوان اسرائيل على الدول العربية فى يونيو ١٩٦٧.

إن كل ما سبق دفع الولايات المتحدة الى مراجعة سياستها تجاه ناصر، وفى وزارة الخارجية الأمريكية طُرح السؤال.. هل تستطيع الولايات المتحدة أن تنمى مصالحها فى الشرق الأوسط

بالاستمرار فى سياستها فى ذلك الوقت تجاه ناصر؛ وتشمل الحوار الفعال والمساعدة الاقتصادية، أم يجب العمل على تقييد حرية ناصر، وذلك بقطع المعونة الاقتصادية؟

وبدأت المناقشة.. إن معظم سياسات الجمهورية العربية المتحدة التى تجدها الولايات المتحدة مثيرة للمتابع تتعلق بإسرائيل، وبرفض القواعد الغربية فى الشرق الأوسط، وبتدخل الجمهورية العربية المتحدة فى الدول المجاورة وخاصة اليمن، وكلها مشاكل مستمرة لفترة طويلة.

---

(١) مقابلة إشكول مع فيلدمان:

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, April 7, 1964.

Ibid.

(٢)

ولكن بالنسبة لهذه القضايا وغيرها، فإن الجمهورية العربية المتحدة لديها القوة السياسية والاقتصادية - مستقلة عن مساعدة الولايات المتحدة - للإضرار بالمصالح الأمريكية والبريطانية فى الإقليم إذا قررت ذلك.

وفى نفس الوقت اعترف الأمريكان أن الجمهورية العربية المتحدة تظل أكثف دولة سكانا فى المنطقة وأكثرها قوة ونفوذاً وتأثيراً، ولها القدرة ليس فقط على التحرك، ولكن لتقود الدول العربية الأخرى ضد المصالح الغربية، وبالتالي فإن إيقاف المعونة الأمريكية لن يقلل من هذه القدرة!

ولوحظ من الجانب الأمريكى أن من يؤيدون سياسة "التشدد ضد ناصر"، لا يدركون أن الجمهورية العربية المتحدة تعتقد أن الولايات المتحدة قد قررت فعلا هذه السياسة؛ فقد جمدت الولايات المتحدة تقريبا المعونة الاقتصادية الجديدة الى الجمهورية العربية المتحدة منذ منتصف ١٩٦٣، كما جرى هجوم شخصى على ناصر فى الكونجرس والصحافة الأمريكية، وفى جو مؤتمر القمة العربى أيدت الولايات المتحدة تحويل اسرائيل لنهر الأردن! وكل هذه التطورات أثارت قلقا حول نوايا سياسة الولايات المتحدة، وأثارت عدااء الشعب العربى لها وللغرب عموما(١).

وأثار السياسيون الأمريكان مرة أخرى تاريخ ما حدث فى الخمسينات، عندما حاول الغرب أن يوقف ناصر بالواجهة، فإن تحطيم المصالح الغربية كان كبيرا. كما أدركوا أنه منذ ١٩٦١ فإن التوازن فى الشرق الأوسط أصبح مختلفا؛ فبدأت تكتسح قوى التحديث الثورية، وفى أى مواجهة مع الغرب فإن لهم الميزة الاستراتيجية فى المنافسة فى بلادهم؛ حيث القوة العسكرية للغرب لا مكان لها فى عصر التوازن النووى، وقوة الرأى المحايدة. وفى حالة المنافسة فى العمل السياسى والاقتصادى،

يستطيع العرب أن يحققوا تدميرا كبيرا للمصالح الغربية، وفي المعركة بين الدول العربية والدول الغربية؛ فإن السوفييت هم الفائزون الوحيدون!

ولذلك، توصل الأمريكان الى أن أى تحدى للجمهورية العربية المتحدة سيكون تحديا لكل العالم العربى! كما أن نقاط الضعف الأمريكية فى المنطقة، بالإضافة الى إمكانيات دعاية الجمهورية العربية المتحدة؛ تسهل الشعور المعادى للولايات المتحدة واسرائيل، وتقوى العرب ضدهم، ليس فقط فى منطقة الشرق الأوسط وإنما أيضا فى شمال إفريقيا.

---

Action Memo. from Talbot to Rusk, Washington, April 20, 1964, US Policy Toward UAR. (1)

وأدرك السياسيون الأمريكان أن الولايات المتحدة قد تمتعت بنفوذ وحصانة فى السنوات الأخيرة - منذ بدء الحوار بين ناصر وكنيدى - وأن تحديات تغيير هذه السياسة ممكن أن تقلل من الموقف الأمريكى فى المنطقة، وتحصره فى حدود "قلعة اسرائيل"، التى يحيط بها عالم عربى يزداد قوة!

وفى نفس الوقت فإن ضغوط الجمهورية العربية المتحدة فى حالة تغيير السياسة الأمريكية والاتجاه الى التشدد مع ناصر، ممكن أن تصل الى؛ المساس بحقوق الطيران المدنى (الطريق الى إفريقيا والشرق الأوسط وجنوب آسيا)، والى تجارة الولايات المتحدة فى المنطقة (نصف بليون دولار فى السنة)، والى المصالح الأمريكية فى البترول (بليون دولار فى السنة فائدة مباشرة لميزان المدفوعات الأمريكى)، والتواجد الأمريكى بصفة عامة، وضد أى إتجاه للتصالح بين العرب واسرائيل.

ومن المتوقع أن يؤدى تغيير السياسة الأمريكية الى الاستقطاب فى الشرق الأوسط، وتقوية العرب؛ وهم الكتلة المضادة لاسرائيل والولايات المتحدة، واتجاههم الى مزيد من التعاون مع السوفييت لمواجهة الولايات المتحدة، وهى التى تساند اسرائيل.

وكان تقدير الأمريكان أن ناصر لم يعط الكثير بعد للكتلة السوفيتية، ولا تحول تماما ضد الغرب، بل على العكس فإنه يوجد دليل على أن الجمهورية العربية المتحدة ترغب فى تقوية علاقتها مع الولايات المتحدة؛ فمثلا قلت الدعاية ضد قاعدة هوبليس، والمسئولون المصريون قالوا للأمريكان: إن التعليقات المضادة للولايات المتحدة فى الإعلام المصرى قد مُنعت!



وتعرضت مناقشة السياسة الأمريكية الى تحليل أهداف الجمهورية العربية المتحدة وتشمل؛  
تقليل التهديد العسكرى من جانب اسرائيل، وإزالة القواعد العسكرية الغربية من المنطقة العربية، وكان  
الاعتراض هنا أن الولايات المتحدة تحتاج أن تحافظ على قاعدة هوبس حتى ١٩٧٠!

أما الأهداف الأمريكية فهي تقوم على التطبيع بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل،  
واستخدام برنامج المعونة "ليقدم الجزرة" التي من الممكن أن تقيد أو تحتوى تحركا مصريا ضد  
الولايات المتحدة، فبدونها سيحدث تصاعد للثورية العربية والعداء تجاه اسرائيل، وستتم المخاطرة  
بالمصالح الأمريكية فى القواعد فى فترة تحتاجها فيها.

وانتهى الأمر بالآتى.. لا يجب تغيير السياسة الأمريكية فى ذلك الوقت؛ لأنها توفر مركزا  
قويا للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى السنوات القادمة(١).

وفى نفس الوقت قدمت المخابرات الأمريكية أيضا تقدير موقف عن "سياسات ناصر  
وتوقعاتها"؛ فى الداخل، وفى العالم العربى، وفى معسكر عدم الانحياز، وفى العالم بصفة عامة.  
وكان الهدف من موضوع البحث هو محاولة معرفة الى أين يسير؟ وما الذى سيفعله؟ وكيف  
ستؤثر تصرفاته على مصالح الولايات المتحدة؟

ومن وجهة نظر المخابرات الأمريكية ، فإن الهدف الأساسى لناصر هو خلق نظام جديد فى  
العالم العربى، وبناء مصر وتعزيز استقلالها وكرامتها، وكذلك بالنسبة للعالم العربى عموما. كما  
فهمت المخابرات الأمريكية أن ناصر يهدف أن يحقق تضامنا عربيا تحت حمايته! وهو يعتبر أن  
إنهاء النفوذ الأجنبى أساسى لتحقيق أهدافه! كما أنه يعتقد أن القوة العسكرية القوية أساسية؛ حتى  
يستطيع أن يحتفظ بالسلطة!

وبما أن نفوذ القوى الغربية فى الشرق الأوسط مازال أكثر من الدول الشيوعية، فإن حملة  
ناصر ضد الوضع القائم لها تأثير سلبي أكثر على المصالح الأمريكية من السوفيتية. ومع ذلك فإن  
سياسات ناصر لم تقم على إيذاء المصالح الغربية، ولكنها تهدف الى خدمة مصالح الجمهورية  
العربية المتحدة!

إن ناصر يدرك جيدا حاجته لأن يظل على وفاق مع كل من الولايات المتحدة والاتحاد  
السوفيتى؛ حيث أنه يعتمد على الأولى فى "الأكل"، وعلى الثانية فى الأسلحة والمساندة فى بناء السد

العالي، ويعمل على ألا يعتمد على واحدة منهما. إن تفكيره الأساسي أن يظل محايد، وخاصة أنه لا يريد أن يرى قواعد عسكرية سوفيتية أو أن يحل الاتحاد السوفيتي محل الغرب في الشرق الأوسط. وبالنسبة للتوقعات، فإن المخابرات الأمريكية قدرت أن ناصر سيستمر في العمل على إقامة حكومات تؤيده! وسيعمل على القضاء على المراكز الغربية السياسية والعسكرية في الشرق الأوسط. كما أنه سيساند القومين العرب - باستثناء البعثيين - بالدعاية والمساعدة المالية. ولنصر هدف أساسي في الأجل القصير هو عدن - حيث توجد الامكانيات من جانب المعارضة السكانية للاحتلال - ولكنه سيكون حذرا حتى يتجنب مواجهة عسكرية مع بريطانيا.

Ibid.

(١)

وقدر العاملون على تقرير المخابرات الأمريكية أن ناصر يأمل أن تختفى اسرائيل كدولة، ولكنه يرى أنه في المستقبل القريب لن يكون عنده القوة العسكرية لهزيمتها. وأنه سيقاوم أى تحركات غربية لتقوية مركز اسرائيل السياسى أو قوتها العسكرية(١).

إن هذا التقدير كالعادة - يعكس سوء فهم أو تغاضى عن طبيعة السياسات وأهدافها ودوافعها. وأحيانا تتفصل المخابرات الأمريكية عن سياسة حكومتها وتسير فى خط معارض؛ كما حدث عندما اكتُشفت فى مصر مؤامرة على ناصر من تديبيرها، جندت فيها الكاتب الصحفى مصطفى أمين فى ١٩٦٥، وقد كان ذلك فى فترة الحوار المصرى الأمريكى فى عهد جونسون. وبنفس هذا المنطق اللاعقلانى المتحيز، جاء تقدير الموقف حول ناصر وسياسته من

جانب المخابرات الأمريكية!..

فأولا: ناصر كان يشجع ويؤيد أى تضامن عربى أو وحدة بين دولتين عربيتين أو أكثر، حتى لو كانت مصر ليست مشتركة فيها، فإن إيمانه بالوحدة العربية عميق وأصيل. ثانيا: أما عن القول إن ناصر كان يحرص على تكوين قوة عسكرية قوية حتى يستطيع أن يحتفظ بالسلطة، فإنه مغالطة مقصودة؛ فلا أحد حتى الأعداء يستطيع أن ينكر شعبية ناصر فى بلده وفى العالم العربى كله. إن الواقع هو أن ناصر كان مضطرا الى بناء قوة عسكرية للدفاع عن

مصر ضد مخاطر التوسع الاسرائيلي، وهو ما ثبت في ٥ يونيو ١٩٦٧، عندما هاجمت اسرائيل ثلاث دول عربية واحتلت اراضيها!

ثالثا: أما عن علاقة ناصر بالاتحاد السوفيتي، فلا يجب أن ننسى هنا أنه وافق على بيع السلاح لمصر في ١٩٥٥ عندما تعددت حوادث الاعتداء الاسرائيلي على المصريين وعرب غزة وخان يونس عبر الحدود المصرية - الاسرائيلية. وأيضا أن اتجاه ناصر الى الكتلة الشرقية يطلب السلاح، كان بعد أن رفضت كل من بريطانيا والولايات المتحدة بيع السلاح لمصر، وقامت الأخيرة بعملية تسويق ومناورة منذ قيام الثورة في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٥، ثم اتضح من الوثائق البريطانية اتفاق الدولتان على عدم تسليح مصر إلا بشرط الصلح مع اسرائيل(٢)!

---

Special National Intelligence Estimate, Washington, May 6, 1964, Nasser's Policies & Prospects.

(٢) ص من الكتاب.

رابعا: إن ناصر كان مؤمنا إيمانا عميقا بحق جميع الدول في الاستقلال والتنمية، وعدم إقحام دول العالم الثالث في الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهما. ومن هنا فقد قام بمساعدة وتأييد حركات التحرر في الدول العربية مثل الجزائر، والبلاد الإفريقية التي كان معظمها محتلا في الخمسينات. ثم قاد مع نهرو وتيتو حركة عدم الانحياز التي بدأت في باندونج في إبريل ١٩٥٥، وأصبحت بعد ذلك عنصرا فاعلا في السياسة الدولية وفي أروقة الأمم المتحدة.

#### د- اعلان سياسة جونسون المراوغة في الحد من السلاح:

أعلن جونسون ذلك في خطاب له، ثم أراد أن يستطلع رأى ناصر في هذه السياسة الجديدة والقديمة في نفس الوقت! قبل زيارة إشكول الى واشنطن في أول يونيو ١٩٦٤.

قابل بادو ناصر، وحاول إقناعه بالحد من التسليح فقال: إن قدرة اسرائيل المالية والفنية تساوى بل تزيد عن كل خطوة تتخذها الجمهورية العربية المتحدة. ونتيجة لذلك فإن الجمهورية العربية المتحدة لن تحصل على الأمن المطلق، بل ستتكدب أعباء مالية متزايدة تعوق تقدمها الاقتصادي!

ثم أن الولايات المتحدة - كقوة كبرى - طبقت سياسة الحد من التسلح فى مواجهة السوفييت، وهؤلاء عملوا نفس الشئ بدون إتفاق رسمى أو إجراءات خاصة، وممكن أن يحدث تقدم فى هذا المجال بدون مفاوضات ثنائية مع اسرائيل.

وكرر بادو الكلام عن قلق الولايات المتحدة الشديد تجاه كل تطور ذرى، وخاصة فى الشرق الأوسط، ثم طلب تطبيق إجراءات الحماية من جانب الهيئة الدولية للطاقة الذرية؛ لمصلحة السلام فى المنطقة وفى العالم. ولمزيد من اقناع ناصر قال بادو: "إن هذه خطوة فعالة وعملية لمواجهة مخاوف العرب من أن اسرائيل قد تطور أسلحة ذرية".

واستطرد بادو.. "أنه بالرغم من أن الولايات المتحدة لا تشارك اعتقاد العرب أن اسرائيل دولة توسعية! فإن السياسة الأمريكية تعارض أى توسع اسرائيلى خارج حدودها، ولا تقبل - بل مستعدة لرد فعل قوى - فى مواجهة أى تهديد بالعدوان ضد دول المنطقة".

وفى الواقع أنه بالنسبة لهذه النقطة بالذات، أثبتت الحوادث ما أكدته دائما العقيدة الصهيونية؛ أن اسرائيل لها أهداف توسعية مرحلية؛ كان أولها عملية تهويد الأراضى التى احتلتها نتيجة عدوان ١٩٦٧؛ وهى الضفة الغربية الأردنية وهضبة الجولان السورية وسيناء المصرية!

وأخيرا طلب بادو من ناصر تأكيدات محددة للولايات المتحدة؛ أن الجمهورية العربية المتحدة لن تزيد من انتاج الأسلحة المتقدمة أو من عددها، وخاصة الصواريخ. وذكر بادو.. "أنه على هذا الأساس ممكن أن تتعهد اسرائيل بالمثل فى مجال الصواريخ والأسلحة الذرية!

كما أن قبول الجمهورية العربية المتحدة لإجراءات الهيئة الدولية للطاقة الذرية سوف يساعد الولايات المتحدة فى مجهودها على مستوى العالم؛ فى أن تشمل هذه الإجراءات عددا متزايدا من أعضاء الأمم المتحدة، واسرائيل واحدة من أهم هذه الدول التى تحتاج الولايات المتحدة الى موافقتها"(١).

وبعد دراسة التوازن فى منطقة الشرق الأوسط من منظور المصالح الأمريكية؛ حدد جونسون فى مذكرة مكتوبة الى فيلدمان خطوط السياسة الأمريكية فى الفترة التالية كالاتى:

"أولا: بالنسبة لإلحاح اسرائيل فى طلب ٥٠٠ دبابة من الولايات المتحدة:

١- "إن الولايات المتحدة تعتبر نفسها المساند الأمين لاسرائيل! وهى التى يتوقع العرب أن تتولى

حماية اسرائيل إذا هوجمت. وهذه هى الحقيقة الثابتة فى سياستنا منذ ١٩٥٠، وقد أكدها كل

رئيس أمريكى من أجل ردع أى عدوان ضد اسرائيل. وإننا لذلك - بالوسائل العلنية والسرية

- كنا المساندين الماليين الأقوى لاسرائيل؛ وإننى أتبنى هذه السياسة مثل من سبقونى.

- ٢- ولكن الولايات المتحدة رأت أنه من الضروري أن تحافظ على الأقل على مظهر توازن بين اسرائيل والعرب؛ بسبب مصالحها المتسعة فى المنطقة، وكذلك الرغبة فى عدم دفع العرب الى أحضان موسكو. وهذه السياسة لا تعطى الولايات المتحدة نفوذا فقط مع العرب، ولكنها تساعد فى الحد من التدخل السوفيتى الواضح.
- ٣- وأحد جوانب هذه السياسة؛ أن تتجنب الولايات المتحدة مد اسرائيل أو العرب بأسلحة هجومية ممكن أن يستخدموها ضد اسرائيل. على ألا تنقص هذه السياسة من قدرة اسرائيل على الاحتفاظ بحد رادع من الأسلحة. إن مشتروات السلاح الكبيرة من أوروبا الممولة بطريقة غير مباشرة بالمعونة الأمريكية؛ مكنت اسرائيل من أن تظل سابقة للعرب فى هذا المضمار، وستظل كذلك لعدة سنوات!

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, May 8, 1964.

(١)

٤- هذه هى سنة أزمة مياه الأردن، التى تتحمل فيها الولايات المتحدة العبء الأساسى لمساندة اسرائيل. وإن زيادة الحمل بالتغيير فى سياسة الولايات المتحدة ببيع عدد كبير من الدبابات لاسرائيل؛ ممكن أن يسيء الى علاقتنا مع العرب، ليس فقط الجمهورية العربية المتحدة ولكن تقريبا كل دولة عربية.

إنه قد يسيء الى موقف الأردن، وعلى الأقل يجعل من المستحيل على الملك حسين أن يحافظ على علاقات قوية بالولايات المتحدة. وبما أن ليبيا أصبحت واحدة من أكثر الدول تطرفا ضد اسرائيل، فمن المؤكد فقدان القاعدة الأمريكية هناك، وكذلك النفوذ الأمريكى فى قضايا مثل تحويل نهر الأردن؛ ولذلك يجب عمل حساب رد الفعل العربى ضد الولايات المتحدة بسبب صفقة الدبابات المطلوبة من اسرائيل. وأكثر من ذلك خطورة توقع عمل مضاد عربى ضد البترول الأمريكى؛ الذى تهدده أزمة مياه الأردن، وفى النهاية يكون خروشوف هو الفائز الرئيسى وليس اسرائيل.

إنه لكل هذه الأسباب لا أعتقد أن الولايات المتحدة تستطيع أن تبيع اسرائيل دبابات بطريقة مباشرة، ومع ذلك فإن الولايات المتحدة مهتمة بأن تحافظ اسرائيل على امكانيات الردع. وكان تقدير

جونسون أن اسرائيل متشائمة أكثر من اللازم، وأنها لا تحسب الردع الذى يسببه اعتقاد العرب أن الولايات المتحدة سوف تتدخل [لتحمى اسرائيل].

وأخيرا وجد جونسون حيلته؛ أن تشتري اسرائيل الدبابات من المملكة المتحدة، ويمكن من ألمانيا الغربية كبديل بالكميات والشروط التى نعطيها لها! ونعد أن تقوم الولايات المتحدة بتمهيد الطريق معهما، ولكن يجب أن نتجنب الدعاية، وخاصة أثناء زيارة إشكول للولايات المتحدة. وإن أسعار الدبابات فى الدولتين المذكورتين تساوى السعر عندنا، ولا يمكن أن نبرر للأمريكيين إعطاء الدبابات هدية الى اسرائيل، بينما تقوم باستخدام عملتها الحرة لشراء صواريخ من فرنسا! ثانيا: بالنسبة للصواريخ الاسرائيلية:

كتب جونسون.. "يجب أن يعلم إشكول إننى قلق من أن تحصل اسرائيل على صواريخ على نطاق كبير؛ يؤدى الى الإسراع فى سباق التسلح فى المنطقة. قل له: إن الخبراء الأمريكيين مقتنعون أن الجمهورية العربية المتحدة لا تستطيع أن تطور قدرة على إنتاج الصواريخ بحيث تشكل تهديدا لاسرائيل، وحتى الصواريخ المتقدمة فقيمتها محل تساؤل بدون الرؤوس النووية، وهى بعيدة عن قدرات الجمهورية العربية المتحدة"(١).

---

Memo. From Johnson to Feldman, Washington, May 15, 1964, President's Instruction's

(١)

for Feldman – Sloan Mission .

وفى إطار بعثة فيلدمان - سلون (١) الأمريكية من طرف جونسون، فقد قابلا إشكول، وحضرت المقابلة جولدا مائير - وزيرة الخارجية - وشمعون بيريز - نائب وزير الدفاع - والسفير الأمريكى فى تل أبيب، وتم ما يلى:

اعتذار البعثة الأمريكية عن بيع الدبابات لاسرائيل، ولكن فيلدمان قال: "لقد أرسل فريق يضم سلون وخبير آخر الى بريطانيا وألمانيا؛ للتأكد من الكيفية التى يمكن أن يساعد هاذان البلدان فى هذه الصفقة، مع التأكيد على حاجة اسرائيل لهذه الدبابات، وأن تحصل عليها بأحسن سعر".

وهنا قال إشكول: "إن اسرائيل تريد الحصول على الدبابات بدون أن تدفع سعرها!"

رد فيلدمان.. "إن الولايات المتحدة مستعدة أن تساند هنا اسرائيل بطريقتين؛ التدخل لدى بريطانيا وألمانيا لمساعدتها فى أن تحصل على الدبابات التى تحتاجها. بالإضافة الى أنه من الممكن أن تمد الولايات المتحدة ألمانيا بالآلات والمدافع لهذه الدبابات، وأن المحادثات الأمريكية مع الألمان جارية فعلا وستستمر. ولكن الأمر يحتاج الى السرية الكاملة، ومن المهم جدا بالنسبة

للولايات المتحدة ألا يبدو أن البريطانيين والألمان أُجبروا بواسطة الأمريكان على إمداد اسرائيل بالدبابات! كما طلب فيلدمان ألا يناقش إشكول موضوع الدبابات مع جونسون أثناء زيارته للولايات المتحدة، حتى يتم تنفيذ هذا المخطط!"

وضغط إشكول مرة أخرى قائلاً: "إذا كانت حكومة الولايات المتحدة لا تستطيع أن تعطى اسرائيل الدبابات، وتقتح أن تذهب الى بريطانيا وألمانيا؛ إذاً يجب أن تساعد الولايات المتحدة فى عملية التمويل! إن اسرائيل تدفع ثمن الميراج بالدولارات، وهذا عبء كبير عليها!" أى بدأت عملية التسول!

وقال بيريز وهو يبذل مجهودا لاقتناع الجانب الأمريكى: "إن اسرائيل قلقة من زيارة خروشوف الى الجمهورية العربية المتحدة، وهى مقتتعة - عكس الولايات المتحدة - أن صواريخ الجمهورية العربية المتحدة تتحسن بسرعة، والاسرائيليون يخشون أن يكون المصريين فى سبيل تجربة رؤوس كيميائية!"

وانتهز بيريز الفرصة فطلب المناقشة مع الولايات المتحدة لحل مشكلة قوة الطيران الاسرائيلى. وأعرب عن احتياج اسرائيل الى طائرات أثقل من الميراج؛ مبررا أن المصريين يبنون مطارات بعيدة عن القاهرة!

---

(١) فرانك سلون، نائب وزير الدفاع الأمريكى.

فإذا استطاعت اسرائيل أن تحصل على قاذفات هجومية خفيفة مثل سكاى هوك، ممكن تقييد برنامج الصواريخ الاسرائيلى(١).

وفى نفس الوقت أرسل جونسون خطابا الى ناصر فى ٢٠ مايو ١٩٦٤ ينقل اليه "تقدير الولايات المتحدة العميق لتأييدكم الشخصى للحظر الجزئى للتجارب النووية، وتوقيع حكومتكم الفورى على المعاهدة". وأضاف جونسون.. "وقد ساهم هذا الإجراء من جانبكم فى خلق إجماع شبه كامل الى حد كبير بشأن دعم المعاهدة(٢).

ولكن جونسون فى الواقع اتبع سياسة مضللة، فقد طلب من السفير المصرى فى واشنطن- مصطفى كامل - "إخطار ناصر أن الولايات المتحدة ستعارض بشدة أى عدوان من جانب اسرائيل ضد الدول العربية، كما أنها تعارض التوسع الاسرائيلى، وبنفس المعيار فهى تعارض أى عدوان ضد اسرائيل!"

وطلب أيضا أن ينقل الى ناصر.. "أن اسرائيل لا تُشكل السياسة الأمريكية! ولكنه فى نفس الوقت ينصح العرب بألا يضعوا اسرائيل فى موقف حرج؛ لأن السوفييت هم الوحيدون الذين سيكسبون فى هذه الحالة!"

وفى خاتمة اللقاء، أراد جونسون أن يرسل إشارة مقنعة الى ناصر، فأثار أهمية القاعدة الأمريكية فى ليبيا للدفاع عن الولايات المتحدة(٣)!

وعندما وصل إشكول الى واشنطن، قابل جونسون فى أول يونيو ١٩٦٤؛ حيث أكد له نفس الخط السياسى الأمريكى السابق الإشارة اليه، وختم قائلا: "إن رئيس الوزراء [الاسرائيلى] يستطيع أن يترك الولايات المتحدة، وهو واثق أنها ستساعد اسرائيل فى المستقبل معنويا وماديا على قدر ما تستطيع!"

وانتهز إشكول الفرصة فقال: "كانت فلسطين تحت الحكم التركى ١٠٠ ألف كم مربع، وأصبحت اسرائيل ٢٠ ألف كم مربع فقط!" إشارة الى التطلع الى التوسع فهم يريدون كل فلسطين! ولا أعرف إذا كان جونسون أدرك معنى هذه الملاحظة أم لا!

وأضاف إشكول.. "إن زيارة خروشوف أعطت ناصر هيبة أكبر- تسليحا وأمولا - وهذا يجعله عدوا خطيرا!" محاولا التأثير على جونسون حتى يعطيه أكثر!

---

Memo. of Conversation, Jerusalem, May 17, 1964, Tanks.

(١)

(٢) خطاب جونسون الى ناصر، فى ٢٠ مايو ١٩٦٤، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

Memo. of Conversation, Washington, May 25, 1964, US – UAR Relations .

(٣)

واتضح أثناء الزيارة أن إشكول ظل على رأيه، فهو لا يوافق على إخطار ناصر بالوضع الحقيقى لمفاعل ديمونة، ويرر ذلك بأنه عدو لاسرائيل! وادعى إشكول ما كرره مرات عدة.. "أن الجمهورية العربية المتحدة ملتزمة بتدمير اسرائيل، كما أن ناصر عمل لسنوات ليصبح قوة نووية، وسيستمر فى ذلك!" واعتبر إشكول أن إخطار ناصر أن مفاعل ديمونة لا يُصنع فيه أسلحة ذرية؛ لن يكون له تأثيرا. واستطرد قائلا: "كيف نقول لناصر عن ديمونة، بينما لا نعرف منه ماذا يفعل بالنسبة للصواريخ"!(١)!

وفى موضوع الحد من التسليح فى الشرق الأوسط، قابل بادو ناصر وسلمه خطاب جونسون فى هذا الموضوع.



وأشار بادو أثناء مقابلته مع ناصر الى "اعلان النوايا" من جانب الجمهورية العربية المتحدة؛ حول عدم الحصول على أسلحة ذرية، وقبول إجراءات الوكالة الدولية للطاقة الذرية. رد ناصر.. أنه كان مستعدا للاجابة على رسالة جونسون ببيان يعترف فيه أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها نية صنع أو الحصول على أسلحة ذرية. وبالنسبة للوكالة الدولية للطاقة الذرية، فهو مستعد لقبول إجراءاتها عند بناء المفاعل الذرى فى الجمهورية العربية المتحدة. أما قبول التفتيش قبل ذلك، فسوف يضعه فى مركز صعب لأنه لا يوجد سبب لإصدار هذا البيان، كما أنه سوف يتهم بأنه يفعل ذلك تحت ضغط قوة كبرى! ولكن عند بناء المفاعل سيكون مستعدا لذلك.

أما عن سباق التسلح وخاصة الصواريخ، قال ناصر: "إنه قرأ تقريرا فى صحيفة تصدر فى بون؛ يدعى أن الجمهورية العربية المتحدة تطور رؤوسا نووية للصواريخ!" ونفى ناصر قائلا: "هذا غير صحيح". ولكن السفير الأمريكى لم يستطع أن يعرف منه عدد الصواريخ التى تطورها الجمهورية العربية المتحدة أو نوع رؤوسها!

تحدث بادو عن توازن التسلح بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، وذكر أن هذا هو أحسن وقت لتجميد مستوى التسلح! والغريب أن يقول هذا، فى الوقت الذى يعطون فيه اسرائيل صواريخ الهوك، ويساعدونها ماديا وعسكريا وسياسيا على الحصول على ٥٠٠ دبابة من أوروبا!

---

Memo. of Conversation, Washington, June 1, 1964, Johnson/ Eshkol Exchange of Views . (١)

وعرض بادو أن تكون الولايات المتحدة طرفا ثالثا غير معلن عنه لإجراء اتفاق الحد من التسلح؛ حيث أن الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل لا يمكن أن تقيما اتصالا مباشرا! وهنا قال له ناصر: "إن نظام دفاع الجمهورية العربية المتحدة فى مواجهة اسرائيل أحسن كثيرا عما كان عليه قبل ٥ سنوات. فقد كان لاسرائيل ميزة خاصة فى الصواريخ أرض / جو؛ حيث أن مساحة الدولة صغيرة؛ بحيث أن قاعدة صواريخ هوك ممكن أن تحمى أجواءها.

وعلى العكس فإن الجمهورية العربية المتحدة كبيرة جدا بأجوائها؛ بحيث أن الحماية بواسطة الصواريخ أرض / جو غير عملية بالمرّة! ولذلك فإن العسكريين المصريين وافقوا على أن الصواريخ أرض / أرض ضرورية لتوازن مزايا إسرائيل من قواعد صواريخ الهوك".

وعقب ناصر.. "إن تسابق التسلح جارى فعلا؛ فكل ما تحصل إسرائيل على طائرة أحدث، فهو مضطر أن يحصل على سلاح يعوض ذلك. وفي البداية باع السوفييت الأسلحة الى الجمهورية العربية المتحدة بتخفيض ٣٠٪، ولكن خلال السنوات القليلة الماضية يطلبون السعر كاملا! وقد انطبق ذلك خصوصا على آخر دفعتين من طائرات الميج". ثم قال ناصر: "إنه لديه مشكلة مع العسكريين المصريين؛ الذين يضغطون من أجل زيادة حداثّة الأسلحة وكميتها. إن كل العسكريين متشابهين؛ أمريكيين وروس ومصريين! ومشكلة.. كيف أوقف إنتاج الصواريخ، بدون أن أتهم أنني مرغم على ذلك تحت ضغط قوة كبرى" (١)!

وقد وضع ناصر النقاط فوق الحروف في المقابلة السابقة مع السفير الأمريكي. فقد أثارت إسرائيل ضجة حول تسليح مصر عموما، وكذلك في مسألة العلماء الألمان الذين ساعدوها في إنتاج الصواريخ. وفي الواقع من وجهة النظر المصرية، "فإن الخطر التوسعي لإسرائيل يجعل أى تقصير في التسليح انتحارا! إن مصر كانت تعطى السلاح ١٥٪ من ميزانيتها، بينما إسرائيل تتفق عليه ٤٠٪ من ميزانيتها!"

وقد قال ناصر وهو يعطى موافقته على الاستعانة بالعلماء الألمان: "ما يهمنى هو أن تكون المراكز التي يعملون فيها مدارس للعلوم المتقدمة وللتكنولوجيا الحديثة".

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, June 8, 1964.

(١)

وبالفعل حصل المئات من العلماء والمهندسين المصريين - بالتلمذة على يد العلماء الألمان - على فرصة ما كانت تتاح لهم عن غير هذا الطريق. وآلاف العمال المصريين أصبحوا قادرين على صنع محرك النفاثة والصاروخ. ولا يجب أن ننسى هنا حملة الإبادة التي قامت بها إسرائيل ضد العلماء الألمان في الجمهورية العربية المتحدة؛ بالخطف ومحاولات القتل بالطرود المتفجرة (١)!

وفى إعادة تقييم للعلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة، سأل جونسون سفيره الذى أتم مهمته فى القاهرة - بادو - عن رأيه فى السياسة المستقبلية للولايات المتحدة تجاه الجمهورية العربية المتحدة..

أجاب بادو.. منذ قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تغيرت سياسة الولايات المتحدة ٤ مرات لظروف كانت تدفع البلدين الى التباعد أكثر من تغير الإدارة الأمريكية فى واشنطن. فلقد حدثت مواجهة أساسية بين البلدين فى ١٩٥٥، وقت أن عقدت مصر صفقة السلاح الأولى مع الكتلة السوفيتية. ومواجهة ثانية نتجت عن تأميم قناة السويس، ووصلت الى الذروة عند نزول القوات الأمريكية فى لبنان فى ١٩٥٨.

وقد توقفت المواجهة بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة بعد ذلك؛ والسبب - فى رأى بادو - هو فى قدرة الطرفين لإيذاء مصالح الآخر! فإذا أرادت مصر ذلك، فإنها من الممكن أن تسبب مشاكل كثيرة للولايات المتحدة فى مناطق كثيرة فى الشرق الأوسط؛ حيث توجد مصالح أمريكية أساسية؛ كما حدث بالنسبة لتجاوب الشعب الليبى مع دعوة ناصر لإنهاء قاعدة هويلس الجوية.

وفى نفس الوقت فإن الولايات المتحدة لها القدرة على إيذاء مصر فى مناطق مثل اليمن وسوريا والأردن، إذا قررت أن تفعل ذلك!

ويعتقد بادو أن هذه الحقيقة هى التى منعت المواجهة الأساسية فى الماضى، وستستمر فى المستقبل، إلا إذا هددت الجمهورية العربية المتحدة مصلحة أمريكية أساسية؛ بحيث تكون الولايات المتحدة راغبة فى أن تخاطر بمركزها فى الأراضى العربية المجاورة! أى أن "العلاقات الأمريكية - المصرية قد تستمر فى التآرجح بين الصداقة والمعارضة، ولكنها دائماً ما تتجنب خطوة أخيرة بمواجهة أساسية.

---

(١) هيكل، "مسألة العلماء الألمان وأسلحتنا الحديثة"، ١٢/٦/١٩٦٤، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

والسنوات الثلاث الأخيرة كانت بداية جيدة تستطيع معها الولايات المتحدة أن تتمتع بعلاقات معقولة على المدى الطويل مع الجمهورية العربية المتحدة، وتحفظ فى نفس الوقت بحرية الحركة بخصوص قضايا معينة".

وهنا تسائل جونسون.. "هل سيفهم ناصر هذه السياسة المعقدة"؟!

رد بادو.. "هذه السياسة هي البديل الوحيد لتلك التي أساءت العلاقات بين البلدين في ١٢  
عاما ماضية"<sup>(١)</sup>!

---

Memo. of Conversation, Washington, June 29, 1964, US – UAR Relations .

(١)

وقدر الأمريكان تنفيذ ناصر لوعده بأن يضع تأكيدات الشفوية السابقة كتابة؛ أن الجمهورية العربية المتحدة لن تطور أسلحة ذرية أو تستخدمها في برنامجها الدفاعي.  
وكان تحليلهم لخطاب ناصر، أن به تأكيد هام بشأن نوايا ومقدرة الجمهورية العربية المتحدة فيما يتعلق بالأسلحة الذرية..

أولاً: أن ناصر شخصياً يطمئن جونسون أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لديها فكرة إدخال "الخطر المخيف" للحرب الذرية الى المنطقة.  
ثانياً: الخطاب يقر أن الشعب والحكومة المصرية، ليس لديهم المجهود ولا الموارد لتوجيهها الى أسلحة الدمار الشامل.

وقد تم تفسير ذلك؛ على أنه بالرغم من أن ناصر لا يتخلى عن عداته لاسرائيل، إلا أن الخطاب يفهم منه بشكل ضمنى؛ أن ناصر لا ينوى استخدام الأسلحة الذرية لحل المشكلة الفلسطينية، كما يرفض الخطاب التوازن الذرى المخيف الموجود بين الغرب والكتلة السوفيتية أو فرض السلام بالرعب النووى فى العالم كله.

وقد أصبح تقدير هذا الخطاب من ناصر الى جونسون أقوى بعد اجتماع منظمة الوحدة الإفريقية فى القاهرة، وتقديم الجمهورية العربية المتحدة قرارا يقترح اتفاقية عالمية بين القوى غير الذرية؛ على أن تتعهد ألا تحصل على أسلحة ذرية، وقد وافقت المنظمة على مشروع القرار (١).  
وفى ١٣ أغسطس ١٩٦٤ رد جونسون على خطاب ناصر.. "يسعدنى جدا أن أحصل على تأكيداتك الشخصى (فى جوابك السابق فى ٦٤/٧/٢٦)؛ أن الجمهورية العربية المتحدة لا تنوى أن تسخر جهودها للحصول على أسلحة الدمار الشامل. وأيضا إعلامك لتأليبوت وبادو أنك تفكر فى تطبيق إجراءات السلامة الذرية الدولية عندما تبنى الجمهورية العربية المتحدة مفاعلا ذريا" (٢).

وقد أرسل جونسون الى ناصر فى ٢٩ سبتمبر ماكلوى - وهو نفس مبعوث كنيدي اليه فى يونيو ١٩٦٣ - وكان الغرض من المقابلة هو القضاء على التوتر فى منطقة الشرق الأوسط، والتلويح بالمصاريف الباهظة لسباق التسلح التى يجب تجنبها، أى ضمان متابعة تنفيذ السياسة الأمريكية المعلنة فى المنطقة؛ التى تحابى اسرائيل على حساب مصر والعرب!

---

Memo. of Prepared in the Dept. of State, Washington, Undated, Nasser's July 26

(١)

Letter to President [1964].

Letter from P. Johnson to P. Nasser, Washington, Aug. 13, 1964.

(٢)

- رسالة جونسون الى ناصر، ١٣/٨/١٩٦٤، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالإسطوانة المدمجة.

وقد قدم ماكلوى الى ناصر مقترحات أمريكية مكتوبة متضمنة المطالب الآتية:

- ١- "التأكيد الخاص - مكتوب أو شفوي - أن الصواريخ أرض / أرض لا تنتشر من خلال قاذفات متحركة أو ثابتة.
- ٢- التأكيد على وقف إنتاج الصواريخ الكبيرة أرض / أرض للأغراض العسكرية، وبما أن عدد الصواريخ الموجودة محدودا، فلا يطلب تدميرها.
- ٣- أى برامج بحث فى مجال الفضاء، يجب أن تتم علانية وبالتعاون العلمى الدولى، ويكون إنتاج الصواريخ المتعلق بذلك محدودا بالعدد المطلوب من أجل هذا الغرض.
- ٤- التأكيدات والطمأنة المطلوبة بالنسبة لإنتاج الصواريخ أو الحصول عليها؛ ممكن عملها بدون أى تفتيش ( وهو ما يرفضه ناصر) ."

وقد تم اقتراح بيان من جانب الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الشأن كالاتى.. "إن الجمهورية العربية المتحدة ترغب فى أن تقدم تأكيدات أن مجهودها لتطوير صواريخ أرض/أرض، قد تمت فقط لأغراض الدفاع عن النفس. وإنه نتيجة لبرنامج الصواريخ، فإن الجمهورية العربية المتحدة أصبحت الآن فى مركز تستطيع فيه أن تنتج قوة صاروخية كبرى، إذا شعرت أن ذلك ضروريا، وهذا يتوقف على تصرف الدول الأخرى فى المنطقة. وفى المدى الطويل، فإن الجمهورية العربية المتحدة تأمل أن تكون القيمة الحقيقية للصواريخ التى طورتها، فى الدور الذى ستلعبه من أجل تقدم المعرفة الانسانية بالفضاء الخارجى"(١).

وبعد أن قرأ ناصر المقترحات الأمريكية حول الصواريخ السابق ذكرها قال لماكلوى: "يجب أن يفهم الأمريكيون أن المشكلة فى الشرق الأوسط هى ليست مشكلة صواريخ، ولكن مشكلة فلسطين! وأن العرب لا يستطيعون أن يتقبلوا الوضع الحالى فيما يتعلق بها. يجب أن يوجد حل للمشكلة الفلسطينية قائم على العدل. فلا شئ ممكن أن يوقف سباق التسلح أو يغير المناخ السائد فى الشرق الأوسط إلا حل المشكلة الفلسطينية.

إن ذلك هو أساسى، ولا جدوى من افتراض أن الإتفاق فيما يتعلق بالصواريخ أو أى قضية أخرى تثار بشكل فجائى؛ ممكن أن تحل هذه المشكلة الأساسية؛ إنها مشكلة سياسية عميقة، وإننى ليس لدى حلا!

Memo. by John MacCloy, Cairo, Sep. 29, 1964.

(١)

إن الصواريخ المصرية الآن قريبة من قلب الجيش، ولا علاقة لها بالأسلحة الذرية! إنها رمز لتجديد قوة الجيش وثقته، إنها نتيجة ردود الفعل العميقة التي عانينا منها أثناء غزو ١٩٥٦! وبينما البناتجون في الولايات المتحدة ليس منغمسا في الأمور السياسية، فإن الجيش في مصر كان له دلالة عميقة؛ بسبب مركزه الأساسي في أمن البلد الداخلى والدولى؛ ولذلك فإن الصواريخ تحمل دلالات سياسية".

وذكر ناصر لماكلوى.. "أنه سيفكر في المقترحات الأمريكية ويناقشها مع مستشاريه، ولكنه يجب أن يقول إنه ليس متفائلا بشأن إتفاق يتضمن تحديد إنتاج الصواريخ!"  
وعندما أثار ماكلوى المقارنة بين علاقات تنظيم التسليح للولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى وإمكانية حدوث ذلك بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل، قال ناصر: "إنها ليست مقارنة جيدة! فالاسرائيليون يحتلون فلسطين.. أرض عربية، وقد قاموا بغزو الجمهورية العربية المتحدة والاعتداء عليها في ١٩٥٦. إن المقارنة تكون صحيحة فقط إذا احتل الاتحاد السوفيتى كاليفورنيا" (١)!

وكان تعليق ماكلوى على المقابلة مع ناصر؛ "لقد وجدنا ناصر أقل مرونة بالنسبة للصواريخ عما توقعنا" (٢)!

"إن ناصر لم يرفض مقترحاتنا، وإن لم يعطى الانطباع أنه يقبلها! وكان حريصا في بيان المشاكل الداخلية أو الخارجية التي سوف تثار، لو أوقف برنامج الصواريخ".  
واهتم ماكلوى بقول ناصر: "إنه بدأ برنامج الصواريخ؛ لأنه لا يستطيع أن يعتمد على الاتحاد السوفيتى فى كل التسليح".

وكتب ماكلوى.. "وعندما أخبرنا ناصر بتأكيداتنا المطمئنة بخصوص مفاعل ديمونة، لم يعلق!... كما أن ناصر لم يذكر الحرب الوقائية؛ فى حالة حصول اسرائيل على إمكانيات ذرية خلال هذه الزيارة كما فعل من قبل" (٣).

---

Memo. of Conversation, Cairo, Sep. 28, 1964, OP. Cit.

(١)

Ibid.

(٢)

Memo. of Conversation, Oct. 6 , 1964, MacCloy's Impressions of his Meeting with

(٣)

P. Nasser.

وبدا التناقض مرة أخرى فى السياسة الأمريكية؛ بخصوص الحد من التسلح فى الشرق الأوسط، وجعله منطقة خالية من الأسلحة الذرية. فلقد مضت الولايات المتحدة فى مساندة إسرائيل فى صفقة الدبابات من أوروبا التى شملت؛ ١٥٠ دبابة ألمانية M-48 واحتمال ٨٢ دبابة أخرى، ٢٥٠ دبابة سينتوريون من المملكة المتحدة!

وأمنت الولايات المتحدة فى التعصب لإسرائيل؛ فقررت أن تعاون فى التدريب والتسليم، وتعطى نفس الشروط الجيدة مثل صفقة الهوك السابقة؛ تسهيلات ١٠ سنوات، ١٠٪ مقدم، ٥٠٪ فائدة!) كل هذا بالإضافة الى المعونة الاقتصادية المعتادة من الولايات المتحدة لإسرائيل، والتى وافق عليها جونسون؛ (٢٠ مليون دولار)(١)! ثم يقول: إنه يتبع سياسة الحد من التسلح فى الشرق الأوسط!

#### هـ- تدهور العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة:

عادت الولايات المتحدة الى استخدام سلاح المعونة للضغط على ناصر مرة أخرى حتى يجيب طلباتها، أو بعبارة أخرى حتى يوافق على شروطها!

#### (١) إيقاف المعونة الأمريكية الى الجمهورية العربية المتحدة:

فقد أوقفت الولايات المتحدة ٢٥ مليون دولار قرض أغذية لمصر كانت قد وافقت عليه. وأثناء وجود رمزي استينو - نائب رئيس الوزراء ووزير التموين والتجارة الداخلية - فى واشنطن، أصبح واضحاً لناصر أن المعونة الأمريكية مشروطة بسلوك مصر! وقد كان ناصر دائماً واضحاً مع الأمريكان؛ أن الجمهورية العربية المتحدة مستقلة فى أهدافها وتصرفاتها(٢).

وإزاء إعلان هذا الموقف الأمريكى المتغير تجاه الجمهورية العربية المتحدة، تحدث ناصر فى خطابه فى مناسبة عيد النصر، فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ فقال: "دى سياستنا.. سياسة مستقلة، وإننا أما بنتعامل مع دول العالم بنتعامل معاها على أساس أن لا أحد يتدخل فى شئوننا، ولكن إذا كان الأمريكان يفهمون أنهم يعطونا شوية معونة حتى يتحكموا فىنا ويتحكموا فى سياستنا، أقول لهم: متأسفين نحن مستعدين أن نقلل من استهلاكنا من الشاي والبن وبعض أشياء ونحافظ على استقلالنا.. لماذا أقول هذا الكلام اليوم؟ بمناسبة أن أمس السفير الأمريكى قابل نائب رئيس الوزراء للتموين، وكان مفروض سيكلمه على التموين - المواد التموينية التى نحصل عليها من أمريكا حسب



قانون الحاصلات - وقال له: لا أقدر أن أتكلم أبدا الآن في هذا الموضوع! لماذا؟ لأن سلوكنا في مصر لا يعجبهم! أنا باقول من لا يعجبه سلوكنا يشرب من البحر!

---

Memo. from Feldman, Bundy & Komer to the President, Washington, Oct. 19 , 1964.

(١)

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Feb. 1, 1965.

(٢)

ما أريد أن أقوله إننا لا يمكن أن نبيع استقلالنا... ولسنا مستعدين أن نقبل من واحد أى كلمة!... ونحن متأسفين لا نقبل الضغط... ثم إننا ناس عندنا كرامة... شعب عنده كرامة... إذا المعونة الأمريكية - مثلما قال السفير أمس - إنهم ليسوا مستعدين يتكلموا، نقول لهم: متشكرين" (١)!

**(٢) المقاومة الأمريكية لموقف ناصر من أزمة الكونغو:**

كان من الواضح أن الولايات المتحدة - باستخدام المعونة كأداة ضغط على ناصر - تريد أن تعاقبه على موقف الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة لأزمة الكونغو المعارض للموقف الأمريكي والبلجيكي (٢).

"فعندما حدث عدوان على الكونغو [فى ٢٤ نوفمبر ١٩٦٤]، ونزلت قوات أمريكية وبلجيكية فى ستانلى فيل، استنكرت هذا العدوان". هذا ما قاله ناصر، ثم استطرده.. " نحن ضد العدوان بأى شكل من الأشكال، نحن من أجل حرية الشعوب. هل تشومبي نستطيع أن نعترف به أنه يمثل شعب الكونغو؟! تشومبي قاتل(٣)، وإذا كانت أمريكا وبلجيكا يعملوا تشومبي رئيس وزارة، فإنه يكون رئيس وزارة لحساب أمريكا وبلجيكا! ولا يمكن أن نعترف به كرئيس وزارة يمثل شعب الكونغو!"

وما أصاب الولايات المتحدة فى الصميم، أن موقف الجمهورية العربية المتحدة من أزمة الكونغو احتدت به دولا أخرى، وهو ما تحدث عنه ناصر فى خطابه.. "أنتم تعرفون أما جاء تشومبي الى هنا فى وقت مؤتمر عدم الانحياز، لم تعترف به دول المؤتمر.. ولا دولة واحدة وافقت أن يحضر المؤتمر ويمثل شعب الكونغو(٤)!"

إذاً من يقولون إن تشومبي يمثل شعب الكونغو؟ الأمريكان والبلجيك، ونحن نقول: إن تشومبي ليس إلا عميلا من عملاء الاستعمار... ولا يمكن بأى حال من الأحوال أن نقبل أن ينجح هذا المثل فى إفريقيا، ولكن يجب أن يفشل هذا المثل فى إفريقيا، ويجب أن تتجح القوى الوطنية فى إفريقيا...

(١) خطاب ناصر فى بورسعيد فى عيد النصر، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤، خطب وتصريحات عبد الناصر، ج٤، مرجع سابق، ص ص ٣٨٠ - ٤٠٢.

(٢) ص من الكتاب.

(٣) فقد قتل تشومبى لومومبا، أول رئيس وزراء منتخب فى تاريخ الكنگو.

(٤) عقد مؤتمر عدم الانحياز فى القاهرة فى الفترة من ٥ - ١٠ أكتوبر ١٩٦٤.

قالوا: إننا ساعدنا شعب الكنگو، وأنا أقول آه.. ساعدنا شعب الكنگو، وأرسلنا لشعب الكنگو سلاح، وسنبعث لشعب الكنگو سلاح! لا داع أن ننكر هذا الموضوع أو نخفيه؛ لأننا لا نعترف بتشومبى إلا عميلا للاستعمار؛ ونعتبر أن الثوار الوطنيين فى الكنگو يحتاجون الى كل تأييد من القوى الوطنية ومن القوى الشريفة فى العالم" (١).

وقد أعتبرت المخابرات المركزية الأمريكية أن خطاب ناصر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤ هو الهجوم الأكثر مرارة على الولايات المتحدة منذ ١٩٥٦! وفى نفس الوقت، اعترفت أن المصالح الأمريكية ستقاسى إذا قاموا برد فعل على ملاحظات ناصر! فإن السوفييت ينتظرون أى ميزة ناتجة عن تدهور العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة. والى جانب ذلك تذكروا مرة أخرى الأضرار الأخرى التى من الممكن تعود عليهم؛ إن مصالح كثيرة ممكن أن تدمر من خلال الجمهورية العربية المتحدة! وممكن مثلا أن يقنع ناصر الكويتيين بسحب أرصدهم المالية من لندن! وثار السؤال.. هل يواجهون ناصر، أم يستمرون فى سياستهم طويلة الأمد التى تهدف الى جعل سياسته معتدلة؟

وقد تم التوصل من جديد الى قرار باستمرار المعونة الأمريكية الى الجمهورية العربية المتحدة، على أساس أن ذلك فى مصلحة الولايات المتحدة؛ وخاصة لمنع تزايد النفوذ السوفيتى فى النظام المصرى. كما تقرر تجنب أى تصرفات من شأنها أن تكون أساس لمزيد من التدهور فى العلاقات بين البلدين (٢).

وقد اعتبر جونسون أن أزمة الكنگو أصبحت عقبة أساسية فى العلاقة الثنائية بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة، وطلب جونسون معرفة مقترحات ناصر بشأنها؛ بسبب اهتمام الحكومة والكونجرس بإفريقيا. وكان موقف الجمهورية العربية المتحدة من الكنگو من أسباب قيام مجلس النواب الأمريكى بالحد من سلطة الرئيس بالنسبة للمعونة الأجنبية!

(١) خطاب ناصر فى بورسعيد، ٢٣ ديسمبر ١٩٦٤، مرجع سابق.

Memo. of Conversation, Washington, Oct. 23, 1964, US – UAR Relations.

(٢)

وقد نفت الحكومة الأمريكية أن يكون للولايات المتحدة مصالح أو رغبة فى التواجد هناك، وأكدت أنها كانت تعمل على إبقاء الحرب الباردة خارج إفريقيا! وأعرب راسك عن خيبة الأمل؛ لأن الجمهورية العربية المتحدة أمدت ثوار الكنغو بالأسلحة، واعتبر ذلك قضية خطيرة! لماذا؟ لأن معظم الأسلحة التى تصل الى الثوار صناعة سوفيتية(١).

وكان الأمريكان يعتقدون أن الكنغو هى القضية الأكثر عجالة التى تواجههم، وأن من مصلحة الولايات والجمهورية العربية المتحدة المساعدة على تحقيق مصالحهما المشتركة لكى تتم تسوية سياسية، بدلا من أن تتصاعد الى مواجهة كبيرة فى إفريقيا.

وقد أبلغ بادو ناصر أن جونسون يرحب بمناقشة كيفية حل هذه المشكلة، التى أصبحت عقبة أساسية فى العلاقات الثنائية بين البلدين. وأضاف بادو.. أن الشعور الشعبى فى الولايات المتحدة وبالذات فى الكونجرس يجب أن يؤخذ فى الاعتبار، وأن التطورات فى إفريقيا وفى الشرق الأوسط كان لها تأثير على الكونجرس حينما بذل مجهودا للحد من سلطة الرئيس على المعونة الأجنبية! ثم تدارك بادو قائلا: إن جونسون مصمم على معارضة هذا القيد! فهو يعرف جيدا حساسية موضوع المعونة الأمريكية، واستخدامها كوسيلة للضغط السياسى عند ناصر.

وقد اقترح بادو بالنسبة للكنغو.. الخروج من الميدان العسكرى والبحث عن حل سياسى، ثم تساءل.. هل من الممكن أن تتقدم منظمة الوحدة الإفريقية بمبادرة فى إطار الموقف عندئذ وفى المستقبل؟

"إذا أُقيل تشومبى، فإن ذلك قد يساعد". ناصر:

"إننا لم نضع تشومبى فى السلطة، ولا نستطيع أن نقليله، ونحن نساند الحكومة الشرعية فى بادو: الكنغو، حيث المشاكل أكبر من أى شخص".

وهنا ثار التساؤل.. ماذا تريد الولايات المتحدة من الجمهورية العربية المتحدة فى الكنگو؟ وكانت الإجابة غريبة! أن ينهى ناصر مساندته لثوار الكنگو، وأن يستخدم نفوذه فى منظمة الوحدة الإفريقية لتأييد حكومة الكنگو المركزية" (١).

"ممكن أن نقول لكزافوبو أن يتخلص من تشومبى". ناصر:  
"إننا لا نسيطر على الحكومة المركزية أكثر من سيطرة المتمردين. إنها حكومة شرعية ولا بد بادو:  
أن نحترمها!"  
"شخص آخر غير تشومبى يجب أن ينتخب". ناصر:

---

Memo. from Rusk to P. Johnson, Washington, Jan. 22 , 1965, Op. Cit.

(١)

"هذا يتوقف على مواطنى الكنگو". بادو:  
"هذا ليس بالأمر الصعب. وإذا أمكن إقالة تشومبى سيكون الأمر أسهل على الجمهورية ناصر:  
العربية المتحدة والآخرين الذين يساعدون الثوار، أن يسحبوا تأييدهم لهم".  
"أمل مساعدتنا فى إيجاد حل للمشكلة عن طريق منظمة الوحدة الإفريقية" (١). بادو:  
وفى الواقع فإن الولايات المتحدة كانت قلقة منذ اندلعت أزمة الكنگو من مساعدة الجمهورية العربية المتحدة لحركات التحرر الإفريقية عموماً، ومن مساندة ثوار الكنگو بصفة خاصة. هذا بالإضافة الى معارضتها للدور التحررى الذى تبناه ناصر بالنسبة؛ للجنوب العربى والخليج العربى وشمال إفريقيا وقبرص.. إلخ.

وفى ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ أرسل جونسون رسالة شفوية الى ناصر، شارحا سياسة الولايات المتحدة بشأن الكنگو.. أن سياسة الولايات المتحدة هى أن تساند الكنگو المستقلة المتحدة وتساعد فى تقدمها، وهى ضد مساندة حركة التمرد فى الكنگو؛ التى ستمكن الاتحاد السوفيتى والصين من إعطائهم الفرصة لاتساع نفوذهم فى إفريقيا.

إن أساس مشكلتنا ليس خطاب ٢٣ ديسمبر، وإنما مساعدة الجمهورية العربية المتحدة للتمرد فى الكنگو، وإذا استمر ناصر فى مساندة حروب التحرر فى إفريقيا فإننا نسير فى طريق التصادم. وكان واضحا من هذه المقابلة أن ضغوط المعونة الأمريكية لا يمكن أن تثنى ناصر عن سياسته التحررية فى إفريقيا أو عن مبادئه بصفة عامة.

(٣) تعقد العلاقات بين الولايات المتحدة والأردن:

وبالرغم من تدهور الموقف بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة، فإنها قد تحيزت لاسرائيل ليس فقط في مواجهة ناصر، وإنما شمل ذلك الأردن الصديق المقرب للأمريكان! فقد طلب الأردنيون وضغطوا لعدة أشهر على الولايات المتحدة؛ من أجل الحصول على أسلحة وطائرات للاستعداد العربي ضد تحويل اسرائيل لمياه الأردن. ولما لم يجدوا استجابة، أخبروها أنهم سيضطرون الى شراء سلاح سوفيتي عن طريق الجمهورية العربية المتحدة! وقد اعترفت الإدارة الأمريكية.. "أنها كانت تمون الأردن بالسلاح لسنوات - بموافقة اسرائيل الضمنية - وذلك حتى تبعد الملك حسين عن أيدي ناصر!" وكان التقدير الأمريكي "أن الأسلحة السوفيتية في الأردن ستكون بداية النهاية، ويجب أن تمنع بأى ثمن!"

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Feb. 1, 1965.

(١)

وأخيرا وافقت الولايات المتحدة - من حيث المبدأ - على بعض مبيعات الأسلحة الى الأردن، إلا الطائرات الأسرع من الصوت حتى لا تثير اسرائيل، وحتى لا تضطر الأردن أن تقبل أسلحة سوفيتية. وقد تم اقتراح أن يحصل الملك حسين على الطائرات النفاثة من المملكة المتحدة أو فرنسا، كما عملوا مع اسرائيل(١).

#### و- تسرب أنباء صفقة الأسلحة الألمانية:

وبدأت أنباء صفقة الأسلحة الألمانية لاسرائيل تُنشر، ولكن التزام الولايات المتحدة بتحديث الدبابة الألمانية M-48 ظل سرا! وقد تجددت مخاوف الأمريكان من أن يستغل العرب ذلك لدفع الملك حسين لقبول أسلحة سوفيتية. وقد عبروا عن شكهم أن الاسرائيليين هم الذين سربوا هذه الأنباء(٢).

وفي خطابه في أسبوط قبل الاستفتاء على انتخابات الرئاسة، في ٨ مارس ١٩٦٥، تعرض ناصر الى مساندة الاستعمار لاسرائيل، فقال: "إن اسرائيل في العشر سنين الماضية أخذت من ألمانيا الغربية ٣٧٠٠ مليون دولار، أى في اليوم أكثر من مليون دولار معونة! لماذا تعطى ألمانيا الغربية اسرائيل من دون الدنيا كل هذه الأموال؟!

يقولون: إن اليهود في الحرب العالمية الثانية قاسوا من ألمانيا.. هل هم اليهود فقط الذين قاسوا من ألمانيا؟! اليهود، التشيك، اليوغوسلاف، والفرنسيين قاسوا من ألمانيا! إذاً فيه محاولات وفيه ضغط لتقوية اسرائيل اقتصاديا. أعداؤنا - الاستعمار واسرائيل والرجعية - متحالفين؛ اسرائيل

تحصل على الأسلحة بسهولة وسرا! ألمانيا الغربية تضحك لنا... وفي نفس الوقت تتجلى سياستها الاستعمارية في أنهم يطعنونا بخنجر في ظهرنا، يمدون اسرائيل بالسلح"(٣)!

ووسط هذه الأحداث، قام ناصر بدعوة أولبرخت - رئيس جمهورية ألمانيا الشرقية - واستقبله في القاهرة؛ مما اعتبرته ألمانيا الغربية استفزازا لها! وهاجمت ناصر، واتهمته بأنه هو الذى سيعرض الصداقة بين الألمان والبلاد العربية للخطر!

---

Memo. From Komer to P. Johnson, Washington, Jan. 21, 1965.

(١)

Ibid.

(٢)

(٣) خطاب ناصر في أسيوط، ٨ مارس ١٩٦٥، خطب وتصريحات ناصر، ج ٤، ص ص ٥٤٥ - ٥٧٢.

وقد استنكر ناصر هذه الدعاية، وقال: "كنا نقول للألمان: إن لدينا معلومات أنكم تعطون أسلحة لاسرائيل، يقولون: أبدا! وهم في شهر سبتمبر بالذات [١٩٦٤]، اتفقوا مع اسرائيل ليسلموها ٣٠٠ دبابة!...

إن الأعمال الخسيصة التي قامت بها حكومة ألمانيا الغربية الاستعمارية، هي التي عرضت الصداقة العربية الألمانية للخطر!... إنها أعطت اسرائيل أسلحة وطائرات ودبابات حتى تموت العرب!"

وقال ناصر عن إدعاء الألمان: أن تصرف جمال عبد الناصر يمنح النفوذ الشيوعى يدا طليقة في المنطقة العربية، "هذا الكلام لا يمكن أبدا أن يؤثر علينا اليوم؛ لا النفوذ الشيوعى، ولا أمريكانى ولا انجليزى ولا ألمانى ولا فرنساوى، هذا الكلام كان زمان وراح ولن يعاد مرة أخرى!... ونحن ضد الاستعمار فى كل مكان، سنطارد الاستعمار الألمانى الغربى فى كل مكان فى العالم، وليس فقط فى مصر... وسنكفشه"(١).

وتشعب النزاع بين الجمهورية العربية المتحدة وألمانيا الغربية، فقد ردت على استقبال أولبريخت فى القاهرة، بأن أعلنت وقف المساعدات الاقتصادية الى الجمهورية العربية المتحدة كعقاب. ولكن ناصر رد قائلا: "إن ذلك يعنى أن ألمانيا الغربية لن تشترك فى الخطة الخمسية الثانية فى الجمهورية العربية المتحدة... وقد قلنا لهم قبل ذلك: نحن لا نأخذ معونة اقتصادية، نحن نأخذ

منكم قروضا، وندفع عليها ٦٪، ٧٪، فلا تقولوا لنا معونة! ونحن لا نريد المعونة! ثم إن الاتفاقيات معهم إذا نقضوها، هم لهم عندنا ٧٧ مليون جنيه؛ لن يعرفوا يأخذوهم! وأكثر من ذلك، نحن لسنا الذين تعاقبنا ألمانيا الغربية، نحن نستطيع أن نعاقب ألمانيا الغربية... نحن الذين نقدر نتحكم فيهم" (٢).

وقد اتخذت الحكومة الألمانية بعد هذه الضجة، قرارا بالتوقف عن إرسال الأسلحة في المستقبل الى مناطق التوتر، وإبدال الجانب المتبقى من الأسلحة بأى شئ آخر. ورد ناصر.. "قالوا: إنهم وقفوا الأسلحة، ولكن يقولون لليهود: سنعطكم الأسلحة، واشتروها من أى مكان آخر! وهذا كلام لا يمكن أن نقبله، ولا يمكن أن ينطلى علينا".

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

وفى نفس الوقت أعلنت حكومة ألمانيا الغربية أنها تسعى الى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، وأن هذه الخطوة تهدف الى الإسهام فى وضع موقف العلاقات مع إسرائيل فى موضعه الطبيعى، وليست هذه الخطوة موجهة الى أية دولة عربية!

وعلق ناصر على هذه الخطوة فقال: "الموضوع المتعلق بإسرائيل هو موضوع متعلق بالدول العربية كلها، اجتمع رؤساء الدول العربية، وفيه قرار اتخذه؛ أن يعيدون النظر فى علاقتهم بألمانيا الغربية إذا ما اعترفت بإسرائيل" (١).

وفعلا اجتمع رؤساء الحكومات العربية فى إطار الجامعة العربية فى القاهرة فى ٨ مارس ١٩٦٥، واتخذوا القرارين الآتيين:

١- أن تقترب الدول العربية من ألمانيا الشرقية بالقدر الذى يحدث فيه تقارب بين ألمانيا الغربية وإسرائيل.

٢- أن تقطع الدول العربية علاقاتها السياسية بحكومة ألمانيا الغربية، إذا قبلت بتبادل التمثيل الدبلوماسى أو القنصلى مع إسرائيل، أو قبلت بمعاونة المجهود الحربى لإسرائيل أو قدمت أية معونة لها على أية صورة من الصور.

وفى نفس الوقت الغى الملك الحسن - ملك المغرب - زيارته لألمانيا الغربية - المقررة سلفا احتجاجا على موقفها من إسرائيل.

وكان تعليق الأمريكان على خطاب ناصر السابق الإشارة اليه هو شعورهم بالراحة؛ لأنه لم يحتوى على هجوم مباشر على الولايات المتحدة، وأن «السم» الكثير خص به العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة وألمانيا الغربية، التي أعلنت أخيرا نيتها فى الاعتراف باسرائيل" (٢). وعلى أثر رد فعل صفقة الأسلحة الألمانية السرية لاسرائيل، وإلغاء ألمانيا ما لم يسلم منها - كما ذكرنا - اتضح أن ذلك تم بدون أن تتشاور ألمانيا الغربية مع الولايات المتحدة، واعتبر جونسون ذلك تطورا مقلقا! ثم قال: "إذا حدث تزايد فى تسليح العرب لا يقابله المثل فى اسرائيل، فإن الولايات المتحدة ستقوم ببيع أسلحة مباشرة لها، على أحسن شروط الائتمان!... وإننى شخصا لذى شعور بالشك بالنسبة للآثار الكارثية على علاقاتنا مع الدول العربية؛ ففى ظل الظروف الحالية يجب أن نستخدم كل ما يمكن من كياسة فى السيطرة على السر وألا يعلن، وممكن أن نقابل مطالب اسرائيل بالتدريج بهدوء وبعيدا عن الدعاية!...

---

(١) المرجع السابق.

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, March 25, 1965.

(٢)

أما بالنسبة لألمانيا، فنرجو أن تمد اسرائيل بباقي الصفقة: ٩٠ دبابة M-48. ولقد وصلها فعلا ٦٠ دبابة M-48، ٢٤٧ دبابة سنتوريون من المملكة المتحدة، وإذا كان ضروريا فى المستقبل، فممكن أن نعوض الـ ٩٠ M-48!"

كل ذلك وجونسون يتحدث علنا وفى رسائله مع ناصر عن الحد من التسليح فى الشرق الأوسط!

وقال جونسون: "إن الملك حسين أكد لنا أنه ينوى أن يضع جيشه على الضفة الشرقية وليس على الضفة الغربية التى تهدد اسرائيل! وسنطلب منه وعدا خاصا بذلك؛ على أساس أن تحتفظ به اسرائيل كسر!

إن اجراءاتنا المقترحة هى فى مصلحة أمن اسرائيل، وتوضح كيف أنها تدل على المساندة القوية التى دائما ما أعطيناها لها" (١)!

وفى المقابل طالب جونسون بتعهدات من جانب اسرائيل؛ تعتبر جزءا من الصفقة:

١- "تأييد اسرائيل بهدوء للبرنامج الأمريكى لتوريد الأسلحة للأردن، ومساعدة الولايات المتحدة فى التقليل من المعارضة لمجهوداتها فى المحافظة على نوع من التواجد فى الدول العربية الأخرى.



- ٢- يجب أن تحصل الولايات المتحدة على التعهد بالسرية الكاملة لكل الأمور التي تتناقش فيها، حتى تقرر ذلك بالتشاور مع اسرائيل؛ كيف ومتى تنشرها.
- ٣- تأكيد مكتوب بنوايا اسرائيل؛ ألا تطور أسلحة ذرية، وأن تقبل إجراءات الوكالة الدولية للطاقة الذرية مع كل انشاءاتها الذرية، ولا داعى للإصرار على قبول تفتيشها الآن!
- ٤- الولايات المتحدة لا تقبل عملا اسرائيليا وقائيا ضد الأعمال العربية لتحويل مياه نهر الأردن، ولكن تعمل على أن توافق الحكومة الاسرائيلية على عرض هذه المشكلة على الأمم المتحدة؛ حيث ستكون الولايات المتحدة مستعدة لمساندة مبدأ خطة جونستون.
- ٥- التأكيد على أن الولايات المتحدة لديها فقط أيام قليلة قبل أن توقع اتفاقية بيع الأسلحة مع الملك حسين؛ وإلا يذهب في طريق الجمهورية العربية المتحدة / السوفييت. إن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع أن تساوم اسرائيل، ويجب أن تقرر الآن أى طريق ستتبع!

---

Letter from P. Johnson to Harriman & Komer, Washington, Feb. 21, 1965.

(١)

إن سياسة الولايات المتحدة.. إما أن تبيع الأسلحة لاسرائيل والأردن أو لا تبيع للاثنتين! يجب أن تتفهم اسرائيل مشاكل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط، وهو ما لم يحدث في الماضى" (١).

وقد أخطر هاريمان إشكول بقرار بيع الأسلحة الأمريكية الى الأردن، وأن هدف الولايات المتحدة الرئيسى هنا هو أن يظل الأردن بعيدا عن الاتحاد السوفيتى (٢).

كما أكد هاريمان بصفة خاصة على أنه من الضرورى ألا تتحول المواجهة العربية الاسرائيلية الى الاستقطاب بين الشرق والغرب، وكرر الالتزام الرئيسى من جانب جونسون بأمن اسرائيل، كما أخطر إشكول أن الغواصات التي طلبتها اسرائيل ستسلم مباشرة من بريطانيا!

وانتهز إشكول الفرصة فطلب أن تنقل الولايات المتحدة سفارتها الى القدس! كما علقت جولدا مائير على تجاوب لبنان والأردن مع ناصر؛ على أنه مخيف (٣)!

---

Ibid.

(١)

Ibid.

(٢)

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, Feb. 26, 1965.

(٣)

## ز - المواجهة الأمريكية مع ناصر:

والسبب الأساسي في ذلك هو التناقض في السياسة الأمريكية التي اتبعتها جونسون! فقد أرسل الى ناصر رسالة، في ١٨ مارس ١٩٦٥؛ حول سباق التسلح، يتحدث فيها عن سياسة الولايات المتحدة، "التي تستند الى ضبط النفس فيما يتعلق بمبيعات الأسلحة، في إطار مبدئين: أولاً: سوف نستمر الى أقصى حد ممكن في تجنب بيع الأسلحة الى الأطراف المنخرطة في الصراع العربي - الاسرائيلي"، وهو ما لم يحدث!

"ثانياً: لن نلجأ في أي حال من الأحوال لبيع أسلحة من شأنها منح طرف واحد ميزة عسكرية على حساب الطرف الآخر"(١)، وهو أيضا عكس الواقع! فمنذ نشأ اسرائيل ولبسان الرؤساء الأمريكيين جميعاً؛ كانوا دائماً متحيزين للصهيونية ويقفون ضد مصالح العرب وأهل فلسطين؛ سواء في المجال السياسي في الأمم المتحدة وغيرها، أو في المجال العسكري والاقتصادي!

وتعود الولايات المتحدة الى أسلوب استخدام المعونة الاقتصادية لتحقيق أغراضها السياسية، ففي مذكرة من كומר الى جونسون، جاء ما يلي: "نحن نراقب بدقة كل جانب من المعونة لناصر! وقد طلبت الجمهورية العربية المتحدة اعتماداً لشراء ٢٠٠،٠٠٠ طن ذرة (يساوي حوالي ١٠ مليون دولار)... وكنا لا نفضل الموافقة، لولا أن ناصر تصرف باعتدال عندما أخبرناه بالبيع المحدود للأسلحة لاسرائيل. إن الحياة تكون أسهل لو استمر هادئاً! ولذلك فإن هذه المعونة تقدم إشارة أننا مازلنا نريد أن نتعامل معه"(٢).

واستدرك كומר قائلاً عن صفقة الذرة: "هذه ليست معونة، إنه بيع خاص بالدولار بسعر فائدة، ٤ - ٥% بالإضافة الى ١ - ١,٥% للضمان! والشروط تجارية تقريباً؛ فنحن نسمح بسنة لدفع ثمن الذرة!

وهذه لا تعتبر 'جزرة' لناصر؛ فقد قدمنا الى الجمهورية العربية المتحدة عرضين اثنتانين لم تستخدم أي منهما! وبالتالي فإن العرض تافها ولن يحقق شيئاً.

---

(٢) رسالة جونسون الى ناصر، في ١٨ مارس ١٩٦٥، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

Memo. from Komer to P. Johnson, Washington, March 29 , 1965.

(٣)

إننا نعيش على دبائيس وإبر حتى لا يهاجم ناصر بيع الأسلحة الأمريكية الى الأردن واسرائيل! وهذه المبادرة الصغيرة قد تجعل ناصر يأمل أن يتعامل معنا، وعندما يقرر أنه لا يستطيع ذلك ممكن أن نسد له ضربة! والاختبار الحقيقي سيكون حول المتبقى وهو ٣٧ مليون دولار تحت بند 480 pL .

والنتيجة أنه إذا سكنت الجمهورية العربية المتحدة عن بيع الأسلحة الأمريكية لاسرائيل والأردن، فهذا يساوى الموافقة على المعونة، وهذا أهم بكثير من الكنغو؛ حيث نكسب بالرغم من الجمهورية العربية المتحدة(١).

وكان استخدام المعونة كسلاح ضد ناصر من جانب الولايات المتحدة مرارا وتكرارا؛ نتيجة لدسائس إشكول الذى طلب ذلك مجددا فى إبريل ١٩٦٥، وكرر - كذبا - أنه لا توجد أية نية أو حاجة للتوسع الاقليمي لاسرائيل(٢)!

وقد رد ناصر على رسالة جونسون، فى ٢٦ إبريل ١٩٦٤، وقد التقى معه فى بعض مسائل؛ وأبرزها.. "أهمية تطوير العلم الذرى لكى يخدم السلم ولا يسخر للحرب، وفى ضرورة حظر انتشار الأسلحة النووية... وفى وجوب البحث عن الطريق لتضييق مجال الخلاف قدر المستطاع". إلا أن ناصر أضاف بعض الملاحظات:

"أولا: أن هناك صراعا ضد الاستعمار مازال قائما، ولا يمكن إنكار وجوده ولا التقليل من أخطاره على السلم. وأشير هنا على سبيل المثال الى موقف بريطانيا فى جنوب شبه الجزيرة العربية، والى موقف البرتغال من أنجولا وموزمبيق.

ثانيا: أن هناك صراعا من أجل الوحدة، باعتبارها تحقيقا للذات القومية للأمم عديدة، بينها الأمة العربية..."

ثالثا: أن هناك صراعا بين التقدم والتخلف، وبتعبير آخر بين الغنى والفقير، ويمارس هذا الصراع دوره على مستوى الدول؛ خصوصا مع التقدم العلمى والتكنولوجى..."

رابعا: أن هناك صراعا اجتماعيا فى داخل هذه الأمم... يستهدف إقامة حرية الإنسان مع أوثق الضمانات، ويربط الحرية السياسية وأى معنى قد يكون لها، بالحرية الاجتماعية..."

---

Memo. from Komer to P. Johnson, Washington, April 7 , 1965.

(١)

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, April 23, 1965.

(٢)

خامسا: بالنسبة الى الشرق العربى، هناك صراعا بين الأمة العربية واسرائيل الذى كان قيامها نتيجة للرغبة فى تمزيق وحدة العرب...

ولربما كان يمكن تلخيص هذه الملاحظات التى أوردتها فى عبارة واحدة؛ هى أن السلام لا يمكن أن يستقر أو يستمر حقيقة إلا إذا كان مدعما بالعدل، وسلام الأمر الواقع - مهما خلصت النيات - لا يستطيع غير أن يلعب دور الهدوء الذى يسبق العاصفة" (١).

وقد لخص ناصر الموقف لعبد السلام عارف - رئيس جمهورية العراق - أثناء مباحثات القيادة العربية الموحدة فى ١٩ مايو ١٩٦٥: "لقد قررت الولايات المتحدة تسليح اسرائيل وأبلغونا بذلك، وقالوا: إن الغرض هو تهدئة اسرائيل بعد تحويل روافد نهر الأردن وقيام القيادة العربية الموحدة، وقرار الدول العربية بتسليح قواتها.

كما أبلغونا أنهم واسرائيل سيفقون ضد العدوان فى المنطقة سواء من الطرفين، ولكن يوجد تصريح ثلاثى، وفى عدوان ١٩٥٦ اشتركت بريطانيا وفرنسا! وأبلغونا صراحة أنهم لن يسمحوا للعرب بالتفوق على اسرائيل، ولا بد أن يحافظوا على توازن القوى فى المنطقة؛ حتى لا تهاجم دولة أخرى.

إن هذا الحوار مع الولايات المتحدة مستمر من ١٩٦٣، وفى ١٩٦٤ طلبوا مطالب غريبة!

١- أن نتعهد بألا نعمل على إنتاج أسلحة ذرية، وأن نسمح لهم بالتفتيش فى بلدنا!

٢- أن نوقف إنتاج الصواريخ، وأن يكون لهم حق التفتيش عندنا!

٣- أن نتعهد ألا نزود قواتنا العسكرية، وهم يتعهدون لنا بالمثل من جانب اسرائيل.

كان ردنا أن رفضنا واستغربنا كيف يطلبون أن يفتشون عندنا؟! وعندما وصل جونسون

الى الحكم طلب نفس الشئ فى سبتمبر ١٩٦٤، وأيضا رفضنا هذا الكلام بمسببات:

١- بالنسبة للأسلحة الذرية، توجد الأمم المتحدة ومنظمة الطاقة الذرية التابعة لها، ويكون فيه تنظيم للعملية عن طريق الأمم المتحدة. واسرائيل لم تعط حتى الآن للأمم المتحدة تعهدا بأن تقبل التفتيش، ولديها مفاعل ذرى ٥ ميجاوات، ونحن لدينا مفاعل ٢ ميجاوات! كما أن الولايات المتحدة تعهدت بأن تعطى اسرائيل مفاعلات ذرية جديدة لتحلية المياه!

٢- بالنسبة للصواريخ، لا نقبل كلامهم.

(١) رسالة ناصر الى جونسون، فى ٢٦ إبريل ١٩٦٤، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.  
٣- توازن القوى بيننا وبين اسرائيل (الدول العربية كلها)، لا نقبله، وثقتنا فى أمريكا معدومة؛ لأن الدوائر الصهيونية متغلطة بها.

وعندما قالوا إنهم سيعطون أسلحة لاسرائيل، قلنا: هذا عمل مضاد للعرب، وسنشترى أسلحة.

نتيجة الحوار معهم.. كلامهم: أننا نأخذ منهم تسهيلات اقتصادية ومعنى هذا أننا نوفر عملاتنا الصعبة ونستخدمها فى السلاح! وبدأ التهديد من ١٩٦٣، ١٩٦٤ حتى قرروا أخيرا أن يقطعوا عنا كل المساعدات الاقتصادية، والموضوع أساسا هو موضوع اسرائيل!  
إن هذا موقف لم تصل إليه أمريكا من قبل؛ تواجه العرب، تعطى أسلحة لاسرائيل، ستحميها، لن تمكن العرب أن يتفوقوا على اسرائيل، وأنها باقية! وكلامنا مع الأمريكان بالنسبة لحقوق عرب فلسطين؛ لم يفعلوا شيئا!

الوضع فى المنطقة ليس سهلا، ونحن معرضين لضغط قوى جدا من الغرب، وأنتم كذلك [العراق]، والغرب قد يظهر أحيانا أنه حسن النية، ولكنها عملية تخدير!

فى النهاية ليس أمامنا إلا أن نعتمد على أنفسنا اعتمادا كليا. من معنا؟ الوضع الدولى غريب! وكذلك وضع الروس والصين بالنسبة لفيتنام. الوضع اليوم متغير عنه فى ١٩٥٦؛ الإنذار الروسى كان لبريطانيا وفرنسا ولم يكن لأمريكا؛ لأنها لو كانت المعتدية، لم تكن روسيا تستطيع أن تعطىها الإنذار! وأما الروس ضربوا المجر، لم تستطع الولايات المتحدة أن توجه لهم إنذارا؛ لأن كل منهما قوة ذرية(١).

#### ٧- اشتعال الصراع العربى الاسرائيلى:

وذلك نتيجة للنجاح المبدئى لمجهودات العرب للتعاون من أجل مشروع تحويل مياه نهر الأردن، وتحقيق درجة من الوحدة العسكرية بإنشاء القيادة العربية الموحدة؛ مما أعطى العرب الثقة فى مواجهة اسرائيل. وإن هذا التعاون العربى، ورغبة الدول العربية الغنية فى المساهمة فى هذا البرنامج؛ إدراك الاسرائيليين أن نقطة تحول هامة فى الصراع العربى الاسرائيلى تحدث لمصلحة ناصر.

---

(١) مباحثات القيادة السياسية الموحدة مع عبد السلام عارف، ١٩ مايو ١٩٦٥، موقع [www.nasser.org](http://www.nasser.org).

وفى ظل هذا الموقف كان من المتوقع أن يزداد التوتر فى المرحلة التالية، وأن تكون خطورة الصراعات المسلحة أكبر فى منطقة الشرق الأوسط، وكالعادة كان من وجهة النظر الأمريكية أن هذا الصراع سيقدم للاتحاد السوفيتى فرص لزيادة نفوذه مع العرب(١).

وفى نفس الوقت، أرسل جونسون رسالة شفوية الى ناصر بخصوص اسرائيل، أثار فيها ثلاث نقاط:

١- خوف اسرائيل من القيادة العربية الموحدة.

٢- إنزعاج اسرائيل من تحويل روافد نهر الأردن.

٣- تهدئتهم فى اسرائيل بإعطائهم كميات محدودة من الأسلحة!

وكان رد ناصر على جونسون.. "بالنسبة للقيادة العربية الموحدة، لو اسرائيل هجمت كل الدول العربية سنشترك. إن اسرائيل تريد أن تكرر ما حدث فى ١٩٤٨؛ تهاجم وتواجه ٥ دول متفرقة، وسبب هزيمتنا التفرد!

وبالنسبة لمشروع نهر الأردن والتحويل، إن اسرائيل تريد أن تسرق مياه العرب، ولما حولت المياه لم تتكلموا بل أعطيتوهم معونات! أنتم تتحازون لاسرائيل، وهى تبالغ فى هذا الموضوع! وبالنسبة للأسلحة، إنكم تشجعوها على العدوان، والنتيجة الحتمية أننا سنحصل على السلاح.

لا يمكن أن نقبل تقديرانكم عن التوازن؛ أن يكون لدى اسرائيل سلاح بقدر العرب كلهم!

إن القيادة العربية الموحدة مزعجة لاسرائيل، وأمريكا تردد ذلك، وسياستنا مبنية على وحدة العمل العربى لمواجهة اسرائيل، وهذا هو الذى دعانا لعقد مؤتمر القمة"(٢).

وفى نفس الوقت نقل روبرت ماكنمارا - وزير الدفاع الأمريكى - رأى رؤساء الأركان الأمريكيين الى جونسون.. "أنه يجب أن تكون سياسة التسليح الأمريكية، بحيث لا يبدو أن الولايات المتحدة تساند أى طرف من أطراف الصراع العربى الاسرائيلى! كما يجب عمل الممكن لتجنب الاستقطاب فى الشرق الأوسط؛ حيث تكون الولايات المتحدة مع اسرائيل، والاتحاد السوفيتى مع العالم العربى".

---

National Intelligent Estimate, Washington, March 10, 1965, the Arab – Israeli problem.

(١)

(٢) محضر مباحثات ناصر مع شارل حلو، القاهرة، ٣ مايو ١٩٦٥، موقع [www.nasser.org](http://www.nasser.org).



وكان تقدير قادة الجيش الأمريكي.. "أن الاستقطاب سيؤدي إلى زيادة وحدة العرب ضد الولايات المتحدة، تحت قيادة الجمهورية العربية المتحدة. وذلك سيضعف الدول الأكثر اعتدالا الموالية للغرب، بينما يقوى النفوذ السوفيتي بين الدول العربية.

وهكذا، فإن بيع أسلحة هجومية لإسرائيل - مثل الدبابات والطائرات - يتوقع أن يسبب ردود فعل عربية تضر بمصالح الولايات المتحدة السياسية والعسكرية والاقتصادية في الشرق الأوسط.

وكذلك، فبالرغم من أن الاسرائيليين طلبوا ٧٥ طائرة حربية قاذفة قنابل، أمدتهم الولايات المتحدة بـ ٢٤ طائرة فقط! ومع إضافة الصواريخ الهوك التي ستعمل في ١٥ مايو ١٩٦٥؛ فإن نظام الدفاع الجوي الاسرائيلي سيتمتع بالحماية ضد الإمكانيات الجوية للقيادة العربية الموحدة.

إن احتياجات اسرائيل من الطائرات الحربية كانت تسد من جانب بريطانيا وفرنسا. إذاً يجب أن تتجنب الولايات المتحدة بيع طائرات حربية أمريكية إلى اسرائيل، خاصة قاذفات القنابل... لأن البيع سيسبب ردود فعل عربية عنيفة!

وانتهى التقرير العسكري الى أن "الولايات المتحدة ملتزمة ببيع دبابات لإسرائيل بكمية مماثلة للأردن، وحصول اسرائيل على دبابات من ألمانيا الغربية مع التعديلات الأمريكية، هذا يعني زيادة تفوق اسرائيل النوعي، بالإضافة إلى أسلحة أخرى. وبعد كل ذلك، فإن من المتوقع أن توازن التسلح سيكون في مصلحة اسرائيل إلى حد كبير في نهاية ١٩٦٧" (١)!

وهي السنة التي قامت اسرائيل في ٥ يونيو منها؛ بالهجوم على ثلاث دول عربية مجاورة - مصر وسوريا والأردن - واحتلت أراضيها!

#### أ - التشدد في الرقابة الأمريكية على النشاط الذري:

ولكن من جانب آخر، كانت الولايات المتحدة جادة في منع انتشار الأسلحة الذرية في الشرق الأوسط، وأقرت أن التنافس في التسلح في المنطقة وصل إلى مرحلة خطيرة، وأن اسرائيل تسعى لتطوير سلاح رادع تستخدمه ضد العرب. وكان التقدير أن هذا سيقود إلى وضع رؤوس ذرية للصواريخ الاسرائيلية التي اشترتها من فرنسا.

وكان شك الولايات المتحدة في هذا المجال؛ نابع من أن اسرائيل خدعتها عن عمد بشأن طبيعة المفاعل الذري في ديمونة! ولذلك كان افتراض الأمريكان أن اسرائيل تنوى أن تتخذ قراراتها حول إنتاج الأسلحة الذرية بدون أن تنتشاور معهم.

---

Memo. from McNamara , Washington, May 6 , 1965, Impact on Area Arms Balance of

(١)

## Military Sales to Israel.

وتم استعراض الأمريكان لاستراتيجية اسرائيل تجاه الجمهورية العربية المتحدة وأوضحوا أنها تقوم على؛ ضرب دلتا النيل بصواريخ أرض / أرض، وقذف السد العالي بالقنابل لتتساب المياه من خلفه؛ وهذا يتطلب رأس ذرى، فإن القذف بالمتفجرات العادية لا يمكن الاعتماد عليه في هذه الحالة (١).

وبدأ التساؤل.. ما الذى تفعله الولايات المتحدة في هذا الشأن؟ وخاصة وأن مجهوداتها لتقليل سرعة تقدم برنامج الأسلحة المتطورة والأسلحة الذرية المحتملة في الهند وغيرها؛ سوف يتأثر بالمثل الذى سوف تضعه الولايات المتحدة في التعامل مع اسرائيل. فطالما أن مفاعل ديمونة يعمل بدون مراعاة ضمانات السلامة علنا، فإن مصداقية المجهودات الأمريكية في العالم لمنع انتشار الأسلحة الذرية يصبح مشكوك فيها!

وكان منطق الولايات المتحدة في هذا الشأن؛ لقد وقعت اسرائيل معاهدة منع التجارب النووية، وهى عضو فى المنظمة الدولية للطاقة الذرية، وقد قبلت إجراءات الحماية بالنسبة لمفاعلها الذرى الصغير للأبحاث الذى قدمته لها الولايات المتحدة! ومن المعقول إذاً أن نسأل اسرائيل.. هل تقبل إجراءات السلامة للمنظمة الدولية على كل منشآتها الذرية؟ وهذا سوف يضع ضغطا دوليا على الجمهورية العربية المتحدة والدول الأخرى لتتبعها.

أما بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة التى دائما ما كانت تعارض فى تطبيق إجراءات السلامة، فقد حدث تغيير فى موقفها. لقد أكد ناصر لتالبوت موافقة الجمهورية العربية المتحدة على مبدأ إجراءات السلامة الدولية فى إبريل ١٩٦٥، ومن الطبيعى أن قبول اسرائيل لهذه الإجراءات سوف يشكل حافزا اضافيا؛ لذلك يجب الضغط عليها من أجل تحقيق هذا الهدف (٢).

وفى هذا الإطار أرسل جونسون خطابا الى إشكول فى ٢١ مايو ١٩٦٥؛ يطلب منه وضع كل منشآت اسرائيل الذرية تحت سيطرة المنظمة الدولية للطاقة الذرية. ولمزيد من إقناعه كتب جونسون.. "ونحن لا نعتقد أن الجمهورية العربية المتحدة ستملك قدرات نووية فى المستقبل القريب، كما أننا مقتنعون بأن الاتحاد السوفيتى لن يزود ناصر بأسلحة نووية. ولكن الشك فى أن اسرائيل ستقوم بتطوير أسلحة نووية، ربما يحفز ناصر الى تقديم تنازلات للاتحاد السوفيتى؛ قد ينجم عنها تقديم برنامج دعم نووى سوفيتى لناصر، على غرار ما حاول السوفييت القيام به فى كوبا".

---

Memo. from Rusk to P. Johnson, Washington, May 10 , 1965, Preventing Nuclear

(١)

Proliferation in the Near East.

وأهـى جونسون خطابـه.. "ويمكن لاسرائيل على مدى السنوات القليلة المقبلة أن تطمئن لمعرفة أنها متفوقة عسكريا على العرب، وأنها تحظى بضمانات راسخة لدعم الولايات المتحدة لها ضد أى عدوان... وسوف يعزز مثال اسرائيل أيضا من جهودنا لاقناع الرئيس جمال عبد الناصر بالحد من اقتناء أسلحة متطورة"(١).

أى أن العملية تأمر بين الولايات المتحدة واسرائيل؛ بهدف أن تكون قادرة فى أى وقت على العدوان على العرب!

### ب- الموافقة على معونة القمح الأمريكية للجمهورية العربية المتحدة:

وبعد كل الضغوط السابقة، وافق جونسون أخيرا وتحايل على مناقشات الكونجرس، فوق قرارات المعونة الى الجمهورية العربية المتحدة من خارجه. وقد كتب جونسون بخطه.. "نقول لناصر: إننا نأمل خلال أسبوعين أو ثلاثة لرصد ١٧ مليون دولار، وممكن أن نجعل الكونجرس يوافق بعدها مباشرة، ولكن نسأل أن يصبر معنا بشأن الـ ٢٠ مليون دولار المتبقية"(٢).

ومضى الوقت ولم يكتمل تسليم باقى الصفقة، واعتبر ناصر أن وقف صفقة القمح يهدف إلى استغلال حاجة الجمهورية العربية المتحدة اليه لإجراجه والتخلص منه، وهنا خشى الأمريكيون أن يتحرك بعنف بغض النظر عن النتائج(٣).

وكان ناصر قد تحدث إلى الشعب عن الضغط الاقتصادى الأمريكى عليه ومهد الى الاعتماد على النفس، كما سبق ذكره. كما صرح ناصر إلى محطة إذاعة وتلفزيون كولومبيا، فى ٩ يوليو ١٩٦٥.. أنه "منذ ذلك اليوم الذى تكلمت فيه لم يعد هناك أى ضغط، أما قبل ذلك فقد كانت هناك ضغوطا تمارس ضدنا بالتهديد بالتوقف عن تزويدنا بالقمح الذى نحصل عليه من الولايات المتحدة..."

إننا استخدمنا المعونة الأمريكية للإنفاق على الخدمات، ولكننا إذا لم نحصل عليها يمكننا أن نخفض مشروعاتنا تبعا لذلك، ويمكننا أن ننفذ خططنا فى ٦ سنوات بدلا من ٥...

Letter from P. Johnson to PM Eshkol, Washington, May 21, 1965.

(١)

- رسالة جونسون لإشكول، فى ٢١ مايو ١٩٦٥، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

Memo. from Bundy to P. Johnson, Washington, May 31 , 1965, 37 Million PL 480 Want  
(٢)

for Egypt .

Memo. from Komer to P. Johnson, Washington, June 16 , 1965.

(٣)

إن خروشوف عندما هاجمنا في ١٩٥٩ قمنا بالرد عليه في اليوم التالي، لقد أحبته على هجومه بهجوم مماثل، وهكذا.. فنحن لا نقبل الشروط ولا الضغوط لا من الولايات المتحدة ولا من الاتحاد السوفيتي".

وقال ناصر: "لم يكن هناك أى ضغط من السوفييت، بل نحن الذين نطلب فى بعض الأحيان. وعندما أوقفت الولايات المتحدة شحنات القمح كاف لدينا احتياطي كاف لشهر وخمسة عشر يوما، وكنا نجرى مفاوضات مع بعض البلاد النائية، وكنا فى موقف حرج! فأرسلت رسالة إلى رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي طالبا منه أن يعطينا قمحا، وقلت له: إننى أعلم أنكم تستوردون القمح. وقد تلقيت منه ردا بعد خمسة أيام قال فيه: إنهم قد أمروا سفنهم التي تحمل القمح أن تأتي إلى بلادنا من كندا وأستراليا.. بلا شروط على الإطلاق، ولا حتى مجرد إتفاق تجارى، بل لم يكن هناك حتى إتفاق على سعر القمح"(١)!

وعندما طلبت الجمهورية العربية المتحدة أن توافق الولايات المتحدة على إتفاق جديد - وذلك فى أغسطس ١٩٦٥ - فقد كان الرد هو PL 480 للمعونة قصير الأجل تبع البرنامج الرفض! وذلك الرغم من التوصية من لوشويس باتل - السفير الأمريكى بالقاهرة - بأن يكون القرار إيجابيا، وذلك على أساس أن الموافقة ستكون خطوة هامة فى إعادة بناء النفوذ الأمريكى إلى مستوى فترة ١٩٦٢ - ١٩٦٣، عندما كان كنيدي فى الحكم، وللمحافظة على مصالح الولايات المتحدة الأساسية فى المنطقة.

وقد خشى باتل من أن يحدث لأمريكا مثل ما حدث لبريطانيا من قبل، اتصال قليل مع سلطات الجمهورية العربية المتحدة، نفوذ قليل أو غير موجود بالنسبة للسياسات حول فلسطين والجزيرة العربية وليبيا(٢).

ولكن فى أكتوبر ١٩٦٥ تمت الموافقة على أن يقوم باتل بالدخول فى مفاوضات مع PL 480 حكومة الجمهورية العربية المتحدة؛ لإبرام اتفاق جديد قصير الأجل تحت برنامج

(١) حديث ناصر الى محطة إذاعة وتلفزيون كولومبيا، ٩ مايو ١٩٦٥، خطب وتصريحات ناصر، ٤، ص ص ٧٦٣ - ٧٧٤.

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Aug. 18, 1965 & Tel. no, (٢) 1126, Aug. 20 1965.

وكان التبرير الأمريكى لهذا التغيير فى السياسة الأمريكية؛ أنه قد تم تعليق المعونة الاقتصادية لمدة ٩ أشهر، وذلك للضغط على الجمهورية العربية المتحدة من أجل أن تتبع سياسات وتصرفات تتوافق مع مصالح الولايات المتحدة! التى خشيت أنه لو استمر إيقاف المعونة، أن يبحث ناصر عن مصادر أخرى للأكل؛ مما يدفعه إلى الاعتماد على الدول الشيوعية. وقد تقرر أن تكون شروط المعونة الجديدة أفسى من الاتفاقية السابقة مع الجمهورية العربية المتحدة (١).

لقد كانت صفقة صعبة، وتم الاتفاق فى المقابل على أن تدفع الولايات المتحدة ثمن المرور فى قناة السويس بالعملة المحلية لسفن الحكومة الأمريكية (٢)، ووقع جونسون الاتفاقية فى ٢٩ ديسمبر ١٩٦٥.

### (١) معاودة مطالبة الولايات المتحدة بتقييد التسلح من الجمهورية العربية المتحدة:

انتهزت الولايات المتحدة فرصة انتهاء أزمة تأخير المعونة الاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة، وفاتح باتل ناصر فى مشكلة تقييد السلاح بصفة عامة؛ بحجة أن يجد العالم حلا لسباق التسلح، وجرى بينهما الحوار الآتى كما دونه باتل:

"إن الولايات المتحدة تأمل أن تقبل الجمهورية العربية المتحدة إجراءات السلامة للمنظمة باتل: الدولية للطاقة الذرية. وقد ناقشت الولايات المتحدة هذا الموضوع مع دول كثيرة لتشجع قبولها العام، وكل ما تطلبه هو موافقة رسمية بالانضمام لهذه الإجراءات".

"هل قبل الاسرائيليون؟" ناصر:

"لا.. ولكن لابد أن يبدأ أحد! ونحن نتشاور معهم على أمل أن تطبق هذه الإجراءات فى باتل: المنطقة كلها. (ثم تحدث عن الأسلحة التقليدية أيضا، وأعرب عن أمله فى حل هذه المشكلة)!"

"الحل عن طريق بيع أسلحة لاسرائيل؟! ما هى عدد الدبابات التى حصلت عليها اسرائيل، ناصر: ٣٠٠، ٤٠٠، ٥٠٠!"

"هذه أرقام مبالغ فيها"! باتل:

"إذا قمتم ببيع طائرات لاسرائيل فسوف نشترى طائرات، وإذا بعتم دبابات لاسرائيل فسوف ناصر:

نشترى دبابات"(٣)!

---

Memo. from Rusk to P. Johnson, Washington, Oct. 11 , 1965, US Aid to the UAR.

(١)

Memo. from Komer to P. Johnson, Washington, Oct. 28, 1965.

(٢)

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, Nov. 24, 1965.

(٣)

وظلت اسرائيل فى نفس الوقت تضغط على الولايات المتحدة؛ من أجل إمدادها بالمزيد من الأسلحة والمعونة الاقتصادية، ومساعدتها فى مسألة تحلية المياه بالذرة. وقد وعد جونسون بالنظر فى المعونة الاقتصادية وموضوع تحلية المياه، وقال: إنه لايريد أن تشعر اسرائيل بعدم الأمان(١)!

وقد حدث اتصال بين ليولى تومسون - من الخارجية الأمريكية - وأناولى دوبرينين - السفير السوفيتى فى واشنطن - من أجل الحد من التسلح فى الشرق الأوسط فى ١٧ فبراير ١٩٦٦، تم اتصال ثان فى ١٦ مارس، ولكن لم يسفر عن نتيجة(٢).

وقد ناقش وزيرى خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى موضوع الأسلحة الذرية فى الشرق الأوسط. وقد اتفق كل من راسك ودوبرينين أن اقتراح معاهدة رسمية لحظر هذه الأسلحة ليس عمليا؛ لأن العرب لن يوقعوا معاهدة مع اسرائيل!

وأقر دوبرينين أن السوفييت لن يقدموا أسلحة ذرية لدول الشرق الأوسط، ويفترض أن الولايات المتحدة أيضا لن تقدم!

إلا أن راسك لم يؤكد هذا، وقال: إذا قبلت كل هذه الدول إجراءات السلامة من خلال المنظمة الدولية للطاقة الذرية، فإنها تكون خطوة أولى. وأضاف راسك.. "نحن مقتنعون أن الاسرائيليين لا يخططون لإنتاج أسلحة ذرية!" وهو ما يتناقض مع الحقيقة التى يعرفها الأمريكان جيدا!

وهنا عبر دوبرينين عن شكه! موضحا أن سياسية الاتحاد السوفيتى هى ألا توجد أسلحة ذرية فى أى مكان(٣).

### (٢) ناصر يطلب مساعدة ديجول فى المجال الذرى:

وقد أرسل ناصر رسالة شفوية إلى الجنرال ديجول مع ثروت عكاشة - وزير الثقافة - الذى قابل لوى جوكس - وزير الدولة لشئون الإصلاح الإدارى - فى ٢٣ فبراير ١٩٦٦، جاء فيها.. "لقد تورطت حكومة جى موليه فى عهد الجمهورية الرابعة فى تقديم كافة أنواع المساعدات العسكرية

لاسرائيل، وخاصة فى الميدان النووى؛ فكان لمساعدتها غير المحدودة أثر فى التقدم الكبير الذى أحرزته حتى الآن فى تكوين مفاعلها الذرى، وفى إمكانية حصولها على القنبلة الذرية فى ١٩٧٠، بينما الجمهورية العربية المتحدة من المنتظر أن تحصل عليها فى ١٩٧٥، وقد ورثت الجمهورية الخامسة هذه التبعة.

---

Memo. for the Record, Washington, Feb. 3 , 1965, President talk with Israeli Foreign

(١)

Minister Eban.

Memo. of Conversation, Washington, Feb . 17, 1966, Arab – Israeli Arms Supply&

(٢)

Memo.of Conversation, Washington, March 16, 1966, Supply of Arms to Near Eastern Countries.

Memo. of Conversation, Washington, May 26, 1966, Nuclear Weapons in the NE.

(٣)

إن الرئيس عبد الناصر يدرك عدم جدوى هذا السباق، ويؤمن بمبدأ عدم انتشار الأسلحة الذرية، ولكنه غير مستعد أن يقف مكتوف اليدين أمام الخطر الذى يتهددنا؛ فحسب احصائياتكم تسبقنا اسرائيل بخمس سنوات على الأقل فى هذا الميدان، وهى فترة بها كل أنواع التهديد والدمار! والرئيس عبد الناصر يفضل أن ينفق دخله القومى على حل مشاكل بلاده والارتفاع بمستوى سكانه، خيرا من التردى فى مثل هذا السباق المميت.

وقد بدأنا بتطبيق برنامج نووى للأغراض السلمية ولإنتاج المواد الانشطارية، والمرحلة الثانية هى عسكرية بحثة تنتهى بتجربة القنبلة.

والحل الوحيد لمنع انتشار السلاح النووى هو نزع السلاح العام، وأن تتحول ملكية القوة النووية إلى سلطة دولية لها الحق المطلق فى الإشراف والتفتيش على جميع المنشآت الذرية الحالية والمستقبلية، غير أن الدول الكبرى لا تبغى السير فى هذا الطريق!

ولما كان الدور الذى تلعبه فرنسا فى الشرق الأوسط - كما صرح الجنرال ديغول للمشير عبد الحكيم عامر - هو المحافظة على توازن القوى فى المنطقة، فقد آن الأوان لفرنسا أن تلعب هذا الدور تكفيرا عن ذنبها الذى ارتكبه الجمهورية الرابعة!

وطلب فتح مساعدة فرنسا الفنية للحاق بالمستوى الذى بلغته اسرائيل، وأصبحت بذلك خطرا يهدد حياة أفراد شعبنا ومنجزاتنا التى حققناها.

إن نشاطنا النووى يتجه نحو الأهداف السلمية - وكذلك تدعى اسرائيل - ولكنك تعلم ألا حدود بين الأهداف السلمية والعسكرية".

### (٣) موقف ناصر من التسليح:

ماذا عن موقف ناصر من الأسلحة الذرية وسياسية تسليح الشرق الأوسط؟ فى مباحثاته مع إبراهيم ماخوس - وزير خارجية سوريا - فى ١١ يونيو ١٩٦٦، قال ناصر: "بالنسبة للحرب الوقائية، مفاعل ديمونة قريب منا - ٥٠ كم من الحدود المصرية - عندنا صور جوية كاملة. وفى رأى أن اسرائيل تعمل قنبلة ذرية؛ ما دام عندها بلوتونيوم ستعمل! إذا عملت قنبلة ذرية معناه تجميد الموقف على ما هو عليه! هل سندخل حرب ذرية؟!"

وعقب ناصر.. "إن اسرائيل وصلت فى ميدان الصواريخ للمدى الذى وصلنا إليه، والمصدر هو ممثل شخصى لكيندى، ثم فى رسالة من جونسون مع تالбот - وكيل الخارجية الأمريكية - يقول: إنهم قرروا توازن السلاح فى الشرق الأوسط، وذلك نتيجة أننا نشترى سلاحا من روسيا.. تحدى! ولن تقبل أمريكا بأى خلل فى توازن السلاح. إن أمريكا واقفة مع اسرائيل؛ بدليل أنهم أعطوهم قاذفات قنابل لضرب سوريا ومصر!"

وقد ظلت اسرائيل على موقفها من رفض تطبيق إجراءات السلامة الدولية من مفاعل ديمونة، رغم إصرار الولايات المتحدة، وقد اعتمدت فى ذلك على إدعاء اعتبارات الكرامة القومية والأمن القومى! حيث أن التفتيش الدولى من المحتم أن ينقل المعلومات إلى الجمهورية العربية المتحدة، وتقديرهم أن ذلك فيه مخاطر على أمن اسرائيل!

ونقطة ثانية أثارها اسرائيل للتأثير على الولايات المتحدة؛ وهى كيف تفسر حكومة اسرائيل للشعب الاسرائيلى موافقتها بمفردها على تفتيش المنظمة الدولية للطاقة الذرية، بينما الجمهورية العربية المتحدة لا تخضع له!

وفى الواقع فقد وافقت الجمهورية العربية المتحدة على التفتيش الدولى، ولكن الولايات المتحدة لم تخطر اسرائيل (١).

### (٤) الانحياز الأمريكى العلنى لاسرائيل ومحاولات الإطاحة بناصر:

بدأ الأمر بمقارنة بين القوة العسكرية لاسرائيل والعرب فى دراسة للمخابرات المركزية فى سبتمبر ١٩٦٦؛ "وذلك للاطمئنان أن اسرائيل تحتفظ بالتفوق النوعى على أى (CIA الأمريكية) مجموعة من العرب يتوقع أن تدخل معها فى صراع. بالإضافة إلى الإقرار بأن اسرائيل تملك القدرة الصناعية الأفضل لتحسين وصيانة العربات المسلحة وإصلاح الطائرات.



أما الست دول عربية المتوقع أن تشتبك مباشرة مع اسرائيل - الجمهورية العربية المتحدة، سوريا، العراق، لبنان، الأردن، السعودية - فليهم ٢ - ١ تفوقا عدد فى الدبابات، ٣ - ١ فى الوحدات البحرية، ٢ - ٢ فى الطائرات المقاتلة، ١٠ - ١ فى القاذفات!

وفى السلاح التقليدى، فإن التفوق العدى العربى يقابله جودة الصيانة والتدريب، ويضاف الى ذلك عوامل المسافة. فمن المشكوك فيه أن الدبابات العراقية تستطيع أن تعبر الصحراء السورية بسرعة كافية؛ لتلعب دورا هاما فى صراع مع اسرائيل!

أما قيود اسرائيل من وجهة نظر المخابرات الأمريكية؛ فهي عدد صغير من المطارات، والوقت القصير المتاح لانطلاق طائراتها؛ بسبب أن كل أجزاء اسرائيل على مدى دقائق قليلة الى جيرانها.

ومضى تقرير المخابرات المركزية الأمريكية.. إذا إن سباق التسليح المتصاعد يشمل العرب واسرائيل فيما يتعلق بتطوير الأسلحة المتقدمة، وخاصة فى مجال الصواريخ. وسيكون الاسرائيليون مستعدين لنشر الصواريخ الفرنسية أرض / أرض، ومداهها ٢٧٠ ميل بحرى، فى ١٩٦٧ - ١٩٦٨.

---

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, Jan. 11, 1967.

(١)

وأقر الأمريكان أن البحرية المصرية هي التهديد الهام الوحيد فى البحر لاسرائيل، التى لم تبنى قوة بحرية موازية، ولكن الاسرائيليون يعتقدون أن قوتهم الجوية ممكن أن تحيد التهديد البحرى(١).

وفى الواقع لقد بدأ هذا الإنحياز الأمريكى الكامل والمعلن يظهر بعد تعيين والتر روستو اليهودى مساعدا خاصا لجونسون! فقد قرر روستو إعلان صفقة الطائرات الأمريكية لاسرائيل، وأرسل مذكرة بذلك إلى جونسون، وأضاف "إن إشكول يريد هذا الإعلان باسرع ما يكون، ولكنه سيتقبل توقيتنا. إن هذا الإعلان سيرحب به الاسرائيليون وأصدقائنا هنا، إننى أعمل لتحقيق أشياء أخرى لاسرائيل كطلبك!

وقد أعلن أخيرا خبر المعونة الاقتصادية والغذائية لاسرائيل فى سبتمبر ١٩٦٦، والتى تقدر بمبلغ ٥٢ مليون دولار، و صفقة الطائرات التى تبلغ ٧٠ مليون دولار ولكن لم ينشر الرقم وجزء من صفقة الدبابات هذا العام وتبلغ ٢١،٢ مليون دولار. كل ذلك دليل حاسم على اهتمام الولايات المتحدة الحالى بمساندة اسرائيل(٢).

وقد أخطرت الولايات المتحدة ناصر بذلك من خلال السادات - عندما كان فى زيارة للولايات المتحدة - على أمل أن هذا التحذير سيمنع ناصر من الهجوم علنا، ولكنه سيلقى خطابا فى أول مايو، كما أن اجتماع وزراء الدفاع العرب قبل ١٣ مايو" (٣).

وقد التزمت أيضا الولايات المتحدة تجاه اسرائيل بالآتى:

١- مساندة اسرائيل الفنية فى إفريقيا.

٢- قرض حيفا: مساندة مشروع مصنع الطاقة فى تل أبيب بمبلغ ١٠ مليون دولار، منها ٦ مليون دولار من أموال المعونة(٤).

٣- مساعدة اسرائيل تكنولوجيا سرا وعلانية؛ لدراسة وتخطيط برنامج تحلية المياه بالطاقة الذرية(٥).  
ثم تدعى الولايات المتحدة أنها على الحياد فى الصراع العربى الاسرائيلى! وأكثر من ذلك، تم تقييم آخر من جانب الولايات المتحدة لتسليح كل من العرب واسرائيل كالآتى:

---

Study Prepared in CIA, Washington, Sep. 1, 1966, Arab - Israeli Arms Survey.

(١)

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, April 29 , 1966.

(٢)

Ibid.

(٣)

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, May 23 , 1966.

(٤)

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, June 25 , 1966.

(٥)

١- بالنسبة للأسلحة التقليدية: اسرائيل لها التفوق على أى من التجمعات العربية، ومتوقع أن تحافظ على هذا المركز فى الخمس سنوات التالية على الأقل. ويجب أن يقاس أمن اسرائيل بقدرتها أن تحتفظ بالتفوق العسكرى على الجمهورية العربية المتحدة؛ وهى أقوى دولة عربية تستطيع أن تتحداها.

٢- بالنسبة للأسلحة الذرية: تعمل اسرائيل على الحصول على الأسلحة الذرية، وهى تستطيع ذلك فى الأجل القصير، ومفاعل ديمونة قادر على إنتاج بلوتونيوم لصنع قنبلة أو اثنين فى السنة! ولا يوجد دليل على مدى وجود برنامج لإنتاج الأسلحة الذرية فى مكان آخر غير ديمونة.

ومما عزز هذا الشك؛ عدم رغبة الاسرائيليين أن يقولوا للأمريكان: ما الذى حدث لكمية تبلغ من ٨٠ - ١٠٠ طن من اليورانيوم الذى اشتروه من الأرجنتين قبل ٤ سنوات؟! كذلك وصل للولايات المتحدة تقارير تفيد أن اسرائيل حصلت على مصنع للفصل الكيماوى، وهو خطوة هامة لإنتاج الأسلحة الذرية!

أما من ناحية العرب فلا توجد دولة تقترب من القدرة على إنتاج الأسلحة الذرية. إن الجمهورية العربية المتحدة لديها مفاعل صغير ٢ ميجاوات للأبحاث، لا يستطيع أن ينتج كمية كافية من البلوتونيوم.

وكل من ناصر وإشكول يقول: إن دولته لن تكون الأولى فى إدخال الأسلحة الذرية فى المنطقة، ولكن لا اسرائيل ولا الجمهورية العربية المتحدة قبلتا إجراءات السلامة كما تقدمها المنظمة الدولية للطاقة الذرية على كل برامجها.

٣- بالنسبة للصواريخ: اتفقت اسرائيل مع الفرنسيين ( شركة داسو) لشراء كمية غير معروفة من الصواريخ أرض/ أرض، مداها ٢٧٠ ميل بحرى وسيكون الاسرائيليون مستعدون لنشرها فى ١٩٦٧ - ١٩٦٨! وهى قادرة على حمل رؤوس ذرية، كما أن اسرائيل تنفذ أيضا برنامجا محليا للصواريخ(١).

وبالرغم من التفوق العسكرى الاسرائيلى والاعتراف بقدرتها على صنع القنبلة الذرية، فإن الولايات المتحدة كانت قلقة على مصالحها الرئيسية فى العالم العربى؛ (المصالح البترولية ٢،٧٥ بليون دولار استثمار، ٧٥٠ مليون دولار مكاسب سنوية فى الانتاج فقط بالإضافة إلى العمليات الأخرى).

---

Memo. from Katzenbach, to P.Johnson, Washington, May 1 , 1967, the Arab – Israel

(١)

Arms Race & Status of the US Arms Control Efforts.

وقد اتخذ جونسون قرارا فى ٢٣ مايو ١٩٦٧ - أى قبل عدوان اسرائيل على الدول العربية بأسبوعين - بالموافقة على بيع ١٠٠ مدرعة حاملة للجنود بمبلغ ٣،٧ مليون دولار، وبيع قطع غيار للدبابات بمبلغ ٢ مليون دولار، وقرض عسكرى بمبلغ ١٤ مليون دولار بفائدة ٥٪ لقطع غيار صواريخ الهوك والدبابات، ٢٧،٥ مليون دولار بفائدة ٥،٥ - ٢٪ للأكل، ٢٠ مليون دولار قروضا لبنك التصدير والاستيراد، ٥ مليون دولار مساعدة لتغلغل إسرائيل فى إفريقيا(١)!

وبدا حديث المخابرات الأمريكية عن إمكانية تغيير نظام ناصر! وتوصلوا إلى نتيجة.. "المالم تصبح مشاكل ناصر أكثر حدة؛ فإننا نشك أن نظامه سيواجه خطورة تغييره! وحتى ينجح هذا التغيير يجب مساندة الجيش، وهذا غير متوقع فى الأجل القصير، ولكن إذا لم تحسن الحكومة أداءها الاقتصادى، وتكسب مساندة اقتصادية أكبر فإنها ستكون مستهدفة فى المدى الطويل!

والغريب أن المخابرات الأمريكية زعمت أن العلاقات بين الولايات المتحدة وبين الجمهورية العربية المتحدة تأرجحت الى حد كبير عبر السنوات الماضية، ثم أصبحت فى النازل؛ نتيجة تأجج الصراع بين ناصر والقادة العرب الموالين للغرب، وخاصة فيصل! وما جعل تلك العلاقات أسوأ مشاكل ناصر مع البريطانيين فى الجزيرة العربية(٢).

وقد أدركت الجمهورية العربية المتحدة هذا الانحدار فى العلاقات المصرية - الأمريكية وحذرت منه، بل وتحذته، ورأى المصريون أن بين الدولتين صداما سوف يطول ويزداد عنفا؛ لأن للولايات المتحدة على الأرض العربية خططا تتعارض مع مصلحة الشعوب العربية - بما فيها الشعب المصرى - فضلا عن أن أسلوب ممارسة الولايات المتحدة لسياستها مستقر ومثير!

مالذى جد وأدى الى هذا المزيد من السوء فى العلاقات؟ لقد أصبحت الولايات المتحدة لأول مرة منذ عهد كنيدي، مورد السلاح الرسمى والعلنى تقريبا لاسرائيل، ولا ننسى التأييد الأمريكى الدائم للرجعيين العرب. ثم يضاف الى كل ذلك الضغط الاقتصادى الذى تمارسه الولايات المتحدة على الجمهورية العربية المتحدة(٣)، فى الوقت الذى تساند فيه اسرائيل اقتصاديا بثتى الوسائل كما ذكر.

---

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, May 8 , 1967, Israeli Aid Package,  
(١)

- انظر طلبات اسرائيل:

Memo. from Goldbery to P. Johnson, Washington, New York, May 1 , 1967, military and Economic Assistant to Israeli.  
National Intelligent Estimate, Washington, May 19, 1966, the Outlook for the UAR.  
(٢)

(٣) هيكىل، "نحن وأمريكا(٤)"، ٢٤ يناير ١٩٦٧، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

وفى المقابلة الأخيرة لباتل مع ناصر، فى ٤ مارس ١٩٦٧ - أى قبل ثلاثة أشهر من عدوان اسرائيل الشامل على الدول العربية - وذلك قبل نقله ليصبح مساعدا لوزير الخارجية الأمريكى، دار هذا الحوار كما دونه السفير الأمريكى..

باتل: "هل هناك شئ أستطيع أن أنقله عنكم الى واشنطن؟"

ناصر: "إن الجمهورية العربية المتحدة بلد تفخر باستقلالها وكرامتها... وهى لن تخضع لضغط الولايات المتحدة. إنها لا تريد القمح الأمريكى! فهو فى أثناء الفترة التى كانت تقدم له الولايات المتحدة فيها القمح، كان يذهب الى النوم كل ليلة قلقا؛ لأن الجمهورية العربية المتحدة تعتمد عليها فى الأكل! كما كان يستنكر كل مرة تذكر الصحافة الأمريكية أو العالمية الجمهورية العربية المتحدة؛ أن ٥ أرغفة من كل ٨ أرغفة تقدمها الولايات المتحدة! إن الجمهورية العربية المتحدة لا تقبل التدخل من جانب الدول الأخرى، وهى لا تتأثر بروسيا، ولن يحدث هذا، وسواء أستم [فى الحكم] أم لا، فإن سلوك الجمهورية العربية المتحدة فيما يتعلق باستقلالها ثابت... وأن الجمهورية العربية المتحدة ليس لها خططا بخصوص دول أخرى... ولكنها تريد مثلا عدن أن تحكمها القوى الثورية وليس العملاء! وبخصوص اسرائيل، فإن آرائه معروفة جيدا، لقد آمل أن يستطيع العرب العودة! وبالنسبة لصندوق النقد الدولى، تساعل.. لماذا يدفع له ١٠٤ مليون دولار دين، بينما يرفض الصندوق أن يعطيه ٧٠ مليون دولار المستحقة للجمهورية العربية المتحدة؟!... إنها يجب أن تقف على أرجلها، وإذا رفض صندوق النقد الدولى والغرب التعامل معها، فإنها سوف تتجو وتحقق التقدم... وإذا لم نلقى تعاملًا مرضيا من جانب صندوق النقد الدولى، فإننا سنتوجه الى دول أخرى!...

إن وضع الجمهورية العربية المتحدة كان من الممكن أن يكون أحسن إذا لم تكن تنمى خططها الاقتصادية التى تعتمد على الإمداد المستمر بالقمح.. وإذا حاولت أية دولة أن تؤذى الجمهورية العربية المتحدة فإنها سوف ترد، وهى - بلا شك - تستطيع أن تلحق ضررا بالولايات المتحدة وغيرها من الدول"(١).

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, March 4, 1967.

(١)

ومما يؤسف له أنه ليس فقط الاسرائيليين والانجليز الذين كانوا يشجعون الولايات المتحدة على الاستمرار فى منع المعونة الأمريكية عن الجمهورية العربية المتحدة، بل كذلك السعوديون الذين كانوا يحاربون القوات المصرية فى اليمن؛ من أجل إرجاع نظام الإمامة! لقد أردوا جميعا إسقاط ناصر تحت عبء مشاكله الاقتصادية!

وكان لكل هذه المحاولات تأثيرا على القرار الأمريكي الذي تردد بين القطيعة مع ناصر، والاستمرار معه؛ نظرا لما يمكن أن يسببه من مشاكل للمصالح الأمريكية في المنطقة؛ خاصة أنه كان يستطيع أن يوقف حقوق الطيران الأمريكية فوق الأراضي المصرية، كما فعل بالنسبة لنقل الأسلحة بالطيران الأمريكي الى الأردن في ١٢ فبراير ١٩٦٧. كما وضع في الاعتبار أن ناصر كان قادر أن يحول المقاطعة العربية الى تضيق فعال على التجارة الأمريكية، كما يستطيع أيضا أن يسبب مشاكل عديدة للأنظمة الصديقة للولايات المتحدة؛ في الأردن، أو السعودية، أو لبنان.

ويقرر منه ممكن أن يخلق مشاكل للسفن الأمريكية في قناة السويس، ويثير المظاهرات ضد قاعدة هوبس في ليبيا، أو يحدث مشاكل أكثر لاسرائيل من خلال منظمة التحرير الفلسطينية، أو حتى يدفع الى تأميم أو الاعتداء على شركات البترول الأمريكية! "إن ناصر مازال هو أقوى شخصية في الشرق الأوسط... وبالرغم من مشاكلها الاقتصادية المتزايدة، فإن الجمهورية العربية المتحدة لديها اليد العاملة المدربة والإرادة للتحديث؛ مما سوف يجعلها أكثر دولة تقدما في المنطقة. وقد توصلت شركتان أمريكيتان للبترول الى نتائج مشجعة؛ ستجعل الجمهورية العربية المتحدة مصدرا أساسيا للبترول. إنه من الصعب أن نقبل ضرورة أن نحرق كل كبارينا مع عاصمة العالم العربي(١)!

طبعا هذا الموقف الأمريكي من الجمهورية العربية المتحدة صاحبه انحياز كامل لجميع مطالب اسرائيل العسكرية والاقتصادية، التي قامت بتلبيتها على وجه السرعة(٢)!

ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، فمن حديث باتل مع ناصر اتضح مرة أخرى - بعد قصة تجنيد مصطفى أمين - أن عمليات المخابرات المركزية الأمريكية قد خلقت مشكلة لحكومتها! فلقد قال ناصر لباتل في ٤ مارس ١٩٦٧: إن الجمهورية العربية المتحدة لديها معلومات عن اتهام اثنين من عملاء لهم وثالث؛ يتصلون بالجيش المصري!

---

Memo. from Rostow, to P.Johnson, Washington, Feb. 11 , Lunch Discussion of UAR.

(١)

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, April 7 , 1967, Israeli Aid Package. OP. Cit. (٢)

وبالرغم من أن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية أنكرت ذلك، وادعت أنها لا تحاول الاطاحة بناصر، فإن دونالد بيرجس - القائم على رعاية المصالح الأمريكية بالقاهرة - كان غير مقتنعا بذلك، وقال: هذا لا يجب أن يسمح بحدوثه!... إن العداء لنظام ناصر يؤدي الى مشاكل لنا

فى الجمهورية العربية المتحدة، وقد تم اكتشاف عمليات المخابرات الأمريكية فيها أو مع المصريين فى بلاد أخرى(١).

وفى نفس الوقت، فإن موقف ناصر فى اليمن أدى الى مزيد من التوتر فى العلاقات بين الجمهورية العربية المتحدة والولايات المتحدة. فلقد رفض ناصر سحب كل القوات المصرية الموجودة هناك؛ طالما أن فيصل لم يسحب قواته من على الحدود السعودية اليمنية.

إن هذا الموقف الذى رفض الهزيمة فى اليمن على غير رغبة الولايات المتحدة، مكن الجمهورية العربية المتحدة من أن تسيطر على مدخل البحر الأحمر الشمالى عند قناة السويس والجنوبى قرب عدن؛ بما معناه أنها تتحكم فى هذا الشريان البحرى الخطير. هذا بالإضافة الى آثار قفز الجيش المصرى الى شبه الجزيرة العربية، معقل النفوذ والمصالح الأمريكية(٢).

### ج- تصاعد المناوشات على حدود اسرائيل:

ازدادت حدة التوتر على الحدود الاسرائيلية مع سوريا والأردن، وقد بررت اسرائيل هجماتها بأنها تريد أن تثبت لساكنى الحدود الاسرائيليين أنها قادرة على حمايتهم فى مواجهة تسلل العرب! وكان منبعه أساسا هو الأردن(٣).

وقد أعرب الملك حسين عن ضيقه بهذه المناوشات من جانب اسرائيل، وقال: "إننا لا يمكن أن نستمر فى تلقى موجات الهجوم بهذا الشكل، والقصاص العسكرى هو اللغة التى يفهمها الاسرائيليون!"

وعنما سُئل الملك حسين.. ما هدف اسرائيل من هذه الغارات؟ أجاب.. "إنه لا يفهمهم، إنه يعتقد أنهم يفسرون هذا التصرف لمصلحة المتطرفين داخل الأردن؛ حيث يجعل التصرف المعتدل من جانب الحكومة الأردنية أصعب. وقد يكون السبب رغبة اسرائيل فى إثارة الأردنيين للتمهيد لهجوم اسرائيلى كبير"(٤)!

---

Memo. From Bergus to Battle, Washington, March 16, 1967, the CIA in US – UAR

(١)

Relations.

(٢) هيكل، "نحن وأمريكا(٥)"، ٣١ مارس ١٩٦٧، بصراحة، الأهرام، مرجع سابق.

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, Aug. 2, 1966.

(٣)

Tel. from the Embassy in Jordan to the Dept. of State, Aman, May 2, 1966.

(٤)

وفى مقابلة بين زلمان شازار (١) وجونسون فى واشنطن، فى ٢ أغسطس ١٩٦٦، شكر الرئيس الاسرائيلى جونسون على بيع المعدات العسكرية لاسرائيل، وإدعى: "أن غارات "فتح" (٢) على اسرائيل أدت الى قتل مواطنين اسرائيليين، وليس أمام اسرائيل إلا أن تدافع عن نفسها! فيجب أن يكون لديها قوة عسكرية لردع أعدائها".

وفى نهاية المقابلة، كرر جونسون لشازار تأكيدات الولايات المتحدة؛ فيما يتعلق بالدفاع عن أمن اسرائيل (٣)!

تكررت الحوادث على الحدود الاسرائيلية السورية والأردنية، وكان أخطرها - من وجهة النظر الاسرائيلية - هجوم فى القدس داخل الأراضى الإسرائيلية. وقد أخطرت حكومة اسرائيل مجلس الأمن بكل هذه الحوادث التى جرت تحت شعار "حرب التحرير الشعبية"، فى أوائل سبتمبر ١٩٦٦. وقد حاول الاسرائيليون أن يعرضوا موقفهم على السوفييت فى نيويورك، كما تحدث إشكول الى سفراء الأربع دول الكبرى - بما فيها الاتحاد السوفيتى - حتى تتوقف سوريا عن العمليات العسكرية على الحدود (٤). وبالطبع أنكر الاسرائيليون مبادرتهم بالهجوم!

وقد قامت اسرائيل فى ١٣ نوفمبر ١٩٦٦ بغارة كبيرة على الأردن، قوامها ٣٠٠٠ رجلا مع الدبابات والطائرات، كان مبالغا فيها بالنسبة للاستفزازات التى اشتكى منها الاسرائيليون! وقد اعترف الأمريكان بذلك.. "فإنه بضرب الأردن بهذه الشدة، أحدث الاسرائيليون تدميرا كبيرا لمصالحنا ومصالحهم؛ إنهم قضاوا على نظام تعاون ضمنى بين حسين والاسرائيليين! فوفقا لهذا الاتفاق الضمنى جعل جيشه خارج الضفة الغربية للأردن".

(١) رئيس جمهورية اسرائيل.

(٢) منظمة فتح الفلسطينية: أنشئت فى أول يناير ١٩٦٥، بعد أن تكونت " منظمة التحرير الفلسطينية فى ١٩٦٤، إثر مؤتمر القمة العربى، وحصلت على تأييد الجامعة العربية الرسمى. وأنشطتها سياسية وعسكرية، فقد شكلت "جيش التحرير الفلسطينى". "وإذاعة صوت فلسطين" المعبر عنها ينطلق من القاهرة، ويقودها أحمد الشقيرى، وهو فلسطينى كان ممثلا لسوريا والسعودية فى الأمم المتحدة.

ولكن إحباط الكثير من الفلسطينيين النشيطين من أن "منظمة التحرير الفلسطينية" لا تقوم بعمليات فدائية فى اسرائيل، أدى الى انشاء "منظمة أبطال العودة" و"فتح"؛ وهى أهمها، وذراعها الفدائى "العاصفة". وقد ظهرت "فتح" علنا فى يناير ١٩٦٥، عندما أعلنت مسئوليتها من أعمال فدائية فى داخل اسرائيل.

Memo. of Conversation, Washington, Aug. 2, 1966, Call on P. Johnson by P. Shazar.

(٣)

Circular Tel. from the Dept. of State to Certain Posts, Washington, Oct. 11, 1966, Arab - (٤)  
Israeli Border Situation.



وأدرك الأمريكان.. "أن استمرار هذا النوع من التعاون سيكون مستحيلا الآن، لقد أضعفوا حسين! ولقد أنفقنا ٥٠٠ مليون دولار لنجعله عنصرا موازنا بالنسبة لحدود اسرائيل الطويلة بالمقارنة بسوريا والعراق..."

إن ذلك يجعل حتى العرب المعتدلين يشعرون أنه لا يوجد شيئا يستطيعون عمله في مواجهة الاسرائيليين، إنه يعطى جائزة للعرب المتشددين المتعصبين!"

ومن وجهة نظر الولايات المتحدة، "أثبت الاسرائيليون أنهم لم يجرؤا على مهاجمة سوريا التي يحميها السوفييت، ولكنهم استطاعوا أن يهاجموا الأردن التي تحميها الولايات المتحدة بدون عقاب"<sup>(١)</sup>!

وقد أصدر جولدبرج بيانا في نيويورك يستنكر الهجوم الاسرائيلي على الأردن<sup>(٢)</sup>.

كما أرسل جونسون رسالة الى إشكول، في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٦...

وقد عملت اسرائيل على تبرير موقفها للولايات المتحدة بعد غارتها على الأردن، فقال أبا إيبان - وزير الخارجية الاسرائيلي - للمسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية: "لقد حدث تغير في موقف اسرائيل الأمنى خلال السنتين أو الثلاثة الماضية. إن قدرة اسرائيل على الردع جعلت الدول المجاورة لا ترغب في المواجهة العسكرية. لقد أصبحوا يستخدمون أسلوبا جديدا للعدوان؛ حرب العصابات... والصحافة العربية مهتمة بها كما جرت في الجزائر وفيتنام.. إلخ!

هذا الى جانب أن إضافة كيان جديد - الدولة الفلسطينية - الى الخمس دول العربية المعارضة لاسرائيل - مصر وسوريا والعراق والأردن ولبنان - خلق مشكلة كبرى؛ إنه يستخدم كقوة للتحرير، وأنشطته تخلق موقفا خطيرا والمستقبل سيء".

ثم برر إيبان.. "إن غارة ١٣ نوفمبر قد تمت لمواجهة هذه المشاكل!"

وقد اختلفت الولايات المتحدة مع اسرائيل في هذا المنطق، ورأت أن هذا الأسلوب القائم على العنف لا يصلح، وأن هدف الولايات المتحدة هو استقرار منطقة الحدود، ومساعدة الأردن لمنع الهجوم عن أرضها، وتقوية نظام الملك حسين<sup>(٣)</sup>.

Ibid.

(١)

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, Nov. 15 , 1966, Israel – Jordan

Clash (٢)

at today's Lunch.

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, Dec. 14, 1966.

(٣)

وأرسل إشكول رسالة الى جونسون، في ١٧ يناير ١٩٦٧، يشتمكي فيها من الأعمال  
الفدائية عبر حدود اسرائيل مع سوريا، وقال: "وقد مارسنا ضبط النفس طول هذه الفترة، وجاء رد  
فعلنا في أضييق الحدود وحاولنا أن نتجنب التصعيد، ولكن بلادنا تستعر بالغضب والسخط!...  
وحيث أننا قد اتفقنا على أن نبقي على اتصال وثيق وصريح، فقد شعرت بأبني لابد وأن  
أشاطركم قلقي العميق إزاء الأحداث الراهنة"(١).

ورد جونسون على إشكول برسالة في نفس اليوم، قال فيها: "أريدكم أن تعرفوا أنني أقدر  
تماما المعضلة المؤلمة التي تواجهونها أنتم وزملائكم؛ في التصدي لأعمال الارهاب المستمرة  
عبر الحدود الاسرائيلية... بيد أن المأساة تكمن في أن البحث عن الأمن يمكن أن يؤدي الى  
إتخاذ إجراءات في المسار المعاكس؛ مما يهدد من ثم بتدمير فرص السلام الدائم...  
وإنني مقتنع بأن هناك - لحسن الحظ - بدائل للاقتصاص من خلال العمل العسكري؛  
توفر لاسرائيل على المدى البعيد قدرا أكبر من الأمن. وتشارك حكومتكم وحكومتى بالفعل في  
مناقشات؛ ترمى الى التوصل الى سبل ممكنة لتعزيز قدرة القوات الاسرائيلية المرابضة على  
الحدود على اعتراض سبيل المتسللين؛ بمساعدة التكنولوجيا التي نعمل على تطويرها.  
وقد شجعتنى مبادرة الأمين العام للأمم المتحدة يوثانت، التي لفت فيها الانتباه الى خطورة  
الوضع الحالي على طول الحدود بين اسرائيل وسوريا، ومناشدة الحكومتين الاسرائيلية والسورية  
الموافقة على عقد اجتماع طارئ للجنة المختلطة للهدنة بين الدولتين. وأرحب برد الفعل الايجابي  
الأولى لحكومتكم على اقتراحه"(٢).

ودائما ما تستغل اسرائيل الموقف لصالحها، فقد اجتمع هاريمان - السفير الاسرائيلي في  
واشنطن - مع نائب وزير الخارجية الأمريكية، وطلب مزيدا من المساعدة العسكرية لاسرائيل  
كهبّة، بالاضافة الى المساندة العلنية من جانب الولايات المتحدة للدولة العبرية في مواجهتها مع  
سوريا(٣).

(١) رسالة جونسون لإشكول ، فى ١٧ يناير ١٩٦٧، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة.

(٢) المرجع السابق.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel , Washington, Jan. 18, 1967.

(٣)

وبالفعل تم اجتماع موظفى قسم الدفاع بالولايات المتحدة مع الملحق العسكرى الاسرائيلى؛ لبحث التعاون بين اسرائيل والولايات المتحدة فى مجال التكنولوجيا المضادة للتسلل عبر الحدود. وكان موقف الاسرائيليين؛ أن تطبيق هذه التكنولوجيا على مشكلة حماية حدود اسرائيل ضد محاولات التسلل السرى العربى هى ليست فكرة جديدة! وعلى أى حال فإن هذا النهج لا يمكن أن يقدم حلا لمشكلة أمن اسرائيل! وطبعا كان الهدف من ذلك أن يكون لاسرائيل مطلق الحرية فى العدوان على الدول العربية التى لها حدود مشتركة معها!

وأعرب الاسرائيليون عن رأيهم فى هذه التكنولوجيا؛ أنها لا يمكن أن تقدم بديلا للعمل العسكرى ضد الفدائيين الفلسطينيين والحكومة السورية وغيرهم. وعلى ذلك فإن تبنى الدفاع السلبي - كما تقترحه الولايات المتحدة - معناه من وجهة نظر اسرائيل؛ تشجيع المعتدى! ولكنهم فى نفس الوقت قالوا: إن هذا لا يمنع من بذل مجهودات لتحسين امكانيات اسرائيل الالكترونية ضد التسلل(١).

وفيما يتعلق بالمنحة العسكرية التى سبق أن طلبتها اسرائيل من قبل، فقد شملت؛ ٢٠٠ حاملة للجنود، قطع غيار للدبابات بما قيمته ٢ مليون دولار، وقرض بمبلغ ١٤ مليون دولار؛ على أساس شروط صفقة الهوك لقطع غيار هذه الصواريخ والدبابات M-48(٢).

وقد ضج القادة العسكريين الأمريكان من طلبات اسرائيل! وقالو: "إن هذه الهبة غير مبررة فلا يوجد تهديد داخلى أو خارجى، كما أن وضع اسرائيل الاقتصادى لا يتطلب هذه المعونة التى تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط. وإن قوات اسرائيل فى ذلك الوقت قادرة على الدفاع ضد هجوم أى شخص أو مجموعة".

ولذلك فقد أوصى هؤلاء القادة العسكريين؛ بعدم الاجابة لطلبات اسرائيل لأسباب عدة الى جانب ما سبق؛ لأنها ستزيد من خطورة الموقف الداخلى فى الأردن، وستثبت فكرة أن الولايات المتحدة هى المورد الأساسى للمعدات الحربية لاسرائيل! وستثير ردود فعل عربية معاكسة، كما أنه يوجد بديل لهذه الطلبات فى أوروبا(٣).

Information Memo. from Davis to Rusk, Washington, Feb. 8, 1967, US – Israeli Discussions (١)  
on Anti – Infiltration Technology.

Ibid. (٢)

Memo. from the Joint Chiefs of Staff to McNamara, Washington, Jan. 18 , 1967,  
Military (٣)  
Equipment for Israel.

وقد استعجلت اسرائيل وصول الطائرات المقاتلة F-104، وألا يعلن عنها. هذا بالاضافة  
الى طلب استجابة الحكومة الأمريكية بدون تأخير لتسليم الحكومة الاسرائيلية ٨ طائرات سكاى  
هوك A-4F بدلا من ٤ طائرات فقط(١)!

وفى ٧ إبريل ١٩٦٧، حدث صدام عسكرى كبير بين اسرائيل وسوريا حول المنطقتين  
الجنوبية والوسطى المنزوعة السلاح. وقد استمرت المعركة معظم اليوم، واستخدم فيها مدافع المورتار  
والدبابات والقوات الجوية، وكلا الطرفين أعلن انتصاره فى هذه المعركة(٢)!

وقد تدخلت الأمم المتحدة بين الطرفين لإيقاف الاشتباكات، وهو ما رحبت به الولايات  
المتحدة؛ لأنها تخلق مشاكل خطيرة للملك حسين فى الأردن. وفى نفس الوقت أوصت الولايات  
المتحدة اسرائيل بعدم استفزاز السوريين على الحدود(٣).

كما أرسل جونسون رسالة الى إشكول، فى ١٧ مايو ١٩٦٧، قال فيها: "أتابع عن كثب  
الوضع المتوتر فى الشرق الأدنى، ويساورنى قلق عميق إزاء الحفاظ على السلم فى هذه المنطقة...  
وأود فى هذه الحالة أن أشدد بأقوى العبارات على ضرورة تجنب أى إجراء من جانبكم يكون من شأنه  
إضافة مزيد من العنف والتوتر فى المنطقة..."

وأنا واثق أنكم ستفهمون أننى لا يمكن أن أقبل تحمل أى مسئولية بالنيابة عن الولايات  
المتحدة؛ للوضع الذى ينشأ نتيجة لإتخاذ إجراءات دون التشاور معنا"(٤).

واستمرت المناوشات على الحدود الى أن قامت اسرائيل فجأة صباح ٥ يونيو ١٩٦٧ بعدوان  
واسع على ثلاث دول عربية؛ الجمهورية العربية المتحدة، سوريا، الأردن؛ استخدمت فيه كل أسلحتها  
وطائراتها التى تلقتها من الولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وبريطانيا، واستطاعت أن تحتل سيناء،  
والضفة الغربية للأردن، ومنطقة الجولان بسوريا.

وهنا تنثور أسئلة عدة.. منذ متى واسرائيل تحضر لهذا التوسع بالقوة؟! وهل علم جونسون  
بخبر الهجوم قبل وقوعه؟! والى أى مدى تدخلت الولايات المتحدة والغرب فى هذا العدوان؟!!

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel , Washington, Jan. 27, 1967.

(١)

Circular Tel. from the Dept. of state to Certain Posts, Washington, April 7, 1967. (٢)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel , Washington, April 11, 1967.

(٣)

(٤) رسالة جونسون لإشكول، في ١٧ مايو ١٩٦٧، بالعربية والانجليزية، ملحق رقم بالاسطوانة المدمجة، مرجع سابق.

## الفصل السادس

### العدوان الاسرائيلي على الدول العربية

فى ٥ يونيه ١٩٦٧

لم يكن الهجوم الاسرائيلى على مصر والأردن وسوريا مفاجأة للعرب؛ فالأيديولوجية الصهيونية تقوم على أساس البدء باحتلال جزء من فلسطين - وهو ما حدث فى ١٥ مايو ١٩٤٨ عندما أعلن قيام دولة اسرائيل - ثم التوسع تدريجيا، بعد استيعاب الأرض واستقدام المهاجرين اليهود من كل أنحاء العالم.

لذلك لم يكن غريبا أن يستمر الصراع العربى الاسرائيلى بعد انتهاء حرب فلسطين وتوقيع اتفاقية الهدنة فى ١٩٤٩؛ خصوصا أنه لم توقع معاهدة سلام تعترف بالأمر الواقع فى هذا الوقت، واستمرت حالة الحرب بين العرب والاسرائيليين قائمة. ومما زاد فى وطأة الموقف أن اسرائيل رفضت تنفيذ قرارات الأمم المتحدة فى ١٩٤٩ بعودة اللاجئين الفلسطينيين أو تعويضهم عن ممتلكاتهم التى سلبها اليهود!

#### أولا: اشتعال الصراع العربى الاسرائيلى:

وقد حدث ذلك عندما أعلنت اسرائيل فى ١٩٦٣ أنها تعد مشروعا لتحويل مياه نهر الأردن لمصلحتها؛ لقد كان ذلك بمثابة إنذار أيقظ العرب على خطر وشيك!

#### ١- مؤتمرات القمة العربية ١٩٦٤:

بإدارة عبد الناصر مباشرة - فى خطابه من بورسعيد بمناسبة الاحتفال بعيد النصر السابع فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦٣ - بالدعوة لعقد مؤتمر قمة عربى فى القاهرة؛ لبحث كيفية مواجهة المخطط الاسرائيلى غير المشروع حسب الأعراف الدولية.

وكما اتضح من الفصل السابق<sup>(١)</sup>، فقد نجح انعقاد مؤتمر القمة العربى الأول فى يناير ١٩٦٤، ونجمت عنه قرارات هامة تعلقت بالتخطيط لمشروع عربى بتحويل منابع نهر الأردن لصالح الأراضى الزراعية العربية، كما تم الاتفاق على استراتيجية عسكرية بإنشاء "القيادة العربية الموحدة". وبالطبع أثارت قضية تحرير فلسطين، فتم الاتفاق على إنشاء "منظمة التحرير الفلسطينية"، والضغط للمضى فى تطبيق قرارات الأمم المتحدة بشأن اللاجئين الفلسطينيين.

## ٢- ردود الفعل الاسرائيلية والدولية على وحدة العمل العربي:

أُقلق هذا التعاون العربي اسرائيل؛ خصوصا أن الدول العربية المعتدلة والصديقة للغرب أسهمت بالأموال في المشروع العربي لتحويل نهر الأردن. وكانت اسرائيل تعول على انقسام العرب وضعف تيار القومية العربية؛ خصوصا بعد انفصال سوريا عن الوحدة مع مصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٦١، وبعد المواجهة المصرية السعودية في اليمن؛ على إثر قيام الثورة اليمنية في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢، وإسراع الجمهورية العربية المتحدة بالاستجابة لطلب مساندتها سياسيا وعسكريا.

وقد اعتبر الاسرائيليون مؤتمرات القمة نقطة تحول مهمة في الصراع العربي الاسرائيلي تحدث لمصلحة عبد الناصر! وبدأوا يتصلبون أكثر في مواجهة العرب<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للولايات المتحدة، فقد قلقت من تزايد سباق التسلح من الجانبين العربي والاسرائيلي؛ وبالذات بالنسبة للأسلحة المتقدمة في مجال الصواريخ، وكذلك بالنسبة لمدى القدرة الاسرائيلية على تطوير أسلحة ذرية في المستقبل. وقد كان ذلك كله يتناقض مع سياسة الولايات المتحدة التي بدأها كنيدي؛ في الحد من سباق التسلح في منطقة الشرق الأوسط، وجعلها خالية من السلاح النووي. ومن جانب آخر، فإن هذا الصراع العربي الاسرائيلي كان من شأنه - من وجهة النظر الأمريكية - أن يقدم فرصا للاتحاد السوفيتي لزيادة نفوذه مع العرب.

وفي نفس الوقت، بدأت اسرائيل زيادة ضغطها على الولايات المتحدة بهدف إمدادها بالمزيد من السلاح، والحد من بيع السلاح الأمريكي للعرب! وخشيت الولايات المتحدة أيضا من أن تؤدي هذه التطورات الى مزيد من الاستقطاب بالنسبة للصراع العربي الاسرائيلي؛ ليشمل السوفييت والعرب في ناحية، واسرائيل والغرب في ناحية أخرى، وهو ما تأكد حدوثه فيما بعد.

والأكثر من ذلك، لقد توقع الأمريكيون أنه نتيجة لرفض العرب الشديد لمساندة الولايات المتحدة لاسرائيل في الماضي، يقوم عبد الناصر بتهديدات ضد مصالح الغرب في المنطقة؛ لكي يضغط على القوى الغربية لتقلل من مساعدتها لاسرائيل<sup>(٢)</sup>.

(١) National Intelligence Estimate, Washington, March 10, 1965, The Arab - Israeli Problem.

(٢) Ibid.

## أ- الاستفزازات الاسرائيلية لسوريا والأردن ولبنان:

بدأت مع تنفيذ المشروع العربى لتحويل مياه الأردن فى مواجهة المشروع الاسرائيلى فى بداية عام ١٩٦٥؛ فقد اعتبرت اسرائيل عملية التحويل هذه عملا عدوانيا، وعززت قواتها على الحدود مع الأردن ولبنان، وبدأت أعمالا عسكرية على خطوط الهدنة ضد هذه الدول<sup>(١)</sup>. وقد صحب تهديدات اسرائيل استخدام الطائرات الحربية الاسرائيلية؛ فحدثت معركة جوية فوق مواقع تحويل مياه نهر الأردن بين الطائرات السورية والاسرائيلية، التى حاولت قذف المعدات الهندسية للمشروع فى ١٥ يوليو ١٩٦٦، ومعركة أخرى جوية وبحرية فى ١٦ أغسطس. وقد بررت اسرائيل هذا العدوان بازدياد أعمال الفدائيين العرب عبر حدودها، وهدد إشكول سوريا؛ فأجلت السكان من القرى المتاخمة لخطوط الهدنة مع اسرائيل، وأعلنت التعبئة الشعبية فى ٢٠ أكتوبر.

وفى ٤ نوفمبر ١٩٦٦ عقد اتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا<sup>(٢)</sup>؛ فأعلن بن جوريون أن أمن اسرائيل فى خطر، وحذر من ازدياد قوة مصر! وفى ٥ نوفمبر ١٩٦٦ استخدم الاتحاد السوفيتى حق الفيتو فى مجلس الأمن؛ لإبطال مشروع قرار بشأن شكوى اسرائيل ضد سوريا.

ومع فشل الأمم المتحدة فى وضع حد للاعتداءات المتبادلة على الحدود بين اسرائيل وسوريا، هاجمت القوات البرية والجوية الاسرائيلية الأردن فى ١٤ نوفمبر ١٩٦٦، واستمرت المعركة أربع ساعات. وقد طلب الأردن عقد اجتماع عاجل لمجلس الأمن لبحث العدوان الاسرائيلى على الخليل، وفى ١٨ نوفمبر صدرت إدانة جماعية لاسرائيل فى المجلس. إلا أن ذلك لم يردعها؛ فقد قامت بعدها ببومين - فى ٢٠ نوفمبر - بهجوم آخر على خطوط الهدنة، وتكرر توجيه اللوم لها فى مجلس الأمن، وإدانتها وإنذارها بفرض عقوبات وإجراءات تأديبية عليها، إذا اعتدت مرة أخرى على خطوط الهدنة بينها وبين العرب.

استمرت الاشتباكات بين الطرفين العربى والاسرائيلى، وتزايدت الحملة الاسرائيلية ضد سوريا، وتصاعدت التهديدات من قياداتها مع حشود اسرائيلية على الحدود؛ فقامت الجمهورية العربية المتحدة ابتداء من ١٤ مايو ١٩٦٧؛ باتخاذ كل الإجراءات التى تقتضيها حالة الاستعداد لتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا التى عقدت فى ٤ نوفمبر ١٩٦٦.



(١) اتفاقية الهدنة العامة المصرية - الاسرائيلية، رودس، اليونان، ٢٤ فبراير ١٩٤٩.  
Nasser.org (٢) نص اتفاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا، ٤ نوفمبر ١٩٦٦، موقع

وفي ١٦ مايو ١٩٦٧ أعلنت الجمهورية العربية المتحدة حالة الطوارئ للقوات المسلحة، وبدأت تحركات عسكرية فى منطقة القناة. وفى نفس الوقت جرت عمليات اتصال مستمرة بين القيادات العليا للقوات المسلحة فى القاهرة ودمشق، وسافر الفريق محمد فوزى - قائد أركان الجيش المصرى - الى سوريا لكى يطلع بنفسه على الموقف؛ فوجد حشودا للقوات الجوية الاسرائيلية فى أربعة مطارات- واسرائيل لديها ١٨ مطارا - وفسر ذلك من وجهة النظر الفنية؛ أنه يعنى الاستعداد لهجوم<sup>(١)</sup>.

### ب- تصاعد الموقف مع اسرائيل ودعوة جونسون لضبط النفس:

من الواضح أن الموقف أصبح خطيرا جدا، وتصاعد سريعا؛ ولذلك لجأت الولايات المتحدة - التى تعتبر طرفا أصيلا فى الأزمة بحكم علاقتها المتينة باسرائيل ومصالحها فى المنطقة - الى الحث على ضبط النفس بالنسبة لكل الأطراف فى العلن، ولكن الواقع كان يكذب ذلك؛ حيث انحازت تماما الى اسرائيل سياسيا وعسكريا واقتصاديا، ووصل سلوكها - وبريطانيا - الى حد التآمر ضد العرب!

وإزاء هذا الموقف المتوقع من جانب الولايات المتحدة، أخطرتها الحكومة المصرية؛ "أنها اتخذت كل الاحتياطات الضرورية، وأن أى تحرك من جانب اسرائيل سوف يقابل برد فعل سريع من الجمهورية العربية المتحدة!"

ومن جانب آخر عملت الولايات المتحدة على تشجيع بريطانيا وفرنسا على أن تستخدم نفوذهما لدى القاهرة ودمشق؛ بما يتفق مع الاعلان الثلاثى فى ١٩٥٠ لحفظ السلام والاستقرار بين الدول العربية واسرائيل، ومعارضة سباق التسلح، واستخدام القوة أو التهديد بها فى المنطقة. وكانت فرنسا ترى أن الإعلان الثلاثى مازال أساس السياسة الفرنسية فى الشرق الأوسط، واعترضت على طلب عقد جلسة لمجلس الأمن كما اقترحت الولايات المتحدة، وأبدتها فى ذلك المملكة المتحدة<sup>(٢)</sup>.

وفى نفس الوقت، حدث اتصال بين ريتشارد نولتون، سفير الولايات المتحدة فى القاهرة، ومحمد حسن الفقى - وزير الدولة للشئون الخارجية - حث فيه الجانب الأمريكى على ضبط النفس؛ مؤكدا أن اسرائيل لا تخطط لأى عمل عسكري إلا إذا تم الاعتداء عليها. وكان الرد المصرى.. "أن

العرض العسكري فى اليوم السابق فى القدس لم يتضمن أى معدات ثقيلة؛ مما يوضح أنها موجودة فى وحداتها!"

(١) الفريق محمد فوزى، حوار مع هدى عبد الناصر .

(٢) Circular tel. from the Dept. of State to Certain Posts, Washington, May 15, 1967.

وبداً تذكير القاهرة بتهديدات واشنطن منذ عهد كنيدي، الذى جاء فى بيانه فى ٨ مايو ١٩٦٣ ما يلى.. "إن هذه الحكومة تعارض بشدة استخدام القوة أو التهديد بها فى الشرق الأوسط. وفى حالة العدوان أو الاستعداد للعدوان - سواء كان مباشراً أم غير مباشر - فإننا سنتخذ إجراءات مناسبة فى الأمم المتحدة، ونتبنى خطوات عملية بمفردنا لمنع أو إيقاف هذا العدوان". ثم تم التذكير بموقف الولايات المتحدة ضد العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦<sup>(١)</sup>.

وقد أكدت حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الاتصال؛ أنها لن تأخذ المبادرة بمهاجمة إسرائيل، ولكن فى حالة أى هجوم اسرائيلى على نطاق واسع ضد جيرانها، فإنها لا تستطيع أن تنتظر تدخل الأمم المتحدة أو القوى الكبرى، لكنها يجب أن تساعد ضحية الاعتداء من دون تأخير. وكان تعليق ريتشارد نولتون أنه يجب أن تظل الولايات المتحدة على اتصال بالمصريين فى واشنطن والقاهرة والأمم المتحدة لتهدئة مخاوفهم، وأنه متأكد أنه ليست لديهم أية نيات عدوانية<sup>(٢)</sup>.

هل هذا التعبير عن الموقف الأمريكى هو خدعة لمصلحة اسرائيل؟!

فى الواقع كانت هناك شكوكا كثيرة حول الولايات المتحدة، عبر عنها عبد الناصر بقوله فى خطابه فى عيد العمال، فى ٢ مايو ١٩٦٧: "١٥ سنة تهديد مستمر.. تهديد ممن؟ ما هو مصدر التهديد؟! الاستعمار.. طردنا الاستعمار من أرضنا، وأفكارنا ومبادئنا وما نادى به؛ كل هذا يهدد الاستعمار فى كل أرض عربية... مهددين لماذا؟!... الاستعمار فى منطقتنا لا يغفر لنا أبداً أننا قاومناه، وقاومنا وجود مناطق نفوذ له... وقفنا ضد كل مخططات الأحلاف فى المنطقة، وقفنا ضد مبدأ أيزنهاور الذى عملوه بعد ما انهار حلف بغداد...

الاستعمار لا يغفر لنا دعوتنا الى الحرية الاجتماعية وربطها عضوية بالحرية السياسية؛ لأن ذلك يهدد مصالحه ويهدد شركاءه. الاستعمار لن يغفر لنا خروجنا لدعوة عدم الانحياز، وجهودنا فى إيقاظ شعوب المستعمرات؛ ولو بالمثّل الذى ضربناه والنموذج الذى قدمناه لمقدرة المقاومة والقتال... اسرائيل أيضاً لن تغفر.. لن يغفروا واسرائيل معهم... خصوصاً والمعركة مستمرة ١٥ سنة، وتزيد عنفاً وضراوة، والنضال متصل والتطور العربى يأخذ مجراه.

لا نتصور الى أى مدى يرون الخطر منا، ليس العمل العربى وحده ولا الجنوب العربى وحده؛ تكلموا معى عن خطرنا فى أمريكا اللاتينية!... قلت كيف؟!... أين نحن وأين أمريكا اللاتينية؟!"

(١) الجزء الثالث من الكتاب، ص ص ٣١٣ - ٣٣٣.

(٢) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, May 16, 1967.

ومضى عبد الناصر يشرح للشعب.. "الخطة الأمريكانى مبنية على نقطتين بالنسبة لنا، الضغط الاقتصادى، والضغط النفسى والدعاية ضدنا فى البلاد العربية... أمريكا ساعدت فى إقامة اسرائيل، وتحمى اسرائيل، ودفعت ألمانيا لأن تدفع أموالا لاسرائيل.. تعويضات لاسرائيل، أخذوا ملايين الدولارات، أمريكا دفعت ألمانيا لأن تسلح اسرائيل. وأمريكا اليوم تسلح اسرائيل، ورئيس وزراء اسرائيل يقول: إنهم وعدوه أن الأسطول السادس سيساعد اسرائيل فى حالة أى عدوان عليها"<sup>(١)</sup>!

### ٣- قرار عبد الناصر بسحب قوات الطوارئ الدولية من على الحدود المصرية الاسرائيلية:

ومع تصاعد الموقف العسكرى بين اسرائيل والدول العربية على حدودها، أرسل الفريق محمد فوزى الى الجنرال أندرجيت ريكى - قائد قوات الطوارئ للأمم المتحدة فى الشرق الأوسط - فى ١٦ مايو ١٩٦٧ بما يلى..

"إنه تماشيا مع تعليماته للقوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة أن تكون جاهزة للعمل ضد اسرائيل فى حالة أى عمل عدوانى اسرائيلى ضد أى دولة عربية؛ فإن قوات الجمهورية العربية المتحدة تم تركيزها فى سيناء على حدود الجمهورية العربية المتحدة الشرقية".

وطلب الفريق فوزى أن يسحب الجنرال ريكى كل قوات الطوارئ الدولية للأمم المتحدة الموجودة فى مناطق الملاحظة على طول هذه الحدود.

رد الجنرال ريكى.. أنه سيرجع الى السكرتير العام للأمم المتحدة أوثانت، الذى أجاب من خلال محمد عوض القونى - مندوب مصر الدائم فى الأمم المتحدة - طالبا توضيح هذا الطلب، وتضمن رده الآتى..

"إذا كانت حكومة الجمهورية العربية المتحدة تنوى سحب الموافقة التى أعطتها فى ١٩٥٦ لوضع قوات الطوارئ الدولية التابعة للأمم المتحدة على أرض الجمهورية العربية المتحدة وغزة، فهى بالطبع لها الحق فى ذلك. ولكن مادام أن أساس وجود قوات الطوارئ الدولية للأمم المتحدة كانت

اتفاقية تمت مباشرة بين الرئيس ناصر وداج همرشولد - السكرتير العام للأمم المتحدة - فإن أى طلب لانسحاب قوات الطوارئ الدولية يجب أن يأتى مباشرة الى السكرتير العام من حكومة الجمهورية العربية المتحدة.

---

(١) خطاب عبد الناصر فى الاحتفال بعيد العمال، ٢ مايو ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ١٦٤ - ٢٠٠، مرجع سابق.

وعند تلقى هذا الطلب، سوف يأمر السكرتير العام بانسحاب كل قوات الطوارئ الدولية من غزة وسيناء، وفى نفس الوقت يخطر الجمعية العامة بما يفعله ولماذا".  
وقد سلم أوثانت هذه الرسالة الى الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ١٨ مايو ١٩٦٧. وأصدر المتحدث باسم الأمم المتحدة البيان التالى.. "ذهبت قوة الطوارئ الدولية الى غزة وسيناء منذ أكثر من ١٠ سنوات بموافقة الجمهورية العربية المتحدة، واستمرت هناك على هذا الأساس. وهى كقوة لحفظ السلام، لا تستطيع أن تستمر إذا سُحبت هذه الموافقة أو إذا أصبحت الظروف التى تعمل فى ظلها لا تسمح لها بالعمل على نحو فعال.

إن السكرتير العام يرى أن الموقف خطير جدا، وعلى أساس التقارير التى تم استقبالها من قائد قوات الطوارئ الدولية، فإن الأمين العام يعلم أنه لا توجد تحركات للقوات أو تركيز لها على أى خطوط توجب القلق".

وفى ١٧ مايو ١٩٦٧ أرسل جونسون رسالة الى إشكول؛ يؤكد فيها سياسة الولايات المتحدة بدعوة جميع الأطراف الى ضبط النفس، فقال: "أتابع عن كثب الوضع المتوتر فى الشرق الأوسط، ويساورنى قلق عميق إزاء الحفاظ على السلم فى هذه المنطقة... وأود فى هذه الحالة أن أشدد بأقوى العبارات على ضرورة تجنب أى إجراء من جانبكم يكون من شأنه إضافة مزيد من العنف والتوتر فى المنطقة"<sup>(١)</sup>.

ورد إشكول على جونسون فى رسالة مطولة فى اليوم التالى - ١٨ مايو - مدعيا أن "الحلقة الأساسية فى سلسلة التوتر هى السياسة التى تنتهجها سوريا فى تسلل الإرهابيين والقيام بأعمال تخريبية". ثم اشتكى من "الحشد المصرى للمدركات وقوات المشاه فى سيناء. وأضاف أن ذلك "يدفعنى بالطبع لاضافة تعزيزات إضافية فى الجنوب!"

واستنكر إشكول فى رسالته" أن تعطى سلطات الأمم المتحدة انطبعا بالتردد وعدم الحزم بالنسبة لعدم وجود قوات طوارئ دولية فى سيناء!"

وأشار إشكول الى الدعم السوفيتى لمصر وسوريا، وطلب من جونسون الاتصال بالسوفييت فى هذا الشأن.

وختم إشكول الرسالة بتثبيت اسرائيل "بالتزام معين لطالما أكدته لنا الولايات المتحدة مرارا وتكرارا بين مايو ١٩٦٠ وأغسطس ١٩٦٦... وأنه توجد بلا شك حاجة ملحة مجددا على الالتزام الأمريكى بالحفاظ على أمن اسرائيل، مع إمكانية وضع هذا الالتزام محل التنفيذ إذا دعت الحاجة الى ذلك"<sup>(١)</sup>.

(١) رسالة جونسون الى إشكول، ١٧/٥/١٩٦٧.

(٢) رسالة إشكول الى جونسون، ١٨/٥/١٩٦٧. وانظر أيضا تعليقات إيبان على هذه الرسالة:

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, May 18,1967.

وقد أخطر جونسون إشكول فى رسالة تالية فى ٢١ مايو ١٩٦٧ بالآتى: "لقد أجريننا اتصالات مع الحكومة السوفيتية... وتشجعنا نوعا ما من اللهجة التى صدر بها رد فعلهم إزاء نهجنا. وأنا على ثقة من أن السوفيت لا يغرم أى غرور بشأن التزامنا الثابت بدعم التدابير المناسبة المتخذة فى إطار الأمم المتحدة أو خارجها؛ لمواجهة أى عدوان أو تهديد بالعدوان فى الشرق الأوسط"<sup>(١)</sup>.

وانتقد كل من إشكول وأبا إيبان قرار أوثانت بسحب قوات الطوارئ الدولية ووصفاه "بالاستسلام... وأنه تدمير غير مسبق لميكانيزم دفاعى يعمل منذ ١١ سنة!"

وقد انسحبت قوات الطوارئ الدولية رسميا من على خط الحدود المصرية فى ١٩ مايو ١٩٦٧؛ وبذلك أصبحت القوات المصرية تقف وجها لوجه أمام قوات اسرائيل التى تم حشدها على حدود سيناء!

وأعلن أوثانت تقريره على الجمعية العامة للأمم المتحدة حول انسحاب قوة الطوارئ الدولية، الذى اتخذ الخط الآتى؛ إذا أرادت الجمهورية العربية المتحدة أن تغادر قوة الطوارئ الدولية أراضيها، فليس أمامه إلا أن يأمرها بذلك، وهذا هو ما فعله"<sup>(٢)</sup>.

وعلى إثر ذلك أعلن أوثانت رحلته الى مصر، وأرسل أبا إيبان رسالة عاجلة اليه يعلن فيها احتجاج الاسرائيليين على السرعة الكبيرة التى تم بها سحبه لقوات الطوارئ، وإدعا أن الأمم المتحدة كانت يجب عليها أن تفكر مليا فى الموضوع!

وأعلن الاسرائيليون شفهيًا، أن أى تدخل فى حرية الملاحة فى مياه شرم الشيخ ستكون له عواقب وخيمة، وكذلك أى تحرك من جانب قوات الجمهورية العربية المتحدة مباشرة أو عن

طريق تشجيع الاختراق. كما حذروا من استئناف للحملة السورية ضد اسرائيل أو من التسلل من الأردن أو لبنان<sup>(٣)</sup>.

(١) رسالة جونسون الى إشكول، ٢١/٥/١٩٦٧.

(٢) Report of the Secretary – General on the withdrawal of the Emergency Force, 26 June 1967, Israel Ministry of Foreign Affairs, vol. 1-2: 1947 – 1974.

(٣) Information Memo from Popper to Rusk, Washington, May 19, 1967, Latest on the ME.

#### أ- موقف الملك حسين:

وفى اتصال مع الأمريكان فى ١٨ مايو ١٩٦٧، أعرب الملك حسين عن رأيه فى الموقف المتفجر فى الشرق الأوسط؛ فالمنطقة ستواجه فترة طويلة من المشاكل، وعلى الرغم من أن سوريا منطقيا هى هدف لاسرائيل فى الأجل القصير، فإن الأردن أيضا هدف حتمى فى الأجلين القصير والطويل!

ولتأكيد كلامه، قال الملك حسين: إنه غير مقتنع أبدا أن الاسرائيليين قد تقبلوا الوضع القائم كحل دائم؛ فإن لاسرائيل متطلبات عسكرية واقتصادية واسعة المدى، وكذلك تطلعات معينة دينية وتاريخية لم تتحقق بعد، والطريقة الوحيدة لتحقيق أهدافهم هذه هى بتغيير الوضع القائم للصفة الغربية للأردن! وأضاف الملك حسين، أن عدم وحدة العرب تشجعهم على ذلك، وأن حالة التوتر السائدة فى الشرق الأوسط توفر غطاء لهجوم اسرائيلى على من يختارونه!

وذكر الملك حسين؛ أنه فى ١٩٥٦ كانت اسرائيل تهدد الأردن، لكنها هاجمت مصر، وفى ١٩٦٦ كانت اسرائيل تعادى السوريين، لكن الأردن هى التى هوجمت. وإذا قامت اسرائيل بهجوم ثان على مستوى ما حدث ضد قرية السموع فى الأردن فى ١٣ نوفمبر من نفس العام، فلن يكون أمامه إلا أن يثار أو يواجه ثورة داخلية. وإذا ردت الأردن، ألن يعطى ذلك اسرائيل حجة لتحتل أراضى أردنية!؟

وقد حث الملك حسين الأمريكان ألا يستبعدوا هذه الاحتمالات، وكان تساؤله.. ماذا ستفعل الولايات المتحدة إذا كان فرضه صحيحا!؟ وأضاف، لقد تم التأكيد له فى مناسبات عدة

بواسطة الرسميين الأميركيين أن الولايات المتحدة لن تسمح للاسرائيليين بتغيير الوضع في ذلك الوقت، كما قيل له عندما كان في واشنطن: إن الأسطول السادس سوف يحميه! وشرح الملك حسين، أنه في ظروف هجوم إسرائيل على الأردن، ستكون هناك حاجة الى مساعدة عاجلة من الولايات المتحدة لإجبارها على الانسحاب، كما أنه من المتوقع ألا يحدث كل ذلك إذا علم الاسرائيليون أن الولايات المتحدة ستتدخل بالقوة<sup>(١)</sup>!

Tel. from the Embassy in Jordan to the Dept. of State, Amman, May 18, 1967. (١)

### ب- موقف الولايات المتحدة:

في نفس الوقت، كانت الإدارة الأمريكية تبحث في التزامات الولايات المتحدة لإسرائيل - وليس الأردن - وقد أخطر بها روستو الرئيس الأمريكي جونسون، وهي الآتي: منع إسرائيل من أن تدمر، وإيقاف العدوان إما من خلال الأمم المتحدة أو بمبادرة مباشرة من الولايات المتحدة<sup>(١)</sup>. وقد أرسل جونسون رسالة الى إتشكول يؤكد فيها التزام أمريكا بأمن إسرائيل في ٢١ مايو ١٩٦٧<sup>(٢)</sup>.

ومن الناحية العسكرية، وافق راسك وماكنمارا على تعبئة العناصر الأساسية في الأسطول السادس الموجودة في ذلك الوقت على الشواطئ الغربية والجنوبية لإيطاليا، وأن تؤمر بالتحرك نحو شرق البحر المتوسط الى نقطة تبعد يوماً واحداً عنه، على أن يتم ذلك بهدوء ومن دون دعاية<sup>(٣)</sup>.

وقد تأكدت خديعة الأميركيين وانحيازهم لإسرائيل الذي كانوا ينفونه بشدة؛ ففي حديث لأرثر جولدبرج مع محمد عوض القونى، أعطاه تأكيدات رسمية أن الولايات المتحدة ليست مشتركة في أى خطوات في المنطقة! وذلك رداً على ما كان يقال في مصر وسوريا حول الدور التأمري الأمريكي في الشرق الأوسط<sup>(٤)</sup>.

### ج- الموقف السوري:

وفي إطار التحذير الأمريكي لسوريا وحثها على ضبط النفس، قال إبراهيم ماخوس - وزير الخارجية السوري - للسفير الأمريكي في دمشق: إن الولايات المتحدة تعلم بتهديدات قادة

اسرائيل ضد سوريا؛ مما جعلها والجمهورية العربية المتحدة ليس لديهما خيار إلا تصديق النيات الاسرائيلية العدوانية.

وكذلك فإن تحريات الحكومة السورية أوضحت وجود قوات اسرائيلية فى المنطقة منزوعة السلاح! وهكذا، فإن الحكومتين - السورية والمصرية - أعلنتا التعبئة وإعمال معاهدة الدفاع المشترك.

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, May 19, 1967. (١)

(٢) رسالة جونسون الى إشكول، ١٩٦٧/٥/٢١.

Memo. from Hoopes To MacNamara, Washington, May 19, 1967, Possible Redeployment of 6th Fleet. (٣)

Tel. from Mission to the UN to the Dept. of State NY, May 20, 1967, ME Crisis. (٤)

وأضاف ماخوس، أن الحكومة السورية ترفض أى مسئولية عن أعمال الفلسطينيين فى حربهم من أجل حقوقهم وبلدهم، وهم ليسوا تحت قيادة سوريا<sup>(١)</sup>.

#### د- موقف الجمهورية العربية المتحدة:

أصبحت الوحدات العسكرية المصرية تحتل كل مواقع الخط الأمامى عند الحدود المصرية - الاسرائيلية، وعندها أوامر مشددة ألا تبدأ الهجوم، أما إذا كان الاسرائيليون هم البادئين فإن المصريين سيتصرفون فوراً ويردون العدوان.

وبخصوص اعتقاد المصريين بمؤامرة أمريكية مع اسرائيل، فإن ما شجع على هذا هو ضغط الأمريكان على الألمان لمد اسرائيل بالسلاح، بالإضافة الى بيانات الرسميين فى الولايات المتحدة الموالية لاسرائيل والمضادة للجمهورية العربية المتحدة؛ مثل ماكنمارا وروبرت كنيدي وماكلوسكى.. الخ.

كذلك فإن الولايات المتحدة لم تتحرك أو تصرح بشئ عندما حشد الاسرائيليون قوات قرب الحدود مع سوريا، وهددوا بالهجوم عليها. لقد أصبح من الواضح بأن الولايات المتحدة مستعدة لحماية اسرائيل ولا تهتم بمصر أو سوريا! بل إن إشكول صرح أن الولايات المتحدة حثت اسرائيل على الاعتماد على الأسطول السادس، ولم ينكر الأمريكيون ذلك، بل أكدته تحركاته الى شرق البحر المتوسط!



وفى الواقع فإن الأمريكيين كانوا يخشون من نجاح عبد الناصر فى هذه الأزمة؛ "على أساس أن ذلك سيكون أكبر نصر له منذ السويس، حتى لو لم تطلق رصاصة واحدة"<sup>(١)</sup>!

#### هـ - موقف المملكة المتحدة:

ساندت فى الوصول الى حل سلمى لأزمة الشرق الأوسط من خلال الأمم المتحدة، وحث جورج براون - وزير الخارجية البريطانى - الولايات المتحدة على محاولة اقناع الجمهورية العربية المتحدة بالسماح لقوات الطوارئ الدولية أن تظل فى منطقة غزة. كما أكد براون على أهمية استمرار وجود الأمم المتحدة فى شرم الشيخ، وكذلك حرية المرور فى الممرات المائية الدولية. وأعرب براون عن ضرورة أن يزور أوثانت أيضا تل أبيب، ويعقد

---

(١) Tel. from the Embassy in Syria to the Dept. of State, Damascus, May 20, 1967, Arab - Israeli Crisis.

(٢) Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, May 21, 1967, ME Crisis.

اجتماعا فوريا لمجلس الأمن بعد عودته من المنطقة<sup>(١)</sup>.

وكانت المملكة المتحدة على اتصال قريب بالولايات المتحدة خلال هذه الأزمة، وتمت اجتماعات دورية فى واشنطن. وقد عارضت بريطانيا اقتراح اللقاء اليومى مع فرنسا، وفى نفس الوقت أعرب الفرنسيون عن عدم تفضيلهم للاجتماعات الثلاثية مع بريطانيا والولايات المتحدة! وبينما رأى الأمريكيون أن مبادئ الإعلان الثلاثى عام ١٩٥٠ لاتزال تنطبق، إلا أن المملكة المتحدة كانت تعتبر أنه أصبح باليا! وأعربت عن أنها لا ترغب فى أن تشارك فى الخطط العسكرية المحتملة، التى تتضمن إمكانية عمل عسكري خارج نطاق الأمم المتحدة. وفى رسالة من ويلسون الى إشكول، طلب منه أن تعيد حكومة اسرائيل النظر فى سياستها، التى ترفض السماح لقوات الطوارئ بالعمل على الأرض الاسرائيلية. وفى نفس الوقت، أكد ويلسون على مساندة المملكة المتحدة من خلال الأمم المتحدة لضمان المرور الحر فى خليج العقبة.

وأقر ويلسون أيضا أن جورج براون خلال رحلته الى موسكو، سينصح الاتحاد السوفيتى بضبط النفس.

وعلى ضوء هذه المناقشات، أرسل راسك الى لندن وباريس ما يلي: "يجب طلب عاجل بتأكيد رسمي من المملكة المتحدة وفرنسا؛ أن الإعلان الثلاثي لسنة ١٩٥٠ يظل محور سياسة هاتين الحكومتين، كما هو الحال بالنسبة للولايات المتحدة. وفي هذه الفترة من التوتر بين الحلفاء، فإنه من المهم إعادة تأكيد وحدتنا حول الأساسيات. وإن فشلنا في منع الاعتداءات من أن تشتعل في الشرق الأوسط ستكون له تداعيات كبيرة؛ فإن الحرب في هذه المنطقة سوف تؤثر جذريا وبخطورة على أمن الثلاث دول الأطراف في الإعلان الثلاثي، وأوروبا والغرب"<sup>(١)</sup>.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR ,Washington, May 21, 1967, (١)

ME Crisis.

Ibid.

(٢)

#### ٤- إعلان عبد الناصر اغلاق خليج العقبة:

وفي خطاب لعبد الناصر أثناء زيارته لمركز القيادة المتقدمة للقوات الجوية في ٢٢ مايو ١٩٦٧، تحدث عن تهديدات القادة الاسرائيليين لسوريا بشكل مهين منذ ١٢ مايو، وعن معلومات مؤكدة عن حشود عسكرية اسرائيلية كبيرة على الحدود معها. وأن الجمهورية العربية المتحدة اتخذت إجراءاتها طبقا لهذه المعلومات؛ ففي ١٤ مايو سافر الفريق محمد فوزى الى دمشق لتنسيق الأوضاع بين مصر وسوريا، وأخطر السوريين أن الجمهورية العربية المتحدة اتخذت قرارا أنه إذا حدث هجوم على سوريا، فإنها ستدخل المعركة من أول دقيقة، وبدأت القوات تتحرك في اتجاه سيناء في ١٣ مايو لأخذ أوضاعها الطبيعية.

وقال عبد الناصر: "من الطبيعي - وأقولها اليوم بصراحة - إن قوات الطوارئ الدولية إذا كانت تحولت من واجبها الأساسى الى واجب يحقق أهداف الاستعمار، كنا سنعتبرها قوات معادية، وكنا سنجردها من سلاحها بالقوة، ونحن قطعاً قادرين على أن نقوم بهذا العمل... الآن قواتنا وصلت الى سيناء، ونحن فى حالة تعبئة كاملة سواء فى قطاع غزة أو فى منطقة سيناء".

وشرح عبد الناصر الوضع قائلاً: "اليوم صباحا سمعت راديو لندن يقول: إن عبد الناصر سنة ٥٦ تعهد بفتح خليج العقبة! وطبعاً هذا الكلام لا نصيب له من الصحة!... هذا الكلام لم يحدث؛ عبد الناصر لا يمكن أن يفرض في حق من حقوق الجمهورية العربية المتحدة!"

ثم وجه عبد الناصر حديثه الى ضباط السلاح الجوي.. "الآن أنتم أخذتم مسؤولية.. القوات المسلحة احتلت أمس شرم الشيخ، وما هو معنى احتلال القوات المسلحة لشم الشيخ؟ معناه تأكيد حقوقنا وتأكيد سيادتنا على خليج العقبة الذي يمثل المياه الإقليمية المصرية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن نسمح للعلم الاسرائيلي أن يمر في خليج العقبة"<sup>(١)</sup>.

---

(١) خطاب عبد الناصر في ٢٢ مايو ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ٢٠١ - ٢٠٧، مرجع سابق.

وكانت وزارة الخارجية المصرية قد أرسلت لعبد الناصر مذكرة عن الملاحة الاسرائيلية في خليج العقبة في ٢٠ مايو ١٩٦٧، شرحت فيها الوضع منذ ما قبل العدوان الثلاثي في ١٩٥٦؛ حيث لم يكن لاسرائيل وجود على خليج العقبة عند توقيع اتفاقية الهدنة المصرية - الاسرائيلية في ٢٤ فبراير ١٩٤٩، الى أن أخلت القوات الأردنية بلدة أم رشراش، واحتلتها القوات الاسرائيلية في اليوم التالي وأنشأت ميناء إيلات. وأصبحت منطقة المياه الساحلية الواقعة غرب الخط الموصل ما بين رأس محمد ورأس نصراني، منطقة ممنوعة لا يجوز الملاحة فيها من ٢١ ديسمبر ١٩٥٠، بعد أن قامت مصر باحتلال جزيرتي تيران وصنافير - بالاتفاق مع الحكومة السعودية - وقامت القوات المصرية بتركيب مدفعية سواحل في منطقة رأس نصراني سيطرت تماماً على الملاحة في الخليج. وقد حاولت اسرائيل في ١٩٥٤ الحصول من مجلس الأمن على قرار بأحقيتها في المرور بقناة السويس وخليج العقبة، إلا أن اعتراض الاتحاد السوفيتي على مشروع القرار أحبط المحاولة. ونتيجة لاشتراك اسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر في ١٩٥٦، وانسحاب القوات المصرية من سيناء لمواجهة الهجوم البريطاني الفرنسي على بورسعيد، احتلت القوات الاسرائيلية منطقة شرم الشيخ وشبه جزيرة سيناء، ورفضت الانسحاب إلا بعد أن تلقت جولدا مائير - وزيرة خارجية اسرائيل - مذكرة من جون فوستر دالاس - وزير خارجية الولايات المتحدة - في ١١ فبراير

١٩٥٧؛ يؤكد فيها أن الولايات المتحدة تعتبر خليج العقبة ومضيق تيران من المياه الدولية، وقد أيدت فرنسا هذا الموقف، وأعلنت ذلك في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة في أول مارس ١٩٥٧. إلا أن محمود فوزى - وزير خارجية مصر - أعلن في نفس الجلسة في الجمعية العامة، أن التصريحات التي تم الإدلاء بها بشأن انسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية، لا يمكن أن يكون لها أى أثر على كامل حقوق مصر أو على مشروعية هذه الحقوق، وأنه يجب أن تطبق قرارات الجمعية العامة التي تطالب بانسحاب اسرائيل من دون قيد أو شرط<sup>(١)</sup>.

(١) لمزيد من التفصيل حول المركز القانوني لخليج العقبة انظر وزارة الخارجية المصرية، مذكرة عن الملاحه الاسرائيلية في خليج العقبة، ١٩٦٧/٥/٢٠، مرجع سابق.

#### أ- الولايات المتحدة تتحالف مع المملكة المتحدة وكندا ضد عبد الناصر:

أرسل جونسون رسالة الى عبد الناصر في ٢٢ مايو ١٩٦٧؛ أعرب فيها عن رغبته في أن يسعيا سويا "لإنقاذ الشرق الأوسط والمجتمع البشرى بأكمله من حرب أعتقد أن كافة الأطراف ترغب في تجنبها... وأحثكم على أن تضعوا نصب أعينكم الهدف الأسمى؛ وهو تجنب الأعمال الدعائية"<sup>(١)</sup>.

وفي نفس الوقت، أرسل يوجين روستو - نائب وزير الخارجية الأمريكية - رسالة الى السفير الاسرائيلي في واشنطن؛ يعرض فيها وجهة نظر الولايات المتحدة فيما يتعلق بمشكلة خليج العقبة، مؤكدا على ضرورة معالجتها بطريقة سلمية، ويفضل من خلال الأمم المتحدة.

وأوضح روستو مشاطرة الولايات المتحدة اسرائيل في القلق نتيجة اتخاذ الجمهورية العربية المتحدة مواقع لها في شرم الشيخ! وأكد: "أن وجود قوات الجمهورية العربية المتحدة على أى جزء من أراضيها ليس إجراء غير قانونى فى حد ذاته".

وذكر روستو بموقف الولايات المتحدة بشأن الوضع الدولى لخليج العقبة ومضيق تيران، فى مذكرة الحكومة الأمريكية فى ١١ فبراير ١٩٥٧ السابق الإشارة إليها.

وأنهى رسالته بالاستناد الى ما جاء فى رسالة جونسون الى إتشكول، فى ١٨ مايو ١٩٦٧؛ "أن اسرائيل لن تتخذ أى إجراء عسكري من جانب واحد فى أى وقت"<sup>(٢)</sup>.

إذا عملت الولايات المتحدة على حث الأطراف على عدم اللجوء الى الأعمال العسكرية، وإن أكدت وقفها الى جانب اسرائيل؛ بالاعتماد على مذكرة من الحكومة الأمريكية لا قيمة قانونية لها، صدرت من قبل عشر سنوات تعترف بمبدأ حرية الملاحة فى خليج العقبة<sup>(٣)</sup>!

ومنذ البداية أصدر ويلسون بياناً يؤكد فيه موقف ١٩٥٧، وكان الرأى فى المملكة المتحدة.. "أن منع الملاحة فى خليج العقبة يصبح بالتالى قضية 'حرية البحار' وإذا فشلت الأمم المتحدة فى أن تقدم وسائل فعالة لمعالجة هذه المشكلة، فإن البريطانيين قد يشعرون أن بإمكانهم إيجاد طريقة أخرى مباشرة لفعل ذلك، على الرغم من أنهم يأملون أن يستطيعوا أن يضموا دولاً بحرية أخرى اليهم..."

---

(١) رسالة جونسون الى عبد الناصر، ٢٢/٥/١٩٦٧.

(٢) رسالة من يوجين روستو الى هاريمان، ٢٢/٥/١٩٦٧.

(٣) برقية من الحكومة الأمريكية الى بعض العواصم العالمية بعد إغلاق مضيق تيران، ٢٢/٥/١٩٦٧.

ونظراً لوجود القوات البحرية البريطانية فى شرق السويس حالياً... فالبريطانيون من الممكن، وسوف يكونون مستعدين جداً لتولى هذا الأمر مباشرة". وقد برروا ذلك، "بأن 'حرية البحار' يقلل من مخاطر رد الفعل المعادى من جانب العرب الآخرين"<sup>(١)</sup>! ومعنى ذلك أن المملكة المتحدة هى التى بادرت باقتراح استخدام القوة لفتح مضيق تيران، وبالعامل على جمع أكبر عدد من الدول البحرية لتتشارك معها. وأرسل ويلسون رسالة الى جونسون فى ٢٥ مايو ١٩٦٧ يخطره بموقف المملكة المتحدة هذا، ويؤكد على أن تبقى الدولتان متحدتين فى أزمة الشرق الأوسط<sup>(٢)</sup>.

وفى نفس الوقت، كلف مجلس الوزراء البريطانى جورج براون بالذهاب الى موسكو لمناقشة هذا الموضوع مع السوفييت، على أن يتوجه بعد ذلك الى واشنطن ليفعل نفس الشئ. كما تم إرسال تعليمات الى السفارات البريطانية فى الدول البحرية الرئيسية؛ لمساندة إعلان مبادئ حول حق المرور السلمى فى الممرات المائية، واستكشاف العمل الدولى بهذا الخصوص.

وقد ادعت الحكومة البريطانية أن هذه الإجراءات قد تردع كلا من الاسرائيليين والجمهوريين العربىة المتحدة، وتخفف من الأزمة! ولكن الواقع أن الحكومة البريطانية اقترحت القيام بعملية استكشافية فى إقليم مضيق تيران، وطلبت أن تساندها عملية عسكرية مقنعة فى شرق البحر المتوسط، تظهر قوات كافية لردع الجمهورية العربية المتحدة!

ولتفنيذ هذا الاقتراح، طلبت المملكة المتحدة أن تتعاون معها الولايات المتحدة أساسا، على أن يكون الإجراء دوليا فيشمل دولا أخرى.

لم توافق الولايات المتحدة على هذه الاقتراحات البريطانية، وقرر راسك أن هذا الموقف يواجهها بعدة مشاكل؛ فقبل إطلاق النار في منطقة خليج العقبة، يجب أن تتأكد الحكومة الأمريكية أن الكونجرس معها، وهذا يؤدي الى بعض التأخير. وكذلك يجب إقناع الفرنسيين والإيطاليين والإسكندنافيين، وأكبر عدد من الدول البحرية لينضم، فأى قرار يجب أن يتضمن عمل جماعى، ويجب أن تُستغل الأمم المتحدة الى أقصى درجة فى هذا الموقف.

ويرر راسك كلامه بقوله: "إننا لا نستطيع أن نكون بعيدين عن مشاكل الشرق الأوسط، ولا يمكن أن يسمح للعرب بإلقاء اسرائيل فى البحر"<sup>(٣)</sup>!

---

Tel. from the Embassy in the UK to the Dept. of State, London, May 22, 1967. (١)

(٢) رسالة ويلسون الى جونسون، ٢٥/٥/١٩٦٧.

Memo. of Conversation, US – UK, Washington, May 24, 1967, The NE Crisis. (٣)

وفى مذكرة شفوية من وزارة الخارجية الأمريكية سلمت الى محمود رياض - وزير الخارجية المصرى - فى ٢٣ مايو، جاء ما يلى.. "إن حكومة الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية الأخرى يعلمون أن حكومة الولايات المتحدة تعارض بشدة العدوان فى المنطقة على أى شكل - مفتوح أو خفى - يتم اتخاذه بواسطة القوات العسكرية النظامية أو المجموعات غير النظامية"<sup>(١)</sup>.

وأكدت الحكومة الأمريكية للحكومة المصرية - عن طريق ريتشارد نولت، "أن أربعة رؤساء أمريكيين كانوا ملتزمين بالتصرف واتخاذ القرارات بالمساندة ضد العدوان فى الشرق الأوسط، ومساندة سلامة الأراضى واستقلال كل الدول فى المنطقة". وبالطبع هذا لم يحدث على الإطلاق، واكتفت الولايات المتحدة بمساندة اسرائيل كما سيتضح!

وأضاف نولت لرياض، "أن الجمهورية العربية المتحدة يجب أن تفهم تماما أن حكومة الولايات المتحدة ستبذل كل جهد لتجنب الحرب أو توقفها إذا بدأت، وأنها تحت اسرائيل على ضبط النفس. ولكن قضية حرية المرور فى خليج العقبة هى قضية هامة جدا، وأى خرق لهذه الحرية يعتبر عدوانا!"

وإجابة على سؤال من نولت حول نوايا الجمهورية العربية المتحدة بالنسبة للعقبة، قال رياض: "إن الجمهورية العربية المتحدة سوف توقف السفن الاسرائيلية، وتصادر البضائع الاستراتيجية على كل

السفن الأخرى". وختم رياض حديثه، "بأن الجمهورية العربية المتحدة لن تعتدى ولكن ستدافع عن نفسها ضد الهجوم".

علق نولت.. "هكذا أصبحت الولايات المتحدة فى مواجهة مباشرة مع الجمهورية العربية المتحدة"<sup>(١)</sup>؛ وبذلك اعتبرت الحكومة الأمريكية غلق خليج العقبة عملا عدوانيا من جانب عبد الناصر! وفى نفس اليوم، اجتمع مجلس الأمن القومى الأمريكى برئاسة جونسون، وقدم يوجين روستو مذكرة الى جونسون قبل الاجتماع جاء فيها.. "إن القضية الأساسية فى الشرق الأوسط الآن هى؛ ما إذا كان ناصر والدول الراديكالية والسوفييت الذين يساندونهم، سوف يسيطرون على المنطقة! وما إذا كانت الولايات المتحدة ستقف بجانب أصدقائها المعتدلين أو تتراجع كقوة أساسية فى الشرق الأوسط!"

إن وضع القضية بهذا الشكل لا يترك خيارا للرئيس الأمريكى إلا أن يستمر فى التحيز لصالح اسرائيل وضد العرب!

---

Tel. from the Dept. of state to the Embassy in the UAR, Washington, May 22,1967. (١)

Tel. from the the Embassy in the UAR to the Dept. of state, Cairo, May 23, 1967. (٢)

وفى اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى طرح جونسون ما قاله باناش: "إن المصريين يقترحون العودة الى اتفاقيات الهدنة العامة فيما قبل حرب ١٩٥٦". وأضاف.. "وإذا كان ذلك قد يزيل الضغط فى مضيق تيران، إلا أن الاسرائيليين قد لا يرغبون فى عمل هذا التنازل!" وعلى الرغم من الاتصال بين الحكومتين الأمريكية والسوفيتية الذى يبدو فيه السوفييت معتدلين، فإنهم فى العلن ألقوا بالمسئولية على اسرائيل، وبالتالي على الولايات المتحدة. واستمر التشاور مع المملكة المتحدة حول اقتراحها لجمع الدول البحرية واتخاذ إجراء بالقوة لفتح خليج العقبة!

أما بالنسبة لموقف الكونجرس، ففى مناقشة مع لجنة الشئون الخارجية فى ٢٣ مايو، كان هناك إجماع على ألا تتصرف الولايات المتحدة منفردة، بل يجب العمل من خلال الأمم المتحدة أو مع أطراف متعددة.

وفى نفس اجتماع مجلس الأمن القومى الأمريكى المشار اليه، تمت أيضا مناقشة إمكانية تطبيق عقوبات اقتصادية، ثم بحث الى أى مدى تستطيع الولايات المتحدة أن تؤثر على صندوق النقد الدولى والبنك الدولى ليتصرفا فى هذا الموقف؛ مثل عمل حصار مضاد! وبذلك تستطيع

الولايات المتحدة أن توقف الاسرائيليين عن العدوان، إذا أُنعتهم أنهم بهذه الطريقة ممكن أن يتسببوا في إيذاء الجمهورية العربية المتحدة أكثر من الضرر الذي يسببه الحصار على خليج العقبة!  
وهنا تساءل جونسون.. "ماذا فعل إذا فشلت هذه الإجراءات؟ إننى أريد أن أستهلك كل كارت فى الأمم المتحدة، ولكن لا أعتد عليها لتتقذنى!... إننى أريد أن أرى ويلسون وديجول بمراكبهما مستعدة أيضا!"

وقد أشار جونسون الى بيان ويليام فولبرايت الذى جاء فيه، "إن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تدير أزميتين فى وقت واحد!" إنه يرى ذلك كاختيار بين اسرائيل وفيتنام، ويعتقد فولبرايت أن الأمريكيين يجب أن ينسحبوا من فيتنام!"

وقدم ماكنمارا تقريراً عسكرياً عن الموقف، ونفى قول فولبرايت! وبدأ الحديث عن التفاصيل العسكرية لعملية فتح خليج العقبة بالقوة. واتضح من كلام العسكريين أن العملية أصعب مما اعتقدوا فى البداية؛ وذلك بسبب الغواصتين المصريتين الموجودتين فى البحر الأحمر! وأقروا أن الوضع يحتاج الى غواصة أمريكية، ولكن أقرب واحدة فى سنغافورة على بعد أسبوعين! حيث إنهم لا يستطيعون أن يرسلوا أخرى عبر قناة السويس!



وثارت عقبة أخرى.. فإنه إذا كانت الولايات المتحدة لديها قوة بحرية فى البحر المتوسط، إلا أن القوات الأرضية قليلة (١٤٠٠ من البحرية فى نابولى، على بعد ثلاثة أيام)؛ واقترح ماكنمارا هنا أن يتدخل الاسرائيليون بقواتهم<sup>(١)</sup>!

وعلى هذا الأساس، طلب العسكريون الأمريكيون إعطاء اسرائيل مساعدة عسكرية وكل المساندة التى تحتاجها من أجل عمليات عسكرية لأجل طويل. وأقروا أن الاعتماد على عدم كفاءة العرب وانعدام الوحدة بينهم سيضعف القضية العربية!

وتم اقتراح البدء فوراً فى مناقشات مع الاسرائيليين حول ما يخزنونه من سلاح، ومدى قدرة الأمريكيين على استكماله سريعاً، أى أن تعتمد الولايات المتحدة وحلفاؤها على القوات الاسرائيلية فى تنفيذ المؤامرة ضد العرب! ولتحقيق هذا الهدف، بحثت المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) الإمكانيات العسكرية الاسرائيلية والعربية، وعرضت تقريراً على جونسون يتضح فيه الى أى مدى هم منتبحين لتحركات القوات المصرية!

وتساءل جونسون.. ماذا فى ذهن ناصر؟ فكانت الإجابة.. أنه حقق هدفه<sup>(٢)</sup>!

إذاً رسائل ضبط النفس من جانب جونسون الى كل من المصريين والاسرائيليين لم تكن إلا تمويهاً وخداعاً، بينما فى السر كان التخطيط كله يساند اسرائيل الى أبعد مدى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً!

وفى ٢٣ مايو ١٩٦٧ - ثانى يوم غلق خليج العقبة - أدلى جونسون ببيان منحاز الى اسرائيل تماماً، اعتبر فيه غلق خليج العقبة غير قانونى ودعا الى ضبط النفس، كما أعاد التأكيد على أن حق المرور المطلق غير المقيد والأمن فى الممر المائى الدولى، يشكل أهمية حيوية للمجتمع الدولى.

وأبدى جونسون استياءه من الانسحاب السريع لقوة طوارئ الأمم المتحدة من غزة وسيناء بعد عشر سنوات من دورها الفعال فى حفظ السلام، وذلك من دون أى إجراء من جانب الأمين العام للأمم المتحدة أو من مجلس الأمن! كما انتقد التعزيزات العسكرية الأخيرة التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة فى سيناء، ودعا الى خفضها.

(١) Memo. Prepared in the CIA, Washington, May 23, 1967, Overall Arab & Israeli Military Capabilities.

(٢) Memo. for the Record, Washington, May 24, 1967, Record of the National Security Council (NSC) Meeting, Discussion of ME Crisis.

وأهى جونسون بيانه بتأكد التزم الولايات المتحدة بدعم الاستقلال السياسى ووحدة أراضى كل الدول فى هذه المنطقة، وأنها تعارض بشدة قيام أى طرف بشن عدوان بأى صورة سواء كانت مكشوفة أم سرية<sup>(١)</sup>.

وكان قد حدث اتصال بين الولايات المتحدة واسرائيل فى ٢٢ مايو، أكدت فيه الحكومة الأمريكية ما ذكره جونسون فى رسالته فى ١٨ مايو؛ "بأن وجود قوات الجمهورية العربية المتحدة على الأرض المصرية ليس عملاً غير قانونى"، وأن الحكومة الأمريكية ترغب "أن تتعامل اسرائيل مع المشكلة بوسيلة سلمية، ويفضل من خلال الأمم المتحدة".

وطلبت الولايات المتحدة من اسرائيل "ألا تتخذ أى عمل عسكري فردى فى أى وقت؛ فإن ذلك قد يقود الى اعتداءات واسعة فى المنطقة. والولايات المتحدة مقتنعة أن قضية مضيق تيران يجب أن تعامل على أساس دولى"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) بيان جونسون، ١٩٦٧/٥/٢٣.

(٢) رسالة من روستو الى هاريمان، ١٩٦٧/٥/٢٢، مرجع سابق.

## ب- انفراد فرنسا بموقف حيادي:

على الرغم من المطالبة المستمرة من جانب الأمريكان لانضمام فرنسا الى المجموعة البحرية التي تخطط لفتح خليج العقبة بالقوة وتساندها في الأمم المتحدة، إلا أن ديغول رفض الانضمام لهم، وكان رأيه أن يجتمع الأربعة الكبار لمناقشة الأزمة خارج الأمم المتحدة.

وكان اقتراح ديغول أنه يمكن التعامل مع هذه الأزمة - على الأقل مبدئياً - من خلال القوى الأربع؛ فذلك ميزته جمع الروس في مناقشة ضمن هذا الإطار. وكان ديغول يرى أنه إذا فشلت المبادرة الفرنسية بسبب عدم تواصل الروس معها، فإن الفرنسيين لن يمكنهم أن يمارسوا أي دور إضافي<sup>(١)</sup>.

ثم اقترحت فرنسا على الولايات المتحدة عقد اجتماع لمندوبي الدول الكبرى في الأمم المتحدة، واتصلت بنفس الغرض مع موسكو ولندن. وكانت وجهة النظر الفرنسية، أن الموقف بات خطيراً جداً بعد إعلان الجمهورية العربية المتحدة غلق خليج العقبة؛ مما يستوجب التدخل في النزاع القائم في منطقة الشرق الأوسط، تحت دعوى العمل على حفظ السلام، والتأكد أن أي من الأطراف لا يلجأ الى استخدام القوة<sup>(٢)</sup>.

وأثناء مقابلته مع إيبان، طلب ديغول ألا تكون اسرائيل البادئة باستخدام السلاح. والبيان التالي صدر بعد انتهاء جلسة مجلس الوزراء التي رأسها الجنرال ديغول:

"فرنسا ليست مرتبطة بأي وعود أو تعهدات بأي طريقة أو على أي نحو تجاه أي من الدول المعنية. وطبقاً لمبادرتها الخاصة، فإن فرنسا تعتقد أن كل دولة من هذه الدول لها الحق في الوجود والحياة. ولكن فرنسا تعتقد أن اندلاع الأعمال العدائية سوف يكون السيناريو الأسوأ؛ وبالتالي فإن الدولة التي سوف تكون البادئة بالعدوان واللجوء للسلاح وأياً كان مكانها؛ فإنها لن تحظى بموافقة فرنسا أو بأي دعم منها<sup>(٣)</sup>.

(١) موقف ديغول في رسالة ويلسون الى جونسون، ١٩٦٧/٥/٢٥، وردة عليها، مرجع سابق.

(٢) Tel. from the Dept. of State to the Mission to the UN, Washington, May 24, 1967, Four- (٢) Power Meeting on ME.

(٣) وقد استمر ديغول على موقفه طوال الأزمة ملتزماً بمبادئ العدالة، مما دعا بن جوريون أن يبعث له برسالة طويلة محاولاً استمالته لموقف اسرائيل، ومدافعاً عن المشروع الصهيوني منذ القدم: بن جوريون الى ديغول، ١٩٦٧/١٢/٦.

وفى حالة ما إذا أمكن الإبقاء على توقعات الموقف الراهن كما هى، ونتجت عن ذلك حالة من الانفراج، فإن مشاكل الملاحة فى خليج العقبة ووضع اللاجئين الفلسطينيين وأوضاع الدول المعنية القريبة، ستتعين تسويتها بصورة جوهرية من خلال القرارات الدولية، وقد سبق لهذه القرارات أن أدت لاتفاق دولى بين القوى الأربع ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن". وفى ٢٥ مايو اجتمعت الوزارة البريطانية ووافقت على اجتماع القوى الكبرى، إلا أنها فضلت أن يكون ذلك تحت مظلة الأمم المتحدة، كما قررت إرسال فريد مولى - وزير دولة فى الخارجية البريطانية - الى باريس للاتصال بالفرنسيين<sup>(١)</sup>.

إلا أن ويلسون عبر بعد ذلك عن انتقاده لديجول بسبب اقتراح إدارة الأزمة على أساس تفاهم القوى الأربع، وذلك فى رسالته الى جونسون فى ٢٥ مايو؛ قائلاً: "إن أهداف ديغول السياسية هى أنه يحاول أن يتجنب التورط الفرنسى فى أى ارتباط غربى، وقد يكون هدفه من ذلك أن يقوى من مركز فرنسا، ويقلل من حجم بعض حلفاء الجنرال الغربيين<sup>(٢)</sup>".

أما الأمريكان فلم يكونوا سعداء بفكرة اجتماع القوى الأربع خارج الأمم المتحدة، وكما سبق القول، أخطروا الاسرائيليين أنهم لا يجب أن يعتمدوا على المساعدة الأمريكية إذا تصرفوا منفردين<sup>(٣)</sup>. ولكن واقعياً هل هذا حدث فعلاً؟! بالطبع لا!

وكان انطباع الأمريكيين، أن السوفييت لا يرغبون فى أن يتورطوا فى حرب فى الشرق الأوسط. وإذا فتح الأمريكيون والبريطانيون وآخرون الخليج بالقوة، فمن وجهة نظر السوفييت فإن ذلك سيهدد نفوذ ناصر، ويظهر عجزهم عن تقديم أى مساعدة بخلاف التأييد المعنوى<sup>(٤)</sup>.

وفى النهاية، رفض جونسون الاقتراح الفرنسى، وأعطى التعليمات لجولدبرج أن يتحدث ثنائياً فقط مع ممثلى أى دولة! كما استمرت جهود الأمريكان من أجل تجميع القوى البحرية لتنفيذ المؤامرة الغربية لفتح خليج العقبة بالقوة، والتي قادتها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة.

---

(١) Memo. of Conversation, Washington, May 25, 1967, ME Situation, George Thomson Meeting Minister of state for foreign Affairs.

(٢) رسالة من ويلسون الى جونسون، ٢٥/٥/١٩٦٧.

(٣) Memo. of Conversation, May 25, 1967, Op. Cit.

(٤) Tel. from the Embassy of the SU to the Dept. of state, Moscow, May 25, 1967.

## ج- إحباط الجهود الأمريكية لتحديد الاتحاد السوفيتي:

منذ بداية الأزمة، والاتحاد السوفيتي يتخذ موقفا مؤيدا للجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعرب عموما، وإن لم يتعد المساندة السلبية برفض الاشتراك مع الدول الغربية في مخططاتهم خارج الأمم المتحدة أو داخلها. وبعبارة أخرى فإن الاتحاد السوفيتي لم يندفع بالإمداد بالسلح والمساندة البحرية وتجميع الدول الى جانب حلفائه، كما فعلت الولايات المتحدة بالنسبة لاسرائيل.

وقد سارعت الحكومة الأمريكية فور غلق خليج العقبة، بالطلب من السفير الأمريكي في موسكو أن يقابل جروميكو على الفور؛ ليعبر عن القلق العميق لدى الأمريكان بالنسبة لتدهور الموقف في الشرق الأوسط. وأن يذكر جروميكو "أن السوفييت أنفسهم قالوا: إن الحرب في الشرق الأوسط ليست في مصلحة أحد"، ويخطره "أن الولايات المتحدة تعمل ما تستطيعه لتجنب إشعال الحرب".

وتبلور موقف الاتحاد السوفيتي في قول جروميكو: إنه يعتبر أن الحرب في هذه المنطقة لا أحد يحتاج إليها؛ فهي ستسبب خسائر لدولها، وتزيد التوتر في العالم بصفة عامة، وأن القوى الكبرى يجب أن تمنع تطور موقف يقود للحرب. وأن الحكومة السوفيتية ترى أن سبب التوتر في ذلك الوقت هو سياسة اسرائيل، وأن السوفييت يساندون السوريين مساندة كاملة<sup>(١)</sup>.

وقابل جولدبرج فيديرينكو - المندوب الدائم السوفيتي في الأمم المتحدة - في ٢٣ مايو، وقال له: إن الولايات المتحدة تساند عقد مجلس الأمن لمناقشة قضية خليج العقبة. وسياساتهم أن المجلس يجب أن يتولى مسؤولياته، وطلب مساندة الاتحاد السوفيتي للسياسة الأمريكية داخل المجلس. ومن وجهة النظر الأمريكية، فإنه نتيجة لبيان ناصر حول غلق خليج العقبة، وإعلان إشكول أن ذلك يعتبر عملا عدوانيا؛ فإن الموقف أصبح هشا للغاية، وممكن أن ينفجر الى اشتباكات وحرب في أي لحظة!

وأوضح جولدبرج لفيديرينكو، أن ما يجمع السوفييت مع الأمريكان في هذا الموقف ليس فقط قرار ناصر بقفل خليج العقبة في وجه السفن الاسرائيلية، ولكن أيضا منع نقل المواد الاستراتيجية عبر الخليج.

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the SU, Moscow, May 23, 1967.

(١)

وإمعانا فى تأليب الاتحاد السوفيتى ضد عبد الناصر، قال جولدبرج: "أكثر من ٣٠ دولة تبحر من هذا الطريق - ومنها الولايات المتحدة - ولن تكون راغبة فى التفتيش بواسطة الجمهورية العربية المتحدة، وأضاف، "إن الاتحاد السوفيتى - كدولة معترزة بنفسها - لن تقبل هذه القيود!" ونسى جولدبرج، أن نفس إجراءات التفتيش هذه كانت تطبق منذ قيام اسرائيل فى ١٩٤٨ وحتى العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦!

أما عن الموقف السوفيتى، ففى بداية الأزمة اعترض على عقد مجلس الأمن فى ذلك الوقت؛ على أساس أنه يشعل الموقف أكثر، والاكتفاء بالبيانات التى أصدرتها عدة حكومات حول هذه القضية، ومنها الاتحاد السوفيتى. وقد قام السوفييت باتصالات ثنائية مع الحكومات العربية، واعتبروا أن ذلك أهم كثيرا مما يحدث فى الأمم المتحدة.

وأشار فيدرينكو الى الموقف السوفيتى فى عام ١٩٥٧، حيث كان دخول خليج العقبة فى المياه الإقليمية المصرية، وأصبح بالتالى تحت سيطرة الجمهورية العربية المتحدة<sup>(١)</sup>.

#### د- تداعيات اجتماع أوثانت مع عبد الناصر:

قبل بدء هذه الزيارة، تعرض أوثانت لضغوط أمريكية؛ فقد أرسل له جولدبرج رسالة فى ٢٢ مايو ١٩٦٧ طلب منه ألا يعلنها، ويخطره فيها بعدم موافقة الولايات المتحدة على سحب قوات الطوارئ الدولية، وعاتبه على أساس أنه كان من الواجب المناقشة فى الجمعية العامة قبل سحبها! وبالطبع هذا يطابق موقف اسرائيل بالضبط!

وفى هذه الرسالة، حث جولدبرج أوثانت أن يكون هدفه فى هذه الزيارة الى القاهرة هو من أجل تحقيق السلام، أى الإبقاء على درجة قصوى من وجود الأمم المتحدة الفعال على الأرض على طول الحدود والمناطق الحساسة بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل، وخاصة غزة وشرم الشيخ. وكذلك الإبقاء على الصبغة الدولية لمضايق تيران وخليج العقبة، والالتزام بإزالة القوات العادية والنظامية بعيدا عن التلاحم والاصطدام مع بعض.

وختم جولدبرج رسالته الى أوثانت؛ بأن طلب منه أن يذهب بعد القاهرة الى دمشق وتل أبيب<sup>(٢)</sup>؛ وهو ما لم يفعله!

Tel. from the Mission to the UN to the Dept. of State, NY, May 24, 1967. (١)

Tel. from the Mission to the UN to the Dept. of State, NY, May 22, 1967, ME Crisis. (٢)

- رسالة جولدبرج الى أوثانت، ١٩٦٧/٥/٢٢.

ثم طلب جولدبرج الاجتماع بأوثانت - يرافقه رالف بانش - وقال له: "إنه على ضوء التوتر في المنطقة، فقد طلب من الولايات المتحدة أن تعيد تأكيد التزامات أربعة من رؤسائها، سبق أن تعهدوا بها فيما يتعلق بحماية أى دول فى الشرق الأوسط ضد العدوان"، والمقصود هنا طبعاً إسرائيل، وهو ما تأكد بعد ذلك!

وأضاف جولدبرج.. "وأصلاً كان ذلك فى الإعلان الثلاثى ١٩٥٠، وأن الرؤساء ترومان وأيزنهاور وكينيدى وجونسون، كل منهم أعاد تأكيد هذا الالتزام داخل الأمم المتحدة أو خارجها؛ لمواجهة العدوان أو التهديد بالعدوان فى الشرق الأوسط".

وأخطر جولدبرج أوثانت: "أن الولايات المتحدة سوف تحافظ على هذا الالتزام، الذى يتضمن نتائج خطيرة!... وأن السياسة الأمريكية تنطبق على كل الحكومات"، وليس فقط إسرائيل. وفى الواقع فلم يكن لكلام جولدبرج إلا معنى واحد؛ تهديد الجمهورية العربية المتحدة أن الولايات المتحدة ستقف بجانب إسرائيل!

وفى نفس الوقت تحدث جولدبرج عن استمرار قوات الطوارئ الدولية فى مكانها السابق على الجانب المصرى من الحدود، ولم يذكر شيئاً عن وضع قوات الطوارئ على الجانب الاسرائيلى منها، بل إنه أوضح عدم موافقة الولايات المتحدة على ذلك!

وتدخل رالف بانش - الذى كان حاضراً فى المقابلة - قائلاً: إن ناصر سوف يقول إن تصرفات الجمهورية العربية المتحدة كانت رد فعل للتهديد الاسرائيلى بغزو سوريا. وطلب بانش أن يقول أوثانت: إن التزام الولايات المتحدة بمساندة الإجراءات المناسبة داخل الأمم المتحدة أو خارجها لمواجهة العدوان أو التهديد بالعدوان، ينطبق على سوريا واسرائيل<sup>(١)</sup>.

إذاً واضح من الحوار السابق الانحياز الشديد لاسرائيل من جانب كل من جولدبرج وبانش! وبعد أن فشل الأمريكان مع أوثانت، قال جونسون فى رسالته الى عبد الناصر فى ٢٢ مايو: "أنا لست مطلعاً على الخطوات التى سيقترحها الأمين العام أوثانت عليكم، ولكننى أحتكم على أن تضعوا نصب أعينكم الهدف الأسمى وهو تجنب الأعمال العدائية"<sup>(٢)</sup>!

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رسالة جونسون الى عبد الناصر، ١٩٦٧/٥/٢٢، مرجع سابق.



المقابلة.....

## ٥- بؤادر العءوان الاسرائىلى تظهر فى الأفق:

قرر مجلس الوزراء الاسرائىلى الذى عقد فى ٢٣ مايو ١٩٦٧، إرسال أبا إىبان الى واشنطن ولندن وباريس للنتشاور مع حلفاء اسرائيل التقلىييين، قبل أن تنفذ خطة العءوان العسكرى الاسرائىلى ضد مصر وسوريا والأردن.

وفى نفس اليوم، قام الاسرائىليون بتعبئة ٤٠ - ٥٠٪ من الجيش الاسرائىلى بعد حشد الجيش المصرى فى سيناء، كما طلب إشكول عقد اجتماع لمجلس الأمن القومى الاسرائىلى، وأعلن أن أى محاولة للتدخل فى الملاحة فى إيلا تبرى الحرب!

ومن هنا تتبأت المخابرات المركزية الأمريكية أن الحرب قد تتدلع فى أى وقت<sup>(١)</sup>. وكانوا يعلمون بإصرار اسرائيل على أن تضرب أولاً، فى اجتماع على بحيرة هارينجتون - مقر إجازات رئيس الوزراء بكندا - بين جونسون وليستر بيرسون فى ٢٥ مايو، قال روستو أثناء الحديث حول مدى التزامات الولايات المتحدة وكندا لاسرائيل فيما يتعلق بخليج العقبة: "إن اسرائيل قد دفعت بدمائها من أجل حقها فى المرور الحر فى الخليج، وحصلت على اعتراف مضمون من المجتمع الدولى بهذا الحق!"

أما وجهة النظر المصرية، فهى أن الخليج مياهه مغلقة لا يرد عليها حق المرور البرى بالنسبة لسفن اسرائيل، وشواطئ اسرائيل التى على جزء من الخليج هى نتيجة وجود فعلى وعسكرى بحت ولا يعد حدوداً إقليمية، كما أنه وجود يخالف اتفاقيات الهدنة وقرارات الأمم المتحدة<sup>(٢)</sup>. وقد أكد بيرسون - بناء على بيانات من رئيس اسرائيل الذى أنهى للتو زيارته لكندا، ومن خلال القنوات الدبلوماسية مع حكومة اسرائيل - أن الاسرائىليين مصررون على اللجوء الى الحرب، ولن يستسلموا لقفل خليج العقبة<sup>(٣)</sup>!

إذاً جونسون ووزراؤه ومساعدوه كانوا على علم أن اسرائيل مخططة للحرب منذ ٢٥ مايو ١٩٦٧، بل قبل ذلك بسنوات!

---

(١) Briefing Notes for Director of Central Intelligence Helmes for Use at a White House Meeting, Washington, May 23, 1967, The ME Crisis.

(٢) وزارة الخارجية المصرية، مذكرة عن الملاحة الاسرائيلية فى خليج العقبة، ٦٧/٥/٢٠، مرجع سابق.

(٣) Draft. Memo. by the Ambassador to Canada, Lake Harrington, Canada, May 25, 1967.

وفى نفس اليوم، ناقش جونسون مع مساعديه تقديرين للموقف.. الأول من مخابرات إسرائيل، والثانى من وكالة المخابرات المركزية (CIA). وكان أهم ما جاء فيهما، قلق الاسرائيليين، واعتقادهم أن احتفاظهم بالمبادرة بالحرب هو مفتاح الموقف، وأن القضية الأساسية بالنسبة للأمريكان هي ليست إسرائيل، ولكن ما إذا كان الشرق الأوسط سيسقط تحت السيطرة السوفيتية!

وفى الواقع، فإن الحاضرين فى هذا الاجتماع أدركوا على الفور أن تقدير الموقف الاسرائيلى هو مناورة؛ المقصود منها التأثير على الولايات المتحدة لى تمدهم بمزيد من الأسلحة، وتطبيق التزامات مفروضة عليها لاسرائيل، وتوافق على مبادرتها العسكرية، وتضع لمصلحتها مزيدا من الضغط على عبد الناصر!

وقد اتضح عدم اتفاق الأمريكان مع ما ورد فى التقرير الاسرائيلى من الناحية العسكرية؛ فالمخابرات الأمريكية ليست لديها أى معلومات عن سفن مصرية غادرت البحر الأحمر ودخلت البحر الأبيض كما ادعى الاسرائيليون! أما عن الترتيبات العسكرية التى قامت بها الجمهورية العربية المتحدة فى سيناء، فقد أكد الأمريكان أكثر من مرة أنها ذات طبيعة دفاعية!

ومن جانب آخر، اعتقد الأمريكان أن الجمهورية العربية المتحدة تتصرف فى هذه الأزمة لتضع ضغطا على اسرائيل، ولكنه لا يصل الى الهجوم على أراضيها. وكان رأيهم أن ناصر قد نجح فى استغلال الأزمة.

وفىما يتعلق بالخطوات التى اتخذتها الجيوش العربية فى ذلك الوقت، فكان الرأى الأمريكى أنها لا تثبت أن العرب ينوون أن يقوموا بهجوم شامل على اسرائيل! وأن ما يحدث هو مجرد إيماءات تشعر كل الدول العربية أنها مجبرة على القيام بها لمصلحة عقيدة الوحدة العربية، ولكن لها قيمة عسكرية قليلة فى الصراع مع اسرائيل<sup>(١)</sup>.

---

Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, May 25,1967, Appraisal of an Estimate (1)

### - المناورة الاسرائيلية والتمهيد للعدوان:

أهم عنصر فى حرب اسرائيل هذه ضد العرب، كان ضمان مساندة الولايات المتحدة لها عسكريا وسياسيا ومخابراتيا! وفى نفس الوقت، بدأت اسرائيل تشيع سلسلة من الأخبار وتنقلها للسياسيين الأمريكان والفرنسيين، بالإضافة الى تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الكاذبة والمضللة! وتصاعدت هذه الحملة الدبلوماسية والدعائية برسالة من إشكول الى جونسون فى ٢٥ مايو؛ أن الحكومة الاسرائيلية مقتنعة أن هجوما من جانب الجمهورية العربية المتحدة وسوريا أصبح وشيكا! بل "إن الاسرائيليين طلبوا من جولدبرج أن تصدر الولايات المتحدة بيانا فوريا؛ أن الهجوم على الاسرائيليين هو هجوم عليها!"

وأثناء مهمة أبا إيبان فى واشنطن قبل بدء العدوان المرصود ضد الدول العربية، كانت معه تعليمات من الحكومة الاسرائيلية بأن ينقل الى كبار المسؤولين الأمريكيين، "أن الهجوم على اسرائيل من جانب مصر وسوريا وشيكا، وأنه من المهم أن تعلن الولايات المتحدة حرصها على أن تتمسك بالتزاماتها، وأن تحرك القوات الأمريكية لمساندة اسرائيل!... وأن المصريين والسوريين لم يعودوا يهتمون بالعقبة، وإنما هم مستعدون للقيام بهجوم واسع ضد الوجود الاسرائيلي"<sup>(١)</sup>!

وفى مقابلة بين أبا إيبان وراسك، فى ٢٥ مايو، قال الأخير: "إن المعلومات المتاحة للولايات المتحدة، لا تؤيد الاعتقاد أن هجوما من الجمهورية العربية المتحدة وسوريا وشيكا! وقد تم فحص الأمثلة التى قدمها لهم رئيس المخابرات الاسرائيلية بدقة؛ بما فيها التقارير عن تحركات الفرقة المسلحة المصرية من اليمن، وتحرك السفن البحرية للجمهورية العربية المتحدة، وطبيعة التحركات فى سيناء... وأكدوا أنها دفاعية!"

وأضاف راسك، "أن الولايات المتحدة فى هذا الوقت تريد أن تعرف انطباعات الأمين العام عن رحلته فى الشرق الأوسط، وتعتقد أن الهجوم من جانب الجمهورية العربية المتحدة سيكون غير منطقي قبل تقديمه تقريره عن رحلته!"

وردا على طلبات الحكومة الاسرائيلية المستحيلة من وجهة النظر الأمريكية، قال راسك: "إن جونسون بصفة عامة يريد أن يفهم إيبان؛ أن الحكومة الأمريكية ليس لديها السلطة فى أن تصدر بيانا إيجابيا يقول: إن الهجوم عليكم هو هجوم علينا بدون الاشراف الكامل للكونجرس، ومثل هذا

الإعلان سيكون غير مناسب؛ بسبب المناقشات التي من الممكن أن يثيرها فيما يتعلق بسلطة إعلان الحرب بمقتضى الدستور!"

Tel. from the Embassy in Israel to the Dept. of State, Tel Aviv, May 25,1967. (١)

واستطرد راسك قائلاً لأبا إيبان: "إن جونسون يؤكد على أن الهجوم الاستباقي من جانب إسرائيل، سوف يسبب صعوبة شديدة للولايات المتحدة؛ فالمسئولية فيما يتعلق بالبدء بالعدوان هي مسألة مهمة بالنسبة للشعب الأمريكى".

رد إيبان: "أن الوضع فى داخل اسرائيل يشبه نهاية العالم apocalyptic، وهى لا تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك، خاصة ما إذا كانت المسألة.. الاستسلام أو الهجوم! ومن المهم أنه عندما يرجع الى تل اببيب، أن يقول شيئاً حقيقياً مادياً تم فعله بخصوص المضيق، وإذا لم يحدث ذلك فإن اسرائيل ستشعر بالوحدة!"

وأضاف إيبان: "إن التزام الولايات المتحدة لاسرائيل هو أهم التزام لدينا، ومن المهم أن تعترف الولايات المتحدة بهذا الالتزام"<sup>(١)</sup>.

وبناء على ما سبق، استدعى روستو سفير الجمهورية العربية المتحدة فى العاشرة مساء ٢٦ مايو لنقل الرسالة التالية الى عبد الناصر.. "يعتقد خصومكم أن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا تخططان لشن هجوم وشيك مباغت ما بين لحظة وأخرى، ونحن نعلم أن هذا الاحتمال غير وارد، ولا يسعنا أن نصدق أن حكومة الجمهورية العربية المتحدة يمكن أن يصل بها التهور الى هذا الحد! وإن مساراً كهذا سوف يفضى بكل وضوح الى أخطر العواقب المحتملة! ونحن مستمرين فى تقديم المشورة الى الحكومة الاسرائيلية بالتزام ضبط النفس"<sup>(٢)</sup>.

ومما يذكر أنه فى ذلك الوقت، قد تقرر خروج عائلات الموظفين الرسميين من سفارات الولايات المتحدة فى القاهرة وتل أبيب وعمان ودمشق.

وفى ٢٤ مايو كان قد وصل الى واشنطن وفد بريطانى برئاسة جورج تومسون - وزير الدولة - للتباحث مع الولايات المتحدة حول أزمة الشرق الأوسط، بناء على طلب المملكة المتحدة. وقد اشترك الجانبان فى الرأى حول خطورة أزمة الشرق الأوسط، واتفقا على الآتى..

(١) الإسراع بالقيام بعمل من خلال الأمم المتحدة، وخاصة فى مجلس الأمن الذى كان مجتمعاً فى ذلك الوقت؛ لضمان حرية المرور فى مضيق تيران وخليج العقبة. وقد اتفق الجانبان

على أنه إذا اعترف الاتحاد السوفيتي بذلك، فإن مبدأ حرية المرور ستوافق عليه الأمم المتحدة. أما في حالة فيتو سوفيتي، فإن استخدام القوة بواسطة الدول البحرية سوف يلقى مساندة دولية واسعة.

Memo. of Conversation, Washington, May 25, 1967, Rusk- Abba Eban. (١)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UAR, Washington, May 26, 1967. (٢)

(٢) اتصال كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بعواصم الدول البحرية للحصول على المساندة لإصدار إعلان توقعه عدة دول؛ يؤكد على حرية المرور في مضيق تيران، على أن يتم هذا العمل في نفس الوقت مع العمل في الأمم المتحدة.

أما الدول التي تقرر الاتصال بها فهي تتضمن؛ الدانمرك، النرويج، السويد، هولندا، بلجيكا، إيطاليا، اليونان، فرنسا، بنما، ليبيريا، اليابان، كندا، أستراليا، نيوزيلندا، البرتغال، تركيا، هوندوراس، الأرجنتين، البرازيل، الفلبين، الحبشة، إسبانيا.

(٣) يقوم المستشارون العسكريون البريطانيون والأمريكان، ببحث إمكانيات وأساليب الأعمال العسكرية الضرورية؛ لتحقيق حرية المرور في مضيق تيران وخليج العقبة. وهي تشمل قوة صغيرة أمريكية - بريطانية ترافق السفن التجارية في مضيق تيران، وقوة أخرى تغطيها؛ تتكون من حاملة الطائرات البريطانية "هرميس" والسفن المرافقة لها، وقوة ردع في شرق البحر المتوسط من الأسطول السادس الأمريكي، كما تشمل حاملة الطائرات المهاجمة "فيكتوربوس" والقوة البريطانية القادمة من قبرص؛ على أن تكون كل هذه القوات تحت القيادة الأمريكية<sup>(١)</sup>!

إذاً هي ليست مواجهة بين العرب وإسرائيل فقط، وإنما أيضاً هو تصد لتحالف عسكري سياسى أمريكى وبريطانى؛ يبذل كل الضغوط لإقناع أهم الدول البحرية في العالم بالانضمام له لفتح خليج العقبة بالقوة!

وقد شككت إسرائيل في إمكانية الدول البحرية أن تبقى الخليج مفتوحاً، وأكدت للولايات المتحدة أنها تستطيع أن تفتح المضيق بسهولة ومن دون أية مخاطرة، وأن ذلك سيتطلب فقط مراقبة بعض سفن الولايات المتحدة للسفن الإسرائيلية!

وذكر إيبان أن الوزارة الإسرائيلية اجتمعت قبل سفره الى الولايات المتحدة، واتخذت قراراً بالحرب وعدم الاستسلام لغلق خليج العقبة، وعلق قائلاً: "إن إسرائيل لن تعيش على رئة واحدة!" وادعى إيبان أنها قد أخرجت الهجوم بسبب الحاح جونسون؛ أن هناك بديلاً لفتح الخليج بالقوة، وطرح البديل الأمريكى بفتح الخليج بالقوة مع الدول البحرية.

وإمعانا فى الضغط على الولايات المتحدة، حاول إيبان إقناعها بأنه إذا قامت الولايات المتحدة بذلك من جانب واحد فإن دولا أخرى ستتضم! وستكون العقبة اختبارا لما إذا كانت الولايات المتحدة ستحافظ على التزاماتها لاسرائيل!

---

(1) Paper Prepared in the Dept. of state, Washington, May 26, 1967, UK – US Talks on the ME.

وتساءل إيبان عما إذا كانت الولايات المتحدة تستطيع أن تستمر فى فیتنام وتلبى التزاماتها فى الشرق الأوسط! فأجاب ماكنمارا.. أنهم يستطيعون ذلك من دون شك. وركز إيبان أثناء التباحث مع المسئولين السياسيين والعسكريين الأمريكيين، على "نغمة" التزامات الولايات المتحدة تجاه اسرائيل! وذكر بموقف دالاس ردا على أسئلة إيبان فى أول مارس عام ١٩٥٧، الذى تم فيه فتح الملاحة فى خليج العقبة بعد العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦. وكان رأى الولايات المتحدة، أن ورقة العمل الاسرائيلية فى هذا الشأن التى قدمت للأمريكان ليس لها صفة الوثيقة؛ فهى من دون توقيع أو تاريخ، ولا يوجد لها أى تسجيل فى الخارجية الأمريكية يوضح قبولها كمذكرة تفاهم!

وفى النهاية تراجع إيبان عن هذه المذكرة التى عرضها من قبل، ثم تراجع أيضا عن كلامه عن "هجوم عربى مفاجئ وشيك"، بعد أن أثبتت المخابرات الأمريكية أنها مجرد مناورة اسرائيلية المقصود منها الضغط على الولايات المتحدة للاشتراك مع اسرائيل فى عدوانها على العرب! وقد قال ماكنمارا فى اجتماعه مع جونسون فى ٢٦ مايو بعد مراجعة وثائق ١٩٥٧: إنه علم أن إيبان كان يتجاهل بيانا على لسان دالاس فى المؤتمر الصحفى فى ١٩ فبراير ١٩٥٧، قال فيه: "إنه لن يفكر أن الولايات المتحدة لها الحق فى استخدام القوة لحماية السفن التى تحمل أعلاما أخرى! إن ذلك سوف يتطلب قرارا من الكونجرس".

وبالنسبة لتقدير الموقف العربى، فكان رأى الأمريكان أنه يوجد مجهود كبير من جانب السوفييت لتحويل هذه الأزمة الى مواجهة بين الولايات المتحدة والعرب! وأن النظم فى السعودية والأردن ولبنان ستضعف فى هذه الأزمة. وكلما اقتربت الولايات المتحدة من اسرائيل، كلما أصبح الأمر أصعب بالنسبة للعرب المعتدلين أن يكونوا بعيدين عن عبد الناصر؛ إنهم لا يستطيعون أن يبعدوا عن الحرب المقدسة ضد اسرائيل<sup>(١)</sup>.

وقد فوجئ الأمريكان بكلام وزير البترول السعودي أحمد زكي يمانى الذى أبلغ بروجام - نائب رئيس شركة أرامكو فى بيروت - أنه لا يوافق على موقف الولايات المتحدة نحو خليج العقبة، كما أوصى أن تبتعد عن الأزمة وتعمل من خلال الأمم المتحدة. وكان موقف الحكومة السعودية - كما أبلغته للولايات المتحدة - هو عدم الموافقة على أن خليج العقبة كان ممرا دوليا، وإنما هو مياه عربية والعرب كان لهم الحق فى غلقه.

---

Memo. for the Record, Washington, May 26, 1967, Meeting on the Arab - Israeli Crisis. (١)

وقال اليمانى: إذا ساندت الولايات المتحدة اسرائيل مباشرة فيتوقع أن تؤمم شركة أرامكو للبترول! فإذا لم تظل الولايات المتحدة خارج هذا الصراع فإنها ستنتهى فى الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>!

ومن جانب آخر كانت هناك محاولة للتراجع من جانب الولايات المتحدة، فقد كان رأى مكنمارا: "أن اسرائيل يجب أن تدرك أن هجوما اسرائيليا تحت هذه الظروف سيكون له أخطر العواقب! إننا لا يمكن أن نتعهد بمساندة اسرائيل إذا بدأت هجوما<sup>(٢)</sup>، ولن تكون الولايات المتحدة مسئولة إذا هجمت اسرائيل منفردة من دون علمها!" وحدد كلامه أكثر قائلا لإيوان: "إن الاسرائيليين سوف يقفون وحدهم إذا بدأوا الهجوم<sup>(٣)</sup>، ولكن الحقائق أثبتت عكس ذلك كما سنرى!

فبالإضافة الى التآمر الأمريكى مع المملكة المتحدة لفتح خليج العقبة بالقوة، واستخدام نفوذهما الدولى فى ضم دول أخرى إليهما والاتصال بالاتحاد السوفيتى لتحييده، وبذل جهود فى الكونجرس للحصول على موافقة على العدوان طبقا للدستور؛ فقد أوصى راسك فى ٢٢ مايو بالموافقة بأسرع ما يكون على صفقة معونة عسكرية واقتصادية لاسرائيل - ١٦ مليون دولار - على أن تظل سرا حتى لا تفقد الولايات المتحدة العرب!

وقد وافق جونسون على مد اسرائيل بمعدات وقطع غيار عسكرية، ومساعدة خاصة تعطىها اسرائيل لإفريقيا أيضا على ألا يعلن شيئا<sup>(٤)</sup>!

هذا بالرغم من قول راسك: "إننا نحاول أن نكون قريبين من اسرائيل بقدر الإمكان على ألا نفقد العرب". ولكن الحوادث أثبتت بعد ذلك الانحياز الأمريكى الكامل لاسرائيل!



لم تكثف الولايات المتحدة بالمعونة الاقتصادية والعسكرية، وإنما انفتحت مع الاسرائيليين على تبادل معلومات المخابرات؛ بما يتضمنه ذلك من زوال السرية بين البلدين، وتدفق المعلومات من الجانب الأمريكى الأكثر تقدماً إلكترونياً! وبعبارة أخرى تأمر كامل على العرب!

(١) Memo. for the Record, Washington, May 24, 1967, Conversation with ARMCO Representative.

(٢) Memo. of Conversation, Washington, May 26, 1967, Dangers of Arab – Israeli War.

(٣) Memo. for the Record, May 26, 1967, Meeting on the Arab – Israeli Crisis, Op. Cit.

(٤) Memo. from Rostow to P. Johnson, Washington, May 23, 1967, Israeli Aid Package.

وطبقاً لذلك، فقد قررت الولايات المتحدة أن الموقف يحتاج إعلان حالة الاستعداد فى الاتصالات؛ ولذلك فقد تم تحويل مسار المركب الأمريكى "ليبرتى" لتتجه الى شرق البحر المتوسط، ومرت بأبيدجان وإسبانيا لتأخذ مزيداً من المعدات والأفراد! وكانت تتضمن معدات عالية الكفاءة وقدرات وإمكانيات كبيرة، وتستطيع أن تظل فى الموقع المختار لفترات طويلة<sup>(١)</sup>.

وفى نفس الوقت فى اجتماع بين راسك ومكنمار، اتفقا على التوصية لجونسون بإرسال حاملة الطائرات "انتربيد" لتعبر قناة السويس الى البحر المتوسط، وكان المفروض أن تأخذ مركزاً خارج فينتام؛ حتى إذا تم الاحتياج إليها فيما يتعلق بأزمة خليج العقبة تكون قريبة من اسرائيل! وقد أكد الوزيران الأمريكيان أنهما لا يتوقعان أن يرفض ناصر مرورها فى القناة<sup>(٢)</sup>.

وكانت المخابرات المركزية الأمريكية (CIA)، قد قدمت تقريراً عن الإمكانات العسكرية العربية والاسرائيلية<sup>(٣)</sup>؛ حتى يتم على ضوءه حساب الالتزام العسكرى الذى ألح فى طلبه الاسرائيليون بكل الطرق!

وعموماً فإن السياسيين الاسرائيليين طالما صرحوا فى السر والعلن أنهم لا يؤمنون بالأمم المتحدة، ويعتقدون أن أى تصرف للجمعية العامة - بتشكيلها فى ذلك الوقت الذى يختلف عن ما بعد حرب السويس - سيكون ضد اسرائيل! بل وإنهم انتقدوا أوثانت واتهموه بأنه منحاز ضدهم لأنه أسرع بسحب قوات الطوارئ الدولية وأيضاً فى إعداد تقريره، وذلك صورته اسرائيل على أنه فى مصلحة الجمهورية العربية المتحدة والعرب!

وبالنسبة للتساؤل عن التنبؤ بالهجوم، وتساؤل جونسون.. "هل المملكة المتحدة لها مصلحة

كافية أن تقف معنا كالرجال"؟!

كانت الاجابة، أن الولايات المتحدة لا تتوقع أن تثق اسرائيل فى تأكيدات ناصر ليوثانت بأن الجمهورية العربية المتحدة لن تقوم بهجوم استباقى، ولا أنها تريد أن تعيد اتفاقيات الهدنة العامة. كما أن اسرائيل إذا لم تتأكد أن الأمريكان سيساندونها فإنها ستهاجم! ومن جانب آخر، ساد فى هذا الاجتماع بين راسك ومكنمارا جوا عدائيا ضد العرب وضد عبد الناصر؛ فقول مثلا: "إذا نجح ناصر فى غلق الخليج سيكون قد كسب نصرا كبيرا! إننا يجب أن نرد على ناصر ويجب أن نضعه فى وضع؛ إما أن يأخذ موقفا واضحا ضد حرية الملاحة أو يتراجع!"

(١) Tel. from the Director of the National Security Agency Caster to the Joint Chiefs of Staff, Washington, May 26, 1967.

(٢) Tel. from Rostow to P. Johnson in Texas, Washington, May 29, 1967.

(٣) Memo. Prepared in the CIA, Washington, May 23, 1967, Op.Cit.

وانتهى جونسون قائلا: "إن إيبان لن يحصل على كل ما يريده، ولدينا إجماع فى الكونجرس على اللجوء الى الأمم المتحدة، واقتراح الدول البحرية"<sup>(١)</sup>. من هذا المنطلق صدر تصريح أمريكى فى ٢٦ مايو، بالآتى.. "تتبع الولايات المتحدة بصفة أساسية الإجراءات الدستورية فيما يخص أى إجراء تتخذه حيال المسائل المتعلقة بالحرب والسلام. ولم يبلغ الأمين العام للأمم المتحدة بعد ولم يشر مجلس الأمن بعد، الى ما يمكنه أو لا يمكنه القيام به أو بما هو مستعد لاتخاذها من إجراءات، رغم أن الولايات المتحدة ستستمر فى الضغط من أجل اتخاذ اجراء فورى فى إطار الأمم المتحدة. وقد سبق الاعلان خلال الأسبوع الجارى عن وجهات نظرنا بشأن سلامة اسرائيل ومضيق تيران. وأما فيما يتعلق بالمضيق، فنحن ننوى متابعة التدابير التى يمكن للدول البحرية اتخاذها للتأكد من بقاء المضيق والخليج مفتوحين لمرور السفن التابعة لجميع الدول. وينبغى التشديد على ضرورة ألا تكون اسرائيل هى المسئولة عن بدء الأعمال العدائية، ولن تكون اسرائيل بمفردها إلا إذا قررت أن تسلك هذا المسار وحدها، ولا نتصور أنها سوف تتخذ هذا القرار"<sup>(٢)</sup>!

وفى نفس اليوم - ٢٦ مايو - أبلغ الملحق الحربى الأمريكى فى تل أبيب حكومته، "أن من المؤكد أن اسرائيل تقترب من اتخاذ قرار للقيام بهجوم استباقى"<sup>(٣)</sup>.

وعلى هذا الأساس تمت مراجعة كل معلومات المخابرات الأمريكية بخصوص احتمالات العدوان فى الشرق الأوسط، وتم التوصل مرة أخرى الى أن الأمريكيين لا يعتقدون فى الادعاء الاسرائيلى أن مصر تعد لهجوم ضد اسرائيل! ولكن قلق الاسرائيليين من تدهور مركزهم الاستراتيجى قد يقود الى قرار بالهجوم أو الردع؛ نتيجة لأسباب غير غلق الخليج أو الأموات من الاسرائيليين بسبب أعمال الفدائيين العرب<sup>(٤)</sup>!

Memo. for the Record, May 26, 1967, Op.Cit. (١)

(٢) التصريح الأمريكى بشأن حرية المرور فى خليج العقبة، ١٩٦٧/٥/٢٦.

Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, May 26, 1967. (٣) Special

Report of the Watch Committee , Washington, May 26, 1967. (٤)

وعندما اجتمع جونسون مع إيبان قال الأخير: "إن اجتماع الوزارة الاسرائيلية فى ٢٣ مايو هام جدا"، واستطرد.. "إنه لم تأت لحظة مثل هذه فى التاريخ الاسرائيلى"! ومضى فى شرح أهمية خليج العقبة اقتصاديا وسياسيا. واستعرض أمام جونسون مناقشته مع ديجول، الذى قال: "إن كل شئ يجب بحثه بين فرنسا والاتحاد السوفيتى". وعلق إيبان أنه ليس لديه أى توقع لمساندة فرنسية، على الرغم من أن الفرنسيين فى الأيام القليلة الماضية ساعدوهم بالنسبة للقوات المسلحة! "فقد فتحت فرنسا كل أسلحتها لاسرائيل"<sup>(١)</sup>!

استمرت اسرائيل فى تظاهرها بالاقلاع عن المبادرة بالهجوم على مصر وسوريا، وبدأت اسرائيل تتظاهر بأنها قبلت نصيحة الولايات المتحدة فيما يتعلق بضبط النفس، وركزت على ما قاله الجنرال هويلر قائد القوات الأمريكية: "إنه حتى إذا بادرت الجمهورية العربية المتحدة بالهجوم أولا على مطارات اسرائيل، فإنها ستكسب أى حرب!"

بل إن جونسون أرسل الى عبد الناصر يخبره بشائعة أعدائه "أن الجمهورية العربية المتحدة وسوريا تخططان لشن هجوم وشيك مباغت بين لحظة وأخرى"، ودعا الى ضبط النفس<sup>(٢)</sup>!

وفى نفس الوقت، قام جونسون بالتشاور مع قادة الكونجرس تمهيدا لاحتمال اتجاهه الى استخدام القوة. وبدأ مكنمارا يفكر فى كيفية التصاعد فى فتح المضائق بالقوة على

درجات، وتوفير قوة كبيرة فى البحر الأحمر باستخدام الأسطول البريطانى حتى لا تعتمد الولايات المتحدة كثيرا على الأسطول السادس<sup>(٣)</sup>.

وركز الاسرائيليون على التخطيط المشترك مع الولايات المتحدة، وتبادل معلومات المخابرات، وإبلاغها أن الوقت الذى تستطيع أن تنتظره قبل الهجوم من ١٠ - ١٥ يوما! وبررت ذلك مبالغة، "بأن تحركات ناصر تصل الى الإعلان عن تدمير اسرائيل"<sup>(٤)</sup>! ومنذ بداية الأزمة، والعسكريون الاسرائيليون يضغطون بشدة ليتولوا السلطة؛ حتى يقوموا بهجوم استباقى على الدول العربية.

Memo. of Conversation, Washington, May 26, 1967. (١)

(٢) رسالة جونسون الى عبد الناصر، ٢٦/٥/١٩٦٧.

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in the UK, Washington, May 29, 1967. (٣)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel, Washington, May 29, 1967. (٤)

## ٦- موقف عبد الناصر وسط التهديدات باستخدام القوة:

تحدث عبد الناصر فى كلمته أمام أعضاء اتحاد نقابات العمال العرب فى ٢٦ مايو ١٩٦٧ عن التهديد الاسرائيلى لسوريا، والالتحام بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة فى مواجهة اسرائيل. وأثار ما كان يقال فى السنين الماضية، "ناس كثير كانوا يعايرونا بقوة الطوارئ الدولية!... وقلت فى وقت من الأوقات: إننا فى نصف ساعة نقدر نقول لقوات الطوارئ الدولية هذه أن تمشى..."

وبالنسبة لشرم الشيخ، نحن أيضا هوجمنا من هذه الناحية من بعض العرب؛ شرم الشيخ معناها فعلا مواجهة مع اسرائيل، معناها - اتحاذ هذه الخطوة - لابد أن نكون على استعداد لأن ندخل حربا شاملة مع اسرائيل... وكان لابد أن نحسب بحيث إننا يوم ما نكون قادرين على هذا، بنروح شرم الشيخ وفعلا نثبت حقوقنا".

وأعلن عبد الناصر، أنه لديه تفويض من اللجنة التنفيذية العليا أن ينفذ هذا حسب الوقت المناسب، وكان الوقت المناسب هو تهديد سوريا بالعدوان. ثم قال: "ونحن فعلا استكشفتنا وأرسلنا طائراتنا الى داخل اسرائيل، لم يكن أمامنا ولا لواء، كل الألوية الاسرائيلية كانت موجودة أمام سوريا. اليوم كلهم موجودون أمام مصر ماعدا ٤ ألوية اسرائيلية موجودة أمام سوريا!"

وكان عبد الناصر مدركا دائما أن "المشكلة ليست فقط اسرائيل، ولكن من هم وراء اسرائيل... النقطة اليوم أن لا بد أن ينكشف لنا - للعالم العربي ولكل الناس - من هي اسرائيل؛ اليوم اسرائيل هي أمريكا!... الدول الغربية تأخذ وجهة نظر اسرائيل... فرنسا بسبب شخصية الجنرال ديغول... لم يأخذ الخط الأمريكى، لم يأخذ الخط البريطانى ولم يتحيز بالنسبة لاسرائيل...

إن خليج العقبة كان مقفولا قبل سنة ٥٦، وكنا نفتش المراكب الإنجليزى والأمريكاني والفرنساوى، وكل المراكب كانت تفتش. وبعد العدوان الثلاثى جاءت قوات الطوارئ... بقرار من الأمم المتحدة؛ من أجل انسحاب إنجلترا وفرنسا واسرائيل. اليهود يقولون: إنهم فتحوا الملاحة، أنا أقول: إنهم فى هذا كاذبون وصدقوا كذبهم! لقد انسحبنا [من سيناء] لأن الإنجليز والفرنساويين هجموا علينا، وهذه المعركة لم تكن أبدا بيننا وبين اسرائيل!"

وأضاف عبد الناصر: "من الواضح أن أمريكا هي عدو العرب لأنها تتحاز الى اسرائيل انحيازا كاملا، ومن الواضح أن بريطانيا هي عدو للعرب لأنها تتحاز الى اسرائيل انحيازا كاملا. وعلى هذا الأساس يجب أن نعامل أعداءنا أو من يأخذون جانب أعدائنا على أنهم أعداء حقيقيون لنا..."

الموضوع ليس قانون دولى، لماذا هذه الضجة كلها التى حدثت لأن اتقفل خليج العقبة؟! ويوم ما وقف إشكول وهدد سوريا ورايين وهدد سوريا، لم يتكلم أحد عن السلام ولا تهديد السلام!... حينما تهدد اسرائيل سوريا يسكتون ويكون الكلام مقبولا، وحينما نباشر نحن حقنا الشرعى.. حقنا الذى كنا نباشره دائما؛ تتقلب الدنيا كلها، ويقال: إن السلام مهدد ويهددوننا بالحرب"<sup>(١)</sup>!

لقد كان غلق مضيق العقبة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة هو بمثابة تغيير للأمر الواقع الذى قد فرضه الغزو العسكرى البريطانى - الفرنسى فى ١٩٥٦، وليس جيش اسرائيل. ومع تصاعد الموقف فى المنطقة، اتضح أنه لا مفر من صدام مسلح بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل<sup>(٢)</sup>.

وأمام الصحافة العالمية قال عبد الناصر فى ٢٨ مايو ١٩٦٧: "إن المشكلة التى نعيش فيها الآن جميعا ونهتم بها - ساسة وصحافيين وجماهير - ليست مشكلة مضايق تيران وليست مشكلة سحب قوات الطوارئ؛ هذه كلها عوارض طارئة لمشكلة أكبر وأخطر؛ تلك هي مشكلة العدوان الذى وقع ومايزال وقوعه باستمرار على وطن من أوطان شعوب الأمة العربية فى فلسطين، وما يعنيه ذلك من تهديد قائم باستمرار ضد أوطانها جميعا.. هذه هي المشكلة الأصلية".

ثم شرح موقفه من قضية مضايق تيران وسحب قوات الطوارئ الدولية، فقال: "مضايق تيران مياه إقليمية مصرية، ولقد طبقنا عليها حقوق السيادة المصرية، ولن نستطيع قوة من القوى مهما بلغ

جبروتها... أن تمس حقوق السيادة المصرية أو تدور حولها. وأن محاولة من هذا النوع سوف تكون عدوانا على الشعب المصرى وعدوانا على الأمة العربية كلها، وسوف تلحق بالمعتدين أضرارا لا يتصورونها.

وموضوع سحب قوات الطوارئ هو الآخر أمر لا خلاف عليه، فلقد جاءت هذه القوة الى أرضنا فى ظروف المؤامرة الثلاثية... وبموافقتنا، وشرط بقائها معلق بهذه الموافقة. ولقد سحبنا هذه الموافقة، واستجاب السكرتير العام للأمم المتحدة بأمانة ونزاهة وشرف لطلبنا، انتهى أمر هذه القوات ولم يعد مفتوحا لأى حديث.

---

(١) خطاب عبد الناصر فى أعضاء المجلس المركزى لاتحاد نقابات العمال العرب، ٢٦ مايو ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ٢٠٨ - ٢١٣، مرجع سابق.

(٢) هيكل، "الصدام مع اسرائيل محتم.. لماذا؟"، ١٩٦٧/٥/٢٦، مرجع سابق.

والظروف التى طلبنا فيها سحب قوات الطوارئ معروفة هى الأخرى لكم جميعا، فلقد كان هناك تهديدا لسوريا وكانت هناك خطة لغزوها، وكانت هناك تدابيرا للتنفيذ وموعد محدد يبدأ فيه هذا التنفيذ، بينما أصوات المسئولين فى اسرائيل ترتفع صراحة مطالبة بالزحف على دمشق! ولم يكن فى استطاعتنا أن نسكت على تهديد سوريا أو غزوها، أو بالنسبة لأى وطن عربى. وهكذا كان لابد أن نتقدم القوات المسلحة للجمهورية العربية المتحدة الى المواقع التى تستطيع فيها أن تصل، ويكون عملها مؤثرا فى ردع العدوان".

وعلق عبد الناصر على ذلك قائلا: "نحن لا نعتبر أنه يمكن لأى منصف أن يسمى أى تصرف قمنا به فى الأسبوعين الأخيرين عدوانا أو يجد فيه شبهة للعدوان. لقد ذهبت قواتنا الى سيناء لتردع العدوان، ولقد طبقنا على مضايق تيران حقوق السيادة المصرية، وأى تعرض لهذه الحقوق يكون هو نفسه العدوان.

خليج العقبة هو أرض مصرية، الخليج كله عرضه أقل من ثلاثة أميال، موجود بين ساحل سيناء وجزيرة تيران...

فى سنة ٥٦ حدثت حرب السويس، وصدر أمر يوم ٣١ أكتوبر بإخلاء سيناء والانسحاب منها لمواجهة العدوان البريطانى - الفرنسى. وعلى هذا الأساس سُحبت قواتنا كلها من سيناء، ورجعنا قواتنا الأسبوع الماضى. هل إذا عدنا نترك حقنا لا نباشره؟! نترك مياها الإقليمية لا نباشر السيادة عليها؟! نحن عدنا، حقنا سنباشره...

إن المرور فى خليج العقبة فى مياهنا الإقليمية يعتبر اختراقاً لسيادتنا، وهو عمل عدوانى موجه لنا سنقاومه بكل قوة. وأعتقد أن الولايات المتحدة إذا تدخلت فى سيادتنا، سنقاوم هذا التدخل أيضاً بكل قوة".

وقال عبد الناصر إجابة على أحد أسئلة الصحفيين حول الأسس القانونية التى تستند إليها الجمهورية العربية المتحدة فى هذا الموقف: "بعض البلاد ترى أن يكون خليج العقبة حراً للملاحة الدولية، ويبنون وجهة نظرهم على أساس الاتفاقات الدولية، أنا أقول: لا توجد اتفاقات دولية، كيف تكون هناك اتفاقات دولية بخصوص مياهنا الإقليمية؟! هذا الخليج كان مقفولاً باستمرار أمام السفن الاسرائيلية حتى عدوان السويس...".

إذاً مياهنا الإقليمية، عندنا نقطتين نستند عليهما.. النقطة الأولى: أن اتفاقية الهدنة بيننا وبين اسرائيل التى تمت فى سنة ١٩٤٩؛ تنص على أن لا أحد يستخدم المياه الإقليمية للآخر، وكان معروف أن هذا الخليج مياه إقليمية مصرية. إذاً لا يحق لاسرائيل أن تستخدم المياه الإقليمية المصرية...".

[حظر] المواد الاستراتيجية، كانت هذه القاعدة مطبقة أيضا قبل سنة ١٩٥٦، وتوجد قوانين مصرية تنص بالتفصيل على ما هي المواد الاستراتيجية".  
وأشاد عبد الناصر بموقف الدول التي وقفت مع الجمهورية العربية المتحدة؛ مثل الاتحاد السوفيتي والدول الآسيوية الإفريقية، ووصف موقف الجنرال ديغول "بأنه نزيها تقدره الأمة العربية؛ لأنه موقف غير متحيز لم يأخذ جانب إسرائيل ولم يأخذ جانب العرب.. لم يتحيز، وكان في هذا يعبر عن العمل في السياسة الدولية للدول الكبرى، نحن نريد من الدول الكبرى ألا تتحيز".  
أما الدول التي ساندت إسرائيل، ففي المقدمة الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وكندا، وهنا قال عبد الناصر: "من الطبيعي أن إرسال وحدات من رجال البحرية الأمريكية الى إسرائيل لحمايتها إذا اعتدت علينا موجه لنا وللأمة العربية... لا توجد مشاكل بيننا مباشرة مع الولايات المتحدة... المشكلة الأساسية هي إسرائيل<sup>(١)</sup>!"

وفي نفس اليوم - ٢٨ مايو - وافق مجلس الأمة المصري بالإجماع على اقتراح بقانون من مادة واحدة: "يفوض رئيس الجمهورية في إصدار قرارات لها قوة القانون في جميع الموضوعات التي تتصل بأمن الدولة وسلامتها، وتعبئة كل إمكانياتها البشرية والمادية، ودعم المجهود الحربي والاقتصادي الوطني بصفة عامة، في كل ما يراه ضروريا في هذه الظروف الاستثنائية".  
وعلق عبد الناصر على هذا التفويض قائلا: "لم أطلبه منكم، وأعدكم أنني لن أستخدمه إلا إذا كانت هناك ضرورة ماسة أو ملحة، ولكن سأرسل لكم كل القوانين".

ثم قال: "إن الفورة العربية والثورة العربية وهياج الجماهير العربية الذي نراه اليوم في كل بلد عربي وفي كل مكان، ليس فقط لأننا عدنا الى خليج العقبة أو لأننا تخلصنا من قوات الطوارئ الدولية، لا.. إنه من أجل عودة الشرف العربي ومن أجل عودة الأمل العربي"<sup>(٢)</sup>.

أمام موقف عبد الناصر الثابت في مواجهة كل التهديدات باستخدام القوة؛ سواء من جانب إسرائيل أو الولايات المتحدة وحليفاتها المملكة المتحدة، بدأ التساؤل في الولايات المتحدة.. كيف نجعل عبد الناصر يتنازل عن كلمته؟! وكل ذلك خوفا من مواجهة قضايا مثل: إلغاء عقود البترول، وقفل قناة السويس<sup>(٣)</sup>.

(١) حديث عبد الناصر الى ممثلي أجهزة الاعلام العالمية في المؤتمر الصحفي بالقاهرة، ١٩٦٧/٥/٢٨، خطب عبد الناصر، ج١، ص ٢١٤ - ٢٤٩، مرجع سابق.

(٢) كلمة عبد الناصر أمام أعضاء مجلس الأمة الذين ذهبوا اليه في القصر الجمهوري بالعقبة، ١٩٦٧/٥/٢٩، المرجع السابق، ص ٢٥٠ - ٢٥٤.

(٣) Tel. From Rostow to P. Johnson in Texas, Washington, May 29, 1967.

٧- ردود الفعل العالمية والعربية بعد قرار عبد الناصر بقفل خليج العقبة:



## أ- تأييد عربي وعالمي واسع لعبد الناصر:

بعد قفل خليج العقبة والرجوع الى الوضع الذي كان عليه قبل العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦، حدثت اتصالات مع عبد الناصر من جانب الدول العربية؛ فحضر الى الجمهورية العربية المتحدة وفدا عراقيا برئاسة الفريق طاهر يحيى - نائب رئيس الوزراء - ووفدا سوريا برئاسة يوسف زعين - رئيس الوزراء - وصباح الأحمد الجابر وزير خارجية الكويت.

وتوالى التأييد العربى لموقف الجمهورية العربية المتحدة فى هذه الأزمة؛ فأيد مجلس الوزراء السورى قرار القاهرة، كما قابل عبد الناصر العقيد الزبيرى - رئيس أركان الجيش الجزائرى - الذى سلمه رسالة من الرئيس بومدين. وحضر الى القاهرة أحمد بلافريج - الممثل الشخصى للحسن الثانى - الذى سلمه رسالة من ملك المغرب.

وقد سلم وزير خارجية اليمن - محمد سلام - رسالة الى عبد الناصر من عبد الله السلال. كما تلقى عبد الناصر رسالة من الأمير عبد الله المبارك الصباح؛ يعلن فيها تبرعه بمليون دولار للقوات المسلحة المصرية، كما وصلت طلائع قوات جيش الكويت الى إحدى القواعد الجوية المصرية. واستقبل عبد الناصر وفدا سودانيا يحمل رسالة من إسماعيل الأزهرى - رئيس مجلس السيادة - وكذلك من محمد أحمد محجوب - رئيس الوزراء - يعرضان إرسال قوات سودانية مسلحة. كما حضر الى القاهرة وزير خارجية موريتانيا وقابل عبد الناصر.

وتبادل عبد الناصر الرسائل مع رؤساء الدول الإفريقية والآسيوية ودول أوروبا الشرقية ودول أمريكا اللاتينية؛ الذين أبدوا الجمهورية العربية المتحدة فى هذه الخطوة لاسترداد حقوقها على خليج العقبة، ومن أقرب هذه الدول الى مصر الاتحاد السوفيتى والصين ويوغوسلافيا<sup>(١)</sup>.

ولقد أعلنت الحكومة السوفيتية تأييدها الكامل للدول العربية، وحذرت أن أى عدوان عليها سيلقى مقاومة منها.

إذاً أصبح الموقف كالاتى: اسرائيل تؤيدها الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وكندا وعدد من الدول الغربية، فى مواجهة الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن بالدرجة الأولى، ثم باقى الدول العربية التى عبأت جماهيرها بقرب المواجهة العربية الاسرائيلية، وتلقت التأييد من جانب الاتحاد السوفيتى وحلفائه.

---

Report on the Talks of Josif Tito with the UAR Ambassador Abuzeid in Vanga, May 30, (١) 1967.

ولكن الكفة هنا ترجح لمصلحة اسرائيل، لأن الولايات المتحدة - كما اتضح مما سبق - كانت تعامل اسرائيل معاملة خاصة؛ من حيث الإمداد بالسلاح والصواريخ، والمساندة العسكرية من الأسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط، بالتعاون مع وحدات الأسطول الأمريكى فى البحر الأحمر، هذا بالإضافة الى الشراكة الكاملة فى مجال المعلومات والمخابرات!

### ب- الملك حسين يصل الى القاهرة:

وفى صباح يوم ٣٠ مايو، وصلت طائرة حربية أردنية يقودها الملك حسين بنفسه الى مطار القاعدة الجوية بالمأظفة فى القاهرة، وكان عبد الناصر فى استقباله، وبدأت على الفور جلسة مباحثات.

وفى الواقع فإن هذه الزيارة كانت مفاجأة للجميع، فقد ساءت العلاقات بين القاهرة وعمان لسنوات منذ قيام الثورة اليمنية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢؛ حيث أيد الأردن وساند المملكة العربية السعودية فى موقفها المعادى لهذه الثورة، بل ساعد الملك حسين الملك سعود ثم فيصل عسكرياً ضد القوات المصرية، التى ذهبت الى أرض اليمن لحماية لثورته بناء على طلب قادتها. وعموما استهل عبد الناصر لقاءه بالملك حسين بعتاب..

عبد الناصر: لقد وصلنا الى قطيعة كاملة بعد أن أخذت الأردن خط الملك فيصل المبنى على أيديولوجية الإسلام، والحرب السافرة بيننا بسبب فيصل وموضوع اليمن، ثم الدعاية ضد الجمهورية العربية المتحدة. هل تقبل حكم الأمامة الذى كان موجودا فى اليمن؟!

حسين: لا..!

عبد الناصر: أسيب اليمن للإنجليز والملك فيصل يعمل ما يريد ويرجع البدر؟! هذا خطكم فى البداية، ثم سحبتم اعترافكم باليمن، وأعدتم علاقتكم بألمانيا الغربية.. الخ!  
إن وجودنا اليوم وكلامنا هو معجزة من عند ربنا؛ لأننا وصلنا فى موقفنا الى طريق اللاعودة، وأنتم كذلك!...

اليوم اسرائيل لابد أن تعمل عملاً، وإلا تنتهى اسرائيل! وأنتم خلال سنين تطالبون بقتل خليج العقبة، وهل كنتم لا تعلمون أن قتل خليج العقبة معناه مواجهة مع أمريكا وليس مع اليهود؟!

أنا أعلم أن قفل خليج العقبة معناه مواجهة مع أمريكا.. مواجهة كبيرة قد تصل الى الحرب، ولكن المواجهة مع اليهود أكيد تصل الى الحرب! هل كنت أقدر أقفل خليج العقبة بدون ما أكون جاهز للحرب؟! هل كنتم تريدون أن أدخل معركة مع اليهود وأخسر؟! ساعات وأن أقرأ الإذاعات كنت أحس أن أمانكم أنني أدخل معركة مع اليهود، ويضربونا! نحن لم نكن مرتبين، بالعكس أنا كنت طالع إجازة، وحدث ما يلي.. جاءت لنا معلومات أكيدة عن الحشد أمام سوريا، وأنهم سيضربون سوريا ويدخلون ويحتلون منطقة، ثم لا يمشوا إلا إذا فرضوا شروطهم وطلبوا بوليس دولي!

أرسلنا فوراً للسوريين، فوجدنا عندهم معلومات عن الحشد، ثم أرسلتم معلومات للقيادة العربية الموحدة في هذا الوقت إن فيه حشد أمام سوريا. اليهود يقولون: لا.. لم يكن فيه!

ثم جاءت لنا معلومات من داخل اسرائيل - من الكنيست - أنه بحث فعلا ولجنة الأمن بحثت عملا ضد سوريا، وأنهم حددوا موعدا!

كان لا بد أن نتحرك، وأنا عارف أننا مستعدون ندخل معركة مع اسرائيل، ونستطيع أن نواجه اسرائيل؛ وعلى هذا الأساس نقلنا قواتنا الى سيناء.. هذا هو الموقف باختصار.

حسين: اسرائيل تتلقى دعما وهي عبارة عن رأس جسر، والاصطدام حتمي لا جدال فيه سواء أردنا استعادة حقنا أو مقاومة عمليات توسع. وطننا العربى - قبل مشاكله وصعوباته - عاجلا أو آجلا سترجح كفته ويُزيل خطر اسرائيل؛ فلذلك عدونا سيجرنا الى معركة حتى يزول عنه الخطر.

عبد الناصر: الأمريكان والإنجليز معهم!

عامر<sup>(١)</sup>: ما هو الموقف اليوم؛ كل الحشود الاسرائيلية أمام الجبهة الجنوبية!

عبد الناصر: من ثلاثة أيام ...

---

(١) المشير عبد الحكيم عامر، نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة في الجمهورية العربية المتحدة.

حسين: حسب تقديرنا للموقف، المواجهة مع اسرائيل حتمية. كان عندي شك من البداية أن اسرائيل ربما هي التي تفتعل هذه الحوادث، وشكى الآن لازل هو هو.

وأ تصور أن فيه مخطط؛ حتى يبرروا للعالم ما سيقومون به، حوادثهم بالنسبة لسوريا نفس الشيء<sup>(١)</sup>.

انضم بعد ذلك أحمد الشقيرى - رئيس منظمة التحرير الفلسطينية - الى الاجتماع، وجرى الحوار التالى:

عبد الناصر: نحن نعتقد أن اليهود لابد سيحاربون، وإلا إذا لم يحاربوا انتهوا! ما هو اعتقادك؟

الشقيرى: نعتقد أنهم سيحاربون.

عبد الناصر: نعتقد الآن أن جبهتكم لابد أن تكون يدا واحدة من أجل قضيتكم الكبرى وهي قضية فلسطين. ما فات مات و نبدأ صفحة جديدة... المصلحة العربية الكبرى تستدعى هذا؛ نقف كلنا ونعتبر أن دخول الأردن فى المعركة يبين للعالم كله أن الأردن يقف ضد اسرائيل... والشئ الموجود بين المنظمة والأخ ينتهى، ويكون هناك تعاون كامل بين المنظمة والملك حسين. [ثم نظر عبد الناصر الى الشقيرى] تذهب الى الأردن غدا بدلا من إنك تذهب الى غزة فقط!

[ووجه عبد الناصر كلامه الى الملك حسين] مسموح له والا غير مسموح له؟! وأيضا كان بينا وبين الملك حسين مثل ما كان بينكم وبينه، ولكن الأمور دائما تبدأ بمواضيع بهذا الشكل ثم تنتهى، والمعركة اليوم أكبر ...

حسين: هذه المعركة هي معركة مصير.. هي مستقبل فلسطين، وما بيننا وبين الأخ أحمد انتهى<sup>(٢)</sup>. وهكذا تم توحيد فصائل المقاومة التى يقودها أحمد الشقيرى، وتم حل مشاكلها مع الملك حسين، واتفقا على العمل سويا فى مواجهة العدو الواحد.. اسرائيل.

(١) محضر اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، ١٩٦٧/٥/٣٠.

(٢) محضر اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين وأحمد الشقيرى، ١٩٦٧/٥/٣٠.

وقد تقرر فى نفس اليوم - ٣٠ مايو - توقيع اتفاقية دفاع مشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن. وبهذه المناسبة ألقى عبد الناصر كلمة قال فيها: "نحن اليوم نواجه التحدى.. ليس تحدى اسرائيل فحسب، ولكن تحدى اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل؛ تحدى اسرائيل وأمريكا وبريطانيا ... وعلى العرب فى مواجهة التحدى أن يكونوا يدا واحدة، يقفون من أجل حقوقهم ومن أجل تثبيت حقوقهم، ويدافعون عن الكرامة العربية".

ثم قال عبد الناصر: "لقد اتفقنا اليوم سياسيا وعسكريا واتفقنا على كل شئ؛ هذا عمل فيه قوة للأمة العربية كلها... إن القضية ليست خليج العقبة، ولكن هى قضية حقوق شعب فلسطين... إن هذه الاتفاقية قد وحدت فى الحال بين القوات المسلحة الأردنية والقوات المسلحة هنا فى مصر؛ وبهذا نكون على خط النار رجلا واحدا"<sup>(١)</sup>.

وفىما يتعلق بانطباع الملك حسين بعد هذه المقابلة فى القاهرة، فقد أصبح مقتنعا أن عبد الناصر لن يتراجع فى قضية مضيق تيران، وجاء ذلك طبقا لحديثه مع برنز - السفير الأمريكى فى عمان - وأضاف الملك حسين.. "أن ناصر يعتقد أن الولايات المتحدة لها السلطة أن تمنع اسرائيل من الذهاب للحرب".

ثم استطرده.. "إن ناصر وكل العرب يأملون بحماس أنه فى حالة بدء العدوان، لن ترتكب الولايات المتحدة أى عمل ضد العرب". فلقد قال عبد الناصر للملك حسين: "إنه فى حالة تدخل الولايات المتحدة ضد الجمهورية العربية المتحدة، فإنه على استعداد لطلب المساعدة السوفيتية".

وعلق الملك حسين قائلا: "إن ناصر بدا واثقا أنه إذا اتخذت حكومة الولايات المتحدة عملا عدائيا ضد الجمهورية العربية المتحدة، فإن السوفييت سوف يعطونه المساندة المطلوبة!"

وطلب الملك حسين من الحكومة الأمريكية - كصديق قديم للأمريكان - إصدار بيان يوضح سياسة الولايات المتحدة تجاه الأزمة، يتضمن أساسا أن الولايات المتحدة ترغب فى أن تكون محايدة بين الأطراف فى هذا النزاع، وأنها لن تكون مسئولة عن العدوان إذا اندلع فى الشرق الأوسط، ولن تصبح طرفا فيه، وأنها ستعارض أى طرف يبدأ الحرب<sup>(٢)</sup>. وبالطبع لم تتبع الولايات المتحدة هذا الخط السياسى عندما بادرت اسرائيل بالهجوم!

(١) خطاب عبد الناصر فى ٣٠ مايو ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ١، ص ص ٢٥٥ - ٢٥٦، مرجع سابق.

(٢) Tel. from the Embassy in Jordan to the Dept. of State, Amman, May 31, 1967.

وفى ٤ يونيه انضم العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين مصر والأردن، عندما حضر الفريق طاهر يحيى - رئيس وزراء العراق - الى القاهرة لهذا الغرض.

وفى كلمة ألقاها عبد الناصر بمناسبة انضمام العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن، قال: "إن مستر ويلسون - رئيس وزراء بريطانيا - تكلم بالأمس عن عودة قوة الطوارئ الدولية، وأنا أقول إنه يعيش فى وقت مضى منذ أسبوعين! لقد انتهت قوة الطوارئ الدولية، وخرجت من بلادنا ولن تعود اليها مرة أخرى!"

وتكلم عبد الناصر أيضا عن حق الجمهورية العربية المتحدة فى خليج العقبة.. "وأقول: إن هناك من ينادى بعمل بيان من الدول البحرية! إننا لن نعترف بأى بيان من الدول البحرية، ونعتبر هذا البيان عملا عدوانيا موجها ضد سيادتنا وضد حقوقنا المشروعة، ونعتبر هذا العمل مقدمة لعمل حربى، ونحن سنتصدى لكل عدوان..."

إن وحدة العمل العربى حققت لنا الاحترام والكرامة، ويجب على القوى المساندة لاسرائيل أن تعلم أن مصالحها عند العرب وليس عند اسرائيل"<sup>(١)</sup>!

---

(١) كلمة عبد الناصر بمناسبة انضمام العراق لاتفاقية الدفاع المشترك بين الجمهورية العربية المتحدة والأردن، ٤ يونيه ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ٢٥٧ - ٢٥٩، مرجع سابق.

## ٨- أزمة الشرق الأوسط في الأمم المتحدة في ٢٠ مايو ١٩٦٧:

تم عرض النزاع حول خليج العقبة على مجلس الأمن في ٢٠ مايو ١٩٦٧، وقدمت اليه الولايات المتحدة مشروع قرار؛ يطالب جميع الأطراف بالابتعاد عن أعمال الحرب أو أى أعمال أخرى تؤدي الى زيادة التوتر. وكان الهدف الأساسي لاستراتيجية الولايات المتحدة في ذلك الوقت؛ هو أن يعود الوضع القائم مسبقا الى ما كان عليه فيما يتعلق بالإبحار الى إيلات، أى قبل قفل خليج العقبة أمام السفن الاسرائيلية، وبعبارة أخرى تبنت الولايات المتحدة موقف اسرائيل تماما في هذه الأزمة!

وقد تفردت فرنسا برأى مخالف للأمريكان وحلفائهم، فإن الخط الفرنسي كان يركز على أن تمرير قرار في مجلس الأمن لا يوافق عليه الاتحاد السوفيتي سوف يزيد من حدة القضية، ويجعل المفاوضات أكثر صعوبة!

وعموما فإن وجهة النظر الأمريكية كانت، "إذا لم يتم إيقاف خطط الجمهورية العربية المتحدة فإنه سيتم استخدام القوة؛ إما بواسطة اسرائيل بموجب المادة ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة، أو عن طريق مجموعة دولية بحرية تفتح المضيق، أو بالأسلوبيين معا".

وكان الملك حسين قد عبر عن رأيه في الموقف في رسالة شفوية الى جونسون قائلاً: "إن الولايات المتحدة تغامر بعداء العالم العربي بأكمله، وخسارة كاملة للنفوذ في المنطقة للمستقبل غير المحدود؛ وذلك بظهورها كأنها تتماثل مع اسرائيل بخصوص مضيق تيران والقضايا المتعلقة به!" وقد اعترفت الولايات المتحدة بما جاء في هذه الرسالة، وتم الاتفاق على بذل الجهود من أجل البعد عن الإعلان عن المظاهر التي تساند اسرائيل في مواجهة العرب؛ وبالذات في المواجهة بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل، وأن تظل على الحياد في هذا الصراع وتتدخل فقط إذا بدأ العدوان؛ وإلا تتحمل الولايات المتحدة تكلفة عالية في المجالات السياسية والاقتصادية والعلاقات الأخرى في العالم العربي، وميزان القوى في الحرب الباردة<sup>(١)</sup>.

ولكن.. هل هذا فعلا هو ما حدث؟ أم أن الولايات المتحدة لم تستطع إلا أن تتحاز كلية لاسرائيل في الخفاء والعلن؟!!

لقد ظهر في هذه المرحلة وتؤكد الاستقطاب الدولي الذي كانت تخشى منه الولايات المتحدة في العن سواء داخل الأمم المتحدة أو خارجها.

---

Tel. from the Embassy in the UAR to the Dept. of State, Cairo, May 26, 1967.

(١)

## ٩- تصاعد المواجهة الاسرائيلية العربية:

وفى هذه الأثناء كانت إجراءات التآمر لفتح خليج العقبة بالقوة تبحث كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تطبيقها! وقد اقترحت وزارة الدفاع الأمريكية عدة مسالك ممكنة لاختبار نوايا عبد الناصر فيما يتعلق بالمرور الحر فى مضيق تيران وخليج العقبة. هذه الأساليب تمحورت حول القيام باستكشاف لمضايق تيران بواسطة قوات الولايات المتحدة أو القوات البريطانية.

وقد أدركت وزارة الدفاع الأمريكية، أن هذه التحركات العسكرية سوف تنتج عنها مخاطر شديدة، وممكن بسهولة أن تؤدي الى تصاعد يقود الى صراع عسكرى عربى - اسرائيلى على نطاق واسع، أو تحدث مواجهة بين الولايات المتحدة والجمهورية العربية المتحدة.

وكذلك حذرت وزارة الدفاع الأمريكية من استخدام هذا الحل العسكرى، إلا إذا كانت الحكومة الأمريكية مستعدة لردود الفعل العربية والعالمية<sup>(١)</sup>!

إذاً كان من الواضح أن الولايات المتحدة داخلية فى الصراع بين اسرائيل والعرب لمصلحة الطرف الأول تماماً، وتستعد عسكرياً فى حالة تنفيذ أى من الهدفين؛ إما فتح خليج العقبة بالقوة أو مساندة اسرائيل عسكرياً ومعلوماتياً ومخابراتياً فى حالة هجومها على الدول العربية.

وفيما يتعلق بالسيناريو الأمريكى مع الاتحاد السوفيتى فى هذا الوقت، فقد أرسل جونسون عدة رسائل الى كوسيجن قبل الهجوم الاسرائيلى لكى يضمن حياده<sup>(٢)</sup>، وبالتالي عدم تحول الموقف الى الاستقطاب؛ الاتحاد السوفيتى والعرب من جانب، والولايات المتحدة واسرائيل فى جانب آخر.

وهنا أستطيع أن أقول: إن الأمريكان قاموا بخدعة كبرى فى هذا الصراع تحفظ لهم مركزهم ومصالحهم، وخاصة أن حرب فيتنام كانت لاتزال دائرة. فبدأ السيناريو الأمريكى بمقولة إن من يبدأ العدوان لن يلقى مساعدة من الولايات المتحدة؛ وعلى هذا الأساس حدث اتصال مع طرفى النزاع لإبلاغهما بذلك. ولكن من ناحية أخرى كان الأمريكان واثقين أن اسرائيل ستكون البادئة، بل كانوا يدعمونها بالمساعدات العسكرية والاقتصادية، ويساندونها بالأسطول السادس الأمريكى الذى وضعوا وحدات منه على أهبة الاستعداد فى حالة حدوث خسائر على الجانب الاسرائيلى.

Memo. from Houser to McNamara, Washington, May 28, 1967, JSC Paper on US (١)  
Military Actions Regarding the Straits of Tiran.

(٢) رسائل متبادلة بين جونسون وكوسيجن، فى ٢٢، ٢٧، ٢٨/٥/٦٧.



وفي ٢٧ مايو أرسل جونسون رسالة الى إشكول، يخطره بمحتوى رسالة كوسيجن؛ بأنه "إذا شنت اسرائيل عملا عسكريا فإن السوفييت سوف يقدمون المساعدة للدول العربية التي تتعرض للهجوم... وإن الاتحاد السوفيتي يناشدنا اتخاذ كل الإجراءات اللازمة لضمان عدم اندلاع أى عمل عسكري، وهم يؤكدون أنهم سوف يتخذون كل الإجراءات فى نفس الاتجاه... وفى ردى على السوفييت سوف أتبنى بالطبع وجهة نظرك؛ وهى وجهة نظرنا المشتركة حول الطبيعة الدولية لخليج العقبة ومضيق تيران"<sup>(١)</sup>.

وامتد الخداع لا ليقصر فقط على الاتحاد السوفيتي وإنما الى المملكة المتحدة، فقد قابل روستو السفير البريطانى فى واشنطن فى ٢٩ مايو، ليقول له: طالما أن الاسرائيليين قد توصلوا الى قرار بعدم الهجوم، فإن الولايات المتحدة مستعدة لتبدأ فى الخطوات التالية لحل الأزمة! وفى ٣٠ مايو أرسل إشكول رسالة الى جونسون، "إننى أرحب بتأكيد الولايات المتحدة بأنها سوف تتخذ كل الاجراءات اللازمة لفتح مضائق تيران للملاحة الدولية، وأن الولايات المتحدة وبريطانيا تسعيان بصورة عاجلة للإعداد للجوانب العسكرية لخطة حامية بحرية دولية... إنى اعتمد على صداقتك وعلى مبادئك فى الشرعية الدولية، وعلى تأكيداتك بأن الولايات المتحدة - عند الضرورة - سوف تفتح المضائق بنفسها... وقد طلبت على نحو ملح ببيان تضامن أمريكى مع اسرائيل فى حالة الهجوم. كما أننى طلبت أيضا علاوة على التنسيق المخابراتى الذى وافقت أنت عليه، أن يتم فى الحال إقامة تنسيق بين قوات الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط وقوات جيش الدفاع الاسرائيلى...".

إنه بدون إجراءات ملموسة، فإن التعهد الأمريكى بضمان أمن اسرائيل سوف يبقى أقل مصداقية وحسما عما يجب أن يكون عليه... وقد تأثرت حول ما ذكرته للسيد إيبان حول إخلاصك لكل التعهدات الأمريكية لاسرائيل...

إن المكانة المتزايدة للرئيس ناصر قد كان لها عواقب وخيمة بالفعل فى الأردن، وكما تأكد من خلال الاتفاق بين الرئيس ناصر والملك حسين فى القاهرة. والوقت مناسب لمواجهة ناصر من خلال سياسة مواجهة أكثر شدة وحسما"<sup>(٢)</sup>.

(١) رسالة جونسون الى إشكول، ١٩٦٧/٥/٢٧.

(٢) رسالة إشكول الى جونسون، ١٩٦٧/٥/٣٠.

وقد أعدت الخارجية الأمريكية فى ٣١ مايو مشروع إعلان للدول البحرية؛ يؤكد وجهة النظر الاسرائيلية بالنسبة لحق سفن اسرائيل فى المرور بمضيق تيران، ويتجاهل تماما الموقف المصرى الذى يعتبر هذا المضيق ضمن المياه الإقليمية للجمهورية العربية المتحدة<sup>(١)</sup>. وفى أول يونيه، أرسل إشكول الى كوسيجن يشكو من نشاط مصر وسوريا العسكرى على حدود اسرائيل؛ متوسلا أن يتخذ الاتحاد السوفيتى موقفا مؤيدا لاسرائيل<sup>(٢)</sup>. وأصدر مجلس الوزراء الفرنسى بيانا فى ٢ يونيه؛ "الدولة التى ستبدأ بحمل السلاح أيا كان مكانها، لن تحظى بموافقة فرنسا على أفعالها، ولن تحصل حتى على دعمها". وفى إطار جو الأزمة والتريص بين اسرائيل والدول العربية، أرسل عبد الناصر رسالة الى جونسون فى ٢ يونيه، ردا على رسالته فى ٢٦ مايو، رحب فيها "بأن أى محاولة مشتركة لإقامة نوع من التفكير قد تساهم على الأقل فى تبييد جزء من السحب المصطنعة، التى تحاول وصف ممارسة الحق بأنه خطيئة، ووصف حق الدفاع بأنه عدوان!" ثم شرح عبد الناصر فى رسالته موقف الجمهورية العربية المتحدة من الأزمة منذ بدايتها؛ وأسباب تحركات الجيش المصرى عبر سيناء الى الحدود، ثم طلب سحب قوات الطوارئ الدولية لتتولى القوات المسلحة دورها فى الدفاع. وكيف أن الخطوة التالية - قفل مضائق تيران - كانت منطقية، وكذلك أن تمارس الجمهورية العربية المتحدة حقوق السيادة عليها وعلى المياه الإقليمية المصرية فى الخليج". وفى هذا الصدد، ذكر عبد الناصر بما كان عليه الوضع قبل العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦؛ حين مارست الجمهورية العربية المتحدة حقوقها القانونية فيما يتعلق بالسفن الاسرائيلية فى المضائق والخليج، وأن هذه الحقوق لا خلاف عليها<sup>(٣)</sup>. وقد علق والت روستو على رسالة عبد الناصر قبل تسليمها الى جونسون فى ٣ يونيه: "إن رد فعل ناصر عنيد جدا!" ولكنه مستعد لاستقبال هيوبرت هامفرى - نائب الرئيس - أو يرسل نائب الرئيس المصرى زكريا محيى الدين، وقد وافق جونسون على دعوته الى الولايات المتحدة.

(١) مشروع إعلان الدول البحرية، ١٩٦٧/٥/٣١.

(٢) رسالة إشكول الى كوسيجن، ١٩٦٧/٦/١.

(٣) رسالة عبد الناصر الى جونسون، ١٩٦٧/٦/٢.

وفى نفس الوقت، أرسل جونسون رسالة الى إشكول يلخص اتصالاته مع ويلسون لمصلحة اسرائيل، ثم قال: "لقد أكدت علانية هذا الأسبوع آراءنا بخصوص سلامة اسرائيل ومضيق تيران". ثم

تحدث جونسون عن جهود الولايات المتحدة مع الدول البحرية لفتح الخليج بالقوة، ومشروع إعلان الدول البحرية الذى وزعته على حكوماتها. وأكد جونسون أيضا فى رسالته على الآتى: "إن اسرائيل لن تكون بمفردها إلا إذا قررت أن تتحرك منفردة"<sup>(١)</sup>.

فهل حدث ذلك فعلا بعد أن بادرت اسرائيل بالهجوم على الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن فى ٥ يونيه؟! أم أن المؤامرة المشتركة نفذت بالكامل!؟

ومما يوضح الأمر أكثر، أن مجلس الأمن القومى الأمريكى أرسل تقريرا الى جونسون فى ٣ يونيه، يقدر أن اسرائيل سيكون لها التفوق الجوى فوق سيناء خلال يوم أو يومين؛ على أن هذا يتوقف على من يضرب أولا. وفى نفس الوقت، تستطيع اسرائيل أن تحتوى أى هجوم من سوريا أو الأردن أثناء هذه الفترة.

وأكد التقرير أنه إذا اندلعت الحرب بعد تأخير أسبوع، فإن الوضع الاسرائيلى قد يتدهور<sup>(٢)</sup>!

---

(١) رسالتنا جونسون الى إشكول، ٣، ٤/٦/١٩٦٧.

(٢) Memo. From Robert N. Gins, Burgh of the National Security Council Staff, to the President's Special Assisat (Rostow), Who Would Win a War? Israel or the UAR, Washington, June 3, 1967.

ثانيا: الاثنين ٥ يونيه ١٩٦٧.. أطول يوم فى تاريخ العرب الحديث!

#### ١- اسرائيل تبدأ الهجوم:

بدأ الهجوم فى الساعة الثامنة صباحا من ٥ يونيه بطائرات جوية اسرائيلية كثيفة على جميع مطارات الجمهورية العربية المتحدة، وكان الطيران - الذى رأيت بعض وحداته بعينى فى ضاحية مصر الجديدة - منخفضا جدا؛ حتى لا يكشفه الرادار المصرى.

وفورا صدر بيان من القيادة العليا للقوات المسلحة المصرية، أعلنت فيه بدء العدوان على الجبهة المصرية جوا وبراً وبحراً، كما تم إعلان حالة الطوارئ فى البلاد. وأدركت فورا أن المؤامرة بدأ تنفيذها ضد عبد الناصر بالدرجة الأولى، وبالتالي ضد الأمة العربية كلها.. مؤامرة عسكرية وسياسية ومخابراتية!

هل كانت اسرائيل تجرؤ على الهجوم على مصر والأردن وسوريا فى وقت واحد دون أن تساندها الولايات المتحدة الى آخر مدى؟!

هل كانت اسرائيل من الممكن أن تدخل حربا بدون الطائرات والصواريخ والأسلحة التى مدتها بها طواعية الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا وفرنسا؟! وبدون المعونة الاقتصادية الأمريكية؟! ماذا كان سيحدث إذا وجهت مصر الضربة العسكرية الأولى الى اسرائيل؟ وهل كانت الولايات المتحدة تقبل أن تتلقى صفعه كتلك من زعماء اسرائيل بتحديهم للنصائح الأمريكية بضبط النفس؟! أم أن اسرائيل والولايات المتحدة اتفقتا سرا على ما حدث، وتظاهر الأمريكان أنهم دُهِشوا بالهجوم، كما أخبر راسك موسكو قائلاً: "لا نعرف من بدأ العدوان"<sup>(١)</sup>! وتستفيد الولايات المتحدة من هذه المناورة فائدة مزدوجة..

أ- ألا تثير الاتحاد السوفيتى الذى تصرف ببطء منذ بداية الأزمة.

ب- ألا تتسبب فى حدوث تهديد لمصالحها فى العالم العربى، وخاصة فى دول البترول.

وطبقا للرواية الأمريكية، كلم راسك جونسون فى الخامسة صباحا: وقرأ عليه مشروع رسالة لجروميكو يقول فيها: إنه فكر فى إرسالها بدون الانتظار حتى يتضح من المسئول عن الحرب!

---

(١) Memo. of Telephone Conversation Between Rusk and the British Ambassador (Dean), Washington, June 5, 1967.

ولكن فى تقرير أمريكى يقول راسك: إن حدسى أن الاسرائيليين هم البادئون! وكان ينتظر رسالة مباشرة من الحكومة الاسرائيلية<sup>(١)</sup>!

وهنا لن أناقش هذا السيناريو المكشوف، ولكنى أترك المخابرات المركزية الأمريكية تصف ما حدث..

"إسرائيل أطلقت أول رصاصات اليوم، ومع ذلك فإن الاسرائيليين يدعون أنهم كانوا يتجاوبون مع تحرك للقوات الجوية والمدرعة المصرية تجاه إسرائيل؛ وهو ما ترجموه على أنه هجوم! والقاهرة تقول: إن إسرائيل هاجمت مصر"<sup>(١)</sup>.

وضمن سلسلة الأكاذيب الاسرائيلية، إدعى إيبان للسفير الأمريكى فى تل أبيب، "أن القوات الأرضية المصرية بدأت الحرب بضرب القوات الاسرائيلية على الحدود"<sup>(٢)</sup>.

وفى الأردن اجتمع الملك حسين مع رؤساء البعثات الدبلوماسية، وقال لهم: إن الأردن أصبحت فى حالة حرب، وأن القوات المسلحة الأردنية أصبحت تحت قيادة الجمهورية العربية المتحدة.

وتكلم الملك حسين فى هذا الاجتماع عن اشتراك طائرات حربية أجنبية فى القتال، حلفت من حاملات طائرات فى البحر المتوسط!<sup>(٣)</sup>

وأىضا فى صباح ٥ يونيه قام إشكول - من خلال رئيس أركان منظمة مراقبة الهدنة التابعة للأمم المتحدة - بتسليم رسالة الى الملك حسين؛ يطالبه فيها بأن يمتنع الأردن عن أى أعمال حربية عدوانية. وفيما يلى نص الرسالة: "إننا نقوم حاليا بعمليات دفاعية على الجبهة المصرية، ولن نخرب فى أى عمل ضد الأردن ما لم يقم بمهاجمتنا. إذا اختار الأردن مهاجمة إسرائيل فإننا سوف نكون فى حرب ضده بكل قوتنا"<sup>(٤)</sup>.

وفى نفس اليوم، قطعت القاهرة كل علاقاتها مع الولايات المتحدة بسبب مساندتها للعدوان الصهيونى، ثم صدر قرار جمهورى فى ٨ يونيه بفرض الحراسة على الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

Editorial Note, Washington, June 5, 1967. (١)

Memo. Prepared in the CIA's Office of Current Intelligence, Washington, June 5, 1967, (٢)

The Arab - Israeli war: Who Fired the First Shot?

Ibid. (٣)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Jordan, Washington, June 5, 1967. (٤)

Ibid. (٥)

## ٢- الإدارة الدولية للحرب:

عندما نقرأ وثائق عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧ نكتشف - كما قال عبد الناصر - أنها لم تكن عملاً تلقائياً منفرداً من جانب إسرائيل ضد الدول العربية، وإنما هي حرب نشبت في الشرق الأوسط ولكنها أديرت دولياً، وكان أبرز أطرافها.. الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وبريطانيا، وكذا الدول البحرية التي تم حشدتها لتستخدم القوة في فتح خليج العقبة. وانتهى الأمر - كما ذكرنا - باستقطاب ثنائي تساند فيه الولايات المتحدة إسرائيل، بينما يقف الاتحاد السوفيتي الى جانب العرب.

ومن مظاهر الحياد الصوري الأمريكي؛ أنه تم استدعاء كل السفراء العرب في واشنطن الى الخارجية الأمريكية فور بدء الهجوم الاسرائيلي على مصر والأردن، وإخطارهم أن الولايات المتحدة استخدمت كل نفوذها لتدعو الى ضبط النفس، ولمنع إطلاق أول طلقة خاصة مع الجمهورية العربية المتحدة<sup>(١)</sup>.

وأصدر جونسون بياناً بعد اندلاع القتال في ٥ يونيه، إدعى فيه أن الحقائق ليست واضحة فيما يتعلق بمن بدأ الاشتباكات العسكرية، وطالب جميع الأطراف بمساندة قرار مجلس الأمن بالوقف الفوري للقتال<sup>(٢)</sup>.

---

Circular tel. from the Dept. of State to all Posts, Washington, June 5, 1967.

(١)

(٢) بيان جونسون، ٥/٦/١٩٦٧.

وقد حرصت مصر على إخطار الأميركيين أن إسرائيل أطلقت أول رصاصة، وحاولت خداع  
الرأى العام العالمى بادعاء أن قوات الجمهورية العربية المتحدة كانت هى البادئة فى سيناء!  
وكان الأميركيين مدركين أن إسرائيل هى التى بادرت بالعدوان؛ ففى واقع الأمر بدأ الأمر  
بإغارة إسرائيل على منطقة قناة السويس ومطار العريش فى شمال شرق سيناء.  
وأكثر من ذلك، فقد تمادت إسرائيل فى التمويه والكذب؛ فادعت إذاعة جيشها أن القوات  
الإسرائيلية تشتبك مع القوات المسلحة المصرية المتجهة نحو جنوب إسرائيل! وأن المقاتلات  
المصرية تم رؤيتها فى الرادار قاصدة الشواطئ الإسرائيلية! وكان هذا يجافى الحقيقة تماما.  
ودعم إيبان هذه الادعاءات، فقال لباربور - السفير الأمريكى فى تل أبيب - إن القوات  
الأرضية المصرية بدأت الحرب بقذف القرى على الحدود! ثم أرسل تقرير إسرائيلى رسمى الى سفارة  
الولايات المتحدة؛ إدّعى فيه أن الفرقة الرابعة المدرعة المصرية بجانب قوة متحركة، اشتركوا فى  
ضرب جنوب إسرائيل تجاه الأردن! وأن القوات المسلحة الإسرائيلية تحركت لتشتبك معهم<sup>(١)</sup>!  
وفى نفس الوقت أرسل إشكول رسالة الى كوسيجن مرددا نفس الادعاء؛ أن القوات المصرية  
هى البادئة بمهاجمة إسرائيل<sup>(٢)</sup>.

وقد كان الهم الأول للأمريكان مع بدء العمليات الحربية، هو السيطرة على رد الفعل  
السوفيتى؛ فإن آخر ما كانوا يتصورونه هو المواجهة بينهما فى الشرق الأوسط!  
ففى أول يوم للاشتباكات أرسل جونسون رسالة الى كوسيجن، "إننا نؤيد بقوة أى تحرك  
لوضع نهاية سريعة للصراع العسكرى فى مجلس الأمن بالأمم المتحدة، والذى يجتمع خلال الساعة،  
ونثق بأنكم تفعلون الشئ نفسه"<sup>(٣)</sup>.  
ورد كوسيجن على جونسون برسالة، "أن الحكومة السوفيتية على اقتناع بأن من واجب كل  
القوى العظمى أن تعمل على وقف فوري للصراع العسكرى"<sup>(٤)</sup>.

---

Memo. Prepared in the CIA's Office of Current Intelligence, Washington, June 5, 1967, (١)

Op.Cit.

(٢) رسالة من إشكول الى كوسيجن، ١٩٦٧/٦/٥.

(٣) رسالتين من جونسون الى كوسيجن، ١٩٦٧/٦/٥.

(٤) رسالة كوسيجن الى جونسون، ١٩٦٧/٦/٦.

ومن جانب آخر، حرص إشكول على أن يستغل النقطة الحساسة بالنسبة للأمريكان، فأرسل رسالة الى جونسون فى نفس اليوم أيضا، "أن تقوم الولايات المتحدة بكل شئ لازم من أجل منع الاتحاد السوفيتى من استغلال الصراع وتوسيع نطاقه"، ثم كتب إشكول، "فى هذه اللحظة الحاسمة يجب على أن أرحب بالتشاور الوثيق بين حكومتى بلدينا على كل المستويات"<sup>(١)</sup>.

وطبعا جاءت هذه المطالب بعد أكاذيب متعمدة من جانب إشكول، حول خطر العدوان "الشرير" من جانب ناصر وقرار اسرائيل باللجوء الى القتال لصدده! والافتراءات حول قيام مصر بقصف مدفعى لقرى اسرائيلية - وهو ما لم يحدث على الإطلاق - والادعاء بهدف تدمير اسرائيل ونقاعس الأمم المتحدة فى منعه!

وفى ثانى أيام الحرب - ٦ يونيه - أرسل كوسيجن الى جونسون رسالة طالب فيها، "بالوقف الفورى لاطلاق النار وسحب القوات وراء خط الهدنة... وعبر عن أمله بأن تقوم حكومة الولايات المتحدة بتأييد هذا المطلب المقرر فى مجلس الأمن، والذى تؤيده الحكومة السوفيتية"<sup>(٢)</sup>.

وفى رده فى نفس اليوم قال جونسون: "إن سفيرى بلدينا قد وافقا على قرار قصير جدا يدعو لوقف إطلاق النار كخطوة أولى... وهو ما تبناه مجلس الأمن بالاجماع"<sup>(٣)</sup>.

وأدى تجاهل اسرائيل لقرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، الى تبادل مزيد من الرسائل بين كوسيجن وجونسون كل يعبر عن الطرف الذى يؤيده<sup>(٤)</sup>. وأكد الطرف السوفيتى على ضرورة الضغط الأمريكى على اسرائيل لوقف إطلاق النار، الى أن قام الاتحاد السوفيتى فى ١٠ يونيه بقطع علاقاته مع اسرائيل! ولكن بعد ماذا؟! بعد أن أثبت الأمريكان بالخدیعة والمناورة تفوقهم على الاتحاد السوفيتى فى هذا الصراع العالمى.

---

(١) رسالة إشكول الى جونسون، ١٩٦٧/٦/٥.

(٢) رسالة كوسيجن الى جونسون، ١٩٦٧/٦/٦.

- رسالة من جونسون الى ويلسون حول جهوده فى مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، ١٩٦٧/٦/٥.

(٣) رسالة جونسون الى كوسيجن، ١٩٦٧/٦/٦.

(٤) رسائل متبادلة بين كوسيجن وجونسون، ٧، ٨، ١٠/٦/١٩٦٧.



وفى الواقع فإن الولايات المتحدة لم تتحاز لاسرائيل فقط، وإنما كان موقفها من الهجوم الاسرائيلى على البلاد العربية يكيل بمكيالين؛ فبينما شجعت العدوان الاسرائيلى على الجمهورية العربية المتحدة وأبدت رغبتها فى تغيير نظام عبد الناصر، إلا أنها على العكس استخدمت ضغوطا لتوقف الهجوم الاسرائيلى المكثف على الأردن، ولتحد من هروب الفلسطينيين من الضفة الغربية! لقد كانت الولايات المتحدة تعتبر نظام الملك حسين واستمراره ضرورة للاستقرار فى المنطقة، وقد أبلغت الحكومة الاسرائيلية بضرورة وقف إطلاق النار على الجبهة الأردنية بناء على طلب حكومتها<sup>(١)</sup>.

وقد قبلت الأردن فى ٧ يونيه قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار الفورى، ووقف كل الأنشطة العسكرية فى المنطقة، إنما استمرت اسرائيل فى الأعمال الحربية بهدف التكسير الكامل للجيش الأردنى!

أما من ناحية الجمهورية العربية المتحدة، فإن الموقف الأمريكى المنحاز الى اسرائيل، وعدم تنفيذ جونسون لوعوده تجاه من يطلق أول رصاصة - وهى اسرائيل - بالإضافة الى أخبار اشتراك الطائرات الأمريكية فى الهجوم الواسع على جميع مطارات الجمهورية العربية المتحدة والأردن صباح يوم ٥ يونيه من حاملات الطائرات الأمريكية فى شرق البحر المتوسط؛ كل ذلك دعا الحكومة الأمريكية الى تكذيب أخبار اشتراك طائراتها فى الحرب، وأبلغت القاهرة وسفير الجمهورية العربية المتحدة فى واشنطن بذلك، وأنه لم توجد حاملات طائرات أمريكية فى المنطقة على غير الحقيقة! ولقد انكشفت المناورة الأمريكية، عندما أكد الملك حسين كلام الجمهورية العربية المتحدة، وطلب التحقيق الدولى مع الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بتهمة مساندة اسرائيل عسكريا فى العدوان. وقد قدم الملك حسين الأدلة الآتية:

أ- قراءات الرادار الأردنى التى توضح تدفق طائرات الى اسرائيل من سفن ثابتة فى البحر المتوسط لمدة ٣ - ٤ أيام قبل العدوان.

ب- تقارير من الضباط الأردنيين، بأن الطائرات البريطانية هوكر هانتر استخدمت فى عمليات الهجوم الاسرائيلى.

---

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel, Washington, June 6, 1967. (١)

ج- التقارير الأردنية والسورية والمصرية، أن الطائرات البريطانية الكانبيرا استخدمت في عمليات الهجوم.

د- تأكيد الجنرال المصرى عبد المنعم رياض، أن ما كان مشتركاً في الحرب يفوق حجم سلاح الطيران الاسرائيلي<sup>(١)</sup>.

ثم تجيء حادثة الاعتداء على سفينة التجسس الأمريكية "ليبرتى"، التي كانت تعمل تحت إدارة الأسطول السادس الأمريكى قرب السواحل المصرية؛ كدليل دامغ على المشاركة الفعالة في الحرب، ليس فقط بالطائرات وإنما بالمعلومات وبالتشويش على الرادارات المصرية!

وباعتراف الوثائق الأمريكية، فإن السفينة "ليبرتى" هاجمتها الطائرات الحربية الاسرائيلية وأصابتها، ثم بعد ٢٠ دقيقة تم ضربها بواسطة لنشات الطوربيد الاسرائيلية، وأن السفينة الإلكترونية الأمريكية كانت على طرف حدود المياه الإقليمية المصرية شمال غرب العريش<sup>(٢)</sup>! ووصل الأمر أن أرسل جونسون رسالة الى كوسيجن بخصوص ضرب السفينة "ليبرتى"، وقيام طائرات أمريكية بالاستطلاع فوقها! وطالبه بنقلها الى عبد الناصر، حيث كان قد قطع العلاقات مع الولايات المتحدة بعد بدء العدوان الاسرائيلي<sup>(٣)</sup>.

وقد احتجت الحكومة الأمريكية لدى اسرائيل بسبب مهاجمة السفينة "ليبرتى". وقد إدعى الاسرائيليون أنهم ضربوا المركب خطأ! وأرسل إشكول جواب تعزية الى جونسون؛ حيث بلغ عدد القتلى ١٠ والجرحى ٩٠ والمفقودين ٢٢ حسب التقارير الأمريكية. وطلبت الحكومة الأمريكية من الحكومة الاسرائيلية التعويض عن الخسارة<sup>(٤)</sup>!

(١) Tel. from the Dept. of state to the Embassy in Jordan, Washington, June 10, 1967.

(٢) Editorial Note, June 8, 1967 & Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, June 8, 1967.

(٣) رسالة من جونسون الى كوسيجن، ١٩٦٧/٦/٨.

(٤) Memo. for the Record, Attack on USA Liberty, Washington, June 9, 1967.

- رسالة من إشكول الى جونسون، يعتذر عن الهجوم بالخطأ على السفينة الأمريكية "ليبرتى"، ١٩٦٧/٦/٩.

وبتصفح الوثائق الأمريكية فى هذا الصدد، لم يأت ذكر لنوعية المهمة التى كانت تقوم بها السفينة 'ليبرتى' فى هذه المنطقة القريبة من الشواطئ المصرية! وفيما بعد قال عبد الناصر فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٦٧: "لحساب من كانت تعمل السفينة 'ليبرتى' بما عليها من أجهزة علمية؟! ما الذى كان يحدث لو كانت قوارب الطوربيد المصرية هى التى ضربت الباخرة الأمريكية 'ليبرتى'؟! ما الذى فعله الأمريكان عندما ضربوهم الاسرائيليون؟ جمعوا أنفسهم وغطوا الموضوع وذهبوا الى مالطة لإصلاح المركب"<sup>(١)</sup>!

ونظرا لتقدم اسرائيل على الجبهة المصرية فى صحراء سيناء، فقد تحدثت قرار وقف إطلاق النار، وانطلقت القوات الاسرائيلية داخل شبه الجزيرة - وبرغم القتال العنيف مع وحدات الجيش المصرى - الى أن وصلت الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس فى ٩ يونيه. وعلى الجبهة الأردنية، تقدمت القوات الاسرائيلية تجاه المرتفعات السورية التى تشرف على المستعمرات الحدودية الاسرائيلية، وظل القتال بين الطرفين السورى والاسرائيلى متجاهلا قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار، الى أن احتلت اسرائيل أجزاء كبيرة من المرتفعات السورية، وذلك الى جانب احتلال الضفة الغربية للأردن والقدس، وتحدى اسرائيل لنداء البابا بجعلها مدينة مفتوحة للطرفين!

إذاً لم تسر المعارك كما كان متوقعا فى مصر، وبدا أن اسرائيل كسبت هذه الجولة بالضرية الجوية الاستباقية، التى نتج عنها ضرب الطائرات المصرية على الأرض وشلل السلاح الجوى.

---

(١) خطاب عبد الناصر فى عيد الثورة الخامس عشر، ٢٣ يوليو ١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ٢٧٢ - ٣٠٥، مرجع سابق.

### ٣- ماذا حدث على الجانب المصرى أثناء العدوان الاسرائيلى؟

بعد أن أخطر عبد الناصر القادة العسكريين فى اجتماع الجمعة ٢ يونيه ١٩٦٧؛ أن استقراء الأحداث فى اسرائيل وعلى الحدود يؤكد أن اليهود سيهجمون يوم الإثنين ٥ يونيه، طلعت مظلة جوية يوم السبت وأخرى الأحد، ويوم الإثنين لم تطلع مظلة جوية؛ فقد كان المشير عامر ومعه كبار رجال الجيش على طائرة فى الجو للتفتيش على القوات فى سيناء، وكانت مدافع الدفاع الجوى هناك مقيدة! وبالتالي وصلت الطائرات الاسرائيلية الى المطارات المصرية بدون ما يشعر بها أحد!

وقيل: إنه حدث تشويش على أجهزة الرادار وأجهزة صواريخ سام الأرض - جو؛ بحيث لم تعمل فى هذا اليوم كما كان متوقعا!

وطبقا لكلام عبد الناصر عن خطة الدفاع؛ "كانت مضبوطة على الورق، ولكن ما حدث أن الطائرات طلعت من اسرائيل من مطاراتها، ولفت فى البحر ولفت من الغرب على ارتفاع واطى، ولم يكن لدينا طائرات فى الجو!"

أما بالنسبة للقوات الأرضية، "فكانت خطتنا مبنية على أساس إذا تحرك الاسرائيليون أن نهجم؛ وعلى هذا كانت قواتنا الأساسية فى المقدمة. لما انضرب سلاح الطيران، وانفرد سلاح الطيران المعادى بقواتنا فى سيناء؛ نتج عن هذا أن من أول يوم حدث ارتباك فى قواتنا!

لقد حدث انهيار فى القيادة بجميع أنواعها من أول دقيقة، ومنها فى القيادة الجوية! وقد اتصلت بهم حتى تطلع الطائرات، فقالوا: إن جميع مطاراتنا تُضرب فى وقت واحد"<sup>(١)</sup>!

وفى حديثه الى بومدين فى ١٠ يوليو ١٩٦٧، أشار عبد الناصر الى أن قادة الجيش والطيران كانوا ميالين أن يقللوا من قدرة العدو؛ ثقة فى النفس أكثر من اللازم! وظهر أن طيران العدو يستطيع أن يضرب كل مطاراتنا!"

وأبدي ملحوظة، "نحن طيرانا لا نستطيع أن يضرب مطارات اسرائيل الوسطى والشمالية، يضرب فقط المطارات الجنوبية، وليس لدينا ردارات للطيران الواطى، الردار السوفيتى لدينا كله يعمل للطيران العالى! إن طائراتنا الميج ١٧، ٢١ هى مقاتلة قصيرة المدى؛ ولهذا الروس أعطونا السوخوى - مقاتلة قاذفة - ومدaha أكثر من ٢٥٠ كم، ولكنها لا تعطى القدرة مثل الميراج أو الميسترال، ومدaha ٤٥٠ كم! الـ TU 16 السوفيتية ليس لديها تأثير كبير هنا بعكس الوضع فى اليمن؛ فهى تضرب عشوائى! بالتالى من يوم الإثنين ٥ يونيه ليلا بدأ الانهيار فى الجيش، يوم الثلاثاء ٦ يونيه أعطى عامر الأمر بالانسحاب الى غرب القناة، لم نكن مضينا ٢٤ ساعة فى القتال! لقد كانت لدينا ٧٠٠ دبابة، ٨٠٠ مدفع فى سيناء.

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع بومدين، القاهرة، ١٠/٧/١٩٦٧.

لقد حدثت أخطاء كثيرة ولكن لم تحدث حرب، لقد دار قتال عنيف فى مناطق متفرقة بين قواتنا والقوات الاسرائيلية، وحصلت فيه بطولات؛ جنود ضحوا وضربوا الاسرائيليين ودخلوا الاراضى الاسرائيلية، وانسحب هؤلاء أمامهم.

الخسائر فى المعدات كانت كبيرة؛ رجع فقط ١٥٠ دبابة وعدد مماثل فى المدافع. وبالنسبة للقتال فى الخط الثانى، حدث أيضا ارتباك، صدرت أوامر متضاربة، وحدثت فوضى فى عملية الانسحاب؛ فأصبح الجنود وهم خارج الحفر غنيمة للطيران الاسرائيلى!

يوم الخميس ٨ يونيه كان تقريبا الجيش انتهى! وأصبح لا مفر أمامنا يانقبل إيقاف النار، يا اليهود يكونوا هنا فى فى القاهرة بعد ساعتين! لأنهم وصلوا القنطرة هذا اليوم؛ وعلى هذا الأساس قبلنا إيقاف النار!"

وعقب عبد الناصر لبومدين، "أنتم لم تفهموا لماذا قبلنا إيقاف النار! سنقاتل بماذا؟! فنحن ليس عندنا المقاومة الشعبية، وبلدنا مفتوحة!

ويوم الجمعة ٩ يونيه، حتى بلغونى إن اليهود عبروا القناة وبدأوا ينزلوا على الغرب، وأنه حدث زعر كبير جدا! ولكنهم لم يعبروا القناة أو يرموا مظلات؛ لقد كانوا فى الواقع يقذفون تموين لقواتهم الموجودة فى القنطرة، ولكن وصل الانهيار الى هذا!"

وقال عبد الناصر لبومدين: "اليوم نحن نعيد بناء الجيش مرة أخرى، ولكن الجيش الذى بنيناه فى عشر سنين ليس من المعقول أن نبنيه فى ثلاثة أيام أو ثلاثة أشهر!

ولكن عندنا اليوم خط دفاعى غرب القناة قادر، وكل يوم أحسن. السوفييت قالوا: إنهم سيرسلوا الينا أسلحة مجانية وسيعوضونا عن كل شئ، وهم لم يفعلوا ذلك إلا بعد أن أعلنت التتحي!" وكان عبد الناصر قد طلب من الروس يوم ٥ يونيه "أن يرسلوا ١٠٠ طائرة ميج ٢١، ونحن عندنا الطيارين ونستطيع أن نعمل معركة. لم يفعلوا ذلك، وقالوا: إنهم سيرسلوا للجزائر وهى ترسل لنا! وطبعا كان هذا صعبا.

ولكن بعد إعلان التتحي أرسلوا رسالة أنهم سيبعثوا لنا كل شئ، وطالبوا بالعدول عن هذا القرار".

واستطرد عبد الناصر شارحا، "موضوع التتحي كان مبنى على تفكير.. لقد رأيت أن المعركة خسرت، وإننا وحدنا لا يمكن نقدر نقف، والروس لا يتحركون أبدا! فكان السبيل الوحيد أن نحقق للأمريكان هدفهم الأساسى؛ أن يخلصوا من النظام ويخلصوا منى! فرأيت أن خلاصهم منى عملية أساسية، وقلت: لو أن زكريا يتفاهم معهم، ونجنب البلد يمكن ويلات الحرب؛ لأن كان ممكن إن اليهود يستمروا، ويضربوا وييهدلوا البلد!

وحتى اليوم [١٠ يونيو]، ممكن أن يدخل اليهود لأن عندهم تفوق جوى، ويكسروا لنا المصانع والقناطر والكبارى والسكك الحديد، ويضربونا بشدة. ونحن اليوم ماذا عندنا؟! ٦٠ طائرة ميج ٢١، ١٠٠ ميج ١٧؛ ما يعملوا شيئاً!... والروس بعد أن احتجينا بعنوا ميج ٢١؛ كنا متعاقدين على ٨٠ طائرة جاء ٤٠!"

ورأى المحللون العسكريون المصريون الذين قاتلوا، أن ما حدث على مسرح المعركة فى سيناء كان سببه بالدرجة الأولى؛ صدور قرار الانسحاب من القيادة العسكرية فى اليوم الثانى للعدوان بدون خطة واضحة، بينما فى ١٩٥٦ عندما هجمت بريطانيا وفرنسا على بورسعيد فى اليوم اللاحق لهجوم اسرائيل على سيناء، نفذت خطة انسحاب مدروسة على ليلتين لمواجهة هذا الهجوم، ولم تحدث إلا خسائر قليلة.

وقد صدر أمر انسحاب القوات المصرية من سيناء من القيادة يوم ٦ يونيو ١٩٦٧؛ على أساس أن الغطاء الجوى المصرى قد ضُرب، ثم سرت فكرة استحالة الحرب بدون حماية الطيران! استمر الانسحاب جيدا الى المضائق، وهنا اصطاد اليهود القوات المصرية؛ حيث قفلتها العربات المضروبة، وكانت الضربة القاصمة! وقد أثر هذا الانسحاب غير المنظم على معنويات أفراد القوات المسلحة المصرية، وكان السبب فى استشهاد عدد من المقاتلين أثناءه، وليس فى مواجهة مع القوات الاسرائيلية كما كان منتظرا<sup>(١)</sup>.

ومازالت حتى الآن حرب ٥ يونيو تثير الجدل، وخاصة لدى القادة العسكريين، وبعد ما حدث فى اجتماع عبد الناصر مع القيادات العليا للقوات المسلحة فى ٢ يونيو ١٩٦٧. فقد سأل عبد الناصر صدقى محمود - قائد الطيران المصرى - "الضربة الأولى لو قبلناها ماذا نخسر؟" فأجاب، "من ١٥ - ٢٠٪". رد عبد الناصر: "نعمل حسابنا لبعض إجراءات وقائية تقلل هذه النسب". كما أكد عبد الناصر للقيادات العسكرية، أن "الهجوم سيحدث ١٠٠٪، وأقدر ٤٨ ساعة حتى يبدأ!"

---

(١) لمزيد من التفصيل حول قرار الانسحاب، محمد فوزى، مرجع سابق.  
- أيضا محضر اجتماع عبد الناصر وبرجنيف، موسكو ١٩٦٨/٧/٥.

على أى أساس بنى عبد الناصر هذا التقدير، برغم الدعاية الاسرائيلية الواسعة أنهم عدلوا عن الهجوم العسكرى؟! لقد كان عبد الناصر يقرأ ملف ١٩٥٦، ومدركا للإجراءات الداخلية فى اسرائيل التى تتم قبل الهجوم؛ فتكلم فى الاجتماع عن التعبئة ورفع درجة الاستعداد وفتح القوات التعبوى، وكذلك الناحية السياسية والترتيبات الشعبية، ووزارة الحرب فى اسرائيل وتعيين موسى ديان وزيرا للدفاع؛ كل هذه الإجراءات تمت فى أكتوبر ١٩٥٦ قبل اشتراك اسرائيل فى مؤامرة العدوان الثلاثى مع بريطانيا وفرنسا<sup>(١)</sup>.

وقد نجم عن الضربة الجوية الاسرائيلية، أن فقدت مصر ٨٥٪ من قواتها الجوية؛ فخرجت من المعركة بطيارين دون طائرات! وجاء الإنقاذ من بومدين فى الجزائر الذى قرر على الفور إرسال ٤٠ طائرة ميج ١٧ أحضرها الطيارون المصريون على وجه السرعة.

---

(١) محمد فوزى، مرجع سابق.

#### ٤- عبد الناصر يقرر الاستقالة:

استقل عبد الناصر سيارته فور وقوع العدوان، وتوجه الى مبنى القيادة العامة للقوات المسلحة ومعه عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة. وعند وصوله علم أن المشير عامر ومعه الفريق صدقي محمود والفريق أنور القاضي - رئيس هيئة العمليات - غادروا صباح ذلك اليوم - ٥ يونيه - لتفقد القوات فى سيناء! وبدأت العمليات الجوية الاسرائيلية والمشير عامر فى الجو، وطبعا الطائرة لم تصل، ورجعت به الى القاهرة!

ولوحظ فى القيادة حالة من التخبط ونقص فى المعلومات<sup>(١)</sup>.

ذهب عبد الناصر الى مقر القيادة العامة مرة ثانية فى ٨ يونيه ليلا، وبما أنه رجل عسكرى، أدرك أن المعركة انتهت بالخسارة الحربية، واتفق مع المشير على الاستقالة! وفى مساء ٩ يونيه، فى كلمة وجهها عبد الناصر الى الشعب من القصر الجمهورى بالقبة قال: "لا نستطيع أن نخفى عن أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة، لكننى واثق أننا جميعا نستطيع - وفى مدة قصيرة - أن نجتاز موقفنا الصعب".

واستعرض فى حديثه الى الشعب ما وقع منذ تأكد وجود الحشود الاسرائيلية على الجبهة السورية من عدة مصادر من بينها الاتحاد السوفيتى! ثم قال: "لقد وجدنا واجبا علينا ألا نقبل ذلك ساكتين، وفضلا عن أن ذلك واجب الأخوة العربية، فهو أيضا واجب الأمن الوطنى؛ فإن البادئ بسوريا سوف يثنى بمصر!"

وقال عبد الناصر: "ولقد تحركت قواتنا المسلحة الى حدودنا بكفاءة... وتداعت من أثر ذلك خطوات عديدة؛ منها انسحاب قوات الطوارئ الدولية، ثم عودة قواتنا الى مواقع شرم الشيخ المتحكمة فى مضائق تيران".

وبعد أن شرح عبد الناصر للشعب ما حدث، مشيرا الى أن الهجوم الاسرائيلى على مصر والأردن وسوريا كان بأكثر مما يملكه جيشها! قال: "لقد اضطرت قواتنا المسلحة فى سيناء الى إخلاء خط الدفاع الأول... ثم استجبنا لقرار وقف اطلاق النار، أمام تأكيدات وردت فى مشروع القرار السوفيتى المقدم الى مجلس الأمن وأمام تصريحات فرنسية؛ بأن أحدا لا يستطيع تحقيق أى توسع إقليمى على أساس العدوان الأخير، وأمام رأى عام دولى - خصوصا فى آسيا وإفريقيا - يؤيد موقفنا".



وحدد عبد الناصر فى كلمته الى الشعب عدة مهام عاجلة:

أ- أن نزيل آثار هذا العدوان علينا.

ب- أن ندرك درس النكسة.

ج- أن القوى الذاتية العربية أكبر وأقدر على الفعل، والأمر أصبح يقتضى كلمة موحدة تسمع من الأمة العربية كلها.

وفى هذه المصارحة العلنية، قال عبد الناصر: "تصل الى نقطة هامة فى هذه المكاشفة بسؤال أنفسنا.. هل معنى ذلك أننا لا نتحمل مسئولية فى تبعات هذه النكسة؟

وأقول لكم بصدق - وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى فى الأزمة - فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها. ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدونى عليه..

لقد قررت أن أنتحى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى، وأن أعود الى صفوف الجماهير أودى واجبى معها كأى مواطن آخر.

إن قوى الاستعمار تتصور أن جمال عبد الناصر هو عدوها، وأريد أن يكون واضحا أمامهم أنها الأمة العربية كلها وليس جمال عبد الناصر. والقوى المعادية لحركة القومية العربية تحاول تصويرها دائما بأنها إمبراطورية لعبد الناصر! وليس ذلك صحيحا، لأن أمل الوحدة العربية بدأ قبل جمال عبد الناصر، وسوف يبقى بعد جمال عبد الناصر".

ثم أعلن عبد الناصر تكليفه لذكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية، وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة لذلك.

وختم عبد الناصر كلمته قائلا: "إن هذه ساعة للعمل وليست ساعة للحزن، إنه موقف للمثل العليا وليس لأية أنانيات أو مشاعر فردية. إن قلبى كله معكم، وأريد أن تكون قلوبكم كلها معى، وليكن الله معنا جميعا"<sup>(١)</sup>.

(١) كلمة عبد الناصر الى الشعب من قصر القبة، ١٩٦٧/٦/٩، خطب عبد الناصر، ١، ص ص ٢٦٢ - ٢٦٨، مرجع سابق.

##### ٥- رد الفعل المصرى والعربى والدولى لقرار عبد الناصر بالانسحاب من الحياة السياسية:

أنهى عبد الناصر كلمته للشعب، ولا أعرف كيف فى لمح البصر تدفق المواطنين على بيتنا فى منشية البكرى بالقاهرة، وسمعت من الشرفة هتافات الجماهير التى بدأت تتجمع حول مقر عبد الناصر، ثم بدأت الأغانى الوطنية. وفى نفس الوقت خرج المواطنون الى الشوارع فى كل أنحاء مصر ينشدون الأمل أن يقودهم عبد الناصر الى الثأر وتحرير الأرض. إنها أمة فى لحظة هزيمة صادمة، تبلغ قائدها ألا يتنحى، بل يعاود رئاستها حتى النصر.

لقد كانت مواجهة عبد الناصر للجماهير العربية موقفا صعبا، وخاصة بعد أن علت آماله ووصلت للسحاب بإزالة آخر أثر للعدوان الثلاثى فى ١٩٥٦؛ أقصد انسحاب قوات الطوارئ الدولية، وعودة السيادة المصرية على مضايق تيران وخليج العقبة.

فإذا بنفس الجماهير تواجه احتلال سيناء بالكامل، ووصول القوات الاسرائيلية الى الضفة الشرقية لقناة السويس، واحتلال الضفة الغربية للأردن والمرتفعات السورية!

وفى اليوم التالى لإعلان عبد الناصر الاستقالة، كان الشعب العربى من أقصى المحيط الى أقصى الخليج متظاهرا فى الشوارع، يعبر عن تمسكه به قائدا للعرب.

ومع ضغوط الجماهير العربية، قرر عبد الناصر فى ١٠ يونيه الاستجابة للإرادة الشعبية، والبقاء فى مركز القيادة كرئيس للجمهورية، وأعلن ذلك فى الرسالة الآتية الى البرلمان المصرى:

"... إن أحدا لا يستطيع ولا يقدر أن يتصور مشاعرى فى هذه الظروف، إزاء الموقف المذهل الذى اتخذته جماهير شعبنا وشعوب الأمة العربية العظيمة كلها؛ فى إصرارها على رفض قرارى بالتنحى منذ أعلنته وحتى الآن، ولا أعرف كيف أفى ذلك وكيف أعبّر عن عرفانى له".

وقبل عبد الناصر الاستمرار فى موقعه حتى إزالة آثار العدوان، ثم يرجع الأمر الى الشعب

فى استفتاء عام<sup>(١)</sup>.

وبدأت إيماءات التأييد والمساندة من القادة والرؤساء، وفى ١١ يونيه تلقى عبد الناصر برقية من الملك حسين أكد فيها على أهمية وجوده فى القيادة، كما اتصل الأمير صباح السالم يناشد عبد الناصر الرجوع عن قراره، وكذلك أرسل الرئيس اللبنانى شارل حلو والمشير السلال رئيس اليمن برقيتين تطلبان بقاء الرئيس.

(١) رسالة عبد الناصر الى مجلس الأمة بالعدول عن التنحي، ١٩٦٧/٦/١٠، المرجع السابق، ص ص ٢٦٩ - ٢٧١.

وتلقى عبد الناصر يوم التنحي رسالة موقعة من الثلاثة الكبار فى الاتحاد السوفيتى - برجنيف وكوسجين وبودجورنى - يناشدونه بأن يعدل عن قراره بالتنحي؛ وذلك بعد أن قطعت الحكومة السوفيتية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل.

وقد شهدت العواصم العربية مظاهرات كبيرة خرجت لإعلان الغضب الشعبى من العدوان، وفرحتها باستجابة عبد الناصر لمطالب الأمة العربية بالبقاء فى موقع القيادة فى ١٠ يونيه.

وتوالت الاتصالات ومشاعر التأييد والمساندة من اسماعيل الأزهري رئيس مجلس السيادة فى السودان، والرئيس الجزائرى بومدين الذى قرر السفر الى الاتحاد السوفيتى. واستقبل عبد الناصر د. الصادق المقدم رئيس مجلس الأمة التونسى ومبعوثا شخصيا من بورقيبة، وتقرر إعادة العلاقات الدبلوماسية بين الجمهورية العربية المتحدة وتونس. كما استقبل عبد الناصر الداى سيدى بابا رئيس الديوان الملكى المغربى الذى حمل للرئيس رسالة خاصة من الملك الحسن.

وتتابعت المشاعر الفياضة من الأصدقاء؛ من يوغسلافيا والهند والأسقف مكاريوس رئيس قبرص.. الخ.

وبعكس كل ذلك، ظهر من التقارير الأمريكية مدى غبطة السياسيين بسبب ما تصوره من تهديد لموقف عبد الناصر مع تطورات الحرب بعد فقدان الجمهورية العربية المتحدة للسلاح الجوى وشلله، وقد تخيلوا أنه "إذا ذهب ناصر ستبدأ لعبة جديدة"<sup>(١)</sup>! وذلك بعد إسقاط النظم التقدمية.

وبدأت الحسابات عن خسائر الولايات المتحدة فى الحرب..

أ- بعد شيوع خبر اشتراك الطائرات الأمريكية فى المعركة الى جانب اسرائيل، قامت مظاهرات فى عدة دول عربية تدمر وتحرق المؤسسات الأمريكية، كما قطعت معظم الدول العربية علاقاتها مع الولايات المتحدة، وأعلنت كل من الجزائر والكويت والبحرين منع تصدير البترول الى كل من الولايات المتحدة والمملكة المتحدة، وأوقفت العراق وليبيا الانتاج، كما تم وقف خط الأنابيب فى السعودية التابع لشركة أرامكو، بالإضافة الى توقف قناة السويس. وقد خلقت هذه التطورات حالة طوارئ فى الإمداد بالبترول! مما أثر بالسالب على قدرة الولايات المتحدة وحلفائها لمواجهة مسؤولياتهم الأمنية، وتم البدء فى إجراءات طوارئ<sup>(٢)</sup>.

Memo. for the Record, Washington, June 7, 1967, National Security Meeting. (١)

Memo. of Telephone Conversation between Rusk & Solomon [Secretary of the (٢)

Economy], Washington, June 8, 1967.

ب- كان رجوع عبد الناصر بعد استقالته في ٩ يونيو، بناء على ضغط الجماهير في الجمهورية العربية المتحدة والدول العربية؛ بمثابة الضربة للولايات المتحدة والمملكة المتحدة، اللتين كانتا تأملان أن تحدث بداية جديدة في الشرق الأوسط تقوم على قبول العرب للشرعية الاسرائيلية. وقد قال الأمريكان صراحة: "إن تدمير ناصر كداعية مؤثر للوحدة العربية، هو أساسى لآمالنا لتحقيق تسوية سريعة [مع اسرائيل]؛ وبالتالي تجنب الطريق المسدود لسياسة طويلة الأمد بما تتضمنه من أخطار عمل عسكري لاحق...

إنه مع إزاحة ناصر أو تشويه سمعته الى درجة تجعل السوفييت ينكرون مساعدته، فإن الشرق الأوسط سيكون مرتاحا بعد سنوات من التطرف القوى المؤثر، الذى كانت تحركه دائما كاريزما ناصر وجهاز الدعاية السياسية للجمهورية العربية المتحدة!

ومع اختفاء ناصر أو إدانته جديا، ممكن أن تقوم تعاملات عقلانية مع دول عربية منفردة على أساس المصلحة العملية المتبادلة، وذلك سوف يكون مجديا أكثر لاسرائيل!"

وأيد باتل<sup>(١)</sup> هذا الكلام قائلا: "إذا تم تدمير ناصر سياسيا، سيكون من الممكن تحقيق تسوية تتضمن معظم طلبات اسرائيل فى وقت قصير، ومصالحة الولايات المتحدة فى حدوث ذلك"<sup>(٢)</sup>.

ج- تحقق ما كانت تخشاه الولايات المتحدة من قبل؛ وهو نشأة وضع استقطابى تمثل فيه الولايات المتحدة وتدافع عن السياسة الاسرائيلية، ويساعد الاتحاد السوفيتى الدول العربية ويزداد نفوذه فيها.

(١) لوشيويس باتل، كان سفير الولايات المتحدة فى القاهرة حتى ١٩٦٧/٣/٥، ثم أصبح مساعدا لوزير الخارجية للشرق الأدنى وشمال إفريقيا.

(٢) Memo. from Hoopes (Assistant to Secretary of State for Defense) to McNamara, Washington, June 8, 1967, Fundamental Problems Relating to an Armistice Political Settlement in the ME.

### ثالثا: وبدأ العمل! ماذا بعد؟

تساءل الجميع عن موقف عبد الناصر بعد هذه الهزيمة المروعة غير المتوقعة، ورجوعه الى قيادة البلاد فى ١٠ يونيه بناء على إصرار الشعب، ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم العربى كله. صحيح أنه بدأ فترة جديدة عصيبة من حكمه؛ على أساس إزالة آثار العدوان واسترجاع الأرض العربية، إنما ماذا كان تفكيره؟ وما السياسة التى رسمها من أجل تحقيق هذا الهدف بالنسبة لمصر والدول العربية؟

كان أول قرار لعبد الناصر بعد رجوعه هو تعيين الفريق محمد فوزى قائدا للقوات المسلحة، وذلك بعد أن سأله تليفونيا: "هل أنت مستعد أن تقبل قيادة القوات المسلحة فى هذه الظروف التى نعيشها وتتحمل مسئولية ما سيحدث؟" رد الفريق فوزى - الذى كان معروفا بعسكريته "الناشقة" خاصة أثناء حرب فلسطين وعند توليه إدارة الكلية الحربية من ١٩٥٢ الى ١٩٦٤ - قائلا: "إنت عارفى ياريس"! وكان هذا بالضبط الذى يريده عبد الناصر ليعيد بناء جيش منضبط ومدرب أحسن تدريب، بعد أن قضى على الجيش الذى بنى فى ١٠ سنين!

وكانت توجيهات عبد الناصر للفريق فوزى فى أول يوم يستأنف فيه مسئولياته فى ١١ يونيه.. "إن المواجهة تتم مع اسرائيل فى وقتها المناسب"، ثم قال: "أنا يافوزى لا أريد أن يتم تهويد سيناء أو الضفة الغربية، وهذه الأخيرة مسئولية الملك حسين... أما من ناحيتنا، فإننى أريد المسألة فى سيناء تكون عبارة عن جهنم بالنسبة للجنود الاسرائيليين! أريد أن أشعر الجندى الاسرائيلى أن بقاءه فى سيناء هنا عملية غير مريحة بالنسبة له... وأن تستعد للتحرير". ثم قال له: إن أمامه ثلاث سنوات ونصف على الأكثر لاسترداد سيناء مرة ثانية.

وفى نفس الوقت حددا سويا تعيين عبد المنعم رياض رئيسا للأركان، ومدكور أبو العز قائدا للقوات الجوية، وفؤاد أبو ذكرى قائدا للقوات البحرية(١)!

١- انتعاش أعداء عبد الناصر فى الداخل والخارج:

وبينما كان الفريق فوزى فى مكتبه بالدور السادس كرئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة - أى قبل إعلان قرار عبد الناصر بتعيينه قائدا للقوات المسلحة فى الإذاعة سعت ٢,٣٠ - دخل عليه ١٣ من كبار الضباط، يطالبون بعودة المشير عامر للجيش! ثم وضعوا جميعا استقالتهم عند الفريق فوزى الذى قبلها على الفور، وانصرفوا<sup>(١)</sup>.

---

(١) محمد فوزى، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

فى واقع الأمر لا أعتقد أن أحدا كان يرغب أن يكون فى موقع جمال عبد الناصر فى هذا الوقت، فقد كانت كل المدافع مصوبة اليه؛ أعداؤه فى الداخل والخارج اعتبروها فرصة للنيل منه! لقد واجه عبد الناصر موقفا صعبا من عدة نواح..

أ- كانت هذه فرصة لكى ينقض عليه أعداؤه فى الداخل؛ وأعنى الطبقة القديمة من بقايا الاقطاع والرأسمالية المستغلة. أما الإخوان المسلمون فقد قضت مؤامرة ١٩٦٥ على قياداتهم؛ إما بالهروب الى خارج البلاد أو بالإعدام والسجن بعد المحاكمة، وإن كان مازال لديهم أتباع يعادون النظام.

وبالنسبة للشيعيين، الذين كانوا مناضلين تقليديين ضد ثورة ٢٣ يوليو، وفى ٧ إبريل ١٩٦٥ كانوا قد أعلنوا حل الحزب الشيوعى، والانضمام الى النظام، وفعلا شارك عدد منهم فيما بعد فى العمل السياسى والإعلامى.

ولكن ظهر أعداء جدد للنظام علت أصواتهم بسبب الهزيمة العسكرية، وما تسببه عادة من تدمير داخل الجيش وخارجه<sup>(١)</sup>!

ب- العداوة العربية، وجدت فرصتها فى الشماتة وخاصة من جانب السعودية التى كانت فى حالة حرب مع الجمهورية العربية المتحدة بسبب اليمن استمرت ٥ سنوات، رفض خلالها الملك فيصل إنهاءها عدة مرات؛ وذلك بهدف القضاء على عبد الناصر ونظامه<sup>(٢)</sup>!

ولا يجب أن ننسى العداة الذى أصبح مستحكما من جانب بوريقية لعبد الناصر، وخاصة منذ أن أعلن عن ضرورة الصلح مع اسرائيل فى ١٩٦٥<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من المقابلات ومعاهدات الدفاع المشترك وزمالة السلاح فى حرب واحدة، فإن حزب البعث كان دائما عنصرا مناوئا لعبد الناصر، وظهر ذلك جليا فى مشروع الوحدة

الثلاثية ١٩٦٣، وفي مؤتمرات القمة ١٩٦٤ وما بعدها<sup>(٤)</sup>. ولا يجب أن ننسى أن هذا الحزب كانت له فروع في معظم البلاد العربية، عدا مصر التي كانت لا تسمح بالأحزاب.

- 
- (١) مؤامرة عبد الحكيم عامر بلسان عبد الناصر، جلسات مجلس الوزراء بتاريخ ٢٧/٨، ٣، ٩/١٧، ١/١٠/١٩٦٧.  
(٢) الجزء الخامس من الكتاب، ص ص ٦٤٥ - ٧٤٢.  
(٣) في ٣ مارس ١٩٦٥، دعا الحبيب بورقيبة اللاجئين الفلسطينيين الى عدم التمسك بالعاطفة، والى الاعتراف بقرار التقسيم لسنة ١٩٤٧ مع اسرائيل. وفي ٢٨ إبريل ١٩٦٥، أعلنت الحكومة التونسية سحب كل أعضاء سفارتها في القاهرة!  
(٤) الجزء الخامس من الكتاب ص ص ٨٢٩ - ٨٨٠.

ج- ونعطى ثقلا كبيرا هنا للعداوة الغربية بصفة عامة لعبد الناصر، منذ توقيعه لاتفاقية الجلاء في ١٩٥٤، ورفضه الدخول في الأحلاف الغربية، وكسره احتكار السلاح بالتوجه الى الشرق، ثم انتصاره سياسيا في ١٩٥٦ على العدوان البريطاني الفرنسي.  
ويثور هنا السؤال.. هل كان عبد الناصر يستطيع أن يترك سوريا للتهديد الاسرائيلي؟ لقد جاوب بنفسه على هذا السؤال في حديثه الى الأمة في ٩ يونيو قائلا: "إن البادئ بسوريا سوف يثني بمصر".

لقد استمرت الفترة منذ العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ وحتى رحيل عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠، تشهد هجوما عليه من جميع الأطراف المعادية، بل ومناورات من الأصدقاء مثل الاتحاد السوفيتي ودول عربية مثل سوريا ثم الجزائر. وخلال كل هذه الفترة العصبية كان سنده الوحيد الشعب المصري والشعوب العربية، وحنكته السياسية في التعامل مع المشاكل الداخلية والصعاب الخارجية.





## ٢- موقف الاتحاد السوفيتى المتردد:

كان من الطبيعى أن يعتمد عبد الناصر على الاتحاد السوفيتى فى إعادة بناء الجيش تسليحا وتدريباً؛ حتى يسترد الأرض المحتلة فى سيناء. ومن ناحية أخرى كان محتاجاً الى المساندة السوفيتية فى المعركة السياسية فى الأمم المتحدة وخارجها، فى مواجهة الغرب الذى كان يؤيد إسرائيل تماماً باستثناء فرنسا.

ولكن الغريب أن موقف الاتحاد السوفيتى بدا مذبذباً بشكل واضح لم تعرف دوافعه فى البداية!

### أ- الاستعداد للمساندة فور وقف إطلاق النار:

لقد قام نيكولاي بادجورنى - رئيس الدولة فى الاتحاد السوفيتى- بزيارة القاهرة فى ٢١ الى ٢٣ يونيه - أى بعد ١٣ يوماً فقط من وقف إطلاق النار - وبدأت المباحثات<sup>(١)</sup>، فتحدث عبد الناصر قائلاً: ماحدث هو عملية أمريكية مبيتة من قبل عامين بهدف القضاء على نظام الحكم فى مصر، وكانت البداية بقطع مساعدات القمح، ثم بالتهديد الصريح ضد سياسة مصر التقدمية. ومضى عبد الناصر شارحاً ماحدث حتى بدأ العدوان فى ٥ يونيه، وأصيب مصر بضرية كبيرة جداً، ولم يكن أمامه من سبيل سوى الاستقالة وتكليف زكريا محيى الدين حتى يستطيع أن يتفق مع الأمريكان، بعد أن اتضح أن الاتحاد السوفيتى ليس فى وضع يمكنه أن يساعد العرب! ثم حدثت هزة شعبية عنيفة، على أساسها أصدر عبد الناصر بيان العودة حتى تصفية العدوان الاسرائيلى. وقد وضع عبد الناصر بادجورنى أمام الحقيقة؛ الاسرائيليون ضربوا الجيش لكن النظام باقى، إلا أن اليهود على بعد ١٠٠ كم من القاهرة و ٥٠ كم من دمشق؛ وهذا وضع خطير جداً! إذاً أصبح العرب تحت رحمة الأمريكان!

(١) محضر المباحثات بين عبد الناصر وباجورنى، القاهرة ٢١/٦/١٩٦٧.

وأثار عبد الناصر الوضع السياسى قبل العدوان وبعده؛ فقد كانت مصر تتبع سياسة عدم الانحياز<sup>(١)</sup>، فأصبح الكلام عن هذه السياسة بلا جدوى. وأصبح ليس أمام مصر إلا الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى؛ فهى لا تستطيع أن تقف منفردة ضد الاستعمار والإمبريالية ومع قضايا التحرر. أما البديل الآخر فهو الاتفاق مع الأمريكان، وتخضع مصر وتصبح مثل تايلاند! ثم أكد عبد الناصر، أنه فى هذه الحالة لا بد ألا يكون موجودا! أى أن يسلم البلد الى حكم رجعى لإنقاذ ما يمكن إنقاذه.

وهنا قال بادجورنى: إن رأى جميع القادة السوفييت - هو وبرجنيف وكوسيجن وجميع أعضاء المكتب السياسى - أنهم سيفكرون فى جميع المشاكل، وسيقدمون جميع المساعدات الممكنة فى المجال العسكرى والاقتصادى. وأن هذا الرأى تمت الموافقة عليه بالإجماع لدى جميع الدول الاشتراكية. وأضاف بادجورنى، أن هناك حملة داخل الاتحاد السوفيتى لجمع التبرعات، وهى إن لم تكن كثيرة إلا أن لها معنى سياسيا أكبر.

وعندما تحدث بادجورنى عن مشكلة الموانئ فى البحر الأبيض التى يستطيع الأسطول الأمريكى أن يرسو فيها برغم إعلان دولها أنها غير منحازة؛ فى إيطاليا وتركيا وقبرص والمغرب وليبيا، بينما الأسطول السوفيتى يدور عدة شهور فى البحر الأبيض، ولا يستطيع أن يرسوا على الأرض حتى يمون! وحتى تيتو لا يسمح للأسطول السوفيتى أن يدخل بلده؛ لأنه يقول: إنه غير منحا، عقب عبد الناصر، أن جزءا من العالم العربى يقولون إنهم غير منحاين وعندهم قواعد أمريكية! أما بالنسبة للأسطول السوفيتى، فطلب أن يعتبروا موانئ الجمهورية العربية المتحدة مفتوحة فى أى وقت. ولكن عندما اتضح بعد ذلك أن الاتفاقية التى أعدها السوفييت بهذا الشأن عبارة عن قاعدة عسكرية لهم! رفضها عبد الناصر، وسمح فقط بالزيارات بشكل عادى؛ أى أن يقدموا طلبا للزيارة ثم تتم الموافقة<sup>(٢)</sup>.

وبدأ الحديث فى التفاصيل العسكرية، فأعرب عبد الناصر عن خشيته أن يعبر اليهود القناة ويتقدموا الى القاهرة! وركز على الدفاع الجوى، ووافق على اقتراح زخاروف بأن يتولاه الاتحاد السوفيتى، وطلب أيضا طائرات وطيارين للدفاع عن الجمهورية فى الداخل.

واستطرد عبد الناصر.. "إن عملية إخراج اليهود ستكون مسئوليتنا وليست مسئوليتكم، أما الدفاع عن الجمهورية فهذا ما نطلبه منكم".

---

(١) قاد عبد الناصر وتيتو ونهرو تيار عدم الانحياز منذ مؤتمر باندونج فى إبريل ١٩٥٥، وتساعد عدد الدول المنضمة اليه فى مؤتمر بلجراد ١٩٦١ الى ٢٥ دولة.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٧/٩/١٩٦٧، مرجع سابق.

وأكد بادجورنى.. "إننا مستعدون ليس فحسب للمساعدة، بل نعتبر هذا واجبا علينا أن نعيد للقوات المسلحة قدرة دفاعها!"

وهنا رد عبد الناصر.. "الموضوع منقسم الى قسمين: إعادة بناء القوات المسلحة بحيث يكون هناك جيش قادر، وتقوية الدفاع حاليا بحيث يكون كل ٢٤ ساعة وضعنا أحسن". ولخص عبد الناصر المشكلة فى أن اسرائيل مازال لها تفوق جوى؛ فطياراتهم أكثر ومداهها أكبر، بل ويصلهم يوميا طائرات جديدة وطيارين يهود متطوعين.

وإزاء احتمال أن يعيد اليهود القتال ويتوغلوا فى الأراضى المصرية، تم التوصل الى الصيغة الآتية: "أن يكون الدفاع مصريا، وتتعاون معه مساعدات سوفيتية".

وحيث إن المعركة الاقتصادية تسير جنبا الى جنب مع المعركة العسكرية، فأتناء المباحثات مع بادجورنى، استعرض زكريا محيى الدين الوضع الاقتصادى بعد العدوان، وقفل قناة السويس وتوقف بترول سيناء، وانتقل الى المطالب الاقتصادية من الاتحاد السوفيتى، التى تعهد بادجورنى ببحثها فى موسكو.

### ب- الضغوط السوفيتية لقبول الحل السياسى:

انتقل الحديث من جانب عبد الناصر حول مطالب ومحاذير الحل السياسى، والغريب أن بادجورنى كان يضع أمامه باستمرار شروط جونسون المعبرة عن الموقف الاسرائيلى! ويطلب عبد الناصر بالمرونة فى الموقف، "على أن يكون الهدف الأساسى هو الانسحاب السريع لقوات المعتدى" الى كل حدود ٤ يونيه ١٩٦٧، بما فيها القدس.

وبالنسبة لمشكلة مرور اسرائيل فى مضائق تيران وخليج العقبة وقناة السويس، اعترض عبد الناصر قائلاً: "بالنسبة لقناة السويس مستحيل؛ لأنها تمر فى وسط المدن المصرية، وهذا الموقف أصلا من سنة ١٩٤٨. أيضا بالنسبة لخليج العقبة منذ ذلك التاريخ... ولكن الظروف اليوم تضطرننا أن نقبل هذا... أى أن المرور فى خليج العقبة يستمر"، مع احتفاظ مصر بحق السيادة على أرضها<sup>(١)</sup>.

إذاً مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس كان موضوع الخلاف الأول بين الرئيسين. ثم بدأت مناقشة مطالب الولايات المتحدة التى تماثل الخطة الاسرائيلية، وهنا أكد عبد الناصر على رفض العرب الصلح والاعتراف بالدولة الصهيونية.

(١) محضر المباحثات بين عبد الناصر وباجورنى، ٢٢، ١٩٦٧/٦/٢٣.

وعلى الرغم من إعراب باجورنى عن قبول طلبات مصر العسكرية وحسن استعداده لتأييدها فى موسكو، إلا أن عبد الناصر كان يخشى من تبعات مقابلة جونسون مع كوسيجن فى جلاسبورو من ٢٣ - ٢٥ يونيه ١٩٦٧، التى لم تناقش فيها فقط أزمة الشرق الأوسط، وإنما بحث أيضا الوضع العام فى فيتنام والحد من الأسلحة الصاروخية. وهذه أول مرة يجتمع رئيس وزراء سوفيتى مع رئيس أمريكى فى الولايات المتحدة منذ أن زار نيكيتا خروشوف أيزنهاور فى ١٩٦٠.

وقد تحقق ما حسبه عبد الناصر، فعلى الرغم من أن كوسيجن حاول أثناء هذه المحادثات الثنائية أن يجد مخرجا من ظروف عبد الناصر الصعبة، فإن جونسون كرر عدة مرات ضرورة منع إرسال السلاح الى منطقة الشرق الأوسط! كما أصر على الشروط الخمس التى أعلنها فى ٢١ يونيه ١٩٦٧ وهى:

(١) الحق المعترف به فى الحياة لكل دولة فى المنطقة.

(٢) حل مشكلة اللاجئين.

(٣) حرية المرور البرى فى قناة السويس وخليج العقبة.

(٤) وضع حد لسباق التسلح فى الشرق الأوسط.

(٥) احترام الاستقلال السياسى وسلامة الأراضى بالنسبة للجميع.

وبالطبع هذه الشروط ليس بها انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضى المحتلة؛ أى إنها تطابق الموقف الاسرائيلى تماما! وبالتالي فقد أكد كوسيجن لجونسون أن العرب لن يقبلوها، كما أن تنفيذها طويل الأمد<sup>(١)</sup>.

نخرج للوهلة الأولى من هذه المقابلات بين جونسون وكوسيجن، أن الخلاف طغى على النقاط المشتركة، ولكن سير الحوادث بعد ذلك أثبت مزيدا من التقارب الأمريكى - السوفيتى فى أزمة الشرق الأوسط؛ خصوصا بالنسبة لإصرار جونسون على منع إرسال الأسلحة الى الشرق الأوسط، وطبعا يقصد مصر بالذات!

وفى ٢٠ يوليو ١٩٦٧ تقدمت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى بمشروع قرار مشترك الى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

وفى نفس الوقت، بدأ المزيد من تبعات لقاء جلاسبورو بين القطبين الأعظم تظهر؛ فبعد أن كان الروس يرسلون الى مصر أسلحة بكل طاقاتهم ويوثقون التعاون معها، بدأ التردد فى الاشتراك فى الدفاع الجوى!

(١) محاضر الاجتماعات بين جونسون وكوسيجن، جلاسبورو، ٢٣ - ١٩٦٧/٦/٢٥:

- Memos. of conversation, Glassboro, New Jersey, June 23,25,1967.

وكان عبد الناصر مدركا أن اسرائيل لن تتسحب إلا إذا طلب منها الأمريكان ذلك؛ فوجد أن كلا القطبين يصران على نقطتين: حق اسرائيل في عبور خليج العقبة وقناة السويس، ورفض اسرائيل الانسحاب من كل الأراضي المحتلة ومنها القدس.  
وحدث تطور مقلق من جانب الاتحاد السوفيتي:

(١) الموقف داخل الأمم المتحدة المؤيد للولايات المتحدة، وبالتالي يساند المطالب الاسرائيلية.

(٢) تواتر المعلومات من الروس أن اسرائيل ستعبر قناة السويس وتحتلها وتقف غربها بمسافة ١٠ كم. وعندما وصلت هذه الأخبار الى عبد الناصر في أوائل يوليو ١٩٦٧، طلب منهم الآتي:

(أ) بعد إنعقاد مجلس الأمن، أن يصدروا بيانا يتضمن أنه إذا استؤنفت العمليات العسكرية سيكون للاتحاد السوفيتي موقف واضح كما حدث في ١٩٥٦.

(ب) أن يرسلوا الأسطول السوفيتي الى بورسعيد.

(ج) الإلحاح على ضرورة إرسال الدفاع الجوى الذى تكلموا فيه منذ وقف إطلاق النار!

(د) إذا دخل عسكري يهودى واحد غرب القناة لن تستطيع الحكومة أن تبقى، والحل.. تسليم الحكم لناس موالين للأمريكان ويعملوا صلحا معهم<sup>(١)</sup>!

وظل عبد الناصر يتصل بالروس ويحضهم ألا يترددوا في إرسال المساعدات الى مصر، وطالبهم صراحة أن يخرجوا من مرحلة عدم اتخاذ القرار التى يمرون بها! إنهم كانوا يخشون من تنفيذ ما وعدوا به، "وأصبحوا يطالبون مصر بتنازلات فى الأمم المتحدة يمكن أكثر من الأمريكان! فقد جاءت لنا من يومين - [١٩٦٧/٧/٨] - من الاتحاد السوفيتي مذكرة من اللجنة المركزية والحكومة؛ بأن نقبل كل ما تطالب به أمريكا واسرائيل"<sup>(٢)</sup>!

رد عليهم عبد الناصر عن طريق محمود رياض فى نيويورك، "قل لهم: أن يعملوا ما يريدون، ونحن نعمل مانريد"! وكان عبد الناصر يرفض إنهاء حالة الحرب التى كان يصر عليها الروس بالاتفاق مع الأمريكان.

إلا أنه فى ٩ يوليو ١٩٦٧ اتصل الروس بعبد الناصر وقالوا: إنهم سيرسلون الأسطول الى بورسعيد، ويبعثون وفدا ليتكلم فى موضوع الدفاع الجوى<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مباحثات عبد الناصر مع بومدين، القاهرة ١٠/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

كل هذا الضغط السوفيتي أضاف الى خطورة الوضع، وأثقل الحمل على عبد الناصر، خاصة وأن الروس ظلوا مترددين في تعاملهم معه، ضاغطين عليه لفترة طويلة!

رابعاً: تحرك عبد الناصر فى المجال العربى:

انطلاقاً من إيمان عبد الناصر بالقومية العربية ووحدة الشعوب العربية، كان من الطبيعى أن يتوجه للعرب بعد هذه الهزيمة الكبيرة. والواقع فإن زعيمى دول المواجهة - الأردن وسوريا - بل غيرهما من الدول التقدمية - العراق والجزائر والسودان - حضروا الواحد تلو الآخر الى القاهرة من ١٦ يونيه الى ١٩ يوليو ١٩٦٧؛ للتباحث فى الأمر مع عبد الناصر، وتوحيد الجهود فى مواجهة اسرائيل وحلفائها، وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا.

وفى ذلك الوقت كان موقف عبد الناصر صعباً للغاية بعد أن عاد الى موقعه بناء على ضغط الجماهير العربية فى ١٠ يونيه؛ فالجيش محطم، والروح المعنوية سيئة جداً، والشعب يريد استرجاع الأرض العربية بأسرع ما يكون!

#### ١- اجتماع دول المواجهة العربية فى القاهرة:

كان عبد الناصر يريد أن يكسب وقتاً حتى يعيد بناء القوات المسلحة بعد العدوان، وكان رأيه الإلحاح على الروس حتى يقفوا مع مصر فى نضالها. وتساءل.. "كيف نقف وحدنا واسرائيل تأخذ كل شئ من أمريكا<sup>(١)</sup>؟!

وأخذ عبد الناصر يقنع رؤساء الدول العربية التقدمية بذلك - نور الدين الأتاسى وعبد الرحمن عارف وهوارى بومدين - ويشرح لهم استحالة الحرب الشعبية الفورية التى ينادون بها لعدة أسباب:

أ- يوم ٨ يونيه القوات المسلحة المصرية كانت قد انتهت كلية؛ نظراً للتفوق الجوى الاسرائيلى فى سيناء بعد ضرب كل المطارات العسكرية المصرية، ولم يتبق إلا فلولا منها، ولم تكن حتى قادرة على أن تدافع عن غرب القناة أو القاهرة!

ب- بعد وقف إطلاق النار فى ٨ يونيه - شهر تقريبا - استطاع عبد الناصر أن يبني جزءاً من القوات المسلحة المصرية، ولكن المشكلة أن حوالى ٥٠٠ طقم من الدبابات استشهدوا؛ فأصبحت لديه دبابات بدون أطقم، وتجهيزها يحتاج الى وقت!

---

(١) المرجع السابق.

ج- القوات الاسرائيلية من يوم وقف إطلاق النار أخذت تعزز مواقعها شرق قناة السويس، وتحشد قوات أكثر، وأحضرت معدات عبور تُرى من غرب القناة! كما كان لدى عبد الناصر معلومات متكررة أن اسرائيل قد تقوم بمحاولة عبور القناة واحتلال غربها!

وشرح عبد الناصر.. أن المنطقة التي تدافع عنها القوات المصرية تبلغ ١٧٠ كم بطول القناة، كان موجود عليها ١١ لواء مدفعية فأصبحت القوة ضئيلة جدا، والروس لم يرسلوا المدافع المتفوق عليها، واستخدمت القوات المسلحة الدبابات بدل المدفعية!

وقال عبد الناصر لرؤساء دول المواجهة: "الإنذار عندي أصبح دقيقة؛ لأن الرادار أصبح فى بورسعيد بعد أن كان فى العريش، والموقف العسكرى صعب؛ فبعد أن راح الجيش وانتهى، بناء جيش جديد صعب جدا!"

ومضى عبد الناصر يشرح الموقف فقال: "إن اليهود حتى ذلك الوقت لم يحصلوا على نصر مادى محدد؛ فهم لم يقضوا على نظام الحكم فى مصر ولا سوريا، ولكنهم أضعفوها ووضعوها فى أوضاع صعبة، واسرائيل محتلة جزءا من مصر ومن سوريا!"

وخلص عبد الناصر أن القوات المسلحة المصرية لا تستطيع فى ذلك الوقت أن تقوم بأى عمل هجومى ضد اسرائيل، ولكن من الممكن الاستماتة فى الدفاع غرب القناة؛ لأن القوات الاسرائيلية ممكن أن تصل الى القاهرة!

وكرر عبد الناصر، "ليس أمامنا إلا النضال السياسى؛ حتى نكسب وقتا لنبنى قواتنا المسلحة، ونحصل على أسلحة لنجبر اسرائيل على الانسحاب"<sup>(١)</sup>...

كما وأن الروس تغير موقفهم، ولم يستجيبوا الى طلبات مصر الحربية - طائرات وطيارين - وآخر مرة كانت قبل أسبوع - يوم ٨ يوليو - لأن المعلومات تكررت أن هناك معدات عبور اسرائيلية تتقدم نحو القناة!"

ولقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مثيرا للدهشة فى ذلك الوقت؛ فلم يردوا على استعجال إرسال المعدات الحربية الى مصر، بل قالوا: إنهم لا يعملون إلا فى الأمم المتحدة!

ومضى عبد الناصر يؤكد للقادة المجتمعين: "الكفاح المسلح أساس ومبدأ، ولكن سنقوم به عندما تكون قواتنا قادرة عليه أو على إمكانياته. ومن هنا فإن العمل السياسى له أهمية تساوى العمل العسكرى؛ خصوصا ونحن الآن غير قادرين عليه. وكل ما نتكلم مع الروس يقولون لنا: الأمم المتحدة! إذاً يجب أن نستنفذ جميع الوسائل للعمل فيها"<sup>(٢)</sup>.



(١) محاضر اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف ويومدين، القاهرة ١٢، ١٣/٧/١٩٦٧.

(٢) المرجع السابق.

وفى الواقع لقد وُضع عبد الناصر فى مأزق كبير نتيجة لاتفاق الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتى بعد لقاء جونسون وكوسيجن فى جلاسبورو، وتزايد الضغوط السوفيتية عليه لقبول الحل السياسى فى الأمم المتحدة!

وفى نفس الوقت كان عبد الناصر يعلم تماما أن أى قرار للأمم المتحدة لن ينفذ من جانب اسرائيل؛ مثل الجلاء عن القدس، الذى بعد أن تم التصويت عليه، ردت اسرائيل.. "لن أنفذ!" ولكن العملية هى مجرد كسب وقت بالنسبة لمصر، وإرضاء للحليف الذى يمدّها بالسلاح!

وقال عبد الناصر لزعماء دول المواجهة: "إن انسحاب اليهود سلميا أعتبره عملية ضارة جدا حتى بقرار من الأمم المتحدة.. عملية مئسرة! فبالرغم من أن الانسحاب السلمى يجنبنا مشاكل كثيرة، إلا أن رأى أنهم لن ينسحبوا إلا إذا عقدنا معهم الصلح... وبالنسبة لجيلنا ووضعنا وبقائنا كعرب، لابد أن ينسحب اليهود بمعركة، والتجهيز لها يحتاج الى وقت!... الحل بالطريق السياسى؛ ستظل اسرائيل ذلانا الى الأبد، وتنتهى الروح المعنوية العربية الى الأبد"<sup>(١)</sup>!

لقد وجد عبد الناصر أن الفجوة تزداد اتساعا بينه وبين الروس نتيجة الخلافات فى رأى، وهو فى حاجة اليهم بالنسبة للتسليح والدعم لاستئناف المعركة. وأدرك أن ما يهم الروس فقط هو بقاء النظام القائم فى القاهرة وسوريا والعراق، فيضغطون لإيجاد حل سياسى دائم يؤدى الى الاعتراف باسرائيل؛ وذلك للمحافظة على سمعة الاتحاد السوفيتى ونفوذه كدولة كبرى.

ولاحظ عبد الناصر أن الروس يخشون الأمريكان؛ مما يفسر الخط العام لسياستهم التى تغيرت، وترددهم بالنسبة الى المشاركة الفعلية فى الضغط على الاسرائيليين حتى ينسحبوا. وقد تعمدوا هذا لأنهم يريدون ثمنا كبيرا؛ وهو السماح بقواعد ذرية فى الجمهورية العربية المتحدة وبعض البلاد العربية. ولكن عبد الناصر سمح لهم فقط باستخدام ٥ مطارات؛ وذلك حتى يهيئوا الدفاع الجوى والمظلة الجوية لمصر<sup>(٢)</sup>.

وقد ظل الروس لا يريدون على طلبات عبد الناصر بالنسبة للدفاع الجوى، وهو مدرك أن هذا نوع من الضغط؛ فالمشكلة ليست الحاجة الى طائرات فقط وإنما الى طيارين؛ فاسرائيل تطلب منطوعين من الخارج لزيادة قدرتها الجوية!

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مباحثات عبد الناصر مع الأتاسى وعارف وبومدين والأزهرى ومحجوب، القاهرة ١٦/٧/١٩٦٧.

ومن هنا فقد كان هدف الروس ألا يشجعوا عبد الناصر على رفض توصياتهم على مشاريع قرارات الأمم المتحدة. أليس هذا ضغطا فى وقت صعب تمر به مصر والبلاد العربية؟!

### - فشل مهمة بومدين وعارف فى موسكو:

ولمجابة الروس بالأمر الواقع، اقترح عبد الناصر أن يذهب بومدين وعارف الى موسكو؛ فى محاولة لإنهاء هذا الفتور الذى يؤثر على تسليح مصر.

وفعلا وصل الرئيسان الى موسكو فى ١٧ يوليو ١٩٦٧، وكررا عرض المطالب العسكرية المصرية؛ فوجدا تحليلا من برجنييف يعدد أسبابا للمسلك الروسى، فقال: أولا الطيارون الروس يتكلمون الروسية! فكان الرد أن كل الطيارين المصريين تدربوا فى الاتحاد السوفيتى ويفهمون لغته. ثم أردف ثانيا: القاهرة بعيدة ومشكلة التموين خطيرة! وقال إن وجود الروس قد يتسبب فى حرب عالمية ذرية!

وانتهى الأمر الى أن القادة الروس أبدوا استعدادهم أن يزودوا مصر بخبراء فنيين، لكن لم يردوا بشكل صريح على طلب الغطاء الجوى! وأكدوا أن العمل العسكرى لا يمكن القيام به قبل سنتين أو ثلاثة، وفى هذه المدة لابد من أن يفكر العرب فى الحلول السياسية؛ أى إعادة التفكير فى مشروعهم فى الأمم المتحدة! أما سياسة الكفاح المسلح التى تنادى بها الجزائر فرأيهم أنها خطيرة على الدول التقدمية.

وقد أثار الروس ما فعله لينين فى ٣ إبريل ١٩١٨ كمثل يقتدى به؛ فقد وقع اتفاقية سلام مع ألمانيا بعد أن واجه تهديدا بالغزو؛ وبذلك خرجت روسيا من الحرب العالمية الأولى.

وهنا علق عبد الناصر أثناء مقابلته للرئيسين العربيين بعد عودتهما من موسكو، أن لينين عندما وقع هذه الاتفاقية قال فى خطاب يبررها: "القائد السليم يعلم متى يتقدم ومتى ينسحب". هذه هى فلسفة الاتفاقية كلها؛ ومعنى ذلك أن العمل السياسى هو الذى سيقود الى الاستعداد للكفاح المسلح، وهذا فيه تنازلات!"

وأخيرا قال برجنييف: الجيش المصرى معنوياته سيئة، وإذا لم يقبل العرب بهذه الحلول السلمية فالخطر أن تعبر اسرائيل نحو غرب قناة السويس<sup>(٢)</sup>!

(١) اجتماع عبد الناصر مع عارف وبومدين بعد عودتهما من موسكو، القاهرة ١٨/٧/١٩٦٧.  
- انظر أيضا مباحثات عارف وبومدين مع القادة السوفييت في الكرملين، موسكو ١٨/٧/١٩٦٧.

ومما يذكر أنه مع مشروع القرار الذي قدمه الاتحاد السوفيتي الى الأمم المتحدة في ٨ يوليو ١٩٦٧، وصلت الى عبد الناصر معلومات من الروس؛ أن اليهود يجهزون لعبور قناة السويس واحتلال ضفتها الغربية! وبالطبع سبب ذلك انزعاجا له! وثاني يوم صباحا أرسلوا له مشروع القرار هذا؛ الذي ينص على أن مجلس الأمن يبحث إنهاء حالة الحرب! وأضافوا أن هناك خطة أمريكية أن يعبر اليهود الى غرب القناة بـ ١٠ كم ويقفوا ولا يدخلوا القاهرة، ويسلموها للأمريكان! فعلق عبد الناصر: "كل ذلك أن نظل باستمرار تحت التوتر والخوف، ونقبل أى حل فى الجمعية العامة!"  
وأكد عبد الناصر، "أن الروس اتفقوا مع الأمريكان على الانسحاب وإنهاء حالة الحرب! فهذا كان مطلبهم منذ البداية والروس وافقوا عليه. ومن هنا لابد من سحب الروس فى الموضوع أكثر، وإلا إذا لم تحدث مواجهة هنا فلا فائدة!"

وتساءل عبد الناصر، "ماهى التنازلات التى نستطيع أن نعطيها؟ ممكن المرور فى خليج العقبة، وعودة قوة الطوارئ على الجانبين، وذلك بدون التعرض الى إنهاء حالة الحرب. هذا هو الحل السياسى وليس المقصود به تصفية قضية فلسطين أبدا... فاتفاقية الهدنة حسب القانون الدولى لا تنتهى حالة الحرب، فهى اتفاقية لوقف إطلاق النيران فقط...

ومن يقدر أن ينفذ هذا الكلام؟ هم الأمريكان وليس الروس، هل سيقبلون؟!  
وكان فى تقدير عبد الناصر، أن الأمريكان "اصطادوا صيدة كبيرة جدا، ونحن لمدة ١٥ سنة مدوخينهم فى هذه المنطقة، كيف يتركونا؟ إنهم معتبرين أن هذه فرصتهم أن يخلصوا منا، وهدفهم إسقاط النظام! وفعلا النظام اهتز... وضعنا مع الأمريكان أنهم لن يتركونا إلا إذا خلصوا علينا!  
نحن فى حاجة الى الاتحاد السوفيتي لأن اعتمادنا فيه على السلاح الجوى، ولابد أن أعطى شيئا!... وهناك فارق بين العمل السياسى والحل السياسى وأتكلّم عن العمل السياسى ، وأرى أنه لا يوجد حل سياسى، لماذا؟ لأننا لن نتفق أبدا! فالיום الحل السياسى بالطريقة التى يتكلّم بها الروس والأمريكان معناه تسليم"<sup>(١)</sup>!

(١) مباحثات عبد الناصر مع عارف وبومدين بعد رحلة موسكو، والمحجوب، القاهرة ١٩٦٧/٧/١٩.

والخلاصة أن مهمة بومدين وعارف الى موسكو فشلت، وكما سبق أن ذكرت، لا أحد كان يريد أن يكون مكان عبد الناصر بعد عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧؛ الجيش الذى أعده خلال ١٠ سنوات وتكلف ١٠٠٠ مليون جنيه انتهى وفقد روحه المعنوية. وكما قال عبد الناصر: "إنه يوم ٨ يونيه - بعد إيقاف القتال - لم يكن فى الضفة الغربية للقناة ولا عسكرى، وأرسلت قوات الحرس الجمهورى الى الإسماعيلية!" كما أن الحليف - وهو الاتحاد السوفيتى - غدر واتفق مع الأمريكان ليضمن مصالحه الخاصة.

ماذا تبقى؟ المحاولة مع العرب.

لقد ظل عبد الناصر على الرغم من هذا الموقف الميئس على مبادئه، محاولاً أن يجد مخرجاً بأقل تضحية ممكنة، ومصمماً على الصمود ورفض الاستسلام الى أن يصل اليهود الى منزله كما قال<sup>(١)</sup>!

لقد اتضح هذا كله من حواراته مع القادة العرب والسوفييت؛ ففي هذه المقابلات ظهر تكتيك عبد الناصر واستراتيجيته السياسية والعسكرية.

وبالنسبة للوضع فى هذا الوقت، طرح عبد الناصر فكرة لبومدين كالاتى: "أمامنا حل من الاثنين؛ يانناضل.. يانستسلم للأمريكان! إنها عملية عسيرة؛ لأن إذا كان الأمريكان سيساندوا اسرائيل ويضربونا بواسطتها، ممكن أن يتركوا الاسرائيليين يصلوا الى القاهرة ويحتلوا البلد كلها!

والذين يتكلمون عن حرب العصابات وإن عبد الناصر سيقا تل فى الجبهة! أين هذه الجبهة التى من الممكن أن يحارب فيها عبد الناصر؟! نحن لسنا مثل الجزائر.. نحن بلد مثل البساط تماماً، سيناء ليس بها ماء؛ أى إن حرب العصابات فيها صعبة جداً! وليس فيها أحد؛ فيها عدد من البدو لكنها ليست الجزائر! ثم إنها مكشوفة، فلو طلع العدو بالهيلوكبتر يستطيع أن يفعل كل ما يريد! كيف نحارب عصابات فى مصر؟! عملية مستحيلة! فى الجزائر جبال وقرى، نحن عندنا وادٍ مسطح مثل الحصيرة"<sup>(٢)</sup>!

- 
- (١) مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين ويومدين، القاهرة ١٠/٧/١٩٦٧.
- (٢) مباحثات عبد الناصر مع يومدين، القاهرة ١٠/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

## ٢- الموقف العربى المعقد:

تبنى محمد أحمد المحجوب<sup>(١)</sup> فكرة توحيد كلمة العرب، وقال: إن الحل السياسى لابد أن تسبقه خطوة أكيدة؛ أن يتفق العرب على خط موحد حتى يشعروا بالقوة. لقد حدث العدوان والدول العربية على خلاف، مصر مع الأردن والسعودية بسبب ثورة اليمن، والأردن مع السوريين، وليبيا موقفهم سئ فيوميا تقوم طائرات من قاعدة هويلس الأمريكية. "لقد كان فيه عراك أكثر من الذى مع اسرائيل! والتقىنا قبل المعركة بفترة، ولقاءاتنا هى التى عجلت بالمعركة"<sup>(٢)</sup>!

فى الواقع، أصبح ليس أمام عبد الناصر إلا الاستناد الى القوة العربية، وكان رأيه أنه يجب التفرقة بين الشعب العربى على مستوى القضية والحكومات العربية؛ ففى السعودية أعدم من هاجموا منشآت شركة آرامكو، وفى تونس هب الشعب وحرق السفارة الأمريكية، وكذلك فى المغرب. ومن جانب آخر، لقد أصبح الوضع الاقتصادى فى مصر خطيرا جدا بسبب وقف عائد قناة السويس وبتترول سيناء والسياحة؛ إذاً هى فى حاجة الى مساعدات وتسهيلات اقتصادية حتى تستطيع أن تجابه الموقف فى الجبهة الداخلية. وفى نفس الوقت الكويت عنده ١٥٠٠ مليار فى بنوك بريطانيا، والليبيون ٥٠٠ مليار!

## أ- ما سبيل الخروج من مأزق الأردن الصعب؟

أثناء مقابلته لبومدين فى القاهرة فى ١٠ يوليو ١٩٦٧، قال عبد الناصر: "الملك حسين حضر ودخل معنا فى دفاع مشترك، واليهود ضربونا ولم يضربوه، ثم أخذ هو الخطوة الأولى فى ضرب اسرائيل؛ لقد ضرب اسرائيل قبل سوريا ما تضربها! هذه الخطوة يجب أن أضعها فى اعتبارى ولا أنساها، ونتج عن هذا أنه فقد ثلاثة أرباع مملكته والضفة الغربية!"

ولم يكن عبد الناصر يعرف أن إشكول أرسل رسالة الى الملك حسين صباح ٥ يونيه عبر الأمم المتحدة؛ يطلب فيها الكف عن الأعمال العدائية، واسرائيل لن تهجم على الأردن<sup>(٣)</sup>!

(١) محمد أحمد محجوب، رئيس وزراء السودان.

(٢) اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف وبومدين، القاهرة ١٣/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٣) رسالة من إشكول الى الملك حسين عن طريق رئيس أركان هيئة الأمم المتحدة لمراقبة الهدنة، صباح يوم ٥/٦/١٩٦٧.

وقال لبومدين: "لقد بعثت للملك حسين، قلت له: ألا يقطع علاقته مع الولايات المتحدة وبريطانيا؛ فهو بالذات وضعه سئ، يريد أن يستعيد الضفة الغربية. ولن يستطيع الملك حسين أن يستعيدها إلا إذا وافقت أمريكا على هذا!"

وشرح عبد الناصر، "الضفة الغربية مختلفة عن سيناء اختلافا كليا؛ لأن اليهود مهما استمروا في سيناء.. سنة أو اثنين أو خمسة، فهم في صحراء فيها شمس، والفيران والثعابين، والحيات.. لا يوجد شئ في سيناء!"

الحقيقة الضفة الغربية وضعها يختلف؛ كلما يطول تواجد اسرائيل في الضفة الغربية كلما يكون من العسير على العرب أن يستردوها، وهذا من تتبعنا لسير اليهود!...

فماذا يفعل الملك حسين؟! إننى أتكلم لأكون منصفاً... الحقيقة نحن بكل الوسائل يجب أن نساعد. وأقول: إنه لو عمل حلفا مشتركا مع أمريكا لكى تعطيه الضفة الغربية، أقول: أهلا! أقول هذا لأن الوضع يختلف اليوم؛ لأن هل الملك حسين ثورى؟! هل الملك حسين هو بومدين؟! الملك حسين هو الملك حسين! ولكنه اليوم فى أزمة والشعب الفلسطينى فى أزمة".

وبعد أن أبلغ عبد الناصر بومدين أن الملك حسين سيحضر سعت ١,٣٠، ويشترك فى هذه الجلسة، ذكر له.. "أنه إذا قال الملك حسين إن الأمريكان طلبوا منه أن يعمل معهم دفاعا مشتركا ويعطيهم قواعد فى الأردن، وعلى هذا الأساس يخرج اليهود من الضفة الغربية؛ أقول: أنا موافق! أى الى هذا المدى! لماذا؟ لأن كل يوم يمر على اسرائيل فى الضفة الغربية هو تمكين لاسرائيل، وإضعاف إمكانية عودة الضفة الغربية الى العرب..."

إن مأساة الضفة الغربية أكبر جدا من مأساة سيناء... الضفة الغربية مكتظة بالسكان ومأساتها عنيفة؛ فواجب علينا أن نساعد الملك حسين ولا نخلق له مصاعب إذا كان فى الإمكان أنه يحل هذه المشكلة، ونعطيه الأسبقية.

يجب أن نساعد الأردن اليوم بجميع الوسائل لاستعادة الضفة الغربية؛ فيه محنة كبيرة فيها وبالنسبة للاجئين العرب وما حدث فيهم!"

وكان الملك حسين قد قام بجولة فى أوروبا وأمريكا، فقال لعبد الناصر بعد حضوره الى القاهرة فى ١٠ يوليو ١٩٦٧: "أثناء لقائى مع جونسون، فهمت من كلامه أنهم يؤيدون حق اسرائيل فى العيش، الى جانب ما يتعلق بالملاحة والقدس، والأماكن المقدسة والمرتفعات السورية تكون منزوعة السلاح؛ وبعبارة أخرى كل طلبات اسرائيل!"

واستطرد، "أما فى لندن، فقد أبدوا استعدادهم للمساعدة فى التسليح. وفى فرنسا ديجول له موقف شجاع؛ لقد قال: إنه يقف الى جانب الحق، وأكد أن سياسته كانت تقوم على منع الانفجار فى

المنطقة، وأنه على استعداد لتقديم كل أشكال المساعدة. وفي إيطاليا، وجدتهم ناس عايشين فى نوع من الخيال، ويقولون: إنه يجب علينا أن نسمح لليهود بالعيش والمياه وخلافه!"  
وتحدث الملك حسين عن الخسائر أثناء الحرب فى المعدات والأرواح، وقال: "إنها كانت كبيرة جدا، اليهود نسفوا قرى بكاملها فى القدس، وكانت عمليات نهب"<sup>(١)</sup>!  
ثم دار الحوار الآتى:

حسين: التعبئة على الجانب الفلسطينى لم تكن على المستوى المطلوب... عندنا عيوب كثيرة!

عبد الناصر: الحل؟

حسين: الحل أن نجتمع ونعرف أى واحد رأيه إيه.. هذه الصدمة تصحى الأموات!

عبد الناصر: وضع اليهود فى سيناء غير الضفة الغربية؛ لأن سيناء إن شاء الله يظلوا عشر سنين.. يقعدوا مع الفنران! لأنه يحضر مياه للذين على قناة السويس من داخل اسرائيل وأكل! موضوع سيناء لا يوجد ناس تقاسى فيه، موضوع الضفة الغربية أخطر؛ كل وقت يمر واليهود فى الضفة الغربية يجعلهم يتمسكون بها.. وهى فلسطين، وعلى هذا الأساس مستحيل أن يمشوا!

حسين: وأيضاً من حيث طبيعة الأرض.

عبد الناصر: منطقة غنية.. أحسن من النقب ومن كل ما يريدونه!

حسين: اقتراح نوع من التعاون بين الدول الإسلامية على المدى البعيد فى الأمم المتحدة.

عبد الناصر: وقفوا معنا ماعدا ايران! لأنها تصدر لهم البترول عبر إيلات؛ تركيا وباكستان موقفهما جيد. شئ غريب، اليهود عندهم قضية والعرب لا يبدو إن عندهم قضية! اليهود عندهم قضية يموتون من أجلها.. حرب دينية! العرب على قد ما نقول فلسطين وكذا، لكن القضية ليست عميقة بالعمق الذى يجعل الإنسان يموت!



(١) محضر مباحثات عبد الناصر والملك حسين وبومدين، القاهرة، ١٠/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

حسين: الضفة الغربية فيها سلاح - القرى الأمامية - وكنا نقول لهم: خذوها وحاربوا، قالوا: لا!

عبد الناصر: قطاع غزة مختلف.. خان يونس قاتلوا قتالا مريرا.

حسين: العراقيين كان موقفهم مشرف.

بومدين: سؤال.. لماذا اليهودى متقدم؟ لأنه يقول: بدون اسرائيل ليس لى وجود!

عبد الناصر: ظروفنا كانت سيئة، كنا واقعين مع الأردن والأردنيين مع السوريين، وكنا فى صدام وعراك مستمر.. أكثر من الذى بيننا وبين اسرائيل! وكنا تاركين اسرائيل ونسب فى بعض! والتقىنا قبل المعركة بفترة، وأعتقد أن لقاءاتنا هى التى عجلت بالمعركة؛ فهذا درس؛ يجب فى المستقبل أن نأخذ درس الماضى كلنا...

أنا قلت اليوم للملك حسين: أنت وقفت موقفا لن أنساه لك، وقتله أمس لبومدين: كان يقدر ألا يحارب!"

وانتقل عبد الناصر الى الحديث عن كيفية حل مشكلة الأردن فى حضور الملك حسين مع بومدين. نفس الخط الذى طرحه مسبقا، "إن مشكلة الأردن اليوم عويصة غير مشكلتنا.. كيف نحل مشكلة الأردن؟

أنا اليوم أبدى حل مشكلة الأردن على مشكلة سيناء وقناة السويس؛ فلا بد أن نحل المشكلة الأردنية من أجل الضفة الغربية، واليهود إذا تشبثوا بالأرض لن يتركوها!  
أقول للملك حسين: يروح يقعد مع الأمريكان! ما هو الحل البديل؟ إذا قلت: قف.. ناضل، كيف تناضل؟! أنا سأناضل وعندى إمكانيات أستطيع استعادة سيناء. ما هو السبيل؟ كيف سيناضل الملك حسين؟!

إنه يأخذ من الولايات المتحدة فى السنة ٤٥ - ٥٠ مليون دولار، إذا لم يأخذهم من يدفع مرتبات الموظفين؟! أنا مستعد أدفعهم، وقد قلت له: ما يطلبه منى أنا مستعد رغم حالتنا.. مستعد، ولكن لن أستطيع أن أدفع ٥٠ مليون دولار! لأن نصف عملتى ضايعة.. قناة السويس والقطن! عندى ٥٠٪ من العملة الصعبة متوقف! وأريد أن أشتري قمح.. وطلبنا من الروس".

واستطرد عبد الناصر، "تناقش موضوع الأردن حتى نكون منصفين، كان يأخذ أسلحة من أمريكا... وقفوا هذا! من أين سيشتري الأسلحة؟! نقول: سيبنى جيشا.. لن يستطيع! نقول: سيناضل ويعتمد على نفسه.. لن يستطيع! سيناضل بماذا؟ ليس عنده!  
كيف سيسترد الضفة الغربية؟! هل نتركها لليهود؟! نقول نسيبها ٢٠ سنة! بعد سنة لن تستعيد الضفة الغربية مطلقا!

ما الذى نفعله بالنسبة للأردن؟ وضع الضفة.. حرام تضيع بهذا الشكل! والناس والعرب الذين فيها.. مصيبة! ثم هل نقدر نستعيدها بالقوة؟ متى؟ الجيش الذى كنا نبنيه فى ١٠ سنين انتهى! إذاً سنبنى جيشا آخر.. فى قد إيه؟!...

وتساءل عبد الناصر.. "إذاً فى مؤتمر القمة ماذا سيكون الموقف العربى؟ فى رأى ستحدث مزيادات؛ لأن فيصل يقول: الحل الوحيد هو إبادة إسرائيل!... وهو فى هذا عملية كلها نفاق!  
أنا أقول للملك حسين: فى سبيل استعادة الضفة الغربية يتفق مع الأمريكان. وقد أرسلت له بعد قطع العلاقات مع أمريكا [فى ٦ يونيه]، وقلت له: لا تقطع العلاقات! وأنا فى هذا لن يكون لى تحفظ مع أى تصرف، لماذا؟ ما هو السبيل الآخر؟ ماذا يعمل الملك حسين اليوم؟"  
ثم قال عبد الناصر: "والله أنا أبكى على الضفة الغربية أكثر ما أبكى على سيناء.. والله.. ويعلم الله، لماذا؟ أنا سيناء تجرحنى وطنيا يمكن، الضفة الغربية جرحتنى انسانيا، وقد رأيت الفلسطينيين وما حدث لهم فى ١٩٤٨، ومتصور أن ما حدث لهم هذا العام أضعاف أضعاف ما حدث لهم سنة ٤٨!

ولا أقول هذا الكلام تخاذلا، لكن ماذا يفعل الملك حسين؟ ماذا نقول له أن يفعل؟! وأعتبر أننا مسئولون فى المستقبل عن هذا؛ ماذا يستطيع أن يفعل الأردن؟ وإذا تركنا الضفة؛ إسرائيل تريد فلسطين كلها.. وأخذت فلسطين كلها"<sup>(١)</sup>!

اعترض بومدين على كلام عبد الناصر وقال: "لست مؤيدا!" ودار الحوار التالى:

عبد الناصر: إذاً ماذا نعمل؟ هل نترك غرب الأردن لليهود؟! هل يطلبون الاعتراف؟

حسين: حق الوجود!

عبد الناصر: الوجود! ولكن لا يطلبون الاعتراف ولا تبادل تمثيل! ثم موضوع القدس.. واضح أن الأمريكان مسلمين القدس لليهود!

(١) المرجع السابق.

بالنسبة للضفة الغربية، هل يمكن للأردن أن يستعيدتها بالنضال - على الطريقة الجزائرية - وعندكم ٧ دبابات اليوم؟! ثم هل يمكن للسكان الأردنيين أو الفلسطينيين الموجودين في الضفة أن يناضلوا؟!

أرى أن العملية صعبة جدا، أقول هذا الكلام علنا أمام الكل حتى أرضى ذمتي بالنسبة للتاريخ والواجب، فما العمل وما الحل اليوم؟

الموضوع ليس شعارات وكلام.. الموضوع إمكانيات وقدرة، وفي رأيي.. الأردن وحده غير قادر أن يعمل شيئا أبدا!

ما إمكانية العرب الموجودين تحت الحكم الاسرائيلي؟ إمكانياتهم صعبة... اليهود سيقومون فيهم طابورا خامسا، ويخلصوا على الناس بهذا الشكل! هذا رأيي الشخصي".  
وعندما تساءل الملك حسين عما سيفعله عبد الناصر، قال: "سأسلح نفسي مرة أخرى وأبني جيشا وأحارب.. إن شاء الله يقعدوا ١٠ سنين في سيناء! وضعنا يختلف عن وضعك.. لن أخضع أنا للأمريكان، إلا إذا جاءوا القاهرة ودخلوها وخلصوا على! مشكلة سيناء غير مشكلة الضفة الغربية.  
ويمكن نبدأ بعد ٣ أو ٤ شهور حرب عصابات في سيناء، ويمكن نكفرهم في سيناء ولا نوصل لهم مياه ولا أكل.. نتعبهم! وليس لدينا المدنيين الذين سوف يضارون في سيناء؛ لأنها تقريبا رمل فاضية!

فأنا مع الأمريكان لن أسلم حتى يصلوا الى البيت هنا في منشية البكرى، وييجوا يأخذوني ويعملوا في ما يريدون!"

واستطرد عبد الناصر: "أنا عندي إمكانية أعمل.. أطلب الروس يحضروا هنا، أطلب سلاح، أطلب طائرات وطيارين، وأعمل معهم دفاعا مشتركا، ومستعد أن أصل الى أقصى مدى في هذا الموضوع؛ لأن العملية أصبحت بالنسبة لنا.. الأمريكان يريدون أن يذلونا!

وأنا طلبت الأسطول السوفيتي أول أمس [٨ يوليو].. وصل اليوم الى بورسعيد، لأن أول أمس اليهود أحضروا معدات قتال حتى يعدوا القناة ويصلوا الى غربها! فطلبت طيارين روس؛ لأنني بالقوة الجوية التي عندي لا أستطيع أبدا أن يكون لي التفوق الجوي..

إننى أعتبر أننى لست واقفا أمام اسرائيل بل أمام أمريكا! سأناضل بكل وسيلة ولن أستسلم للأمريكان، ولن أصل الى حلول وسط. وإذا قدروا يخلصوا علىّ وجابوا أحدا غيرى؛ إذاً ليس لى فى هذا، الذى سيأتى سيمشى مثل ما يريد! ليس أمامى وضع إلا هذا!"

وإزاء إصرار بومدين على الحل العسكرى، هنا رد عبد الناصر، "مستحيل! ما هو الذى نقدر نعمله كعرب لاستعادة الضفة الغربية؟ الاجتماع فى مؤتمر قمة؟ قطع العلاقات؟ لا أحد! قطع البترول؟ لا أحد! سحب الأموال؟ لا أحد! بل من خلفنا يقولون للأمريكان: خلصوا عليهم وسيحوا دمهم فى الشوارع!"

وهنا علق الملك حسين، "بالنسبة لأمتنا، ضياع الضفة يعنى ضياع فلسطين!"  
رد عبد الناصر، "والله أنا هاموت على العرب الذين تحت يد اسرائيل.. مليون!"  
وأضاف.. سيتلم العرب ولن يتفقوا على شئ!

وما فيه فائدة فى العرب ولا مؤتمرات القمة، سيكون الموضوع مزادات، وسنسمع كلام يسيئنا أكثر من عيشتنا ومن حياتنا وسنرى شماتة!"

أنا قانع بهذا الرأى وهذا رأى الشخصى .. رأى جمال عبد الناصر شخصيا وليس رأى إخوانا.. إنهم لم يشتركوا معى فيه؛ أنا رجل مناضل ولست أمريكانى".

وشرح عبد الناصر أكثر موجها حديثه للملك حسين، "فى هذا الوقت أنت ستأخذ خطأ سياسيا ونحن خطأ آخر؛ لأننا سنهاجم الأمريكان، لكننا فى مصر لن نهاجمك ولن نتعرض اليك فى هذا الموضوع إطلاقا، ولن نقيم لك عقبات فى هذه العملية".

وأضاف عبد الناصر، "قد يكون من الصعب على النفس أن أقول لك هذا الكلام؛ فهذا ليس كأس حليب أو كأس حلو أبدا، هو كأس مر! وبعد ما تستعيد الضفة الغربية تناضلوا حتى تتخلصوا من النفوذ الأمريكانى وسيطرتهم.

إن تصورى تصور واقعى، إننى لم أحاول ألف وأدور؛ لقد تكلمت فى الموضوع على المكشوف جدا بأقصى ما يمكن!"

ونظرا لأن عبد الناصر كان مدركا أن بومدين غير موافق على كل هذا، وجه اليه الحديث قائلا: "أخ بومدين.. يعز على أن أقول اليوم رأيا بهذا الشكل، ولكن ماذا نعمل؟! لقد قلت له أمس: إننا مستعدين أن نقاسم معه لقمة العيش برغم الظروف والعمليات القاسية؛ عندنا.. وأى شئ يطلبه منا.

ما المساعدة؟ ما الذى نقدر نعمله؟!؟

هنا تحدث الملك حسين، "لا بأس.. الحزن متصل بالألم، العيب.. فى وطننا العربى وفى أمتنا العربية نقتضعف؛ لا نعتمد على أنفسنا... والمهدد فعلا استمرار وجودنا كعرب!..."

المعركة كانت حتمية؛ العدو لم يكن ليصمح لنا أن نصل لدرجة من القوة التى نهدهه فيها، وراح يخلق الأسباب التى تجعله يقدم على عمل"<sup>(١)</sup>.

### ب- الوضع المناوى فى سوريا:

أما بالنسبة لسوريا، فقد كان فى رأى عبد الناصر أن النضال الوطنى مستحيل بالأوضاع الموجودة؛ لأن النظام حزبى ومنعزل عن الشعب.

وعنما التقى عبد الناصر مع الأتاسى وعارف وبومدين فى القاهرة فى ١٣ يوليو ١٩٦٧، فوجئ باقتراح سورى بالوحدة! فكان رده؛ "هل من واقعنا اليوم أن نتكلم عن الوحدة؟! ممكن أن يتفق عليها كهدف، ولكن الآن سندخل فى مشاكل كثيرة جدا... ممكن أن نحققها فى ٥ - ١٠ سنوات، ونبدأ بعمل مشترك".

وأضاف عبد الناصر، "الوحدة من موقع الهزيمة الذى وصلنا له لن يكون لها التأثير العربى مثل وحدة ١٩٥٨، التى كانت عبارة عن سلسلة انتصارات؛ فمصر كانت قد تغلبت على العدوان الثلاثى بعد تأميم قناة السويس، والمد الوحوى العربى وصل الى أقصى ما يمكن. اليوم الصورة عكسية جدا"<sup>(٢)</sup>.

لقد كان عبد الناصر فى محادثات مع رؤساء دول المواجهة العربية صريحا ولم يخف شيئا، ووضعهم أمام مسئوليتهم فى هذا الموقف الصعب الذى يواجهونه.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف ويومدين، القاهرة ١٣/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

### ٣- عبد الناصر يقبل حضور مؤتمر القمة العربي بعد عزوف:

كان رأى عبد الناصر فى مؤتمرات القمة معروفا، "إحنا دعينا الى مؤتمرات القمة فى سنة ٦٣؛ لأنه كان هناك شىء واحد بيهما، وهذا الشىء هو فلسطين وتحرير فلسطين... رضينا أن نجلس مع الرجعية..."

بعد تجاربنا التى لمسناها من الرجعية العربية لا نستطيع أن نشترك فى مؤتمر القمة... حاولنا أن نصفى الجو العربى، وحاولنا الجمع بين الجميع، وحاولنا أن نصفى مشاكلنا مع السعودية؛ والسنة اللى فاتت فى أغسطس ذهبت الى جدة، وذهبت حتى أتلقى صداما مع السعودية...

وفى العام الماضى... وجدنا أن الرجعية العربية تكرهنا أكثر مما تكره إسرائيل<sup>(١)</sup>!

ولكن فى هذه الظروف، قرر عبد الناصر ألا يقاطع المؤتمر الذى دعا اليه الملك حسين فور انتهاء العمليات العسكرية مع إسرائيل فى ٩ يونيه. وكانت وجهة نظر عبد الناصر، أن يحاول أن يصل لشىء من هذا المؤتمر إرضاء للرأى العام العربى الذى ينادى بجمع الشمل. ومن هنا قال لبومدين: "تذهب ونحاول، وإذا نجحنا كان بها، وإذا لم ننجح نكشف ونقول: نحن لم نقصر؛ لقد ذهبنا، ولكن هؤلاء يريدوننا أن نترك طريق الثورة ونسير فى طريق الخيانة"<sup>(٢)</sup>!

وهنا كان فى ذهن عبد الناصر عدة مشاكل تواجه حضوره مؤتمر القمة العربى بالخرطوم، ولكن أهمها الصراع فى اليمن.

### - هل يترك عبد الناصر اليمن؟

هنا كان عبد الناصر فى وضع لا يحسد عليه لعدة اعتبارات..

(١) توقع المزايدة من جانب الملك فيصل، وكان موضوع اليمن يشكل مشكلة عسكرية وأخلاقية تتعلق بمبادئ التحرر العربى، فى الوقت الذى تحتل إسرائيل جزءا من التراب المصرى. فعندما وقع عدوان ٥ يونيه كانت مصر فى حالة حرب مع السعودية لأكثر من ٥ سنوات بعد قيام ثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢. وللأسف "عندما بدأ القتال مع اليهود بدأ الهجوم على قواتنا فى اليمن"<sup>(٣)</sup> بعد أن كانت العمليات الحربية هادئة.

(١) خطاب عبد الناصر فى عيد الثورة الرابع عشر من الإسكندرية، ١٩٦٦/٧/٢٦، خطب عبد الناصر، ج٣، ص ٢٧٤

- ٢٨٩، مرجع سابق.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع بومدين، ١٩٦٧/٧/١٠، مرجع سابق.

(٣) اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف وبومدين والأزهرى والمحجوب، القاهرة ١٩٦٧/٧/١٦، مرجع سابق.

(٢) كان عبد الناصر فى أشد الحاجة الى القوات المصرية فى اليمن، لتقف على خط النار أمام اليهود بطول قناة السويس؛ ٣٠ ألفا بمعداتهم. ولكنه أكد فيما يتعلق باليمن أنه وصل فى التنازل الى أقصى ما يمكن؛ سحب الجيش المصرى فى ٩ أشهر. وافق عبد الناصر على كل ذلك على أن تتسحب عائلة حميد الدين ولا تدخل اليمن، فرفضوا وحشدوا مرتزقة وطائرات وصواريخ هوك!

وكان عبد الناصر يرى أن موضوع اليمن ليس متعلقا به وحده، بل هو يمثل وجودا ثوريا فى هذه المنطقة من شبه الجزيرة العربية، وانتهائه معنى انتهاء جميع الحركات الثورية فيها؛ فاليمن تمدها بالسلاح والذخيرة والتدريب.. الخ من أجل عدن والجنوب.

وكان عبد الناصر يعلم أن البعض يرى "أنه يجب أن نكون واقعيين؛ فلا نستبقى قوات فى اليمن، ولا نتحدى فيصل ولا الأمريكان؛ نسلم اليمن لفيصل ونجعله يتوسط لنا عند الأمريكان! هذا كلام ساذج! إذا سلمت اليمن لفيصل معنى هذا أن خطة أمريكا نجحت؛ إنها تستهدف اليمن والدول العربية وعدن والخليج ومصر.. تستهدف كله! فإذا سلمنا اليمن اليوم تكون أول ثمرة أخذوها من العدوان. بالتالى الثمرة الثانية هى عدن والجنوب؛ لأنهم إذا أخذوا اليمن فورا حركة التحرير الموجودة فى عدن والجنوب تنتهى، فهى أساسا تغذى من تعز؛ بالتالى حركة التحرير الموجودة اليوم فى الخليج تنتهى!

فإذاً العدوان يكون بهذا أعطى ثمارا! ثم عملية إنى أجعل فيصل يتوسط لنا عند الأمريكان.. كيف؟!!

وكان عبد الناصر يتساءل، "هل نترك اليمن؟ لقد سألنا هذا السؤال وسألته لنفسى! نحن الحقيقة فى شدة الحاجة الى القوات الموجودة فى اليمن؛ لأن هى القوات الصلبة الباقية، ولو نحضرهم نقدر نوقف اليهود لا يعدوا أبدا للغرب، وثمكنا من أن نقف.

لكن السؤال.. هل أترك اليمن لأدافع عن القناة؟ أم نحفظ بها؟

رأى ألا نترك اليمن أبدا، نظل فيها ونساعد حركة تحرير الجنوب، وإلا إذا أخذوا نجاحا اليوم.. إذا أخذوا نتيجة وثمره من الثمرات يكونوا نجحوا! إننى أعتبر حتى الآن أنهم لم ينجحوا؛ لأن الأنظمة لم تسقط ولم يسقط شئ، وفيصل - وهو يرانا فى مركز أضعف مما كنا فيه من سنة - فلا يمكن أن يسلم فى اليمن بسهولة" (١)!

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع بومدين، القاهرة ١٠/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.



وبما أن الإنجليز سيتركون الجنوب العربى فى ٩ يناير ١٩٦٨، فقد قرر عبد الناصر ألا يبدأ ولا يعلن الانسحاب قبل هذا التاريخ؛ لأنهم إذا استقروا بالوطنيين هناك سيدبحونهم جميعاً<sup>(١)</sup>! ونظراً لتزايد أعمال الهجوم العسكرى من جانب السعودية فى هذه الفترة، فقد رأى عبد الناصر أن مؤتمر القمة قد يساعده لإنهاء هذا الصراع العسكرى، من دون ترك اليمن تماماً إلا بعد استقلال الجنوب.

كل هذه العوامل مع ضغط القادة العرب، دفعت عبد الناصر الى قبول الذهاب الى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم، وقال: "سأذهب الى مؤتمر القمة لكى يظهر لكل واحد موقفه، وأضع كل عند مسؤوليته، وأقول لمن لم يقاثل: إن من قاتل أشرف منك، ونحن إذا كنا هزمتنا فى معركة، فهذا لا يعنى أننا تخلينا عن مسؤوليتنا.. نحن لم ولن نتخلى عن مسؤوليتنا"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف ويومدين والأزهرى، القاهرة ١٤/٧/١٩٦٧.

(٢) اجتماع عبد الناصر مع الأتاسى وعارف ويومدين والأزهرى والمحجوب، القاهرة ١٦/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

#### ٤ - مؤتمر الخرطوم وانجازاته غير المتوقعة:

##### أ- التشاؤم بعد انعقاد مؤتمر وزراء الخارجية العرب:

عقد مؤتمر لوزراء الخارجية العرب في الكويت في ١٧ يونيو ١٩٦٧ للتحضير لمؤتمر القمة العربي، وكان موقف السعودية فيه سيئاً؛ فقد اشتعل القتال في اليمن أثناء العدوان الاسرائيلي وبعده! كذلك أعربت تونس عن تمسكها بموقفها السابق؛ ضرورة الصلح مع اسرائيل، وكانت العلاقات مقطوعة بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة بسبب هذا الموقف منذ ١٩٦٥.

وخشى عبد الناصر من أن ينتهي المؤتمر بمزيد من الخلافات العربية! وكان رأيه "أن العملية ليست خسارة الحرب أو عدم خسارة الحرب أو خسارة معركة، إنما العملية هي فعلا تتعلق بالشرف.. يعنى ممكن الواحد يخسر معركة لكن لا يخسر شرفه"<sup>(١)</sup>!

لقد كان واضحاً من مؤتمر وزراء الخارجية العرب، أن دول البترول - باستثناء العراق - غير مستعدة لوقف ضخه الى الولايات المتحدة وبريطانيا أو سحب أرصدها منها، كما كان يطالب الرأي العام العربي. وأن هذا الوضع غير جدى؛ فإن سبب مشاكل الغرب هو قفل قناة السويس وليس ضخ البترول.

إلا أنه ظهر احتمال لحل موضوع اليمن؛ فالجيش المصرى هناك كان بوحداته كاملة، وكانت مصر فى أشد الحاجة الى هذه القوات!

وإزاء نتائج مؤتمر وزراء الخارجية العرب، قال عبد الناصر للملك حسين: "ليس عندى أمل فى مؤتمر القمة، وقلت لبومدين: لا أريد أن أرى فيصل أو بورقيبة ولا ليبيا فى هذه الأوضاع! ليبيا موقفهم سيء.. يوماً تطلع طائرات من قاعدة هوبليس! ولكنى مستعد أن أذهب من أجل الأردن ومن أجل الطلب من الملك حسين.. قد يجرحونا هؤلاء ويسببوا لنا!"

وكان من رأى عبد الناصر، "أن مؤتمر القمة لن يصل الى أى حل إلا وضع الناس أمام مسؤولياتها... إن واقع الأمة العربية واضح أثناء المعركة وبعدها، ولكننا وافقنا على حضور المؤتمر على أساس طلب الملك حسين والمحنة التى وضعت فيها الأردن.. والأرض. وعلى غير رغبتنا قلنا: إذا كان هذا طلبكم، وترون أن فيه فائدة - ونحن لا نرى ذلك - سنذهب الى المؤتمر. وطلبنا تأجيله لما بعد دورة الأمم المتحدة؛ حتى لا تحدث الانقسامات المتوقعة وتضعنا فى موقف أسوأ أمام الرأي العام العالمى"<sup>(٢)</sup>.

(١) محضر جلسة مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٧/٢، مرجع سابق.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر والملك حسين ويومدين، القاهرة، ١١/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

## ب- مفاجأة المؤتمر:

وفى ٢٦ أغسطس تحدد ميعاد مؤتمر القمة العربى، وذهب عبد الناصر الى الخرطوم وهو فى موقف لا يحسد عليه، وفوجئ بمقدمة لم يتوقعها!

وسأتركه يصف مشاعره بعد استقبال الشعب السودانى الأسطورى له بالخرطوم، وذلك عندما زارها مرة ثانية فى يناير ١٩٧٠: "جئت اليكم هنا فى أغسطس بعد الهزيمة، وفى هذه المواقف الصعبة كنت أتساءل وأنا أصل الى مطار الخرطوم.. ماذا سيكون عليه الحال حينما أقابل هذا الشعب الشقيق؟!... وحينما وصلت الى عاصمتكم المجيدة رأيت شعب السودان البطل يعطينى من الأمل فى المستقبل كل ما أحلم به.

رأيت شعب السودان البطل وقد وقف فى الطرقات من الصباح الى المساء حتى وصلنا لنحضر مؤتمر الخرطوم. وكان الشعب كله ينادى بالتصميم على النضال، على الصمود، على الوقوف حتى النصر. وبعد ذلك خرجت المجالات الأمريكية تقول: الخرطوم تهلل للمهزوم"<sup>(١)</sup>!

لقد عقد مؤتمر الخرطوم فى جو عربى مشحون بالإحساس بالهزيمة، وفى نفس الوقت ظل العداء موجودا بين بعض الزعماء العرب كما ذكرنا!

ولكن بالنظر الى واقع العالم العربى كما كان بعد العدوان الاسرائيلى، نستطيع أن نقول إن مؤتمر الخرطوم حقق نجاحا لا ينبغي إنكاره..

لقد اختار المؤتمر الإصرار على كل شئ مما هو ممكن؛ فباب العمل العسكرى ظل مفتوحا، وباب العمل السياسى ليس مغلقا وإنما بشروط حددها المؤتمر؛ لا صلح مع اسرائيل، لا إعراف بها، ولا تفاوض معها، ولا تفريط فى حق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

كما قرر المؤتمر الدعم الاقتصادى من جانب الدول المنتجة للبتترول للدول التى على الحدود مع اسرائيل واحتلت أجزاء من أراضيها؛ الجمهورية العربية المتحدة، سوريا، الأردن.

وفيما يخص النزاع فى اليمن بين الجمهورية العربية المتحدة والسعودية، فقد كان أصلا منتهيا منذ اليوم الذى أعلنت فيه بريطانيا أمام الضربات المتلاحقة لثوار الجنوب العربى أنها قررت الجلاء عنه عام ١٩٦٨، ثم حددت يوم ٩ يناير منه لإتمام هذا الجلاء.

(١) خطاب عبد الناصر فى الاستاد الرياضى بالخرطوم، ١/١/١٩٧٠، خطب عبد الناصر، ج٢، ص ٢٥٥ - ٢٧٨، مرجع سابق.

وقد قال عبد الناصر أكثر من مرة: "إن قواتنا لن تترك اليمن قبل أن تجلو القوات البريطانية عن الجنوب العربى"<sup>(١)</sup>.

وفى مؤتمر القمة العربى فى الخرطوم، استطاع عبد الناصر - بالتعاون مع الملك فيصل - الاتفاق على موضوع اليمن، وكان الهدف هو تحقيق المبادئ بغض النظر عن الأشخاص؛ فيكفى أن يكون هناك نظام حكم وطنى فى صنعاء بدون قوات مصرية، والوطنيون فى عدن والجنوب العربى يتولون الحكم<sup>(٢)</sup>.

وقد خرج مؤتمر الخرطوم بالقرارات الآتية:

(١) أكد المؤتمر وحدة الصف العربى، ووحدة العمل الجماعى وتنسيقه وتصفيته من جميع الشوائب. كما أكد الملوك والرؤساء وممثلوهم التزام بلادهم بميثاق التضامن العربى وتطبيقه، الذى وقع فى مؤتمر القمة العربى الثالث فى الدار البيضاء فى ١٥ سبتمبر ١٩٦٥.

(٢) قرر المؤتمر ضرورة تضافر جميع الجهود لإزالة آثار العدوان؛ على أساس أن الأراضى المحتلة أراض عربية يقع عبء استردادها على الدول العربية جمعاء.

(٣) اتفق الملوك والرؤساء، على توحيد جهودهم فى العمل السياسى على الصعيد الدولى والدبلوماسى لإزالة آثار العدوان، وتأمين إنسحاب القوات الاسرائيلية المعتدية من الأراضى العربية المحتلة بعد عدوان ٥ يونيه؛ وذلك فى نطاق المبادئ الأساسية التى تلتزم بها الدول العربية؛ وهى عدم الصلح مع اسرائيل أو الاعتراف بها وعدم التفاوض معها، والتمسك بحق الشعب الفلسطينى فى وطنه.

(٤) كان مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والبتترول العرب قد أوصى بإمكانية استخدام وقف ضخ البترول كسلاح فى المعركة، ولكن مؤتمر القمة رأى بعد دراسة الأمر مليا، أن الضخ نفسه يمكن أن يوجه لدعم اقتصاد الدول العربية التى تأثرت مباشرة بالعدوان، ولتمكينها من الصمود فى المعركة.

وقرر المؤتمر بمبادرة من عبد الناصر استئناف ضخ البترول باعتباره طاقة عربية ايجابية يمكن تسخيرها فى خدمة الأهداف العربية، وفى الإسهام فى تمكين الدول العربية التى تعرضت للعدوان وفقدت نتيجة لذلك موارد اقتصادية، من الصمود لإزالة آثار العدوان.

(١) هيكل، "الخرطوم وما بعدها"، ٦٧/٩/٨، بصراحة، مرجع سابق.

(٢) خطاب عبد الناصر فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى العيد السادس عشر لثورة ٢٣ يوليو، ١٩٦٨/٧/٢٣،  
خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ٥٧٧ - ٦٠١، مرجع سابق.

(٥) أقر المجتمعون المشروع الذى تقدمت به الكويت لإنشاء صندوق الإنماء الاقتصادى والاجتماعى العربى؛ طبقا لتوصية مؤتمر وزراء المال والاقتصاد والنفط الذى انعقد ببغداد.  
(٦) قرر المجتمعون ضرورة اتخاذ الخطوات اللازمة لدعم الإعداد العسكرى لمواجهة كافة احتمالات الموقف.

(٧) قرر المؤتمر سرعة تصفية القواعد الأجنبية فى الدول العربية.

كما قررت كل من المملكة العربية السعودية والكويت والمملكة الليبية، أن تلتزم كل منها بدفع المبالغ التالى بيانها، ومقدما عن كل ثلاثة أشهر، ابتداء من منتصف أكتوبر الى حين إزالة آثار العدوان..

المملكة العربية السعودية ٥٠ مليون جنيه إسترلينى.

الكويت ٥٥ مليون جنيه إسترلينى.

المملكة الليبية ٣٠ مليون جنيه إسترلينى.

وقد اعتبر عبد الناصر مؤتمر القمة العربى ناجحا على عكس التوقعات التى سبقته؛ فقد كان يهدف الى أخذ أى تعويض اقتصادى يساعد فى الصمود ومواجهة الضغوط، وقد تحقق هذا الهدف. كذلك تم حل موضوع اليمن؛ مما مكن من سحب القوات المصرية من هناك بعد انسحاب القوات البريطانية من الجنوب العربى.

وفى الواقع كان المتوقع أن عبد الناصر سيطالب بمنع ضخ البترول فى المؤتمر، ولكنه وجد أن هذا سيكون بلا نتيجة؛ لأن لا أحد كان موافقا على ذلك! وعبد الناصر هو الذى حول المؤتمر للاتجاه الذى حدث؛ فهو يريد أن يصمد، وهذه هى السبيل الوحيدة أن يأخذ منهم مبلغا ليقف اقتصاديا. وقد رحبوا جميعا بذلك، والمبلغ الذى أقروه كان فى رأى عبد الناصر أكثر مما كان ينتظر<sup>(١)</sup>!

وأنتذكر أننى لم أر الابتسامة على وجه والدى منذ العدوان، إلا وهو يصعد سلم منزلنا راجعا من مؤتمر الخرطوم، فقد نصره الشعب السودانى الشقيق، كما استطاع أن يحقق آمالا بعيدة المنال.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٩/٣.

- انظر أيضا هيكل، "الخرطوم وما بعدها"، ٦٧/٩/٨، بصراحة، مرجع سابق.

## خامسا: العمل السياسى ومعوقاته:

بدأ العمل السياسى فور وقف إطلاق النار بعد العدوان الاسرائيلى على الدول العربية. وكان الصراع السياسى فى الأمم المتحدة يكاد يكون فى حدة المواجهة العسكرية؛ فاسرائيل تساندها الولايات المتحدة والدول الغربية - باستثناء فرنسا ديغول - أما مصر وسوريا، فكانتا تعتمدا على الحليف السوفيتى الذى غدر بها بعد اتفاه مع الولايات المتحدة فى جلاسبورو من ٢٣ - ٢٥ يونيه ١٩٦٧، على الحد من إرسال الأسلحة الى الشرق الأوسط، ووجدت مصر نفسها وحيدة أمام هذا التكتل!

تجلى كل ذلك فى أزمة الأمم المتحدة، وتوالت مشروعات القرارات التى عكست هذا الصراع على اختلاف توجهاته.

### ١- تشدد مصر إزاء الحلول السياسية فى الأمم المتحدة:

كان عبد الناصر واثقا أن العمل السياسى يعكس دائما الموقف العسكرى والقدرة على العمل الدفاعى والهجومى. وبما أن القدرة العسكرية انعدمت تماما نتيجة للعدوان الاسرائيلى، فقد كان فى موقف صعب جدا، ووجد نفسه ممزقا بين ما يتيح الواقع وبين مبادئه التى حرص عليها حتى وقت الشدة.

ويكى أنه - ولعدة أشهر - حمل على كتفيه حقيقة أخفاها عن الشعب؛ أن القوات المصرية كانت غير قادرة حتى على صد أى هجوم اسرائيلى من شرق قناة السويس وعبرها الى البر الغربى، بل وكان الاسرائيليون فى مقدورهم من الناحية العسكرية أن يصلوا الى القاهرة فى ٤ ساعات! وهو لا يستطيع أن يصددهم؛ فى غياب الدفاع الجوى، وقصر مدى طائراته العاجزة عن الوصول الى المدن الاسرائيلية كرادع!

وفى نفس الوقت، كانت مدن السويس والإسماعيلية وبورسعيد فى مرمى نيران العدو مباشرة على الضفة الغربية لقناة السويس؛ مما أضاف عبئا عسكريا صعبا نتيجة التهديد العسكرى الاسرائيلى للمدنيين.

ولقد باح عبد الناصر علنا فى ١٥ فبراير ١٩٦٨ بسر لم يكن يعرفه أحد؛ أنه فى يوم ١١ يونيه كان مواجهها فى القاهرة بعمليات كبيرة جدا من جانب بعض قادة الجيش الذين أقبّلوا، وكان الحرس الجمهورى بدباباته كله فى الإسماعيلية بناء على أوامره؛ فلم يكن عنده ولا عسكرى! وكانت مظاهرة مسلحة من ٧٠٠ ضابط كبير متجهة الى منزله فى منشية البكرى ثم تحولت الى مبنى قيادة الجيش.

وقد علمت بعدها أن هذه اللحظة هي أول مرة يخرج فيها عبد الناصر مسدسه!

وعلى الرغم من الجهود والمناورات التي بذلتها مصر في المجال السياسي الدولي، فإنه كان مؤمنا أنه لا بد أن يحارب، وأن الحرب حتمية بيننا وبين إسرائيل، وأنه لا يمكن أن يكسب سياسيا إلا إذا كان قادرا عسكريا.

ولكن ظلت نقطة الضعف الأساسية التي كانت تقيدته هي قدرة إسرائيل على ضرب المدنيين! إلا أن عبد الناصر كان مدركا في نفس الوقت، أن إسرائيل لديها أيضا نقاط ضعف، خصوصا بعد مضي أكثر من شهرين على العدوان؛ فالوضع السياسي كان فيه تقهقر بسبب الخلافات الداخلية. يضاف إلى ذلك مشكلة ضمهم أكثر من مليون عربي بعد عدوان ٥ يونيو؛ مما أشعرهم أن مناطق الضفة الغربية للأردن وغزة ستعربهم في المستقبل، فخلال الجيل الثاني ستكون الأغلبية في إسرائيل عربية، والبرلمان أغليته عربية؛ ومعنى ذلك أنه في النهاية ستكون الحكومة عربية<sup>(١)</sup>!

إذا لم يكن أمام عبد الناصر، بعد النكسة الخطيرة وفقدان الجزء الأكبر من المعدات العسكرية المصرية، إلا أن يقبل تجربة العمل السياسي، وكان تفكيره أنه كان يريد أن يكسب وقتا لإعادة بناء الجيش. ومن ناحية أخرى، رغب عبد الناصر في أن يكسب الرأي العام العالمي، وإن كان يدرك منذ البداية - كرجل عسكري - أن "ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغير القوة"<sup>(٢)</sup>.

وقد وضح عبد الناصر منذ البداية، أن هناك نقطتين محددتين بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة ليستا موضع جدال ولا يمكن أن تقبل فيهما مناقشة..

أ- الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية التي جرى احتلالها في معارك يونيو ١٩٦٧؛ سواء في الجمهورية العربية المتحدة أو المملكة الأردنية الهاشمية أو الجمهورية العربية السورية.

ب- لن تسمح الجمهورية العربية المتحدة لإسرائيل - مهما كان الثمن ومهما كانت التكاليف - أن تمر في قناة السويس. وكان عبد الناصر يؤمن أن المرور في قناة السويس جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية، وهو لا يتعلق بقضية إزالة آثار العدوان<sup>(٣)</sup>. وربط بين مطلب إسرائيل بالمرور في القناة وتنفيذها لقرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين أو تعويضهم.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٧/٩/١٩٦٧.

(٢) خطاب عبد الناصر في افتتاح دور الانعقاد الخامس لمجلس الأمة، ٢٣/١١/١٩٦٧، خطب عبد الناصر، ج١، ص ٣٠٩ - ٣٤٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.



وتولت المشاريع السياسية على الجمعية العامة للأمم المتحدة<sup>(١)</sup>؛ ولكن مصر والعرب رفضوها؛ أساساً لأنها لا تنص على انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة بعد عدوان ٥ يونيه، إلى أن اتفقت الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفيتي على مشروع قرار أثار مناقشات عدة وانتهى بالفشل! والسبب الاستقطاب الدولي؛ فكل من الدولتين كانت تساند طرفاً في هذا الصراع.

وبعد اللقاء الأول بين جونسون وكوسيجن في جلاسبورو في ٢٣ يونيه، بدأ الضغط من الجانب السوفيتي على مصر لقبول المشروع الأمريكي - السوفيتي، الذي تمثل في وقف تدفق الأسلحة الروسية والخبراء العسكريين التي سبق وأن وافق عليها بـادجورني!

لقد مر عبد الناصر بفترة صعبة ضغط فيها السوفييت عليه، ووصلت العلاقات بين البلدين إلى وضع سيء! وخاصة بعد أن رفض عبد الناصر اقتراح زخاروف بإنشاء قاعدة للبحرية السوفيتية في الإسكندرية، وإن رحب بزيارات الأسطول السوفيتي العادية. وبالطبع تضايقوا من الرفض، وأدى هذا إلى مزيد من برود العلاقات بين البلدين<sup>(٢)</sup>.

لقد كان عبد الناصر على حق في رفض المشروع الأمريكي - السوفيتي الذي قدم إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ يوليو ١٩٦٧. وفي اجتماعه في القاهرة مع الملك حسين أكد على الفارق بين القرار السياسي وبين الحل السياسي؛ لأن أي مشروع سيفسره كل جانب كما يريد! وعلى الرغم من أنه كان يريد أن تتم الموافقة على قرار قبل انتهاء دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة، فإن الموافقة على مشروع القرار الأمريكي - السوفيتي كانت مستحيلة لعدة أسباب:

---

(١) المشروع السوفيتي ١٩ يونيه ١٩٦٧، المشروع الأمريكي في بداية الأزمة في يونيه ١٩٦٧، المشروع الألباني ٢٦ يونيه ١٩٦٧، مشروع الدول غير المنحازة ٢٩ يونيه ١٩٦٧، المشروع اللاتيني ١٩ يوليو ١٩٦٧. وقدمت هذه المشاريع أثناء إنعقاد الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة، التي انتهت في ٢٢ يوليو ١٩٦٧. وجاءت الدورة العادية للأمم المتحدة في سبتمبر من نفس العام وقدمت مشاريع للأمم المتحدة؛ المشروع البرازيلي ٦ أكتوبر ١٩٦٧، المشروع الهندي ٢٧ أكتوبر ١٩٦٧، المشروع الدانماركي ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧، المشروع الآسيوي - الإفريقي مقدم من الهند ومالي ونيجيريا ٧ نوفمبر ١٩٦٧، المشروع الأمريكي ٧ نوفمبر ١٩٦٧، المشروع الياباني ٩ نوفمبر ١٩٦٧، المشروع البرازيلي - الأرجنتيني ١٠ نوفمبر ١٩٦٧، المشروع البريطاني ١٦ نوفمبر ١٩٦٧، المشروع السوفيتي ٢٠ نوفمبر ١٩٦٧.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ٦٧/٩/١٧، مرجع سابق.

أ- كل الدول العربية بما فيها مصر رفضته، فإذا رجعت مصر فيه سيكون هناك حرج كبير! ولذلك كان عبد الناصر يفضل تقديم قرار جديد؛ حتى لا يدخل في مشاكل مع العرب، وتصيح القمة العربية في الخرطوم منتهية، وقد لا يستمر الدعم الاقتصادي العربي ومصر محتاجة الى الجو العربي الذي كان موجودا في الخرطوم. ومادام اليهود موجودين على الأراضي العربية، فهو لا يريد أن يدخل في معركة عربية وصراعات تشتت الجهود. وفعلا كانت سوريا وحتى الجزائر تهاجم موقف الجمهورية العربية المتحدة، وكان عبد الناصر يقول: "كيف نواجه الدول العربية التي ليس عندها الشجاعة لأن تواجه الموقف؟!... إنه أسهل عليهم أن يرفضوه... نحن نقول للناس في الدول العربية: إتركونا.. نحن بلاد محتلة، وما نقبله يجب أن تقبلوه! إذاً يجب أن نعمل على أن يصدر قرار ثم نفسر"<sup>(١)</sup>.

ب- تضمن المشروع الأمريكي - السوفيتي نقاطا ترفضها مصر، وهي:

(١) إنهاء حالة الحرب، ومعنى هذا أن تستخدم اسرائيل قناة السويس طبقا لاتفاقية القسطنطينية ١٨٨٨؛ وهذا كان مستحيلا بالنسبة لعبد الناصر، "فإذا سمحنا لهم بالمرور في القناة بدون أن يوافقوا على حقوق شعب فلسطين، نكون أعطيناهم كل شئ ولم نأخذ منهم شيئا! أى يجب أن تنفذ اسرائيل قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين الى أراضيهم أو التعويضات"<sup>(٢)</sup>.

(٢) نزع سلاح سيناء وتدويل قطاع غزة، وهو ما رفضه عبد الناصر.

(٣) حرية الملاحة في مضيق تيران.

(٤) الاعتراف بالتواجد المستقل لاسرائيل، وهنا كان رأى عبد الناصر أن هذا ليس فيه نقاش، بدليل أن اتفاقيات الهدنة في رودس باليونان في ٢٤ فبراير ١٩٤٩ تمت بين حكومتين، وكذلك اجتماع لوزان الخاص بلجنة المصالحة<sup>(٣)</sup>.

---

(١) اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة ١٩٦٧/٩/٣٠.

(٢) المرجع السابق.

(٣) لجنة المصالحة، شكلتها الأمم المتحدة في ١١/١٢/١٩٤٨، وتكونت من الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا وفرنسا كأعضاء، وقد وُكل اليها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة التي صدرت في سنة ٤٧ و ٤٨ و ٤٩. ولكن هذه

اللجنة اجتمعت مرة واحدة فقط فى لوزان وحضرت اسرائيل وحضر العرب، ورفضت اسرائيل أمام هذه اللجنة أن تنفذ أى من قرارات الأمم المتحدة.

لقد كان الوضع والأرض العربية محتلة، واليهود على بعد ١٠٠ كم من القاهرة، ومحتلين الضفة الغربية لنهر الأردن، وعلى بعد ٥٠ كم من دمشق؛ لا يمكن معه أن يكون منطقياً القول: إنه لا توجد دولة اسرائيل! والحقيقة أن اتفاقية الهدنة معناها إن فيه دولة اسرائيل التى وقعت الدول العربية المعنية معها.

(٥) عدم إقرار مشروع القرار الأمريكى - الروسى على انسحاب اسرائيل الى خطوط ٥ يونيه ١٩٦٧، والنص على أن الحدود يتفق عليها. هذا معناه أن هناك خطة لإعطاء اسرائيل مكاسب فى الأرض<sup>(١)</sup>.

(٦) رفض التفاوض المباشر بوسيط.

لهذا كله إعتبر عبد الناصر أن هذا القرار انتهى، ثم علق، "هذا ليس اسمه عمل سياسى، إنه استسلام سياسى! وبالإضافة الى ماسبق؛ فكل الدول العربية رفضته".

وكان عبد الناصر يفضل أن يضع الروس مشروع قرار جديد؛ لا يسمح للعرب بالمزيد والاتهام بتصفية قضية فلسطين! ثم يقدم الى مجلس الأمن؛ حتى لا يطلب من العرب الموافقة كما هو الحال فى الجمعية العامة.

وأكد للملك حسين أنه بدون أن يشعر اليهود أن مصر تستعد عسكرياً حتى ترجع الأرض؛ إذاً الحل السلمى لن ينفج! وقال: "لو أوحينا للأمريكان والروس أننا لن نقبل استسلاماً، ولو دعا الأمر سنقاتل، وهما لا يريدان القتال؛ فهذا يقوى موقفنا من الناحية السياسية"<sup>(٢)</sup>.

وإزاء الرفض العربى للمشروع الأمريكى - السوفيتى، تقدم تيتو بمشروع قرار الى مجلس الأمن، فى ٢٩ يونيه ١٩٦٧، وقد دارت حوله مناقشات عدة. وأساسه؛ انسحاب اسرائيل الى حدود ٥ يونيه بالنسبة لكل دول المواجهة العربية، ضمان الدول الكبرى أو مجلس الأمن لهذه الحدود، وضع قوات الطوارئ الدولية على الجانبين بين اسرائيل والدول العربية، تظل قناة السويس كما كانت يوم ٥ يونيه ١٩٦٧، خليج العقبة يبقى على وضعه حتى تبت محكمة العدل الدولية فى الموضوع، يبحث موضوع اللاجئين فيما بعد.

وكان تيتو قد سافر الى موسكو لدفع الدول الاشتراكية لتقديم مساعدات مؤثرة للدول العربية، وخاصة مصر وسوريا. وقد وصلت رسالة من جونسون الى تيتو - كصديق لعبد الناصر - يصر فيها على قبول المشروع الأمريكى - السوفيتى. وفى نفس الوقت وصلت رسالة الى عبد الناصر من

الاتحاد السوفيتى عن ضرورة عمل حل سياسى للمشكلة! وثى تيتو على الحل السلمى كأفضل الحلول طالما أنه لا يؤثر على استقلال الدول.

(١) اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة ١٧/١٠/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

وكان رأى عبد الناصر، "نحن مع الوصول الى حل سياسى، ولكن هناك فارقا بين هذا ومبدأ الاستسلام!" ثم أضاف، لماذا نأخذ الحلول الأمريكية من روسيا؟! ممكن أن نتصل بهم مباشرة دون الوساطة من جروميكو<sup>(١)</sup>!

وبالنسبة الى مشروع قرار تيتو، فقد كان عبد الناصر يرى أنه فى مصلحة العرب إذا قُبل فى الأمم المتحدة، ولكن الأمريكان رفضوه<sup>(٢)</sup>؛ على أساس أنهم لا يريدون الالتزام بخطوط ما قبل ٥ يونيه، ولا يوافقون أبدا على ربط قضية اللاجئين بمرور الاسرائيليين فى قناة السويس، وأخيرا طلبوا أن ينص مشروع القرار على وسيط! وهذا يدل على أن موقف الولايات المتحدة أصبح أكثر تشددا، بينما الروس فقد تحسن موقفهم؛ فقبلوا مشروع تيتو، وبدأوا يرسلون الأسلحة والخبراء المتفق عليهم مع مصر<sup>(٣)</sup>.

وبالنسبة لهذا النشاط فى الأمم المتحدة، كان عبد الناصر يعمل على أن يتم إتخاذ قرار فى هذه الدورة - الاستثنائية - للأمم المتحدة، وكان يفضل أن يكون على أساس مشروع تيتو؛ فهو مناسب لأنه لا يتناقض مع قضية فلسطين<sup>(٤)</sup>.

ويلاحظ أنه خلال فترة العمل هذه فى الأمم المتحدة، لم يترك الاسرائيليون الأمريكيين من دون الضغط وتشويه الصورة. فبالإضافة الى الاتصالات الدائمة بينهم، توجه أبا إيبان الى الولايات المتحدة وقابل جونسون فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٧، وأكد عليه موقف اسرائيل؛ أنه من الضرورى ترك ترتيبات الهدنة ووقف إطلاق النار، والتحرك نحو السلام الدائم مع الدول العربية، مع اعتراف متبادل، وتحديد حدود دائمة يتم الاتفاق عليها بين العرب واسرائيل، وكرر.. إنه لن يحدث انسحاب من دون سلام، والمباحثات المباشرة بين الطرفين مهمة جدا.

وأشار إيبان الى الترتيبات التى حدثت فى عام ١٩٥٧<sup>(٥)</sup>، وقال: لا يمكن أن يحدث ذلك

مرتين!

(١) محضر اجتماع عبد الناصر مع تيتو، القاهرة ١٢/٨/١٩٦٧.

(٢) رفض الأمريكان مشروع قرار تيتو، على الرغم من رسالة جونسون اليه معربا عن رغبته فى التوصل الى حل للأزمة،

١٩٦٧/٨/٩.

- انظر أيضا رسالة جونسون الى تيتو يزكى فيها مشروع القرار الأمريكى - السوفيتى، ١٩٦٧/٩/١٥.
- (٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/١٠/٢٢.
- انظر أيضا رسالة كوسيجن الى جونسون، بدون تاريخ.
- (٤) اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة ١٩٦٧/٩/٣٠، مرجع سابق.
- (٥) ص من الكتاب.

وبالطبع استغل إيبان الموقف وأعرب عن دهشته من سرعة الروس فى تعويض خسارة العرب من السلاح، وخاصة طائراتهم. واتضح من هذه المقابلة أن الولايات المتحدة أرسلت ٤٨ طائرة عسكرية الى اسرائيل، وأنها تطلب ٧٧ طائرة تسلم قبل نهاية ١٩٦٨! كل ذلك وجونسون يدعو الاتحاد السوفيتى الى الاتفاق على عدم إرسال السلاح الى الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>!

وطبقا لما توقع عبد الناصر، اختلف الأمريكان والروس على تفسير نصوص مشاريع القرارات<sup>(٢)</sup>، وحتى عندما قدم مشروع قرار هندی فى ٢٧ أكتوبر ١٩٦٧، وإن كان لا يخرج عن المشاريع السابقة؛ إلا أنه دعا الى الانسحاب الى خطوط ٤ يونيه على أساس أن احتلال الأرض غير شرعى؛ لم يتم الاتفاق عليه، ومارست الولايات المتحدة ضغوطا كبيرة على الدول الإفريقية والآسيوية ودول أمريكا اللاتينية حتى لا تنضم الى جانب الهند!

وأثناء مناقشة مشروع القرار الهندی، تقدمت الدانمرك بمشروع آخر، يتضمن فى أغلبه فقرات من ميثاق الأمم المتحدة، وكان لا يعبر عن موقف مصر وإنما هو أمريكى فى فقراته المختلفة<sup>(٣)</sup>. إن ما كانت تعترض عليه مصر أساسا هو موقف أمريكا من الانسحاب، وإصرارها على عدم النص على الرجوع الى حدود ٤ يونيه، لماذا هذا الموقف؟ إن الولايات المتحدة كانت تعتقد أن حدود مصر ليس عليها أى خلاف - سيناء - أما المشكلة فتوجد فى المرتفعات السورية وفى غزة وفى الأردن، وبالنسبة للضفة الغربية والقدس<sup>(٤)</sup>.

إذاً الولايات المتحدة كانت تساند اسرائيل تماما، وتملى شروطها على العرب من مركز قوة، وتفسر أى مشروع قرار يقدم الى الأمم المتحدة على هذا الأساس! وفى نفس الوقت أصبح الاتحاد السوفيتى يضغط على الولايات المتحدة الى أقصى حد، حتى تتوصل الى الحل الذى يريده العرب، وجونسون يصر على طلب واحد حتى يتحقق السلام؛ وهو منع السلاح عن العرب، وإخطار الأمم المتحدة بكل شحناته التى تصل اليهم<sup>(٥)</sup>.

---

(١) Memo. of Conversation, Washington, Oct. 24, 1967, The ME: the President, Rostow Battle, Eban, Harriman, Evron.

- انظر أيضا:

Memo. of Conversation, Washington, Nov. 2, 1967, Rostow, Evron, Harriman

- رسالة إيبان الى جولدبرج، ١/١١/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٢) رسالتان متبادلتان بين جونسون وكوسيجن، ٢٠، ٢٣/١٠/١٩٦٧.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ٣١/١٠/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

## ٢- اتجاه عبد الناصر الى المرونة فى العمل السياسى من أجل تحسين الوضع العسكرى:

لقد كان عبد الناصر يعرب عن عدم تفاؤله بالحل السياسى منذ بدايته، ولكنه أراد أن يثبت للرأى العام الدولى أنه ليس متعنتا بالنسبة لهذه الجهود فى الأمم المتحدة، وفى نفس الوقت يكسب وقتا للاستعداد العسكرى.

وقال فى مجلس الوزراء فى ٣١/١٠/٦٧: "طبعاً من المستحيل أن تصل الأمور الى سلام مع اسرائيل، إلا إذا أتوا الى القاهرة وفرضوا السلام.. سلام مفروض، ولكن ليس متصوراً أن العملية ستكون سلاماً واعترافاً ومروراً فى قناة السويس!"

وأراد عبد الناصر أن يقنع جون أندرسن، المبعوث الشخصى لجونسون فى ٣ نوفمبر ١٩٦٧، أن يبلغ الحكومة الأمريكية والشعب الأمريكى أنه يرغب فى تحقيق تسوية سياسية من أجل السلام، وأن مصلحة مصر ليست فى الحرب بل فى السلام، ولكن فى إطار المبادئ القومية.

وقال له: "حاول أن تقنع حكومتك وشعبك أن أى مسألة خاصة بالتفاوض المباشر أو حتى المفاوضات من خلال وسيط ثالث، ستكون عملاً من أعمال الانتحار لى ولأى قائد عربى آخر!... ولكن عمليين، فإذا كنا جميعاً نريد السلام، إذاً لنجد طريقة نحل بها خلافاتنا ونعيش فى سلام... ولكن أصعب المشاكل ستكون قناة السويس والقدس... أما إذا حلت الولايات المتحدة مشكلة اللاجئين، فإننى أستطيع أن أسمح للسفن الاسرائيلية بالمرور فى القناة... ولتكن التسوية بالموافقة على أن يدفع لهم الاسرائيليون تعويضات، إذا كانت عودتهم غير ممكنة"<sup>(١)</sup>.

وعندما أثار أندرسون اقتراح نزع سلاح سيناء بالكامل، رد عبد الناصر، "هذا لأنها كبيرة جداً ومترامية؛ فلا يمكن أن أقول إن أى فرد من الجيش ليس من حقه أن يكون هناك! ممكن أن أوافق على عدم وضع عسكريين فى شرم الشيخ أو على بعد ١٠ أو ١٥ ميلاً من الحدود الاسرائيلية، إذا وافقت اسرائيل على أن تضع عسكريين على نفس المسافة".

وأنهى عبد الناصر كلامه قائلاً: "إننى أمل أن نجد تجاوباً من حكومتكم.. وأن تشرح لها أنه مهما كنا نريد السلام، فإننا لا يمكن أن نحصل عليه مقابل تدمير أنفسنا أو أى قائد عربى... إننا نتحدث عن حقنا نحن فى الحياة!..."

(١) محضر مجلس الوزراء، ٥/١١/١٩٦٧.

إننى لا أريد شيئاً سوى السلام، وأريد أن أذهب الى أبعد مدى انساني لتحقيقه، ولكن لا يجب أن يطلب منى أن أفعل المستحيل! ولا يجب أن يطلب منى أن أفعل شيئاً يمكن أن يدان بواسطة كل قائد عربى آخر، وبواسطة شعبي. إننى مستعد أن أذهب الى الحد الذى تسمح به حقائق الحياة... أما طلبات الاسرائيليين، فإن بعضها - هم يعرفون - أنها مستحيلة بالنسبة لنا"<sup>(١)</sup>.

وأكد عبد الناصر على موقفه الذى دائماً أعلنه؛ رفض توسع اسرائيل على حساب الدول العربية، ورفض أن تضم اسرائيل القدس الذى ينظر اليه كل المسلمين كخرق لحقوقهم الدينية، وهى مشكلة خاصة بالمؤمنين بالثلاث عقائد.

وعند طرح أندرسون فكرة أن تكون إدارة القدس موحدة، ويشرف أتباع كل دين على المناطق التى تخصهم، رد عبد الناصر.. "هذا الكلام غير مقبول، ومعناه أن الموضوع لن يحل! وكيف تكون الإدارة يهودية؟! هل اسرائيل أصبحت مبنية على اليهود فقط؟! أما الأردن ففيها المسلمين والمسيحيين، ولا أعتقد أن أحدا سيقبل أى توسع بالنسبة لاسرائيل، ومعنى إعطاء القدس لاسرائيل أن هناك توسعاً! ولكن لا مانع من أن يشرف اليهود على المنطقة الدينية اليهودية فى القدس".

وقد شدد عبد الناصر على أنه لا يستطيع أن يتحدث باسم الدول العربية فى هذا الموضوع؛ لأن بعضها حتى لا توافق على التحركات السياسية التى يقوم بها!

وصارح عبد الناصر وزراه بعد مقابلته مع أندرسون، أنه لا يستطيع التنازل أكثر فى الحلوى السلمية، وقال: "على كل حال ليس أماننا من سبيل إلا الاستسلام أو الحرب، وطبعاً موضوع الاستسلام غير وارد! كيف نحارب؟ بأن نعبئ كل مواردنا وكل طاقاتنا، متى؟ نحارب ونحن متيقنين كل اليقين أننا نستطيع أن نكسب المعركة إن شاء الله، ونفس استعدادنا للحرب يجعل من أماننا يعملوا حسابنا"<sup>(٢)</sup>.

---

Tel. to the White House from Anderson, Washington, Nov 3, 1967.

(١)

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/١١/٥، مرجع سابق.



لقد كان لهذا الخط الذي عرضه عبد الناصر على أندرسون، تأثير سياسى على كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى؛ يعرب عن تبني مصر موقفا أكثر واقعية؛ مما يحث الولايات المتحدة على الموافقة على قرار يحل الأزمة<sup>(١)</sup>. وذلك على الرغم من أن عبد الناصر ظل متمسكا بسياسته المبنية على الانسحاب الكامل الى خطوط ٤ يونيه ١٩٦٧، حق كل دولة فى الحياة، حقوق اللاجئين وفقا لقرارات الأمم المتحدة، المرور البرئ فى الممرات البحرية الدولية، والربط مع حقوق اللاجئين حتى يستطيعوا المرور البرئ فيها.

"إن الموضوع لم يعد قضية فلسطين؛ جزء من بلدنا محتل، ونحن نقرر أن السبيل الوحيد هو الحرب... ولكن هل نحن جاهزون للحل العسكرى؟! هذا موضوع يجب أن نضعه فى حسابنا؛ إذا لا ضرر أبداً أن نستنفد كل الوسائل، طالما عندنا مبادئ معينة وخط معين لا نحيد عنه... نحن نكمل دفاعنا، ونحتاج كذا شهر؛ فحتى وقتنا هذا خطتنا الدفاعية لم تستكمل، وهى تتم فى نوفمبر"<sup>(٢)</sup>.

لقد كان كلام موسى ديان؛ إنهم كانوا متصورين إن عملية ٥ يونيه هزت الدنيا كلها، ولكن حسابهم كان خطأ! فإن الذين كانوا موجودين قبل ٥ يونيه مازالوا موجودين؛ وهذا معناه أن الموضوع لم يحل! وأصبح فى اسرائيل، بعد أن كان هناك شعورا بالانتصار وأن العملية انتهت، يشعرون بالقلق لأنهم أدركوا أن الحرب موجودة ولم تنتهى!

كما كان كلام بن جوريون قبل يومين؛ لا بد ستقوم حرب ثانية، فهذه الحرب لم تصل الى شئ! أما عن موقف الاتحاد السوفيتى، فقد حدث ما توقعه عبد الناصر، فعندما أرسل رسالة الى برجنيف مع على صبرى فى ١٠ نوفمبر ١٩٦٧، يقنعه أن استمرار الجمود فى سلوكهم سيؤثر على النظم التقدمية مما قد يسقطها، كان رد فعل برجنيف، "أنه يعتقد فى تقوية القوات المسلحة وتنظيمها، وأن من الضرورى جعل الجيش ليس فقط للدفاع ولكن أيضا يلزم أن يتحول الى الهجوم... وأمس قررنا أننا سنستمر فى تدعيم جيشكم فنيا وخلافه... وإن خبراءنا سيعملون ليلا ونهارا لخدمتكم؛ لأننا نريد أن يصبح الجيش قويا جدا".

وأبلغ برجنيف رسالة رسمية الى عبد الناصر، يؤكد فيها على تأييد الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة، ويخطره باجتماع الدول الشرقية سرا فى اليوم السابق - باستثناء رومانيا - وتيتو اشترك، واتخذوا قرارا باستمرار المساعدة العسكرية والاقتصادية، "إذا قوة جبارة معكم".

(١) Memo. of Conversation, Washington, Nov. 3, 1967, US, USSR, Rusk, Kusnetsof.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/١١/٥، مرجع سابق.

وأعرب برجنييف عن سروره لأن الموقف الداخلى فى مصر يقوى، وأشار الى الثقة الشعبية التى يتمتع بها عبد الناصر .

ونقل الى عبد الناصر من خلال على صبرى أن جريتشكو<sup>(١)</sup> يفكر فى كيف يساعد الجيش المصرى، وخصوصا فى القوات الجوية، وكذلك الاشتراك والمساهمة فى الدفاع الجوى وفى جميع الميادين، وكذلك العناية بالسد العالى لأن ضربه يساوى ضرب كل شئ.

وختم برجنييف بأن قال: "يجب ألا تتساقوا مع الإثارة وتبدأوا بالعمل العسكرى، فهو غير قائم الآن. وهناك آراء أن مايؤخذ بالقوة يعاد بالقوة، ولكن السؤال.. متى؟

نحن وافقنا جميعا على استمرار الجهود السياسية لحل الأزمة، واتفق مع جمال عبد الناصر أرسلنا خطابا الى جونسون، وجاوب أنه يريد الاتصال معنا، وأنه مع الحل السياسى ويريد السلم، وهذا كذب! وفى الوقت الحالى يعرقلون أى قرار لصالح العرب. إننا سنستمر مع جونسون، ونريد أن نجعل موقفنا أقوى، ولكن الصدام العسكرى يجب أن يستبعد من حيث المبدأ... وبالنسبة لحل المشكلة، طبعا يوجد الكبرياء القومى.. الخ، ولكن أهم شئ هو الدفاع عن الثورة والاحتفاظ بالنظام".

وكان واضحا أن برجنييف لديه عدة أسئلة لعل على صبرى، فقال: "أسأل الآن وبصورة سرية وأخوية.. ما المدى الذى يمكن أن تصلوا اليه؟"

ثم أكد أنه من غير المرغوب فيه الاتجاه نحو الغرب! وطلب أن تتقدم مصر بطلباتها الاقتصادية مع إعطاء أولويات، وذلك للدول الاشتراكية التى تعهدت أن تعمل كل ما يمكنهم للمساعدة الاقتصادية. وتساءل عن الخطوات الفعالة لخدمة مصر بخصوص جميع الالتزامات السوفيتية؛ ووعده ببحث القروض والأقساط المستحقة فى الأيام التالية، بالإضافة الى إرسال ١٠٠ ألف طن قمح بالقرض؛ مؤكدا على الوقع السياسى الكبير لذلك مما يقوى الصداقة بين البلدين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المارشال أندريه جريتشكو، وزير الدفاع السوفيتى.

(٢) محضر مقابلة على صبرى مع برجنييف، موسكو ١٠/١١/١٩٦٧.

### ٣- الدور السياسى البريطانى:

عندما قامت اسرائيل بالعدوان على مصر فى ٥ يونيه ١٩٦٧، كانت العلاقات بينها وبين بريطانيا مقطوعة منذ ١٦ ديسمبر ١٩٦٥؛ تضامنا مع الدول الإفريقية التى اتخذت هذا القرار فى أديس أبابا إزاء السياسة الاستعمارية فى رودسيا.

#### أ- التقرب من مصر من أجل عودة العلاقات الدبلوماسية:

وفى أثناء تتالى مشروعات القرارات على الأمم المتحدة ورفضها من جانب العرب، وتدهور الوضع السياسى مع الولايات المتحدة وبريطانيا، وأبواب العمل السياسى مغلقة، فكر عبد الناصر فى الاستجابة مع بريطانيا لإعادة العلاقات، وإن رأى أن هذه العملية ليست مضمونة لأن هناك دولا عربية قطعت العلاقات مع الإنجليز مع عدوان ٥ يونيه! وهنا قرر عبد الناصر أنه يجب الاتصال أولا بالعراق وسوريا والسودان والجزائر. وتساءل.. هل من قطعوا العلاقات مع بريطانيا يستطيعون أن يرجعوها؟! هذه مشكلة!

وكان عبد الناصر يرى أن هناك فرقا بين موقف الإنجليز والأمريكان، "فالإنجليز اتصلوا بنا، والأمريكان يقولون: لا بد أن نعلن أولا أنهم لم يشتركوا فى العدوان، ويقف عبد الناصر علنا ويعلن ذلك! يريدون الإذلال ولن نقبل... بصرف النظر عن المصلحة. والإنجليز فى جانب العرب الى حد أكثر من أمريكا"<sup>(١)</sup>.

وكان الإنجليز اتصلوا به فى رسالة شخصية من جورج براون<sup>(٢)</sup> يطلب عودة العلاقات، وأعرب عبد الناصر أنه ميال الى تحقيق ذلك، وخصوصا أن موقفهم فى الأمم المتحدة كان أحسن الى حد كبير، وبذلك يشجعهم<sup>(٣)</sup>.

وكان من رأيه أن عودة العلاقات عملية مفيدة جدا؛ فبريطانيا لها تأثير فى المجال الدولى. وبراون فى هذه الخطوة كان نبيها جدا؛ لأن إذا عادت العلاقات مع مصر فمعنى هذا أنه سيعيد المعاملات مع الدول العربية والدول الإفريقية التى قطعت العلاقات معهم.

(١) محضر اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، ٣٠/٩/١٩٦٧. مرجع سابق.

(٢) جورج براون، وزير الخارجية البريطانية من ١٩٦٦ الى ١٩٦٨، ونائب رئيس حزب العمال البريطانى من ١٩٧٠ الى ١٩٧٠.

(٣) محضر اجتماع عبد الناصر مع الملك حسين، ١٧/١٠/١٩٦٧. مرجع سابق.

وفعلا فتح عبد الناصر الموضوع مع يوسف زعين - رئيس الوزراء السوري - أثناء زيارته لمصر فى ٢٣ أكتوبر ١٩٦٧، وقال: "إننا إذا كنا قد ضمينا لنا روسيا وفرنسا، وإذا أضفنا الإنجليز - وبالذات براون المؤثر فى بلده - فى صفنا، نكون حصرنا أمريكا وحدها، وقطعا بريطانيا لها تأثير على أمريكا".

ولقد قامت حملة عنيفة على براون فى انجلترا واسرائيل، وقال عبد الناصر: "إن الإنجليز يريدون أن يرسلوا مشروع قرار الى الأمم المتحدة قريبا من شروطنا، وهذا يبين لنا إن فيه تناقض بين المصالح البريطانية والأمريكية!"

وأكد عبد الناصر أن بريطانيا متأثرة بغلق قناة السويس، وتريد أن ترجعها. وبالإضافة الى عودة العلاقات مع مصر، فهم مستعدون أن يخرجوا من عدن ويسلموا الوطنيين هناك السلطة. وانتهى عبد الناصر فى حديثه مع يوسف زعين الى "أن عودة العلاقات مع بريطانيا مفيدة، وخاصة أنه لم يثبت ماديا أنها اشتركت فى عدوان ٥ يونيه. ومن المصلحة جذب الإنجليز لأن مشاكلهم قلت فى المنطقة وموقفهم الأخير جيد.

أما بالنسبة للأمريكان، فيقولون: 'موقفنا متشدد طالما أنتم متشددين'! ولهذا لا ينفع أن نعطيهم الأمان لأنهم مساندين لاسرائيل".

وأرسل عبد الناصر رسالة شفوية للأمريكان عن طريق محمود رياض فى نيويورك، تتضمن "أنه أيضا يريد تحسين العلاقات، ولكن هذا الموضوع متوقف على موقفهم فى الأمم المتحدة... ونحاول أن نعطي أملا أنهم لو ساندونا فى مجلس الأمن، يكون ذلك طريقا لتحسين العلاقات، ولكن فوجئنا بالكلام الذى قالوه: لا عودة للعلاقات إلا بعد أن يصدر من العرب نفي كامل أنهم لم يشتركوا فى الحرب<sup>(١)</sup>!"

---

(١) محضر اجتماع عبد الناصر مع يوسف زعين، القاهرة، ٢٣/١٠/١٩٦٧.

## ب- مشروع القرار البريطاني ينجح فى مجلس الأمن:

وسط تناقض مشروعات القرارات فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، تقدم لورد كارادون<sup>(١)</sup> الى مجلس الأمن بمشروع قرار حل وسط؛ تضمن عبارة "انسحاب القوات الاسرائيلية من اراض احتلتها فى النزاع الأخير". وحصل القرار الذى عرف باسم القرار ٢٤٢ على إجماع الأصوات فى المجلس. وفور التصويت بدأت الخلافات حول تفسيره، ولكنه كان القرار الممكن الحصول عليه فى ظل الظروف التى كانت سائدة فى ذلك الوقت.

وقد نص القرار البريطانى ٢٤٢ على الآتى:

"نيويورك فى ٢٢ نوفمبر

إن مجلس الأمن،

إذ يعرب عن قلقه المستمر بشأن الوضع الخطير فى الشرق الأوسط،

وإذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب، والحاجة الى العمل من أجل سلام

عادل ودائم تستطيع كل دولة فى المنطقة أن تعيش فيه بأمان،

وإذ يؤكد أيضا أن جميع الدول الأعضاء عندما قبلت ميثاق الأمم المتحدة، التزمت بالتصرف وفقا

للمادة الثانية منه،

١ - يؤكد أن تطبيق مبادئ الميثاق، يتطلب إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط، ويقتضى

تطبيق كلا المبدأين التاليين:

أ- انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من اراضى احتلتها فى النزاع الأخير.

ب- إنهاء جميع إدعاءات أو حالات الحرب، واحترام وإقرار سيادة ووحدة اراضى كل دولة فى

المنطقة واستقلالها السياسى، وحقها فى العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها حرة

من التهديد بالقوة أو استعمالها.

ضمان،

٢ - ويؤكد المجلس أيضا الحاجة الى:

أ- ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية فى المنطقة.

ب- تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

ج- ضمان عدم جواز التعدى على اراضى كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى؛ عن

طريق إجراءات من بينها إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

(١) لورد كارادون، وزير دولة للشئون الخارجية وشئون الكومنولث الخارجية، والممثل الدائم البريطانى فى الأمم المتحدة، من ١٩٦٤ - ١٩٦٨.

٣- ويطلب الى الأمين العام تعيين ممثل خاص ليتوجه الى الشرق الأوسط؛ كي يجرى اتصالات بالدول المعنية، ويستمر فيها بغية التوصل الى اتفاق، والمساعدة فى الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة، وفقا لأحكام هذا القرار والمبادئ الواردة فيه.

٤- ويطلب الى الأمين العام أن يرفع تقريراً الى مجلس الأمن، بشأن تقدم جهود الممثل الخاص فى أقرب وقت ممكن".

وقد ردت الجمهورية العربية المتحدة رسمياً الى مجلس الأمن على المشروع البريطانى كالاتى:

"الجمهورية العربية المتحدة ترى أن المشروع البريطانى - بغير التعديلات التى اقترحتها - لا يمكن اعتباره كافياً لحل الأزمة.

١- أن المشروع البريطانى ليس محددًا فى موضوع انسحاب القوات الاسرائيلية. فقد نص المشروع على :

"Withdrawal of Israeli forces from territories occupied in the recent conflict"

وهذا النص يحتمل تفسيرين.. الأول وهو الأقرب الى الدقة: "انسحاب اسرائيل من أراضى احتلتها فى النزاع الأخير". والثانى هو: "انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها فى النزاع الأخير".

ولكى يصبح النص محددًا ولا يحتمل غير تفسير واحد اقترحت الجمهورية العربية إضافة كلمة : all أو the ليصبح النص : "all territories" بمعنى " كل الأراضى" أو "the territories" بمعنى الأراضى.

٢- اعترضت الجمهورية العربية على فقرة واردة فى المشروع البريطانى هى: "secure and recognized Boundaries" بمعنى "حدود آمنة ومعترف بها" لكل دول الشرق الأوسط. والاعتراض على هذه الفقرة ينبع من أن تخطيط هذه "الحدود الآمنة والمعترف بها" لا يمكن أن يتم إلا عن طريق مفاوضات بين الأطراف المعنية، وهذا ما ترفضه الجمهورية العربية.

٣- وكان هناك أيضا خلاف حول اختصاصات المبعوث الخاص المقترح إرساله للشرق الأوسط.

وكانت الولايات المتحدة قد شجعت المشروع البريطاني بدون الالتزام بالنص، وحاولت إحداث تغييرات فيه<sup>(١)</sup>، وظلت في تفسيرها للقرار ٢٤٢ تساند اسرائيل، بل ودعت الاتحاد السوفيتي الى دعمه<sup>(٢)</sup>.

وقد أعلن عبد الناصر موقفه في خطابه في ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧، فقال: "إنه غير كاف، ولن نستطيع الحصول على ضمانات إلا ما تقدمه القوات المسلحة والاستعداد لحمل السلاح. وتوجد نقطتان ليستا موضع جدال:

- ١- الانسحاب الكامل من كل الأراضي العربية التي جرى احتلالها في معارك ٥ يونيه.
- ٢- لن نسمح لاسرائيل أن تمر في قناة السويس، فهو جزء لا يتجزأ من قضية فلسطين الأصلية. وكذلك الالتزام بالخطوط الأربعة من القضية في مؤتمر القمة؛ لا اعتراف، لا صلح، لا مفاوضة، لا تصرف في القضية الفلسطينية لأنها ملك شعب فلسطين".

وكانت الجمهورية العربية المتحدة قد أعلنت في ١٩ نوفمبر ١٩٦٧ استئناف العلاقات الدبلوماسية مع بريطانيا التي تمت بالفعل في منتصف شهر ديسمبر، ثم أعلنت هي والأردن الموافقة على القرار البريطاني.

أما الموقف الاسرائيلي، فقد استبعد في بيان رسمي من الحكومة أية تسوية لا يتم الوصول اليها من خلال المفاوضات المباشرة، ويتم تسجيلها في معاهدات سلام.

كما أكد البيان حاجة اسرائيل الى التأمين من أى هجوم، وقبولها من جيرانها، والتركيز على أساليب تحقيق هذا الأمن والقبول. ويضاف الى ذلك حرية مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس. وكان قرار الوزارة الاسرائيلية يؤجل مشكلة اللاجئين الى ما بعد عقد معاهدات السلام.

وقد أصبح واضحاً أن اسرائيل ترى أن حدودها المستقبلية تشمل ليس فقط القدس كلها، ولكن قطعة كبيرة من مرتفعات السورية وقطاع غزة كله، بالإضافة الى الضفة الغربية لنهر الأردن والعريش في سيناء<sup>(٣)</sup>.

---

Memo. from Nathanid Davis (NSC) to Rostow, Washington, Nov. 13, 1967, the Situation in NY. (١)

(٢) رسالة جونسون الى كوسيجن، ١٩/١١/١٩٦٧.

Information Memo. from Battle to Rusk, Washington, Nov. 17, 1967, Israel's Peace (٣)  
Aims.

وفى الواقع أن قيمة الموقف الاسرائيلى ارتبط بتأييد الولايات المتحدة له؛ حيث استخدم الاسرائيليون سلاح "منع التغلغل السوفيتى فى الشرق الأوسط" ليجذبوا الأمريكين اليهم<sup>(١)</sup>! وإزاء كل هذا كان عبد الناصر يرى أن من مصلحة العرب أن يكون فيه وحدة هدف ووحدة صف لمواجهة اسرائيل. وأكد على تجميد الكلام على الرجعية والتقدمية والثورية واللاثورية؛ فهذا ليس وقته، ولا يكفى القول إن العرب ١٠٠ مليون يحاربون ٢ مليون يهودى<sup>(٢)</sup>. ولكن كان قبول مصر لقرار مجلس الأمن سببا للانقسام العربى؛ فقد رفضته كل الدول العربية فيما عدا الأردن! وكان ذلك موضوعا للهجوم السياسى على مصر وخاصة من الدول العربية المعادية، وانعكس ذلك على المناقشات فى مؤتمرات القمة كما سنرى.

---

Memo. of Conversation, Washington, Nov. 21, 1967, Yaccov, Hertzog, Harriman, (١)



Evron, W. Rostow, Sanders.

(٢) محضر اجتماع عبد الناصر مع طاهر يحيى رئيس وزراء العراق، ١٩٦٧/١٢/٢.

#### ٤- زيارة عبد الناصر الى موسكو فى ٤ يوليو ١٩٦٨ نقطة تحول:

التقى عبد الناصر بكل من برجنيف وبادجورنى وكوسيجين فى موسكو، فى ٤ يوليو ١٩٦٨، وكانت بمثابة تقدير موقف بعد سنة من العدوان مع المصدر الأساسى للسلاح والمساندة السياسية والاقتصادية.

لقد أصبحت الجمهورية العربية المتحدة فى ذلك الوقت قادرة تماما على الدفاع عن غرب القناة والقاهرة، بعد التعويض من جانب الاتحاد السوفيتى لجزء كبير من الأسلحة المفقودة، وبعد حضور الخبراء السوفيت لتدريب المصريين عليها.

وأثناء المحادثات قال عبد الناصر: "بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة، فالعدوان والهزيمة سببت هزة كبيرة؛ كل الناس تحركت.. لماذا حدثت الهزيمة؟ ولماذا حدثت انقسامات؟!"

وشرح عبد الناصر موضوع المظاهرات، التى بدأت فى مصنع للطائرات فى فبراير بعد أحكام الطيران التى اعتبرها العمال خفيفة! فقد حدثت اشتباكات مع البوليس، وتلى ذلك اشتراك الطلبة بالمظاهرات عقب إشاعة بوجود قتلى. ولكن أُعيد كل شئ الى طبيعته بإعادة تنظيم الحكومة والاتحاد الاشتراكى، وأصبحت الأوضاع الداخلية مطمئنة جدا.

أما عن الوضع فى الجيش، فقد تحسن كدفاع، ولكن الناحية المعنوية.. العسكريين يقولون: متى.. متى؟ إذا لم ندخل معركة لا نستطيع أن نلبس الكاكي لمدة ٥٠ سنة!

الجيش كله موجود فى المواقع، وتم إبعاد عدد كبير من الرتب الكبيرة، ويمسك القيادات شبان. وأصبح التجنيد للمؤهلات، ويُرفض الفلاحون الذين لم ينالوا حظا من التعليم<sup>(١)</sup>.

#### أ- البدء بإصرار السوفيت على الحل السلمى:

وقد اتضح من المقابلة الأولى، التى امتدت الى ما بعد الظهر فى موسكو، أن السوفيت كانوا شغوفين بالحل السلمى! وجرى الحوار التالى..

برجنيف: ما هى الاحتمالات؟

عبد الناصر: نسير فى الطريق.. الحل السلمى والحرب؛ ليست عملية سهلة، قوة اسرائيل كبيرة. بالنسبة للمستقبل نخشى من الحل السلمى؛ على أساس أننا لا نستطيع أن نتنازل عن أرض... وطبعا لا يمكن التفاوض مباشرة مع اسرائيل؛ معناه استسلام لأنه محتل أرضا عربية، ولا يوجد عربى يقبل هذا، ثم لا نستطيع التوقيع على معاهدة صلح! فى نفس الوقت، لا بد أن نجهز قواتنا الى معركة.

---

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع القادة السوفييت، موسكو، ١٩٦٨/٧/٥، الجلسة الصباحية.

ماذا يحدث إذا لم نصل الى حل سلمى؟ نستهدف من هذه المقابلة أن نتفق على حدود للمستقبل.. ليس حقنا أن نحرر أرضنا ولكن واجبنا.  
لقد حققت اسرائيل الهدف العسكرى، ولم تحقق الهدف السياسى لها ولا لأمريكا، لماذا تنسحب اسرائيل؟... ماذا يجبرها على الانسحاب؟!  
إن هدفها سيكون خلخلة الأنظمة فى المنطقة، وإقامة حكومات ضعيفة موالية للغرب؛ ممكن أن نتفق مع اسرائيل وتفتح المجال الاقتصادى معها. وهو يعلم أننا لا نستطيع أن ندخل معه فى معركة عسكرية؛ إذاً لا داعى للانسحاب! ستمر سنة والبلاد العربية فى غليان... والاسرائيليون ينتظرون شيئاً واحداً.. تغييراً! يبقى الوضع سنتين وثلاثة، وهو اقتصاديا ليس تعبان. اسرائيل تريد أن تحقق الهدف السياسى... طالما نحن غير قادرين على معركة فهم لن ينسحبوا!

كوسيجن: ما الذى تقبلونه؟

عبد الناصر: كل ما ذكر فى مجلس الأمن.. الاتفاق على الحدود.

كوسيجن: صلح؟

عبد الناصر: لا.. ليس مباشرة مع اسرائيل؛ مع يارنج<sup>(١)</sup> نقول: إننا نتعهد بكذا وكذا ونوقع وهم يفعلون نفس الشئ، وهذا تعهد منا لمجلس الأمن.

كوسيجن: ما هى الالتزامات؟

عبد الناصر: حق كل دولة فى البقاء، إنهاء حالة الحرب بعد تمام انسحاب القوات الاسرائيلية، الاتفاق على الحدود الآمنة، الملاحة فى خليج العقبة، الملاحة فى قناة السويس مع حل مشكلة اللاجئين حسب قرار الأمم المتحدة، عدم مصادرة البضائع الاسرائيلية فى قناة السويس.

(١) جونار يارنج، الوسيط الدولي بالأمم المتحدة.

كوسيجن: ما معنى حل مشكلة اللاجئين؟

عبد الناصر: قرارات الأمم المتحدة فى العودة والتعويض، وعددهم ١,٥ مليون فلسطينى أخذت قراهم وأراضيهم وأملاكهم!

ثم دارت مناقشة حول هذا الموضوع بين عبد الناصر وكوسيجن، انتهت بأن قال رئيس الوزراء السوفيتى: "إن القضية الفلسطينية لم تتقدم ولا خطوة بعد قرارات الأمم المتحدة فى ١٩٤٧. إن اسرائيل تستطيع أن تقول: فلنتباحث فى المشاكل مع مصر وسوريا وغيرها من الدول العربية، أما مشكلة اللاجئين فهى خاصة بفلسطين وهى ليست موضوع عدوان ٥ يونيه!"

وكان من الملاحظ أن القادة السوفييت الثلاثة - برجنيف وبادجورنى وكوسيجن - أبدوا عدم فهم واعتراض على الربط بين مرور اسرائيل فى قناة السويس وحل قضية اللاجئين، بل وصل الأمر للضغط على عبد الناصر ليتساهل فى الأمر ويؤجله!

وهنا قال عبد الناصر: "إن السفن الاسرائيلية لم نمررها من قناة السويس أبدا ولا البضائع!... ثم إن هناك سببا سياسيا؛ المركب تدخل وسط مدينة بورسعيد، بدون حل قضية اللاجئين تتولد مشكلة لا يمكن مواجهتها مصريا وعربيا؛ تصل الى خيانة القضية العربية كلها!" وأضاف عبد الناصر، "إن قرار الأمم المتحدة غير كاف، ونحن نربط موضوع قناة السويس بموضوع اللاجئين لأنه حساس جدا. بدون حل هذه المشكلة، لا يمكن مرور العلم الاسرائيلى فى الأرض المصرية".

وشرح عبد الناصر، "يجب عدم تجاهل الوضع العربى؛ الملك حسين لا يستطيع أن يقبل ذلك إلا إذا أنا قبلته! وسترفضه جميع الدول العربية؛ الكويت، السودان، الجزائر.. الخ... إن هذا تصفية للقضية الفلسطينية، ويخدم القوى الرجعية ويزرع القوى التقدمية فى المنطقة! فى هذا ستكون مصر وحدها؛ لأن سوريا والجزائر سترفضان. العالم العربى فى حالة غليان!... كل هذا يؤثر على أوضاعنا فى مصر؛ قضية فلسطين بالنسبة لكل واحد فى مصر قضية مقدسة، إذا طلب تصفيتها نكون فى وضع خطير جدا..."

الملك فاروق لم يسمح لاسرائيل أن تمر فى قناة السويس!... ولكن البضائع كانت تمر الى أن منعناها بعد عدوان ٥٦".

وأصر عبد الناصر، "ثورة وتقدم.. كيف نتخلى ونسمح بذلك بدون حل المشكلة؟!"

وعندما قال كوسيجن: "ما الذى يمنعكم من معاهدة الصلح مع اسرائيل بعد ما تنتهى الحرب؟"

رد عبد الناصر قائلاً بصراحته المعهودة: "الناس يقلبونا.. ويخَلصوا علينا فى العالم العربى! ويخَلصوا عليكم أيضا!... موضوع فلسطين هو موضوع هستيريا".  
وبالنسبة لقرار مجلس الأمن ٢٤٢ الذى اعترض عليه السوريون وحذروا عبد الناصر أن قبوله له سيؤثر على مكانته فى العالم العربى! رد عليهم قائلاً: "أنا مستعد أن أقبل هذا فى سبيل الحل السياسى!"

وفى الواقع، أن الدول العربية كلها - فيما عدا الجمهورية العربية المتحدة والأردن - كانت تعتبر قرار مجلس الأمن فيه تصفية للقضية الفلسطينية؛ لأن به اعترافاً بوجود اسرائيل وحدودها، وإنهاء حالة الحرب، خصوصاً أن اسرائيل كانت تعلن عدم قبولها للاجئين!

وقد وصل الأمر فى هذه الاجتماعات بموسكو أن طرح كوسيجن على عبد الناصر الحل الآتى: "إذا كنتم لا تستطيعون توقيع معاهدة صلح مع اسرائيل، الاتحاد السوفيتى لم يوقع معاهدة صلح مع اليابان، ولكن كل دولة وقعت بيانا بإنهاء حالة الحرب!"

رد عبد الناصر مستنكراً، "نعمل بيان مع اسرائيل؟! إن أى عمل مشترك مع اسرائيل غير ممكن، ولكن ممكن أن نقول هذا لمجلس الأمن... نحن مستعدون لإنهاء حالة الحرب حسب قرار مجلس الأمن".

وكرر عبد الناصر: "بدون القوة العسكرية لن تقبل اسرائيل الحل السلمى، طالما يعلم أننا لا نستطيع أن نتصدى له فى معركة، لماذا ينسحب؟!..."

إن الاسرائيليين حتى رفضوا تطهير القناة من السفن الغارقة ، رفضوا كل شئ يخص فك سراح السفن، وضربوا قواربنا من أجل مسح القناة، ورفضوا حتى مسح القناة فى الجزء الشمالى وجرحوا الناس الذين فيها، وكانت المحاولة علنية<sup>(١)</sup>!

وأثناء المحادثات سئل عبد الناصر عن وضع الأردن، فقال: "إنها لم تستطع أن تعوض أى من خسائرها؛ فالولايات المتحدة لم ترد عليها بالنسبة للطائرات التى طلبتها، بينما وصلت اسرائيل طائرات أمريكية جديدة!"

وأشار عبد الناصر الى "أن الوضع فى الأردن اختلف؛ والسبب هو بداية العمل الفدائى الفلسطينى بقيام منظمة 'فتح' المسلحة، وهى تمنع أى حركة تدعو للصلح مع اسرائيل. هذه المنظمة

تكبر ولها تأييد فى العالم العربى، وقائدها طلب أن يأتى معى الى موسكو". وقدم عبد الناصر ياسر عرفات - الذى صحبه معه - الى السوفييت!

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع القادة السوفييت، موسكو، ١٩٦٨/٧/٥، مرجع سابق.

### ب- الانتقال الى الإعداد للحرب بمساعدة السوفييت:

بعد إلهام القادة السوفييت على الحل السلمى وضرورة المشى فى طريقه، واستخدام كل أدوات الإقناع التاريخية والعملية والمعنوية، وتمسك عبد الناصر بموقفه كما ذكرناه، بدأ الحديث عن الحرب، فقال عبدالناصر: أنتم تعرفون ماذا عن اسرائيل، ونحن نترك لكم تقدير القوة اللازمة لمواجهة اسرائيل المصرية. إننا لن نحارب إلا إذا اتفقنا معكم... وأعتقد أن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة. إننى أتمنى الحل السلمى لأن الحرب فيها مساوى كثيرة جدا.

إذا لم نصل الى شئ للحل السلمى، وإذا استمرت اسرائيل على رفض تنفيذ قرار الأمم المتحدة... ليس أمامنا إلا طريق واحد.. إلا الحرب! هذا يحتاج تجهيز، تدريب، بناء القوات المسلحة.. يحتاج أننا ننتصر فى المعركة.

إننا ممكن أن نبدأ حرب عصابات فى سيناء، وعندنا قوات جاهزة لهذا... لدينا الآن قوة تستطيع أن تدافع، يجب تحويلها الى هجوم.. لا يمكن إلا بمساعدة الاتحاد السوفيتى. وأرى أن تعتبروا هذه قضيتكم كما هى قضيتنا؛ إذا هُزمت قضية التحرر فى العالم... إن المبادئ التى ندافع عنها دائما هى التى دافعت عنها.

ويجب أن نجهز قواتنا لى يكون هناك الجيش الهجومى، كيف نحقق هذا؟! يجب أن تكون الأسلحة التى لدينا هى مثل اسرائيل - بل أكثر منها - هذا يتطلب وقتا، يتطلب تدريباً".

وأما عن موضوع عمل المستشارين العسكريين السوفييت الذى أثاره برجنيف، قال عبد الناصر: "إن عملهم مفيد جدا"، ثم شرح.. "طبعاً حصلت محاولات كثيرة ضدهم، ولكن أمكن التغلب عليها. والأغلبية فى القوات المسلحة تشعر بأنها استفادت منهم، وفى زيارتى للقوات المسلحة صرحت بأنى طلبتهم".

وأثار عبد الناصر موضوع طول المدى بالنسبة للطائرات الحربية، وأيضاً إرسال معدات تجعل الجيش خفيف الحركة، ثم ما يلزم من المعدات لعبور قناة السويس ومواجهة اسرائيل. وترك أمر التفاصيل للعسكريين.

## ٥- فشل محاولات الولايات المتحدة لإعادة العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة:

تحدث عبد الناصر مع القادة السوفييت عن علاقات الجمهورية العربية المتحدة مع الولايات المتحدة التي كانت قد قطعت بسبب دورها الخفى فى العدوان؛ وعن مقابلاته مع شخصيات أمريكية - وإن لم يحضر رسميون - مثل ماك جورج باندى رئيس مؤسسة فورد والمنسق للمخابرات، وجون ماكلوى عضو الحزب الجمهورى، وروبرت أندرسون المبعوث الخاص لجونسون؛ وكلهم كانوا يطالبون بعودة العلاقات مع مصر.

وكانت وجهة نظر عبد الناصر أن السبب فى هذا الإلحاح على عودة العلاقات، هو "إدراكهم أنهم إذا أعادوها فإنهم يستطيعون إعادتها مع الجميع، ولكن من دون مصر لا يمكنهم هذا! إنهم يلحون من فبراير ١٩٦٨ ومصر رافضة، لماذا إعادة العلاقات؟! إن موقف أمريكا لم يتغير.. موقفهم فى الأمم المتحدة وموقف روستو هو موقف اسرائيل! وقد أثار ماكلوى موضوع الأسطول السوفيتى فى البحر الأبيض، وأنهم قلقون من هذا الموضوع"<sup>(١)</sup>.

وفعلا اهتمام الولايات المتحدة بعودة العلاقات مع الجمهورية العربية المتحدة كان له دافع هام؛ وهو الحد من النفوذ السوفيتى المتزايد فى الشرق الأوسط. وقد وصل تقدير بعض أعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى National Security Council Staff، أن فقط "موت عبد الناصر هو الذى سيسمح بتغيير قلب العرب، وهو المطلب الأول لتحقيق سلام دائم"<sup>(٢)</sup>!... وأن "ناصر لا بد أن يختفى حتى تكون الدول العربية الأخرى حرة لإتباع مصالحهم"<sup>(٣)</sup>. وفى نفس الوقت، استمرت الولايات المتحدة فى الضغط على الاتحاد السوفيتى لوقف توريد السلاح الى الشرق الأوسط<sup>(٤)</sup>، وكذلك الضغط على الملك حسين للتفاوض على اسرائيل وحده<sup>(٥)</sup>. وقد استغل الأمريكان فى ذلك موقفه المواجه للفدائيين، وطلبه المساعدة من الولايات المتحدة لإبعاد الاسرائيليين عنه<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق.

Memo. From Harold sanders to Rostow Washington, March 4, 1968, (٢)

Resuming Relations with Nasser – the Issue.

Memo. From H. sanders of the National Security Council Staff to Rostow (٣)

Washington, April 9, 1968. Exploration with Evron.

(٤) رسالة من جونسون الى كوسيجن ورده عليها:

Tele From the Dep. of State to the Embassy in the S U, Washington, Jan 20, 1968.

Information Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, Jan 22, 1968.

Memo. From Foster & sanders to Rostow, Washington, March 14, 1968 (٥)

More on Hussein.

Action Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, April 20, 1968, (٦)

Urgent Message to Eshkol.



وفعلا أرسل جونسون رسالة الى إيشكول يستنكر فيها رد اسرائيل عسكريا على الأردن<sup>(١)</sup>. أما عبد الناصر، فقد ظل محتفظا بالعلاقات غير الرسمية مع الولايات المتحدة؛ استقبل مبعوث جونسون وتبادل الرسائل معه مشجعا له على دفع اسرائيل لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧، وباقي قراراته وقرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة، وآخرها ضد العرض العسكري الاسرائيلي في القدس<sup>(٢)</sup>.

واستمرت الرسائل بين جونسون من ناحية وعبد الناصر والملك حسين وإشكول من ناحية أخرى، وكذلك رحلات يارنج بين الأطراف المختلفة والمنظمة الدولية، إلا أن الموقف لم يتغير؛ بل عاودت اسرائيل الضغط على الولايات المتحدة لترسل لها ٥٠ طائرة فانتوم للقضاء على أى أمل لعبد الناصر في نصر عسكري<sup>(٣)</sup>. وقد وافق جونسون رسميا في نوفمبر ١٩٦٨ على إرسال طائرات الفانتوم الى اسرائيل، وتحدد ميعاد تسليمها في سبتمبر ١٩٦٨ وإعلانه في ٢٨ ديسمبر. وكان سبب تردد جونسون في هذا الموضوع أن الفانتوم تستطيع أن تحمل أسلحة ذرية؛ مما قد يدفع الاتحاد السوفيتي الى أن يضع صواريخ ذرية في الجمهورية العربية المتحدة<sup>(٣)</sup>! ولكن اسرائيل حرصت من جانبها ألا تربط بين بيع الفانتوم وتوقيعها على اتفاقية حظر الأسلحة الذرية<sup>(٤)</sup>.

---

Letter From P. Nasser to P. Johnson, Cairo, May 1, 1968. (١)

(٢) رد جونسون على عبد الناصر:

Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, May 10, 1968, Reply to P. Nassers Letter.

Action Memo. From Rostow to P. Johnson, Washington, May 2, 1968, (٣)

Letter From Eshkol & Some Personal Thoughts.

Memo. of conversation between P. Johnson & Foreign Minister Iban, (٤)

Washington, Oct 22, 1968.

Tele From the Embassy in Israel to the Dep. of State, Washington, (٥)

Tel Aviv, Oct 28, 1968, NPT- Phantom.



## سادسا: معركة كسب الجبهة الداخلية:

عندما رجع عبد الناصر الى موقعه فى ١٠ يونيه ١٩٦٧ بناء على ضغط الجماهير فى مصر والدول العربية، تولى الى جانب سلطات رئيس الجمهورية رئاسة الوزارة والقيادة العليا الفعلية للقوات المسلحة.

حقا هو موقف لا يحسد عليه؛ فاليهود يحتلون سيناء وقواتهم وصلت الى الضفة الشرقية لقناة السويس، وهذا وضع ضاغط حيث إن الشعب كان ينادى بالتحريك الفورى للأراضى المصرية، بينما الجيش قد قضى عليه أثناء العدوان الاسرائيلى، ولم يتبق سوى ٣٠,٠٠٠ من القوات المصرية بسلاحها فى اليمن. وبالطبع فإن إعادة بناء القوات المسلحة تحتاج الى وقت للحصول على السلاح والتدريب عليه.

ومن جانب آخر، كان مطلوبا من الشعب المصرى تضحيات اقتصادية تساند الجهد العسكرى، وكان عبد الناصر مدركا أنه إذا تقبلوا ذلك فى البداية فإنه مع مضى الوقت ستبدأ مظاهر التذمر، بل الاضطرابات الداخلية مع إعلان اقتصاد الحرب وإجراءات التقشف.

ثم كانت أمام عبد الناصر مهمة التعبئة السياسية للجماهير لفترة طويلة، وضمان الوحدة الوطنية؛ مما استدعاه الى التأكيد على إعادة النظر فى التنظيم السياسى - الاتحاد الاشتراكى - بل فى كل النظام. لقد دعا الى التغيير الجذرى ممارسا أوسع عملية نقد ذاتى منذ الستينيات.

وكانت الجبهة الداخلية فيها صدوع؛ بلد فى نكسة بلا جيش وبلا اقتصاد! ومن هنا بدأ العمل؛ أى طرح عملية التغيير الشامل فى النظام السياسى. وكان عبد الناصر مفوضا تفويضا مطلقا بالإجماع من الشعب ليلة ٩ يونيه لإنقاذ البلد من محنته.

### ١ - ضرورة تقويم النظام:

إن من أصعب الأمور على أى ثورة أنها وهى فى الحكم تنشئ نظاما سياسيا، ولا يرقى إليه نقد أو شائبة. وبالنسبة لعبد الناصر فقد مر بأزمات، ولكن هذه أصعبها! وكان متأكدا أن الصمود هو العامل الأساسى فى هذه الظروف، بالإضافة الى القيم وإعطاء المثل.

وكان السؤال الأساسى الذى طرحه عبد الناصر فى مجلس الوزراء فى ٢٢ يوليو ١٩٦٧؛ "كيف نعبئ الناس ونخلق الوحدة الحقيقية للبلد، ولا نجعل أعداءنا يفسخون الجبهة الوطنية؟ إن هناك محاولات داخلية وخارجية لتحقيق ذلك، وعلى قدر صلابتنا الداخلية نستطيع أن نحل المشاكل الخارجية"<sup>(١)</sup>.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٧/٢٢.

وبدأ عبد الناصر يحلل الوضع الداخلى قائلا: "من الواضح أن النظام تعب! وعندى مشاكل كبيرة فيه، وتوجد حلول وسط كثيرة، ونحاول اليوم أن نوحّد الدولة التى كانت داخلة فى عملية انفصام، وكان واضحا أن هناك تناقضات بين أجهزتها كلها؛ وهذا من أسباب ضعف النظام اليوم. والحل الوحيد لهذا أن نلم الدولة، ونجعل الجيش تابعا لها، والاتحاد الاشتراكى له دور مرسوم، ولا منافسة بينه وبين الجيش والوزارة، ونهى الشلل؛ حتى لا يحدث تناقض يسبب بلبلة فى البلد.

وفى الظروف الحالية لابد من التصميم على الرأى السليم وإقناع الناس به، لكن بدون حلول وسط، ورأى أن الوقت فى صالحنا"<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الناصر: "إننى أعتبر من يوم ٩ يونيه أن النظام سقط.. النظام الماضى سقط كله، والمظاهرات التى خرجت فى الشوارع ليست ثقة فى النظام. ولو كانت ثقة بالنظام كان زكريا محيى الدين مسك رئيس جمهورية؛ فهو جزء من النظام واستمرار له. إننا الآن فى بداية جديدة؛ وعلى هذا الأساس قلت: لابد أن أشكل أنا الوزارة لأضع قواعد، وكنت أقول: أريد ناس تقول رأيا.. أريد واحد يقول رأيه لو تقطع رقبتة"<sup>(٢)</sup>!

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٧/٢٤.

### أ- عيوب النظام المقفول وحتمية التغيير:

إن ما جعل عبد الناصر يفكر فى التغيير الجذرى للنظام، شعوره وتأثره بما حدث فى ٩ و ١٠ يونيه، وبالمسئولية الكبرى التى ألقاها عليه الشعب ليس فى مصر وحدها وإنما فى العالم العربى كله.

وبدأ عبد الناصر تقويم الماضى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وفتح باب المناقشة فى الوزارة واللجنة التنفيذية العليا، وكان هدفه طرح التساؤل.. ما هو مستقبل هذا النظام؟ وماهى ملامح التغيير لإنقاذه؟

وكان رأيه أن المجتمع المقفول والعمل السياسى الذى صار عليه الوضع فى مصر أصبح يهدد النظام، ومادام أن الناس فى السلطة يشعرون أنه لا توجد مساءلة عن أفعالهم، فإن ذلك من الطبيعى أن يؤدى الى الدخول على مرحلة فساد، ويحتم التغيير.

وقد فوجئت بكلام عبد الناصر فى مجلس الوزراء فى ٢ أغسطس ١٩٦٧، عندما قال: "رغم أننا عندنا القوة، وأنا بالذات أقدر أن أعمل ما أقدر عليه، لكن رغم وجودى فى هذا النظام، فيه أوقات فيه أشياء لم أكن أقدر أعملها! والناس تتصور أننى أقدر أن أعمل كل شئ!"

وأقر عبد الناصر أنه "فيه أشياء كثيرة حدثت فى السبع سنين السابقة، أظهرت أن النقاء الثورى بدأ يضيع؛ وهذا يهدد المستقبل!"

وإذاً كان عبد الناصر مدركاً أنه يستطيع أن يتخذ إجراءات تطهير، ولكنه استبعد هذا الأسلوب قصير النظر وأراد حلولاً جذرية تؤمن البلد؛ فقد كان غير مطمئن على النظام فى السنين الأخيرة قبل عدوان ١٩٦٧، وفى فترة كان يتذكر بيت الشعر:

تؤخذ باسمه الدنيا جميعاً  
وما من ذاك شئ فى يديه!

فهذا ما حدث معه وهو فى موقع القوة، وكان مدركاً أنه لن يأتى أحد أقوى منه، فالبلد تقبل

أى شئ منه، فماذا عن المستقبل؟!

وعلى الرغم من أنه فى ظل هذا النظام تم تحقيق أهداف كثيرة بالنسبة للتطبيق الاشتراكى والسير فى طريق تدوير الفوارق بين الطبقات.. الخ، ولكن عبد الناصر كان يشعر أنه يوجد شئ خطأ بالنسبة لتأمين الناس من العصابات والشبلى التى أصبحت موجودة فى النظام، وأيضاً من تعلقهم بفرد!

وقال عبد الناصر فى جلسة مجلس الوزراء فى ٢٦ يوليو ١٩٦٧: "أريد أن أعمل فى داخل الاتحاد الاشتراكى معارضة منظمة وحكومة... وكان الضيق يأخذنى!... أريد ناس تتكلم وتنتقد؛ حتى تمنع الآخرين من أن يتكلموا أن لا أحد يتكلم ولا توجد جرائد سنكتب، وكل واحد ديكتاتور فى وزارته.. لا حسيب ولا رقيب!... وأنا أقول: إن الوزراء كَفَرُوا الناس! إذا كان فيه عيب فى الاتحاد الاشتراكى ففيه عيب فى الأعمال الوزارية وأكثر.. لابد أن نرفع قيمة الوزير".

إذاً لابد من وضع نظام يحقق مساءلة المسؤولين، وقال عبد الناصر: هذا هو الموضوع الأساسى الذى لابد من بحثه؛ حتى يرد للناس ما أعطوه له فى ٩ و ١٠ يونيه، ويرد لهم الثقة التى أظهرها له.

وكان رأى عبد الناصر، أنه لابد أن تكون هناك معارضة حقيقية بدلا من الوضع الخاطى الذى كان موجودا... فطالما لا نحاسب على أى أخطاء منا، كل واحد سيستمر فى الطريق الخطأ وقد ينقاد فيه؛ لأنه لا يوجد خطر يهدد الوجود!" كما أن الجرائد لا تكتب ولا أحد يتكلم! إن المعارضة الحقيقية هى الحل بالنسبة للوزارة والعمل السياسى، وينبغى تحرير الناس من الخوف".

وفى الواقع لم يكن فى ذهن عبد الناصر الصورة التى يجب أن يصبح عليها النظام، وكل ما بدأ به الحوار هو أن النظام الموجود به عيوباً كثيرة، وينبغى تغييره، وخصوصاً وأنهم فى آخر مرحلة لهم فى العمل؛ أى داخلىين على الفترة النهائية ولابد من تسليم القيادة لآخرين.

وتساءل.. "كيف؟ هل يعمل حزب؟ هل حزبين؟ هل يعمل معارضة؟" وذكر أنه عرض هذا الموضوع من قبل ثلاث سنوات؛ لأنه كان شاعرا بمخاطر كبيرة جدا على المستقبل<sup>(١)</sup>، وقال: "أنا لست قلقا على اليوم، أنا قلق على الغد؛ هذا المستقبل غامض جدا لأن فيه قوى كثيرة متصارعة. إذا كيف نضع النظام السليم الذى يؤمن البلد فى مستقبلها حتى بعد ما ننهى دورنا؟..."

وطالما لا توجد رقابة ولا نقد كل واحد سيعمل ما يريد.. فى المجتمع المقفول كل شئ ممكن!... ومطلوب منى اليوم أن أمشى الدنيا صح! أنا أقول: مستحيل.. لو أشتغل ٢٤ ساعة يوميا لن أستطيع أن أصلح هذا كله! لكن ما يصلحه هو نظام يطبق ليصلح ذلك كله. إذا كيف نضع للبلد نظاما يضمن الاستمرار بصرف النظر عن الأفراد؟... كيف نضمن عدم وجود صراعات قوى؟ إننا لا نعرف من القادم!... فى انجلترا مثلا فيه رادع وتقالييد معروفة، نحن لا يوجد شئ من هذا، وهذا هو أصل الموضوع... أنا فاتح الموضوع بلا حدود..."<sup>(٢)</sup>.

(١) ج ٥ من الكتاب ص ص ٣ - ١٨.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٨/٢.

## ب- للمستقبل نظام يضمن الأمن والاستمرار:

فتح عبد الناصر المناقشة في مجلس الوزراء وفي اللجنة التنفيذية العليا حول المعارضة، وكانت الآراء بين مؤيد ومعارض، واختلاف حول تكوينها ومراحلها وتوقيتها قبل إزالة آثار العدوان. وانتهى الاجتماعان بقول عبد الناصر: "لازلت غير مقتنع - لا مبدأ ولا توقيت - ولازلت مقتنع أن نشتغل على أساس حزبي"<sup>(١)</sup>.

واستعرض عبد الناصر العمل السياسى منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو، وكيف أنه قاوم العمل الحزبى فى البداية، وحدث خلاف بين أعضاء مجلس قيادة الثورة فى هذا الموضوع.. الدكتاتورية أم الديمقراطية. وكان من الممكن عمل حزب ودكتاتورية عسكرية والسير فى نظام فاشستى لعدة أسباب..

"لقد كنا ضد أحزاب اليمين وأحزاب اليسار، الشيوعيون والأحزاب الأخرى كانوا يهاجمونا، وكذلك الإخوان المسلمين... والحقيقة قدرنا نتغلب على موضوع الدكتاتورية العسكرية ونطبق نظام الأحزاب، وكنت فى البداية مقتنع به، ولكن وجدنا أن الأحزاب الموجودة لا يمكن أن تسير [مع الثورة]! حلينا الأحزاب وعملنا فترة انتقال حتى ١٩٥٦".

"ثم وضع الميثاق وقلنا: نريد أن نقيم ديمقراطية الشعب العامل، وقلنا: الحرية للشعب ولا حرية لأعداء الشعب، وتبنينا التشكيلة الموجودة.. وهى اليوم تحالف قوى الشعب العاملة؛ العمال والفلاحين والجنود والمتقنين والرأسمالية الوطنية. وقلنا: الديمقراطية السياسية لا يمكن أن تتم إلا بالحرية الاجتماعية؛ وضعنا مجموعة من المعادلات، ولكن فعلا فى التطبيق حدثت مشاكل كثيرة... إن ما دفعنا الى هذا [التقويم] أننا هُزمتنا فى الحرب، لو كنا كسبنا الحرب كان النظام أصبح جيدا جدا، وكانت الاحتفالات فى البلد ٤٠ يوم! وهذه الهزيمة لها أسباب كثيرة"<sup>(٢)</sup>...

وعرض عبد الناصر وجهة نظره، فى النظم الديمقراطية الأساس هو الحزب ومنه تأتي الحكومة، ومن يستقبل منها يذهب الى الحزب؛ إذأ يوجد شئ يربط كل واحد بالآخر. والمشكلة الحقيقية فى النظام السياسى المصرى أن هذه الرابطة غير موجودة على جميع المستويات!

(١) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٧/٨/٤، محضر مجلس الوزراء ١٩٦٧/٨/٦.

(٢) المرجع السابق.

وتساءل عبد الناصر.. ما معنى ممارسة الديمقراطية؟ إن مجلس الأمة كل واحد فيه مستقل! وأيضا مجالس إدارات الشركات، كيف عُينوا؟ جريوا على الوزير! فالدولة أصبحت مجموعة من الشلل، لماذا؟ لأن لا يوجد النظام الذى يقوم بهذا!

فى داخل الحزب - مثلا حزب العمال فى بريطانيا - يوجد صراع، فيه يمين ويسار، ولكن داخل البرلمان الكل يصوت مع الحزب؛ هذا هو الموضوع الأساسى الذى ينقص النظام فى مصر. وأكد عبد الناصر أن هناك معنى مرتبطا بالناس، ويمكن هو الذى طلّع الناس يوم ٩ و ١٠، ولكن الى متى تظل العملية معنوية لكن لا توجد العملية التنظيمية؟!

وكانت كلمة المعارضة التى طرحها عبد الناصر ليس لها حدود، وبدأ يعرض وجهة نظره فى التغيير، فقال: "إذا أردنا أن نعمل خير فى هذا البلد، رأبى.. أولا نتحرر ونحرر البلد من الخوف، ولا يمكن أن نعمل هذا بإجراء ولا بكتابة ولا بقلم.

إذا كنا نريد أن نضمن الأمن والسلام والطمأنينة فى البلد نعمل معارضة فى حدود معينة ومضبوطة، ونقول لهم إعملوا حزب ونحن نعمل حزب، وأعطيهم جريدة مثل الاتحاد الاشتراكى، والاتحاد يعتمد على نفسه.

نحن رجال الثورة اختلفنا؛ نعمل حزبين وبذلك نفتح النظام، والجيش يصبح محترفا وكذلك البوليس. هذا هو النظام المفتوح الذى أتصوره، ونخلص من النظام الفاسد الذى نحن فيه!"

وقال عبد الناصر: "أنا ضد نظام الحزب الواحد فهو دكتاتورية طبقة أو دكتاتورية حاكم!" واستطرد عبد الناصر: "فى مجلس الثورة كنت الوحيد الذى صوت مع الديمقراطية، والباقى صوت مع الدكتاتورية. وتركت المجلس، وجاء لى ناس من الجيش معترضين على إنى أذهب يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢. بعد يومين جاء لى صلاح سالم وقال: لقد قلنا رأيك؛ وبهذا نفذت دكتاتوريتك علينا لأن الأغلبية خضعت للأقلية"<sup>(١)</sup>.

وفى جلسة مجلس الوزراء، فى ٦ أغسطس ١٩٦٧ تساءل عبد الناصر: "كيف نلم الدولة؟ وكيف نضع النظام الذى يجعل الناس فى مركب واحدة؛ بحيث إذا غرقت غرقوا معها؟... نحن اعتمدنا على شئ قد يكون حماسيا، وأما نذهب الى بورسعيد تخرج البلد كلها لاستقبالنا، واليوم لو ذهبنا الى البحيرة، ستطلع كلها لنا! فيه معنى مرتبط بالناس، ويمكن هو الذى طلّع الناس يوم ٩، ١٠ يونيه.. معنى وأمل فى أشياء كثيرة.



ولكن الى متى تظل العملية معنوية؟! والناس بعد ما يمشوا من الاستقبال تظل العملية معنوية، لكن لا توجد العملية التنظيمية!  
لقد تحدثت على أساس أننا نريد أن نعمل نظام يضمن الاستمرار، ويكون كل واحد فيه معرضا للنقد؛ وهذا ما عبرت عنه بالمعارضة، التي تكون رقابة ووازع...  
ونحن بدأنا ٦ مليون، وقلنا: ديمقراطية الشعب العامل، وقلنا في الميثاق: لا بد من وجود الكادرات أى الجهاز السياسى، ولكن لم تتم العملية كلها!...  
ما جعلنى أتكلم هو شعورى بما حدث يوم ٨ يونيه - قبول وقف إطلاق النار - فقد قررت أننا كنظام لا بد أن نغير؛ بحيث لا توجد حدود للمعارضة"<sup>(١)</sup>.

---

(٢) محضر مجلس الوزراء، ٦/٨/١٩٦٧، مرجع سابق.

## ٢- مجابهة مؤامرة قيادة القوات المسلحة لقلب نظام الحكم:

لم يكن على عبد الناصر بعد رجوعه الى السلطة، بناء على ضغط الجماهير فى مصر والعالم العربى، أن يواجه فقط الهزيمة العسكرية التى قضت على الجيش المصرى كله، إنما واجه مؤامرة لقلب نظام الحكم من قادة الجيش بقيادة المشير عبد الحكيم عامر! ففى صباح ١٠ يونيه ١٩٦٧، تحرك عدد من الضباط الى بيت الرئيس يطالبون بعودة عامر الى قيادة الجيش، ولكن تم منعهم من التقدم. وفى نفس الوقت، اتجه آخرون الى مقر قيادة الجيش بإشارات من بعض القادة، وقدموا عريضة الى عبد الناصر يطالبون فيها بعودة المشير عامر وشمس بدران<sup>(١)</sup> الى الجيش.

تحرك عبد الناصر سريعا فى نفس اليوم، وطلب الفريق محمد فوزى وعينه قائدا عاما للجيش، وقال له: إنه قبل استقالة كل الفرقاء، ومن أحضروا العريضة يحالوا الى المعاش، وتمت إذاعة هذه التغييرات فى نشرة أخبار ٢,٣٠ من نفس اليوم. وطلب عبد الناصر إحضار قوات الحرس الجمهورى الى القاهرة، وهى التى كان قد أرسلها الى الإسماعيلية أثناء الهجوم الاسرائيلى.

وفى الساعة ٥,٣٠ ذهب عامر الى عبد الناصر، الذى قال له: "ماذا تفعلون؟ هل أنا الخديوى توفيق؟! وعرض عليه أن يظل نائبا أول لرئيس الجمهورية، ويكون عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا، أما الجيش فيكون محترفا<sup>(٢)</sup>.

وهذا كان رأى عبد الناصر قبل ١٠ سنوات ولكنه لم يستطع تنفيذه<sup>(٣)</sup>.

فى نفس الوقت قرر عبد الناصر تعيين أمين هويدى وزيرا للحربية، وأعلن أنه قبل استقالة عامر، وأمر الفريق فوزى أن يعتقل كل التنظيم الذى حوله، ولكنه ظل فى منزله محصنا، وواضع حوله مدافع مضادة للدبابات، وأحضر أفرادا من بلدته أسطال فى الصعيد للدفاع عنه فى القاهرة! ومن جانبه، قام عبد الناصر يوم ١١ يونيه ليلا بتغيير جميع قيادات الجيش وبدأ إعادة تنظيمه من جديد.

ما الذى حدث فى الجيش قبل وبعد ٩ يونيه، الذى اعتبره عبد الناصر تاريخا فاصلا وبداية

جديدة؟

---

(١) شمس بدران، كان وزير الحربية قبل العدوان الاسرائيلى.

(٢) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٧/٨/٣، مرجع سابق.

(٣) ج ٥ من الكتاب.

### أ- تمرد عبد الحكيم عامر ورفضه تحديث الجيش في ١٩٦٢:

هنا يستحق الأمر مزيدا من التفصيل، كيف لم يستطع عبد الناصر إحداث تغيير جذري في الجيش بعد العدوان الثلاثي في ١٩٥٦؟! وما الذي حدث؟

بعد خروج آخر جندي بريطاني من مصر ورفع عبد الناصر العلم المصري على بورسعيد في ١٨ يونيو ١٩٥٦، قدم له عبد الحكيم عامر استقالة مسببة في ٢٨ ديسمبر قال فيها: "... يجب أن أخطرك بما أشعر به وبما اقتنعت به أيضا؛ فإنني أصبحت مقتنعا أن مهمتي قد انتهت، وأن استمراري في العمل يضر على وجه قاطع بالصالح العام وبك أيضا كصديق، وكلاهما عزيز على النفس، وأصبح من الواجب عليّ أن أعتزل العمل"<sup>(١)</sup>.

ولكن عبد الناصر لم يقبلها. لا أعرف السبب، وإن كنت أتصور أنه وسط فرحة الانتصار السياسي في مواجهة العدوان البريطاني الفرنسي الاسرائيلي، قد يكون أنه أغفلها وجعل الأمور تمر! وبمرور الزمن في ١٩٦٢، بعد الانفصال وبعد صدور الميثاق وعلى لسان عبد الناصر، "لم أكن مستريحا للأوضاع الموجودة في ذلك الوقت، وطرحت على إخواننا أن يتركوا العمل التنفيذي ونعمل مجلس رئاسة"<sup>(٢)</sup>. وقلت لهم: نريد أن نلم كل الخيوط في البلد ومجلس الرئاسة يمثل الاستمرار؛ على أساس ألا يكون فيه إقطاعات في البلد محمية تؤدي في الآخر الى تفككها. وإنى على استعداد أن أعطى جميع مهام رئيس الجمهورية الى مجلس الرئاسة بالنسبة للقرارات والقوانين وكل شيء"<sup>(٣)</sup>.

واستطرد عبد الناصر، "تكلّمنا في الإسكندرية وعملنا جلسات واتفقنا على هذا، بمن فيهم عبد الحكيم. وتكلمت معه عن أمور الجيش أن يتركه، وعن وجهة نظري بالنسبة للقوات المسلحة التي يجب أن تكون جيشا محترفا ومتعلما، وأن القائد العام للجيش لابد أن يعين لفترة محدودة، ونؤهل قائدا عاما جديدا، والمتعلمون هم الذين يتولون القيادة. وقلت أيضا: إن معلوماتنا العسكرية إنتهت وإننا أصبحنا سياسيين، وإن عبد الحكيم أصبح سياسيا، ووافق معي على كل هذا الكلام.

(١) خطاب استقالة عبد الحكيم عامر بخطه، في ٢٨/١٢/١٩٥٦، ج ٣ ص ٣٩٤.

(٢) تفاصيل مجلس الرئاسة، ج ٥ من الكتاب.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٨/٢٧.

وعلى هذا الأساس لما رجعنا الى القاهرة طلبته حتى يقول لى عن رأيه بالنسبة للأوضاع الجديدة فى الجيش، فأرسل لى شمس بدران<sup>(١)</sup> الذى قال لى: لا يمكن إن المشير يترك القوات المسلحة، وإن هذا سيكون له آثارا!

قلت له: المشير راجل سياسى وليس عسكريا، ومن يقود القوات المسلحة يجب أن يكون شخصا عسكريا، وهذا الموضوع قد أقنعت به المشير، وعملنا اجتماعات واتفقنا عليه! فى اليوم التالى جاء شمس بدران صباحا ومعه جواب استقالة عبد الحكيم<sup>(٢)</sup>، وبحثنا عنه ثلاثة أيام حتى وجدناه فى الإسكندرية!"

واستطرد عبد الناصر، "وفى الحقيقة أنا زعلت من هذا التصرف، والساعة ٢ ذهبت له فى البيت، وقلت له: أنت تكون مسئولا عن القوات المسلحة فى مجلس الرئاسة، وإن العملية ليست فيها ألقاب! إننى ماسك القائد الأعلى للقوات المسلحة ولا أريد هذا اللقب، وأنا مستعد إنك تكون فى مجلس الرئاسة وإنك القائد الأعلى للقوات المسلحة!"

قال لى: لا ينفع لقب القائد الأعلى للقوات المسلحة، وقد يكون أنسب نائب القائد الأعلى للقوات المسلحة.

قلت له: لك ما تريد! ثم عملنا اجتماعات وأعلنت تكوين مجلس الرئاسة. وأصبحنا نريد تعيين قائد عام للجيش، ولكنه لم يقبل هذا الوضع! وأصر على أنه لابد أن يأخذ اختصاصات القائد العام ووزير الحربية أيضا!

تكلما فى هذه المواضيع لوقت طويل جدا، وطلبت عدة أشياء وعدة تنظيمات على أساس إن شئون القوات المسلحة يبحثها مجلس الرئاسة، وكذلك بالنسبة للتعيينات فى المناصب الكبيرة فى الجيش.

وكان تساؤلى.. فى حالة حدوث أى شئ لنا، من الذى سيمسك البلد فى هذا الوقت؟ وكنت أقول: لابد أن يكون فيه مجلس رئاسة استمرارا للأمور وفيه نظام، ولكن عبد الحكيم صمم على رأيه! وإن وافق على أنه يبحث مجلس الرئاسة التعيينات وأمور القوات المسلحة، إلا أنه أخذ سلطات القائد العام للقوات المسلحة ووزير الحربية! والحقيقة أن الفكرة فى الموضوع كله لم تنفذ بهذا الشكل!

(١) شمس بدران، مدير أمن الجيش فى ١٩٦٢.

(٢) خطاب استقالة عبد الحكيم عامر بخطه، فى ١٩٦٢/٩/٢٠، ج ٥ من الكتاب ص ١٣٩.

بعد هذا عرضت مشروع قانون على مجلس الرئاسة بالنسبة لاختصاصاته تجاه هيئات مختلفة منها القوات المسلحة، بناء على الاتفاق الذي كان قد تم، ولكن عبد الحكيم رفض أن يبحث مجلس الرئاسة في أى شئ في القوات المسلحة!

وقدم استقالة أخرى في أول ديسمبر ١٩٦٢، وهذه هي الاستقالة التي قال فيها: إنه لا يمكن أن يرجع الى القوات المسلحة، ثم تكلم فيها عن الحرية والديمقراطية.. الخ<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الناصر: "إخوانا [أعضاء مجلس الرئاسة] حضروا عندي وبحثنا الموضوع، وكان الرأي قبول الاستقالة ولكن لم أرض، وقلت لهم: لا بد أن نتصرف في هذه المواضيع بروية.

طلبت عبد الحكيم وتكلمت معه عن بعض أشياء حدثت في الجيش، وإن موضوع الاستقالة نزل فيه وعرفوه بعض ناس، وإدخال الجيش طرفا في الموضوع؛ فأنكر أنه يعلم هذا! كررت عليه إن رأيي تعيين قائد عام للقوات المسلحة، وإن الجيش بهذا الوضع يسبب خطورة على البلد، فأى واحد ممكن - إذا جرى لنا شئ - أن يطلع من الجيش ويأخذ البلد، ولا نعرف حقيقة هذا الشخص!"

وقال عبد الناصر: "وافق عبد الحكيم على تعيين قائد عام، وبالنسبة للجيش تنفيذ فكرتي الأولى، على أن ينفذ هذا الكلام في يوليو، وكنا في هذا الوقت في ديسمبر. ولكن ذلك أيضا لم يتم تنفيذه، وظل الوضع كما هو حتى حدث العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيه ١٩٦٧ ثم التتحي<sup>(٢)</sup>!"

#### ب- إخفاق مؤامرة عامر ضد عبد الناصر بعد عدوان ٥ يونيه:

بدأت المؤامرة بتحريك المشير ورجاله فور عدول عبد الناصر عن استقالته في ١٠ يونيه، فاتصلوا بأعضاء مجلس الأمة ووزعوا نسخا من استقالة عامر التي قدمها في ١٩٦٢! أصدر عبد الناصر قرارا بتعيين أمين هويدى<sup>(٣)</sup> وزيرا للحربية، وإشارة الى أنه قبل استقالة عامر وألغى منصبه كنائب للقائد الأعلى للقوات المسلحة، كما أصدر قرارا باعتقال دفعة شمس بدران سنة ١٩٤٨ ومجموعة المعاشات التي كانت تتصل بعامر؛ على أساس تأكده أن هناك تنظيما في الجيش.

تطورت الأمور بعد ذلك عندما بدأ أنصار المشير يتصلون بالأسلحة المختلفة في الجيش ويخطرونهم بأنهم يعملون تنظيما جديدا فيه؛ "وبهذا نقل الموضوع من الناحية المدنية الى الناحية العسكرية".

(١) خطاب استقالة عبد الحكيم عامر بخطه، في ١/١٢/١٩٦٢، ج ٥ من الكتاب ص ص ١٤٢ - ١٤٤.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ٢٧/٨/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٣) أمين هويدي، كان وزير دولة وعضو في الاتحاد الاشتراكي.

وقال عبد الناصر في جلسة مجلس الوزراء في ٢٧ أغسطس ١٩٦٧: "على هذا الأساس وصلت الى قرار أنني لا بد أن آخذ إجراء بصرف النظر عن النواحي الشخصية؛ لأن الأمور لا تحتل كل هذا!"

كانت قوه من القوات المسلحة ومن البوليس مجهزة بالقنابل المسيلة للدموع مستعدة، وتحركوا فحاصروا بيت عامر وتم القبض على الحرس الموجود حوله وأخذ السلاح منهم، ثم سلم الضباط أنفسهم. كل ذلك تحت تهديد السلاح بقيادة الفريق محمد فوزي، وتم تحديد إقامة عامر في منزلة بالجيزة، وتولت قوات من الجيش حراسته".

وفي اجتماع تالي لمجلس الوزراء في ٣ سبتمبر ١٩٦٧، تحدث عبد الناصر عن تفاصيل التحقيق في مؤامرة عامر لقلب نظام الحكم، فقال: "لقد أخذت قرار مواجهة عبد الحكيم عامر بعد أن بدأت الاتصالات بين العسكريين"<sup>(١)</sup>.

وكانت خطة عامر قائمة على أساس أن تتقدم كتائب الصاعقة الى القصاصين ثم الإسماعيلية؛ حيث يمنع أي تحركات داخلها أو خارجها، وأن عامر سيصل الى القصاصين ويتولى قيادة الجيش، وأن العملية ستجهز يوم ٢٦ أغسطس ليلا على أن تنفذ يوم ٢٧!

وقال عبد الناصر في مجلس الوزراء، ٣ سبتمبر ١٩٦٧: " إن خطة عامر قطعا كانت مبنية على مغامرة؛ إن عامر يقوم من إنشاء بحراسة مدرسة الصاعقة - حوالي ٤٠٠ ضابط - الى القيادة الشرقية في القصاصين، ويقولوا إن المشير عاد قائدا للقوات المسلحة، فيبدأ إعطاء أوامر ويسيطر، والجيش كله موجود هناك!" والخطة العسكرية التفصيلية بدأت من أول أغسطس، وقبل ذلك كان الكلام السياسي العام.

وقد تقرررت محاكمة الضباط المشتركين في المؤامرة مع عامر، وتنظيف كل الجيوب المرتبطة بها، وخاصة أن المخابرات العامة والمخابرات الحربية كانت في صف عامر! والعملية كلها في قيادة القوات المسلحة على أساس أنها مركز من مراكز السلطة، ومن يأخذ القوات المسلحة يكون أخذ البلد كلها!

(١) تفاصيل التحقيق مع خلایا تنظيم عامر فی الجيش الذی أشرف علیه زکریا محیی الدین، محضر اجتماع مجلس الوزراء،  
١٩٦٧/٩/٣.

وعندما صدر الأمر بالتحقيق فى القضية، انتقل الفريق أول محمد فوزى وعبد المنعم رياض ومعهم بعض القوات الى منزل عامر بالجيزة فى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧؛ فمضغ شيئا، فأخذه الى مستشفى المعادى، ثم الى استراحة فى الهرم وتوفى فى نفس اليوم على إثر تناوله جرعة أخرى من السم القاتل<sup>(١)</sup>!

وطبقا لشهادة وزير العدل عصام حسونة، أنه على الرغم من أن عبد الناصر قد طلب عدم تشريح الجثة - طبعا لأسباب عاطفية - فإنه قرر أنه كان من المستحيل تحقيق ذلك فى قضية تسمم بالذات!

وقال حسونة: إنه طبقا لتحليل المادة التى تناولها عامر، فإنهم فوجئوا أنه لم يحدث فى سجلات الطب الشرعى حتى ذلك الوقت استخدام لها، وأنه حفظت كمية منها<sup>(٢)</sup>.

وانتهت بذلك هذه القصة غير المتوقعة، فالبلد مهزوم واليهود على الضفة الشرقية للقناة، وجبهة داخلية تحتاج اهتماما ومتابعة، وجيش فقد أسلحته وعدد كبير من أفرادها بين قتيل وأسير، وعمل سياسى فى الأمم المتحدة فى مواجهة الدولتين الأعظم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وعالم عربى مفكك و ٣٠,٠٠٠ من القوات المصرية فى اليمن فى مواجهة مع السعودية، وأزمة اقتصادية بسبب توقف دخل قناة السويس وبتترول سيناء والسياحة؛ كل ذلك وعامر - القائد المهزوم - يصمم على العودة لقيادة الجيش، وإلا ينفذ انقلابا عسكريا على نظام الحكم!

وفى خضم هذه الأحداث، كان عبد الناصر يستعد لحضور مؤتمر القمة العربى بالخرطوم، ومحدد أن يسافر فى ٢٩ أغسطس؛ أى إن الخطة كان المفروض أن تنفذ قبلها بيومين! حقيقة لقد صدق عبد الناصر عندما قال: "لقد جاءت لى خبطتين.. الأولى سيناء واليهود، والثانية عبد الحكيم، وهذا يجعلنى أقول إن النظام خطأ"<sup>(٣)</sup>!

---

(١) تقرير الطب الشرعى عن انتحار عامر كما عرضه عصام حسونة وزير العدل، محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٩/١٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٧/٨/٣، مرجع سابق.



### ٣- كيف واجه عبد الناصر الاضطرابات الداخلية؟

اضطر عبد الناصر بعد رجوعه الى مكانه فى ١٠ يونيه أن يتخذ إجراءات اقتصادية، فأجرى تعديلات فى الميزانية بالتقشف؛ وذلك بإيقاف مشروعات الدولة الاستثمارية، وإلغاء التعيينات الجديدة للموظفين، وتأجيل المكافآت التشجيعية، وإيقاف إعانات المدارس الخاصة، وخفض جميع بدلات التمثيل، وفرض ضريبة جديدة للأمن القومى.

كما فرض زيادات فى أسعار بعض السلع والخدمات التى تقدمها الحكومة، وتم خفض حصة الفرد فى بطاقات التموين الشهرية.

#### أ- تحديات الصمود الاقتصادى:

وقد حدد عبد الناصر الخسارة الاقتصادية بعد العدوان بنحو ١٧٠ مليون جنيه؛ يدخل فيها عائد قناة السويس وأبار بترول سيناء بالإضافة الى خسائر شهرية عن السياحة.

وعلى الرغم من أن دول البترول تعهدت فى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم بالدعم الى أن تفتح قناة السويس، وفى نفس الوقت تحرروا من عملية وقف ضخ البترول وسحب الأرصدة الأجنبية، ولكن هذا الإنجاز العربى لم يمنع عبد الناصر من القلق من احتمال قطع هذا الدعم، وقال: "الثلاث دول الوحيدين الذين يقدرنا أن يضغظوا علينا فى العالم هم الكويت والسعودية وليبيا؛ الدول الرجعية الموجودة فى العالم العربى، وأعلم هذا كل العلم! ولكنهم فى رأى لن يقدرنا أن يوقفوا الدفع لعدة أسباب.. لأننا نقدر أيضا أن نتعبهم! ولكن هذا الاحتمال يقلق الإنسان دائما بالتفكير من الناحية الاقتصادية"<sup>(١)</sup>!

وحول احتمال أن يكون الاتحاد السوفيتى مستعدا أن يدفع لنا فى هذه الحالة، قال عبد الناصر: "الأ... لا أحد يدفع لأحد! هذا الموضوع يجب أن نضعه فى الحساب! ممكن بعد كل فترة نؤجل أقساط، لكن كونه يعطينى ١٠٠ مليون جنيه فى السنة، لماذا؟! لقد أعطونا كمية من الأسلحة مجانا بحوالى ١٠٠ - ١٥٠ مليون جنيه، وأعطونا طائرات وعددا كبيرا من الدبابات فى البداية مجانا، ثم أرسلوا كمية مري ومكرونة وزبدة! الصين أعطونا قرضا قدره ١٠ مليون جنيه ثم تراجعوا لما قوينا علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى! ولهذا عندما أتحدث عن اقتصاد حرب أضع كل هذه الاعتبارات فى الحساب"<sup>(٢)</sup>!

وهذا يعطى الانطباع، الى أى مدى كان عبد الناصر يتأثر بالحمل الثقيل على كتفيه بعد تحمله مسئولية إزالة آثار العدوان ومواجهته للمشاكل الاقتصادية، حتى بعد الدعم الذى قدمته دول البترول العربية لمصر.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١١/٥/١٩٦٧.

(٢) المرجع السابق.

ففى استعراضه للوضع الاقتصادى فى جلسة اللجنة التنفيذية العليا فى ١٠ يناير ١٩٦٨، قال عبد الناصر: "بعد سنة ١٩٦٠ كانت لدينا مشكلتين.. الأولى: أننا لم نكن نأخذ معونة أمريكية من ١٩٥٨ - ١٩٥٩؛ فلما وضعنا الخطة الاقتصادية لم نكن معتمدين فى تمويلها على هذه المعونة. ثانيا: زيادة مصروفات القوات المسلحة فى اليمن بمقدار ٦٠ مليون جنيه سنويا ابتداء من ١٩٦٤!"

وفى مجلس الوزراء كنت أقول: إن ما نحصل عليه من أمريكا، سيأتى يوما ولا يمكن الاستغناء عنها ونصبح ممسوكين من رقبتنا! وبالنسبة لليمن، كان عندى أمل إن مصروفات القوات المسلحة الخاصة به هى شئ مؤقت، ولم يكن لدى تفكير أننا سنستمر فى هذا إطلاقا حتى ١٩٦٧! وكان ذلك فيه شئ من المخاطرة بالنسبة للإنتاج!"

واعترف عبد الناصر، "إننى وقعت فى غلطة كبيرة؛ إنى اعتبرت الزيادة الكبيرة فى القوات المسلحة ستكون مؤقتة، وإنه يمكن أن نستمر فى الإنتاج بدون خطورة<sup>(١)</sup>. وفيما يتعلق بالتدخل فى اليمن، أنكر عبد الناصر كلام كمال الدين حسين؛ أنه كان معارضا، وقال: كمال الدين حسين وبغدادى كانوا موجودين فى مجلس الرئاسة، والكل وافق على الدخول فى اليمن، ولم يطلع صوت ضد عملية اليمن! ولكن دخلنا تحت الانطباع أننا سنرسل طائرة تسقط عدة قنابل فى اليمنيين، ونرسل حوالى ألف.. ألفين عسكرى! ثم شكل مجلس الدفاع القومى فى ١٩٦٢، وكان فيه زكريا وكمال وبغدادى؛ لإدارة القوات المسلحة وموضوع اليمن<sup>(٢)</sup>.

أما فيما يتعلق بالتسليح، فقال عبد الناصر: "كنت أعرف أنه قرض أستطيع أن أخفضه فى يوم من الأيام، وكان علينا ٤٠٠ مليون جنيه. ويوم ما ذهبت الى موسكو فى مايو ١٩٥٨، خفض الى ٢٠٠ مليون جنيه؛ أى نزلت قرض التسليح ٥٠٪!"

وأیضا فى ذلك الوقت، كانت هناك ظروف اجتماعية وأحيانا سياسية تملى علينا اعتبارات معينة بغض النظر عن النواحي الاقتصادية؛ مثل تخفيض ساعات العمل وزيادة الأجور، ومثل تخفيض الإيجارات والضرائب على المساكن، والإجراءات التى اتخذت بعد ١٩٦١ مثل إلغاء الفوائد على المزارعين والتوسع السريع فى القروض.. الخ.

(١) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٠/١/١٩٦٨.

(٢) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٨/١/٢٣.

فحن لم تكن عاملين حسابنا في الخطة الأولى أن الميزانية ستزداد؛ فكانت الزيادة المتوقعة ٥ أو ٦٪، ولكن حدثت زيادة في أشياء ١٠٠ و ٢٠٠٪؛ إذ العجز في الميزانية النقدية ليس نتيجة ٥ يونيه، ولكنه كان مستمرا من قبل ١٩٥٨<sup>(١)</sup>.

وفى الواقع من الناحية الاقتصادية كانت هناك فى هذه الفترة عدة مشاكل؛ النقص فى العملة الصعبة، عدم توازن ميزان المدفوعات، زيادة الإنفاق العام، تضخم الأجور وزيادتها سنة بعد سنة، تقليل الاستثمارات؛ فقد كان النمو السنوى ٦,٥٪ ثم وصل الى ١,٥٪! وهذا لا يمكن الاستمرار فيه فلا بد أن يكون على الأقل ٦٪ حتى يتيسر أن يعين الخريجين كل سنة".

ولهذا رأى عبد الناصر أنه قد يضطر لاتخاذ إجراءات حاسمة بالنسبة للنواحي الاقتصادية؛ فقد كانت مرحلة صعبة. وفعلا لقد فرضت ضرائب بمبلغ ٢٥٠ مليون جنيه، وميزانية الجيش وصلت الى ٣٠٠ مليون جنيه، وتم شراء سلاح بمبلغ ٥٠٠ مليون جنيه<sup>(٢)</sup>.

وكانت خطة عبد الناصر الاقتصادية لمواجهة كل هذا؛ عدم التوسع فى الخدمات، تقييد الإنفاق لأقصى ما يمكن (العلاوات)، المضى فى التنمية فى الصناعة والزراعة، التركيز على الأرض التى استصلحت. أما بالنسبة للتعيينات فقد رأى أنه لا بد من استمرارها، وإلا الناس تفقد الأمل.

والخلاصة أنه كان لا يمكن وقف التنمية وإلا لا يمكن تشغيل الناس، ومعناه أن الاقتصاد يتدهور!

وهنا طالب عبد الناصر على الأقل الزيادة فى الدخل القومى بنسبة ٥٪؛ حتى يتوازن مع الزيادة فى السكان، كما كان لا بد من زيادة التصدير<sup>(٣)</sup>، وزيادة الاحتياطي من العملة الصعبة؛ لأنه كما سبق وحذر، من المنتظر فى يوم من الأيام أن تضغط أمريكا على الكويت والسعودية وليبيا أن يقطعوا الدعم عن مصر.

ثم قال: "نريد أن نسير على قدر مواردنا؛ إذا سأخذ إجراءات؛ وهنا مشكله كبيرة! ما هذه الإجراءات؟ علما بأن الإجراءات التى أخذناها مسبقا مست الموظفين؛ رفع ضرائب.. الخ، ورفعت الأسعار ثلاث مرات! فيه فى البلد حالة نفسية تعبانة جدا؛ فرضنا وقبلوا، هل بعد ذلك نقدر نقنعهم بماذا أيضا؟! لا نستطيع أن نأخذ إجراءات بالنسبة للزيت والسكر"<sup>(٤)</sup>!

(١) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٨/١/١٠، مرجع سابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٤/٦.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ٧/٤/١٩٦٨.

(٤) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ٢١/١/١٩٦٨.

وفى الواقع كان عبد الناصر فى موقف صعب للغاية منذ عدوان ٥ يونيه؛ وأكثر ما يعبر عن ذلك ما قاله فى جلسة اللجنة التنفيذية العليا، فى ٢٣ يناير ١٩٦٨: "الواحد شايف اليهود على شرق القناة، والحالة الاقتصادية سيئة، والمصانع واقفة والإنتاجية منخفضة؛ أصبح الواحد فى حالة قرف عام.. آخرته إيه" (١)!

### ب- إضرابات العمال بعد ٤ أشهر من العدوان:

كان من الطبيعى والمتوقع أن يحدث رد فعل لهذه الإجراءات الاقتصادية التى اتخذت، وكان رأى عبد الناصر "أنه من الواجب فى هذه المرحلة ألا ندوس أبدا على الناس.. يعنى نريح الناس، لماذا؟ لأن جميع الجهود مركزة فى البلد ضد النظام.. جهود ودعايات عنيفة؛ فهذا ليس الوقت للضغط على الناس" (٢).

وفعلا قبل مضى شهر لاحظ عبد الناصر أن هناك عدم استقرار بالنسبة للعمال فى أماكن كثيرة فى القاهرة والإسكندرية؛ فاهتم بها وأعرب عن قلقه، وأخطر مجلس الوزراء فى ١٥ أكتوبر ١٩٦٧ ما يلى: "نحن عملنا سياسى واقتصادى، ولكن من الناحية السياسية فيه قطاعات من الجماهير معنا وفيه قطاعات ضدنا، والمفروض ١٠٠٪ أن قطاع العمال معنا. إذا كان هذا القطاع الجمعة الماضية حدثت فيه إضرابات وامتناع عن تسلم الأجور، فهل معنى هذا أن قطاع العمال أصبح ضدنا"؟!

وواجه عبد الناصر الوزراء قائلا: "إننى أعتبر الوزراء مسئولين مسئولية مباشرة عن هذا الموضوع؛ لأنهم تسببوا بتصرفاتهم فى هذه الحالة! فيه قرارات صدرت.. ساعات العمل ٨ ساعات، واتلغت فأصبحت ٧ ساعات، وفيه قرارات أصبحت ٨ ساعات واتخفضت أجور العمال! يعنى منتهى الفوضى"!

واستطرد عبد الناصر، "هل نحن نعمل مع إسرائيل؟! إذا كان العمال ينقلبوا ضدنا؛ هذا معناه أننا نمهد لإسرائيل وأمريكا للعمل الذى يريدوه فى الداخل؛ لأن فلت منا العمال كيف نمسكهم؟!"

إننى أعمل على أساس إن قطاع العمال معنا ١٠٠٪ وقطاع الفلاحين، أما قطاع الرجعيين فلا فائدة فيه مطلقا ولن تكون فيه فائدة!

(١) محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٨/١/٢٣، مرجع سابق.

(٢) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٩/١٧، مرجع سابق.

إذا كان اليوم العمال يضربون، ثم تنتشر عدوى الإضراب فى البلد! إذا ما هو السبب؟ إن السبب ليس العمال وإنما الوزارات، والوزراء شخصيا مسئولين عن هذه المواضيع!... هل لما عمال ممتنعين عن أخذ أجورهم حتى اليوم .. هل هذا فى صالح النظام؟! الملاحظ أننا السبب فى هذه العملية وليس العمال<sup>(١)</sup>!

وقال عبد الناصر: "إن الإخوان المسلمين والشيوعيين حاولوا يعملوا اضرابات فى مصر ولم يقدروا، ونحن نجحنا اليوم فى التسبب فى اضرابات فى هذه المرحلة! لصالح من هذا؟! إننى أعتبر عملية بهذا الشكل تخريبية؛ علما بأن أعداءنا حاولوا بكل الوسائل أن يشتغلوا وسط العمال ولم ينجحوا أبدا!

قطعا فيه عناصر ممكن أن تتصيد هذا الموضوع، ويسمونهم فى كل مصنع المحرضين، ونحن نعطى لهم كل الأسباب لكى يكتلوا العمال، وأخذوهم منا! عملية الإضراب، ما هى خطورتها؟ إنها تنتقل من مصنع الى مصنع، ثم نجد أنفسنا داخلين فى مشاكل فى البلد!

الوزراء مسئولون عن هذه المواضيع، وغدا تحل هذه المشاكل فى المصانع، ورئيس مجلس الإدارة الذى ستحدث عنده مشكلة سأضعه فى السجن! سأعتبره مخربا وسأضعه فى السجن! وإذا تسببنا فى مشكلات فنتحمل مسئوليتها... وحتى اليوم كنت أنظر فى آخر تحريات عن الموضوع، حتى المحرضين لا أرى إن فيه داعى أن أجازيهم؛ لأن نحن السبب وليس هم<sup>(٢)</sup>.

### ج- مظاهرات العمال والطلبة فى فبراير ١٩٦٨:

على الرغم من تدفق الجماهير العربية فى ٩ و ١٠ يونيه رافضين استقالة عبد الناصر، ومجمعين على النضال من أجل إزالة آثار العدوان، فإنه كسياسى محنك فاهم لطبيعة الأمور، قدر أن هذا الحماس الجماهيرى سيفتر مع الوقت، وتبدأ المطالبة بالعمل العسكرى لاستعادة الأرض، ويظهر التملل من التضحيات الاقتصادية التى فرضت على الشعب لمواجهة النقص فى الدخل القومى، بعد فقدان عائد قناة السويس وبتترول سيناء والسياحة.

---

(١) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٥/١٠/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

وكان كسب الجبهة الداخلية منذ أول لحظة هو الهدف أمام عبد الناصر الذى لا يقل أهمية عن إعادة بناء الجيش؛ فتأييد الشعب ومساندته له كان هو الركيزة التى اعتمد عليها فى علاقته بالاتحاد السوفيتى المصدر الأول للسلاح والتدريب، وفى كسب تأييد العالم العربى والرأى العام العالمى.

إلا أنه فى ٢٠ فبراير ١٩٦٨، صدرت أحكام المحكمة العسكرية العليا فى قضية المسئولين عما حدث للطيران يوم ٥ يونيه ١٩٦٧، برئاسة الفريق صلاح الدين الحيدى كالآتى:

السجن ١٥ سنة على الفريق أول طيار متقاعد محمد صدقى محمود، قائد القوات الجوية الأسبق، والسجن ١٠ سنوات على اللواء طيار متقاعد إسماعيل لبيب، والذى كان رئيساً لشعبة الدفاع الجوى، وبراءة كل من فريق أول طيار متقاعد جمال عفيفى، رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى سابقاً، واللواء طيار متقاعد عبد الحميد الدغيدى، قائد الطيران السابق فى المنطقة الشرقية. واتخذ قراراً بأن ترفع الأحكام الى الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية وصاحب أمر تشكيل المحكمة؛ للتصديق عليها قبل أن تصبح نهائية.

وكانت النيابة العسكرية قد قدمت المتهمين فى قضية الطيران الى المحاكمة بتهمة الإهمال، التى طبقاً لقانون الأحكام العسكرية تتدرج من الغرامة حتى الأشغال الشاقة المؤبدة، ولم يتبين للنياية والمحكمة أن هناك دليلاً على وجود خيانة أو تواطؤ أو تعمد، فيما وقع من المتهمين من إهمال أدى الى الضرر الجسيم الذى وقع يوم ٥ يونيه.

وقد رأت المحكمة، أن إهمال قائد القوات الجوية السابق يعتبر من صور الإهمال الجسيم؛ فحكمت عليه بأقصى العقوبة وهى السجن ١٥ عاماً<sup>(١)</sup>.

وهنا أبدى عبد الناصر ملاحظة؛ أن تقريباً كل ضباط الطيران شهدوا مع صدقى محمود، حتى مذكور أبو العز<sup>(٢)</sup> مما أدهشه<sup>(٣)</sup>!

وكان سير الأحداث كالآتى: فى صباح اليوم التالى لصدور أحكام الطيران - ٢١ فبراير - خرجت مظاهرة من مصنع حلوان الى الشارع فى طريقهم الى المحطة، واشتبكوا مع البوليس بخراطيم المياه والضرب بالطوب وبعض الرش.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٢/٢٥.

(٢) الفريق مذكور أبو العز، تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٩، تولى رئاسة كلية الطيران من ١٩٥٤ الى ١٩٦١، عين رئيس أركان القوات الجوية والدفاع الجوى عام ١٩٦٢ حيث منح رتبة الفريق طيار، تولى محافظا لأسوان عام ١٩٦٤، أصبح قائدا للقوات الجوية والدفاع الجوى فى ١١ يونيه ١٩٦٧.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٢/٢٥، مرجع سابق.

وبعد نصف ساعة، دخل مصنع آخر فى العملية، والساعة ١١ نحو ٤٠٪ من العمال بحلولوا اشتروا فى التظاهر. وكانت هتافاتهم أساسا متعلقة بالأحكام؛ إنها ضعيفة ويجب أن تكون أشد.

وفى هذا اليوم الذى وافق الاحتفال بيوم الطالب العالمى، الساعة الخامسة بعد الظهر، خرج ٢٠ - ٣٠ طالبا من كلية الهندسة متجهين الى مبنى جامعة القاهرة؛ يريدون أن يفعلوا مثل العمال؛ فتجولوا فى الجامعة، وفى مدرج فى كلية الآداب تجمع ١٠٠ - ١٥٠ طالبا، وبدأوا يتحدثون عن القضية والحكم وضرورة التضامن مع عمال حلوان. كونوا مجموعة من ١٤ طالبا، واتجهوا الى حرم جامعة القاهرة، وقالوا: إنهم سيعتصمون لأن لهم مطالب: أن يقابلوا الرئيس ليعرضوا عليه الأمر، وتوقف الاعتصام.

فى اليوم التالى بعد الحديث مع مدير ووكيل جامعة القاهرة، ثم لبيب شقير وزير التعليم العالى من الساعة الثانية الى الخامسة، أعطوه ورقة فيها آراءهم ومطالبهم: أن حكم المحكمة لا يعبر عن المسئولية التى يتحملها قادة الطيران ويرجون التوضيح، التحقيق حول الاشتباكات التى حدثت فى حلوان، تقوية البناء السياسى، حل مجلس الأمة لأنه لا يعبر عن شئ، حرية الصحافة.

إنصرف الطلبة بعد أن قدموا طلباتهم الى وزير التعليم العالى، على أن يجتمعوا يوم ٢٤ فبراير ١٩٦٨. وكان الملاحظ أن هؤلاء الطلبة من الإخوان المسلمين أساسا وألوان عقيدية أخرى. فى اليوم المحدد - ٢٤ فبراير - حوالى سعت ١٠ صباحا تحركت مجموعة من الطلبة من كلية الآداب جامعة القاهرة، والنقوا مع طلبة من كلية الحقوق، ومنها خرجوا يطوفون على كليات أخرى. تجمع بهذه الصورة فى جامعة القاهرة ما يقرب من ٢٥٠ طالبا، ذهبوا الى كلية الهندسة ثم كلية الفنون التطبيقية، وأصبحوا ٥٠٠ طالبا عندما وصلوا الى كوبرى الجامعة. ساروا على الكوبرى وكان البوليس يحميهم، وبدأت الأعداد تتزايد بعد مرورهم على قصر العينى.

اتجهت المظاهرة بعد ذلك الى مجلس الأمة واستمرت الهتافات؛ فخرج لهم أنور السادات - رئيس المجلس - ثم دخلت اليه مجموعة منهم ليتناقشوا معه طويلا. انقسمت مجموعة منهم واتجهت من شارع قصر العيني الى ميدان التحرير، وهناك بدأوا يتشعبون نحو باب اللوق، ثم اتجهت مجموعة الى شارع رمسيس وجريدة الأهرام، وحاولوا أن يتقدموا الى شارع شريف. وبدأ تركيب المظاهرة يتغير من طلاب فقط، حيث انضم اليهم ناس من الشارع.

ويلاحظ أن الهتافات كان واضحا فيها تأثير للإخوان المسلمين بالإضافة الى هتافات أخرى؛ أى أن قضية الطيران بدأت كمدخل ثم نفذوا منها لأشياء أخرى عديدة! وفى جامعة عين شمس فى نفس اليوم، حدث اجتماع فى كلية الهندسة، بدأ بادعاء أن زملاء لهم قد اعتقلوا، وخطب وكلام! وكان التركيز أيضا على قضية الطيران ثم ينفذون الى مواضيع أخرى! عن حرية الصحافة، دولة المخابرات، مجلس الأمة لا يمثل شيئا ولا بد من حله، تقوية التنظيم السياسى، حل الاتحاد الاشتراكى.

وكان تجمع الطلبة فى جامعة عين شمس بناء على اتفاق فى صلاة الجمعة عند الشيخ كشك<sup>(١)</sup> فى اليوم السابق، ولوحظ انضمام موظفين متدينين من خارج جامعة عين شمس اليهم. جامعة الإسكندرية، حدثت فيها أيضا يوم ٢٤ فبراير أحداث بدأت بخروج طلبة كلية الزراعة وتجمعهم، وساروا فى مظاهرة وصلت حتى مبنى الاتحاد الاشتراكى. ألقو خطبا وسلموا مقترحاتهم بالنسبة لقضية الطيران، إلا أنهم أكدوا ثقتهم فى القيادة السياسية. عن أحداث يوم ٢٥ فبراير، بدأت بخروج طلبة سوريين من كليات بجامعة القاهرة بعدد بسيط، ثم بدأوا يحومون فى داخل الحرم الجامعى ويثيرون زملائهم؛ فبدأ العدد يزيد حتى وصل نحو ٣٥٠ طالبا. خرجوا من الجامعة ووصلوا الى كوبرى الجامعة، ولما حاول البوليس يفرقهم رجعوا مرة أخرى الى الحرم الجامعى. نزلت مظاهرتهم حتى وصلت الى قصر العيني ثم تم تشتيتها بواسطة البوليس.

طلبة هندسة القاهرة اعتصموا داخل الكلية، وطبعوا قرارات وزعوها فى الأتوبيسات، وهى نفس المطالب؛ مبتدئة بقضية الطيران ومرتجة الى المسائل السياسية الأخرى. بالنسبة لجامعة عين شمس، التركيز فى كلية الهندسة، خرجت منها مجموعة وتم تشتيتها، وباقى الطلبة تجمعوا داخل الحرم الجامعى ثم انصرفوا. باقى طلبة كلية عين شمس.. لاشئ، وكذلك جامعنى الإسكندرية وأسيوط<sup>(٢)</sup>.

ماذا كان تصرف عبد الناصر فى مواجهة هذه الأحداث؟



(١) عبد الحميد كشك، داعية إسلامي ينتمي الى الجماعات الإسلامية، أعتقل عام ١٩٦٥ وظل في المعتقل لمدة سنتين ونصف السنة، وأعتقل مرة ثانية في عام ١٩٦٨ إلا أنه أفرج عنه بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، وظل يمارس الخطابة الى أن اصطدم بالسلطة وتم إلقاء القبض عليه في عام ١٩٨١.

(٢) تفاصيل المظاهرات والاعتصامات من ٢١ فبراير حتى ٢٥ فبراير، محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٢/٢٥، مرجع سابق.

قال عبد الناصر في جلسة مجلس الوزراء في ٢٥ فبراير ١٩٦٨: "أمس قلت لشعراوى<sup>(١)</sup>: أن يترك الناس فقد يكون الهدف إنك تموت أحدا، وألا نتعرض للمظاهرات مهما عملوا.. إنشاء لله خربوا، إلا بأمر مني شخصيا؛ حتى نزلوا الى وسط البلد في شارع شريف، وذهبوا حتى عمارة الإيموبيليا ثم الأهرام، وبدأ الوضع يبان إنه سيفلت. وهنا قلت لشعراوى: إعطى انذارا؛ نبه عليهم أن المظاهرات انتهت وينتفروا، وبعد نصف ساعة إذا لم ينتفروا استخدم القوة؛ وهى هنا العصى والقنابل المسيلة للدموع.

وبدأت الهتافات تختلف عن الصبح، وكنت حريصا أن أعرف طوال الوقت ما هى الهتافات؛ لأنها تدل على سير العملية. وقلت لشعراوى: المتظاهرون بعد التنبيه عليهم يتمسكوا.

اتمسك عدد من القادة ليلة أمس [٢/٢٤]، وصدر البيان بأن لا يسمح بأى تظاهر مهما كان، ولكن أيضا مع عدم ضرب نار. وقد رُنيق البوليس عند الكوبرى [الجامعة]، والأولاد يمكن تغلبوا عليهم هناك؛ لأن لم يكن معهم بنادق. وظلت العملية تتصاعد من الصبح حتى العصر، وحرقوا لورى للبوليس!

لوحظ بعد الظهر أن الناس انضمت للمتظاهرين، بالذات فى حى المنيرة، وكان العدد كبيرا فى شارع قصر العينى، ثم نزلوا على جاردن سيتى".

وأضاف عبد الناصر، "لقد كنت أتتبع ليس من شعراوى، ولكن من إشارات بوليس النجدة؛ فلم يعد الموضوع طلبية"<sup>(٢)</sup>.

وقد علق شعراوى جمعة، أن عدد المصابين من البوليس ٣ أضعاف المجروحين من الطلبة؛ فأول مرة كان ٢١ طالبا فى المستشفيات، ١٥ عاملا وموظف كانوا موجودين وسط المظاهرات، فى مقابل ٦٧ من رجال البوليس<sup>(٣)</sup>.

واستطرد عبد الناصر: "بالرغم من أن صدقى محمود سبب لى مشاكل فى العشر سنين الماضية، وكل الأزمات التى بينى وبين عامر كان هو أساسها، ومن ١٩٥٦ كان موضوع ملاجئ الطائرات إتكلما فيه، وقال : إنها لا تتفع! فالمتظاهرون يطالبون أن أرسله لحسين الشافعى<sup>(٤)</sup>، الذى

لن يفعل إلا الإعدام! فقلت: إننى كمسئول - رغم شعورى بالنسبة لصدقى محمود ومتابعتى للقضية وأريد أن أقطم رقبتة - لا أستطيع أبدا!...

(١) شعراوى جمعة، وزير الداخلية.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٢/٢٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) حسين الشافعى، تولى محكمة الثورة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٧، التى نظرت فى قضية محاولة الاستيلاء على القيادة العليا للقوات المسلحة، وقضية الانحرافات فى جهاز المخابرات العامة.

الناس تريد التغيير، ولا أسمع ذلك لأول مرة، ما هو التغيير؟ الناس زهقانة من الحكومة فيقال التغيير! وناس تقول: لم يحدث تغيير من ٩ و ١٠ يونيه حتى الآن!... كنت منتظر أسوأ مما حدث أمس! فيه تيارات، ورأى إن الناس تختلف فى أفكارها. البلد مطعونة والناس كلها مكبوتة، واليهود محتلين جزء من بلدنا، ونريد أن نحارب! إن القضية وما حدث فيها هز الثقة فى الكل. ما نشر فى محكمة الثورة وعن المخابرات العامة<sup>(١)</sup>، جعل الناس مذهولة! إذاً فيه حالة نفسية موجودة فى البلد، وقلت يوم عيد العمال: عندنا العمال والطلبة سهل جدا العمل فى مجموعاتهم!"

وذكر عبد الناصر أنه تكلم فى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧ عن إطلاق الحريات، وعن حالة اللاسلم واللاحرب، وأن ما يؤخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وعن أن العمل السلمى من أعمال القوة والعلاقات العربية وغيرها. ولكن الكلام.. لم يحدث تغيير! وشرح عبد الناصر، "لابد أن أكون بطئ الحركة؛ لأن ما يدبر لنا أنه إذا كنا لم نُضرب عسكريا، لابد أن نضرب داخليا!"

ما هو المطلوب من التغيير؟! لا يجب الاندفاع أمام الكلام فى البلد، وهو تعبير عن أزمة نفسية.. كيف نعالجها!؟

التنظيم السياسى نفسه فيه الشيوعى والإخوان المسلمين! ومن قاموا بالعملية فى كلية الهندسة من منظمة الشباب! كذلك هناك من فصلوا من منظمة الشباب وحاول القوميون العرب تجنيدهم! وما يعبر عن مشاعر عبد الناصر فى هذه الأزمة الداخلية، قوله منتقدا: "إن أسلوبنا غريب! فلسنا ديمقراطية غربية ولا دكتاتورية تمسك البلد مضبوط! وثبت أن الاتحاد الاشتراكى ومنظمات الشباب ليس لها الفاعلية!"

إننى محتار ولا أريد التسرع! لقد كان لابد أن نعتقل أمس ونأخذ إجراءات أخرى اليوم. ورأى أن جميع القوى المضادة اليوم تحاول التصاعد فى الجامعات والمعاهد وثانوى. ماذا فعل الأمريكان فى إندونيسيا؟ اشتغلوا بالطلبة، ونحن لدينا الطلبة والعمال الممكن أن يشتغلوا فيهم..

---

(١) فى ٤ سبتمبر ١٩٦٧، أصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا بفتح تحقيقات فى إدارة المخابرات العامة، أظهرت أن جهاز المخابرات قد خرج فى بعض الظروف عن حدود مهمته الأصلية، وقد تقرر إحالة صلاح نصر مديره الى المعاش، وتم تطهير الجهاز بأكمله.

العمال: العيشة مرة، بعد ما وقفت العلاوات والأرباح!  
الطلبة: حرية وديمقراطية بعد القضية، وحرية صحافة!...  
ما الحل؟ غير قادر أن أرسى!"  
وشرح عبد الناصر، "نقطة البداية، فيه خلل فى التنظيم السياسى، والناس تشعر أنه لا توجد قيادة تلم العملية!"

النقطة الثانية: ما هو التغيير؟ الهتاف.. `عايزين حكومة حرة العيشة بقت مرة! هذا يعطى معانى كثيرة، المطلوب من الناس هو الجزء الثانى وليس الأول!"  
وكعادته، فتح عبد الناصر النقاش فى مجلس الوزراء فى ٢٥ فبراير ١٩٦٨، حول ما حدث؛ فكان رأى الفريق محمد فوزى أن المظاهرات لو تصاعدت ستكون فى غير الصالح العام؛ وعلى ذلك اقترح تحويل قضية الطيران على نفس المستوى العسكرى تجاوبا مع الاتجاهات الشعبية؛ أى محكمة عسكرية أخرى.

وهنا قال عبد الناصر: "افرض إن المحكمة الأخرى حكمت بالبراءة، والشهود لن يتغيروا!"  
أجاب الفريق محمد فوزى، "إنجلترا كانت ديمقراطية وتشرشل أصبح ديكتاتوراً وقت الحرب؛ فلا بد من السيطرة والأمن الكامل طول ما نحن فى المعركة... القوات المسلحة نفسها مقتنعة أن الحكم فى قضية الطيران ضعيف، وهى معتادة على التحويل، على أن تكون المحاكمة الجديدة علنية".

استمرت المناقشة بين مؤيد ومعارض، فتحدث عبد الناصر عن الاجتماع الذى حضره فى قيادة الجيش يوم ٢ يونيه ١٩٦٧، عندما قال: "إن هجوم اليهود سيكون يوم الإثنين ٥ يونيه، وسيبدأون بضرب الطيران!"

ولما تكلمت لماذا ارتعشت أيدى صدقى محمود؟ ثم يوم ٥ صباحا: ممنوع ضرب المدافع كلها؛ لأن طائرات زاهبة الى سيناء! ولما سمعت الضرب طلبت غرفة العمليات.. لا أحد منهم هناك!"

رد أحد الحضور فى جلسة مجلس الوزراء هذه.. "والحفلة ياريس فى إنشاص"<sup>(١)</sup>!

---

(١) أقيمت حفلة فى القاعدة الجوية بإنشاص ليلة ٥ يونيه ١٩٦٧!

وهنا رد عصام حسونة وزير العدل، "الناس تريد إعدام! أقصى شئ السجن المؤبد، فلا يوجد أشغال شاقة فى هذه السن؛ أى ٢٠ سنة، فيزيد عن الحكم الحالى ٥ سنوات، هل الناس ستقبله؟!" وعندما عرف عبد الناصر من أمين هويدى، أن الجامعة انضم اليها بعض المعاهد والمدارس الثانوية، أمر بتعطيل الجامعات من اليوم التالى، وهذا من سلطة مدير الجامعة، ولا يقال السبب حتى يبحث الموقف، ولا تستأنف الدراسة إلا بعد تنظيم الوضع. أما إذا خرجت المدارس الثانوية، فيضرب الطلبة ويقبض عليهم ويحولوا الى النيابة، وأضاف عبد الناصر، "لا بد من مسك البلد بشدة لمواجهة محاولات التخريب!"

وأعطى عبد الناصر الأوامر أن يعلن الفريق محمد فوزى: أنه لم يصدق بعد على الحكم، وأنه قرر إعادة المحاكمة باعتباره الأمر، ويعطى تصريحاً أن صدقى محمود مسئول شخصياً. وبالنسبة للقضية كلها وليس لصدقى محمود فقط، قال عبد الناصر: "لو كانت البلد تحاكم على معركة، كانوا حاكموا روميل ٥ مرات لأنه جرى"<sup>(١)</sup>!

وقال الفريق فوزى: "إن هذه أول قضية من نوعها تقابلها القوات المسلحة المصرية، وبالنسبة لجميع دول العالم، فإنها لا تحاكم قادتها العسكريين على أخطائهم المتعلقة بأعمالهم فى مناصبهم، بل كل ما تفعله هو عزلهم؛ كما تم عزل القائد الأمريكى الذى خسر معركة بيرل هاربور. ولذلك لم تر المحكمة صواب الحكم بالأشغال الشاقة على قائد كبير على أخطائه ولو إنها جسيمة، إلا أنها لا ترقى الى درجة الخيانة أو الفرار أمام العدو أو ارتكاب العار!"

واستطرد الفريق فوزى، "إن صدقى محمود قال أمام المحكمة: إنه واخذ إمضاء بتصديق من قائده، وهذا أعطى له الحماية الشكلية، كما أعطى تبريراً لأخطائه وذريعة للتصل منها وحجة للتخفيف من مسئوليته"<sup>(٢)</sup>.

وبعد هذا التوضيح، أمر عبد الناصر شعراوى جمعة بإصدار بيان من وزير الداخلية جاء فيه..

"تعلن وزارة الداخلية أنه لن يسمح من اليوم بقيام أية مظاهرات مهما كان سببها.

---

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٢/٢٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

ولقد عبر شباب الجامعات يوم أمس عن آرائهم فى الأحكام الصادرة فى قضية الطيران بكل وسائل التعبير التى أرادوها، وكانت التعليمات الى قوات الأمن أن لا تعترض طريق مظاهرات الطلبة، وأن تترك لها حرية السير من دون تدخل.

وقد تم إخطار قوات الأمن للتدخل فى الساعة الخامسة مساءً؛ لفض بقايا التجمعات التى اندست فيها بعض العناصر غير الطلابية. ولم تتدخل قوات الأمن إلا بعد توجيه النصح بكل الوسائل، وكان تدخلها بعد ذلك فى أضيق نطاق بحيث لم تنجم عنه أية حوادث.

ولما كان الغرض الذى أراده الشباب بتعبيرهم عن رأيهم قد تحقق تماما، ولما كان استمرار المظاهرات من شأنه خلق احتمال استغلالها ضد صالح الوطن وجماهير قواته العاملة؛ فإن وزارة الداخلية تلفت النظر الى أن قرار منع المظاهرات سوف يطبق من اليوم بطريقة حاسمة، كما أن أية محاولة للخروج عليه تعتبر إساءة الى النضال القومى، فى وقت تتعرض فيه الأمة العربية لمؤامرة واسعة النطاق من قوى الاستعمار ومن إسرائيل.

وسوف تقابل أية محاولة للخروج عليه بالشدة التى تستلزمها مسئولية وأمانة المرحلة الحاضرة من العمل القومى".

#### د- مطلب التغيير ومداه:

##### (١) التعديل الوزارى ومغزاه:

فى ٢٠ مارس ١٩٦٨، بدأ عبد الناصر عملية التغيير الداخلى بتعديل وزارى، دخل على إثره وزراء جدد هم: محمد أبو نصير.. للعدل، محمد حلمى مراد.. للتربية والتعليم، محمد عبد الله مرزيان.. للتموين والتجارة الداخلية، إبراهيم زكى قناوى.. للرى، على زين العابدين صالح.. للنقل، أحمد مصطفى أحمد.. للبحث العلمى، السيد جاب الله السيد.. للتخطيط، حسن حسن مصطفى..

للإسكان والمرافق، محمد بكر أحمد.. لاستصلاح الأراضي، عبد العزيز محمد حجازي.. للخزانة، محمد حافظ غانم.. للسياحة، محمد صفى الدين أبو العز.. للشباب، ضياء الدين داود.. للشئون الاجتماعية وللدولة لشئون مجلس الأمة، عبد العزيز كامل.. نائبا لوزير الأوقاف.

ومنذ البداية كان عبد الناصر واضحا مع هؤلاء الوزراء؛ فقال لهم فى جلسة مجلس الوزراء فى ٢٠ مارس ١٩٦٨: التمثيل هنا ليس فنيا وإنما هم يمثلون الشعب؛ فهو تمثيل سياسى، ويكون العمل السياسى هو الأول وليس الناحية الفنية، وخاصة أن كلهم لهم خبرة فى الأعمال العامة. وأوضح عبد الناصر لهم أن التعديل الوزارى ليس عملية قائمة بذاتها، ولكنها جزء من عملية أكبر؛ التغيير. فالمرحلة كانت تستدعى إعطاء الأمل للمستقبل لكل الناس، ودفعة جديدة لكل فرع من فروع الدولة، وحشد كل الطاقات للمعركة القادمة، وهى مهمة صعبة<sup>(١)</sup>.

وعرض عبد الناصر شكاوى الناس؛ فبعد أن تقابل مع مسئولين ورأى مئات الجوابات عن التغيير، وجد أنه فى كل محافظة يريدون تغيير المحافظ ومجلس المحافظة والاتحاد الاشتراكى، كذلك عمال كل مؤسسة يريدون تغيير الإدارة، والكل يريد تغيير الوزارة!

## (٢) التناقض حول مزيد من الحرية والديمقراطية:

أثار عبد الناصر موضوع الناحية النفسية التى يجب أن توضع فى الاعتبار بالنسبة للجبهة الداخلية؛ فأعداء النظام بعد أن فشلوا فى إسقاطه بالعمل العسكرى ثم بالضغط الاقتصادى، ويحاولون بلا جدوى أن يقبل التفاوض المباشر مع اسرائيل، فواضح أنه ليس أمامهم إلا العمل فى الجبهة الداخلية؛ بحيث إذا اهتزت فقد يؤدى ذلك الى إسقاط النظام!

ونبه عبد الناصر أمام الوزراء الجدد، "أن هذه مرحلة صعبة، وقد نضطر أن نأخذ إجراءات حاسمة بالنسبة لموضوع الحرب أو السلام.. الحل السياسى أو الحرب، وإجراءات بالنسبة للنواحى الاقتصادية والداخلية". وشدد، "أن أى عمل تقوم به الثورة المضادة لايد أن نواجهه بقوة ونوقفه عند حده من البداية، وإلا تتصاعد الأمور، وقد تفلت"<sup>(٢)</sup>.

وقاد الحديث حول الحرية، الى بحث حق الدولة فى الاعتقال والوضع تحت الحراسة والمحاكمة أمام محاكم خاصة. وتحدث عبد الناصر فى جلسة مجلس الوزراء فى ٢٤ مارس ١٩٦٨ قائلا: "أنا اشتغلت فى السياسة من ١٩٣٤، وهذه البلد حكمت طول عمرها بالأحكام العرفية، واتحبت سنة ١٩٣٤ وبعدها مرات أخرى. وكانت هذه الأحكام موجودة أيام توفيق نسيم وعبد الفتاح يحيى ومصطفى النحاس وحسين سرى وفى ٢٦ يناير والثورة.

فى سنة ١٩٥٦، صدر قرار من مجلس قيادة الثورة؛ أن كل من اعتقلوا من ٢٣ يوليو الى ١٩٥٦ - تاريخ الاستفتاء على الدستور - يحق اعتقالهم بقرار من وزير الداخلية، وقلنا نرفع الأحكام العرفية لأول مرة، وبدلا من أن نطبقها على كل الشعب، نقتصر على مجموعة؛ وهى الشيوعيين والإخوان المسلمين الذى تصدوا للثورة فى الفترة ١٩٥٢ - ١٩٥٦؛ وكان ذلك رادعا أكثر من أن يطبق، ولم يطبق!

---

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٠.

(٢) المرجع السابق.

فى سنة ١٩٥٦ لما قام العدوان، فرضت الأحكام العرفية - شيلناها عدة أشهر - واستمرت حتى ١٩٦٤.

بعد دستور ١٩٦٤ كان أمامنا سبيلين.. يا تستمر الأحكام العرفية، يا نوقفها ثم تحصرهم اللجنة التحضيرية ومؤتمر قوى الشعب العاملة؛ وهم الذين طبق عليهم العزل السياسى والذين اعتقلوا، والذين طبقت عليهم القرارات الاشتراكية، وطلع القانون ١١٩ لسنة ١٩٦٤. وعندما أخذنا هذا الإجراء لاحظنا ماذا تفعل الدول الأخرى، فلقد طبقناه أولا سنة ١٩٥١، وكانت الهند تتنباه برغم أن نظامهم ليبرالى كامل، وأخذوا إجراء أن تستطيع الحكومة أن تعقل أى واحد، ولديهم لجنة تظلم ولكنها ليست قضائية بل سياسية، وكان سبب هذا الإجراء الحرب الطائفية التى حدثت بعد الاستقلال، وهو موجود من ١٩٤٧ حتى الآن<sup>(١)</sup>.

وأضاف عبد الناصر: "من مارس ١٩٦٤ حتى يونيه ١٩٦٥، لم يكن أحد فى المعتقل حتى مؤامرة الإخوان المسلمين فى يوليو ١٩٦٥، حيث بدأت الاعتقالات مرة أخرى؛ فاعتقل الإخوان المسلمين طبقا للقانون ١١٩، بل تعداه، ولم تكن هناك أحكام عرفية، ودخلنا القانون لمجلس الأمة حتى يطبق عليهم.

---

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٥، مرجع سابق.

قبل العدوان وبعده بدأنا عمليات إفراج، ومازال عدد قليل موجودا؛ هم من كانوا فى الجهاز السرى للإخوان المسلمين. والمشكلة إذا خرج هؤلاء من المعتقل، هل سيكونون مرة أخرى جهازا سرىا ويتصلوا بسعيد رمضان<sup>(١)</sup>، وندخل مرة أخرى فى مشاكل أقسى من الأولى؟ وهل نحتمل؟! أما الشبوعيين، فلا يوجد إلا صلاح عيسى الذى أعتقل أخيرا، وهو من الذين كان عليهم أحكاما وأفرج عنهم سنة ١٩٦٤، وضبطوا وعادوا الى أعمالهم<sup>(٢)</sup>.

وهنا عرض عبد الناصر بدائل الحل، "أمامنا سبيلين؛ يانترك الأحكام العرفية حتى ينتهى تطبيق التحول الاشتراكى، ونصل الى مجتمع اشتراكى تنوب فيه الفوارق بين الطبقات، يانلغى الأحكام العرفية ونعمل قانون وقائى مثل القانون ١١٩...

اليوم فيه أحكام عرفية أعلنت بالنسبة للحالة الطارئة التى نحن فيها، لكن القانون ١١٩ لا حاجة له اليوم. ولكن طالما لا يوجد القانون ١١٩، سأصمم أن يظل قانون الأحكام العرفية موجودا على طول!"

وتساءل عبد الناصر، "لماذا؟.. عندى خبرة فى هذا الموضوع؛ فقد كنت مشتركا فى تنظيم الضباط الأحرار، وفى مايو ١٩٤٩ طلبنى إبراهيم عبد الهادى<sup>(٣)</sup>، وحقق معى من الساعة الواحدة ظهرا حتى السابعة ليلا، وقتها كان يحقق معى على أساس أننى كنت أدرب الإخوان المسلمين! بعدما خرجت من عند إبراهيم عبد الهادى، أخذنا قرارا أن نوقف كل نشاط لنا حتى تنتهى الأحكام العرفية ثم نبدأ نشاطنا من جديد. وفعلا أول ما انتهت الأحكام العرفية بدأنا تانى يوم اجتماعاتنا ونشاطنا<sup>(٤)</sup>.



- (١) سعيد رمضان، من قيادات جماعة الإخوان المسلمين، وكان زوج ابنة الإمام حسن البنا والسكرتير الشخصي له، ومن المؤسسين للعمل الإسلامى فى أوروبا وألمانيا. حكم عليه بالإعدام لمشاركته فى مؤامرة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر، فى ٩ أغسطس ١٩٦٥.
- (٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٥، مرجع سابق.
- (٣) إبراهيم عبد الهادى، التحق بحزب الوفد منذ نشأته، انضم لجماعة اليد السوداء التابعة للوفد منذ نشأتها وهى جماعة مسلحة تقوم ببعض الاغتيالات، ثم أصبح رئيس الديوان الملكى حتى اختاره الملك ليتولى رئاسة الوزراء بعد النفرشى، من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨ الى ٢٥ يوليو ١٩٤٩.
- (٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٤، مرجع سابق.

وشرح عبد الناصر، "اليوم فيه مجموعات إخوان مسلمين وشيوعيين وحزب شيوعى صينى؛ كيف نواجه هذه الأمور؟! قبل الثورة الناس كانوا ياشيوعى ياإخوان مسلمين، ياماشى مع أى من الأحزاب. اليوم أريد أن ألم الإخوان المسلمين حتى نحقق الوحدة الوطنية لو نجحنا فيها، بدلا من أن يلهمهم شخص سئ!

الشيوعيون، عندى من الوسائل لأتأكد من منهم غير مرتبط بتنظيم وولاؤه لبلده، وأيضا لابد أن آخذه وأشغله، وبذلك أخلص من الرواسب الموجودة فى الماضى.

وأيضا فيه الرجعيين، ولا يمكن إنهم يمشوا مع الكلام الذى نقوله أبدا؛ فمن أخذت منه أى شئ ليس معك! والأمثلة صلاح الدين ومكرم عبيد أثناء أزمة محمد نجيب فى ١٩٥٤؛ شتموا فى الثورة فى نقابة المحامين! فاجتمع ضباط المدفعية فى بيت سعد زايد<sup>(١)</sup>، وقرروا أن يذبحهم مادام إنى لا أنهى الموضوع! ذهبت اليهم وقلت: لا يمكن أن أكون مسئولا وكل واحد يتصرف كما يرى! فرجعوا كل واحد الى بيته، ومكرم عبيد تراجع فى موقفه<sup>(٢)</sup>.

أما محمد نجيب، فقد اتلم على الأحزاب والرجعيين والشيوعيين.. على الكل، وقال: إنه سيعمل جمعية تأسيسية! ونحن بالعمال استطعنا أن نخلص على هذا كله، وعلى محمد نجيب<sup>(٣)</sup>!

وتساءل أيضا عبد الناصر.. "ماذا أفعل فى هؤلاء الناس فى المرحلة القادمة؟ يالما أتركهم كل يشتغل كما يرى، وانتظر ثم أرسلهم الى النيابة وأقبض عليهم وأرسلهم الى أبو نصير<sup>(٤)</sup> الذى يفرج عنهم، ونطلع قانون بتطهير القضاء؛ فقد كان لهم موقف غير سليم! أو يكون فيه قانون بهذا الشكل يجعلنى أضمن إن البلد تتمسك".

وقال عبد الناصر: "إن الجيش موجود فى الحياة الساسية فى المستقبل لمدة ١٥ سنة على الأقل كقوة سياسية فى البلد، لن يستطيع أى بشر أن يحويه. ولقد بدأت تظهر تعبيرات مثل البورجوازية العسكرية، والعمليات العسكرية والطبقية العسكرية! فمن خلفى ومن تحت ذقن فوزى

ممكن يطلع واحد من الجيش ياخذ البلد؛ وذلك حدث فى بلاد كثيرة.. فى سوريا حسنى الزعيم عندما بدأت الإهانات للجيش!

- 
- (١) سعد زايد، أهد الضباط الأحرار، وأصبح محافظا للقاهرة، من ٣١ يوليو ١٩٦٥ - ٢٦ إبريل ١٩٧٠.
  - (٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٤.
  - (٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٤/١٥.
  - (٤) محمد أبو نصير، وزير العدل.

اليوم الدنيا فلتانة، وتحتاج الى مجهود كبير جدا فى لمها، ولا بد أن تتلم! مثلا كلام ضد الاتحاد السوفيتى والخبراء؛ ماذا كان عندنا تسليح؟ لا شئ! والآن وافقوا على تسليح ٩ فرق وطائرات. وحسن عباس زكى عندما ذهب الى موسكو، ما طلبه أخذه.. قمح وقلوس ورفع حد المديونية، وهم لا يطلبوا منا شيئا نحن الذين نطلب! الأمريكان، ماذا أعطونا؟!

إذاً نحتاج الأحكام العرفية فى المرحلة الحالية لمدة طويلة، فهذه التناقضات لازالت موجودة فى المجتمع!"

وتساءل عبد الناصر مرة أخرى، "كيف نمسك البلد؟ القانون ١١٩ رادع أكثر منه واقع لأن فى وجوده كل واحد يعمل حسابه؛ وبهذا يجنبنا ويلات وكوارث كثيرة جدا. فيه الحرية وفيه أعداء الحرية؛ فتوجد طبقة تريد أخذ السلطة لتعود بالبلد كما كانت، وفيه الأمريكان وممكن أن يدفعوا ملايين الجنيهات ليخلصوا منا!... ليس أمام اليهود ومعهم الأمريكان إلا شئ واحد؛ أن يقضوا علينا داخليا بعمل مشاكل وأحداث، وممكن حتى أن يدفعوا أموالا للعمال ولناس من الذين استفادوا من القوانين الاشتراكية"<sup>(١)</sup>.

### (٣) أسلوب عبد الناصر فى مواجهة المظاهرات:

"كان لابد بعد المظاهرات التى حدثت ألا نأخذ إجراءات، وتركنا طلبة كلية الهندسة الذين استمروا الجمعة الماضية يشتموا فينا من أكبر واحد لأصغر واحد! ويقف طالب يقول: 'إحنا اللي جبنا جمال عبد الناصر، وإحنا اللي نقدر نشيل جمال عبد الناصر! قلنا: نتركهم لنرى ما الذى سيصلوا اليه؟! وفى الآخر انتهى الموضوع!"

واستطرد عبد الناصر فى جلسة مجلس الوزراء فى ٢٤ مارس ١٩٦٨، "كان ممكن نتخذ إجراءات، ولكن من هم الطبقة التى تتكلم؟ كان بينهم واحد شيوعى اتصل بصلاح عيسى، ومن الحزب الشيوعى الصينى، ومجموعة أخرى ممن يريدون أن يعملوا زعامات! طلبت معرفة أبهات هؤلاء الأولاد، رأيت الأسامى؛ عدد كبير منهم ليسوا موالين للنظام!

---

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٤، مرجع سابق.

فالمعادلة هنا كيف تمسك البلد وتعمل هذا التحول بدون صراع دموى؟! فإذا لم أكن أقدر أصفى هذه العمليات بالحكمة أو بالاعتقال ساضطر أصفى بعمليات أخرى؛ بأنى أقول لعمال يطلعوا يصفوا، وبهذا ندخل البلد فى دوامة، ونعمل شيئاً مثل الثورة الثقافية التى عملها ماوتسى تونج؛ من يتكلم أرسل له ناس يضربوه! وأنا قادر أن أفعل هذا بعيداً عن السلطة كلها؛ أقصد بعيداً عن البوليس والجيش، وعملوا هذا فى الصين!

ولكن هل بلدنا تتحمل هذا؟! وكان ممكن فى كلية الهندسة نرسل لهم طلبة وعمال وناس يدخلوها يضربوهم، وانشالله تتحرق الكلية! اتحرقت كليات فى الصين، وحرقوا مصانع! ولكن عرفوا يصفوا الثورة المضادة".

وشرح عبد الناصر، "ما أقوله: إن فيه ثورة مضادة، وتحت اسم الحرية الليبرالية؛ كل واحد سهل جدا يرفع اسم الحرية. ما هو يقف واحد ويقول: حرية الصحافة! كانت فى حرية الصحافة؟! مصطفى أمين؟ الـ CIA أعطته ٨٠٠ ألف جنيه<sup>(١)</sup>، وفيه أبو الفتوح الذى كان فى الوفد، تحول الى مليونير<sup>(٢)</sup>! أليست هذه الصحافة؟! لا أحد يستطيع أن يعمل جرنال؛ يحتاج الى مليون جنيه<sup>(٣)</sup>."

#### (٤) مشاكل الجيش:

وتحدث عبد الناصر وهو يتناقش مع الوزراء الجدد عن دور القوات المسلحة، فقال: "إنها فى ١٥ سنة الماضية لها مشاكل لا يتصورها إنسان!" وبدأ يتكلم عن الوضع منذ ١٩٥٤؛ حينما ذهب السويدي فى المدرعات، وقفوا عليه ولم يتركوه، وكانت لهم طلبات، وقالوا: "تعطينا كلمة أمان! هذا

أيام أزمة ١٩٥٤، فقلت لهم: إنى مستقيل! فطالما فيه طلبات للجيش وهو يتدخل، إذاً لا أستطيع أن أتحمّل المسؤولية!

هذا الكلام حدث باستمرار، وكان الوضع يستدعى تعيين من خرج من الجيش، وإلا ممكن البلد تروح فى شربة مية! هذا تعليق على كلمة الرجل المناسب فى المكان المناسب! البعض ذهبوا الى الخارجية وكانوا عناصر جيدة. ولما كانت القوات المسلحة تريد نقل ضباط ويطلعوا معاش، أرسلتهم الى جهاز التنظيم والإدارة!

---

(١) شهادة السفير الأمريكى فى القاهرة لوشىوس باتل؛ أن تجنيد المخابرات الأمريكية لمصطفى أمين قد تم بالفعل، ج٥ من الكتاب ص ١٠٠٢.

(٢) محمود أبو الفتوح، أنشأ إذاعة مصر الحرة المناوئة لوطنه مصر فى جنوب فرنسا قبل العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٤، مرجع سابق.

الآن محمد فوزى يطلب نقل ضباط الى وظائف مدنية ولايد أن أنقلهم، لماذا؟ ليس أمامى سبيل إلا هذا؛ فالعملية لازالت على أساس الثورة قام بها الجيش، ولازال من يريد أن يضرب البلد لن يستطيع إلا بالجيش"<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الناصر: "التغيير الذى حدث لم يكن سهلاً؛ كان فيه معركة فى القوات المسلحة، انقسام وعملية كبيرة ونحمد الله على النتيجة". وأضاف: "يوم ما استقلت كان تقديرى أنه لو قعدت سأدخل فى تصادم ومعركة، وكان رأى أنه من الصعب أن أكسب هذه المعركة؛ لأن الناحية الأخرى كان عندها تنظيمات ولم يكن عندى شيئاً!

ويوم ما رجعت فى ١٠ يونيه، كنت مستقتل أى مستبيع فى العملية... واتصلت بناس من القوات المسلحة يمكن منذ ١٠ سنين لم أتصل بهم! واضطريت أن أعتقل ناس بالشبهة، ومازال معتقل ٧٠ ضابطاً فى الجيش.. دفعة ١٩٤٨"<sup>(٢)</sup>.

### (٥) النقاوة الثورية والدستور والتنظيم السياسى:

قال عبد الناصر فى مجلس الوزراء بعد المظاهرات فى ٢٥ مارس ١٩٦٨، "المحكمة الإدارية العليا والنقاوة الثورية والنزاهة ومحاربة الفساد، تلف فى حلقة مفرغة! طالما نوظف وأنا مسئول يردد هذا الكلام! مجلس الدولة هو حماية للفساد؛ وعلى هذا قيدنا سلطاته، ولكن إن لم نتخذ الإجراءات فتظل التناقضات باستمرار"<sup>(٣)</sup>.

وذكر عبد الناصر، "من الذى قال مراكز القوى؟ ما هو أنا! من الذى قال الطهارة الثورية؟ أنا! من الذى قال سيادة القانون؟ أنا! كل التعبيرات التى تقال الآن أنا قلتها قبل الحرب؛ لأنى كنت شايف صور كان كبح جماحها عسير ومستحيل! والناس متصورة إن أى شئ أقدر أعمله وأنفذه؛ الأمور لم تسر بهذا الشكل"<sup>(٤)</sup>.

"فى الـ ١٥ سنة الماضية ضُربنا كثيرا جدا، لم نستطع أن نعمل ما كنا نريده، وكونا قدرنا نحيا رغم الضربات التى أخذناها؛ هذا فى حد ذاته يعتبر معجزة"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٣١.

(٥) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٥، مرجع سابق.

وأما قلنا بعد النكسة: المجتمع المفتوح والتغيير، ولم الدولة وتبقى شيئا واحدا ولا تكون مجموعة من الإقطاعيات والإمارات.. الخ، أخذنا إجراءات عنيفة جدا فى عدة مجالات، وحدث فعلا تغيير بالنسبة للقوات المسلحة والمخابرات.. الخ، واليوم أصبحت تعتبر جزءا من الدولة وفيه نظام<sup>(١)</sup>.

وبالنسبة للدستور، لا توجد بلد فى وقت عدوان تعمل دستور! فهل الآن مناسب أن نعمل دستورا؟! فلا بد أن يطبق دستور ١٩٦٤ حتى يظهر الدستور الجديد. وأرى ألا نتدخل فى مجلس الأمة، وفيه أيضا عناصر منحرفة وممكن يزايدوا مزايدات كبيرة! هذا تساؤل هام، وخصوصا هذه آخر دورة لهم؛ فكل واحد يريد أن يعمل نفسه بطل ويتكلم، ويطلعوا لنا دستور لا نعرف نمسك به البلد! فيه جو نقد وجو انفلات، فهل هذا هو الوقت المناسب للدستور؟! أم أن نشكل اللجنة المركزية التى تقر الدستور ثم نرسله الى مجلس الأمة ليقره"؟!!

وهنا قال عبد الناصر: "التنظيم السياسى، لا أعرف من معى ومن ضدى! فكيف نعمل لجنة مركزية، وانتخابات ومؤتمر قومى؟! لا أعرف إلا لما تتضح العملية من أولها لآخرها، وأعرف موضوع المخابرات، وأضبط القوات المسلحة التى حدثت فيها اعتقالات!

إذاً التنظيم السياسى يؤجل؛ نريد ناس عندهم حرية رأى ولكن ولاءهم للثورة وللنظام؛ فالحرية ليست أن أدعو ناس ضدى وضد الثورة وضد النظام وأضعهم فى اللجنة المركزية! نريدها تحالف قوى شعب عاملة ومؤمنين بالميثاق"<sup>(٢)</sup>.

### (٦) قرارات عبد الناصر السريعة وعبء تنفيذها:

قرر عبد الناصر تشكيل لجنة متابعة من الوزراء تضع خطة لكل شىء، وطالبهم بأن يتقدموا باقتراحات، وقال: "تريد دفعة اليوم لننطلق، ونعطى الاهتمام لموضوع البحث العلمى والسياسة التعليمية ومجلس قومى للتعليم، وآخر للصناعة وغيره للزراعة؛ حتى لا يقولون الوزير ينفرد فى وزارته"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٤، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

وفيما يتعلق بالمطالبة بإلغاء قانون الطوارئ، قال عبد الناصر: "إذا جرينا وراء إرضاء الناس الذين يتكلمون؛ من هم الذين عليهم القانون ١١٩؟ إنك لن ترضيه إلا إذا عطيته السلطة؛ فلا يزال يوجد صراع على السلطة بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة، وهم يريدون أن يفلتوا منه! أما المقالات، فلا يتعرض لها إنسان، والرقابة العسكرية ضرورية فنحن فى حالة حرب. والرقابة هى عن طريق رؤساء التحرير، وهم واخدين المسئولية". وضرب عبد الناصر أمثلة عما يكتبه محمد حسنين هيكل عن الاتحاد الاشتراكى والحراسات والتغيير، وروز اليوسف تنتقد كل شىء، ومحمد التابعى يكتب كلاما ضد الاشتراكية!

وبالنسبة للدعوة للمشاركة فى تحمل المسئولية وإشراك الجماهير فى كل قرار، فقال: "لا توجد دولة تطبق هذا! المشاركة فى العالم فى شيئين: فى انتخاب رئيس الجمهورية، والاتحاد الاشتراكى، ومجلس الأمة، بعد ذلك العمل السياسى بحيث تتم توعية ولم ومواجهة أعداء النظام.

أما القول بأن الأغنياء يزدادون غنى والفقراء يزدادوا فقرا، فعلى العكس مصر تفتقد الكفاءات بذهابهم الى الدول العربية لأن الدخول أكبر"<sup>(١)</sup>.

وعن خطوات تنفيذ التغيير، واجه عبد الناصر الوزراء الجدد قائلا: "لما تكلمت فى ٢٣ يوليو [١٩٦٧]، كانت من أصعب المرات التى تكلمت فيها فى حياتى فى الـ ١٦ سنة الماضية؛ لأن ما حدث أثر علينا كلنا نفسيا ومعنويا وماديا.. إلخ! فى ٢٣ نوفمبر.. كان الوضع مختلفا.. والآن لا أحب أن أقابل صحافيين! لكن بعد بيان ٣٠ مارس، سيستدعى الأمر أن أفسره، وهذا سيتطلب أن أتكلم باستمرار! أيضا الظروف التى كانت موجودة فى الداخل كنت أتتبعها يوما بيوم وساعة بساعة، كانت قاسية وصعبة"<sup>(٢)</sup>.

#### هـ - بيان ٣٠ مارس وبرنامج العمل:

فى ٣٠ مارس ألقى عبد الناصر بيانا من قصر القبة عرض فيه الإنجازات الآتية: الاستمرار فى إعادة بناء القوات المسلحة، تضحيات الشعب من أجل الصمود الاقتصادى، تصفية مراكز القوى التى ظهرت وتجاوزت بعد النكسة، المحاكمات العلنية التى مثلت صورة كاملة لانحرافات وأخطاء مرحلة سابقة، الجهد السياسى الواسع على جهات عريضة عربية ودولية.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٢٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

ثم تناول عبد الناصر فى حديثه برنامج العمل للتغيير؛ إعادة تشكيل الوزارة، تغييرات قادمة فى قيادات الإنتاج والسلك الدبلوماسى والمحافظين ورؤساء المدن. وشرح برنامج العمل، الذى تلخص فى الحشد من أجل المعركة فلها الأولوية، والعمل السياسى عن طريق الأمم المتحدة ومع الأشقاء العرب؛ سواء من خلال مؤتمرات القمة أو التنسيق الثنائى أو من خلال القوى الشعبية العربية من أجل المقاومة المسلحة للعدو. وفيما يتعلق بتعبئة كل الجماهير، أكد عبد الناصر على أن صيغة الاتحاد الاشتراكى هى الأكثر ملاءمة للحشد بالديمقراطية، وهو واجهة عريضة تضم تحالف قوى الشعب العاملة كلها، ثم تنظيم سياسى يقوم فى وسطها. وشرح عبد الناصر أن عيوب الاتحاد الاشتراكى ترجع الى التطبيق وليس الى الصيغة العامة، وقرر إعادة بناء الاتحاد الاشتراكى عن طريق الانتخاب من القاعدة الى القمة.

أما عن البرنامج التنفيذى لكل هذه المقترحات، فقد تقرر إجراء الانتخابات للدرجات المختلفة للاتحاد الاشتراكى، ويضع مجلس الأمة مشروع الدستور الدائم، الذى يطرح على الاستفتاء فور انتهاء عملية إزالة آثار العدوان، وتتلوه مباشرة انتخابات لمجلس أمة جديد على أساس هذا الدستور

الدائم، وانتخابات لرئاسة الجمهورية، وإنشاء محكمة دستورية عليا تقرر دستورية القوانين وتطابقها مع الميثاق والدستور، ثم يطرح بيان ٣٠ مارس للاستفتاء العام<sup>(١)</sup>.

وفى نفس الوقت، أجرى عبد الناصر اجتماعات مع رؤساء اتحادات الطلبة ودكاترة الجامعة، والمحافظين ورؤساء المدن، ورجال الشرطة والقوات المسلحة، ونقابات المعلمين. وقال: "القيادة هي معرفة مشاكل الجماهير ثم إيجاد حل لها"<sup>(٢)</sup>.

وكان عبد الناصر يعتبر بيان ٣٠ مارس هو نقطة بداية وليست نهاية، وأن الغرض منه أن يأخذ جماهير الشعب كلها فى صفه، ويعزل الثورة المضادة. وقال فى جلسة مجلس الوزراء بتاريخ ١٥ إبريل ١٩٦٨: "أتابع ما يحدث ومختلف الآراء، والتنظيمات التى تكونت فى الفترة الماضية تتكلم عن عمل سرى واغتيالات، وتلم الحاقدين الذين خرجوا من الجيش وداخل الجيش. لم أذعر! فى ١٩٥٤ رأينا أكثر من ذلك مائة مرة؛ كان فيه مليون واقفين فى ميدان عابدين يقولون: يسقط جمال عبد الناصر! وقلت لشعراوى جمعة: دول ٤ آلاف وليسوا مليوناً! وكل هذا أمكن فى شهر تغييره".

---

(١) بيان ٣٠ مارس، خطب عبد الناصر، ج١، ص ص ٤٥٠ - ٤٦٣، مرجع سابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٣/٣١، مرجع سابق.



وشرح عبد الناصر الوضع قائلاً: "فيه حالة إذا تجاهلناها ونسبناها الى عناصر الثورة المضادة فقط؛ يكون تشخيص الموقف خطأ، لماذا؟ لأن عناصر الثورة المضادة موجودة أمس واليوم، وستكون موجودة غداً! إذاً ما الذى جعلها تتكلم اليوم؟ لماذا لم تتكلم أمس قبل ٥ يونيه؟ لأن هناك حالة موجودة فى البلد عاملة نوع من الهزة والضياع بالنسبة لجمهير الشعب! وكان ممكن من البداية أمسك وأضرب، ونضرب رصاص ونموت ناس! ولكن هم كانوا يريدون هذا!"

### (١) المعركة مع الثورة المضادة:

قال عبد الناصر للوزراء الجدد: "إن هذه الجماهير ليست معادية، ولكن تطلع فوراً الثورة المضادة، ووجدت أى فرصة وبدأت تشكك فى كل شئ! إذاً اليوم فيه معركة بيننا كقوى الثورة وبين الثورة المضادة، على ماذا؟ من سياتخذ الشعب الى جانبه! هذه هى المعركة الموجودة. إذاً لا بد فى تكتيكنا أن نعمل خطة طويلة؛ بحيث نتفادى كل الوسائل التى اتبعتها الثورة المضادة؛ وهى تشكك الشعب فى كل شئ! وانتهاز هذه الفرصة ونقضى عليها، ثم نعزل الثورة المضادة، ثم نضربها؛ هذا ما عمل من أجله".

وتساءل عبد الناصر، "ما خط الابداء فى هذا الموضوع؟ ما التغيير؟ لم آخذ موقفاً محدداً! ثم ما هى الثورة المضادة؟ إذا وجدت الثورة وجدت الثورة المضادة، واستفدنا هذه الفترة لأننا عرفنا من هم عناصر الثورة المضادة"<sup>(١)</sup>.

ونبه عبد الناصر، "أمامنا السنة القادمة أصعب جداً من هذه السنة، فخلالها لن نقدر أن نحارب ولا نزيل آثار العدوان. نبدأ فى ١٩٦٩، ولكن لا أستطيع أن أقول متى نزيل آثار العدوان، لماذا؟ لأنه متوقف على أشياء كثيرة؛ نكوّن قوات حتى نكون متوازنين مع اسرائيل، ونحتاج الى معدات.. إلخ. بالسلام لن نقدر نصل الى انسحاب إلا إذا استسلمنا!...

فى مواجهتنا أموال تصرف؛ فيه مجموعات من الحزبيين القدامى ظهرت معها أموال! فيه ناس طلّعوا منشورات باسم التجمع الوطنى! فيه حركات اليوم موجودة فى البلد، لكن تقريباً أنا شايفها كلها. والعام القادم ستكون هذه الحركات أقوى؛ فلا بد أن نجهز أنفسنا على أساس أن نكون ثوريين أكثر، ولا بد أن نثبت أن الحكم قوى، والناس تعطى اعتباراً للحكم القوى!

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٥/٤/١٩٦٨، مرجع سابق.

أول شئ ضمناه القوات المسلحة، وبعد ما نأخذ قوى الشعب الى جانبنا، إذا القوى المضادة نخلص عليها سهل، ومنتصدي لها بإجراءات ثورية".

وكرر عبد الناصر، "إذا لم نستطع، يصبح السبيل الوحيد أن نعمل ثورة ثقافية، الجيش لن أدخله فى هذه العملية؛ لأن عنده واجب وهو المعركة".

وأكد عبد الناصر على ما يلى: "لابد أن نكسب الجماهير فى جانبنا والسير نحو المعركة. ولقد كان أعداؤنا من الشراسة أن نجحوا فى أن كلامهم يتناقله الناس؛ نقضى على هذا".

وأعرب عن خوفه من ضرب الاتحاد الاشتراكي الجديد الذى سيشكل؛ بواسطة أشخاص من داخله، حيث بدأت المحاولات فعلا! وقال: "صيغة قوى الشعب العاملة يقبلها الناس ما عدا العنصر الرجعى والشيوعى، لماذا؟

فى نادى القضاء البعض قالوا: إنهم لا يريدون دخول الاتحاد الاشتراكي! وإذا كان القضاء ليسوا من تحالف قوى الشعب العاملة، فهم داخلين ضمن المتقنين، ويطالبون بتغيير وزير العدل!"

## (٢) مواجهة موقف القضاء المعادى:

تحدث عبد الناصر بالتفصيل عن الوضع فى القضاء معبرا عن مفاجأته وقلقه فشرح، "العملية فى القضاء حدث فيها لعب فى السنتين الماضيتين، ولم أفطن اليها إلا أخيرا، ولا أعرف ما الهدف؟ وتوجد اتصالات بينهم وبين بعض الناس، وآثارها لازالت موجودة!"

وتساءل، "هل الذين طبقت عليهم القرارات الاشتراكية سيظلون فى القضاء؟ هل من عين أيام إبراهيم عبد الهادى أو النحاس - وقائمين بعمل حزبي ونشاط اليوم - هل سيظل فى القضاء أو هل نواجه الأمور كلها بالقوة؟ هذا ما سيظهر على شهر سبتمبر؛ هل نحن فعلا راضخين أو أقوياء؟!"

وأكد عبد الناصر، "لا أريد اعتقالات... فهل نحل الموضوع بالاعتقال؟ فى رأى هذا ليس حلا، إلا إذا دعت الظروف أن نعتقل عناصر رئيسية؛ بحيث نشل نشاطا معيناً. لا بد حتى سبتمبر يكون واضحا أن الثورة منتصرة على القوى والثورة المضادة".

وقال عبد الناصر: "إننى لم أروض لطلبتهم، لقد جمعت الأشياء التى يحاولون أن يكسبوا بها الجماهير، ووضعتها فى البيان، ثم إنها فى الميثاق، والمحكمة الدستورية أنا الذى زودتها.

يجب أن نكسب قوى الجماهير الطاهرة، وليس القوى الانتهازية التى بوجهين"<sup>(١)</sup>.

ولم تقتصر المشاكل على ما ذكرناه، فقد اكتشف تنظيم للإخوان المسلمين فى القوات المسلحة، وتم القبض على أعضائه وحدثت اعترافات من الضباط؛ واتضح أنهم متصلون بمدنيين، وهم الذين حرضوا على القيام باغتيالات وتشكيل هذا التنظيم! وتم كشف العملية بالتبليغ".

وأعطى عبد الناصر الأوامر لمحمد فوزى أن ينهى العملية قبل أن تتسع، وأن يباشرها الجيش وليس النيابة؛ لسبب أنه لا يمكن أن يسمح بالتجاوز فى داخله. وقانون الأحكام العسكرية يطبق على أى مدنيين يتآمرون فى الجيش. وكان من رأى عبد الناصر أن هذه المادة لا يمكن التنازل عنها؛ فلا يمكن ترك الجيش للتنظيمات المعادية.

"إن عملية الجيش هذه ليست الأولى، إنها العملية رقم ٥٠٠ من أول الثورة حتى اليوم"<sup>(٢)</sup>! وأضاف عبد الناصر، "لا توجد ثقة فى القضاء! ومن الإجراءات التى سنتخذها حتى نطمئن الى سيادة القانون أن نطمئن الى القضاء. ولتحقيق ذلك لابد أن يكون لدينا قضاء نظيفا ١٠٠٪، لا أؤيد قضاء متحيزا!"

وأردف عبد الناصر شارحا، "نحن لم نتدخل فى القضاء طوال ١٦ سنة لدرجة أننا أفسدناه! تركنا فيه المفسدين يرتعون! وحتى لا نذهب الى المحاكم العسكرية، لابد أن نطهر القضاء مثل ما سنطهر المحافظين والسلك السياسى، وكما طهرنا الجيش. ومثل ما سنطهر رؤساء المدن وقطاعات الانتاج، لابد أن نطهر القضاء فففيه أحزاب وتكتلات وفساد!"

وحذر عبد الناصر، "السنة القادمة لا نعرف ماذا سيحدث! إننا لن نحرر سينا، وحل سلمى لا يوجد، ولا يوجد حل عسكرى؛ فإذا لم تُمسك البلد ستكون الحرب فى الداخل وليس قناة السويس".

وكرر عبد الناصر، "نحن داخلىن على وقت صعب، وقد نحتاج الى أن نتخذ إجراءات شديدة! وسنضطر أن نواجه القوى المضادة، ونحتاج منا أن يكون قلبنا جامد"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٤/٢٨.

(٣) المرجع السابق.

## - خطوات الإصلاح القضائي:

وفعلا وفى شهر أغسطس ١٩٦٩ عرض عبد الناصر على مجلس الوزراء خطوات الإصلاح القضائي التي بحثها مع رئيس مجلس الدولة مصطفى كامل إسماعيل<sup>(١)</sup>، وكانت تستدعى إعادة تشكيل الهيئات القضائية كلها، بعد أن ثبت أن عدة من رجال القضاء يتحركون وفقا لانتماءاتهم السياسية والطبقية.

لقد كانت سياسة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عدم التدخل فى القضاء، فإذا اضطرت النظام الى التحرك سياسيا، كان إما يشكل محكمة غدر أو محكمة شعب أو محكمة ثورة. وكان واضحا من تشكيل هذه المحاكم واختصاصاتها أنها ذات صفة خاصة، وأحكامها متحللة من كل الإجراءات والقوانين. وهذا ما تم خلال السبعة عشر عاما منذ قيام الثورة.

ولكن عبد الناصر فوجئ عندما راجع كشف أقدمية رجال القضاء فى أغسطس ١٩٦٩ بسبب تصاعد الخلافات بينهم أن عددا كبيرا منهم طبق عليهم قوانين الإصلاح الزراعى، كما أن نسبة كبيرة منهم كانت من عائلات ركائز عهد ما قبل الثورة؛ وذلك لأنه بالنسبة للقضاء لم يؤخذ أى إجراء للتطهير الذى تم فى ١٩٥٢، وما حدث فى ١٩٥٤، ١٩٥٥ كان بالنسبة لمجلس الدولة فقط.

وفتح عبد الناصر المناقشة فى مجلس الوزراء جلسة ٣١ أغسطس ١٩٦٩، حول مقترحات الإصلاح القضائي التي تتلخص فيما يلي:

١- إصدار قانون بتكوين محكمة عليا، تمشيا مع بيان ٣٠ مارس، على أن تنقلب الى محكمة دستورية عليا بعد صدور الدستور الجديد<sup>(٢)</sup>. وهذا الوضع موجود فى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وغيرها من الدول.

٢- إنشاء مجلس أعلى للهيئات القضائية، يرأسه رئيس الجمهورية.

٣- إعداد مشروع قانون بإعادة تشكيل الهيئات القضائية.

٤- إعادة تعيين رجال القضاء والنيابة، وأعضاء مجلس الدولة، وأعضاء إدارة قضايا الحكومة، وأعضاء النيابة الإدارية.

٥- قرار بتعيين بعض العاملين فى الهيئات القضائية فى وظائف أخرى.

٦- فى شأن نادى القضاء، يسرى عليه قانون وزارة الشؤون الاجتماعية.

وقد أكد عبد الناصر على أن الغرض من قانون إعادة تشكيل الهيئات القضائية؛ هو تصفية جميع العناصر المعادية للنظام، الذين ظهروا بعد عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧.

(١) مصطفى كامل إسماعيل، رئيس مجلس الدولة، وتم تعيينه وزيرا للعدل بعد قبول استقالة محمد أبو نصير في ١٩٦٩/٨/٣١.

(٢) تم تكوين المحكمة الدستورية العليا في عهد السادات، في ١٩٧٩.

### (٣) الاستفتاء والعمل السياسي:

وفي ٢ مايو ١٩٦٨ جرى الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس، وكانت النتيجة ٩٩,٩٨٩٪. حيث بلغ عدد الناخبين ٧,٤٥٠,٤٧٨ ناخبا، اشترك منهم في عملية الاستفتاء ٧,٢١٧,٤١٩ ناخبا بنسبة ٩٨,٢٪ من عدد المقيدون، عدد الأصوات الصحيحة ٧,٣١٦,٥٣٣ صوتا، والباطلة ٨٨٧، من الأصوات الصحيحة ٧,٣١٥,٧٣٤ قالوا نعم، ٧٩٨ لم يوافقوا.

وفي تحليل عملية الاستفتاء، كان رأى عبد الناصر أن نسبة كبيرة من الذين لم يذهبوا الى مراكز الاقتراع - وهم ١٥٠,٠٠٠ - يقولون: لا، إلا إذا كان شخصا حاقدا ومتعصبا جدا. فالصراع الطبقي موجود وسيظل موجود! أما القيادة فلا يمكن عمل صيغة لها، ولكنها ستأتى بالممارسة. والنص على ٥٠٪ عمال وفلاحين سيتترك عندما يصبح العمال مثقفين؛ فهو موضوع في مرحلة الانتقال، وكان الغرض منه إذابة الفوارق بين الطبقات؛ فالأفكار القديمة التي كانت نتيجة حكم الإقطاع مع رأس المال لازالت موجودة!

وقال عبد الناصر في جلسة مجلس الوزراء، في ٥ مايو ١٩٦٨: "نتيجة الاستفتاء وبيان ٣٠ مارس أننا نريد ثورة جديدة تتوفر فيها النقاوة الثورية؛ فلا حق موروث.. الخ". ثم تساءل، "ما صعوبة الثورة الجديدة؟" وقال: "إنها تحتاج قيما جديدة فيها عملية التطبيق الاشتراكي. وإذا لم تكن الاشتراكية هي فائدة للمواطن أنه سيكسب أكثر، لماذا يقبل الاشتراكية؟! لذلك لماذا لا نتعامل بالطريقة الرأسمالية؛ فكل ما يخسر نصفه؛ وكيف نغير الأسلوب المتبع الذي كفرنا به الناس؟!"

إن الناس أعطونا أكثر مما نستحق بالذات في عملية حضور الاستفتاء - ٧,٥ مليون - وهذا يبين أصالة هذا البلد؛ فما حدث أكثر مما يتصور أى إنسان!"

وتحدث عبد الناصر عن الاستقبالات له في المنصورة وفي كفر الشيخ، "وشعور الناس فقد كانوا منفعلين؛ وهذا معناه كبير جدا، ويجعل الواحد يشعر بنقل المسؤولية والأمانة، والمهم يقارن بين شهر فبراير وأول مايو!"

وأكد عبد الناصر، "علينا أن نحافظ على الموجود بكل ما نستطيع من جهد وعمل، ونرد أيضا الجميل للناس في عدة أشكال؛ فلا نخطئ في تعاملنا مع الناس، وأن نعمل على تيسير سبل التعامل معهم ونحل مشاكلهم، بالذات بالنسبة للنواحي الحكومية..."

إذا كانت نتيجة الاستفتاء ٩٠٪ بعد الهزيمة وحالة التمزق النفسى عند الناس، فهذا يعتبر نصرا كبيرا، ولكن المرحلة القادمة أصعب، ثم إعادة تكوين الاتحاد الاشتراكي؛ فنحن نريده أن يكون حزبا فوق الأحزاب، وتنظيم سياسى يجمع كل الناس. أما الانتخابات، فلا بد أن تكون مطلقة<sup>(١)</sup>.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٥/٥.

وأعرب عبد الناصر عن قلقه من أن البلد فى ناحية والجيش فى ناحية أخرى، وقال: "هذه مشكلة قديمة، وأريد أن أضمن الاستمرار فى المستقبل؛ أن تكون فيه سلطة واحدة فى البلد، ولن يحل هذا إلا أن يكون الجيش متلاحما كاملا فى هذه العملية؛ فهو يجب أن يكون ممثلا فى المؤتمر القومى واللجنة المركزية؛ بحيث لا يكون ضد الاتحاد الاشتراكي أو العكس، ويكون الاثنى سلطة واحدة فى المستقبل"<sup>(١)</sup>.

وشرح عبد الناصر أن من أسباب الاستفتاء، مواجهة أمل أمريكا واسرائيل أن النظام فى مصر سيسقط مع مضى المدة، ولكن الاستفتاء أظهر طبيعة البلد، ولم يجادل أحد فيه<sup>(٢)</sup>. وفى كلامه عن خطته فى التحرك داخل الاتحاد الاشتراكي قال: إنه بجانب صيغة قوى الشعب العاملة، فممكن أن يضم من الشيوعيين من يقبلون الأهداف الثورية، وأيضا من اليمين الذين ليسوا قوى مضادة.

وبالنسبة أيضا للاتحاد الاشتراكي، فقد قرر عبد الناصر إحداث تغيير جذرى؛ بأن يرقد كل القيادات منه - من الأمانة وكله - ويعين اللجنة المركزية وعدد من المساعدين له؛ وبهذا يستطيع أن ينفذ خطته خلال مايو ويونيه ١٩٦٨. أما فى المحافظات، فكان رأى عبد الناصر، أنه لا يستطيع أن يحل مكاتب الاتحاد الاشتراكي بها برغم المطالب بذلك.

وبالنسبة لمجلس الأمة، "إذا كان فيه عناصر مضادة ومنحرفة فلا بد أن تفصل، وليس من لهم رأى مخالف. وهذا معناه فى المستقبل أن تلك العناصر لن يستمروا فى الاتحاد الاشتراكي"<sup>(٣)</sup>. وعندما يقولون: إن الحكومة تسيطر على البرلمان؛ فإذا لم يكن هذا فيجب أن تستقيل تانى يوم! فمعنى أن الحكومة لها السيطرة، أن الأغلبية معها وتضمن لها البقاء، وهذا لا يمنع حرية الرأى. فإما الحكومة ليس لها سيطرة على السلطة التشريعية والأخيرة تقودها، يا الحكومة تحل السلطة التشريعية"<sup>(٤)</sup>.

أما القضاء، فقال عبد الناصر فى جلسة مجلس الوزراء فى ١٥ يوليو ١٩٦٨: "إنهم متصورين أننا منهارين وراضخين، ولذلك لا نعتقل ولا نضرب، ولكن توجد نظرية ماوتسى تونج! ولو أننى قلق ١٪ لكنك أخذت إجراءات واعتقلت. أقول: فى معركة سياسية لندخلها ولكن لا يوجد خوف..."

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٧/٤.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٥/٥، مرجع سابق.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٧/١٥.

(٤) المرجع السابق.

الشيوعيون حلوا الحزب<sup>(١)</sup> وكان معتقل ١٠٠٠ منهم فى وقت من الأوقات ولا يعملون، والآن خرجوا كلهم من المعتقل".

وعرّف عبد الناصر الشيوعى فى تقديره، "إنه الموجود فى تنظيم شيوعى وينشط وسط الناس، وهو يختلف عن الماركسى أو اليسارى".

وقال عبد الناصر: "تريد فى هذه الفترة حتى سبتمبر أن يكون عندنا قيادات للطلبة فى الكليات وللعمال ممسوكين، ونعين من تخرجوا؛ نحاول أن نلم كل الناس.

وكذلك يجب أن نتجنب الاجتماعات الكبيرة ويفضل الصغيرة؛ حتى لا نعطى فرصة للمهيجين يفسدوا الاجتماع!"

وكرر، "وإذا كان القضاء معاديا للثورة وواحد وضع سياسى، فلا بد أن يكون لنا وضع من هذا القضاء؛ فحتى سبتمبر لا بد أن نبحت هذا ويكون لنا أوضاع ثورية؛ لماذا عملنا محاكم كذا<sup>(٢)</sup>؟ لأن لم يكن فيه ثقة!"

وعندما تكلم حلمى مراد<sup>(٣)</sup> عن سيادة القانون، رد عبد الناصر، "لا بد أن ننظر للقاضى؛ من الذى سينفذ سيادة القانون؟ أعداؤنا أم ناس يمثلون المجتمع؟! وإلا سنضطر نطبق أحكاما عرفية، فالقانون من أيام إسماعيل صدقى!"

وحول المطالبة بحرية الصحافة، قال عبد الناصر: "من يريد أن يصدر جرنال، محتاج الى مليون جنيه على الأقل! من الذى سيقدم هذا المبلغ؟ وما الذى سينشره؟ الذى يتماشى مع مصالحه؛ فالعملية نسبية"<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) رسالة حل الحزب الشيوعي المصرى الى عبد الناصر، ج ٥ من الكتاب، ص ٣٦٢ - ٣٧١.
- (٢) محكمة الثورة برئاسة حسين الشافعى، التى شكلت فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٧.
- (٣) حلمى مراد، وزير التربية والتعليم ١٩٦٨/٣/٢٠ - ١٩٦٩/٧/١٠.
- (٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٧/١٥، مرجع سابق.



## سابعاً: الحرب المستحيلة وإعادة بناء الجيش:

لقد كانت حرب الاستنزاف وبحق حرباً مستحيلة؛ كيف نبدأ حرباً مع إسرائيل وتوازن القوى بيننا وبينهم صفر إلى ١٠٠؟! وكانت كل المقومات العسكرية الأساسية في جانب إسرائيل؛ اغتصبت الأرض ودمرت السلاح، ولكنها لم تتمكن من كسر إرادة القتال في الجيش أو الشعب المصري، بل لقد طالبوا بالثأر تحت قيادة عبد الناصر بعد أن رفضوا تتحيه عن السلطة في ٩ يونيو ١٩٦٧، وأجبروه على الرجوع في ١٠ يونيو على أن يشرع في العمل على استعادة الأرض المحتلة.

كانت البداية، عندما أصدر عبد الناصر قراراً جمهورياً في ١١ يونيو ١٩٦٧ بتعيين الفريق محمد فوزى قائداً عاماً للجيش المصري. وعند لقائه في نفس اليوم، تم اختيار الفريق عبد المنعم رياض رئيساً لأركان الحرب، والفريق مذكور أبو العز قائداً للقوات الجوية، والفريق فؤاد أبو ذكري قائداً للقوات البحرية.

وختم عبد الناصر اجتماعه الأول معه قائلاً: "أمامك ثلاث سنوات لتسلمنى القوات المسلحة الحديثة القادرة على عمل معركة تحرير الأرض المغتصبة في يونيو ١٩٦٧". وأخذ عبد الناصر على عاتقه عملية إعادة تسليح الجيش.

ومع أول عمليات عسكرية، يمكن تقسيم المدة التي حددها عبد الناصر لإعداد القوات المسلحة للحرب الشاملة إلى مرحلتين.. الأولى: مرحلة الصمود والدفاع النشط لمدة سنتين، والثانية: مرحلة التحدى والردع، وبدأت في ١٩٦٩.

### المرحلة الأولى: الصمود والدفاع النشط:

يوم ٨ يونيو قبل عبد الناصر قرار مجلس الأمن بوقف إطلاق النار؛ فلم يكن أمامه خياراً وإلا يكون اليهود في القاهرة بعد ساعات لأنهم كانوا قد وصلوا إلى القنطرة شرق قناة السويس! وأثناء اجتماعه مع بومدين في القاهرة في ١٠ يوليو ١٩٦٧، قال عبد الناصر مبرراً قراره: "سنقاتل بماذا؟! ليس لدينا مقاومة شعبية، وبلدنا مفتوحة"<sup>(١)</sup>!

وفى واقع الأمر، كان الوضع الدفاعي غرب قناة السويس في مواجهة القوات الإسرائيلية التي وصلت إلى شرقها صعباً جداً؛ جيش مهزوم، انسحاب من سيناء بدون خطة تركت فيها معداته، قوات جوية ومطارات مدمرة تماماً، فما الذى حدث؟

---

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع بومدين، القاهرة ١٠/٧/١٩٦٧.

وقف الجندي المصري على الشاطئ الغربى للقناة، ومعه سلاحه الشخصى - البندقية - وبدأ يتجمع حوله جنود آخرون، فى الوقت الذى وقف فيه الفريق فوزى ينادى بنفسه على الجنود عبر الميكروفون فى القرى والمدن بالتوجه الى معسكرات التجميع ثم الى منطقة القناة. وقد بدأت حرب الاستنزاف بتراشقات محدودة مع القوات الاسرائيلية، ولم يبدأ تخطيط منطقة دفاعية على الضفة الغربية لقناة السويس إلا بعد فترة ثلاثة أسابيع من العدوان الاسرائيلى، وهو ما يتفق مع تاريخ معركة رأس العش التى حدثت دفاعا عن النفس، وانتصرت فيها القوات المصرية حيث منعت الاسرائيليين من احتلالها.

وكانت أول خطوة من ناحية الصمود، استخدام مدفعية الميدان وهو السلاح القوى الذى كان فى أيدى المصريين فى ذلك الوقت، ثم كانت الأعمال الفردية بالعبور من الجانب الغربى لقناة السويس الى الجانب الشرقى التى تزايدت مع الوقت؛ بهدف تفجير مخازن الذخيرة التى خلفت فى سيناء على الجبهة الشرقية للقناة، وكذلك إعطاب الدبابات المصرية التى تركت سليمة بعد قرار الانسحاب غير المنظم للجيش المصرى فى ٦ يونيه، ثم الاشتباك مع أفراد الجيش الاسرائيلى هناك. أما فيما يتعلق بالقوات الجوية، فقد نجا الطيارون المصريون من الهجوم الاسرائيلى على المطارات الحربية الذى تم فى صباح ٥ يونيه. وفورا أمر الرئيس بومدين بوضع ٤٠ طائرة ميج ١٧ تحت تصرف القوات الجوية المصرية، قاده الطيارون المصريون من الجزائر وغطوا بذلك فجوة هائلة فى الدفاع المصرى.

وفعلا فى يوم ١٤، ١٥ يونيه، استطاعت هذه الطائرات أن تواجه الطائرات الاسرائيلية التى كانت تستطلع شرق قناة السويس وتدخل الى الدلتا، وحدثت اشتباكات ساهمت أيضا فى رفع الروح المعنوية للطيارين المصريين.

#### ١- تحدى إعادة تسليح الجيش المصرى وسط المعارك:

لقد كان أمام عبد الناصر وضعاً عصيباً جداً، فبعد أن دمر الطيران الاسرائيلى كل المطارات المصرية صباح يوم ٥ يونيه، بدأ ضرب وحدات الجيش فى سيناء بالطيران.. المدافع والدبابات والعربات، وبعد قرار الانسحاب حدثت فوضى. فوجد عبد الناصر نفسه فى وضع يكاد يكون مستحيلاً.. سيناء محتلة والقوات الاسرائيلية رابضة على جبهة قناة السويس، الجيش خسر معداته، القوات المسلحة معنوياتها منخفضة جداً، وحتى الدفاع عن الجمهورية متعذراً وأصبح الطريق مفتوحاً أمام القوات الاسرائيلية للتقدم الى القاهرة!

## أ- الاتحاد السوفيتى المصدر الوحيد للسلاح:

منذ البداية، كان عبد الناصر مدركا أن مصر وحدها لن تستطيع مواجهة اسرائيل التي تحالفت مع الولايات المتحدة قبل وبعد العدوان، وأعطتها كل المعونة الفنية والمالية والمعدات والمتطوعين. وكان لا بد من جذب الاتحاد السوفيتى الى جانبه؛ حتى يضمن تسليح وتدريب الجيش المصرى الذى انتهى عمليا ومعنويا بالعدوان الاسرائيلى<sup>(١)</sup>.

ومما شجع عبد الناصر فى هذا الاتجاه، أن فى يوم التتحي فى ٩ يونيه أرسل له كل القادة السوفييت - برجنيف وكوسيجن وبادجورنى - رسالة يطالبونه بالاستمرار فى منصبه، فطلب عبد الناصر من الروس تعويض مصر عن كل الأسلحة التي فقدت أثناء العدوان. وحضر الى مصر المارشال زخاروف رئيس الأركان السوفيتى، ومعه بعثة لبحث احتياجاتها. كما حضر الى مصر الرئيس بادجورنى فى ٢١ يونيه، وأبدى استعداداه للمساعدة بكل الوسائل، ووافق على كل الطلبات المصرية من الأسلحة السوفيتية والمستشارين السوفييت لتدريب أفراد الجيش المصرى على استيعابها. وكان تركيز عبد الناصر بالدرجة الأولى على تسليح القوات الجوية، وطلب طائرات قاذفة مقاتلة طويلة المدى، "وإلا اسرائيل تستطيع أن تضرنا ونحن لا نستطيع؛ فعندنا طيارين بدون طائرات"<sup>(٢)</sup>! كما طالب عبد الناصر بتقوية الدفاع الجوى؛ حتى لا تعبر القوات الاسرائيلية قناة السويس وتتجه الى القاهرة. وكانت اسرائيل فى نفس الوقت يصلها يوميا طائرات جديدة وطيارين متطوعين يهود من الولايات المتحدة.

وبدأ الاتحاد السوفيتى يرسل الطائرات حتى أصبح لدى مصر منها أكثر من الطيارين! كذلك كانت عملية إعادة تسليح الجيش المصرى تجرى يوميا، ووصل عدد الدبابات الى ٦٠٠، وكان المفقود كل الدبابات ورجع فقط حوالى ١٥٠ دبابة! ولكن عبد الناصر كان مدركا أن العملية ليست عدد الأسلحة وإنما درجة تدريب من يستخدمونها. وبالطبع كانت الروح المعنوية منخفضة جدا وتجري محاولات بكل الوسائل لرفعها<sup>(٣)</sup>.

وقد وصل الأمر فى دفته الى أنه حتى بالنسبة لتنظيم المقاومة الشعبية لم توجد أسلحة بتاتا، وأصبح الروس يرسلون الى مصر أسلحة بالطائرات؛ فتأتى طائرة الى القاهرة كل ١٠ دقائق محملة بالمعدات.

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسى، ١٦/٦/١٩٦٧.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع بادجورنى، القاهرة، ٢٣/٦/١٩٦٧.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٧/٦/٢٠.

وكان من رأى عبد الناصر فى هذه الفترة، أن "توطى راسنا شوية الى أن يأتى الينا كمية من الأسلحة، ونسكت ولا نعبئ، ويبدو علينا أننا تلقينا ضربة مدوخانا، ولا نعبئ إعلام ولا شئ.. لنظل ساكتين! وأول ما تقف قواتنا على رجلها قليلا ونعرف أننا قادرين على الدفاع جوبا عن غرب القناة، وعندنا من الأسلحة ما يكفى وكذلك الدفاع الجوى، نبدأ العمل". ثم قال عبد الناصر: "لا يمكن أن أتحدث عن تحرير سيناء وأنا لست واثقا من الدفاع عن القاهرة!... أنا الذى طلبت إنارة القاهرة، على أساس أقول لهم: الحرب انتهت ومنتظرين الأمم المتحدة"<sup>(١)</sup>!

وشرح عبد الناصر لباجورنى مدى صعوبة الموقف العسكرى، فليس بين جبهة قناة السويس والقاهرة إلا ١٠٠ كم! وفى نفس الوقت هو يبدأ فى تشكيل جيش جديد تماما يعطى له الجزء الأكبر من وقته.

ومن خطورة الظروف التى كانت تمر بها مصر فى ذلك الوقت، طلب عبد الناصر من باجورنى دفاع جوى سوفيتى أو مشترك تكون فيها القيادة والتنظيم سوفيتية. وقال: "هل أحد كان يتصور أن يحدث هذا فى يوم من الأيام؟! ما كنت أصدق.. لكن الحاجة"<sup>(٢)</sup>! وعموما أرجأ باجورنى البت فى هذا الطلب حتى يستشير القيادة السوفيتية، ولم تتم الموافقة! وقالوا: "طيارينا يتكلمون الروسية، وهذا يحدث خلا، كما أن القاهرة بعيدة، ومشكلة التمويل على هذا البعد خطيرة، وأن وجود الروس بهذه الطريقة قد يتسبب فى حرب عالمية ذرية!

### ب- مواجهة وقف التسليح السوفيتى:

وللأسف فإن طلبات عبد الناصر لم يستجاب لها من جانب السوفييت، الذين تغير موقفهم من تسليح مصر تماما بعد اللقاء الأول بين جونسون وكوسيجن فى جلاسبورو من ٢٣ - ٢٥ يونيو ١٩٦٧<sup>(٣)</sup>. وقد تناولت هذه المباحثات الى جانب أزمة الشرق الأوسط حرب فيتنام والحد من الأسلحة النووية، وركز جونسون على موضوع منع إرسال السلاح الى الشرق الأوسط، ورددته عدة مرات!

(١) المرجع السابق.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع عبد الرحمن عارف ويومدين بعد زيارتهما الى موسكو، القاهرة ١٨/٧/١٩٦٧.

(٣) Glassboro, New Jersey, June 23 - 25, Johnson & Kosygin, OP. Cit.

ورغما عن الاختلاف الصريح بين موقف المجتمعين فى جلاسبورو حول انسحاب اسرائيل من الأراضى التى احتلتها وشروطه، إلا أنهما اتفقا على التعاون لمنع اندلاع الحرب مرة ثانية فى الشرق الأوسط، وعدم إعطاء الفرصة لخطر المواجهة العسكرية بين القوتين الأعظم<sup>(١)</sup>.

لم يكن هذا اللقاء بين جونسون وكوسيجن فى مصلحة مصر على الإطلاق، وظهر تأثيره السلبى على سياسة الاتحاد السوفيتى فى تسليحها، فبعد أن تم استعاض السلاح المفقود أثناء العدوان الاسرائيلى بالكامل وبالمجان توقفت كل الطلبات الجديدة، واقتصر عمل السوفييت على التحرك السياسى فى الأمم المتحدة! وهنا تساءل عبد الناصر.. ما العمل!؟

أرسل عبد الناصر الى السوفييت، ألا يترددوا فى إرسال السلاح الى مصر ويتعدوا مرحلة عدم اتخاذ القرار هذه! وعلق متحدثا مع بومدين فى ١٠ يوليو ١٩٦٧، "إنهم خافين جدا يأخذوا قرارا، بل بالعكس يطالبونا الآن بتنازلات فى الأمم المتحدة يمكن أكثر من الأمريكان! فقد وصلت لنا من يومين مذكرة من اللجنة المركزية والحكومة السوفيتية، بأن نقبل كل ما تطالب به أمريكا واسرائيل!"

وكان رد عبد الناصر غاضبا عن طريق محمود رياض، "قل لهم يعملوا ما يريدون ونحن نعمل ما نريد!"

وفى هذه الأثناء، مارس الاتحاد السوفيتى على عبد الناصر ضغوطا قوية لم يخضع لها، فكانوا يرسلون تباعا معلومات مغلوطة عن قيام اسرائيل بعبور قناة السويس؛ وذلك لإجراجه ودفعه الى الموافقة على قرارات الأمم المتحدة التى يرفضها، وأهمها إنهاء حالة الحرب! ولك أن تتخيل مدى ما تعرض له عبد الناصر نفسيا وواقعا من سلوك الحليف الأول المخالف له، وكان يريد أن يكسب وقتا حتى يبنى القوات المسلحة؛ "فالجيش الذى بنى فى ١٠ سنوات ودمر، ليس من المعقول أن يبنى فى ٣ أشهر!"

وإزاء هذا الموقف المتشدد من جانب الاتحاد السوفيتى، كان رأى عبد الناصر، "يجب أن نلح على الروس، ونقبل رزالاتهم حتى يقفوا معنا ونناضل؛ لأن الحل الآخر أن نستسلم لأمريكا! كيف نقف وحدنا واسرائيل تأخذ كل شئ من أمريكا"<sup>(٢)؟!</sup>

---

(١) انظر أيضا:

Memo from Rusk to P. Johnson, Washington, Oct. 13, 1967, Exceptions to the

وكان ما يقلق عبد الناصر، أن اليهود لديهم طائرات أكثر من مصر ومداهما أبعد من مدى طائراتها، والطيار المصرى الذى يفقد لا يعوض بينما اليهود يعوضوه بالمتطوعين من الخارج. وفى نفس الوقت، يستطيع العدو أن يضرب كل مكان فى مصر وكل الخزانات والجسور والسكك الحديد والمطارات والموانئ.. الخ.

ووجد عبد الناصر نفسه فى مأزق أمام شعبه، "قالناس يتساءلون.. لماذا لا نرد على عمليات الهجوم الاسرائيلى؟! وهم لا يتصورون أن هذا الجيش الكبير وقع أو خِص.. انتهى كله؛ بحيث أننا يوم ٦ يونيه – إيقاف القتال – لم يكن عندنا على الضفة الغربية لقناة السويس ولا عسكري، وأرسلت قوات الحرس الجمهورى الى الإسماعيلية<sup>(١)</sup>!"

ومما زاد فى حرج الموقف العسكرى، أنه بوصول القوات الاسرائيلية الى الضفة الشرقية لقناة السويس، أصبحت مدن القناة فى مرمى المدفعية الاسرائيلية وبالذات السويس والإسماعيلية حيث أن عبد الناصر دعا وحدات من الأسطول السوفيتى الى التواجد فى بورسعيد حماية لأهلها.

إن الضفة الغربية لقناة السويس بسكانها ومنشآتها أصبحت رهينة للجيش الاسرائيلى، وهذا حتم بحث إجراءات الدفاع المدنى بها.

ولم يعدم عبد الناصر وسيلة فى إمداد الجيش بأحدث أجهزة الرادار، ولو دعا الأمر أن يشتريها من الدول الغربية بالعملة الصعبة، على أن يستخدمها المجندون من المتعلمين الذين انضموا للجيش بعد عدوان ٥ يونيه ١٩٦٧.

وعند رفض السوفييت إمداد مصر بالمدفعية المضادة للطائرات، بعد أن ذهب عبد المنعم رياض الى موسكو فى أغسطس ١٩٦٧، قال عبد الناصر: "سنشتري كل ما نريده، يجب أن نغطى الفجوات الموجودة بكل وسيلة". وكان يدرك أن السوفييت يريدون حلا سلميا وأن يصل الى حل وسط!

---

(١) مباحثات عبد الناصر مع عارف ويومدين، القاهرة، ١٩٦٧/٧/١٨، مرجع سابق.

وأصبح الموقف أكثر إحباطا، فعبد الناصر يستطيع أن يهاجم ويتعب اليهود جدا فى سيناء، ولكنهم سيضربون القاهرة! "بهذه الصورة لا نستطيع أن نتحرك، أى لا بد حتى ألا نغضب بل نسكت ونستحمل حتى نلم نفسنا بالنسبة للدفاع الجوى... نحن ليس عندنا رادار للطيران الواطى، ولم يصل حتى الآن، وطبعا اسرائيل عارفة هذا"<sup>(١)</sup>!

وكان عبد الناصر مدركا أن موضوع الدفاع الجوى ليس فقط القدرة على التصدى لطائرات العدو، لأن لا بد أن عددا منها سيعدى ويدخل الى نطاق مصر الجوى، إنما لا بد أن تكون القوات الجوية قادرة على ضربه مثل ما يضربها؛ فذلك هو ما يجعله يعمل حساب!

وقد انتقد عبد الناصر السوفييت، فعندما زار بادجورنى وزخاروف القاهرة فى يونيه ١٩٦٧، تكلموا عن زيارات للأسطول الروسى للاسكندرية، فوافق. أرسلوا وفدا عسكريا وطلبوا عمل اتفاقية فى هذا الموضوع، وتحدثوا مع لجنة عسكرية. ولكن عبد الناصر وجد أنها عبارة عن قاعدة للسوفييت؛ حق الدخول، ويتم الإخطار قبلها ب ٢٤ ساعة، ويريدون قشلاقات ومكان يقيمون فيه! طلب عبد الناصر السفير السوفيتى وبلغه رسالة.. "إن هذا الموضوع عبارة عن قاعدة، وإنما لا يمكن أن نوقع اتفاقية بهذا الشكل! أما موضوع الزيارات فتكون بشكل عادى؛ يقدموا طلب زيارة ونحن نوافق".

تضايق السوفييت من الرفض، وتم قفل هذا الموضوع كلية، وكان واضحا أن هذا قد يكون من الأسباب لبرود العلاقات بين البلدين<sup>(٢)</sup>.

وقرر عبد الناصر الضغط على السوفييت، بتهديدهم أنه إذا لم تحصل مصر على حل سياسى مشرف ستدخل الحرب، وهم لا يريدونها؛ ففى حالة خسارتها من الجانب المصرى إذا لم يتدخلوا، وضعهم سيسوء فى المنطقة.

ولكن فى نفس الوقت كان عبد الناصر حريصا على طلب الخبراء العسكريين السوفييت، "فهو ضرورة، ولا بد أن نستفيد ونتعلم منهم"<sup>(٣)</sup>. ونظرا لسوء معاملة خبراءهم العسكريين وعدم تمكينهم من القيام بعملهم على الوجه الأكمل قبل العدوان، ووجود عناصر فى القوات المسلحة المصرية مازالت تعادى هؤلاء الخبراء وتعرقل عملهم، فقد طلب عبد الناصر من كبير هؤلاء الخبراء أن يتصل به مباشرة فى أى مشكلة.

(١) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ٣٠/٧/١٩٦٧.

(٢) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٧/٩/١٩٦٧.

(٣) المرجع السابق.



ولم يعد عبد الناصر وسيلة للضغط على الاتحاد السوفيتى ليرسل طلباته من السلاح؛ الإلحاح من القاهرة، إرسال الرسميين الى موسكو.. عبد المنعم رياض، على صبرى، أمين هويدى.

وعندما طلب عبد الناصر إرسال طائرات الميج ٢٥ ولم يوافق السوفييت إلا على الميج ٢١، حدثت مشادة بين قادة الطيران المصريين والمارشال زخاروف فى القاهرة، وقال لهم: "اشتروا من مكان آخر!" وهنا كانت المشكلة؛ فمصر تأخذ السلاح من الاتحاد السوفيتى بدون أن تدفع ثمنه أو بالتقسيط، وأعطوها أحسن قاذفات TU16، وأصبح لديها طائرات مثل ما قبل ٥ يونيه ١٩٦٧، بل عندها طائرات دون طيارين<sup>(١)</sup>.

كما أن الجيش المصرى كان يحتاج الى عربات جنزير وجرارات للاستخدام فى سيناء بالذات، "والغريب أن السوفييت لم يوافقوا وقالوا: ليس عندنا!" فاتجه عبد الناصر الى شراء بعض الأسلحة الخفيفة بالعملة الصعبة من سويسرا وبولندا<sup>(٢)</sup>، وبلجيكا، ولكن أوقفوها فى آخر وقت<sup>(٣)</sup>! فقرر تصنيع بعض المعدات الحربية والذخيرة محليا.

## ٢- رد فعل تدمير المدمرة الاسرائيلية "إيلات":

عندما ضربت زوارق الصواريخ المدمرة الاسرائيلية "إيلات" وأغرقتها فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٧، لم يصدق عبد الناصر الخبر، وقال: "قولوا قطعة بحرية! واليهود لو ضربنا لهم مدمرة لن يقدروا أن يخفوها... إنها أول مدمرة نغرقها فى التاريخ! وخاصة وأن اليهود واقعون تحت تأثير أن المصريين لا يقدرون أن يستخدموا الأسلحة الموجودة عندهم، وأن السلاح الروسى موجود فى يدين لا يمكن أن تستعمله!"

(١) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٠/٨/١٩٦٧.

(٢) محضر اجتماع عبد الناصر مع أنديرا غاندى، القاهرة، ١٠/٢٠/١٩٦٧.

(٣) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ٩/٣/١٩٦٩.

وكانت المدمرة "إيلات" على بعد ١٠ ميل من الشاطئ المصرى، وتقوم بنفس المهمة السرية مثل السفينة "ليبرتى" الأمريكية التى أغرقتها إسرائيل خطأ أثناء العمليات الحربية فى ٨ يونيه ١٩٦٧<sup>(١)</sup>. وقد رفع هذا الإنجاز الروح المعنوية فى البلد<sup>(٢)</sup>، "بل إن الخبراء السوفييت فى مصر كانوا فى منتهى السعادة؛ فبعد هذه العملية الدنيا كلها ستشترى منهم قوارب الصواريخ". وفى نفس الوقت، بدأ هذا الانجاز يثير أسئلة فى إسرائيل حول دوافع مصر وتقدمها التكنولوجى، والى أى مدى التورط السوفيتى معها، وهل يشعر المصريون أنهم يعملون تحت ستار الحماية السوفيتية؟ وأثناء وجود أبا إيبان فى واشنطن، نقل شكوكه الى الأمريكان، وركز على أهمية موافقة الولايات المتحدة سريعا على مطالب إسرائيل من الطائرات<sup>(٣)</sup>. وفعلا عوضوا ٤٨ طائرة<sup>(٤)</sup>.

### ٣- استكمال الدفاع عن غرب قناة السويس:

وفى ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧، كان عبد الناصر سعيدا وهو يعلن للوزراء أن مصر قد استكملت عملياتها الدفاعية، وأصبح فى إمكانها أن تمنع اليهود من عبور قناة السويس والتقدم الى القاهرة. واستمر عبد الناصر فى بناء القوات المسلحة، من أجل تحويلها من الدفاع الى الهجوم لتحرير الأرض المحتلة، ولكن ظلت الدفاعات الجوية فيها مشكلة كبيرة جدا لأن الإنذار أصبح دقيقة واحدة، بينما حتى تصل الطائرات المصرية الى تل أبيب يجب عبور سيناء كلها! وحتى أواخر ١٩٦٧، أعطى السوفييت مصر طائرات TU16، ولكن الطيارون المصريون كانوا يريدون طائرة بعيدة المدى وأسرع، وهذا رغما عن أن الطائرة السوخوى عمل عليها تعديلا فى مصنع الطيران فى مصر ونجح؛ فزاد مداها ١٢٠ كم، كما زاد تسليحها وفاعليته.

---

(١) Memo of Conversation, Washington, Oct. 24, 1967, the ME: the President, Rostow, Battle, Eban, Herman, Evron.

(٢) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ٢٢/١٠/١٩٦٧.

(٣) Memo of Conversation, Washington, Oct. 23, 1967.

(٤) Notes of meeting, Washington, Oct. 23, 1967, the President, Rusk, MacNamara, Rostow, Christian, Wheelles.

وكان عبد الناصر يلح على المستشارين السوفييت في التدريب، فالعملية ليست طائرة فقط إنما هي إدارة العمليات الحربية، وخاصة وأن اليهود ظلوا متفوقين على المصريين في الناحية الجوية، ومعلوماتهم عن كل صاروخ معروفة، وهو ما اتضح من الخرائط التي وجدت مع الأسرى<sup>(١)</sup>. إن الوضع الهجومي في مصر ظل يواجه صعوبة كبرى، وهي ضرورة عبور قناة السويس لتحرير سيناء، وهي عملية معقدة جدا تحتاج الى معدات، وهو ما كان مستحيلا في ذلك الوقت؛ فإذا بدأت المعركة على الجبهة بالمدافع كانت القوات المصرية تستطيع أن تسبب لهم خسائر كثيرة، لكنهم كانوا يضربون من الجو على المدنيين في السويس والإسماعيلية، وتفقد كثير من الأرواح معظمها من الأطفال والكبار في السن.

وكان عبد الناصر يرى أن السبيل الوحيد لإيقاف ضرب المدنيين هو الانتقام بضرب مدنيين إسرائيليين، ولكن المشكلة أن العدو يضربهم بالمدفع ومصر لا بد أن تستخدم الطائرة! وأصر عبد الناصر أن يكون فيه تنسيق مع سوريا في هذا المجال وتوحيد الجهود، وإلا ستفرد إسرائيل بكل دولة على حدى وتضربها ثم تضرب الثانية! واقترح عبد الناصر أنه بالنسبة للطيران، تطلع الطائرة من مصر ثم تنزل في سوريا تمول وترجع الى مصر؛ بذلك يستطيع الطيران المصرى أن يطول بمقتل كل مكان في إسرائيل، وهذا يحقق انقلابا في الاستراتيجية العسكرية كلها، ويعوض النقص في قصر مدى الطائرات المقاتلة المصرية<sup>(٢)</sup>.

وعندما أثير موضوع الحرب واسترداد الأرض المحتلة في أواخر ١٩٦٧، كان رأى عبد الناصر "أن العمليات العسكرية الواسعة مازالت تحتاج الى وقت في اختيار القيادات وتدريب الجنود. وهنا يجب أن نعتمد على أنفسنا كلية، ونعتمد على السوفييت في أن يعطونا الأسلحة التي نريدها بالأجل"، ثم قال: "وهنا أتذكر خطاب تشرشل بعد معركة دانكرك عندما قال: "نحن عبارة عن صدفة فقدت غطاءها، ولا بد لنا أن نتوقع ونقعد حتى تربي الصدفة الجديدة". واستطرد عبد الناصر قائلاً: "يجب أن نحول عامل الوقت لكي يكون في صالحنا، لأنه سيتضح أننا كل يوم نزيد فيه. ولا بد أن نستخدم الميزة التي عندنا وهي العامل البشرى... إذاً من المصلحة ألا نصعد... وإن كان ليس أمامنا سبيل إلا أن نحارب، متى؟ نحارب ونحن متيقنين كل اليقين أننا نستطيع أن نكسب المعركة إن شاء الله"<sup>(٣)</sup>.

(١) محضر اجتماع عبد الناصر مع يوسف زعين، القاهرة، ١٠/٢٣/١٩٦٧.

(٢) محضر اجتماع عبد الناصر مع يوسف زعين، القاهرة، ١٠/٢٤/١٩٦٧.

(٣) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١١/٥/١٩٦٧.

#### ٤- تهجير المواطنين من السويس والإسماعيلية:

منذ بداية التراشق المدفعى بين القوات المصرية على الضفة الغربية لقناة السويس والاسرائيليين على الجانب الآخر، كان تأمين هذه الجبهة فى مقدمة انشغال عبد الناصر. لقد أصبح المدنيون فى السويس والإسماعيلية وبورسعيد فى مرمى النيران الاسرائيلية؛ مما قيد عمليات هجوم القوات المصرية على الضفة الشرقية للقناة.

وكان عبد الناصر يقول: "نحن ممسوكين من رقبتنا بواسطة سيطرة اسرائيل على السويس والإسماعيلية، وبمدافع الهاون يقدرها يعملوا خسائر كثيرة. فالسويس بها ١٠٠ ألف مواطن والإسماعيلية ١٥٠ ألف"<sup>(١)</sup>! وكان كشف القتلى والشهداء اليومى يصل الى الفريق فوزى، وبه المدنيين أكثر من العسكريين بأعداد كبيرة!

وعلى هذا الأساس قرر عبد الناصر إخلاء السويس والإسماعيلية، وتنظيم عملية تهجير سكانها الى خارج منطقة القناة، بالإضافة الى عمل تدابير وقاية للمناطق الصناعية والحيوية الموجودة فى هذه المنطقة.

وبالنسبة لمصنع تكرير البترول فى الزيتية بالسويس، فقد طلب عبد الناصر تجهيز خطة عمل فى حالة ضربه، والاستعداد لضرب البترول الاسرائيلى ومدينة إيلات كرادع، وإذا ضرب مدنيين نستعد لضرب مدنيين عنده.

وما شجع عبد الناصر على الانتقام هو أن الجيش أصبح فى وضع أحسن فى أواخر سبتمبر ١٩٦٧، والأسلحة أصبحت تصل باستمرار، والقوات المسلحة فى اليمن بدأت ترجع<sup>(٢)</sup>.

---

(١) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٠/١/١٩٦٧.

(٢) المرجع السابق.

## ٥- استدعاء القوات المصرية من اليمن:

كان من الطبيعي أن تبدأ مرحلة إعادة بناء القوات المسلحة بعد العدوان الاسرائيلي بأن تستدعى القوات المصرية من اليمن؛ قوة كبيرة من الجيش - ٣٠ ألف من القوات أى فرقتين كاملة التسليح، وقوة من الدبابات - فضلا عن أن الضباط والجنود كانوا بعيدا عن الهزيمة ومعنى ذلك أن روحهم المعنوية لم تتأثر كثيرا.

وشرح عبد الناصر معضلة اليمن فى لقائه مع بومدين فى ١٠ يوليو ١٩٦٧، فقال: "السؤال.. هل نترك اليمن؟ نحن فى أشد الحاجة الى القوات الموجودة هناك؛ لأنها القوات الصلبة الباقية، ولو نحضرهم نقدر نوقف اليهود عن غرب القناة.. لا يعدوا. هل أترك اليمن لأدافع عن القناة؟"

وأجاب عبد الناصر فى نفس الجلسة، "رأى أن لا نترك اليمن أبدا، ونساعد حركة تحرير الجنوب العربى... فإذا سلمت اليمن لفیصل معنى هذا أن خطة أمريكا نجحت؛ التى تستهدف اليمن والجنوب العربى وعدن والخليج وهنا وكله.. إذا سلمت اليمن يكون ذلك أول ثمرة أخذوها من العدوان. الثمرة الثانية عدن والجنوب؛ لأن بعدها حركة التحرير فى اليمن والجنوب تنتهى، فهى أساسا تغذى من تعز"<sup>(١)</sup>.

وكان عبد الناصر قد وصل فى التنازل فى قضية اليمن الى أقصى ما يمكن؛ يلغى اسم الجمهورية وتسمى دولة، الحكومة تشكل من الجمهوريين والملكيين ولكن الثلث للملكيين والثلثين للجمهوريين، الموافقة على طلبهم ثلاثة أخماس جمهوريين والخمسين للملكيين، ثم قالوا: النص بالنص.. وافق لكن لا يلغى اسم الجمهورية. طلبوا انسحاب الجيش المصرى فى ٩ أشهر.. تمت الموافقة، أمام ذلك تنسحب عائلة حميد الدين ولا تدخل اليمن.. رفضوا! وافق على أنه لما يخرج نص الجيش المصرى تنسحب.. رفضوا، وحشدوا مرتزقة وطائرات وصواريخ هوك"<sup>(٢)</sup>!

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع بومدين، القاهرة، ١٠/٧/١٩٦٧، مرجع سابق.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع الأتاسى وعارف وبومدين، القاهرة، ١٤/٧/١٩٦٧.

وبما أن الإنجليز أعلنوا أنهم سيتركون منطقة جنوب الجزيرة العربية في ٩ يناير ١٩٦٨، فقد قرر عبد الناصر ألا يعلن انسحاب كامل القوات المصرية من اليمن قبل هذا التاريخ؛ "حيث أنه إذا استفرد الإنجليز بالوطنيين في الجنوب، سيذبحوهم كلهم"<sup>(١)</sup>.

ومما أكد كلام عبد الناصر، أن القتال في اليمن لم يتوقف حتى بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧، وكان من الواضح - كما سبق ذكره - أن فيصل لا يريد إنهائه كعامل ضغط مادي وعسكري على عبد الناصر أملا أن يؤدي في النهاية إلى إسقاطه<sup>(٢)</sup>. وقد بدأت بعض القوات المصرية ترجع من اليمن في شهر أكتوبر ٦٧.

وبعد العدوان، كان استمرار الصراع في اليمن محل مناقشة واسعة بسبب الحاجة إلى القوات المصرية الموجودة فيه، فقال عبد الناصر: "لا يجب أن نندم على عملية اليمن.. ظروف ١٩٦٢ فرضتها. عندنا خسائر مالية وبشرية، ولكننا عملنا الكثير في شبه الجزيرة العربية من وجهة النظر الثورية؛ سواء في اليمن أو الجنوب أو السعودية نفسها..."

لقد حققنا أهدافا كبيرة جدا بالنسبة لليمن والجنوب؛ بالنسبة لليمن إنتهت الإمامة، ولن يكون اليمنيين تحت النفوذ السعودي. بالنسبة للجنوب انجلترا ستخرج منه، ونحن الذين عملنا الجبهة القومية"<sup>(٣)</sup>.

وفي أول مواجهة لعبد الناصر مع الشعب بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ في الذكرى ١٥ لثورة ٢٣ يوليو، صرح الجماهير بكل الحقائق العسكرية والاقتصادية والسياسية، وعدد التغييرات التي أحدثها منذ توليه السلطة في ١١ يونيو، وقال: "هناك مبدأ أساسى أومن به: ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة". وختم بأن قال: "إننى أثق أن أجيالا قادمة سوف تلتفت إلى هذه الفترة وتقول: كانت تلك من أفسى فترات نضالهم؛ لكنهم كانوا على مستوى المسئولية، وكانوا الأوفياء بأمانتها"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) الفصل الخامس من الكتاب.

(٣) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٩٦٨/١/٨.

(٤) خطاب عبد الناصر، ١٩٦٧/٧/٢٣.

## ٦- بدء تطوير الجيش المصرى للهجوم:

ومع عام ١٩٦٨، توصل عبد الناصر الى عقد اتفاق مع السوفييت بشأن التسلح، وقدم اليهم مطالب مصر لتطوير قدرة جيشها الى الهجوم. وكرر حاجة الجيش الى طائرات مطاردة جديدة؛ فالميج ١٧، ١٩، ٢١، والسوخوى ٧ كلها قصيرة المدى، لا يمكنها الوصول الى كل اسرائيل. هذا بينما الطائرات الفرنسية الميراج والهوك الأمريكية التى لدى اسرائيل، تستطيع أن تبلغ كل المطارات المصرية، وكانت هذه إحدى مشاكل التسليح الرئيسية<sup>(١)</sup>.

وقد عاود السوفييت تلبية مطالب الجيش المصرى من السلاح، إلا أنهم بعد أن كانوا مستعدين لإرسال طائرات مع طيارين، تراجعوا، وكرروا.. "هذا يدخلنا فى تعقيدات دولية!" ورغم أن أنه أصبح لدى الجيش المصرى طائرات تقدر تواجه اليهود، ولديه المدافع المضادة للطائرات التى لم تكن موجودة، ومتعلمين تولوا هذه العمليات وتم تدريبهم على يد الخبراء السوفييت، إلا أنه حتى يمكن الرد على اسرائيل كان لابد أن يكون هناك تعادل فى القوات الجوية، وهذا كان يحتاج الى وقت.

وبعد إلحاح عبد الناصر، وافق السوفييت على إن الخبراء الموجودين فى القوات الجوية ممكن أن يشتغلوا وقت اللزوم كطيارين. كان موجود ٥٦ خبير طيران، طلب عبد الناصر زيادتهم، ولكن لم يوافقوا!

وكان رأى عبد الناصر "إن وصول طيارات مع طيارين سوفييت الى هنا من الناحية السياسية - حتى ليس من الناحية العسكرية - يظهر للأمريكان أن الروس أخذوا موطئ فى المنطقة، والواقع أن ذلك ليس حقيقيا لأن بعد أن تنتهى المعركة سيرحلون".

وفى نفس الوقت، بدأ السوفييت فى إرسال الكبارى لعبور قناة السويس، ووصل جزء منها فعلا، كما اتجهت مصر الى تصنيع هذه الكبارى، وإن كان هذا يحتاج الى وقت.

---

(١) محضر مباحثات عبد الناصر وتيتو، ١٩٦٨/٢/٥.





## أ- وضع القوات المسلحة المصرية بعد عام من العدوان الاسرائيلي:

لقد كان عبد الناصر يرى ضرورة تأجيل العمليات العسكرية حتى يكتمل التسليح، وهذا معناه الانتظار حتى سنة ١٩٧٠. وتوقع أن الأوضاع الداخلية ستتعب جدا إذا ترك اليهود على بعد ١٠٠ كم من القاهرة كل هذا الوقت<sup>(١)</sup>!

وقال عبد الناصر: "المرحلة الحالية هي لا سلم ولا حرب، وهذه مرحلة صعبة؛ فلو سلام تستقر الأمور، ولو حرب أقدر أعبى. إن تعبئة البلد بالوضع الذى نحن فيه ليس سهلا أبدا"<sup>(٢)</sup>. وأخيرا فى أواخر إبريل، وافق الاتحاد السوفيتى على إعطاء مصر ١٢٠ طيارا على شكل خبراء. وهؤلاء ساهموا فى حل مشكلة كبيرة حيث كانت الطائرات موجودة فى المخازن، والطياريون لن يتموا تدريبهم قبل إبريل ١٩٦٩<sup>(٣)</sup>!

ولم تكن مشاكل الجيش التى واجهت عبد الناصر تقتصر فقط على التسليح والتدريب، وإدارة العلاقات بين الخبراء وقيادات القوات المسلحة، بل تعدى ذلك الى تأمينه. فلقد اكتشف داخله تنظيما للإخوان المسلمين فى إبريل ١٩٦٨ نتيجة لتبليغ أحد الضباط. وحدثت اعترافات من الضباط المتورطين، واتضح أنهم متصلين بمدنيين وهم الذين حرضوا على عمل التنظيم والقيام باغتيالات. وكان عبد الناصر حاسما فى مواجهة هذه العملية، وقال: "لا يمكن أن نسمح باللعب فى داخل الجيش!" وتمت مباشرة العملية طبقا لقانون الأحكام العسكرية، بعد أن قبض على ٩ ضباط، ٤ مدنيين، وضابط فى المعاش<sup>(٤)</sup>.

وقد قال عبد الناصر فى جلسة مجلس الوزراء، فى ١٥ يوليو ١٩٦٨: "القوات المسلحة ستظل فيها باستمرار عمليات معادية؛ لأن من ١٩٥٢ حتى اليوم مئات المؤامرات حدثت، ونتيجة للحرب فهى ليست متماسكة"<sup>(٥)</sup>!

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٤/٧.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/١٢/١٠.

(٣) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٥/٥.

(٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٤/٢٨.

(٥) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٧/١٥.

وفيما يتعلق بالقوة البحرية المصرية، فكانت أكثر من قوة إسرائيل في البحر الأبيض وجاهزة للعمليات، ولكن المشكلة هي حماية الأسطول من الطيران.. الحماية الجوية. وعلى هذا فكان الأسطول يخرج للتدريب والمرور، ولكن لا يخرج للعمليات أو دوريات قتال، وقد اشترك في مناورة مع الأسطول السوفيتي<sup>(١)</sup>.

أما عن الطيران، ففي شهر يوليو ١٩٦٨ أصبح لدى مصر ٢٧ مطارا - وكانوا ٩ - ولكن المشكلة كانت نقص المعدات الفنية الأرضية. واستمر إنشاء مطارات جديدة؛ فإسرائيل لديها ٥٤ مطارا وممر ميداني حربي.

وأصبحت جميع الطائرات المصرية في ملاجئ خرسانية فوق الأرض، وبدأت تجارب لملاجئ تحت الأرض غير ظاهرة لتكون غير قابلة للضرب. وقد تم تحويل طريق مصر/ اسكندرية الى ممرات للطائرات؛ في أى وقت يقفل ويستخدم للأغراض الحربية.

إذاً بعد عام من العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيه ١٩٦٧، أصبح الوضع في الجيش أحسن كثيرا، والتدريب جيد جدا، ورغمما عن نقص بعض المعدات لتجعله خفيف الحركة، إلا أنه من الناحية الدفاعية أصبح جيدا.

ولكن من الناحية المعنوية، ظل عبد الناصر يواجه السؤال.. متى؟! متى؟! فالعسكريون يقولون: إذا لم ندخل معركة لا نستطيع أن نلبس الكاكي لمدة ٥٠ سنة!

لقد خسرت مصر بعد العدوان الاسرائيلي كل شئ، وبنى جيش جديد وأصبح لديها - من حيث الحجم - قوات أكثر مرة ونصف من قبل ٥ يونيه.

وكان عبد الناصر يتبع سياسة شدة مع القوات المسلحة حتى يتلافى التراخي الذي حدث فيه منذ ١٩٦٢. وكان في زيارته للجبهة يسأل العساكر عن معاملة الضباط لهم، ويطلب إجازات للعساكر مثل الضباط. ويقول لهم: لابد أن تتدربوا وستمكثون في المواقع سنة أو اثنين أو ثلاثة بعيدين عن أهاليكم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع برجنيف، ١٩٦٨/٧/٥.

(٢) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٨/١١/١٢.

ووصل اهتمام عبد الناصر بالتفاصيل فيما يتعلق بالجيش، أنه فى رحلة للجبهة على طول خط قناة السويس طلب أن يذهب الى المطبخ، ولاحظ أن العساكر ليس لديهم لبس شتوى! وفى كل مكان يجمع العساكر ويسألهم عن الأكل، وهل يوجد ماء ساخن فى الحمامات؟ فكانت الإجابة.. لا! ويستقهم عن مشاكلهم العائلية ويحلها. وكان يرى أنه بهذا يضع فى العساكر روح القتال والاهتمام<sup>(١)</sup>. وأحضر عبد الناصر فى منزله ضباطا من الذين كانوا فى الدوريات شرق قناة السويس والذين كانوا فى سيناء لمدة شهر وشهرين، وكذلك الطيارين - ٣٤ ضابطا - واجتمع بهم. وكان حديثهم الآتى: أولا: لا يريدون الخبراء الروس! أجاب عبد الناصر.. "تفعوا أم لا؟! ثم قال: "بن جوريون يقول: لابد أن نعتمد على أمريكا، وقبل كل شئ لابد أن يكون فيه دولة كبيرة نعتمد عليها! نحن أيضا لابد أن تكون فيه دولة كبيرة نعتمد عليها، إذا الروس لم يعطونا سلاح ماذا نفعل!؟!"

وقد أصبح الموقف على جبهة قناة السويس كالأتى: دائما فى الخنادق، واحتياطى فى الخلف؛ وذلك لأن السيطرة الجوية ظلت مع اليهود مما يعطيهم قوة الحركة والمانورة، كما أنهم كانوا جادين فى تحسين دفاعاتهم شرق قناة السويس وعمل نقاط عسكرية وسور من الرمل.. وهو ما أطلق عليه فيما بعد "خط بارليف".

وأثناء زيارة عبد الناصر لموسكو فى يوليو ١٩٦٨ لطلب المزيد من السلاح، قال لهم: "أنتم تعرفون ماذا عند اسرائيل، ونحن نترك لكم تقدير القوة اللازمة لمواجهةها المصرية. نحن لن نحارب إلا إذا اتفقنا معكم".

وأضاف عبد الناصر، "يجب أن تكون الأسلحة التى لدينا هى مثل اسرائيل - بل أكثر منها - وهذا يتطلب وقتا وتدريباً"<sup>(٢)</sup>.

وبسبب شكوى الطيارين المصريين من مدى وتسليح المقاتلات السوفيتية، فقد صنع السوفييت لمصر خصيصا طائرة فيها كل ما يريدوه.. المدى الطويل؛ فتقدر تصل الى أى مكان فى اسرائيل وترجع، وزودوا التسليح وتكتات البنزين الاحتياطى. ووعدا أن تكون الطائرة جاهزة أول ١٩٦٩، وتم التعاقد عليها. وقالوا: إن معدات الطيران الواطى لم يعطوها لأى دولة حتى الدول الشيوعية<sup>(٣)</sup>!

(١) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٨/١١/١٩٦٨.

(٢) مباحثات عبد الناصر فى موسكو، ٥/٧/١٩٦٨.

(٣) المرجع السابق.



## ب- كيف تحرك عبد الناصر فى مواجهة اعتداء اسرائيل على المرافق الحيوية؟

بدأت اسرائيل فى عام ١٩٦٨ مرحلة جديدة من العدوان أثناء حرب الاستنزاف؛ بأن استهدفت بعض المرافق الحيوية المصرية لكى ترفع الروح المعنوية داخل اسرائيل. وكان رأى عبد الناصر.. "اليوم ما نراه فى اسرائيل أن الوضع أصبح تعبان جدا، والاسرائيليون بعد ما شعروا أنهم حققوا السلام، وكان رقص يوم التتحى حتى الصبح فى الشوارع؛ الآن يقولون إن السلام أبعد مما كان يوم ٥ يونيه!"

وبالرغم من أن الجيش المصرى كان فى مرحلة الصمود، ولم يستعد بعد الى الهجوم والتحرير، إلا أن الترشق بالمدفعية عبر قناة السويس لم يتوقف، وكذلك الدوريات التى كانت تدخل سيناء وتدمر المعدات الاسرائيلية وتقتل الجنود الاسرائيليين. وقد قامت القوات الاسرائيلية بضرب مصنع البترول بالزيتية يوم ٢ نوفمبر ١٩٦٨، بعد دخول ٣ دوريات شرق قناة السويس قامت بتدمير عربات للعدو.

وفورا طلب عبد الناصر من منظمة فتح الفلسطينية أن تضرب ميناء إيلات بمدافع الهاون وبالصواريخ. وكان من الواضح أن الإصابة قوية؛ لأن موسى ديان وحاييم بارليف هرعوا اليها وأخفوا خسائرهم!

وفى اليوم التالى جرت معركة جوية بين الطائرات المصرية والاسرائيلية؛ نتج عنها ضرب طائرة اسرائيلية انفجرت فى الجو.

وحيث أن مصر لديها مئات من المرافق الحيوية، فإنه مع تشكيل الجيش الشعبى كان من المتوقع أن الدفاع المدنى يكبر بالتدريج ويكون جاهزا ضد عمليات التخريب، وخاصة وأن عبد الناصر عندما كان فى موسكو فى يوليو ١٩٦٨، وعده السوفييت بإعطائه تسليح مليون من الجيش الشعبى.

وفى ٣١ أكتوبر ١٩٦٨، قامت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية بضرب قناطر نجع حمادى ومصنع السكر والمدينة نفسها. ورغم أن هذه القناطر بنيت فى عام ١٩٣٠، إلا أن تصميمها ساعد فى سلامتها عند الضرب، وتم إصلاحها فى ١٠ أيام<sup>(١)</sup>.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/١١/٣، واللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٨/١١/٤.

وكان تعليق عبد الناصر على هذه العملية، "إنها عامل مطمئن معناه أن اليهود غير قادرين أن يعملوا مواجهة مع القوات المسلحة المصرية، التي أصبحت تستطيع أن تعبر القناة وتتمركز على ضفتها الشرقية، ولكن لا تتقدم بعد ذلك!" ثم قال: "نحن نريد عندما ندخل الى شرق القناة، لابد أن نتقدم ٥٠ كم كمرحلة أولى... إن هذا نوع جديد من الاستراتيجية، ولدينا أهدافا جديدة مكشوفة لابد من الدفاع عنها أولا... فلن نفكر فى الانتقام حاليا من عملية نجع حمادى برغم الإصابات"<sup>(١)</sup>.  
وركز عبد الناصر على حصر أهم الأهداف الحيوية المصرية.. خزان أسوان، محطات السد العالى، محطات الصرف، قناطر إسنا وأسيوط.. الخ؛ لتوضع عليها حراسة وأسلان شائكة.

---

(١) المرجع السابق.

## ج- أثر تأخير وصول طلبات مصر من الأسلحة السوفيتية:

بعد مرور حوالى ستة أشهر من زيارة عبد الناصر الى موسكو فى ٥ يوليو ١٩٦٨، لم تصل الأسلحة السوفيتية التى اتفق عليها عبد الناصر هناك، وكان واضحا أن هذا التأخير سببه الأزمة مع تشيكوسلوفاكيا فى ذلك الوقت. ولكن ذلك أربك الحسابات العسكرية المصرية؛ على أساس كان التقدير أنه قبل يونيه ١٩٦٩ تستطيع القوات المسلحة أن تعدى الى شرق قناة السويس وتصل الى منطقة الممرات، ويكون لديها عدد من الطيارين والطائرات مساويا لاسرائيل وأكثر<sup>(١)</sup>. إن توقف عبور الجيش الى سيناء وتأجيله الى ما بعد سنة ١٩٦٩، كان مشكلة كبيرة لعبد الناصر جعلته يزور القوات المسلحة على الجبهة عدة مرات؛ ليشرح للعسكريين لماذا لا تبدأ العمليات ضد العدو فى سيناء<sup>(٢)</sup>.

## ٧- أهمية الجبهة الشرقية عسكريا:

منذ بداية الأزمة وبعد عدوان ١٩٦٧، كان عبد الناصر يعمل على الاتفاق مع سوريا والأردن والعراق على تشكيل جبهة شرقية، وعلى أن تتضمن الجزائر الى مصر فى الجبهة الغربية. ورغمما عن أن قدرات مصر العسكرية فى منتصف ١٩٦٨، لم تكن قد وصلت الى الحد الذى تستطيع معه الوصول الى الضفة الشرقية لقناة السويس وتصفية العدوان، إلا أن عبد الناصر بدأ العمل مع سوريا لتحقيق الوحدة العسكرية على أساس مشترك من الاستراتيجية. وفى لقاء مع نور الدين الأتاسى فى القاهرة فى ٦ - ٨ مايو ١٩٦٨، كان عبد الناصر واضحا فقال: "نحن الآن قادرون على الصمود وصد العدوان، ولكن إذا حدث هجوم على سوريا لن نستطيع أن نفعل شيئا، وإذا حدث هجوم على مصر أنت لن تستطيع أن تفعل شيئا. سنحتاج الى وقت ليس أقل من سنة حتى نستكمل النقص فى التدريب والطيارين.. الخ". وشرح عبد الناصر وجهة نظره فقال: "نظرتنا أن يكون هناك جبهتين؛ شرقية.. سوريا والعراق والأردن، ونعمل لها قيادة موحدة، وتكون واحدة ومتماسكة حتى لا يتمكن العدو الاسرائيلى أن يضرب كلا منا منفردا. وفى نفس الوقت، يكون عمق هذه الجبهة يساعد على الصمود، والدعم من الكويت والسعودية واليمن واليمن الجنوبية، كل على قدر قدرته.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٢/٨/١٩٦٨، مرجع سابق.

(٢) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٢/٩/١٩٦٨.

والجبهة الغربية الموجودة فيها مصر، نأمل أن يتعاون الجزائريون معنا ويساهموا مساهمة جدية وإيجابية في عملية الحشد العسكرى. وفي نفس الوقت، نعتقد أن السودان وليبيا وباقي الدول العربية في المغرب العربي تقوم بالصمود والدعم. ويجب أن نعمل بكل الوسائل على حشد الطاقات". واستطرد عبد الناصر، "بهذه الوسيلة نستطيع أن نقسم الجيش اليهودى الى قسمين... أما إذا انفردت اسرائيل بالأردن أو إذا انطلقت في المنطقة بين الأردن وسوريا فإن العمل الفدائي سينتهى، والوضع الفدائي سيكون لا فائدة منه<sup>(١)</sup>... ونحن معتمدون على الفدائيين في الوقت الحالي"<sup>(٢)</sup>.

إن الوضع في الأردن أصبح يختلف عن ٥ يونيه ١٩٦٧، والسبب هو بداية العمل الفدائي الفلسطيني العربي؛ فقيام منظمة فتح بأفرادها المسلحين كانت تعتبر حركة هامة وحاسمة في هذه الفترة. لقد صارت هذه المنظمة تكبر، وكان لها تأثير في العالم العربي، كما وكان هناك بعض المنظمات الفدائية الأخرى المستعدة للعمل العسكرى<sup>(٣)</sup>.

وأثناء زيارة عبد الناصر الى موسكو في ٥ يوليو ١٩٦٨، اصطحب معه ياسر عرفات - قائد منظمة فتح - وقدمه الى القادة السوفييت وقال لهم: إن مصر تساعدكم بالأسلحة، وكذلك السوريين والعراقيين. وقد اكتسبت فتح الشعبية في العالم العربي؛ لأن أفرادها يدخلون الضفة الغربية للأردن ويقاثلون ويسببون خسائر لليهود. وقد حدث اتفاق بين منظمتي فتح والتحرير من أجل عمل مجلس قومي. وكانت معركة "الكرامة" بين الفدائيين والاسرائيليين في ٢١ مارس ١٩٦٨ نقطة تحول؛ فقد استمرت ١٥ ساعة، وكان الهدف هو ضرب الأردن ودفع المقاومة الفلسطينية الى الانهيار في الأماكن التي احتلوها<sup>(٤)</sup>.

وكان عبد الناصر غاضبا من الخلافات بين العراق وسوريا والأردن، وقال: "هذا ما جعلنى أقول علنا: ندخل المعركة وحدنا!"

---

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع برجنييف، موسكو، ١٩٦٨/٧/٥، مرجع سابق.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين، ١٩٦٨/٤/٦.

(٣) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسى، القاهرة، ١٩٦٨/٥/٦.

(٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٦٨/٥/٥.



وتساءل عبد الناصر في حديثه مع الأتاسى.. "ماذا لو تخلينا عن الأردن؟ ألن يكون هذا سببا في دفعه لإعطاء تنازلات؟!... كيف نحشد كل قواتنا التي في الجبهة الشرقية، بالذات السورية والعراقية؟ وكيف لا نترك الأردن للضياع؟!"

واستطرد عبد الناصر، "نحن لدينا الآن جبهتين منفصلتين؛ يجب أن يكون بينا وحدة في التخطيط وفي التوقيت وفي الأهداف وفي العمل السياسي، ولكن إذا قامت المعركة الآن فكل مسرح عمليات سيكون مستقلا عن مسرح عمليات الآخر!... نحن مستعدين ننسق ونتعاون معكم الى أقصى حد... فالموقف تجاوز اتفاقيات الدفاع المشترك"<sup>(١)</sup>.

وفي ذلك الوقت كانت هناك مشكلة؛ الأخبار أن الملك حسين طلب سحب القوات العراقية من الأردن، التي توجهت اليه في أعقاب عدوان ٥ يونيه! ولكن الملك حسين قال لعبد الناصر فيما بعد: إنه لم يطلب انسحاب القوات العراقية، بل تم الانسحاب بناء على طلب العراقيين! ونبه عبد الناصر في حديثه "أن العامل الحاسم هو وجود الجيش العراقي في الأردن... لأن العراق عنده قوة كبيرة؛ يحضر طيران من فرنسا وعنده طيارين، ونحن في حاجة اليها هنا في المعركة".

وكان من الواضح، أن عبد الناصر ضج من الخلافات العربية التي تسئ الى الوضع العسكري العربي في مواجهة اسرائيل، وخاصة بين سوريا والأردن، فقال للأتاسى: "ماذا يؤمننا من طعنات الخناجر في الظهر؟! في رأيي أن الملك حسين بعد قيام قوات الفدائيين، فيه قوة جديدة ظهرت في الأردن، وهذه القوة لها تأثير على الجيش وعلى الضباط صغارهم وكبارهم. وإن القوى السياسية الموجودة في الأردن اليوم تختلف عن التي كانت موجودة فيه قبل العدوان".

وبناء على ما سبق، اقترح عبد الناصر عقد اجتماع بين وزراء حربية مصر وسوريا والعراق؛ لإنشاء القيادة الشرقية ووضع الخطة العسكرية. وأخيرا وافق الأتاسى على التعاون مع العراق والأردن، وتعيين قائد عراقي للجبهة الشرقية. وكان واضحا لعبد الناصر أن صيغة التعاون بين سوريا والأردن ليست ممكنة، ولكنه لم ييأس وطلب تقوية الزيارات والتفاهم بين الدول الثلاثة؛ بحيث أنه في المعركة يكون كلهم واحد وباتفاق ويدخلوها في يوم واحد"<sup>(٢)</sup>.

(١) عقدت اتفاقيات للدفاع المشترك بين مصر وسوريا قبل العدوان الاسرائيلي في ٤ نوفمبر ١٩٦٦، وبينها وبين الأردن في ٣٠ مايو ١٩٦٧، وبينها وبين العراق في ٤ يونيه ١٩٦٧.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسى، القاهرة، ١٩٦٨/٥/٧.

وقد اقترح عبد الناصر أيضا مناقشة تشكيل مجلس حرب، يتولى المسؤولية الاستراتيجية العليا ووضع خطة استراتيجية عملية يوافق عليها الجميع؛ حتى يتم تنفيذها وقت العمليات. وأكد أن هدفه هو عدم توسع إسرائيل عما أخذته، ثم في مرحلة معينة لابد من الاتفاق على ردع العدوان<sup>(١)</sup>. وختم عبد الناصر حديثه قائلاً: "الكل يريد أن يهرب ويتركونا وحدنا!... وحتى تتجح العملية أرجو ألا يكون فيه احتكاك مباشر ما بين سوريا والعراق!"

ولكن الواقع العربي الأليم فرض نفسه، فالأتاسى رفض عند التطبيق أن تكون القيادة الشرقية للعراق، ثم قال: "إنه لا يمكن الاتفاق مباشرة مع الأردن... هل تكون بغداد هي مسرح الأحداث؟!" ومعنى ذلك أن سوريا ترفض التعاون مع كل من الأردن والعراق<sup>(٢)</sup>!

إلا أنه فيما بعد - وبمجهود عبد الناصر - نجح في عمل اتفاق بين العراق وسوريا في يونيه ١٩٦٨ وأن يدخل فيه الأردن، وتوصل الى حل وسط؛ أن يتولى العراق القيادة، ويتصل بالأردن وسوريا، والملك حسين وافق لأن العراق ستضع قواتها في الأردن، وهو في حاجة الى هذا. وظل هذا الاتفاق سرا فلم ينشر في ذلك الوقت، خوفا من أن تحتل إسرائيل جزءا من الأردن كرد فعل وتفصله عن سوريا؛ وبهذا تعرقل تعاون العراق مع سوريا والأردن<sup>(٣)</sup>.

هذه القيادة الشرقية ظل تقدمها بطيئا، فالسوريون متحفزون، إلا أن العراقيين أرسلوا قوات الى الأردن وطائرات الى سوريا فلم توجد مطارات في الأردن، وتعهد العراق أن يبني مطارا في الأردن ويرسل اليه طائراته.

ولا يمكن القول إن هذه الجبهة في هذا الوقت كانت متماسكة؛ فالشرط الأساسي لقيام جبهة عسكرية قوية أن يكون وراءها إرادة سياسية واحدة، وهذا لم يكن متوافرا وخاصة بعد إنقلاب ١٧ يوليو ١٩٦٨ في العراق بقيادة أحمد حسن البكر وسقوط حكومة عبد الرحمن عارف، وانفراد حزب البعث القديم بالحكم وكان معارضا للبعث السوري<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محضر المباحثات بين عبد الناصر وبرجنيف، موسكو، ١٩٦٨/٧/٥، مرجع سابق.

(٤) هيكيل، "على الأفق الشرقى ضباب"، ١٩٦٨/٨/٢، مرجع سابق.



وتعددت المشاكل أكثر، فقيادة البعث السوري - نور الدين الأتاسي - أصبحت ترفض مرة أخرى أن تكون قيادة الجبهة الشرقية للعراق بل شككت في نوايا قادته! ثم أوضحت أنها لا يمكن أن تتفق مباشرة مع الأردن! وأصر السوريون على أن تكون القيادة سورية - عراقية<sup>(١)</sup>.

ولكن عبد الناصر أيضا لم يفقد الأمل أمام هذا الوضع الكئيب! واقترح أن يكون التنفيذ على مراحل، فليس من الضروري التحدث عن وحدة عسكرية؛ فهي لا توجد في الواقع إلا بالاشتراك سويا في المناورات والتدريبات والاجتماعات والتنسيق مع بعض، فلا بد من عمل برنامج.

وأخيرا وافق الأتاسي على التعاون مع العراق والأردن، وتعيين قائد عراقي للجبهة الشرقية. واقترح عبد الناصر مرة أخرى، عقد اجتماع بين وزراء حربية مصر وسوريا والعراق؛ لإنشاء القيادة الشرقية ووضع الخطة<sup>(٢)</sup>.

ولكن مع بداية ١٩٧٠، أصبحت الجبهة الشرقية بلا فاعلية، والطيران كله سوري ومصرى ولا توجد طائرة عراقية ولا أردنية، والمطارين المنفق عليهما مع العراق لم ينفذا! ولذلك عندما طلب العراقيون إلغاء القيادة الشرقية، كان ذلك حلا جيدا<sup>(٣)</sup>.

لم يقطع عبد الناصر الأمل من الوصول الى وحدة عسكرية في المشرق، ولكن بالرغم من أنه في اجتماع دول المواجهة الأول في أول سبتمبر ١٩٦٩، تم توقيع اتفاق وحدة عسكرية بين سوريا ومصر للقوات الجوية والبحرية؛ على أساس أن تكون القيادة خاضعة رأسا لقيادة الفريق محمد فوزي، وإرسال عدد من الطيارين والطائرات الى سوريا ليدخلوا ضمن خطة الردع بالنسبة لاسرائيل، إلا أنها لم تستخدم بعد!

إذا بالرغم من مشاكل الجبهة الشرقية إلا أنه كانت توجد منجزات مع سوريا، وأيضا تم توقيع اتفاقيات عسكرية تجمع بين الدول الثلاثة في الجبهة الشرقية.

لقد كان التعامل مع هذه الجبهة صعبا بسبب الآتي: الخلاف بين سوريا والعراق أيام عبد الرحمن عارف، وبين سوريا والأردن، وبين سوريا والعراق!

وقد علق عبد الناصر، "كيف توجد الوحدة العسكرية إذا وجدت هذه الخلافات السياسية؟! ولكنه حدد موقف الجمهورية العربية المتحدة، "ألا نياس من الوصول الى الوحدة العسكرية في المشرق، ولكن حين نخطط لبناء قواتنا المسلحة يكون على أساس أنها ستكون وحدها في الميدان؛ سواء القوات البرية أو الجوية"<sup>(٤)</sup>.

(١) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسي، القاهرة، ١٩٦٨/٥/٨.

(٢) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسي، القاهرة، ١٩٦٨/٥/٧، مرجع سابق.

(٣) محضر مباحثات عبد الناصر مع القذافي، القاهرة، ١٩٧٠/٢/١١.

(٤) حديث عبد الناصر الى مجلس الأمة، القاهرة، ٢٥/٣/١٩٧٠.

وبالنسبة للأردن، فلم يكن لديه سلاح ولا طائرات، وكان نقطة الضعف فى الجبهة الشرقية. وطبعاً كان هدف إسرائيل الأول أن تخضع الأردن؛ وعلى هذا كانت تتم الاعتداءات المتكررة عليه حتى يضطر الملك حسين الى طلب الصلح! وعندما وقع الانقلاب فى العراق فى ١٧ يوليو ١٩٦٨، ووصل البعث العراقى الى الحكم، تأزمت الأمور أكثر بينه وبين البعث السورى، ولم يحضر الرئيس العراقى أى اجتماع لدول المواجهة سوى فى يونيه ١٩٧٠.

لقد كتب عبد الناصر بخط يده فى هذا المؤتمر حول الجبهة الشرقية، "الأهداف الاسرائيلية قريبة من القطاعات العربية، وقسم منها يضرب بالمدفعية، كما أن طبيعتها من حيث استخدام القوة الجوية أفضل لنا، فهى تمكن الطيران العربى من القدرة على شل المجهود العسكرى الاسرائيلى أكثر من الجبهة الغربية؛ بالبقاء فى سماء اسرائيل مدة أطول، هذا بالإضافة الى وجود الفدائيين. كذلك الجبهة الشرقية يجب أن تساندها القطاعات من الدول الأخرى للمواجهة؛ ليبيا والجزائر والسودان، كما يكون للقائد العام الحرية المطلقة<sup>(١)</sup>.

أما بومدين، فقد رفض حضور اجتماع دول المواجهة بسبب مشاكله مع تونس والمغرب، وخوفه من أن يؤول حضوره أنه منضم الى محاور ضدهما<sup>(٢)</sup>.

أما بالنسبة للملك حسين، فقد قال فى لقاء له مع عبد الناصر فى القاهرة، فى ٢٠ أغسطس ١٩٧٠: "بالنسبة لتجربة الجبهة الشرقية، فإن الوعود لم تتفد؛ معنى ذلك أن التعاون سيكون فقط بين القاهرة وعمان.

---

(١) الوثيقة بخط عبد الناصر، [www.Nasser.org](http://www.Nasser.org)، مرجع سابق.

(٢) حديث عبد الناصر الى مجلس الأمة، القاهرة، ٢٥/٣/١٩٧٠.



## المرحلة الثانية من حرب الاستنزاف: التحدى والردع:

لقد بدأت القوات المصرية فى هذه المرحلة زيادة الاحتكاك والاستطلاع البرى والجوى والبحرى فى عمق العدو الاسرائيلى، وتمت عمليات كثيرة أغلبها ليلا، كما أن الترشق بالمدفعية وقنص الأفراد أصبح يتم باستمرار، الى جانب أن القوات الجوية المصرية كانت تقوم باستمرار بالاستطلاع والتعرض الجوى<sup>(١)</sup>.

لقد كان هدف قواتنا فى أوائل مارس ١٩٦٩ أن تدمر خط بارليف الحصين، وفعلا دمر ١٦ الى ٢٠٪ منه، وجزء دمر تدميرا جزئيا، وفى أواخر ١٩٦٩ أصبحت الطائرات الاسرائيلية لا تعدى قناة السويس.

وفى ٢٢ يونيه ١٩٦٩ قال عبد الناصر: "لن نوقف القتال أبدا مهما ضربونا الاسرائيليين ومهما أنذرونا الأمريكان، ولكن مازال اليهود متفوقين علينا فى الطيران والمدركات"<sup>(٢)</sup>.

ومن أهم ملامح هذه المرحلة، قيام ثورة السودان فى ٢٥ مايو ١٩٦٩، بما تعنيه من عمق استراتيجى لمصر فى إفريقيا يعطيها قوة فى مواجهة اسرائيل والولايات المتحدة. وعلى الفور ثانى يوم صباحا بعد قيام الثورة، اتخذت القيادة السياسية المصرية قرارا بتجميد الموقف على جبهة قناة السويس، وإرسال قوات مسلحة لمساندة الثورة فى السودان. وأرسل عبد الناصر فى نفس اليوم رسالة مع مبعوث قابل جعفر النميرى وبابكر عوض الله - قائدا الثورة - لإخطارهم بالقرار، وتحويل كل الجهد لهم. وقد رحب بطلباتهم من الطائرات وكتائب المظلات والصاعقة، وأوصاهم "أن يتقدموا بقلب جامد.. ذهلوا!"

وكان عبد الناصر يدرك أن "السودان كان ضايع جدا، وفيصل دفع هناك ملايين الجنيهات"<sup>(٣)</sup>.

ولم تمضى عدة أشهر حتى قامت الثورة فى ليبيا؛ الامتداد الاستراتيجى الغربى لمصر (٣٠٠٠ كم<sup>٢</sup> من الشاطئ الجنوبى للبحر الأبيض)، ومركز أكبر قاعدتين فى البحر الأبيض.. هويلس الأمريكية والعظم البريطانية، والمنتجة لكميات كبيرة من البترول (١٥٠ مليون طن فى السنة).

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٥/٤/١٩٦٩.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ٢٢/٦/١٩٦٩.

(٣) محضر مباحثات عبد الناصر مع نور الدين الأتاسى، ١٥/٨/١٩٦٨ صباحا.

وكانت ثورة ليبيا تمثل حركة خطيرة فى ميزان القوى الدقيق فى أزمة الشرق الأوسط؛ فقد كانت ليبيا قبل الثورة تحت السيطرة الأمريكية، وبالثورة خرجت من هذه السيطرة وأضافت قوتها الى التيار العربى المعادى للسيطرة الغربية. وكانت ليبيا قبل الثورة معزولة عن الصراع العربى - الاسرائيلى، وبالثورة أصبحت فى الطليعة من الخط العربى فى هذا الصراع، وعمق واسع وراء الجبهة الغربية لميدان القتال مع اسرائيل. وبإضافة العمق الجنوبى للسودان بعد ثورته، فكان ذلك من شأنه أن يحدث تأثيرا هائلا على أبعاد هذا الصراع<sup>(١)</sup>.

إن توقيت ثورتى السودان وليبيا كان فى مصلحة عبد الناصر؛ خاصة فى ظل الموقف العربى السئ الذى أدى الى فشل مؤتمر القمة العربية فى الرباط، الذى انسحب منه عبد الناصر فى جلسة صباح ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩، وذلك بعد أن اتضح أنه لا يوجد أى استعداد من جانب الدول العربية لأى مساهمة فى المعركة بأى شكل من الأشكال!

لقد انتهى المؤتمر بدون بيان، وكان رأى عبد الناصر أن الفائدة من المؤتمر أن لا أحد من القادة العرب أصبح يستطيع أن يهاجم مصر ويقول: إنها تقبل حلولا سلمية! وفى نفس الوقت، أصبح لمصر حرية حركة وتستطيع أن ترد على أى هجوم إعلامى من جانب الدول العربية. كما أنه لم ييأس وأيد القذافى فى محاولته للاتصال بالدول العربية من أجل تحويل الصراع الى معركة قومية، وخاصة بعد اعتداء الاسرائيليين يوميا على لبنان فى أكتوبر ١٩٦٩.

وبدأت مرحلة أخرى من حرب الاستنزاف، ففي ٢٢ نوفمبر عبرت قوة مصرية قناة السويس وهاجمت طابور دبابات اسرائيلية على بعد ٥ كم، وقامت بتدمير ثلاث دبابات اسرائيلية وإصابة اثنتين.

وفى ٢٣ نوفمبر، قام الطيران الاسرائيلى بغارات ضد المواقع المصرية على جبهة قناة السويس استمرت أربع ساعات. فى اليوم التالى، الطيران المصرى وجه ضربات مركزة الى مواقع العدو؛ فحرب بطاريات الصواريخ الهوك جنوب بالوظة، ومستودع التموين فى منطقة القنطرة شرق. وفى ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩، بدأت أكبر ضربة جوية للطائرات الاسرائيلية منذ ٥ يونيه ١٩٦٧؛ فدخلت ٢٦٤ طائرة اسرائيلية وهاجمت القوات المصرية لمدة ٨ ساعات!

---

(١) هيكل، "علامات على الخطر"، ١٩٧٠/٣/٢٧، مرجع سابق.



واستمرت الضربات من الطرفين المتحاربين، مع نجاح قوات المدفعية والجوية المصرية فى تحقيق خسائر لاسرائيل أدت الى حدوث تغييرات واسعة فى قيادة الجيش الاسرائيلى فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩؛ فتم تعيين دافيد اليعازر مديرا للعمليات الحربية، وموردخاى جور للقيادة الشمالية، وآريل شارون للقيادة الجنوبية.

ومع بداية عام ١٩٧٠ وفى ٢٢ يناير منه، حدثت معركة شدوان - وهى جزيرة فى مواجهة مدينة الغردقة - وقد استمرت ٨ ساعات فشل فيها الاسرائيليون فى احتلالها، وطردوا منها بواسطة مدفعية القوات المصرية التى كانت عليها، واضطروا الى الانسحاب بخسائر كبيرة<sup>(١)</sup>.

أما خط جبهة قناة السويس، ففى بعض الأيام كان العدو الاسرائيلى يلقى أكثر من ١٠٠٠ طن من القنابل، أى ما يساوى مليون جنيه استرليني! وكان تركيزه الأشد على عناصر الدفاع الجوى، ولكن - باعتراه - كان عدد بطاريات الصواريخ على الجبهة المصرية يتزايد برغم ضروا هذه الغارات الجوية. وبدأت طائرات الفانتوم الاسرائيلية تتساقط على أرض الجبهة المصرية، وطياروها يقعون أسرى فى أيدي رجالها<sup>(٢)</sup>.

وإزاء هذا التصاعد فى حرب الاستنزاف بعد أن دخل الطيران الاسرائيلى بكثافة الى المعركة، بدأ عبد الناصر وقادة الدفاع الجوى والمستشارين السوفييت والطاقم الفنى للطائرات بالقوات الجوية، فى التفكير فى تصعيد عمليات الطيران لردع العدو.

وكانت مصر قد ردت على العمليات الحربية الاسرائيلية بثلاث عمليات للضفادع البشرية فى ١٦ نوفمبر ١٩٦٨؛ فأغرقت ودمرت ثلاث قطع بحرية لاسرائيل فى ميناء إيلات، وكان هدفها العمل على حصار اسرائيل ومنع نشاطها فى البحر الأحمر.

وفى اليوم التالى، جرت عملية إنزال بحرى لمهاجمة قيادة العدو الاسرائيلى العسكرية شمال سيناء؛ فقامت مجموعة من القوات الخاصة بعملية جنوب العريش نتج عنها تدمير مقر القيادة والمستودعات الملحقة به.

---

(١) حوار مع الفريق فوزى، مرجع سابق.

(٢) خطاب عبد الناصر، ١٩٧٠/٧/٢٣، مرجع سابق.

## ١ - اسرئيل تضرب العمق المصرى ورد فعل عبد الناصر :

بدأت اسرئيل فى ضرب العمق المصرى بعد استنقال عبد الناصر فى طرابلس وبنغازى، وبعد التقارب بين مصر وليبيا والسودان، وبعد صفقة الأسلحة الفرنسية - الليبية وأهمها طائرات الميراج. إن هذه الأحداث كان لها مغزى كبيراً؛ فعبد الناصر ثبت أنه لا يزال يؤدي دوره.. الرمز العربى وتمثيل وحدة العرب أمام العالم الخارجى<sup>(١)</sup>.  
ومن ناحية أخرى أصبحت مصر وليبيا والسودان مجتمعين يمثلون خطراً استراتيجياً على مصالح الولايات المتحدة.

وهكذا كان هدف غارات العمق الاسرائيلية القضاء على عبد الناصر!

لقد بدأت الغارات الاسرائيلية على العمق المصرى فى ٦ يناير ١٩٧٠ على ضواحي القاهرة، وكان لها أثر نفسى كبير على المصريين؛ ففى كل غارة كان هناك قتلى. لقد ضربوا مخزن قطع غيار فى مسطرد ومساكن المستشارين السوفييت ومنطقة إدارية فى بلبيس هذا بينما الغارات فى الجبهة استمرت ساعات وإن كانت نتيجتها محدودة؛ لأن الجنود كانوا محصنين فى الخنادق والدفاع كان كاملاً<sup>(٢)</sup>.

ولمزيد من الضغط على الاتحاد السوفيتى للإسراع فى توريد السلاح الى مصر، قام عبد الناصر بزيارة سرية الى موسكو فى ٢٢ يناير ١٩٧٠؛ نتج عنها إبرام صفقة أدت الى تفوق نوعى فى السلاح. لقد وافق القادة السوفييت على توريد ثلاثة لواءات صواريخ سام ٣ متحركة للدفاع الجوى على الجبهة الغربية لقناة السويس، وإرسال فرقة كاملة جوية من صلب القوات الجوية السوفيتية - ١٢٠ طيار سوفييتى ممتاز - للعمل فى القوات الجوية المصرية، وذلك بعد أن هدد عبد الناصر السوفييت، أنه إذا لم يأخذ هذا الدعم الاستثنائى منهم فإنه سوف يترك الحكم لـزكريا محى الدين الذى ممكن أن يتفاهم مع أمريكا!

طلبوا فرصة ٢٤ ساعة حتى يحصلوا على قرار من مجلس السوفييت الأعلى؛ حوالى ١٥١٧ عضوا وافقوا على القرار.

لقد كان وصول الدعم العسكرى الاستثنائى السوفيتى الى مصر فى ١٨ إبريل ١٩٧٠ بقرار من مجلس السوفييت الأعلى أمر استثنائى؛ حيث أن الاتحاد السوفيتى لم يرسل جندى واحد بعد الحرب العالمية الثانية الى أى دولة غير شيوعية إلا لمصر فى هذا الوقت!

(١) هيكىل، "المائة يوم القادمة"، ١٣/٢/١٩٧٠، مرجع سابق.

(٢) محادثات عبد الناصر مع برجنيف وكوسيجن وباجورنى، موسكو ٢٣/١/١٩٧٠.

وحتى تغطي موسكو موقفها بالنسبة للولايات المتحدة إزاء هذا الطلب غير العادى ، تلقت حكومة نيكسون خطابا من كوسيجن، يقول فيه: "تود أن نخبركم أنه إذا استمرت اسرائيل فى مغامراتها وقصف أراضى الجمهورية العربية المتحدة والدول الأخرى، بأن الاتحاد السوفيتى سيكون مرغما على مساعدة الدول العربية بكل الوسائل لرد المعتدى المتغطرس"<sup>(١)</sup>. وقد اعتبر كيسنجر هذا أول تهديد سوفيتى للحكومة الأمريكية الجديدة!

وتصاعدت العمليات من القوات المسلحة المصرية ضد اسرائيل، وتابع الطيران الاسرائيلى ضرب الأهداف الحيوية الاقتصادية المصرية؛ مثل مصنع أبو زعبل فى ١٢ فبراير ١٩٧٠ ومخازن فى دهشور بالقرب من القاهرة. بل إنهم ضربوا مدرسة فى بحر البقر فى ٨ إبريل ١٩٧٠؛ مما أثار الرأى العام العالمى ضد اسرائيل.

وقد غيرت هذه الصفقة الموقف العسكرى على الجبهة تماما، وحاولت اسرائيل أن تمنع صواريخ سام ٣ من الوصول الى قناة السويس؛ لأنها كانت تدرك أن هذا سلاح هجومى سوف يمكن المصريين من عبور القناة والوصول الى المضائق.

وفى نفس الوقت، أتم المصريون تدمير الحفار الاسرائيلى "كيتنج" فى أبيدجان فى ٨ مارس ١٩٧٠؛ فمنعوا وصوله الى خليج السويس ليقوم بإنتاج بترول مصرى لحساب اسرائيل من حقل أبو رديس بسيناء.

وعلى عكس ما كان متوقعا فى اسرائيل، فإن ضرب العمق المصرى لم يحدث التأثير الذى خططوا له، بينما فى نفس الوقت فإن عمليات الضفداع البشرية المصرية فى قلب اسرائيل هزتهم! وفى إطار هذه التطورات، قررت اسرائيل مضاعفة تسلل طائراتها الى مصر؛ لمعرفة مواقع وحدات الصواريخ الجديدة بجبهة قناة السويس، وأصبح الهدف المباشر هو تدمير مواقعها تحت الإنشاء.

ولكن كانت النتيجة غير ما توقعه الاسرائيليون، وتطور الموقف السياسى والعسكرى لصالح مصر.

وهكذا فإن ضرب الطائرات الاسرائيلية فى العمق المصرى كان سببا فى تطور ميزان القوى لصالح مصر، كما أدى الى ميل كفة الميزان بالمواجهة بين القوتين الأعظم نتيجة لزيادة النفوذ السوفيتى فى المنطقة.

---

(١) رسالة من كوسيجن الى نيكسون ، ٣١/١٢/١٩٦٩.



## ٢- المشروع الأمريكي:

منذ البداية، كان رأى عبد الناصر أنه لا يوجد حل سلمى وحل عسكري، وكان يحتاج الى وقت لإعادة بناء الجيش، وكان يريد التفاهم مع السوفييت. وعندما أبلغوه أنهم يريدون حلا سلميا؛ فكل ما كانت خطواتهم فى هذا الاتجاه غير ناجحة، كانوا يتجهون فورا لتقوية مصر عسكريا. ومنذ موافقة مصر على قرار مجلس الأمن ٢٤٢ فى ١٩٦٧، قال عبد الناصر: إن يارنج سيدور سنة ونصف بدون نتيجة ولن يصل الى شئ، وإن قبول مصر للحل السلمى، هو حتى لا يظهر أمام العالم أنها تريد الحرب للحرب.

وكان عبد الناصر مدركا أنه لا فائدة من الوصول الى الحل السلمى، إلا إذا وصلت مصر للقوة التى يشعر فيها اليهود أن المصريين قادرين على الدخول الى قلب اسرائيل<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من أن الولايات المتحدة كانت الحليف الأقوى لاسرائيل، وهى التى تمددها بالأسلحة التكنولوجية الحديثة والطائرات والطياريين، إلا أن سياسة عبد الناصر كانت الحوار مع الولايات المتحدة؛ وخاصة أن نيكسون زار مصر فى ١٩٦٣ - قبل أن يصبح رئيسا للولايات المتحدة - وقابله، كما أنه أرسل له رسالة فور توليه السلطة شرح له فيها موقفه، وأوضح له أن مصر لن تتنازل عن الأرض العربية، ولن تتفاوض مباشرة أبدا مع اسرائيل.

وكان عبد الناصر مدركا لخطة اسرائيل منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، وهى أن تعزل مصر كلية عن الولايات المتحدة، وهو - فى نفس الوقت - يريد تشجيع الحوار حتى لا ينفرد اليهود بها؛ وخاصة وأن الكويت والسعودية، وليبيا تأثرها قوى.

### أ- الأمريكان يبدأون الحوار مع مصر:

بدأ الأمريكان الحوار مع مصر، بطلب عودة العلاقات التى قطعت فور العدوان الاسرائيلى فى ١٩٦٧. لم يوافق عبد الناصر، وقال: يجب أن تتسحب اسرائيل أولا الى خطوط ٥ يونيه، وهنا يبدأ التشاور مع الدول العربية التى قطعت هذه العلاقات؛ لأن هذا موضوع لا يخص مصر وحدها. رفضت الولايات المتحدة التصريح بهذا، وكان التركيز على الحدود الآمنة؛ وهو ما يعنى التوسع، وأنها تؤيد الاحتلال<sup>(٢)</sup>.

(١) مباحثات عبد الناصر مع وزراء دفاع سوريا والعراق والأردن، ١/٩/١٩٧٠.

(٢) المرجع السابق.

ومن جانب آخر، كان عبد الناصر منذ البداية يلح على السوفييت لتحسين طائراتهم الحربية لكي يصبح مداها أطول وتسليحها أكثر؛ حتى تصل الى عمق اسرائيل، وفعلا تم ذلك كما ذكرنا؛ مما غير الموقف جدا بالنسبة لمصر.

لكن عندما أعلنت الولايات المتحدة أنها ستعطي اسرائيل ١٢٥ طائرة منها ٥٠ فاننوم<sup>(١)</sup>، غير هذا الموقف بالنسبة لمصر، فالقاذفات السوفيتية كانت لاتزال أقل كفاءة بالمقارنة بالفاننوم. وهنا تقدم الفرنسيون باقتراح لاجتماع رباعى لبحث أزمة الشرق الأوسط في إطار قرار مجلس الأمن ٢٤٢، ولكن في البداية جاء الرد الأمريكى سلبيا وأصروا على مباحثات ثنائية مع اسرائيل قبل أى اجتماع، واستمروا فى تأييد احتلال اسرائيل للأرض العربية.

وفى إطار محادثات القوى الأربع التى وافقت الولايات المتحدة عليها فيما بعد<sup>(٢)</sup>، لم يختلف موقف بريطانيا عن الولايات المتحدة، أما ديجول فقد أكد على ضرورة انسحاب اسرائيل من المناطق التى احتلتها، وضرورة عدم التوسع نتيجة للحرب. وكما نعلم، فإن فرنسا بعد العدوان مباشرة فرضت الحظر على إرسال ٥٠ طائرة ميراج وقطع الخيار الى اسرائيل؛ تنفيذًا لقرار ديجول فى مايو ١٩٦٧.. أنه لن يؤيد البادئ بالعدوان. وقد سلم محمود فوزى - مساعد رئيس الجمهورية للشئون الخارجية وعضو اللجنة التنفيذية العليا - رسالة من عبد الناصر الى ديجول فى ذلك الوقت شاكرًا له موقفه الذى يعبر عن المبادئ، وأصدر بيانًا بذلك.

وقد عارضت اسرائيل فكرة الاجتماع الرباعى، وإن أعربت جولدا مائير عن قلقها من التغيير الحاد فى الجو السياسى عند زيارتها للولايات المتحدة فى سبتمبر ١٩٦٩؛ وهو ما تجلّى فى عودة مباحثات القوى الأربع، ثم إلغاء مشروع تحلية المياه فى اسرائيل، وإن كان نيكسون قد وافق عليه فيما بعد!

هذا بالرغم من أن نيكسون أكد لأبأ إيبان، أن الولايات المتحدة لم تغير سياستها تجاه اسرائيل، وأن هدفه يظل ضمان أمنها على المدة الطويل<sup>(٣)</sup>.

---

(١) هذا بالإضافة الى ١,٢ مليون دولار التى طلبتها مائير عند زيارتها لواشنطن:

Memo. from Kissinger to P. Nixon, Washington, Oct. 28, 1969, Putting Israeli Request in Perspective.

Memo. from Rogers to P. Nixon, Washington, Nov. 26, 1969, Four Power Talks on the ME. (٢)

Memo. from Kissinger to P. Nixon, Washington, Oct. 18, 1969, My Talks with FM Eban. (٣)

ومع استمرار طلب الولايات المتحدة إعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر، ظل عبد الناصر على موقفه؛ فنقطة الخلاف الرئيسية هي الرفض الأمريكي لاحتلال إسرائيل للأراضي العربية. ولكن كان ما يقلقه في هذا الوقت - يونيو ١٩٦٩ - ميوعة موقف السوفييت، الذين كانوا يؤكدون على الحل السلمى ولا يريدون أن يدخلوا فى مواجهة مع الولايات المتحدة، وصاحب هذا مزيدا من الضغط على عبد الناصر بتأخير توريدات السلاح ٤ - ٥ أشهر؛ وكان هذا معناه تأجيل كل خطط مصر العسكرية الخاصة ببناء القوات المسلحة بنفس المدة<sup>(١)</sup>، ثم أرسلوا السفير السوفيتى برسالة طالبين تهدئة العمليات العسكرية فى قناة السويس!

إلا أن عبد الناصر لم يتنازل عن موقفه مع هذا الضغط السوفيتى الذى كان يعرف أسبابه؛ وهى أنهم يريدون أن ينهوا هذه المشكلة، مع اعتقادهم أن الحل العسكرى معناه مغامرة قد تقضى على المصريين، وخاصة إذا دخلوا معركة عسكرية وهم ليسوا جاهزين! هذا بالإضافة الى اهتمامهم بالدرجة الأولى فى هذا الوقت بالخلاف السوفيتى - الصينى.

وفعلا تقدم جروميكو أثناء زيارته للقاهرة فى ١٢ يونيو ١٩٦٩، بمشروع سوفيتى رفضه عبد الناصر بشدة لأنه كان تسليما كاملا لأمريكا واسرائيل، وقال له: "أوافق معك أن تستمر فى المحادثات فى إطار مباحثات الأربعة، إلا أن يكون الهدف واضح.. حل سلمى مشرف<sup>(٢)</sup>... يحقق الانسحاب الكامل من الأرض العربية، وعودة اللاجئين الفلسطينيين الى ديارهم أو التعويض، وعدم ربط قناة السويس بالانسحاب ولكن بكل الحدود"<sup>(٣)</sup>.

وفى نوفمبر ١٩٦٩، قدمت الولايات المتحدة الى الاتحاد السوفيتى مشروعا يحل القضية المصرية - الاسرائيلية فقط. وينص على أن تكون الحدود بينهما هى الدولية التى كانت موجودة أيام الانتداب البريطانى فى فلسطين، وتكون المفاوضات غير مباشرة على طريقة رودس ١٩٤٩. وترك هذا المشروع مواضيعا كثيرة لم تحدد وتنتظر الاتفاق بين الطرفين - مصر واسرائيل - وهى غزة وشرم الشيخ، والمناطق منزوعة السلاح، واللاجئون الذين يحدد مصيرهم طبقا لاتفاق بين الأردن واسرائيل.

إذاً رغم أن هذا المشروع الأمريكى نص على الانسحاب من الأراضي المصرية، إلا أنه وضع مصر تحت حق الاعتراض أو الفيتو الاسرائيلى فى المناقشة مع اسرائيل، فإما نقبل وجهة نظرها وإما لا تنسحب من الأراضي التى احتلتها!

(١) محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٦٩/٦/٩.

(٢) المباحثات مع جروميكو، القاهرة ١٩٦٩/٦/٩، ج ٢.

(٣) محضر اجتماع مجلس الوزراء، ١٩٦٩/٦/٢٢.

رفض عبد الناصر هذا المشروع الأمريكي، مؤكدا على أن الانسحاب الاسرائيلي لابد أن يكون من جميع الأراضي العربية المحتلة. وكان يرى أن وقف إطلاق النار الذي نص عليه هذا المشروع؛ معناه أن يعطى لاسرائيل الفرصة أن تحول خطوط وقف إطلاق النار الى حدود دائمة، وأن تحمي نفسها وتتهرب من حرب الاستنزاف سواء كان عسكري أو بشرى أو اقتصادي. وقد طالب المشروع الأمريكي أيضا، بالحد من إرسال الأسلحة الى الشرق الأوسط؛ وهذا معناه أن تفوق اسرائيل في القوات الجوية يستمر!

وهنا قال عبد الناصر: "خلاصة الموقف أن لا أمل في الاتفاق على حل سياسى، إلا إذا وصلنا الى درجة من القوة تشعر معها الولايات المتحدة أننا سنستطيع بها الحصول على حقوقنا"<sup>(١)</sup>. كما كان استمرار تدفق الخبراء السوفييت الى مصر له تأثير.

#### ب- عبد الناصر يرفض الإنذار الأمريكى بمزيد من غارات العمق:

ومن الغريب، أنه مع قيام اسرائيل بغارات العمق المصرى فى يناير ١٩٧٠، أرسلت الولايات المتحدة فى ٢ فبراير ١٩٧٠ إنذارا رسميا الى عبد الناصر عن طريق وزارة الخارجية؛ بضرورة وقف إطلاق النار بلا قيد ولا شرط، وإلا ستستمر الغارات الاسرائيلية فى عمق البلاد بصورة أكبر! رغم هذا لم يقبل عبد الناصر وقف إطلاق النار، بعد أن كانت القاهرة وضواحيها وأسيوط وغيرها من المدن المصرية هدفا للغارات الجوية الاسرائيلية. ورد عبد الناصر على نيكسون قائلا: "إننا نوافق على وقف إطلاق النار إذا أعلنت اسرائيل - بضمنا مجلس الأمن - موعد الانسحاب للقوات الاسرائيلية من الأراضي المحتلة كلها وليس من سيناء فقط.. من غزة والجولان والضفة الغربية والقدس"<sup>(٢)</sup>.

وحيثما وصلت المعدات الحديثة السوفيتية الى مصر فى ١٨ إبريل ١٩٧٠، "بدأت حالة هستيرية عند اسرائيل وأمريكا وأصدقائها، وكانت صحفهم تعتبر أن هذا يخل بالتوازن فى الشرق الأوسط! وكان المفروض بهذا التوازن أن تظل اسرائيل متفوقة"<sup>(٣)</sup>...

(١) حديث عبد الناصر الى مجلس الأمة، ١٩٧٠/٣/٢٥، مرجع سابق.

(٢) خطاب عبد الناصر فى عيد العمال، ١٩٧٠/٥/١.

(٣) خطاب عبد الناصر، ١٩٧٠/٧/٢٣.



لقد ظلت الولايات المتحدة تشجع اسرائيل على ضرب الجيش المصرى، الى أن بدأ الوضع العسكرى بين الطرفين يتصاعد لمصلحة مصر بعد أن قام الاسرائيليون بعمليات جوية؛ فضربوا بورفؤاد وغرب وجنوب بورسعيد وتكبدوا خسائر كبيرة، وبعد أن دخل الطيران المصرى الى المعركة وضرب مواقع اسرائيلية فى الجبهة الشرقية.. بطاريات صواريخ هوك، مواقع الرادار، مواقع عيون موسى، وتجمعات للدبابات، ومواقع للذخيرة.

وظهرت نغمة جديدة، أن العرب يريدون إلقاء اسرائيل فى البحر! أن اسرائيل تتعرض للعدوان! اسرائيل الشهيدة!"

وقال عبد الناصر فى خطابه فى الذكرى الثامنة عشر لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢: "إن هذا يطمئننا بعد نغمة الغرور فى ١٩٦٧: هنضرب! الجيش الاسرائيلى لا يهزم! هذه الحرب أنهت كل الحروب"<sup>(١)</sup>!

ومع تغير الوضع العسكرى، وقيام القوات المصرية فى البر والجو بعمليات جريئة ضد القوات الاسرائيلية فى سيناء، وبدأت تنتزع زمام المبادرة وأصبحت الطائرات المصرية تغير عليها وتصل الى رفح والعريش، هدد عبد الناصر قائلاً: "نحن لم نضرب بعد داخل اسرائيل؛ فلما نبدأ لا بد أن نضمن الاستمرار"<sup>(٢)</sup>.

### ج- نداء عبد الناصر الى نيكسون يقود الى المشروع الأمريكى:

وفى الواقع فإن عبد الناصر أيضاً لم يغلق الباب نهائياً مع الولايات المتحدة، وخاصة وأنها - كما سبق ذكره - كانت على وشك أن تقوم بخطوة بالغة الخطورة ضد الأمة العربية على طريق تأكيد التفوق العسكرى لصالح اسرائيل؛ وهى إعطائها ١٣٠ طائرة حربية جديدة.. ٢٥ فانتوم، ١٥٠ سكاى هوك.

ففى خطابه فى عيد العمال فى أول مايو ١٩٧٠، وجه عبد الناصر نداء الى نيكسون - ردا على الاتصالات الأمريكية - قال فيه: "إن الأمة العربية لن تستسلم ولن تفرط وهى تريد سلاماً حقيقياً، ولكنها تؤمن أن السلام لا يقوم إلا على غير العدل... إذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام فعليها أن تأمر اسرائيل بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة. إن ذلك فى طاقتها التى تأتمر اسرائيل بأمرها؛ لأنها تعيش على حسابها.. هذا حل.

(١) خطاب عبد الناصر، ١٩٧٠/٥/١، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

الحل الثاني: إذا لم يكن في طاقة أمريكا ذلك، ففي هذه الحالة نطلب أن تكف عن أى دعم جديد لإسرائيل طالما هي تحتل أراضينا العربية.. أى دعم سياسى أو اقتصادى أو عسكرى".  
ومضى عبد الناصر: "أقول لنيكسون: إن هناك لحظة فاصلة قادمة فى العلاقات العربية - الأمريكية؛ إما أن نكرس القطيعة الى الأبد، وإما أن تكون بداية أخرى جادة ومحددة<sup>(١)</sup>.  
وقرر عبد الناصر إرسال رسل الى كل البلاد العربية؛ لتكون مبادرة عربية لمواجهة أى مساعدة أمريكية جديدة لإسرائيل.

وقد درست الحكومة الأمريكية نداء عبد الناصر لنيكسون، مؤكدة أن تولى السوفييت دورا أكبر فى الدفاع عن مصر غير التوازن السياسى والعسكرى فى الشرق الأوسط.  
وكان تعليق مجلس الأمن القومى الأمريكى على نداء عبد الناصر الى نيكسون، أنه وضع القضية بصفة حادة، هل تساند الولايات المتحدة توسع حدود إسرائيل وترفض تعويض الفلسطينيين؟ إن هذا يفرض عليها التأكيد أنها لا تعتقد أن إسرائيل يجب أن تحتفظ بأى من الأراضى العربية فى تسوية سياسية. وفى نفس الوقت، أدرك الأمريكان أن عبد الناصر وضع نفسه فى مركز أن يقول: إنه عرض لعمل السلام مع دولة يهودية فى فلسطين، ولكن الولايات المتحدة فى المقابل ليست مستعدة للضغط على إسرائيل لتتسحب!

لقد قاد عبد الناصر الولايات المتحدة الى موقف حرج؛ فالقضية أصبحت تبدو كما لو أن إسرائيل، إذا واجهت الاتحاد السوفيتى فإن ذلك سيكون حول توسعها فى حدودها وليس حول بقاء إسرائيل! وهذا فى مصلحة السوفييت. وإذا واجهت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتى فى هذه القضية، فإنها ستخسر فى العالم العربى.

ومن جانب آخر، درست الحكومة الأمريكية الوضع بالنسبة لإسرائيل، التى وضعت أيضا القضية بحدة.. هل ستساند الولايات المتحدة إسرائيل فى مواجهة تهديد الاتحاد السوفيتى؛ بعد أن ترفض أن تمددها بالأسلحة التى تحتاجها؟ وما تأثير ذلك على مركز إسرائيل؟ وماذا عن تأكيد إسرائيل أن عبد الناصر لن يعمل للسلام، وأن أى علامة للمرونة من جانب إسرائيل أو الولايات المتحدة ستفسر على أنها تراجع فى مواجهة التهديد السوفيتى<sup>(٢)</sup>!

ولم يقتصر التواجد السوفيتي في مصر على تغيير السياسة الأمريكية تجاهها، وإنما أيضا بالنسبة للأردن؛ وذلك عندما لم يلبي الأمريكان طلب الأسلحة من الملك حسين في إبريل ١٩٦٩، فقد لجأ الى الاتحاد السوفيتي.

على الفور سبق الأمريكان بعرض السلاح؛ خوفا من أنه "إذا أخذ السوفييت هذه الخطوة الأولى تجاه خلق موطن قدم في الأردن؛ فإنها ستكون البداية لإعادة توجيهه من الولايات المتحدة الى موسكو وبيدأ النفوذ الأمريكي في النزول، ومع الوقت قد يحقق السوفييت مركزا في الأردن يوازي ما حققه في مصر"<sup>(١)</sup>.

وقد بحثت الحكومة الأمريكية نواح عدة قبل أن تبرم الصفقة مع الأردن؛ هل ستؤثر جديا على التوازن الأردني - الاسرائيلي؟ وبالرغم من التأكد من أنها لن تعطى الجيش الأردني القدرة ليعدى نهر الأردن ضد اسرائيل، إلا أنها ستقوى من قدرة نهر الأردن على حرب الاستنزاف ضد اسرائيل؛ وهذا الى جانب الدور السوفيتي في مصر جعل اسرائيل عصبية<sup>(٢)</sup>! ومن هنا وافقت الولايات المتحدة على صفقة الأسلحة الأردنية، ولكن بشرط أن تكون بديلا يمنع الدخول السوفيتي الى الأردن. وبالطبع وافقت الولايات المتحدة بالمقابل على مزيد من المساعدة لاسرائيل<sup>(٣)</sup>.

وفي إطار كل هذه الأحداث التي طرأت على الموقف العربي، وحقيقة أن عبد الناصر تحدث من مركز قوة بعد ما تقدم في أنشطته العسكرية على جبهة قناة السويس، وبعد ما قوى نظامه الجوي الدفاعي، وبدأ يعتقد أنه في مركز سياسي قوى ليتحدث عن السلام، وليضع ضغطا متزايدا على اسرائيل والولايات المتحدة، وأنه أصبح بإمكانه أن يبرر أى نشاط عسكري من جانبه إذا استطاع أن يقول أن الولايات المتحدة رفضت ندائه للسلام؛ بعد تحليل وتقدير هذا الموقف رأت الحكومة الأمريكية أنه بما أن نداء عبد الناصر يأتي في وقت يزداد فيه الالتزام السوفيتي في مصر، بالإضافة الى طلب الأردن السلاح من السوفييت؛ فإنه يجب إعادة نظر شاملة جديدة في استراتيجية الولايات المتحدة في الشرق الأوسط<sup>(٤)</sup>.

- Memo. from Kissinger to P. Nixon, Washington, May 11, 1970, Arms Supply to Jordan. (١)
- Ibid. (٢)
- Ibid. (٣)
- Memo. from Kissinger to P. Nixon, Washington, May 12, 1970, Nasser's "Apreal" to Yon – A new Diplomatic Initiative. (٤)

وفى النهاية وبعد دراسة موقف اسرائيل والعرب، وتغير الوضع العسكرى فى الشرق الأوسط بعد التواجد السوفيتى فى مصر<sup>(١)</sup>، رد نيكسون فى ١٩ يونيه على عبد الناصر على شكل مشروع أمريكى عرف فيما بعد بمبادرة روجرز أو مبادرة سلام.

لقد أطلق عليها مبادرة سلام، ولم تكن إلا عملية إجراءات عديدة تعيد الموقف الى ما كان عليه سنة ١٩٦٧، اقتصرت على المقترحات الآتية:

(١) أن توافق مصر واسرائيل على العودة الى وقف إطلاق النار لفترة محدودة.. ثلاثة أشهر.

(٢) عودة جونار يارنج الى مهمته فى التحرك بين الطرفين المتنازعين؛ تلك المهمة التى تسببت اسرائيل فى فشلها من قبل.

(٣) الإعلان أن الهدف من هذه المناقشات، هو التوصل الى اتفاق حول إقامة السلام العادل والدائم بين الأطراف؛ مستندا الى الإقرار المتبادل بينهم للسيادة وسلامة الأراضى والاستقلال السياسى للطرف الآخر.

(٤) الانسحاب الاسرائيلى من أراضى احتلت خلال نزاع ١٩٦٧.

(٥) تسهيل مهمة يارنج من أجل الوصول الى الاتفاق الذى يتضمن قرار مجلس الأمن ٢٤٢، يحترم الأطراف بكل دقة من أول يوليو حتى أول أكتوبر، قرارات مجلس الأمن الخاصة بوقف إطلاق النار<sup>(٢)</sup>.

وعلق عبد الناصر، "العالم كله منتظر أن ترفض مصر هذه المبادرة، ولذلك فإن قبولها سينقلب على الدعاية الاسرائيلية والأمريكية ضدها"<sup>(٣)</sup>... الآن موقفنا أقوى، ولا نتحرك من موقف الضعف وإنما من موقف القوة، وذلك للآتى: تزايد مقدرة قواتنا المسلحة على الردع، وتزايد الدعم السوفيتى السياسى والعسكرى لنا"<sup>(٤)</sup>.

Memo. For the Record, Washington, June 10, 1970, NSC Meeting: the President... (١)

(٢) نص مبادرة روجرز بالعربية والانجليزية، [www.nasser.org](http://www.nasser.org).

(٣) محضر جلسة مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٧/١٩.

(٤) خطاب عبد الناصر، ١٩٧٠/٧/٢٣، مرجع سابق.

### د - موافقة عبد الناصر على المشروع الأمريكي ودوافعه:

بدأ عبد الناصر يبحث المشروع الأمريكي وهل تقبله مصر أم ترفضه؟ وفي مناقشة أمام اللجنة التنفيذية العليا في ٢٨ يونيو ١٩٧٠، قال: "إن إيقاف إطلاق النار لمدة ٣ أشهر قد يكون مكسب لنا؛ على أساس ننتهي من المواقع الدفاعية على الجبهة ونضع الصواريخ، فاليهود لن يتركونا نكمل هذه المواقع لأن هذا يضعهم في وضع صعب جدا، وهم الآن يضربون كل يوم على المواقع.. كل الذى نبنيه يضرب، ونحن نعمل ليلا"<sup>(١)</sup>.

وفي نفس الوقت وفي رسالة شفوية من وزير الخارجية الأمريكى لنظيره المصرى، شرح التغيير الذى سوف يحدث فى موقف اسرائيل عندما توافق على المشروع الأمريكى؛ الموافقة على الدخول فى مفاوضات غير مباشرة حول تطبيق قرار مجلس الأمن ٢٤٢، وكذلك قبول مبدأ الانسحاب قبل المفاوضات.

إلا أن عبد الناصر أكد مرة أخرى فى نفس جلسة اللجنة التنفيذية العليا، أنه لا يثق فى الأمريكان وخاصة أنهم واضعين فى المشروع النقاط التى تتاسب اسرائيل بالنسبة للمفاوضات والانسحاب من أراضى عربية، ولم ينص على عدم الاستيلاء على أراضى بالقوة؛ فهنا تتبنى جانب اسرائيل كلية<sup>(٢)</sup>.

وكان عبد الناصر متجها فى اليوم التالى الى موسكو ولا يعرف رد فعل السوفييت على المشروع، وبالطبع ثارت مناقشات هناك حول المشروع الأمريكى.

وقد وضع عبد الناصر الموقف العسكرى قائلا: إن وصول الطيارين السوفييت الى الجبهة المصرية، منع الاسرائيليين من التدخل فى العمق - لا تدخل بطيرانها بعد ٢٠ ميل من قناة السويس - فقد قال ديان فى مجلس الوزراء الاسرائيلى: إنه لا يمكنه الدخول فى العمق المصرى ضد الاتحاد السوفيتى!

وبدأ عبد الناصر يناقش المشروع الأمريكي مع السوفييت بالرغم من رفضه من جانب إسرائيل، فقال: "كيف نقدم شيئا موحدا حتى لا يظهر للعدو أنه أخذ المبادرة"<sup>(٣)</sup>؟

---

(١) محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، ١٩٧٠/٦/٢٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) محضر اجتماع عبد الناصر مع القادة السوفييت، موسكو، ١٩٧٠/٦/٣٠.

وهنا قال برجنيف: "أريد أن تكون لنا مبادرة، وألا يكون للولايات المتحدة أو فرنسا أو غيرها فضل أو موقف أحسن منا!" وبعد أن استعرض الإمدادات الأخيرة لمصر من الأسلحة والمعدات والفنيين والخبراء، ورد القادة السوفييت على طلبات عبد الناصر الأخيرة منها - أخذ عبد الناصر تقريبا ٩٥٪ منها - قال كوسيجن: "تشعر أن الأمريكان مضطربين وخائفين لوجود العسكريين السوفييت في مصر".

إلا أن عبد الناصر استطرد شارحا الوضع العسكري، "توجد حرب، القوات المسلحة تضرب كل يوم والضرب في العمق انتهى، الضرب على الجيش مستمر؛ كيف نحل هذه المشكلة؟... كذلك الموقف من حيث الطيران صعب؛ فمازال هناك تفوق جوي اسرائيلي، والفانتوم أصبح لديها صواريخ تضرب صواريخنا في الجو، كيف نخرج من هذا الموقف؟... إن الاستراتيجية الأمريكية - الاسرائيلية تقوم على الحرب الجوية".

وقد استجاب برجنيف الى عبد الناصر، وكلف وزارة الدفاع السوفيتية مع القادة بدراسة المشاكل التي أثارها، وأن يقدموا تقريرا عما يمكن عمله في الفترة التالية، كما أمر مارشال الطيران السوفيتي بزيارة مصر من أجل هذا الغرض. وبعد ذلك اتجه برجنيف الى الحديث عن الحل السلمي، وهنا أكد كوسيجن على أهمية الوحدة والصداقة العربية؛ ففيها توجد قوة مصر الاستراتيجية<sup>(١)</sup>.

أما بالنسبة للمشروع الأمريكي، فقد قال عبد الناصر للزملاء السوفييت في موسكو: "إنه من الأفضل أن نوافق على المبادرة الأمريكية؛ وبهذا تقل الحملة علينا هذه الأيام... أما إسرائيل فسيكون من العسير أن تقبلها".

وعموما فبعد أن اعترض السوفييت على المشروع الأمريكي حدث نقاش طويل، وأخيرا وافقوا على أساس أن يقدم الرد شفويا وليس تحريريا.

وشرح عبد الناصر فى اجتماع اللجنة التنفيذية العليا فى ١٨ يوليو ١٩٧٠ بعد عودته من موسكو، "أن الموافقة على المشروع الأمريكى معناها أننا نلغى كلمة إيقاف القتال الذى تم فى يونيه ١٩٦٧، وهو الموجود بلا نهاية، وهنا استئناف الضرب بعد ٣ أشهر يصبح عملية شرعية". وأكد عبد الناصر "أن هذا يساعدنا فى بناء مواقع الصواريخ؛ فمنذ ديسمبر بنى المواقع، ولكن صواريخنا موجودة فى أكياس رمل وليس مواقع أسمنت"<sup>(١)</sup>!

---

(١) محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، ١٨/٦/١٩٧٠.

وقرر عبد الناصر قبول المشروع الأمريكى وإعلان هذا فى خطابه فى ذكرى الثورة بتاريخ ٢٣ يوليو ١٩٧٠، "ولكن أكد على ضرورة ألا يضم العدو أرضا نتيجة للحرب، وأن نتمسك بحقوق شعب فلسطين. والميزة هنا أن العالم كله سيعرف أننا وافقنا على المبادرة الأمريكية، ونقول: ليس فيها جديد - وهى فعلا كذلك - وأنها تنفذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢".

لقد كان فى ذهن عبد الناصر بالدرجة الأولى - كما قال من قبل - أن وقف إطلاق النار لمدة ٣ أشهر يساعد فى دفع الصواريخ الى الأمام فى منطقة القناة، خاصة وأن المزيد من صواريخ سام ٣ ستصل الى مصر من موسكو فى أغسطس ١٩٧٠، بالمعدات والأطقم المصرية، أى الضباط والعساكر المصريين بعد تدريبهم عليها<sup>(١)</sup>.

وكان عبد الناصر يرى "أن الردع السياسى الروسى هو أكثر منه عسكرى، فعلى قد التزام الروس على قد ما يحل الموضوع سلميا... إن العملية كلها ناتجة من خوف الأمريكان؛ لأن الروس ارتبطوا بينا، وطيارينهم وصواريخهم موجودة عندنا، ولا يمكن أن يُهزم الروس".

كل هذا وعبد الناصر كان يؤكد، أن المبادرة الأمريكية لن تصل الى شئ، وأن يارنج هذه المرة لن يلف بين الأطراف الى مالا نهاية. وبعد ٣ أشهر سيكون موقف القوات المسلحة فى القناة، أنها تستطيع أن تعدى الى سيناء بعد وضع الصواريخ فى مواقعها الأمامية. ولهذا توقع أن الاسرائيليين لن يوافقوا أبدا على وقف إطلاق النار لمدة ٣ أشهر؛ إنهم يريدون وقف القتال المستمر.

وفى نفس جلسة اللجنة التنفيذية العليا فى ١٨ يوليو ١٩٧٠، قال عبد الناصر: إنه يريد حل سلمى؛ "لأن الحل العسكرى معناه أننا نحارب أمريكا!" وكان الدليل على ذلك المعدات الحربية التى أرسلوها لاسرائيل بعد ٤٨ ساعة من ضرب الطائرات الفانتوم على يد المصريين؛ تلك المعدات التى

تفجر الصواريخ قبل وصولها الى الطائرة. إن الأمريكان يهتم سمعة الفانتوم؛ فالحرب هي حقيقة مع الولايات المتحدة.

أما من جانب نيكسون، فقد كان الدافع الأساسي وراء هذا التحرك الأمريكي - كما عبر عنه جوزيف سيسكو عندما حضر الى القاهرة وقابل عبد الناصر - أن الوضع أصبح خطيرا جدل، وقد يصل الى مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وطلب إعطاء فرصة أخيرة للتفاهم، وقد أرسل نيكسون رسائل الى كوسيجن وويلسون بهذا المعنى.

---

(١) المرجع السابق.



إن وصول الدعم الجديد الى مصر من الصواريخ السام ٣، والتغييرات الاستراتيجية الكبرى لمصلحة مصر بقيام ثورتى السودان فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ والثورة الليبية فى أول سبتمبر من نفس العام، وظهور فاعلية المقاومة الفلسطينية لتجسيد وجود الشعب الفلسطينى؛ كل ذلك دفع الولايات المتحدة الى تغيير موقفها بالمبادرة للحوار مع عبد الناصر، وبالضغط على اسرائيل لقبول قرار مجلس الأمن ٢٤٢، ثم تأجيل صفقة طائرات الفانتوم والسكاى هوك التى كان من المزمع عقدها مع اسرائيل.

ولكن اسرائيل لم تتوقف عن محاولاتها لتغيير موقف الولايات المتحدة، وبالغت فى أثر التواجد العسكرى السوفيتى على جبهة قناة السويس. وأكد رابين - السفير الاسرائيلى فى واشنطن - أن العملية لم تعد التوازن العسكرى بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة، فقد ظهر بُعد جديد؛ ولذلك فإن اسرائيل تريد طائرات فانتوم أكثر<sup>(١)</sup>.

وقد أصدرت الحكومة الاسرائيلية بيانا فى ٢٩ إبريل ١٩٧٠، أعلنت فيه وجود طيارين سوفيت فى مصر واشتراكهم فى عمليات عسكرية.

وكان عبد الناصر مدركا لردود الفعل العالمية والعربية لقبول مصر المبادرة الأمريكية.. فبالنسبة لأوروبا، يخافون جدا من وجود السوفييت فى مصر، ويقولون: إنهم لن يتركوا مواقعهم؛ فالأسطول السوفيتى أصبح معزز فى شرق البحر المتوسط، ثم لهم طائرات حربية فى مطار مرسى مطروح بجانب المصريين. وبالتالي فإن تواجد العسكرىين السوفييت فى مصر كان رادعا سياسيا كبيرا للغرب واسرائيل.

وفى الواقع فإن قبول عبد الناصر للمبادرة الأمريكية كان "يزنق أمريكا"؛ فإذا أعطت أمريكا سلاح لاسرائيل تستطيع أن تقضى على كل مصالحها فى العالم العربى!

وفى نفس الوقت، فقد كان هناك خلافا فى البداية حول المشروع الأمريكى بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وكان عبد الناصر لا يريد الوقعة مع السوفييت، "فنحن لا نقبل أن يتخلوا عنا فى هذه المعركة، واسرائيل من ورائها أمريكا بكل قوتها".

وفى ذلك الوقت أيضا، كان يوجد مشروع على أساس حضور علماء سوفييت متخصصين فى العمليات الإلكترونية الحربية الى مصر، وجمعهم مع أكبر عدد من العلماء المصريين فى هذا الميدان سواء من الجامعة أو من البحث العلمى؛ حتى يمسكوا بخطوط العملية.

---

Memo. Of Conversation, Washington, April 24, 1970, Rabin, Kissinger, Saunders of NSC.

(١)

لقد غيرت الخطوة من جانب السوفييت فى إبريل ١٩٧٠ الموقف، بإرسال قوات سوفيتية على الصواريخ؛ وبهذا تغير ميزان القوى فى اتجاه مصر، وكان له تأثيرا عالميا وأيضا ساعد على حل الموقف<sup>(١)</sup>.

وحدد عبد الناصر أن استراتيجية مصر يجب أن تكون مبنية على موضوع أساسى؛ وهو أن الموقف مع الاتحاد السوفيتى يجب أن يكون فيه تفاهم كبير، وإلا إذا سحبوا أيديهم فإن مصر ستضرب ضرب لا أول له ولا آخر! فإن توقف ضرب العمق المصرى كان بسبب إدخال السوفييت عسكريا؛ فمن البداية المشروع الأمريكى تم بسبب إدخال السوفييت فى الموقف مما حرك الأمريكان. "وفى أول أغسطس كان من المنتظر أن تصل الى مصر على ١١ مركب أول دفعة عليها معدات وصواريخ وعساكر مصريين، وسينزلوا فى بورسعيد نهارا، والناس سترى وكل البلد ستعرف فى ثوانى"<sup>(٢)</sup>.

#### هـ - الولايات المتحدة تضغط على إسرائيل لقبول المشروع الأمريكى:

أما بالنسبة لإسرائيل، فقد توقع عبد الناصر أن ترفض وقف إطلاق النار لمدة ٣ شهور، وهى كانت تطالب بوقف إطلاق نار غير محدد المدة. ومن ناحية أخرى فإن موافقتها على الانسحاب من الأراضى العربية كان معناه أن الوضع الداخلى فيها سيضعف جدا، واليأس سيكون كبيرا والانقسام عنيفا<sup>(٣)</sup>.

وبمقتضى المشروع الأمريكى، سيكون على إسرائيل أن تتخلى عن شرط التفاوض المباشر، وأن تعطى مقدا ارتباطا خاصا بانسحابها من أراضى محتلة.

وبالطبع كان لا يمكن تحقيق أى اتفاق سلام دون أن تمارس الولايات المتحدة ضغطا على إسرائيل، وقد بدأت فى ذلك. وقرر نيكسون إيقاف إمداد إسرائيل بالطائرات التى طلبتها؛ خوفا من رد الفعل السوفيتى بإرسال مزيد من رجاله الى مصر، هذا وإن وعد إسرائيل بمزيد من المساعدة الاقتصادية - من ٧ - ٨ مليون دولار - مع تعويض الخسائر العسكرية<sup>(٤)</sup>.

(١) محضر جلسة مجلس الوزراء، ١٩/٧/١٩٧٠.

(٢) محضر اجتماع اللجنة التنفيذية العليا، ١٨/٧/١٩٧٠، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) Transcript of a Tel. Conversation between P. Nixon & Kissinger, Washington, March 10, 1970.

ثم أرسل نيكسون رسالة الى مائير يخطر بها بذلك، ويؤكد لها أن قرار إرسال الطائرات الأمريكية لاسرائيل لن يخدم السلام في الشرق الأوسط<sup>(١)</sup>.

وأخيرا طلب نيكسون من الحكومة الاسرائيلية أن تنتهي هجومها الجوى وغيره على الجمهورية العربية المتحدة لفترة ٦٠ يوما؛ بما يحقق وقف إطلاق نار كامل<sup>(٢)</sup>.

وتلى ذلك أن أعلنت الحكومة الأمريكية في مؤتمر صحفى، قرارها بتأجيل أى التزام من جانبها لإمداد اسرائيل بمزيد من الطائرات الحربية؛ من أجل وقف المواجهات العسكرية في منطقة الشرق الأوسط، على أن يحل محلها خلق جو يعطى فرصة لتسوية سلمية<sup>(٣)</sup>.

وبالفعل اضطرت اسرائيل لقبول هذه المقترحات الأمريكية على مضض، وسلم الرد اسحاق رابين قائلا: "إن الولايات المتحدة جعلت حكومة اسرائيل تستخدم كلمة انسحاب!" وتم وقف إطلاق النار في ٧ أغسطس ١٩٧٠<sup>(٤)</sup>.

ووصل الأمر الى أنه بعد أن طلبت جولدا مائير زيارة الولايات المتحدة، أبلغها نيكسون في ١٧ أغسطس ١٩٧٠ أنه لا يرى أن هذا وقتا مناسباً للزيارة؛ حتى لا يساء فهمه مع بداية المجهود لتحقيق السلام في الشرق الأوسط، ثم علق.. أنه يجب أن تمارس اسرائيل ضبط النفس<sup>(٥)</sup>.

أما في داخل اسرائيل، فقد حدث ما توقعه عبد الناصر وانفرط عقد التحالف الحاكم في حكومتها، وخرج وزراء حزب جاحال الستة، وكان هذا الحزب قد دخل انتخابات ١٩٦٩ على أساس مبدأ ضم كل الأراضى المحتلة الى اسرائيل.

---

Letter from P. Nixon To Israeli PM Meir, Washington, Undated. (١)

Aide – Memoire from P. Nixon to the government of Israel, Washington, March 17, 1970 (٢)

Tel. from the Dept. of State to Certain Diplomatic Postes, Washington, March 21, 1970, USG Decision on Israeli Aircraft Request. (٣)

Tel. from the Dept. of State to the Embassy in Israel, Washington, Aug. 4, 1970. (٤)

Memo. of Conversation, Washington, Aug. 17, 1970, P. Nixon & Rabin. (٥)



وفى الواقع لقد حققت الولايات المتحدة هدفها، أولاً: بقبول مصر لمبادرتها، ثانياً: بعملية التمزق فى العالم العربى التى تمت نتيجة لذلك. فقد رفضت بعض الأطراف العربية المبادرة الأمريكية ووقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوماً.. أولها: المقاومة الفلسطينية، ثم العراق وسوريا والجزائر، وهى التى كانت ترفض قرار مجلس الأمن وتطالب بالحرب الفورية الشاملة، والمصريون هم الذين يدفعون الثمن!

وكان خط بارليف فى هذا الوقت قد انتهى فعلاً؛ فقد دمرت المدفعية المصرية ودوريات الصاعقة أجزاء كثيرة منه؛ مما اضطر القوات الاسرائيلية على خط قناة السويس أن ترجع الى الخلف مسافة ٢٠ كم، وتركوا على طول القناة - ١٧٠ كم - ١٧ نقطة فقط.

## و- تداعيات قبول عبد الناصر للمشروع الأمريكي:

وبالنسبة لتداعيات قبول المشروع الأمريكي، فقد كان عبد الناصر يدرك أن له فوائد وعيوب، ولكن فوائده أكثر وسيق ذكرها. إلا أن التنفيذ العملي للمشروع كان عملية معقدة؛ يارنج ماذا سيفعل؟ وبالطبع ستكون هناك خلافات، ولكن لا خلاف على حدود مصر القديمة. أما بالنسبة للأردن فقد حدث تعديلات طفيفة في الحدود في مباحثات الأربعة، ولكن المشكلة هي القدس وغزة. ففي مباحثات الأربعة كان رأى الفرنسيين أن القدس تظل منزوعة السلاح، وجزء منها إدارة اسرائيلية والآخر إدارة أردنية. أما غزة، فرأى عبد الناصر أن تكون عربية سواء تابعة للإدارة المصرية أو الأردنية.

ومنذ البداية، كان عبد الناصر مدركا لهجوم الدول العربية المتوقع عليه عند قبوله للمشروع الأمريكي، والمزادات ووصف هذه الخطوة بالتنازل والاستسلام! إلا أنه كان يرى أن الرد عليهم سهل.

أما المكسب السياسى من وقف إطلاق النار لمدة ٣ شهور، فهو تغيير قرار مجلس الأمن فى ٨ يونيه ١٩٦٧ من وقف إطلاق النار المطلق الى المحدد بثلاثة شهور؛ وهو الذى لم تحترمه اسرائيل، وأصيبت فى ظلها مدن قناة السويس كلها. وهكذا فعندما تضرب مصر اسرائيل فى ظل المشروع الأمريكى يكون ذلك قانونيا وشرعيا<sup>(١)</sup>.

وقد أعلن عبد الناصر فى خطابه فى ٢٣ يوليو ١٩٧٠ موافقته على المشروع الأمريكى، وقال: "إن حركتنا نحو تحقيق تحرير أراضينا المحتلة ليست حركة مقيدة، وإنما هى حركة مفتوحة تلزم نفسها بالمبادئ الأساسية لنضالنا. نحن نعمل فى السياسة، ويجب ألا تغيب عنا الحقيقة؛ وهى أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد بغير القوة"<sup>(٢)</sup>.

وفى نفس الوقت، أخطر عبد الناصر القذافى عند لقائه فى القاهرة فى ٣ أغسطس ١٩٧٠، أنه فى اليوم السابق قد تم دفع مزيد من الصواريخ الى جبهة قناة السويس، وهى التى تأخر تحريكها من العام السابق؛ حيث كانت تُضرب المواقع من جانب اليهود، ومات المئات من عمال التراحيل!

(١) محضر جلسة مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٧/١٩، مرجع سابق.

(٢) خطاب عبد الناصر، ١٩٧٠/٧/٢٣، مرجع سابق.

وشرح عبد الناصر للقذافي، أن الخطة كانت ما يسمى "بخطوة الضفدعة"، أى يتم إنشاء موقع، وفى حمايته يتم بناء المواقع الأخرى. وعند نهاية شهر أغسطس تكون العملية قد انتهت؛ مما يمنع الطيران الاسرائيلى من أن يضرب القوات المصرية، ثم يضرب شرق القناة، وهذا يعطى الفرصة أن تعدى الى سيناء، وهذا بالطبع مع الاهتمام بالقوات الجوية.

وقال عبد الناصر للقذافي: "الثلاثة أشهر التى يقف فيها إطلاق النار يجعلونى أتنفس! لأن فيه استنزاف ولكن فيه استنزاف مضاد"<sup>(١)</sup>.

واستطرد عبد الناصر "نحن نقول استنزاف ونحن مستعدين عشرة مصريين فى مقابل واحد يهودى.. وبهذا نكون نستنزف اسرائيل... لقد استمر يارنج يتكلم معنا ١٨ شهرا - نحن واسرائيل - وهذا الكلام بدون نتيجة، إذاً ما الذى يضمن أن العملية القادمة لها نتيجة؟! أنا ما عندى ثقة أنها ستنتج أبداً، لكن لو كنت أرفض كان وضع اسرائيل يتعزز!"

وأخبر عبد الناصر القذافي، أنه اجتمع مع قادة الجيش قبل إعلانه قبول مبادرة روجرز، وقال لهم: "لا يوجد حل سلمى!" ثم قال له: إنه غير مستعد لفرض وصاية على مصر من أى دولة عربية، ومصر هى الدولة التى تعانى، وجزء محتل من أراضيها وشعبها قبل هذا ثلاث سنوات! الى متى سيقبل هذا؟! ثم مصر هى الدولة التى عندها كل أسبوع خسائر قتلى وجرحى"<sup>(٢)</sup>.

وفى أوائل شهر أغسطس ١٩٧٠، سرى وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوماً نتيجة لمبادرة روجرز، التى أصبحت توجيهات لسكرتارية الأمم المتحدة صادرة عن الدول الأربع ذات العضوية الدائمة فى مجلس الأمن.

وكان رأى عبد الناصر، أن الانقسام فى العالم العربى يضعفه فى مواجهة اليهود، وكان مقدراً حدوث انقسام داخل اسرائيل. وتساءل فى حديثه مع القذافي.. "هل نترك أمريكا تعطى أسلحة لليهود"؟!!

---

(١) مباحثات عبد الناصر مع القذافي، القاهرة، ١٩٧٠/٨/٣.

(٢) المرجع السابق.



## ز - مزایدات الدول العربية بعد قبول عبد الناصر للمشروع الأمريكي:

مثلما أدى المشروع الأمريكى الى انقسام داخل اسرائيل وخروج اليمين المتطرف من الحكومة الاسرائيلية، فتحت موافقة عبد الناصر عليه الباب لانقسامات ومزایدات عربية، كانت قد بدأت فى الواقع من قبل؛ وخاصة من جانب العراق بعد الانقلاب الذى أتى بالبعث الى الحكم فى ١٧ يوليو ١٩٦٨، وأيضاً الجزائر والمقاومة الفلسطينية وسوريا.

"لقد أصبح موقف العرب وهم عالقين فى بعض مسيئاً للقضية العربية؛ فلا أحد يفكر فيها بينما المكتوبين بناها هما مصر والأردن". هذا ما قاله عبد الناصر للملك حسين فى القاهرة فى ١٩٧٠/٧/٢١. وأوضح أن المعركة الأساسية صارت فى القاهرة وليست فى جبهة قناة السويس بسبب القوى المعادية، وكذلك فى عمان، لماذا؟ بسبب نشاط كل المخابرات الأجنبية التى تعمل مصر والأردن. واليهود إذا كسبوا هذه المعركة ستكون بلا خسائر؛ ولذلك يجب أن يعالج موضوع المبادرة الأمريكية بكل حذر<sup>(١)</sup>.

وقد تأثر عبد الناصر من موقف الدول العربية التى زایدت عليه، فقال للقذافى: "لما الذين سيحاربون.. أنتم والعراق والجزائر واليمن الشعبية وسوريا والأردن وجورج حبش، وإعملوا خطة لتحرير فلسطين، وأنا غدا أعلنها الجمهورية المصرية! وأردف قائلاً: نحن الوحيديين الذين نحارب اليوم، ونحن الآن المتهمين بالاستسلام، وكل الذين لا يحاربوا يتكلمون عن الحرب<sup>(٢)</sup>!"

### (١) موقف العراق:

وقد عبر عبد الناصر عن غضبه من العراق ومن سوريا أكثر لأن مصر دخلت الحرب بسببهم، وهم لم يحاربوا! ولذلك فعندما بدأت المزایدات السورية ضد مصر، قرر عبد الناصر سحب الطيران المصرى من عندهم.

لقد كان عبد الناصر يتساءل.. "هل السوريين والبعثيين العراقيين والجزائر سيحرروا الضفة الغربية؟! إذاً إذا وجد عندنا ٥,٠٪ أمل فى حدوث ذلك بالعمل السياسى، لماذا أضيعه"؟!

(١) مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة، ١٩٧٠/٧/٢١.

(٢) مباحثات عبد الناصر مع مأمون عوض أبو زيد، القاهرة، ١٩٧٠/٨/٣.

ثم قال عبد الناصر أمام اللجنة التنفيذية العليا في ١٨ يوليو ١٩٧٠: "أعداؤنا من العرب مثل السعودية، فإن رأيهم أن استمرار الموقف بدون حل هو في صالحهم، وهو ضد مصر لأن إلى متى سيتحمل الناس!"<sup>(١)</sup>!

وهكذا صورة العالم العربي أمام العالم أصبحت تضعفه، وفي داخل إسرائيل قالوا: اتركوا العرب هم الذين سوف يتمزقوا!"<sup>(٢)</sup>!

والأكثر من ذلك، "لقد بدأت العراق تجند المصريين، كل الطلبة الذين اتصلوا بهم بلغوا وكذلك الضباط ما عدا ٢ من جماعة جلال هريدي. كان لابد من إنهاء هذا الموضوع، وقبضنا على الداخلين في عملية الضباط بالذات"<sup>(٣)</sup>.

وشرح عبد الناصر موقف العراق قائلاً: "وعموماً كان العراق - حزب البعث - معادياً لمصر بالطبيعة؛ إنه كان يريد أن يسيطر على العالم العربي ويعتقد أن مصر هي العقبة. الجزائر معهم؛ لماذا؟ الموضوع الأساسي هو ليبيا".

ثم إن العراقيين كانوا يطلبون تحريك نصف الجيش المصري إلى الجبهة الشرقية العربية<sup>(٤)</sup>، وعبد الناصر رفض.

"وبدأ العراقيون يقولون: لا يحق لعبد الناصر أن يتكلم باسم الشعب العربي وهو الآن يستسلم لإسرائيل والأمريكان، وإن طليعة النضال العربي هو حزب البعث"<sup>(٥)</sup>!

وكذلك بدأ بومدين في الجزائر يقول: إنه يتكلم باسم الشعب العربي! وإن هزيمة ١٩٦٧ لم تحدث في التاريخ وكانت سبباً للعرب! وهاجم مصر ولكن عبد الناصر لم يرد<sup>(٦)</sup>.

والحقيقة أن العراقيين .. "ما في طائرة طلعت من عندهم، ما عملوا مطار، ما عملوا شيء!" هذا ما قاله عبد الناصر لولد دادة في ٦ سبتمبر ١٩٧٠، واستطرد.. "كيف أحارب إسرائيل بدون طيران!"<sup>(٧)</sup>!

أما الحرب الشعبية التي يطالبون بها، في الصحراء، كيف حرب شعبية!... أما في فيتنام فهناك غابات يخنفي فيها الناس"<sup>(٧)</sup>.

(١) محضر اللجنة التنفيذية العليا، ١٨/٧/١٩٧٠، مرجع سابق.

(٢) مباحثات عبد الناصر مع القذافي، القاهرة، ٣/٨/١٩٧٠، مرجع سابق.

(٣) مباحثات عبد الناصر مع ياسر عرفات، القاهرة، ٢٥/٨/١٩٧٠.

(٤) مباحثات عبد الناصر مع ولد دادة، القاهرة، ٦/٩/١٩٧٠.

(٥) المرجع السابق.

(٦) المرجع السابق.

(٧) المرجع السابق.

وقال عبد الناصر فى اجتماع مجلس الوزراء فى ٧ سبتمبر ١٩٧٠: إن القذافى عندما ذهب الى العراق، رجع وقال: "إن العراقيين لا يريدوا أن يحاربوا اليهود، إنهم يريدون أن يحاربوك أنت!..." إنهم يعتبرون أعداء لنا، فى السنتين الماضيتين انتهزوا فرصة الظروف التى نحن فيها وكانوا يهاجمونا؛ حتى هى لهم أننا خرجنا ويقدرنا يصطادونا!

الأحداث كلها ترد عليهم.. اليوم انسحاب اسرائيل من المحادثات رد عليهم؛ لأن معنى هذا أن المحادثات ليست فى صالح اسرائيل وأنها تريد أن تتوسع... ثم إنهم يعملون فى داخل مصر ضد النظام، وقد اتمسك ضباط اتصل بهم البعثيون ولم يبلغوا، وسيقدمون الى المحاكمة العسكرية، كما حاولوا فى البحرية"<sup>(١)</sup>.

## (٢) موقف الجزائر:

أما موقف الجزائر ضد مصر فقد بدأ أيضا من قبل موافقتها على المشروع الأمريكى، وزار عبد الناصر بومدين أثناء مؤتمر الرباط فى ٢٢ ديسمبر ١٩٦٩، وسأله.. "لماذا الفتور القائم بيننا؟! ولماذا لم ترسلوا ما تعهدتم من المعدات الحربية؟! فرد.. عندنا ظروف صعبة!"

وكانت جريدة المجاهد الجزائرية تهاجم مصر باستمرار، وتقول: البرجوازية العسكرية، وقبول الحل السلمى والاستسلام!

ثم عرف عبد الناصر من الملك الحسن، أن بومدين اشتكى من موقف مصر بالنسبة لليبيا بعد الثورة، وقال: إن هذه الخطوة ستؤثر على الموقف الدولى كله فى المغرب العربى! وفى الواقع فإن موقف مصر من ثورة ليبيا، أنها أيدتهم، وكانوا متجهين اليها بالذات ويعتبرون أنفسهم تلاميذ الثورة المصرية وشبوا عليها. وعندما طلبوا من عبد الناصر أن يقف معهم، قرر ذلك.

وفى هذه الفترة، دبرت مؤامرة قام بها وزيرى الدفاع والداخلية فى ليبيا، وحينما كشفت طلب مجلس الثورة الليبى من مصر إرسال قوة تكون معهم فى الداخل، وقوة من الدبابات على الحدود؛ حتى يمكن أن يستعينوا بها إذا دعا الأمر.

وافق عبد الناصر، وأرسل كتيبتين صاعقة الى طرابلس الى جانب الموجود قبل ذلك، كما أرسل لهم - بناء على طلبهم - عدة قوارب؛ ٣ قطع بحرية صغيرة، كما أرسل فعلا دبابات الى الحدود.

لما وصلت هذه المعدات والقوات الى ليبيا، وجد عبد الناصر أن بومدين متأثر من هذا التحرك! فقال له: "هذا ليس جديدا، فأنتم عندما تعرضتم لغزو من المغرب في أكتوبر ١٩٦٣ - وهي دولة عربية - وطلبت طائرات وطيارين ودبابات وقوات صاعقة، وافقنا وضحينا بمصالحنا في المغرب، ولكن وقفنا معكم ١٠٠٪ كثورة جزائرية، ولم نفكر إلا فيكم ولم نعمل حساب للموقف الدولي".

وعندما قال بومدين: "لماذا لم يطلب الليبيون منا وطلبوا منكم"؟! رد عبد الناصر، "هذا الموضوع لم أفكر فيه، وهذه قوة رمزية، ويجب ألا تكون فيه حساسيات!"

والغريب أنه في مقابلة عبد الناصر مع بومدين هذه، قال أيضا: "إن الجرائد المصرية لا تتكلم عن الجزائر!" رد عبد الناصر، "كل الأخبار التي تأتي من الجزائر تنتشر"، وخطر له أنهم متصوريين أن في مصر خطة لعزل الجزائر<sup>(١)</sup>!

وبلغ من تأثر عبد الناصر أنه قال للملك حسين في ٢٠ أغسطس ١٩٧٠: "الجزائريون والعراقيون لم يوافقوا على إعطائنا طيار واحد! وفي الوقت الذي نحن بعد إيقاف القتال، لاغبين الاجازات، ونطلع القوات ونعمل، واليهود فاقدين أعصابهم؛ قام بومدين بسحب الكتيبتين الجزائريتين من جبهة قناة السويس!"

واستطرد، "ما لهم قيمة، ولكنها حركة تضايق، ولم يعطونا ولا مليم، علما بأننا أيام ثورة الجزائر استمرينا ٣ سنين نساعدهم وحدنا، ونعمل لهم اعتماد في الميزانية! ثم بدأت الجامعة العربية تساعدنا، ولآخر وقت كنا نساعدناهم".

(١) اجتماع عبد الناصر مع مجلس الأمة، ١٩٧٠/٣/٢٥، مرجع سابق.

وأضاف عبد الناصر للملك حسين، "أسهل شئ كنت أقول لا للمبادرة الأمريكية، ولكن حامل هم الضفة الغربية، وإلا كنت أتكلم على سيناء وحدها. مليون ونصف فى الضفة الغربية، إذا تركناهم اليهود سيطردهم ويأخذوا الأرض. إذاً بالحرب، كيف؟! هل جيش الأردن والعراق وسوريا وياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمه يقدروا يحرروا الضفة الغربية؟! هذه هى القضية، ليست تصفية المقاومة، القضية هى المليون ونصف فلسطينى داخل الضفة الغربية وغزة.

لمدة ٣,٥ سنة الأمريكان رافضين أى حل، فإذا قالوا اليوم: إنه ممكن الحل لسبب واحد.. وجود الروس فى مصر، أى لماذا غير الأمريكان موقفهم؟ لأن الروس موجودين هنا.. الطيارين والعساكر الروس موجودين فى مصر؛ هذا هو السبب!

وحتى لو دخلنا سيناء وعدينا القناة، سأصل الى أين؟ ما الذى سيوصلنا الى الضفة الغربية؟! وإذا وصلنا الى حدود اسرائيل والأمريكان أعطونا إنذارا، ماذا نفعل؟ من الذى سيحرر؟! لكن سهل يقولوا: يسقط مشروع روجرز التصفوى الاستسلامى"<sup>(١)</sup>!

وشرح عبد الناصر للملك حسين، "الفريق فوزى كل يوم يطلع كتائب الصواريخ للأمام، واليهود والأمريكان يصوروا، ونحن منتظرين تانى يوم إن اليهود يضربوا؛ لأن الموضوع بالنسبة لهم مسألة حياة أو موت. وماشيين فى العملية، واجازات الناس كلها ملغية.. كل العسكريين يعملوا"<sup>(٢)</sup>.

وفى نفس الوقت أبلغ عبد الناصر الملك حسين، مساندة مصر الكاملة له عن قناعة وعن وضع مبدأى وليس عاطفى، وقال له: "فى ١٩٦٧ أنت اتخذت قرارا من أجل تحقيق الأهداف العربية ليس شخصى ولا ينسى.. نحن اليهود هجموا علينا وفى الأردن هجتم عليهم، فى الوقت الذى قيل إنهم أرسلوا لكم، وقالوا: لتكونوا خارج المعركة، وإذا ظلمتوا خارجها لن نتعرض لكم.

ونحن نعتبر دخولكم فى هذا الوقت كان تضامنا معنا، نحن الذين أعتدى علينا. ولو اتصلت بك فى هذا العام لكنك قلت لك: لا تتحرك، مثل ما اتصلت بك سنة ١٩٥٦؛ لأن العملية كانت واضحة من الساعات الأولى أنها خاسرة. لم أعرف هذا إلا بعد ظهر ٥ يونيه، وكنتم قد دخلتوا المعركة...

(١) مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة، ٢٠/٨/١٩٧٠.

(٢) المرجع السابق.

هذا الموضوع لن ننسأه لى شخصيا وللشعب المصرى"<sup>(١)</sup>.

واستطرد عبد الناصر، "أنتم دخلتم الحرب علشاننا ونحن دخلنا علشان سوريا! لم ندخل لنهاجم، ولكن لنظهر أننا واقفين ومتضامنين مع سوريا. قد يكون إخوانا فى سوريا نسوا هذا الموضوع!

مصر والشعب المصرى يعلم حقيقة موقفكم فى سنة ١٩٦٧، وسيظل يذكر هذا بالنسبة للأردن والملك حسين الى الأبد"<sup>(٢)</sup>.

وعندما سحبت الجزائر الكتيبتين اللتين كانتا على جبهة قناة السويس من مصر تكلم بومدين أمامهم قائلاً: السبب وقف إطلاق النار! وعلق عبد الناصر، "طب ما كان فيه وقف إطلاق النار من ١٩٦٧.. إلخ، سهل وهو على بعد ٤٠٠٠ كم يحارب ويقاثل"<sup>(٣)</sup>!

ثم قال: "كان لنا عدد من الضباط الذين يعملون بالتدريس ويساعدوهم، ولكن لما سحبوا قواتهم من جبهة قناة السويس بالطريقة السخيفة التى تمت، وجدنا أيضا أن سحب ضباطنا من هناك والسلاح الذى كان معهم؛ بصرف النظر عن عملية التعريب... لنقول لهم: إننا لا نستطيع هذا التصرف"<sup>(٤)</sup>!

بومدين يقول: لما تحاربوا قولوا لى أبعت الجيش! هل ما يحدث على القناة حرب أم لا؟! ٦٩ طائرة خسائر، وعدد من الطيارين مات! أى أننا نحارب. ولما أقول للجزائريين يعطونا طيارين يحاربوا معنا يرفضون، لماذا؟! السعودية والعراق لا تحارب! سوريا بقوتها الجوية والأرضية تستطيع أن تدافع ولن تستطيع أن تهاجم"<sup>(٥)</sup>!

والغريب فى الأمر أن الجزائريين قالوا: إنهم ضد وقف إطلاق النار، وإنهم لا يوافقوا على تحرير الأراضى التى تم احتلالها فى ١٩٦٧ فقط، ولكنهم يريدون تحرير كل فلسطين التى تم احتلالها فى ١٩٤٨، ١٩٦٧! فرد عليهم عبد الناصر: "من السهل الحديث عن تحرير الأرض عندما تكون على بعد ٤٠٠٠ كم من منطقة التحرير!"

(١) مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين، الإسكندرية - قصر رأس التين، ١٩٧٠/٨/٢١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مباحثات عبد الناصر مع ياسر عرفات، ١٩٧٠/٨/٢٥، مرجع سابق.

(٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق.

غضبوا، واعتبروا أن هذا يمثل خيانة للقضية العربية! وفي الواقع فإن مصر كانت لا تحصل على أى دعم مالى من الجزائر، وبينما أوقفت خطة التنمية، فإنهم استثمروا المزيد فى خطط التنمية الخاصة بهم! مصر التى تقاتل على أرض المعركة على مدار ١٣ شهرا السابقة، وتواجه خسائر!

وكان الجزائريون يقولون: "إننا يجب ألا نقبل قرار مجلس الأمن ٢٤٢ لأنه يمس كرامتنا، وإننا يجب أن نسترد الأرض بالقوة"، ولكنهم يرفضون المشاركة فى القتال؛ هم يريدوا المصريين فقط الذين يقومون بالقتال!

وهكذا ، من كانوا يقبلون وقف إطلاق النار بصورة مستمرة منذ ١٩٦٧ وحتى أغسطس ١٩٧٠، لا يريدون من مصر أن تقبل وقف إطلاق النار لمدة ٩٠ يوما! لماذا؟!<sup>(١)</sup> وفى لقاءه مع يعقوب جاوون<sup>(٢)</sup> فى القاهرة فى ٥ سبتمبر ١٩٧٠ تحدث عبد الناصر عن تأثيره من موقف الجزائر معه، وأشار مرة أخرى الى تضحية المصريين عندما لبت مصر نداء الجزائر بالمساعدة فى نزاعهم مع المغرب فى ١٩٦٣ الذى أدى الى أن قامت الحكومة المغربية بوقف تحركاتها فى العمق الجزائرى. وكان هناك حوالى ألف عائلة مصرية فى المغرب يعملون كفنيين، تعرضوا للطرد فى يوم واحد!

وقال عبد الناصر: "الحقيقة تبقى أننا لم نتردد مطلقا فى مساعدة الجزائريين أو أى دولة عربية". ثم عقب عبد الناصر آسفا، "هناك غيوم فى العلاقات بينا وبين الجزائر"<sup>(٣)</sup>. وقد ذكر عبد الناصر لولد داهه أثناء زيارته للقاهرة فى ٦ سبتمبر ١٩٧٠، "أن السعودية مع الجزائر؛ فقد أصدرنا بيانا من ٧ - ٨ أشهر قبل مبادرة روجرز، استنكرا فيه قبول قرار مجلس الأمن ٢٤٢، وأن الكفاح المسلح والقتال هو السبيل الوحيد لتحرير الأرض! ماذا تعمل السعودية من أجل هذا؟ لا شئ! ليس عنده جيش ليحارب"<sup>(٤)</sup>!

وقد وصلت مصر أخبار عن طريق وزير الاقتصاد المصرى الذى كان فى جولة فى أوروبا، أن بوتفليقة يقول لفرنسا وإيطاليا وألمانيا: "لماذا تتعاملون اقتصاديا مع مصر؟ بدل ما تعطوها تسهيلات إعطوها لنا!"

- 
- (١) مباحثات عبد الناصر مع يعقوب جاوون، القاهرة، ١٩٧٠/٩/٥.
- (٢) رئيس نيجيريا.
- (٣) المرجع السابق.
- (٤) مباحثات عبد الناصر مع ولد دادة، القاهرة، ١٩٧٠/٩/٦، مرجع سابق.

ولكن رغم كل ذلك قال عبد الناصر لولد دادة: "يجب الحرص على الجزائر، ويجب ألا نتركها تضيع"<sup>(١)</sup>!

وكان عبد الناصر يعلم أنه "من البداية، حكم بومدين يعتبر أننا كان ارتباطنا بين بيلا، وعلى هذا الأساس تكلموا علينا كثيرا من ١٩٦٧ حتى الآن. ولكن أيضا لا نريد أن ندخل معركة معهم... في رأيي أن هذا الوضع العربي يُكشف للناس بسهولة، وإن يجب عن طريق وسائل إعلامنا لما نكشف موقف العراق فقط، نستطيع أن نكشف سوريا والجزائر... وحتى المغرب، فالدبابات التي وعدونا بها لم يرسلوها"<sup>(٢)</sup>!

### (٣) موقف سوريا ولبنان والسودان:

أما بالنسبة لسوريا، فبالرغم من إرسال مصر لها طائرات طبقا للاتفاق حول الجبهة الشرقية، إلا أنهم كانوا مانعينا من الضرب على إسرائيل<sup>(٣)</sup>.

السوريون عندهم وقف إطلاق النار من ١٩٦٧، وعندما أعلنت مصر حرب الاستنزاف، قالوا: الجبهة السورية غير جاهزة، وأنها ستستنزفهم! قال لهم عبد الناصر: "إنها ستستنزف مصر أيضا، ومعروف قانون الاستنزاف والاستنزاف المضاد؛ من يصير أكثر؟!"

"وبالرغم من ذلك، هاجموا مصر لأنها قبلت وقف إطلاق النار لمدة ٣ أشهر وكانوا يقولون: كيف؟! وهم سياسيا رفضوا قرار مجلس الأمن ٢٤٢، وداخليا وحزبيا يقولون: حرب التحرير الشعبية، ولكن يظلوا ١٠ سنين يقولوا ذلك!"

إن السوريين وغيرهم من العرب ضد جلاء اليهود من الضفة الغربية بدون حرب؛ لاعتبارات الكرامة والروح المعنوية والشرف! ولو أن الاتفاق السلمي بعيد التحقيق، لكن لو الأمريكان حرروا غزة والقدس والضفة الغربية، هل يقول العرب: لا؟! إن الضفة الغربية لن تحرر بالقوة أبدا"<sup>(٤)</sup>.



(١) المرجع السابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع سابق.

(٣) مباحثات عبد الناصر مع مأمون عوض أبو زيد ١٩٧٠/٨/٣، مرجع سابق.

(٤) مباحثات عبد الناصر مع القذافي ومأمون عوض أبو زيد، القاهرة، ١٩٧٠/٨/٤.

وشرح عبد الناصر لولد داه، "السوريون حتى يعيخوا علينا وقف إطلاق النار! عندهم وقف إطلاق النار من ١٩٦٧، يوميا غارات على الجبهة المصرية وعندهم لا معارك! وزعلانين أننا قبلنا وقف إطلاق النار، وقالوا: إن هذا يجعل اسرائيل تحرك قوات الى الجبهة السورية!.. موقف مؤسف"<sup>(١)</sup>.

وفى جلسة مجلس الوزراء فى ٧ سبتمبر ١٩٧٠ قال عبد الناصر: "السوريون.. صدر بيان من القيادة القومية والقيادة القطرية ونشر فى الجزائر، قالوا فيه: الحل السلمى الاستسلامى... ولا بد أن يحاربوا، وهم حاربوا من سنة ١٩٦٧ حتى الآن ٣ أيام.. كل سنة يوم حتى الآن!" واستطرد عبد الناصر، "لا نريد أن ندخل معهم فى أى كلام؛ فهم لا يتعرضون للجمهورية ولا لنا ولكنهم يتكلمون عن مشروع روجرز، ويقولون: إنهم يقصدون الملك حسين.. إلخ"<sup>(٢)</sup>. "سحبنا طائراتنا من عندهم، التى ذهبت اليهم منذ أكثر من سنة لكى تضرب اسرائيل، ولكنهم كانوا يقولون: إنهم غير جاهزين! ولم تطلع الطائرات فى ولا عملية؛ لأنهم ليسوا مستعدين أن يعملوا عمليات"<sup>(٣)</sup>.

أما بالنسبة للبنان، فقد قال جمال جنبلاط: كيف لم نتشاور معهم فى مشروع روجرز ولا فى أى شىء!؟

وعلق عبد الناصر، "لو تشاورنا معهم لأفسدوا العملية كلها! نحن لم نأتمن أحد إلا بعد أن ردينا على الأمريكان".

ولكن فى ظل هذا الجو العربى المشحون بالانقسامات كان موقف السودان جيدا، وبالرغم من أن عبد الناصر "لم يطلب شيئا من أى بلد، ولكن النميرى أخذ موقفا جيدا جدا"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) مباحثات عبد الناصر مع ولد داهه، القاهرة، ١٩٧٠/٩/٦، مرجع سابق.

(٢) محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

#### (٤) موقف المقاومة الفلسطينية:

بالنسبة للمقاومة الفلسطينية، كانت منظمة فتح موجودة في مصر في كل محافظة، وعندما قبل عبد الناصر المشروع الأمريكي، بدأوا في الهجوم على مصر وعليه شخصيا. وفي نفس الوقت كان موجودا ٦٠٠٠ طالب فلسطيني في الجامعات المصرية، وكانت إذاعة فلسطين تنطلق من القاهرة!

لقد كان عبد الناصر يرى أن من حق المقاومة أن يرفضوا مشروع روجرز وقرار مجلس الأمن، ولكنه حذرهم من الشتائم ومن أن ينجروا في معركة، وينتهي الأمر بأن يحارب العرب بعضهم ولا أحد يحارب اليهود<sup>(١)</sup>!

إلا أن عبد الناصر اتخذ قرارا بوقف إذاعة فلسطين بعد أن تمادوا في الهجوم على مصر، وقالوا: إنها ليس لديها الجرأة للقفز!

وبالرغم من غضب عبد الناصر من موقف المقاومة الفلسطينية منه بعد قبوله مبادرة روجرز، إلا أنه طلب مقابلة ياسر عرفات في القاهرة.

بدأ عبد الناصر حديثه شارحا ما يفهمه من الحل السلمي؛ وهو عودة الضفة الغربية والقدس والجولان. وقال: "ترفض في حالة واحدة إذا كنا نستطيع أن نعيدها عسكريا. وهنا طرح السؤال.. هل يمكن استعادة هذه الأرض عسكريا؟! ومتى؟! واستعرض قوة الجيوش العربية كلها.

ثم واجه عبد الناصر ياسر عرفات مفندا إدعاءاتهم: "إذا كنت دخيل عليكم، على أساس أنها قضية فلسطين ولا أحد يدخل فيها إلا أنتم؛ فالأفضل أن أتكلم عن سيناء، وأترك الملك حسين يتكلم عن الضفة الغربية أو أقرر وحدي بالنسبة لسيناء!"

وتكلم عبد الناصر عن مشروع روجرز بتفاصيله من وجهة نظر إسرائيل، وقال: "فيه فقرة أن توافق إسرائيل على الانسحاب وفقا لقرار مجلس الأمن ٢٤٢، وإلا حزب جبال لم يكن ليترك الحكم لأنه دخل الانتخابات على أساس ضم الأراضي المحتلة كلها لإسرائيل".

وعاود عبد الناصر التساؤل.. "عسكريا، هل هناك إمكانية لتحرير الضفة الغربية؟ هل هناك إمكانية حتى بالنسبة لمصر لتحرير سيناء بالأوضاع القائمة؟... مع تفوق إسرائيل الجوي لا نستطيع أن تعبر القوات المسلحة المصرية القناة! ثم هل حرب التحرير الشعبية [التي كانوا ينادون بها] تصلح في هذه الظروف؟ وهل أحد يحارب"؟!

(١) مباحثات عبد الناصر مع الملك حسين، القاهرة، ٢١/٧/١٩٧٠، مرجع سابق.

واستطرد عبد الناصر، "نحن نحارب من ١٨ شهرا وألغينا قرار وقف إطلاق النار ولم تلغيه أى دولة أخرى، وعندنا خسائر... بينما فيه إيقاف إطلاق النار فى كل الجبهات إلا الجبهة المصرية! فى يوم إترمى هنا ٤٠٠٠ قنبلة، كل واحدة ١٠٠٠ رطل! كل هذا ليس السبب".

وشرح عبد الناصر.. "لماذا قدم الأمريكان هذه المبادرة؟ لأن الروس حضروا الى مصر.. جنود وقوات روسية وطيران روسى؛ هذا هو الذى أجبر الولايات المتحدة اليوم أن تقول أنها ستنفذ قرار مجلس الأمن... إذا ما الذى جد فى الموضوع؟!... لقد استمرينا ٣ سنين وأنا أخطب وأقول: نريد تنفيذ قرار مجلس الأمن، ولا أحد يريد ذلك! فإذا كانت هناك إمكانية للتحرير، فلماذا لا نحرك العملية؟! سنترك مليون ونصف عربى لليهود.. من فى الضفة الغربية وغزة؟!...!

وذكر عبد الناصر ياسر عرفات، "فى المؤتمر الفلسطينى أمام أحمد الشقيرى [فى ١٩٦٥/٥/٣١]، قلت: إنه ليس عندى خطة لتحرير فلسطين، وإن عملية التحرير صعبة؛ إذا لم أعد أبدا بتحرير فلسطين، لقد كنت أطالب بحقوق شعب فلسطين. واليوم الشعارات.. سنحرر فلسطين! أولا نحسب من الذى سيحرر؟ ومتى؟!...!

أقول هذا وليس عندى أمل فى الحل السلمى، إلا إذا كانت هناك ظروف قاهرة جدا تضطرمهم الى هذا".

وبالنسبة لنقطة الاعتراف باسرائيل فى المشروع الأمريكى، قال عبد الناصر: "هذا فى سبيل ماذا؟ أن نأخذ الضفة الغربية والقدس والجولان، ثم كان عندنا اتفاقية الهدنة من ١٩٤٩.. ألم نوقع معهم اتفاقية الهدنة؟! اسرائيل موجودة وأقربنا بوجودها لما مضينا اتفاقية الهدنة. بعد هذا نعيش فى حدود آمنة ومعترف بها، هذا موجود فى قرار مجلس الأمن...!

وإلا ما هو البديل؟! إذا كان عندكم بديل، أنا مستعد أن نعلن سوا ونتفق.. لا دعوة لى بقضية فلسطين ولا بالفلسطينيين، وأقول فلسطين للفلسطينيين، ولا أدفع ولا مليم، ولا أموت ولا عسكري، ولا أهجر ٦٠٠ ألف مواطن من منطقة القناة، ولا أعطل مشروعاتى التى كانت موجودة.. مثلا مديريةية التحرير!...!

إذا كانت هناك فرصة الآن لوجود موقف دولى أجبر أمريكا على أن تضغط على اسرائيل لتتسحب، نقول لآ؟! وهل أضمن هذا الموقف سيستمر الى متى؟! الروس يريدون أن يدربوا المصريين ويمشوا وأن يحلوا محلهم. إذا مشيوا الروس من هنا أمريكا سترجع فى مشروع روجرز!"

وواجه عبد الناصر مقولات الفلسطينيين، "أما نقول: ستحرر من البحر الى النهر أو لا نحرر؛ أنتم أحرار لأن هذا معناه أن تدخل تل أبيب!... وأنتم فى هذا تقامرون بمليون ونصف فى الضفة الغربية، وإذا رجع اليمين الاسرائيلى مرة ثانية سيضمون الأرض ويطردون الفلسطينيين بالمئات، ويخلون الأماكن التى يريدونها، والشعب سيصمد الى متى؟! ولا توجد حرب شعبية فى الأراضى المحتلة".

ويشرح عبد الناصر، أنه حتى إذا لم يوجد أمل فى الحل السلمى، فإن الصواريخ التى نقلت الى الأمام على طول الجبهة المصرية فى ظل وقف إطلاق النار، أصبحت جاهزة للعمل، ووصلت الى مصر جميع المعدات الإليكترونية التى تضاهى ما عند اسرائيل. إن مصر ستضطر أن تحارب وأن تعبر فى أقرب فرصة.

أما فى حالة رفض المبادرة، فإن نيكسون سيعطى اسرائيل ١٢٠ طائرة، "من الذى سيضرب بها؟ نحن! سوريا تُضرب كل ٦ أشهر بالطيران، أما نحن فنُضرب كل يوم"<sup>(١)</sup>!

وكرر عبد الناصر، "من الذى يحارب؟ نحن الوحيدين! ثم عندما ينتهى وقف إطلاق النار، فهو مع مصر فقط، وليس مع الأردن ولا مع سوريا ولا مع العراق ولا مع لبنان؛ لأن الآخرين وقف إطلاق النار معهم ماشى الى الأبد"<sup>(٢)</sup>!

ثم قال عبد الناصر لياسر عرفات: "لماذا أطرده من الجبهة الشعبية؟ قلت بعد الامتحانات؛ يقولون للطلبة المصريين: حكم برجوازي.. حكم الطبقة، تعالوا انضموا معنا لمقاومة البرجوازية! كيف أتركهم؟! وهذا حدث من ٦ أشهر قبل مبادرة روجرز!..."

لما اتصلوا بالطلبة وعمال وتحريضهم، انقلب الموضوع ليس مقاومة ولكن أمن، ولهذا الداخلية اتخذوا إجراءات أمن، وأنا الذى أعطيت التعليمات بالنسبة للأمن. والمعركة مستمرة مع البعث العراقى نتيجة لنشاطهم التأمري فى مصر"<sup>(٣)</sup>.

وفى نفس الوقت علق عبد الناصر، "نحن نزلنا فى قواعدنا وقلنا: المقاومة فيها مزايدات"<sup>(٤)</sup>. والغريب أن الفلسطينيين كانوا يقولون: "إذا حدث اتفاق على انسحاب اسرائيل؛ لابد أن يشمل هذا الاتفاق على تصفية المقاومة... هم خايفين على أنفسهم"<sup>(٤)</sup>.

إذاً هى مصالح شخصية وليست وطنية!

---

(١) مباحثات عبد الناصر مع ياسر عرفات، القاهرة، ١٩٧٠/٨/٢٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) مباحثات عبد الناصر مع ولد داهه، القاهرة، ١٩٧٠/٩/٦، مرجع سابق، محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع

سابق.

"وإجابة على تساؤل الفلسطينيين.. ما هو مصير المقاومة؟ قلت لهم: هناك قضيتين: فلسطين والمقاومة، إذا خلطنا بين الاثنين نكون نسير فى طريق خطأ؛ فلنتكلم أولاً عن فلسطين، ثم بعد هذا نتكلم عن قضية المقاومة<sup>(١)</sup>..."

لقد كان عبد الناصر يدعم المقاومة الفلسطينية، ولكنها كانت ضد أى حلول سلمية أو سياسية؛ فهم يريدون إما تحرير كل فلسطين من اليهود أو ترك كل باقى فلسطين! وقد قال لهم عبد الناصر: "هذا سخيف! إذا كنتم مستعدين لتحرير ٥٠٪ من أرض فلسطين الآن، فلماذا لا تتحركوا؟! ولكنكم الآن تتركون حوالى مليون ونصف فلسطينى تحت رحمة الاسرائيليين، كما تتركون القدس وكل الضفة الغربية وغزة للاسرائيليين، فمتى سوف تصبحون مستعدين لتحرير أرض فلسطين؟! كان ردهم.. "إننا نعمل لتدمير أى حل سلمى"<sup>(٢)</sup>!

"بعض الفلسطينيين يقولون: إنهم يريدون الحرب، ولكن من الذى سيثمن هذه الحرب؟ ومتى.. متى سيتمكنون من احتلال جزء من اسرائيل؟!

إنهم يريدون وضع المسؤولية على أكتافنا نحن، ومن الناحية الأخرى يرفضون أن تكون يدنا حرة سواء اقتصاديا أو دبلوماسيا أو عسكريا. وفى نفس الوقت، لو قلت إننى لن أقبل أى شئ إلا بالوسائل العسكرية، فإن هذا يعنى أن العالم كله سيقف ضدى وفى مواجهتى. والسوفييت حقيقة يزودونا بالأسلحة، ولكنهم فى محادثاتهم كقوة كبرى وفى كل مكان، يعلنون تأييدهم للحل السلمى، إلا أنهم فى نفس الوقت يصرون على الانسحاب الكامل لاسرائيل من الأراضى العربية المحتلة"<sup>(٣)</sup>.

وكان من الواضح لدى عبد الناصر "أن المقاومة الفلسطينية كانت تريد أن يكون لها الكلمة الأولى فى الشئون العربية كلها؛ هاجمونا فى إذاعاتنا، وعملوا جريدة يهاجمونا فيها.. وضعهم سئ!..."

الفدائيون ملؤوا بالغرور<sup>(٤)</sup>.

(١) المرجع السابق.

(٢) مباحثات عبد الناصر مع يعقوب جاوون، القاهرة، ١٩٧٠/٩/٥، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع سابق.

وبالرغم من كل ما حدث، كان عبد الناصر يعتقد "أنه عربي، لا نستطيع أن نتخلى نتيجة لهذا؛ لأن هذه ظواهر قيادات سياسية سواء مسلحة أو غير مسلحة، ولكن الرأى العام العربى.. فلقد حاولوا يعملوا مظاهرات فى بيروت ضدنا، ما قدروا"<sup>(١)</sup>!

### د- رد فعل الولايات المتحدة على تحركات مصر لبناء قواعد الصواريخ:

اتصلت الولايات المتحدة بالاتحاد السوفيتي في ٢٣ أغسطس ١٩٧٠، عن طريق سفيرها في موسكو الذي أصدر بيانا جاء فيه الآتي:

"إن استمرار الوضع الحالي باستفادة أحد الأطراف - مصر أو إسرائيل - من حصوله على تفوق عسكري، لا بد وأن يهدد وقف إطلاق النار وإمكانية المحادثات الناجحة؛ بقصد التوصل الى السلام الذي طال انتظاره في الشرق الأوسط..."

وإن الظروف الحالية تلقى اهتماما خاصا من الأمريكان، والاسرائيليون يبذلون جهودا محمومة لإيجاد قوة تمكنهم من اتهام الجمهورية العربية المتحدة بخرق شروط وقف إطلاق النار، وكذا لإحباط التسوية السلمية".

وفي ٣ سبتمبر بلغت الولايات المتحدة الاتحاد السوفيتي بيانا شفويا آخر عن طريق سفيرها في موسكو:

"تود حكومة الولايات المتحدة أن تثير أمام الحكومة السوفيتية مسألة تسبب مشاغل عميقة.. نما لدينا في الوقت الحالي برهانا قاطعا على استمرار التغييرات الجوهرية في وضع قواعد الصواريخ في منطقة وقف إطلاق النار؛ حيث فقط لا يستمر البناء في قواعد الصواريخ، بل وتبنى قواعد جديدة جنبا في مناطق وقف إطلاق النار. وبجانب ذلك، تم تركيب الصواريخ سام ٢، سام ٣؛ الأمر الذي يُفسر بانتهاكات واضحة لوقف إطلاق النار، وهو ما يتنافى مع تصريح برجنيف حول ضرورة الالتزام الصادق باتفاق وقف إطلاق النار.

وإن هذه الأعمال، تتنافى مع الدور الذي تلعبه الحكومة السوفيتية في جهودنا المشتركة لمساعدة السفير يارنج على معاونة الأطراف في التوصل الى اتفاق حول شروط السلام العادل والدائم في الشرق الأوسط... ومن المهم تصحيح هذا الوضع سريعا، وأي استمرار لهذه الأعمال سوف يلقي على الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة المسؤولية على العودة المحتملة للعمليات الحربية".



وقد طلب السفير الأمريكى فى موسكو الآتى: إن الأمريكان سوف يرحبون بإجراء من جانب الجمهورية العربية المتحدة؛ لإخراج عدد من قواعد إطلاق الصواريخ، على الأقل التى تم تركيبها فى منطقة قناة السويس بعد وقف إطلاق النار. وهذا الأمر من شأنه أن يمكن حكومة الولايات المتحدة من التأثير على اسرائيل بصورة أنشط، ومن إشراكها فى محادثات نيويورك<sup>(١)</sup>.

وقد رفضت مصر هذه الاتهامات، على يد محمود رياض - وزير الخارجية المصرى - وأنكر مواقع الصواريخ التى إدعتها اسرائيل<sup>(٢)</sup>.

وكان تعليق عبد الناصر فى لقاءه مع القائم بأعمال السفارة السوفيتية فى القاهرة فى ٥ سبتمبر ١٩٧٠، أنه من الواضح أن هناك ضغط من الحكومة الاسرائيلية على الأمريكان، وأنهم استجابوا لهذا الضغط! ثم قال: "نحن سنبنى قواعد للصواريخ، ولكن الاسرائيليين أيضا يبنون، ونحن بلغنا الأمريكان من قبل، ولم يهتموا أن يحدوها".

وقال عبد الناصر: "إن الأمريكان يريدون أن يفتلوا من العملية، إنهم يريدون أن يتراجعوا ولا يعرفون؛ لقد كانوا متصورين أننا سنرفض - الأمريكان والاسرائيليين - فأما قبلنا وُضعوا فى مركز حرج!...

إن الطيران المصرى كله الآن فى التدريب، وحتى الطيران السوفيتى. واليهود يضايقهم بناء القواعد أكثر من الصواريخ؛ لذلك أعطيت الفريق فوزى أوامر ألا يدخل الصواريخ لأنها ممكن أن ندخلها فى ساعتين، لكن القواعد إذا بنيت تكون مفيدة... وإن بناء قواعد الصواريخ سيتم يوم ١٥ سبتمبر<sup>(٣)</sup>.

"نحن عسكريا فى وضع أحسن من شهر مضى، والاسرائيليون يعلمون هذا. إنهم خائفون؛ لأنهم يعتمدون على الطيران من ارتفاعات عالية لا تصل اليها المدافع ولكن الصواريخ فقط. وهم يرمون كميات كبيرة من القنابل من ارتفاعات عالية؛ فالصواريخ الآن على القناة تضرب الطائرات شرق القناة، وعلى هذا الأساس نستطيع أن نعبر<sup>(٤)</sup>.

(١) اجتماع عبد الناصر مع فلاديمير بولياكوف القائم بأعمال السفارة السوفيتية فى القاهرة، ١٩٧٠/٩/٥.

Tel. from the Dept. of State to the Interests Section the UAR, Embassys in the (٢)

SU & Israel & to Mission to the UN, Washington, Sep. 3, 1970.

(٣) اجتماع عبد الناصر مع بولياكوف، ١٩٧٠/٩/٥، مرجع سابق.

(٤) مباحثات عبد الناصر مع ولد داده، ١٩٧٠/٩/٦، مرجع سابق.

"كل يوم فيه احتمال أن يحدث شيئا على جبهة قناة السويس من جانب اليهود" فنحن فى حالة حرب... ولكن استنفدنا جدا من وقف إطلاق النار؛ جاءت لنا معدات كثيرة، ومدربين ولا بد أن نكون على استعداد...

إننا نحتاج الى الثلاث أشهر - وقف إطلاق النار - لأن هذه المعدات وصلت حديثا، ولا نزال نحتاج الى وقت ينفعنا فيها. وأعتبر أن الأمريكان والاسرائيليين عندهم معلومات بهذا؛ لأن هذه المعدات كلها وصلت من البسفور.

ولكن كيف نواجه الحملة الدعائية الاسرائيلية؟ إنهم كسبانين فى الدعاية... ويقدمون كل يوم شكوى أننا خرقتنا وقف إطلاق النار، ويخرجوا صورا كدليل! كيف نواجه هذا؟ وخاصة بعد أن تركنا هذه العملية فى البداية لأنها تخدمنا عربيا وتقضى على كلام العراقيين والجزائريين، وحتى السوريين.. حملتهم ضاعت جدا<sup>(١)</sup>.

وبالطبع لم يكن معروفا فى ذلك الوقت، أنه نتج عن زيارة مائير المؤجلة ومقابلتها نيكسون فى ١٨ سبتمبر ١٩٧٠، أنه وعدها بصفقة أسلحة جديدة لمواجهة "تهديد" الصواريخ الروسية الجديد، بعد أن أقنعتة أن الصواريخ التى وضعت على جبهة قناة السويس أثناء وقف إطلاق النار تمتد أبعد من الضفة الشرقية للقناة؛ مما غير الموقف العسكرى تغييرا جذريا. وأنهت كلامها قائلة: "إن السلاح السوفيتى والتواجد السوفيتى هو الذى غير الموقف استراتيجيا"<sup>(٢)</sup>.

(١) محضر مجلس الوزراء، ١٩٧٠/٩/٧، مرجع سابق.

Memo. Of Conversation, Washington, Sep. 18, 1970, Nixon & Meir.

(٢)

Memo. From P.Nixon to Rogers & Lairck, Washington, Sep. 23, 1970, Follow – up Actions with Israel.

## ثامنا: آخر اجتماع قمة عربي يحضره عبد الناصر:

منذ بداية تكوين المنظمات الفدائية الفلسطينية وتمركزها في الأردن، كانت العلاقات بينها وبين الملك حسين ينتابها بين الحين والآخر بعض التوتر، الى أن تصاعدت الخلافات بين الطرفين في أوائل سبتمبر ١٩٧٠ ووصلت الى حد الاشتباكات المسلحة.

اجتمع مجلس الجامعة العربية بصفة عاجلة بناء على طلب منظمة تحرير فلسطين؛ لبحث احتمالات الموقف في الأردن ووسائل السيطرة عليه. وفي ٦ سبتمبر صدر نداء جماعي من الدول العربية بوقف الصدام في الأردن بعد أن خلف عددا من القتلى والجرحى. إلا أن الاشتباكات تجددت بين قوات الجيش الأردني ورجال المقاومة الفلسطينية في ٩ سبتمبر ١٩٧٠.

وإزاء الموقف المتدهور، شكلت حكومة عسكرية في الأردن في ١٦ سبتمبر وأعلنت الأحكام العرفية، وطالبت الحكومة الفدائيين بتسليم أسلحتهم لمنظماتهم؛ مما رفضته. أرسل ياسر عرفات في ١٦ سبتمبر ١٩٧٠ رسائل الى الملوك والرؤساء العرب، يطالبهم بالوقوف الى جانب المنظمات الفدائية الفلسطينية.

رد عبد الناصر برسالة الى الملك حسين، حملها الفريق محمد صادق في ٢٢ سبتمبر ١٩٧٠<sup>(١)</sup>، يطالب فيها بوقف الأعمال العسكرية في الأردن، ويؤكد على أن الجمهورية العربية المتحدة تؤمن بأهمية دور المقاومة الفلسطينية، وشرعيتها وفعاليتها في النضال المستمر ضد العدو الصهيوني، كما أنها ظاهرة من أنبل الظواهر التي أسفرت عنها نكسة ١٩٦٧.

وفي هذه الرسالة، وجه عبد الناصر نداء أخيرا بوقف إطلاق النار، ورجا الملك حسين أن يستجيب اليه بأسرع وقت حفاظا على مستقبل الأمة العربية وكرامتها، مؤكدا أنه لن يسمح بتصفية المقاومة الفلسطينية، مشيرا الى أن هذا الصراع من شأنه أن يؤدي الى حرب أهلية بدلا من حرب مع العدو.

وختم عبد الناصر رسالته، "بأن هذه فرصة متاحة لنا جميعا لتكون تصرفاتنا على مستوى مسؤوليتنا التاريخية".

لم يتمكن الفريق محمد صادق من الاجتماع بياسر عرفات في الأردن، فأرسل عبد الناصر برقية الى الملك حسين يكرر فيها نداءه اليه بوقف إطلاق النار بأسرع وقت ولو لمدة ٢٤ ساعة.

(١) نص رسالة عبد الناصر الى الملك حسين ، ١٩٧٠/٩/٢٢، وكل الرسائل المتبادلة بين الأطراف المختلفة على موقع

وفى نفس الوقت، أرسل عبد الناصر برقية الى ياسر عرفات يطالبه أيضا بوقف إطلاق النار لمدة ٢٤ ساعة؛ لكي يتيح للأمة العربية فرصة تحتاجها وطنيا وقوميا.

استمر تبادل البرقيات بين عبد الناصر وطرفى القتال، وبدأ الإعداد لمؤتمر قمة فى القاهرة بناء على اقتراح الباهى الأدغم رئيس وزراء تونس.

وفى ٢١ سبتمبر ١٩٧٠، وصل الى القاهرة عدد من رؤساء الدول العربية، وفى نفس اليوم أوقف الملك حسين إطلاق النار ضد المقاومة الفلسطينية والفريق محمد صادق والسفير المصرى فى مكتبه، بعد رسالة أخرى من عبد الناصر سلمت له.

ولكن فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٠، استمرت معارك عنيفة اشترك فيها الطيران الأردنى. وفى اليوم التالى سافر وفد من القاهرة برئاسة جعفر النميرى الى عمان ليجتمع بقيادات المقاومة الفلسطينية، وكان القصف العسكرى مازال مستمرا فى عمان.

وهنا قررت اللجنة المركزية للمقاومة الفلسطينية طلب وقف إطلاق النار لمدة ٢٤ ساعة؛ حتى يتسنى اجتماع وفد الملوك والرؤساء العرب بياسر عرفات.

وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٧٠، وصل ياسر عرفات الى القاهرة مع وفد الرؤساء والملوك العرب، واجتمع بهم عند منتصف الليل. وفى نفس اليوم، أرسل عبد الناصر برقية الى الملك حسين باسمهم؛ يعاتبه فيها على إصراره على مواصلة إطلاق النار برغم كل المحاولات التى بذلت، ويخطره أن المؤتمر اتفق على أن يعقد جعفر النميرى مؤتمرا صحفيا يذيع فيه حقائق ما يجرى فى الأردن، وموقف أعضاء مؤتمر القمة العربى منه.

وفى نفس اليوم، أصدر كل من الملك حسين وياسر عرفات لقوتيهما المتحاربة بوقف إطلاق النار فورا.

وفى يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٧٠، تم التوصل الى اتفاقية القاهرة باسم الملوك والرؤساء العرب؛ وتنص على تكوين لجنة خاصة لمتابعة تنفيذ وقف إطلاق النار، برئاسة الباهى الأدغم الذى بدأت فكرة عقد مؤتمر القمة العربى من عنده.

وبهذا تكلفت جهود عبد الناصر لحقن الدم العربى بالنجاح، على حساب صحته؛ فكانت تلك آخر ثمرة لجهوده فى سبيل القومية العربية والقرار العربى الواحد.